

## الجلد الثالث من التفسيرين السبعين

### المسكون عليها سطور الذهب سبك اللعين

الاول المسمى بانوار التزئل واسرار التأويل نسخ مشايخ الاسلام أعلم العلماء الاعلام  
الحبر النحرير حاوي فضيلتي البيان والنان في التقرير والتحرير كاشف قناع المنكلمات  
ومونع دلائل المضلات مظهر الكنايات والاشارات منبع العلي أفضل الوري  
علم الهدى ناصر مذهب أهل السنة وكاشف غمة مذهب الاعتزال عن هذه الامة  
شيخ ديار الهم والعرب وأمام أهل الثقة والادب فريدهره ووحيد عصره الثاني  
ناصر الدين أبي سعيد عيد الله بن عمر البضاوي الشافعي المتوفى سنة  
(٦٨٥) وقيل (٦٩٢) قدس الله روحه ونور ضريحه

الثاني المسمى بلباب التأويل في معاني التزئل تأليف الامام العلامة قدوة الامة  
والائمة ناصر الشريعة ومحي السنة علاه الدين علي بن محمد بن ابراهيم  
البغدادى العنوفى الشافعي المعروف بالحازن فرغ من تأليفه  
سنة (٧٢٥) تقمده الله برجته آمين

قد حل هاشم هذا الكتاب بالتفسيرين الثرين \* الاول المسمى بمدارك التزئل  
وحقائق التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن احمد بن  
محمود القسبي الحنفي المتوفى سنة (٧٠١) عايه صحائب الرجة والرضوان  
الثاني تدوير المقاس من تفسير ابن عباس لابي طاهر محمد بن يعقوب القنوز آبادي  
الشافعي المتوفى سنة (٨١٢)

تنبية

يعول الموصل الى الله احمد وصفت بن عثمان حامى الشره حصارى المصحح مدار الطاعة العاصره  
اعانه الله على متاق هذه الصاعه ومعت ابوار البريل فوق الصحفه ولباب التأويل  
تحتهما مفصولا بينهما محمول وكذلك وصفت مدارك البريل فوق  
الهامس وتويرة المقاس تحه مفصولا بينهما محمول

المطبعة الاولى

بالمطبعة العاصرة

سنة ١٣١٧ هجرية



676  
518



- ٣١١ عن أبي هريرة لم يذوقوا بالقرن الحديث  
 ٠٠٠ قال البغوي وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الحديث  
 ٣١٣ تفسير قوله عز وجل (ومن أظلم ممن اقترى على الله كذبا) الآية  
 ٣١٤ عن صفوان بن عمرو المازني قال بينا ابن عمر يملكون بالبيت الخ  
 ٣١٥ تفسير قوله عز وجل (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات واختبوا إلى ربهم) الآية  
 ٣١٦ تفسير قوله عز وجل (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه أني لكم نذير مبين) الآية  
 ٣١٩ فصل

استدل بعضهم بهذه الآية (ولا أعلم الغيب ولا أقول إلى ملك) على تفضيل  
 الملائكة على الأنبياء الخ

### فصل

- ٣٣١ وقد استدلوا بهذه الآية (فلا تظن أن الناس لك به علم) من لا يرى عصاة الأنبياء وبيانه إن  
 قوله (إنهم يعلمون) الخ (المراد منه السؤال وهو عطلور فلهذا نهى عنه الخ  
 ٣٣٣ تفسير قوله عز وجل (وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله) الآية  
 ٤٣٧ تفسير قوله عز وجل (وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله) الآية  
 ٣٤٠ تفسير قوله عز وجل (ولقد جاءكم رسولنا إبراهيم بالبشرى) الآية  
 ٣٤٥ تفسير قوله عز وجل (ولما جاءكم رسولنا لوطا منيهم وضاق بهم ذرعا) الآية  
 ٣٥٠ تفسير قوله عز وجل (وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم) الآية  
 ٣٥٧ تفسير قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) الآية  
 ٣٦٢ تفسير قوله عز وجل (فأما الذين شقوا في النار لهم فيها فيرو شهيق) الآية  
 في رواية إماميه فليجمع

٣٦٦ تفسير قوله عز وجل (فاستقم كما أمرت) الآية

٣٦٧ عن سفيان بن عبيد الله التميمي قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا يخ

٠٠٠ عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا يخ

٣٦٨ تفسير قوله عز وجل (واقم الصلوة طرقي النهار) الآية

٠٠٠ عن عبد الله بن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة ليلة

٠٠٠ عن معاذ بن جبل قال قال النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أرايت رجلا يخ

٣٦٩ عن أبي هريرة الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كنزات الحديث

٠٠٠ عن أبي هريرة أو أيمن لو أن نهر باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات الحديث

٠٠٠ عن جابر مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار عمر الحديث

٣٧١ تفسير قوله عز وجل (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) الآية

٠٠٠ عن أبي هريرة تفرق اليهود على إحدى وسبعين فرقة الحديث

٠٠٠ عن معاوية آلان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا الحديث

٣٧٢ تفسير قوله عز وجل (ونمت كلمة ربك لأن ملآن جهنم من الجنة والناس اجمعين) الآية

٣٧٣ تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام

٣٧٧ تفسير قوله عز وجل (قال يا بني لا تقصص رؤياك على أخوتك) الآية

- ٣٧٨ من ابي قتادة قال كنت اري الرؤيا تمرشني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر  
 ٠٠٠ عن ابي سعيد الخدري اذا رأى احداكم الرؤيا معها فانها من الله الحديث  
 ٠٠٠ عن جابر اذا رأى احداكم الرؤيا يكرها فليصدق الحديث  
 ٠٠٠ من ابي رزين القيلي رؤيا المؤمن جزء من اربعين الحديث
- ٣٨٤ ذكر قصة ذهابهم بيوسف عليه الصلاة والسلام
- ٣٨٨ تفسير قوله عز وجل ( وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه ) الآية  
 ٣٩٣ تفسير قوله عز وجل ( ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه ) الآية  
 والكلام عليها في مقامين ٠ الاول في ذكر اقوال المفسرين في هذه الآية  
 ٣٩٤ المأمم الثاني في تنزيه يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الرديئة الخ  
 ٤٠٠ تفسير قوله عز وجل ( وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسها ) الآية  
 ٤٠٥ تفسير قوله عز وجل ( ودخل معه السجن فتيان قال احدهما ) الآية  
 ٤١١ تفسير قوله عز وجل ( فلبث في السجن بضع سنين ) الآية
- ٤٢٠ الجزء الثالث عشر
- ٤٢١ تفسير قوله عز وجل ( وقال الملك اشئوني به استخلصه لنفسى ) الآية  
 ٤٣١ تفسير قوله عز وجل ( وقال يا بني لا تدخا من باب واحد ) الآية  
 ٠٠٠ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الذين سبق  
 ٠٠٠ عن ابن عباس العن حق ولو كان شيء سابق القدر الحديث  
 ٠٠٠ عن عائشة قالت كان يؤمر العائش فيؤتمم غسل الحديث
- ٤٣٣ تفسير قوله عز وجل ( ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه ) الآية  
 ٤٣٩ تفسير قوله عز وجل ( قالوا يا ايها العزيز ان له اباشيخا كبيرا ) الآية  
 ٤٤٧ تفسير قوله عز وجل ( يا بني اذهبوا قمسوا من يوسف واخيه ) الآية  
 ٤٥٣ تفسير قوله عز وجل ( قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ) الآية  
 ٤٦١ تفسير قوله عز وجل ( وما ارسلنا من قبلك الا رجالا ) الآية
- ٤٦٥ تفسير سورة الرعد
- ٤٧٣ تفسير قوله عز وجل ( سواء منكم من اسرا القولة ومن جهريد ومن هو مستغف بالليل ) الآية  
 ٤٧٤ من ابي هريرة يتمايمون فكم ملائكة بالليل وملائكة النهار الحديث  
 ٤٧٥ تفسير قوله عز وجل ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ) الآية
- ٤٨١ فصل
- وهذه السجدة من عزائم سجود اللادة الخ
- ٤٨٣ من ابي موسى الاشعري ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم الحديث
- ٤٨٦ تفسير قوله عز وجل ( للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا لله ) الآية  
 ٤٨٧ تفسير قوله عز وجل الذين يوفون بعهود الله ولا يفتنون اميثاق ) الآية
- ٠٠٠ الاول : عن عبد الرحمن بن عوف قال تبارك وتعالى اما الله وانا الرحمن الحديث



- ... الثاني: عن عائشة الرحم حلقه بالمرحى تقول من وصلى وصله الله الحديث  
... الثالث: عن أبي هريرة من سره ان يبسط في رزقه وان يتسأل في أثره الحديث  
... الرابع: عن جبير بن مطعم لا يدخل الجنة طالع  
... الخامس: عن عبدالله بن عمرو بن العاص ليس الواصل بالمكافى الحديث  
... السادس: عن أبي هريرة تعلموا من السابقكم ما يصلون به ارحامكم الحديث  
٤٨٩ تفسير قوله عز وجل ( ويدرون بالحسنة السيئة ) الآية  
﴿ وفيه حديث فليراجع ﴾  
٤٩٢ تفسير قوله عز وجل ( الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ) الآية  
﴿ وفيه عدة احاديث فليراجع ﴾  
٥٠٠ تفسير قوله عز وجل ( ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية ) الآية  
٥٠١ عن حذيفة بن اسيد اذا امر بالطفة ثنان واربعون ليلة الحديث  
... عن ابن مسعود ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعة اربعين يوما الحديث  
٥٠٢ عن ابي الدرداء ينزل الله تبارك وتعالى في ثلاث ساعات يقين من الليل الحديث  
٥٠٣ ﴿ فصل ﴾  
٥٠٤ اسميت الرافضة على مدحهم في الداء بهذه الآية يعني (محو الله ما يشاء ) الآية  
عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان الله لا يبصص النمام انزاعا الحديث  
٥٠٦ ﴿ تفسير سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴾  
٥٠٨ تفسير قوله عز وجل ( وما ارسلنا من رسول الا باذن قومه ) الآية  
٥١٥ تفسير قوله عز وجل ( وقال الذين كفروا لرسامهم لنفخنكم من ارضتنا ) الآية  
٥٢٠ ته. يرقوله عز وجل ( وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعمدكم وعد الحق ) الآية  
٥٢٢ ته. يرقوله عز وجل ( ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة ) الآية  
٥٢٢ عن ابن عمر كعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجبروني عن شجرة الخ  
٥٢٤ تفسير قوله عز وجل ( يبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ) الآية  
﴿ وفيه عدة احاديث ﴾  
٥٢٥ الاول: عن اس عازب ان المسلم اذا سئل في امر شهد الحديث  
... الثاني: عن اس ان العمد اذا وضع في فيه رطل عه الحديث  
... الثالث: عن ابي هريرة اذا مر الملب اتاه ملكان الحديث  
... الرابع: عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حازه  
رجل من الاوصار الخ  
... الخامس: عن عثمان بن عفان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرع من دفن الميت الخ  
... السادس: عن عمار بن نعام قال حصرنا عمرو بن العاص وهو في ساق الموت الخ  
٥٢٧ تفسير قوله عز وجل ( ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا ) الآية  
٥٢٨ تفسير قوله عز وجل ( قل لعبادي الذين آمنوا بقموا الصلوة وينفقوا )  
﴿ رزقناهم ﴾ الآية  
٥٣٠ تفسير قوله عز وجل ( وان اعدوا نعمت الله لانهمسوها ار الانسان لظلم )  
﴿ كقار ﴾ الآية

٥٣٢ تفسير قوله عز وجل (ربنا انى اسكنت من ذرىٰ بني نوح بواحد غير ذىٰ ذرع عند بيتك المحرم) الآية

٥٣٣ عن ابن عباس قال اول ما اتخذ الساء المطق من قبل ام اسمعيل الخ

٥٣٧ تفسير قوله عز وجل (ولا تحسبن الله خافلا عما يعمل الظالمون) الآية

٥٤١ تفسير قوله عز وجل (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات) الآية

هو فيه بحث فى معنى هذا التبديل

٥٤٣ تفسير قوله عز وجل (وترى الجرمين يومئذ مقرنين فى الاسفاد) الآية

٥٤٦ الجزء الرابع عشر

تفسير سورة الحجر

٥٤٩ تفسير قوله عز وجل (وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون) الآية

٥٥٠ تفسير قوله عز وجل (ولقد ارسلنا من قبلك فى شيع الاولين) الآية

٥٥٢ تفسير قوله عز وجل (ولقد جمعنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين) الآية

٥٥٣ عن ابى هريرة اذا قضى الله الامر فى السماء صربت الملائكة باجستها الحديث

فصل

٥٥٥ اخلف العلماء هل كان الشايطون يرى بالانحوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ

٥٥٥ تفسير قوله عز وجل (والارض مددناها واوقينا فيها رواسى) الآية

٥٥٧ من مائة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصف الريح قال اللهم انى اسألك الحديث

٥٥٨ تفسير قوله عز وجل (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) الآية

٥٥٩ تفسير قوله عز وجل (ولقد خاقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون) الآية

٥٦٠ تفسير قوله عز وجل (واذا قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون) الآية

٥٦٥ تفسير قوله عز وجل (ان المتقين فى جنات وعيون) الآية

٥٦٦ تفسير قوله عز وجل (نبي عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم) الآية

٥٦٦ من ابى هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه وسالى خلق الرحمه يوم خلقها الحديث

٥٧٣ تفسير قوله عز وجل (ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا) الآية

٥٧٤ تفسير قوله عز وجل (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) الآية

وبيان اقوال الصحابة فى المثاني وسرد دلالتهم على وجه النصيب

٥٧٦ تفسير قوله عز وجل (لا تمدن عينيك الى ما متناهى ازواجاً منهم) الآية

٥٧٦ عن ابى هريرة لا يعطون فاحرا بنعمه فانك لا تدري ما هو لاق الحديث

٥٧٦ عن ابى هريرة اذا نظر احدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق فليظر الى اسفل منه

٥٧٨ تفسير قوله عز وجل (الذين جعلوا القرآن عضين) الآية

٥٧٩ تفسير قوله عز وجل ( فاصدع بآذانهم واحرض عن المشركين ) الآية

٥٨١ تفسير سورة النحل

٥٨٥ تفسير قوله عز وجل ( وانخليل والبنال والجيد لتركبوها ) الآية

### فصل

اخرج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل الخ

٥٨٩ تفسير قوله عز وجل ( وهو الذي سخر البصر لتأكلوا منه لحاظطريا ) الآية

٥٩١ تفسير قوله عز وجل ( أفن يخلق كمن لا يخلق ) الآية

٥٩٢ تفسير قوله عز وجل ( وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ) الآية

٥٩٣ تفسير قوله عز وجل ( الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة ) الآية

٥٩٤ عن ابن مسعود لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر الحديث

٥٩٥ عن أبي هريرة من دما الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه الحديث

٥٩٧ تفسير قوله عز وجل ( وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا ) الآية

٦٠٣ تفسير قوله عز وجل ( والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا ) الآية

٦٠٥ تفسير قوله عز وجل ( وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ) الآية

### فصل

وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن الخ

٦١٢ تفسير قوله عز وجل ( واذا بشر احدكم بالاتي ظل وجهه ) الآية

٦١٣ تفسير قوله عز وجل ( ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها ) الآية

٦١٤ تفسير قوله عز وجل ( تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك قزوين لهم الشيطان اعمالهم ) الآية

٦١٧ تفسير قوله عز وجل ( ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ) الآية

٦١٨ تفسير قوله عز وجل ( واوحى ربك الى النخل ) الآية

٦٢٠ تفسير قوله عز وجل ( فيه شفاء للناس ) الآية

وبيان اخلاف العلماء في هذا النقص هل هو على العموم لكل مرض او على الخصوص الخ

٦٢٢ تفسير قوله عز وجل ( والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارض العمر ) الآية

٠٠٠ عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعود بك من العجز والكسل الحديث

٦٢٣ تفسير قوله عز وجل ( والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ) الآية

٦٢٥ تفسير قوله عز وجل ( ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه مئارا زقا

حسنا ) الآية

٦٢٧ تفسير قوله عز وجل ( والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا ) الآية

٦٣١ تفسير قوله عز وجل ( ويوم نبعث من كل امة شهيدا ) الآية

٦٣٤ تفسير قوله عز وجل ( ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ) الآية

٦٣٥ تفسير قوله عز وجل ( واوفوا بعهدهم الله اذا طاهدتم ) الآية

- ٦٣٧ تفسير قوله عز وجل (ولا تأخذوا إيمانكم دخلاً بينكم فتتولد قدم بعد ثبوتها) الآية  
 ٦٣٨ تفسير قوله عز وجل (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) الآية  
 ٦٣٩ تفسير قوله عز وجل (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الآية  
 ٠٠٠ من جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل صلاة الخ  
 ٦٤٣ تفسير قوله عز وجل (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) الآية  
 ٦٤٤ فصل في حكم الآية

- ٦٤٦ تفسير قوله عز وجل (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما قاتلوا) الآية  
 ٦٤٧ تفسير قوله عز وجل (وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون) الآية  
 ٠٠ روى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال ما زال الخصومة بين الناس يوم القيامة الخ  
 ٥٥٠ تفسير قوله عز وجل (ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاتخذهم المذاب  
 وهم ظالمون) الآية  
 ٦٥٤ تفسير قوله عز وجل (انما جعل السبت على الدين اختلفوا فيه) الآية  
 ٦٥٦ تفسير قوله عز وجل (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) الآية  
 ٥٦٧ تفسير قوله عز وجل (وان ما قبلتم فمأقبوا بتل ما عوقبتم به) الآية

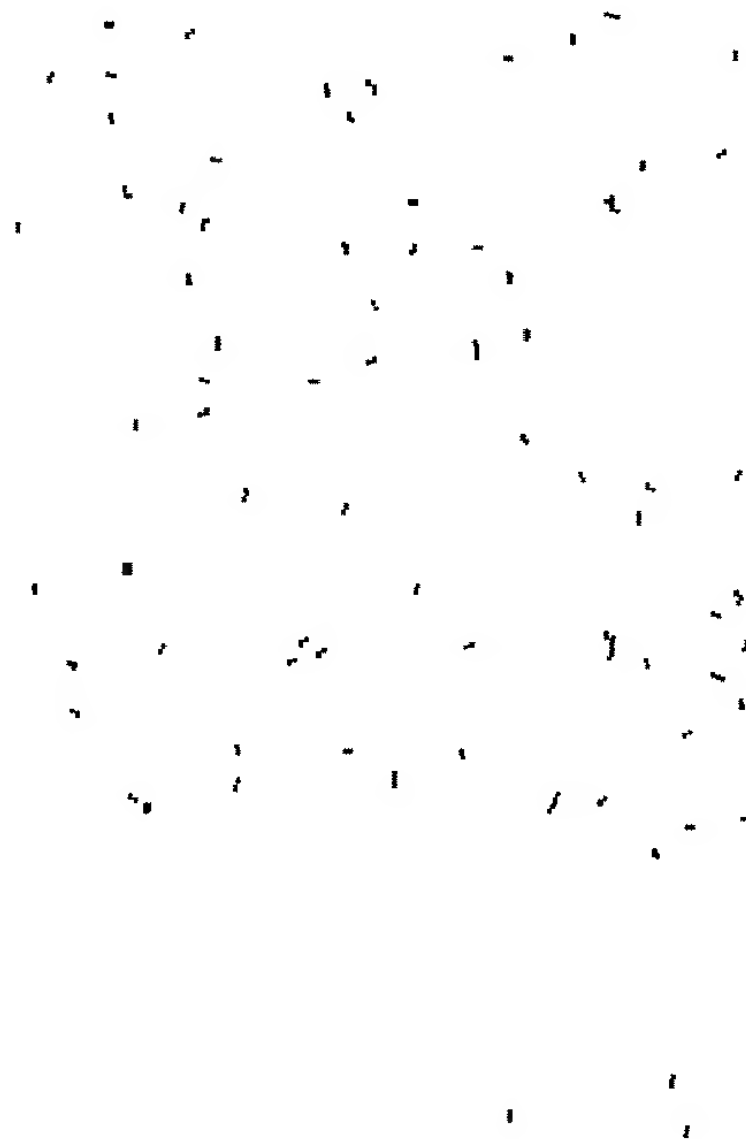
#### ٦٥٨ فصل

اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا الخ

معارف نظارت جلید - ٢٥٣ و (٦٣٣) نور و لریخی ماری

رضیعتنا سید مطبوع عامه ده

طبع اول نشر





سورة الانفال

هدية وهي خمس

أوست أربع

وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانفال

هدية وهي خمس

أوست أربع

وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]



يدرو في قسمتها فساووا رسول ( الجزء التاسع ) الله كيف ﴿ ٤ ﴾ نقسم ولن الحكم في قسمتها للمهاجرين أم

للا نصار أم لهم جميعا فقبل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم بها خاصة يحكم فيها ما شاء ايس لاحد غيره فيها حكم ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول أن حكمها مختص بالله ورسوله أما الله يقسمها على ما تقتضيه حكمته ويمثل الرسول أمر الله فيها وليس الأمر في قسمتها مقوضا الى رأى أحد ( فائقوا الله ) في الاختلاف والنخاصم وكونوا آخين في الله ( وأصلحوا ذات بينكم ) أحوال بينكم ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق وقال الزجاج معنى ذات بينكم حقيقة وصالكم والبين الوصل أى قاتنوا الله وكونوا محتملين على ما أمر الله ورسوله به قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اخلافنا في القل وساءت فيه أخلافا فترعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم قسمه بين المسلمين على ( قل ) يا محمد لهم

﴿ قل الانفال لله والرسول ﴾ أى امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما أمره الله وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر أنها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم أو الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن كان له فناء ان ينقله متسارع شبا نهم حتى قتلوا سبعين وامروا سبعين ثم طردوا فقامهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عبد الرايات كنا رماكم وفتة تهازون اليها فتزات فقسمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يلى بما وعد وهو قول الشافعى رحمه الله تعالى وعن سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه قل لما كان يوم بدر قتل اخى عير وقتل به سعيد بن العاص واخذت سبعة فالت به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا الى ولالك اطرحه في القبر فطرحته وفي ما لا يملكه الا الله من ذل اخى واخذ ساجي فلجاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سأثنى السيف ولبس لى وانه قد صار لى فاذهب فخذوه وقرئ يستلوثك علفال يحذف الهمزة والهاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها . ويستلوثك الانفال أى يسألك الشبان ما شرطت لهم ﴿ فائقوا الله ﴾ في الاختلاف والمشاجرة ﴿ وأصلحوا ذات بينكم ﴾ الحال التى بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله

وسلم يصنع فيه ما شاء ﴿ قل الانفال لله والرسول ﴾ أى قل لهم يا محمد ان الانفال حكمها لله ورسوله يقسمانها كيف شاء واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال مجاهد وعكرمة والسدى هذه الآية منسوخة فنسخها الله سبحانه وتعالى بالخمس في قوله واعلموا أن ما غنمتم من شئ فان لله خسه وللرسول الآية وقيل كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولمن شاء ثم نسخها الله بالخمس وقال بعضهم هذه الآية ناسخة من وجه منسوخة من وجه وذلك بالغنائم كانت حراما على الأمم الذين من قبلنا في شرائع أديانهم فاباحها الله لهذه الأمة هذه الآية وجعلها ناسخة للشرع من قبلنا ثم نسخت بآية الخمس وقال عبد الرحمن بن زيدانها محكمة وهي احدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الآية على هذا القول قل الانفال لله والرسول بنسخها حيث أمره الله وقد بين الله مصارفها في قوله واعلموا أن ما غنمتم من شئ فان لله خسه وللرسول الآية وروى عن ابن عمر قال بسا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فغنا ابالا فاصاب كل واحد منا لى عشر يعبرون فاما يعبر ابعبر اخرجاه في الصحبين فعلى هذا تكون الآية محكمة وللإمام أن ينقل من شاء من الجيش مائة فل التخصيس ﴿ فائقوا الله ﴾ بمعنى اتقوا الله بطاعته وأتقوا مخالفته وتركوا المازعة والمحاصصة في الغنائم ﴿ وأصلحوا ذات بينكم ﴾ أى أصلحوا الحال في ما بينكم بذلك المازعة والمخالفة وبسليم أمر الغنائم الى الله ورسوله

( الانفال لله والرسول ) الغنائم يوم بدر لله وللرسول ليس لكم فدهش ويقال لله وأمر الرسول فيه حائز ( واطيعوا )

( فائقوا الله ) في أخذ الغنائم ( وأصلحوا ذات بينكم ) ما بينكم من المخالفة قليلا فليؤد القوي والفوي الى الضعف والنار

في تسليم امره الى الله والرسول ﴿واطيعوا الله واطيعوا رسوله﴾ فيه ﴿ان كنتم مؤمنين﴾  
 فان الايمان يقتضى ذلك أو ان كنتم كاملي الايمان فان كان الايمان بهذه الثلاثة طاعة  
 الاوامر والاتقاء عن المصالح واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان ﴿انما المؤمنون﴾  
 أى الكاملون في الايمان ﴿الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ فزعت لذكره  
 استغماما له وتنبها من جلاله وقيل هو الرجل يهيم بمسببة فيقال له اتق الله فينزع  
 عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهى لفظة وقرئت أى خافت ﴿واذا  
 تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا﴾ لزيادة المؤمن به أو لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين  
 بتظاهر الادلة أو بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص  
 ﴿واطيعوا الله واطيعوا رسوله﴾ فيما يامرانكم به ونهيانكم عنه ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ معنى ان كنتم  
 مصدقين بوعده ووعيدته ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله  
 وجلت قلوبهم﴾ لما أمر الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله في الآلة المتقدمة  
 ثم قال بعد ذلك ان كنتم مؤمنين لان الايمان يستلزم طاعة الله في هذه الآلة صفات  
 المؤمنين وأحوالهم فقال سبحانه وتعالى انما المؤمنون ولقطة انما تفيد الحصر والمعنى  
 ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله انما المؤمنون الصادقون في ايمانهم الذين  
 اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أى خضعت وخافت ورقت قلوبهم وقل اذا خوفوا بالله  
 انقادوا خوفا من عقابه وقال أهل الحقائق الخوف على قسمين خوف عقاب وهو  
 خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عظمة الله  
 عز وجل فخافوه أسد خوف وأما العصاة فيخافون عقابه فالمؤمن اذا ذكر الله وحل  
 قلبه وخافه على قدر مرتبته في ذكر الله فان قلت انه سبحانه وتعالى قال في هذه الآلة  
 وجلت قلوبهم بمعنى خافت وقال في آية أخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع  
 بينهما فات لا منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجع هو خوف العقاب والاطمئنان  
 يكون من لح اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف  
 والركاء وقد جمعا في آية واحدة وهى قوله سبحانه وتعالى تقشعر منه جلود الذين  
 يحسبون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى تقشعر جلودهم من  
 خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر الله ورحاء نوابه وهذا حاصل  
 في قاب المؤمنين ﴿ثم قال تعالى﴾ ﴿واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا﴾ معنى واذا  
 قرئت عليهم آيات القرآن زادتهم تصديقا قاله ابن عباس والمعنى انه كلما حادهم سئ  
 من عند الله آمنوا به ويزدادون بذلك ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان زيادة  
 التصديق وذلك على وجهين الوجه الاول وهو الذى عليه عامة أهل العلم على  
 ما حكاه الواحدى ان كل من كانت الدلائل عنه أكبر وأقوى كان ايمانه أزيد لان  
 عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين مكون معروفا بالله  
 اقوى فيزداد ايمانه الوجه الثانى هو انهم يصدقون بكل ما ينسب اليهم من عند الله

السواء (واطيعوا الله  
 ورسوله) فيما أمرتهم به  
 في التثام وغيرها (ان  
 كنتم مؤمنين) كامله  
 الايمان (انما المؤمنون)  
 انما الكاملون في الايمان  
 (الذين اذا ذكر الله وجلت  
 قلوبهم) فزعت لذكره  
 استغماما له وتنبها من  
 جلاله وعزمه وسلطانه (واذا  
 تليت عليهم آياته) أى  
 القرآن (زادتهم ايمانا)  
 اذدادوا بايقينا وطمأينة  
 لان نظاهر الادلة أقوى  
 الى الشيخ (واطيعوا الله  
 ورسوله) فى أمر الصلح  
 (ان كنتم) اذ كنتم  
 (مؤمنين) بالله والرسول  
 (انما المؤمنون الذين اذا  
 ذكر الله) اذا أمروا بالصلح  
 من قبل الله مثل أمر الصلح  
 وغيره (وجات) خافت  
 (قلوبهم واذا تليت)  
 قرئت (عليهم آياته)  
 فى الصلح (زادتهم ايمانا)  
 يقينا بقول الله ويقال صدقا

للمدلول عليه وأثبت تقدمه ( الجزء التاسع ) أوزادتهم إيماناً **بذلك الآيات** لأنهم لم يؤمنوا

بالمصية بناء على أن العمل داخل فيه **وعلى** ربهم يتوكلون **فهم** يفوضون أموره اليه ولا يخشون ولا يرجون إلا الله **هو** الذين يقومون الصلوة وعمار زقاهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا **بذلك**

بأحكامها قبل ( وعلى ربهم يتوكلون ) يستمدون ولا يفوضون أموره اليه غير ربه لا يخشون ولا يرجون

الإيمان ( الذين يقومون الصلوة وعمار زقاهم ينفقون ) جمع بين أعمال القلوب من الوجوب والاخلاص والنوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة ( أولئك هم المؤمنون حقا ) هو صفة لمصدر مخدوف أي

أولئك هم المؤمنون إيماناً حقا وهو مضدر مؤكّد للجملة التي هي أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أي حق ذلك حقا وعن الحسن رحمه الله أن رجلاً سأله المؤمن أنت قال أن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وإن كنت تسألني عن قوامها

المؤمنون الآية فلا أدرى أنا من أم لا وعن الثوري من زعم أنه مؤمن بالله حقا ويقال تكرر ( وعلى ربهم يتوكلون ) لأعلى الغنائم ( الذين يقومون الصلوة ) يقومون أصوات الخس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها في مواقيتها ( وعمار زقاهم ) أعطيناهم من الأموال

والمال في أنواع البر والتقربات ثم قال سبحانه وتعالى من أولئك من هذه صفته من المؤمنين حقا **بذلك** معنى قسالاتك في إعانتهم قال ابن عباس رزاً من الكفر وقال

والمال في أنواع البر والتقربات ثم قال سبحانه وتعالى من أولئك من هذه صفته من المؤمنين حقا **بذلك** معنى قسالاتك في إعانتهم قال ابن عباس رزاً من الكفر وقال

والمال في أنواع البر والتقربات ثم قال سبحانه وتعالى من أولئك من هذه صفته من المؤمنين حقا **بذلك** معنى قسالاتك في إعانتهم قال ابن عباس رزاً من الكفر وقال

والمال في أنواع البر والتقربات ثم قال سبحانه وتعالى من أولئك من هذه صفته من المؤمنين حقا **بذلك** معنى قسالاتك في إعانتهم قال ابن عباس رزاً من الكفر وقال

والمال في أنواع البر والتقربات ثم قال سبحانه وتعالى من أولئك من هذه صفته من المؤمنين حقا **بذلك** معنى قسالاتك في إعانتهم قال ابن عباس رزاً من الكفر وقال

والمال في أنواع البر والتقربات ثم قال سبحانه وتعالى من أولئك من هذه صفته من المؤمنين حقا **بذلك** معنى قسالاتك في إعانتهم قال ابن عباس رزاً من الكفر وقال

والمال في أنواع البر والتقربات ثم قال سبحانه وتعالى من أولئك من هذه صفته من المؤمنين حقا **بذلك** معنى قسالاتك في إعانتهم قال ابن عباس رزاً من الكفر وقال

والمال في أنواع البر والتقربات ثم قال سبحانه وتعالى من أولئك من هذه صفته من المؤمنين حقا **بذلك** معنى قسالاتك في إعانتهم قال ابن عباس رزاً من الكفر وقال

والمال في أنواع البر والتقربات ثم قال سبحانه وتعالى من أولئك من هذه صفته من المؤمنين حقا **بذلك** معنى قسالاتك في إعانتهم قال ابن عباس رزاً من الكفر وقال

( ينفقون ) يتصدقون في طاعة الله وتعالى أو در زكاة أموالهم ( أولئك هم المؤمنون حقا ) صدقاتنا ( قاعدة )



والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف أو مصدر مؤكد كقولهم هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم ومغفرة لهم لمساقرط منهم ورزق كريم لهم أعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينهي أمده كما أخرجك ربك من بيتك بالحق كما خبر مبتدأ محذوف

سألني عن قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية فلا أدري أنا منهم أم لا وقال عاتمة كذا في سفر فلقينا قوم قتلنا من القوم قتالوا نحن المؤمنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا قال فاردتكم عابهم قلنا لم نرد عابهم شيئا قال هلا قاتم لهم أمن أهل الجنة أنتم ان المؤمنین هم أهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم انه مؤمن حقا عبد الله ثم لم يسجد له في الجنة فقد آمن بنصف الآية دون النصف الآخر الوجه الرابع ان قولنا أنا مؤمن ان شاء الله لا تبرك لالشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وأنا ان شاء الله بكم لاحقون مع العلم القطعي انه لاحق بأهل القبور الوجه الخامس ان المؤمن لا يكون مؤمنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات عاياه وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله فالمراد صرف هذا الاستثناء الى الخاتمة وأجاب أصحاب هذا القول وهم اصحاب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنهم عن استدلال أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهم بقولهم ان المتحرك لا يجوز أن يقول أنا متحرك ان شاء الله بان الفرق بين وصف الانسان بكونه مؤمنا وبين وصفه بكونه متحركا ان الايمان ينوقب حاله على الخاتمة والحركة فعل يقيني فحصل الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني وهو قولهم انه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا انه تعالى حكم للموصوفين بذلك الصفات المذكورة في الآية بكونهم مؤمنين حقا اذا أنوا بذلك الاوصاف الخمسة ولا يقدر أحد ان أنى بذلك الاوصاف على الحقيقة ونحن نقول أيضا ان من أنى بذلك الاوصاف على الحقيقة كان مؤمنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك أحد والاعلم عراده وأسرار كرايه \* قوله عز وجل لهم درجات عند ربهم يعني لهم مراتب بعضها أعلى من بعض لان المؤمنين تنفادت أحوالهم في الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تنفادت مراتبهم في الجنة لان درجات الجنة على قدر الاعمال قال عطاء درجات الجنة يرتقون فيها بأعمالهم وقال الربيع ان أنس درجات الجنة سبعون درجة ما بين الدرجتين حضرا الفرس المضمهر سبعين سنة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام أخرجه الزمذني \* وله عن أبي سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة لوان العالمين اجرة وا في احدهم لو سعتهم مائة مرة مرة واحدة معنى ولهم مغفرة لذنوبهم ثم ورزق كريم يعني ما أعد لهم في الجنة ودية كونه كريما لا ر مناقه حاصلة لهم دائمة عابهم متروكة بالاكرام راته ليم به قوله سبحانه وتعالى فو كما أخرجك ربك من بيتك بالحق كما اخافوا في الجباب

تستثنى ( لهم درجات )  
مراتب بعضها فوق بعض  
على قدر الاعمال ( عند ربهم  
ومغفرة ) وتجاوز لسيئاتهم  
( ورزق كريم ) صاف  
عن كد لاكتساب وخوف  
الحساب الكاف في ( كما  
أخرجك ربك ) في محل  
التعصب على الصفة مصدر  
الفعل المقدر والتقدير  
قل الاتفال استغفرت لله  
والرسول وثبت مع  
كراهتهم نباتا مثل نبات  
اخراج ربك اياه من بيتك  
وهم كارهون ( من بيتك )  
يريد بيته بالمدينة والمدينة  
نفسها لانها مهاجرة ومكانه  
فهي في اختصاصها  
كاختصاص البيت لسكانه  
( بالحق ) اخراجا ملائسا

( لهم درجات )  
فضائل ( عند ربهم )  
في الآخرة ( ومغفرة )  
للاذنوب في الدنيا ( ورزق  
كريم ) نواب حسن  
في الجنة ( كما أخرجك  
ربك ) امض يا محمد على  
ما أخرجك ربك ( من  
بيتك ) من المدينة  
( بالحق ) بالقرآن ويتال

بالحكمة والصواب (وان قريش من المؤمنين لكاهون) في موضع الحال أي أخرجك في حال كراحتهم وذلك ان صير قريش  
أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعا أربعون راكباً منهم أبو سفيان فاخبر جبريل النبي عليه السلام فاخبر أصحابه  
فاعجبهم تلقى المير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا علمت قريش بذلك فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهو  
التفير في المثل السائر لافي العير ولا في التفير فليل له ان العير أخذت طريق الساحل ونجت قاي وسار عن معه الى بدر  
وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوماً في السنة ونزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم احدي  
الطائفتين اما المير واما قريشاً فاستشار ﴿ ٩ ﴾ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ سورة الانفال ﴾ عليه وسلم أصحابه وقال

المير أحب اليكم أم التفير  
قالوا بل المير أحب إلينا  
من لقاء العدو فتغير وجه  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ثم ردد عليهم فقال  
ان المير قد مضت على ساحل  
البحر وهذا أبو جهل قد  
أقبل فقالوا يا رسول الله  
عليك بالير ودع العدو  
فقام عند غضب النبي  
صلى الله عليه وسلم أبو بكر  
وعمر رضي الله عنهما  
فاحسناتهم قام سعد بن عباد  
فقال انظر أمرك فامض  
فوالله لو سرت الى عدن  
ابن مات خلفك عنك رجل  
من الابصار ثم قال المقداد  
ابن عمرو امض لا أمرك الله  
فانامك حيث أحببت  
لا نقول لك كما قال بنو  
اسرائيل لموسى اذهب  
أنت وربك فقاتلا انا ههنا

تقديره هذه الحال في كراحتهم ايها حال اخراجك للحرب في كراحتهم له اوصفة  
مصدر الفعل المقدر في قوله الله والرسول أي الاغال ثبتت لله والرسول صلى الله عليه  
وسلم مع كراحتهم ثباتاً مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها  
مهاجرة ومسكنه أويته فيها مع كراحتهم ﴿ ٩ ﴾ وأن مريفاً من المؤمنين لكاهون ﴿ ٩ ﴾  
في موقع الحال أي اخرجك في حال كراحتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام  
لهذه الكاف ما هو فقال المير تقديره قل الانفال الله والرسول وان كرهوا كما  
أخرجك ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل معناه امض لأمرك ربك في الانفال  
وان كرهوا كما مضت لأمرك ربك في الخروج من البيت لطلب المير وهم كاهون  
وقيل معناه فاتقوا الله وأسلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كان اخراج محمد صلى  
الله عليه وسلم من بيته بالحق هو خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل هو راجع الى  
قوله سبحانه وتعالى لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الله المؤمنين بالدرجات حق  
حق فيجزيه الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وأنجز الوعد بالنصر والظفر  
وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق  
منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلونك فيه وقيل الكاف بمعنى على أي امض على  
الذي أخرجك ربك من بيتك بالحق فانه حق وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره  
والذي أخرجك ربك من بيتك وجوابه يجادلونك في الحق وقيل الكاف بمعنى  
اذتقديره واذكر يا محمد اذ أخرجك ربك من بيتك بالحق قيل المراد بهذا الاخراج  
الخروج من مكة الى المدينة للهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو  
خروجه من المدينة الى بدر ومضاه كما أمرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة  
بالحق يعني بالوحي اطلب المتركين ﴿ ٩ ﴾ وأن فرقاً من المؤمنين لكاهون ﴿ ٩ ﴾  
يعني للقتال وانما كرهوه قلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عدوهم وسلاحهم

قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما (قا و خا ٢ لث) مقاتلون مادامت عين منا تطرف فضحك رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن معاذ امض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه  
معك ما تخلف منا رجل واحد فسرنا على ركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله  
أبشروا فان الله وعدني احدي الطائفتين وانه لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم وكانت الكراهة من بعضهم لقوله  
وان فرقاً من المؤمنين لكاهون قال الشيخ أو منصور رجه الله يحتمل أنهم منافقون كرهوا ذلك اعتقاداً ويحتمل أن يكونوا  
مخلصين وان يكون ذلك كراهة طبع لانهم غير متأهين له

بالحرب (وأن فرقاً) طائفة (من المؤمنين لكاهون) للقتال

وفيها تجارة عظيمة ومنها اربعمون راكبا منهم ابوسفيان وعمر بن العاص ومخرمة ابن نوفل وعمر بن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبر المسلمين فاجتمعوا لتلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابوجهل فوق الكعبة يا اهل مكة انهاء النجاء على كل صعب وذلول غيركم اموالكم ان اصابها محمد بن تفلطوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث طائفة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ حضرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك اباجهل فقتل ما رضى رجالهم ان يتنبأوا حتى ثبأت نساؤهم فخرج ابوجهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي دقران فنزل عليه جبريل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما المير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا اخرجنا للمير فرد عليهم وقال ان المير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابوجهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالمير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وقالوا فاحسنا ثم قام سعد بن عباد فقال انظر امرك فامض فيه فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانامك حيث ما احببت لانا لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين ياموه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فقفوا ان لا يروا نصرته الا على عدو دهم بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال انا قد آمنابك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وابشروا فان الله تعالى قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالمير فناداه عباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله ﴿ يجادلونك في الحق ﴾ في ايسارك الجهاد باظهار

﴿ يجادلونك في الحق ﴾ وذلك ان المؤمنين لما ايقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم تعلمنا اننا تلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما اخرجنا لطلب المير فذلك جدالهم

( يجادلونك في الحق ) الحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى التغير لا يشارهم عليه تلقى العير ( يجادلونك ) يخاصمونك ( في الحق ) في الحرب



الحق لا يثارهم تلقى العير عليه ﴿ بعد ما تبين ﴾ انهم ينصرون انما توجهوا باعلام الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ كأننا يساقون الى الموت وهم ينظرون ﴾ أى يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسيلبه وكان ذلك لقلبة عددهم وعدم تأهبهم اذ روى انهم كانوا رجالا وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايعاء الى ان يجادلهم انما كانت لفرط فزعهم ورجعهم ﴿ واذا يدكم الله احدى الطائفتين ﴾ على اخصار اذكر واحدى ثانى مفعولى يمدكم وقد ابدل منها ﴿ انها لكم ﴾ بدل الاشتغال

( بعد ما تبين ) بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلاقت لنا المستعد وذلك لكراهتهم القتال ( كأننا يساقون الى الموت وهم ينظرون ) شبه حالهم في فرط فزعهم وهم يسارعهم الى الظفر والقتية بحال من يمثل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلبة العدد وانهم كانوا رجالا وما كان فيهم الا فارسان ( واذا يدكم الله احدى الطائفتين ) اذ منصوب باذكر واحدى مفعول ثان ( انها لكم ) بدل من احدى الطائفتين وهما العير والنفير والتقدير واذا يدكم الله احدى الطائفتين لكم

( بعد ما تبين ) لهم انك لا تصنع ولا تأمر الا ما أمرك ربك ( كأننا يساقون الى الموت وهم ينظرون ) اليه ( واذا يدكم الله احدى الطائفتين ) العتين الصير أو السكر ( انها لكم ) غنيمة

﴿ بعد ما تبين ﴾ يعنى تبين لهم انك لا تصنع شيئا الا بإمر ربك وتبين لهم صدقك في الوعد ﴿ كأننا يساقون الى الموت ﴾ يعنى لشدة كراهتهم القتال ﴿ وهم ينظرون ﴾ يعنى الى الموت شبه حالهم في فرط فزعهم بحال من يجبر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اليه ويعلم أنه آتية ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذا يدكم الله احدى الطائفتين ﴿ يعنى الفرقتين فرقة أبى سفيان مع العير وفرقة أبى جهل مع النفير ﴿ انها لكم ﴾ يعنى احدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحق والسدى أقبل أبوسفيان ابن حرب من الشام في عير قريش في أربعين راكبا من كفار قريش منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري ومعهم تجارة كبيرة وهى الطيعة يريد بالطيعة الجبال التى تحمل العطر والزغير الميرة حتى اذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبی صلى الله تعالى عليه وسلم خبرهم فندب أصحابه اليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلبة العدو وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب الناس فخصب بعضهم ونقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا فلما سمع أبوسفيان بعير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه استأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه الى مكة وأسر أنه يأتي قريشا يستنفرهم ويخبرهم ان محمدا في أصحابه قد عرض لعيرهم فخرج ضمضم سرىا الى مكة وكانت مائة بنت عبدالمطلب قد رأت رؤيا قبل قدوم ضمضم مائة ثلاثة أيام أفزعها فبعثت الى أخها العباس بن عبدالمطلب فقالت يا أخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعنى وخشيت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة قال لها وما رأيت قالت رأيت راكبا أقبل على بعيره حتى وقف بالابطح ثم صرخ بأعلى صوته ألا فانفروا يا آل غدر الى مصارعكم فى ثلاث فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فينماهم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها بأعلى صوته ألا فانفروا يا آل غدر الى مصارعكم فى ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أى قبيس فصرخ مثلها ثم أخذ حصرة فارسها فاقبلت تهوى حتى اذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فابق بيت من بيوت مكة ولادار من دورها الاودخلها منها فلقه فقال العباس والله ان هذه لرؤيا فظليمة فاكتمها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة وكان صديقا للعباس فذكر رؤيا مائة كنهه واستكتمه اياها فذكرها الوليد لآبيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش بمكة قال العباس فصدت أطوف بالبيت وأبوجهل بن هشام فى نفر من قريش يتحدنون



برؤيا طائفة فغدوت اطوف فلما رآني أبو جهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا قال العباس فلما فرغت من طوافي أقبلت اليهم حتى جلست معهم فقال لي أبو جهل يا بني عبدالمطلب متى حدثت هذه النبوة فيكم قلت وما ذلك قال الرؤيا التي رأت طائفة قلت وما رأت قال يا بني عبدالمطلب أما رضيتم أن تتبأ رجالكم حتى تتبأ نساؤكم لقد زعمت طائفة في رؤياها أنه قال انظروا في ثلاث فستربص بكم هذه الثلاث فان يك ما قالت حقا فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا بانكم أكذب اهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه من كبير شيء الا اني سمعت ذلك وأنكرت أن تكون طائفة رأت شيئا ثم تقررنا فلما أمسبت لم تنبأ امرأة من بني عبدالمطلب الا أنني فقلن أقررتم لهذا الفاسق الحديث أن يقع في رجالكم حتى تناول النساء وانهن تسمع ولم يكن عندك غير ذلك مما سمعت قال قلت قد والله فعلت ما كان مني اليه من شيء وإيم الله لا تمر مني له فان عاد لا يكفيك ذلك فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا طائفة وانا حديد مغضب أرى اني قد فاتني شيء أحب أن أدركه منه قل فدخلت المسجد فراءيت فوالله اني لا امر نحوه أو امره ليعودوا ض ما قال فاقع به وكان أبو جهل رجلا خفيفا حديدا الوجه حديدا اللسان حديدا النظر اذا خرج نحو باب المسجد يشتد قال العباس فقات في نفسي ماله لعنه الله أكل هذا فرقامني ان أشاتم قال فاذا هو قد سمع ما لم أسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره وقد جدد بعيره وحول رحله وبنق قيصه وهو يقول يا معشر قريش الاطيمة الاطيمة هذه أموالكم مع أبي سفيان وقد عرض لها محمد في أصحابه ولا أرى أن تدركوها القوث القوث قال فشتلني عنه وشغلني عني ما جاء من الاسراء قال فتجهز الناس سراطا ولم تخاف من أنسراف قريش أحدا الا أن ابالهب قد تخلف وبث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبدمناة بن كنانة من الحرب فقالوا نخشى ان نأبونا من خلفنا فكاد ذلك ان ينهم قتيدي لهم ابابس في صورة سرافة بن مالك بن جهنم وكان من أنسراف بني بكر فقال أنا جار لكم من ان تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجت قريش سراطا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ليل مضت من شهر رمضان حتى بلغ واديا يقال له ذا قرد فأتاه الخبر عن مسير قريش لينموا عن غيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحاء أخذ عينا للقوم فاخبره بخبرهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينا له من جهينة حليفا للانصار يدعي أريقط فأتاه بخبر القوم وسبقت المبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله وعدهم احدي الطائفتين أنما لكم اما العير واما قريش فكانت العير أحب اليهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في طلب العير وحراب الفير فقام أبو بكر فقال وأحسن وفام عمر فقال وأحسن سم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فخنك منك والله ما نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا همكنا فاعدون ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد

( يعني )

﴿وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ يعنى العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يمتنونها ويكرهون ملاقة الثغير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستارة من واحدة الشوك ﴿ويريد الله ان يحق الحق﴾ ان يثبت به عليه ﴿بكلماته﴾ الموحى بها في هذه الحال أو بأوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ ويستأصلهم والمصنف انكم تريدون ان تصيخوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلام الدين واطهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين

يعنى مدينة الحبشة لجادتنا معك من دونه حتى نبغى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له خيرا ودعاه بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا على أي الناس وانما يريد الانصار وذلك لانهم عدد الناس وانهم حين يأيوه بالعقبه قالوا يا رسول الله ان أبرأه من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا ففتمتكم مما تمنع منه أبناءنا ولساننا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرتهم الا بمن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسيروا معه الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكأنت تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنابك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واصطيناك على ذلك عهدونا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بشك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا أحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وعدوك انما الصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله عز وجل ان يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله عز وجل قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني أنظر الى مصارع القوم (م) عن أنس بن مالك ان عمر بن الخطاب حدثه عن أهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريتنا مصارع أهل بدر بالامس يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عمر فوالذي بشك بالحق ما أخطؤا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاجعلوا في أثر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن ملان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني قد وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا ارواح فيها فقال ما أنتم باسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون ان يردوا على شئ فذلك قوله سبحانه وتعالى واذا يدرككم الله احدى الطائفتين أنها لكم يعنى طائفة ابي سفيان مع العير وطائفة ابي جهل مع الثغير ﴿وتودون﴾ أى وتريدون وتمنون ﴿وان غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ والمعنى وتمنون ان العير التي ليس فيها قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح ﴿ويريد الله ان يحق الحق﴾ أى يطهر الحق ويعليه ﴿بكلماته﴾ يعنى بأمره لا يكما يقال وقيل مداته التي سبقت لكم من اطهار الدين واعزازه ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ أى ويستأصلهم

(وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) أى العير وذات الشوكة ذات السلاح والشوكة كانت في الثغير لعددهم وعددهم أى تمنون أن تكون لكم العير لانها الطائفة التي لاسلاح لها ولا تريدون الطائفة الاخرى (ويريد الله ان يحق الحق) أى يثبت به عليه (بكلماته) أى بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبأمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من قتلهم وطرحهم في قليب بدر (ويقطع دابر الكافرين) آخرهم والدابر الآخر قاعل من دبر اذا أدير وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعنى انكم تريدون القائمه

(وتودون) وتمنون (ان غير ذات الشوكة) الشدة والحرب (تكون لكم) غنمية يعنى غنمة العير (ويريد الله ان يحق الحق بكلماته) ان يظهر دينه الاسلام بنصرتهم ونمحيقهم (ويقطع دابر الكافرين) اصل الكافرين وأثرهم

وشتان ما بين المرادين  
ولذلك اختار لكم الطائفة  
ذات الشوكة وكسرتهم  
بضعفكم وأعزكم وأذلهم  
(ليحق الحق) متعلق  
بقطع أو بمحذوف تقديره  
ليحق الحق (ويبطل الباطل)  
قبل ذلك والمقدر متأخر  
ليقيد الاختصاص أي  
ماضيه الا لهما وهو اثبات  
الاسلام واظهاره وابطال  
الكفر وعقده وليس هذا  
بتكرار لان الاول تمييز  
بين الارادتين وهذا بيان  
لمرادهما فيما فعل من اختيار  
ذات الشوكة على غيرها  
لهم ونصرتهم عليها (ولو  
كره المجرمون) المشركون  
ذلك (اذ تستغيثون ربكم)  
بدل من اذ يدرككم أو متعلق  
بقوله ليحق الحق ويبطل  
الباطل واستغاثتهم أنهم  
لما علموا أنه لا بد من القتال  
طفقوا يدعون الله يقولون  
أي ربنا انصرنا على عدوك  
يا غياث المستغيثين أغثنا  
وهي طلب الفوث وهو  
التخليص من المكروه  
(فاستجاب لكم) فاجاب  
وأصل (أي محمدكم) باني  
(ليحق الحق) ليظهر  
دينه الاسلام بمكة (ويبطل  
الباطل) يهلك الشرك  
وأهله (ولو كره المجرمون)  
وان كره المشركون أن يكون

﴿ليحق الحق ويبطل الباطل﴾ أي فعل ما فعل وليس بشكرير لان الاول ليسان  
المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حل الرسول  
على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ﴿ولو كره المجرمون﴾ ذلك ﴿اذ تستغيثون  
ربكم﴾ بدل من اذ يدرككم أو متعلق بقوله ليحق الحق أو على اخبار اذكر واستغاثتهم أنهم  
لما علموا ان لا يحصى عن القتال اخذوا يقولون أي رب انصرنا على عدوك اغثنا  
يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم  
ألف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومديديه يدعو اللهم انجز لي  
ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فزال كذلك حتى سقط رداؤه  
فقال ابو بكر يا نبي الله كفالك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك ﴿فاستجاب  
لكم اني محمدكم﴾ باني محمدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر  
على ارادة القول أو اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول

حق لا يبقى منهم أحد ﴿ليحق الحق﴾ يعني ليثبت الاسلام ﴿ويبطل الباطل﴾  
يعني وينفي الكفر ﴿ولو كره المجرمون﴾ يعني المشركون وفي الآية سؤالان  
الاول ان قوله يريد الله أن يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق تكرير لما مضاه  
والجواب أنه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تنبئت ما وعدت في هذه الواقعة من  
النصر والظفر بالاعداء والمراد بالثاني تقوية القرآن والدين واظهار منار الشريعة  
لان الذي وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قتلهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان  
سببا لاعتزاز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل يعني الذي هو  
الشرك السؤال الثاني الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما المراد من تحقيق  
الحق وابطال الباطل والجواب ان المراد من تحقيق الحق اظهار كون ذلك الحق حقا  
والمراد من ابطال ذلك الباطل اظهار كون ذلك الباطل باطلا وذلك باظهار دلائل الحق  
وتقويته وقع رؤساء الباطل وقهرهم ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿اذ تستغيثون ربكم﴾ أي  
واذ كرا عجم اذ يستغيثون ربكم من عدوكم وتطلبون منه الفوث والنصر وفي المستغيثين  
قولان أحدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الزهري والقول  
الثاني انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعميم له (م)  
عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله  
عليه وسلم الى المشركين وهم ألف واصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله  
صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مديده فجعل يهتف بربه يقول اللهم انجز لي ما وعدتني  
اللهم اعطني ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الارض  
فزال يهتف بربه ما مديده حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فاخذ رداءه  
فالتقاء على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفالك مناشدتك ربك فانه  
سينجز لك ما وعدك فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم ﴿فاستجاب لكم اني محمدكم﴾

﴿ بالء من الملائكة مردفين ﴾ متبعين المؤمنين وبعضهم بعضا من اردفته انا اذا جئت بعده  
أو متبعين بعضهم بعضا المؤمنين أو انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ فافع  
وهقوب مردفين يقع الدال أى متبعين أو متبعين بمعنى الهم كانوا مقدمة الجيش  
أو ساقهم موقري مردفين بكسر الراء وضمتها واسله مرتدين بمعنى مترادفين فادغمت  
التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل أو بالضم على الاتباع  
موقري بالآف من الملائكة ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين  
المشهور ان المراد بالآف الذين كانوا على المقدمة أو الساقة أو وجوههم واعيانهم  
أو من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقدروى اخبار تدل عليها ﴿ وما جعله الله ﴾  
أى الامداد ﴿ الا بشرى لكم ﴾ الاشارة لكم بالنصر ﴿ ولطمئن به قلوبكم ﴾

مدمك فحذف الجار وسلط  
عليه استجاب فتصب محله  
( بالء من الملائكة  
مردفين ) مدنى غيره بكسر  
الدال وقصها فالكسر على  
أنهم أردفوا غيرهم والفتح  
على أنه أردف كل ملك  
مدنا آخر يقال ردفه اذا  
تبعه وأردفته اياه اذا اتبعته  
( وما جعله الله ) أى الامداد  
الذى دل عليه محمدك  
( الا بشرى ) الاشارة لكم  
بالنصر ( ولطمئن به قلوبكم )  
يعنى انكم استغنتم وتضرعتم  
لقلبتكم فكان الامداد  
بالملائكة بشارة لكم  
بالنصر وتسكيناً منكم

( بالء من الملائكة مردفين )  
متابعين بالنصرة لكم  
( وما جعله الله ) يعنى المدد  
( الا بشرى ) لكم بالنصرة  
( ولطمئن به ) بالمدد  
( قلوبكم )

بالء من الملائكة مردفين ﴿ قامده الله بالملائكة قال سماك فحدثني ابن عباس قال  
بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه اذ سمع ضربة  
بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حينوم اذ نظر الى المشرك امامه خر  
مستلقيا فنظر اليه فاذا قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السيف فاحصى ذلك  
أجمع وجاء فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد السماء  
الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين وقوله سبحانه وتعالى فاستجاب لكم يعنى  
فاجاب دعاءكم أى مددكم أصله بأنى مددكم أى مرسل اليكم مددا وردا لكم بالء من  
الملائكة مردفين يعنى يردف بعضهم بعضا بمعنى يتبع بعضهم بعضا روى انه نزل  
جبريل عليه السلام في خمسمائة وميكائيل عليه السلام في خمسمائة في صور الرجال على  
خيل بلق عليهم ثياب بيض وعماهم بيض قد أرخوا اذا نابها بين أكتافهم وروى ان النبي  
صلى الله عليه وسلم لما شاهد ربه وقال ابوبكر ان الله نجز لك ما وعدك خفق رسول الله  
صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العرش ثم اتبعه فقال يا أبا بكر أذاك نصر الله هذا  
جبريل أخذ بعنان فرس يقوده على ثيابه النقع (خ) عن ابن عباس ان النبي  
صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل أخذ برأس فرسه عايه أداة الحرب  
يعنى آلة الحرب قال ابن عباس كان سيم الملائكة يوم بدر عائم بعض ويوم حنين  
عائم خضر ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيمساواة  
عددا ومددا وروى عن أنى أسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا انه قال بعد  
ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم بيدر ومعى بصرى لاريتكم الشعب الذى خرجت  
منه الملائكة وقد تقدم الكلام في سورة آل عمران هل قاتلت الملائكة أم لا والصحيح  
انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس فى الذى ضرب به بالسوط فحطم  
أنفه وشق وجهه وكانوا فيمساوى يوم بدر مددا وعونا وقبل انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا  
ليكثر اعداء المسلمين ويثبتهم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما جعله الله الا  
بشرى ﴾ يعنى وما جعل الله الاردا ف بالملائكة الا بشرى ﴿ ولطمئن به قلوبكم ﴾

وربطا على قلوبكم (وما النصر الا من عند الله) أي ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة أو وما الله من الملائكة وغيرهم من { الجزء التاسع } الاسباب الامن ١٦ عند الله والمنصور من نصره

واختلف في قتال الملائكة يوم بدر ف قيل نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على المينة وفتح أبو بكر رضى الله عنه وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها على رضى الله عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمام بيض قد أرخوا أذنانها بين أكتافهم فقاتلت حتى قال أبو جهل لابن مسعود من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة قال فهم غلبونا لانهم وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكتفون السواد ويثبتون المؤمنين والا فلك واحدكاف في اهلاك أهل الدنيا (ان الله عزيز) ينصر أوليائه (حكيم) يقهر أعدائه (اذ ينشأكم) بدل ثان من اذ يعدكم منصوب بالنصر أو باضمار اذكر ينشئكم مدنى (الناس) النوم والفاعل هو الله على القراءتين ينشأكم الناس مكي وأبو عمرو (أمنة) مفعول له أي اذ تنصون أمنة بمعنى

يهاب النوم ان ينشئ عيونا • تهابك فهو نفار شرود

وجذا يحقق انهم انما نزلوا لذلك لا للقتال والصحيح هو الاول وانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الايام • قوله عز وجل • وما النصر الا من عند الله • يعنى ان الله هو ينصركم أيها المؤمنون فتقوا بنصره ولا تشككوا على قوتكم وشدة بأسكم وفيه تنبيه على ان الواجب على العبد المسلم أن لا يتوكل الا على الله تعالى في جميع أحواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والاعانة • (ان الله عزيز) يعنى انه تعالى قوى منيع لا يقهره شئ ولا يقبله غالب بل هو يقهر كل شئ • وينشأكم (حكيم) يعنى في تدييره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده • قوله سبحانه وتعالى • اذ ينشأكم الناس أمنة منه • أي واذكروا اذ بلى عليكم الناس وهو النوم الخفيف أمنة منه أي أمان من الله لكم من عدوكم أن يبلبكم قال عبد الله بن مسعود الناس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان والفائدة في كون الناس أمنة في القتال أن الخائف على نفسه لا يأخذ النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدوهم وعددهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعطشوا عطشا شديدا ألقي عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدو لم يفروا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وقيل في كون هذا النوم كان أمنة من الله انه وقع عليهم الناس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول الناس لهذا الجمع المظلم مع وجود الخوف الشديد أمر خارج

أما أي لا متكم أو مصدر أي فامنتم أمنة فالنوم يريح الرعب ويريح النفس (منه) سفة لها أي أمنة حاصلة لكم من الله (عن)

وما النصر) بالملائكة (الامن عند الله ان الله عزيز) بالقمة من أعدائه (حكيم) حكم عليهم بالقتل والهزيمة وحكم لكم بالنصرة والنعمة (اذ ينشئكم الناس) ألقي عليكم النوم (أمنة) لكم (منه) من الله من العدو وهو

( و ينزل ) بالتخفيف مكي

وبصري وبالتشديد غيرهم  
(عليكم من السماء ماء) مطرا  
(ليطهركم به ) بالماء من  
الحدث والجنابة (وينهب  
عنكم رجز الشيطان )  
وسوته اليهم وتخوفه  
اليهم من العطش أو  
الجنابة من الاحتلام لانه  
من الشيطان وقد وسوس  
اليهم ان لانصرة مع الجنابة  
( وليربط على قلوبكم )  
بالصبر (ويثبت به الاقدام)  
أي بالماء اذا الاقدام كانت  
تسوخ في الرمل أو بالربط  
لان القلب اذا تمكن فيه  
الصبر ثبتت القدم في مواطن  
القتال (اذيوحى ) بدل  
ثالث من اذيعدكم أو منصوب  
يثبت ( ربك الى الملائكة  
أنى معكم ) بالنصر

منة من الله لكم ( وينزل  
عليكم من السماء ماء) مطرا  
(ليطهركم به ) بالمطر من  
الاحداث والجنابة  
( وينهب عنكم رجز  
الشيطان ) وسوسة  
الشيطان ( وليربط على  
قلوبكم ) وليحفظ قلوبكم  
بالصبر ( ويثبت به) بالمطر  
( الاقدام ) على الرمل  
أي يشد الرمل حتى يثبت  
عليه الاقدام (اذيوحى ربك  
الى الملائكة ) ألهم ربك  
ويقال أسر ربك (انى معكم)

وقرى أمنة كرجة وهى لمنة ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ﴾ من الحدث والجنابة  
﴿ وينهب عنكم رجز الشيطان ﴾ يعنى الجنابة لانها من تخيله أو وسوته وتخوفه أياهم  
من العطش روى انهم نزلوا فى كتيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتل أكثرهم  
وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم  
على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبيين وتزعون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا  
فانزل الله المطر فطروا ليلا حتى جرى الوادى واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا  
الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذى بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه  
الاقدام وزالت الوسوسة ﴿ وليربط على قلوبكم ﴾ بالوثوق على لطف الله بهم  
﴿ ويثبت به الاقدام ﴾ أى بالمطر حتى لا تسوخ فى الرمل أو بالربط على القلوب حتى  
تثبت فى المعركة ﴿ اذ يوحى ربك ﴾ بدل ثالث أو متعلق بثبت ﴿ الى الملائكة انى  
معم ﴾ فى اطاعتهم وتبليغهم وهو مفسول يوحى وقرى بالكسر على ارادة القول

عن العادة فلهذا السبب قيل ان ذلك الناس كان فى حكم المجزة لانه أمر خارق للعادة  
﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وينزل عليكم من السماء ماء ﴿ يعنى المطر ﴾ ليطهركم به ﴿  
وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كتيب رمل أعفر تسوخ فيه الاقدام  
وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبقوهم الى ماء بدر فتمزقوا عليه وأصبح المسلمون  
على غير ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب واساهم العطش فوسوس لهم الشيطان  
وقال تزعون انكم على الحق وفيكم نبي الله وأنتم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء  
وانتم تصلون محدثين ومجنبيين فكيف ترجون أن تظهروا على عدوكم فانزل الله سبحانه  
وتعالى مطرا سال منه الوادى فشرب منه المؤمنون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب  
وملأوا الاسقية واطفأ القبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة  
الشيطان وطابت أنفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول  
النصر والظفر فذلك قوله سبحانه وتعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعنى  
من الاحداث والجنابة ﴿ وينهب عنكم رجز الشيطان ﴾ يعنى وسوته التى ألقاها  
فى قلوبكم ﴿ وليربط على قلوبكم ﴾ يعنى بالنصر واليقين والربط فى اللغة الشد وكل من صبر  
على أمر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدى ويشبه أن تكون لفظة على صلة والمعنى وليربط  
قلوبكم بالصبر وما وقع فيها من اليقين وقيل ان لفظة على ليست بصلة لانها تفيد الاستعلاء  
فيكون المعنى ان القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علا عليها وارتفع فوقها  
﴿ ويثبت به الاقدام ﴾ يعنى ان ذلك المطر لبدا الارض وقوى الرمل حتى تثبت عليه  
الاقدام وحوافر الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لان من يكون  
ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفر ويهرب عند اللقاء ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ اذ يوحى  
ربك الى الملائكة أنى معكم ﴿ يعنى ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى الملائكة الذين أمد  
بهم النى صلى الله عليه وسلم واصحابه انى معكم بالنصر والمعونة

أو أجزأ الوحي مجراه ﴿ فثبتوا الذين آمنوا ﴾ بالبشارة أو بتكثير سوادهم أو بمصاربة أعدائهم فيكون قوله ﴿ سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ كالتفسير لقوله أني معكم فثبتوا وفيه دليل على أنهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين أما على تسيير الخطاب أو على أن قوله سألقى إلى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يشبثون المؤمنين به كأنه قال قواوا لهم قولي هذا ﴿ فاضربوا فوق الاعناق ﴾ أيها التي هي المذابح أو الرؤس ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ أصابع أي حزوا رقابهم

﴿ فثبتوا الذين آمنوا ﴾ أي قوا قلوبهم واختلفوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت فقيل كما أن للشيطان قوة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالنصر فكذلك للملك قوة في القاء الإلهام في قلب ابن آدم بالخير ويسمى ما يلقى الشيطان وسوسة وما يلقى الملك إلهام وهذا هو التثبيت وقيل إن ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومعونتهم لهم أي بثبوتهم بقتالكم معهم المشركين وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشي في صورة رجل أمام الصف ويقول أبشروا فإن الله ناصركم عليهم ﴿ سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ يعني الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين حيث ألقى الرعب والخوف في قلوب الكافرين ﴿ فاضربوا فوق الاعناق ﴾ قيل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطعا عما قبله وقيل هو خطاب مع الملائكة فيكون متصلا بما قبله قال ابن الأنباري ما كانت الملائكة تعرف تقتل بن آدم فعلمهم الله ذلك بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة يعني الرؤس لأنها فوق الاعناق وقال الضحاك معناه فاضربوا الاعناق وفوق صلوة وقيل معناه فاضربوا على الاعناق فتكون فوق بمعنى على ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ يعني كل مفصل وقال ابن عباس يعني الأطراف وهي جمع بنانة وهي أطراف أصابع اليدين سميت بذلك لأن بها صلاح الأحوال التي يمكن الإنسان أن يبين ما يريد أن يعمل بيديه وانما خصت بالذكر من دون سائر الأطراف لاجل أن الإنسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح في الحرب وقيل أنه سبحانه وتعالى أمرهم بضرب أعلى الجسد وهو الرأس وهو أسرف الأعضاء وضرب البنان وهو أضف الأعضاء فدخل في ذلك كل عضو في الجسد وقيل أمرهم بضرب الرأس وفيه هلاك الإنسان وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة الإنسان عن الحرب لأن البنان يتمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به فإذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كله وروى عن أبي داود المازني وكان شهيد بدر قال أني لاتبع رجلا من المشركين لا ضربه اذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قد قتله غيري وعن سهل بن حنيف قال لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فبقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف وروى عكرمة عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام قد دخل علينا أهل البيت فسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه وبكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذامال كثير متفرق في قومه وكان عدو الله أبو لهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المنيرة فلما جاء الخبر عن مقتل أصحاب

(فثبتوا الذين آمنوا) بالبشرى وكان الملك يسير امام الصف في صورة رجل ويقول أبشروا فإن الله ناصركم (سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب) هو امتلاء القلب من الخوف والرعب شاعى وعلى (فاضربوا) أمر المؤمنين أو للملائكة وفيه دليل على أنهم قاتلوا (فوق الاعناق) أي أطلى الاعناق التي هي المذابح تطييرا للرؤس أو أراد الرؤس لأنها فوق الاعناق بمعنى ضرب الهام (واضربوا منهم كل بنان) هي الأصابع يريد الأطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لأن الضرب أمان أن يقع على مقتل أو غير مقتل فامرهم أن يجمعوا

معيكم (فثبتوا الذين آمنوا) في الحرب ويقال فبشروا الذين آمنوا بالصرة (سألقى) سأقذف (في قلوب الذين كفروا الرعب) المخافة من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فاضربوا فوق الاعناق) رؤسهم (واضربوا منهم كل بنان)

واقطعوا اطرافهم ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الضرب أو الاصلبه والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل احد من المخاطبين قبل ﴿ بأنهم شاقوا الله ورسوله ﴾ بسبب مشاقهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعادين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدو والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ﴿ ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ﴾ تقرير للتعليل أو وعيد بما أعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ﴿ ذلكم ﴾ الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات وعمله الرفع أي الامر ذلكم أو ذلكم واقع أو نصب بفعل دل عليه ﴿ فذوقوه ﴾ أو غيره

بدر كبتة الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزاً قال أبو رافع وكنت رجلاً ضعيفاً أعمل القداح وانحتها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس تحت القداح وعندى أم الفضل جالسة اذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه حتى جلس على طيب الحجر فكان ظهره الى ظهري فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم فقال أبو لهب الى يا ابن أخي فعدنا الحرايقين فجلس اليه والناس قيام عليه فقال أبو لهب يا ابن أخي أخبرني كيف كانت احوال الناس قال لا شيء والله ان كان الان لقيناهم فمضاهم أكتافنا يقتلوننا وأسرؤنا كيف شأوا وإيم الله مالت الناس لقينا رجلاً بيضاء على خيل بلق بين السماء والارض والله لا يتلقاهم شيء ولا يقوم لهم شيء قال أبو رافع فرفت طرف الحجر بيدي وقلت تلك والله الملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة فثاورته فاحتلني فضرب بي الارض ثم رك على صدرى وكنت رجلاً ضعيفاً فقامت اليه أم الفضل بعمود من عود الحجر فضربت به ضربة فلقت رأسه شجرة منكورة وقالت تستخفد أن غاب عنه سيده فقام مولياً ذليلاً فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتله وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي أسره العباس أبو اليسر كعب بن عمرو وأخو بني سلمة وكان أبو اليسر رجلاً مجروحاً وكان العباس رجلاً جسيماً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ييأس كعب أسرت العباس قال يا رسول الله لقد ألقى عليه رجل ما رأيت قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد ألقى عليه ملك كريم وكانت وقعة بدر في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ذلك ﴿ يعني الذي وقع من القتل والاسر يوم بدر ﴾ بأنهم شاقوا الله ورسوله ﴿ يعني بأنهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة وأصلها المجانبية كأنهم صاروا في شق وجانب عن شق المؤمنين وجانبهم وهذا مجاز معناه أنهم شاقوا أولياء الله وهم المؤمنون أو شاقوا دين الله ثم قال سبحانه وتعالى ﴿ ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ﴾ يعني ان الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والاسر شيء قليل فيما أعد الله لهم من العقاب يوم القيامة ﴿ ثم قال تعالى ﴾ ذلكم ﴿ اشارة الى القتل والاسر الذي نزل بهم ﴿ فذوقوه ﴾ يعني ما جلا في الدنيا لان ذلك يسير بالاضافة الى المؤجل الذي أعد الله لهم في الآخرة

عليهم النوعين (ذلك) اشارة الى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدأ خبره (بأنهم شاقوا الله ورسوله) أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقهم أي مخالفتهم وهي مشتقة من الشق لان كلا المتعادين في شق خلاف شق صاحبه وكذا المعاداة والمخاصمة لان هذا في عدوة وخصم أي جانب وذا في عدوة وخصم (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) والكاف في ذلك خطاب الرسول أو اكل أحد في ذلكم لا كفرة على طريقة الالتفات وعمله الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب (ذوقوه) والواو في

مفصل (ذلك) القتال لهم (بأنهم شاقوا الله) خالفوا الله (ورسوله) في الدين (ومن يشاقق الله) يخالف الله (ورسوله) في الدين (فان الله شديد العقاب) اذا عاقب (ذلكم) العذاب لكم (فذوقوه) في الدنيا



(وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ) بمعنى مع أي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير (وَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا {الجزء التاسع} لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٢٠﴾ زَحَفًا) حال من الذين كفروا

مثل باشرُوا أو عليكم تكون الفاء عاطفة ﴿ وَأَن لِّلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ عطف على ذلكم أو نصب على المفعول معه والمفعى ذوقوا ما عجل لكم مع ما أجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على أن الكفر سبب العذاب الآجل أو الجمع بينهما « وقرئ » وان بالكسر على الاستثناف ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُتِلْتُمْ فَمِنَ نِّسَائِكُم مَّنْ يُؤْمِنُ بِكُمْ فَمَن ثَبَّرَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ فَأُولَٰئِكَ مُتَرَدِّبُونَ لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فمِنْ نِّسَائِكُم مَّنْ يُؤْمِنُ بِكُمْ أي إذا قُتِلْتُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمِنْ نِّسَائِكُم مَّنْ يُؤْمِنُ بِكُمْ فَمَنْ ثَبَّرَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ فَأُولَٰئِكَ مُتَرَدِّبُونَ لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أي إذا قُتِلْتُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمِنْ نِّسَائِكُم مَّنْ يُؤْمِنُ بِكُمْ فَمَنْ ثَبَّرَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ فَأُولَٰئِكَ مُتَرَدِّبُونَ لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

من العذاب وهو قوله ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾. يعنى فى الآخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك بالغير ليس من دونها شئ\* قال فناداه العباس من وثاقه لا يصلح لك لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك الله ما وعدك قال صدقت أخرجه الترمذى وقال حديث حسن\* قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِمَّنْ قُتِلْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ مِمَّنْ قُتِلَ﴾ يعنى مجتمعين متراحفين بضمكم الى بعض والتراحف التدانى فى القتال وأصل الزحف مشى مع جبر الرجل كانبعاث الصبي قبل ان يمشى وسمى مشى الطائفتين بعضهم الى بعض فى القتال زحفا لأنها تمشى كل طائفة الى صاحبها مشيا رويدا وذلك قبل التدانى للقتال وقال ثعلب الزحف المشى قليلا قليلا الى الشئ\* ﴿فَلَا تُولَوْهُمْ الْاَدْبَارَ﴾ يعنى فلا تولوهم ظهوركم منهزمين منهم فان المهزم يولى ظهره ودره\* ﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دَرَبَهُ﴾ يعنى ومن ينهزم ويول دبره يوم الحرب والقتال\* ﴿الْمُتْرَفِقَاتِ﴾ يعنى المنقطعات الى القتال يرى عدوه من نفسه الانزمام وقصدته طلب الكرة على العدو والودود اليه وهذا هو أحد أبواب الحرب وخدعها ومكائدها\* قوله عز وجل ﴿أَوْ تَحِيَّزَ إِلَى فِتْنَةٍ﴾ يعنى أو منضمما وصائرا الى جاعة المؤمنين يريدون العود الى القتال\* ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ يعنى من انهزم من المسلمين وقت الحرب الا

والزحف الجيبي الذي  
يرى لكثرة كانه يزحف  
أي يدب ديبا من زحف  
الصبي اذا دب على استه  
قليل قليلا يسمى بالمصدر (فلا  
تولسهم الادبار ) فلا  
تصرفوا عنهم منهزمين  
أي اذا القيتهم للقتال وهم  
كثيرون أنتم قليل فلا تقروا  
فضلا ان تقاتلهم في العدد  
أو تساوهم أو حال من  
المؤمنين أو من الفريقين  
أي اذا القيتهم متزاحفين  
هم وأنتم ( ومن يولهم  
يومئذ دبره الا متفرقا )  
مائلا (لقتال) وهو الكر  
بسد الفريحييل عدو مانه  
منهزم ثم يطف عليه وهو  
من خدع الحرب ( أو  
مقنيا ) منضميا ( الى فئة )  
الى جماعة أخرى من المسلمين  
سوى الفئة التي هو فيها  
وهما حالان من ضمير  
الفاعل في يولهم ( فقدباء  
غضب من الله

(وان للكافرين في الآخرة  
عذاب النار يا أيها الذين  
آمنوا اذا لقيتم الذين  
كفروا يوم بدر (زحفا)  
من احفة ( فلاتولوهم )  
أى فلاتولوا منهم (الادبار)

منهزمين (ومن بولهم) يتول عنهم (يومئذ) يوم بدر (دبره) ظهره منهزما (الاعتراف بالقتال) (في) مستطرد القتال ويقال للكرة (أو متحيزا) أو ينحاز (إلى فئة) ينصرونه ويعنونه (فقدباء بغضب من الله) فقد رجع واستوجب

وما واه جهنم وبئس المصير ﴿ هذا اذا لم يزد العدد على الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب ﴿ فلم تقتلوهم ﴾ بقوتكم ﴿ ولكن الله قتلهم ﴾ بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روى انه لما طلعت قريش من العققل قال عليه الصلاة

في هاتين الحالتين وهى التحرف للقتال والتعيز الى فئة من المسلمين فقد رجع بتعصب من الله ﴿ وما واه جهنم وبئس المصير ﴾

### ﴿ فصل في حكم هذه الآية ﴾

اختلف العلماء في ذلك فقال أبو سعيد الخدرى هذا في اهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم تكن لهم فئة يتميزون اليها دون النبي صلى الله عليه وسلم ولو انحازوا انحازوا الى المشركين ولانها أول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فتشدد الله عليهم أمر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر فأما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فئة بعض فيكون الفار متميزا الى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك قال يزيد بن أبي حبيب أوجب الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان يوم أحد قال الله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عق الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال سبحانه وتعالى ثم ولتيم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وقال عبد الله ابن عمر كنا في جيش بشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاص الناس حيصة فانهمزنا فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون قال لا بل أتم الكرارون انافئة المسلمين قوله فخاص الناس حيصة يعنى جال الناس جولة يطلبون الفرار من العدو والمحيص الهرب وقال محمد بن سيرين لما قتل أبو عبيدة جاء الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لو انحاز الى كنت له فئة انافئة كل مسلم وقال بعضهم حكم الآية عام في حق كل من ولى ظهره مبرر لم يدل قوله يا أيها الذين آمنوا وهذا خطاب عام فيتناول جميع الصور وان كانت الآية نزلت في غزاة بدر لكن العبرة بمعوم اللفظ لا بخصوص السبب وجاء في الحديث من الكبار الفرار من الزحف وقال عطاء بن أبي رباح هذه الآية منسوخة بقوله تعالى الآن خفف الله عنكم فليس لقوم أن يفروا من مثلهم فنسخت بذلك الا في هذه العدة وعلى هذا أكثر أهل العلم ان المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا منهم ويولوهم ظهورهم وان كان العدو أكثر من المثلين جاز لهم أن يفروا منهم قال ابن عباس من فر من ثلاثة لم يفرو ومن فر من اثنين فقد فر ﴿ قوله عز وجل ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾ قال مجاهد سبب نزول هذه الآية انه لما انصرفوا عن قتال اهل بدر كان الرجل يقول انا قتلت فلانا يقول الآخر انا قتلت فلانا فنزلت هذه الآية والمعنى فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم يعنى بنصره اياكم وتقويتكم عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداده اياكم بالملائكة قال الزحمرى الفاء في قوله فلم تقتلوهم جواب شرط محذوف تقديره وان اقتحرتهم بقتلهم

وما واه جهنم وبئس المصير ( و وزن متميز متفعل لا متفعل لانه من حازي محوز فبناء متفعل منه متموز ولما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا وكان القتال منهم يقول تفاخرا قتلت وأسرت قيل لهم ( فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ) والقاء جواب لشرط محذوف تقديره ان اقتحرتهم بقتلهم فاتهم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ولما قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى بها في وجوههم وقال شامت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهمز مواقيل بسخط من الله ( وما واه ) مصيره ( جهنم وبئس المصير ) صار اليه ( فلم تقتلوهم ) يوم بدر ( ولكن الله قتلهم ) بجبرائيل

هذه قريش جاءت بخيلاتها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني  
فانه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما اتى الجمعان تناول  
كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شأته الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه  
فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاوض  
فيقول الرجل قتلت واسرت فزت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان  
اقتضرتهم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴿وما رميت﴾ يا محمد رميا توصله الى  
اعينهم ولم تقدر عليه ﴿اذ رميت﴾ أي آتيت بصورة الرمي ﴿ولكن الله رمى﴾  
اتي عاهو غاية الرمي فواصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم

فلم تقتلوهم أنتم ولكن الله قتلهم ﴿وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى﴾ قال أهل التفسير  
والمغازي لما نذب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه انطلقوا حتى نزولوا بدر او وردت  
عليهم روايا قريش وفيهم أسلم غلام أسود لبني الحجاج وأبو يسار غلام لبني العاص بن سمد  
فأخذوهما وأتوا بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه  
وسلم أين قريش قالاهم وراء الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكتيب المعنقل  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالوا كثير قال ما عددهم قال لا اندري قال كم  
ينحرون كل يوم قالوا يوم ماعشرة ويوم مائة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين  
التسماثة الى ألف ثم قال لهما من فيهم من أشرف قريش قال عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة  
وأبو الجحدي بن هشام وحكيم بن حزام والحارث بن عامر وطهمان بن عدي والنضر بن حارث  
وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونيبه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد ألفت اليكم أفلاذ كبدها فلما أقبلت قريش وراها  
رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من المعنقل وهو الكتيب الرمل جاء الى الوادي  
فقال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلاتها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك  
الذي وعدتني فانه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما اتى  
الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء عليه تراب فرمى به وجوه القوم  
وقال شأته الوجوه يعني قبحت الوجوه فلم يبق مشرك الا ودخل في عينه وفه ومنخره من  
ذلك التراب شيء فانهزموا وتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وقال قتادة وابن زيد ذكرنا  
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في مينة القوم  
وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين أظهرهم وقال شأته الوجوه فانهزموا فذلك قوله  
عز وجل وما رميت اذ رميت لكن الله رمى اذ ليس في وسع أحد من البشر أن يرمي كفا  
من الحصى في وجوه جيش فلا تبقى عين الا وقد دخل فيها من ذلك شيء فصوره الرمي صدرت  
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثيرها صدر من الله عز وجل فلهذا المعنى  
صح التني والاثبات وقيل في معنى الآية وما بلغت اذ رميت ولكن الله باغ رميك  
وقيل وما رميت بالرعب في قلوبهم اذ رميت بحصياتك ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم

(وما رميت) يا محمد  
(اذ رميت ولكن الله رمى)  
يعني ان الرمية التي رميتها  
أنت لم ترمها أنت على الحقيقة  
لانك لو رميتها لما بلغ أثرها  
الا ما يبلغه أثر رمي البشر  
ولكنها كانت رمية الله  
حيث أثرت ذلك الأثر  
العظيم وفي الآية بيان ان  
فعل البعد مضاف اليه  
كبا والى الله تعالى خاتما  
لا كما تقول الجبرية والمعتزلة  
لانما أثبت الفعل من البعد  
بقوله اذ رميت ثم نفاه عنه  
وأثبت الله تعالى بقوله  
ولكن الله رمى ولكن الله  
قتلهم وان كان الله رمى  
بتخفيف لكن شامى وجزة  
والملائكة (وما رميت)  
ما بلغت التراب الى وجوه  
المشركين (اذ رميت ولكن  
الله رمى) بلغ

على (وليلي المؤمنين) وليعطيهم (منه) ﴿٢٣﴾ (بلاء حسنا) ﴿سورة الانفال﴾ عطاه جيلا والمصدق

والاحسان الى المؤمنين  
فلما قتل وما قتل الا لذلك  
(ان الله سميع) لدعائهم  
(عليهم) باحوالهم  
(ذلك) اشارة الى البلاء  
الحسن ومحله الرفع أى  
الامر ذلكم (وان الله  
موهن كيد الكافرين)  
معطوف على ذلكم أى  
المراد ابلاء المؤمنين وتوهمين  
كيد الكافرين موهن كيد  
شامى وكوفى غير حفص  
موهن كيد حفص موهن  
غيرهم (ان تستفتحوا فقد  
جاءكم الفتح) ان تستنصروا  
فقد جاءكم النصر عليكم  
وهو خطاب لاهل مكة  
لانهم حين اردوا ان  
ينفروا تعلقوا باستار  
الكعبة وقالوا اللهم ان  
كان محمد على حق فانصره  
وان كنا على الحق فانصرنا  
وقيل ان تستفتحوا خطاب  
للمؤمنين وان تنهوا  
للكافرين أى

(وليلي المؤمنين) ليصنع  
بالمؤمنين (منه) من رعى التراب  
(بلاء) صنعا (حسنا)  
بالنصرة والغنية (ان الله سميع)  
لدعائهم (عليهم) بنصرتكم  
(ذلكم) النصر والغنية لكم  
(وان الله) بان الله (موهن)  
مضعف (كيد الكافرين)  
صنيع الكافرين (ان تستفتحوا)

وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كاله والمقصود منه وقيل معناه  
ما رميت بالرعب اذ رميت بالحسباء ولكن الله رعى بالرعب فى قلوبهم وقيل انه نزل  
فى طعنة طعن بهاء بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات  
أورمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب كثانة بن ابى الحقيق على فراشه واجتهد  
على الاول وقرأ ابن ماصر وحزرة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده  
فى الموضعين ﴿وليلي المؤمنين منه بلاء حسنا﴾ ولينم عليهم نعمة عظيمة بالنصر  
والغنية ومشاهدة الآيات ﴿ان الله سميع﴾ لاستغاثتهم ودعائهم ﴿عليهم﴾ بنياتهم  
واحوالهم ﴿ذلكم﴾ اشارة الى البلاء الحسن أو القتل أو الرى ومحله الرفع أى  
المقصود أو الامر ذلكم وقوله ﴿وان الله موهن كيد الكافرين﴾ معطوف عليه  
أى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهمين كيد الكافرين وابطال حلهم وقرأ ابن كثير  
ونافع وابوعرو وموهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ﴿ان تستفتحوا﴾  
فقد جاءكم الفتح ﴿خطاب لاهل مكة على سبيل التهمك وذلك انهم حين ارادوا  
الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اهل الجنتين واهدى الفتنين واكرم الحزبين

حق انهمزوا ﴿وليلي المؤمنين منه بلاء حسنا﴾ يعنى ولينم على المؤمنين نعمة عظيمة  
بالنصر والغنية والاجر والثواب فقد اجمع المفسرون على أن البلاء هنا يعنى النعمة  
﴿ان الله سميع﴾ يعنى لدعائهم ﴿عليهم﴾ يعنى باحوالكم ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿ذلكم﴾ يعنى  
الذى ذكرت من أمر القتل والرى والبلاء الحسن من الظفر بهم والنصر عليهم فلما  
ذلك الذى فلما ﴿وان الله﴾ يعنى واهلوا ان الله مع ذلك ﴿موهن﴾ أى مضعف ﴿كيد  
الكافرين﴾ يعنى مكروهم وكيدهم ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾ هذا  
خطاب مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك ان  
أبا جهل قال يوم بدر لما اتى الجمعان اللهم أينما كان أجفر يعنى نفسه ومجدا صلى الله  
عليه وسلم قاطعا للرحم فأحنه اليوم وقيل انه قال اللهم أينما كان خيرا عندك فانصره  
وقبل قال اللهم انصر اهدى الفتنين وخير الفريقين وأفضل الجمعين اللهم من كان  
أجفر وأقطع لرحه فأحنه اليوم فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا ومعنى الآية ان  
تستحكموا الله على أقطع الفريقين للرحم وأظلم الفتنين فينصر المظلوم على الظالم فقد  
جاءكم الفتح يعنى جاءكم حكم الله بنصرة المظلوم على الظالم والمحق على المبطل  
والمقطوع على القاطع ﴿ق﴾ عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال انى لواقف فى الصف  
يوم بدر فنظرت عن يمينى وعن شمالى فاذا أبا بنى من الانصار حديثه أستأنهما  
فتنيت ان أكون بين أضاع منهما ففمزنى أحدهما فقال أى عم هل تعرف  
أبا جهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن أخى قال أخبرت انه يسب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فوالذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت

ستنصروا (فقد جاءكم الفتح) النصره لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليكم حيث دعا أبو جهل قبل القتال والهزيمة  
نال اللهم انصر أفضل الدينين واكرم الدينين واجهما اليك فاستجاب الله دعاه ونصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليهم

ألا جعل منا فتعجبت لذلك قال وعزني الآخر فقال لي مثلها فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يحول في الناس فقلت لأتريان هذا صاحبكما الذي تسألان عنه قال فابتدراه بسييفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتله فقال هل مسحتما سييفيكما فقال لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السيوفين فقال كلاهما قتله وفضي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لهما والرجال من معاذ بن عمرو بن الجوح ومعاذ بن عفراء رضي الله عنهما (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبو جهل فالطلق بن مسعود فوجده قد ضرب به ابنا عفراء حتى برد قال فاخذ ببلحيته فقال أنت أبو جهل وفي كتاب البخاري أنت يا جهل هكذا قاله أنس فقال وهل فوق رجل قتلتموه أو قال قتله قومه وفي رواية فقال أبو جهل فلو غيراً كان قلتي ~~عن~~ عن عبد الله بن مسعود قال مررت فإذا أبو جهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله يا أيا جهل قد أخزى الله الآخر قال ولا أهابه عند ذلك فقال أعمد من رجل قتله قومه فضربته بسيف غير طائل فلم ينف شيئاً حتى سقط سيفه من يده فضربته حتى برد أخرجه أبو داود وأخرجه البخاري مختصراً قال إنه أتى أيا جهل يوم بدر وبه رمق فقال هل أعمد من رجل قتلتموه وقال عكرمة قال المشركون والله ما نعرف ما جاء به محمد فاقمع بيننا وبينه بالحق فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستفتحوا فقد جاءكم القضاء وقال السدي والكلبي كان المشركون لما خرجوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة أخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أهلك الجندين وأهدى الفتيين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين ففیه نزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وهو على ما سأله فكان النصر لأهدى الفتيين وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن الجوح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر أسرابي جهل بن هشام ان يلمس في القتلى فقال اللهم لا يعجزك فلما سمعته جعلته من شأني فمعدت نحوه فضربته ضربة طيرت قدمه بنصف ساقه قال وضربني ابنة عكرمة على طاقني فطرح يدي فتعلقت بجلدة واجهضني القتال عنه فلقد قاتلت طامة يومى وأنا لا أحبها خلني فلما آذني جعلت عليها قدماً ثم تخطيت بها حتى طرحتها ثم سرباني جهل وهو عفير معاذ بن عفراء فضربه حتى أهنته وتركه وبه رمق فمعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته بأخر رمق فمرفقه فوضف رجل على عنقه فقلت هل أخزأك الله يا عدو الله قال وبما ذا أخزأك من رجل قتلتموه اخبرني لمن الدولة قلت لله ولرسوله روى عن ابن مسعود انه قال قال لي أبو جهل لقد ارتقيت يا رويي الغنم مرتقي صعباً ثم احتزرت رأسه ثم جثت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل فقال آله الذي لا اله غيره فقلت نعم والذي لا اله غيره ثم ألقيته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وقال أبي بن كعب هذا خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( الله )

(وان تنهوا) عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهو) { سورة الانفال } ٢٥ عليه وسلم (فهو) { سورة الانفال } ٢٥

أي الانتهاء (خير لكم) وأسلم (وان تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصرته عليكم (ولن تقى عنكم فتكم) جهكم (شيأولو كثرت) عددا (وان الله مع المؤمنين) بالفتح مدنى وشأى وحلف أى ولان الله مع المؤمنين بالنصر كان ذلك وبالكسر غيرهم ويؤيده قراءة عبدالله وان الله مع المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا) أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان المعنى وأطيعوا الله ورسوله الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شئ واحد من يطع الرسول فقد أطاع الله فكان رجوع الضمير الى أحدهما كرجوعه اليهما كقوله الاحسان والاجال لا ينفع

(وان تنهوا) عن الكفر والقتال (فهو خير لكم) من الكفر والقتال (وان تعودوا) الى قتال محمد عليه السلام (نعد) الى قتالكم وهزيتكم مثل يوم بدر (ولن تقى عنكم فتكم) جاعتكم (شيأ) من عذاب الله (واوكرت) قاهد (وان الله مع المؤمنين) معين المؤمنين بالصرة (يا أيها الذين آمنوا) أطيعوا الله ورسوله (ولا تولوا عنه)

﴿ وان تنهوا ﴾ عن الكفر ومعاداة الرسول ﴿ فهو خير لكم ﴾ لنضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين ﴿ وان تعودوا ﴾ لمحاربته ﴿ نعد ﴾ لنصرته عليكم ﴿ ولن تقى ﴾ ولن تدفع ﴿ عنكم فتكم ﴾ جاعتكم ﴿ شيأ ﴾ من الاغناء أو المضار ﴿ ولو كثرت ﴾ فتكم ﴿ وان الله مع المؤمنين ﴾ بالنصر والمعونة • وقرأ نافع وابن حاصر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنهوا عن التكاسل في القتال والرجبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار أو تهيج العدو ولن تقى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكافرين في ايمانهم ويؤكده ذلك ﴿ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه ﴾ أى

الله عز وجل للمسلمين ان تستفتحوا أى تستنصروا فقد جاءكم الفتح أى النصر (خ) عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برة له في ظل الكعبة فقلنا لا تستنصر لنا ألا تدعونا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجمل تصفيين وعشيط بأمشاط الحديد مادون لحه وعظمه ما يصد ذلك عن دينه والله ليتقن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون قلت استدلل البغوى بهذا الحديث على ما فسره أى بن كعب الآيد وفيه نظر لان هذه الواقعة المذكورة في الحديث كانت بحكمة والآية مدنية فلا تعاق للحديث بتفسير الآية والله أعلم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله بيدر وسأله انجاز ما وعده من احدى الطائفتين وألح في الدعاء والمسئلة حتى سقط رداؤه قال الله سبحانه وتعالى مجيبا له ان تستفتحوا يعنى تطلبوا النصر وانجاز ما وعدهم الله به فقد جاءكم الفتح يعنى فقد حصل لكم ما طلبتم فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من اجابة دعائكم وانجاز ما وعدهم به وهذا القول أولى لان قوله فقد جاءكم الفتح لا يليق الا بالمؤمنين هذا اذا فسرنا الفتح بالنصر والظفر على الاعداء أما اذا فسرناه بالقضاء والحكم لم يعتنع ان يراد به الكفار أما قوله سبحانه وتعالى ﴿ وان تنهوا فهو خير لكم ﴾ فهو خطاب للكفار يعنى وان تنهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم في الدين والدنيا أما في الدين فان تؤمنوا به وتكفوا عنه فيحصل لكم بذلك الفوز بالنواب والخلاص من العقاب وأما في الدنيا فهو الخلاص من القتل والاسر ﴿ وان تعودوا نعد ﴾ يعنى وان تعودوا لقتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم ونصره عليكم ﴿ ولن تقى عنكم فتكم ﴾ يعنى جاعتكم ﴿ شيأ ﴾ يعنى لا تقى عنكم شيأ ﴿ ولو كثرت ﴾ يعنى جاعتكم ﴿ وان الله مع المؤمنين ﴾ يعنى بالنصر لهم عليكم يا مشرك الكفار ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ﴿ يعنى في أمر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس ولا تولوا عنه ﴾ يعنى عن الرسول صلى الله عليه وسلم لان النبوى لا يصح الا في حق الرسول

المؤمنين بالصرة (يا أيها الذين آمنوا) أطيعوا الله ورسوله (ق ا و خ ا ل ث) في أمر الصلح (ولا تولوا عنه)

في فلان أو يرجع الضمير إلى الأمر بالطاعة أي ولا تولوا عن هذا الأمر وامثاله وأصله ولا تولوا تحذف إحدى التاءين تخفيفاً (وأنتم تسمعون) أي وأنتم سمعونه أو ولا تولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه وأنتم تسمعون أي تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) أي ادعوا السماع وهم المنافقون وأهل { الجزء التاسع } الكتاب (وهم) ﴿ ٢٦ ﴾ لا يسمعون لأنهم ليسوا بمصدقين فكانهم

ولا تولوا عن الرسول فإن المراد من الآية الأمر بطاعته والتباعد عن الإعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتثنية على أن طاعة الله في طاعة الرسول لقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل الضمير للجهد والأمر الذي دل عليه الطاعة ﴿ وأنتم تسمعون ﴾ القرآن والمواظب سماع فهم وتصديق ﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ﴾ كالكفرة أو المنافقين الذين ادعوا السماع ﴿ وهم لا يسمعون ﴾ سماعاً يتفقون به فكانهم لا يسمعون رأساً ﴿ أن شر الدواب عند الله ﴾ شر ما يدب على الأرض أو شر البهائم ﴿ الصم ﴾ عن الحق ﴿ البكم ﴾ الذين لا يسمعون ﴿ أياه ﴾ عنهم من البهائم ثم جعلهم شرها لا يبطالهم ما ميزوا به وقضوا لأجله ﴿ ولو علم الله فيهم خيراً ﴾ سعادة كتبت لهم أو انتقاماً بالآيات ﴿ لا يسمعون ﴾ سماع تفهم ﴿ ولو أسمعهم ﴾ وقد علم أن لا خير فيهم ﴿ لتولوا ﴾ ولم يتفقوا به أو ارتدوا بعد التصديق والقبول ﴿ وهم معرضون ﴾

صلى الله عليه وسلم لا في حق الله تعالى والمعنى لا تعرضوا عنه وعن معاونته ونصرته في الجهاد ﴿ وأنتم تسمعون ﴾ يعني القرآن يتلى عليكم ﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا ﴾ بالسماع ﴿ سمعنا وهم لا يسمعون ﴾ يعني وهم لا يتفهمون ولا يتفقون بما سمعوا من القرآن والمواظب وهذه صفة المنافقين ﴿ أن شر الدواب عند الله ﴾ يعني أن شر من دب على وجه الأرض من خلق الله عند الله ﴿ الصم ﴾ عن سماع الحق ﴿ البكم ﴾ عن النطق به فلا يقولونه ﴿ الذين لا يقولون ﴾ يعني لا يفهمون عن الله أمره ونهيه ولا يقولونه وانما سمعوا دواب لقللة انتفاعهم بقولهم قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار بن قصى كانوا يقولون نحن صم بكم عى عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعاً يوم أحد وكانوا أصحاب اللواء ولم يسمع منهم إلا رجلان مصعب بن عذرة وسويط بن حرملة ﴿ ولو علم الله فيهم خيراً ﴾ يعني سماع تفهم وانتفاع وقبول للحق ومعنى ولو علم الله قال الإمام فخر الدين أن كان ما كان حاصلاً فيجب أن يعلم الله فقدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه بدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لا سمعهم الله الصم والمواعظ سماع تعليم وتفهم ﴿ ولو أسمعهم ﴾ يعني بعد أن علم أنه لا خير فيهم لم يتفقوا بما سمعوا من المواظب والدلائل لقوله تعالى ﴿ لتولوا ﴾ وهم معرضون ﴿ يعني تولوا ﴾ عن سماع الحق وهم معرضون عنه لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل أنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيافاته كان شيخاً مباركاً حتى يشهدك بالنبوة فتؤمن لك فقال الله سبحانه

غير سامعين والمعنى أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها أشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال ( أن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يقولون ) أي أن شر من يدب على وجه الأرض البهائم وأن شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يقولونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها لأنهم طأندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل ( ولو علم الله فيهم ) في هؤلاء الصم البكم ( خيراً ) صدقاً ورغبة ( لا سمعهم ) لجعلهم سامعين حتى يسموا سماع المصدقين ( ولو أسمعهم لتولوا ) عنه أي ولوا أسمعهم وصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولم يستقيموا ( وهم معرضون ) عن الإيمان

عن أمر الله ورسوله ( وأنتم تسمعون ) مواظب القرآن وأمر الصلح ( ولا تكونوا ) في المعصية ويقال في الطاعة

( كالذين قالوا سمعنا ) أطعنا وهم بنو عبد الدار والنضر بن الحارث وأصحابه ( وهم لا يسمعون ) لا يطيعون ( وتعالى ) وزل فيهم أيضاً ( أن شر الدواب ) الخلق والحليقة ( عند الله الصم ) عن الحق ( البكم ) الذين لا يقولون لا يفقهون أمر الله وتوجيهه ( ولو علم الله فيهم ) في بني عبد الدار ( خيراً ) سعادة ( لا سمعهم ) لا كرمهم بالإيمان ( ولوا سمعهم ) أكبرهم بالإيمان ( لتولوا عنه ) عن الإيمان لسمع الله فيهم ( وهم معرضون ) مكذبون به

لننادهم وقيل كانوا يقولون للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم احيى لاقصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهدك فنؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصى ﴿ يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله والرسول ﴾ بالطاعة ﴿ اذا دعاكم ﴾ وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروى انه عليه السلام مر على ابي وهو يصلى فدعاه فجعل فى صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلى قال الم تخبر فيما اوحى الى استجبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل ان دعاه كان لامر لا يمتثل التأخير وللمصلى ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول ﴿ لما يحكيكم ﴾ من العلوم الدينية فانهما حياة القلب والجمل موته وقال

لا تجبن الجهول حلتة فذلك ميت وثوبه كفن

أوما يورثكم الحياة الابدية فى النعيم الدائم من العقائد والاعمال أو من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لقلبهم العدو وقتلهم أو الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون

وتعالى ولو احياءهم قصيا وسموا كلامه لتولوا عنه وهم معرضون ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول ﴿ يعنى أجيبوهما بالطاعة والانقياد لاسرهما ﴾ اذا دعاكم ﴿ يعنى الرسول صلى الله عليه وسلم وانما وحد الضمير فى قوله تعالى اذا دعاكم لان استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد واستدل أكثر الفقهاء بهذه الآية على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من أمره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الآية تدل على انه لا بد من الاجابة فى كل مادعا لله ورسوله اليه (ح) عن ابي سعيد بن المولى قال كنت أصلى فى المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ثم أتيت فقلت يا رسول الله انى كنت أصلى فقال صلى الله عليه وسلم ألم يقل الله استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي بن كعب وهو يصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبى فالتفت أبى ولم يجبه وصلى أبى وخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام ما منعك يا أبى أن تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله انى كنت فى الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم أفلم تجد فيما أوحى الله الى استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحكيكم قال بلى ولا أعود ان شاء الله تعالى وذكر الحديث أخرجه الزمى وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فلي هذا ليس لاحد ان يقطع صلاته لدعاء أحد آخر وقيل لو دعاه أحد لامر مهم لا يمتثل التأخير فله ان يقطع صلاته ﴿ قوله عز وجل ﴾ لما يحكيكم ﴿ يعنى اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم قال السدى هو الايمان لان الكافر ميت فيحيا بالايمان وقال قتادة هو القرآن لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة فى الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال مجدى بن اسحق هو الجهاد لان الله أعز به بعد الدل وقيل هو الشهادة لان الشهداء احياء

( يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم ) وحد الضمير أيضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتمريض ( لما يحكيكم ) من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كأن الجهل موت قال الشاعر

لا تجبن الجهول حلتة

فذلك ميت وثوبه كفن  
أو لجهادة الكفار لانهم لو  
رفضوا لقلبهم وتناوهم  
أول للشهادة لقوله تعالى بل

( يا ايها الذين آمنوا )  
يعنى اصحاب محمد عليه السلام  
( استجبوا لله ) أجيبوا لله  
( وللرسول اذا دعاكم لما يحكيكم ) الى ما يكرمكم  
ويعزكم ويصلحكم من القتال



أحياء عندهم (واعلموا)

أن الله يحول بين المرء وقلبه أي بينه فتوته الفرصة التي هو واجدها وهي الفكن من اخلاص القلب فاقتموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله وبينه وبين ما تمناه بقلبه من طول الحياة فيفسخ عزائمه ( وأنه إليه تحشرون ) وإعلموا انكم إليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة ( واتقوا فتنة ) عذايا ( لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ) هو جواب للامر أي ان أصابتكم لاتصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تمسكم وجاز أن تدخل النون المؤكدة في جواب الامر لان فيه معنى النهي كما ذقلت انزل عن الدابة لاتطرحك وجاز لاتطرحك ومن في منكم

وغیره ( واعلموا ) يا معشر المؤمنين ( ان الله يحول ) يحفظ ( بين المرء وقلبه ) بين المؤمن بأن يحفظ قلب المؤمن على الايمان حتى لا يكفر ويحفظ قلب الكافر على الكفر حتى لا يؤمن ( وأنه إليه ) الى الله في الآخرة ( تحشرون ) فيجزىكم

هو واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه في تحبيل لقاية قربه من البعد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتبينه على انه مطلع على مكنونات القلوب ما عسى ينفل عنه صاحبها أو حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت أو غيره أو تصوير وتخييل لتعلقه على البعد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين امر بالتشديد على حذف الهزلة والقامحركاتها على الرأه واجراء الوصل مجرى الوقف على لنة من شدد فيه ( وأنه إليه تحشرون ) فيجذبكم باعمالكم ( واتقوا فتنة ) لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ( اتقوا ذنبا يمسكم ) انره كإقرار المنكر بين اظهركم والمداينة في الامر بالمعروف واقتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لاتصيبن اما جواب الامر على معنى ان أصابتكم لاتصيب الظالمين

عندهم يرزقون ( واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه ) قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك وعجابه وقال السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن أو يكفر الا باذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لان أحوال القلوب اعتقادات ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي لابد أن تتقدمها الارادة وتلك الارادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله سبحانه وتعالى فثبت بذلك ان المتصرف في القلب كيف شاء هو الله تعالى ( م ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا يقول ياقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك فقلنا يا رسول الله قد آتيناك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء أخرجه الترمذي وهذا الحديث من أحاديث الصفات فيجب على المرء المسلم ان يمره على ما جاء مع الاعتقاد الجازم بتنزيه الله تعالى عن الجارحه والجسم وقيل في معنى الآية ان الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يقل شيأ وقيل ان القوم لما دعوا الى القتال والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقللة خافت قلوبهم وضائق صدورهم فقبل لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمنا والحب جرأة ( فوله عز وجل ) وأنه إليه تحشرون ( يعني في الآخرة فيجزى كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويماقب المعاصي ) قوله سبحانه وتعالى ( واتقوا فتنة ) لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ( لما أخبر الله عز وجل أنه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع المرء في الفتنة والمعنى واحذروا فتنة ان نزلت بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل تمدى اليكم جميعا وتصل الى الصالح والطالح وأراد بالفتنة الابتلاء والاختبار وقيل تقديره واتقوا فتنة ان لم تتقوها أصابتكم جميعا الظالم وغير

أعمالكم ( واتقوا فتنة ) كل فتنة تكون ( لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ) ولكن تصيب الظالم والمظلوم ( الظالم )

منكم خاصة بل تممكم وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى انتهى ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واماصفة لفترة ولالفتى وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنى في غير القسم أول انتهى على ارادة القول كقوله

حتى اذا جن الظلام واختلفت جاؤا بعذق هل رأيت الذئب قط

واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ تحيين وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذئب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبويض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدة النهي على ان الظلم منكم اقبح من غيركم ﴿ واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ اتم قليل مستضعفون في الارض ﴾ ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين

الظالم قال الحسن نزلت هذه الآية في علي وعمار وطحمة والزبير قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما نرى انا من اهلها فاذا نحن المعينون بها يعنى ما كان منهم في يوم الجمل وقال سدى ومجاهد والضحاك وقادة هذا في قوم مخصوصين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اصابتهم الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس امر الله عز وجل المؤمنين ان لا يقرؤا المنكر بين أظهرهم فيجمعهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم مروى البغوى بسنده عن عدى بن عدى الكندى قال حدثني مولى لنا انه سمع جدى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الاثير في جامع الاصول عن عدى بن عميرة الكندى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا غلبت الحطيثة في الارض كان من شهدا فانكروها كن غاب عنها ومن غاب عنها فريضها كان كن شهدا أخرجه أبو دود عن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على ان يغيروا عليه ولم يغيروا الا اصابهم الله بعقاب قبل ان يموتوا أخرجه أبو داود وقال ابن زبدا أراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماسي والمعاصي خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذ فليعذبه فان قلت ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برجة الله وكرمه ان يوصل الفتنة الى من لم يذنب قلت انه تعالى مالك الملك وخالق الحاق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية اولانه تعالى علم اشتمال ذلك على انواع من انواع المصلحة والله أعلم بمراده ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ واعلموا ان الله شديد العقاب ﴿ فيه تحذير ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره الله منها وقوله عز وجل ﴾ واذكروا اذ اتم قليل مستضعفون في الارض ﴾

للتبويض ( واعلموا ان الله شديد العقاب ) اذا عاقب ( واذكروا اذ اتم قليل ) اذ مضى به لا ظرف أى واذكروا وقت كونكم أقللة أدلة ( مستضعفون في الارض ) أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم ( واعلموا ان الله شديد العقاب ) اذا عاقب ( واذكروا ) يا مشر المهاجرين ( اذ اتم قليل ) في العدة ( مستضعفون ) مهضرون ( في الارض ) أرض مكة

وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم ﴿ تخافون ان يخطفكم الناس ﴾ كفار قريش أو من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم ﴿ قآواكم ﴾ الى المدينة أو جعل لكم مأوى تحصنون به من اعدائكم ﴿ وأيدكم بنصره ﴾ على الكفار أو عظاهرة الانصار أو بإمداد الملائكة يوم بدر ﴿ ورزقكم من الطيات ﴾ من الغنائم ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ هذه النعم ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ﴾ بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضربوا خلاف ما تظهرون أو بالقلول في الغنائم وروى انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوه الصلح كما صالح

لما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله وحذرهم من الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر المؤمنين المهاجرين اذ أنتم قاييل يعني في العدد مستضعفون في الارض يعني في أرض مكة في ابتداء الاسلام ﴿ تخافون أن يخطفكم الناس ﴾ يعني كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال وهب بن منبه يعني فارس والروم ﴿ قآواكم ﴾ يعني الى المدينة ﴿ وأيدكم بنصره ﴾ يعني وقواكم بالانصار وقال الكلبي وقواكم يوم بدر بالملائكة ﴿ ورزقكم من الطيات ﴾ يعني الغنائم أحلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ يعني تشكرون الله على نعمه عليكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ﴾ قال الزهري والكلبي نزلت هذه الآية في أبي لبابة هرون بن عبد المنذر الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه اخوانهم بني النضير على أن يسروا الى اخوانهم الى أذرعات وأريحا من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا أرسل الينا أبا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحهم لان ماله وولده وعياله كان عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتهم فقالوا يا أبا لبابة ما ترى أن نزل على حكم سعد بن معاذ فإشار أبو لبابة بيده الى حلقه يعني انه الذي لا تفعلوا قال أبو لبابة والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال اما لو جاءني لاستغفرت له أما اذ فعل ما فعل فاني لا أطلقه حتى يتوب الله عليه فكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خرمغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقبل له يا أبا لبابة قد تيب عليك فقال والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي حلني فجاهه فحله بيده ثم قال أبو لبابة ان تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن انخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزبك الثلث ان تصدق به فنزل فيه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وقال السدي كانوا يسمون السر

قريش ( تخافون أن يخطفكم الناس ) لان الناس كانوا لهم اعداء مضادين ( قآواكم ) الى المدينة ( وأيدكم بنصره ) عظاهرة الانصار وإمداد الملائكة يوم بدر ( ورزقكم من الطيات ) من الغنائم ولم تحصل لاحد قبلكم ( لعلكم تشكرون ) هذه النعم ( يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ) بأن تعطلو فرائضه ( والرسول ) بأن

( تخافون أن يخطفكم الناس ) أن يطردكم أهل مكة أو يأسروكم ( قآواكم ) بالمدينة ( وأيدكم بنصره ) يعني أعانكم وقواكم بنصرته يوم بدر ( ورزقكم من الطيات ) من الغنائم ( لعلكم تشكرون ) لكي تشكروا نعمته بالنصرة والغنية يوم بدر ( يا أيها الذين آمنوا ) يعني مروان وأبا لبابة بن عبد المنذر ( لا تخونوا الله ) في الدين ( والرسول ) في الإشارة الى بني قريظة أن لا تنزلوا على حكم سعد بن معاذ

أخوانهم بنى الضير على أن يسيروا إلى أخوانهم بأذرحات وأريحاء بارض الشام فابى إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا أرسلينا بابا لبابة وكان مناصحهم لأن عياله وماله في أيديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل نزل على حكم سعد بن معاذ فإشار إلى سلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فإزالت قدماى حتى علت إلى قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا أذوق طصاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فكت سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وان أنخلع من مالى فقال عليه السلام يحجزيك الثلث ان تصدق به وأصل الخون النقص كما ان أصل الوفاء التمام واستماله في ضد الأمانة لتضمنه إياه ﴿ وتخونوا أماناتكم ﴾ فبما ينكم وهو مجزوم بالمعطف على الأول أو منصوب على الجواب بالواو ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ انكم تخونون وأنتم علماء تميزون الحسن من القبيح ﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ لانهم سبب الوقوع في الآثم والعقاب أو محنة من الله

من النبي صلى الله عليه وسلم فيفشوته حتى يباغ المشركين فنزلت هذه الآية وقال جابر بن عبد الله ان أبا سفيان خرج من مكة فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أبا سفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان أبا سفيان في موضع كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتبوا قال فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله عز وجل لا تخونوا الله والرسول ﴿ وتخونوا أماناتكم ﴾ ومعنى الآية لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ يعنى انها أمانة وقيل معناه وأنتم تعلمون ان ما فعلتم من الاشارة الى الخلق خيانة وأصل الخيانة من الخون وهو النقص لان من خان شيئا فقد نقصه والخيانة ضد الأمانة وقيل معنى الآية لا تخونوا الله والرسول فانكم اذا فعلتم ذلك فقد خنتم أماناتكم وقال ابن عباس معناه لا تخونوا الله بترك فرائضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا تخونوا أماناتكم قال ابن عباس هي ما ينجى عن أعين الناس من فرائض الله تعالى والأعمال التي ائتمن عليها العباد وقال قتادة اعلموا أن دين الله أمانة فادوا الى الله ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه أمانة فليؤدها الى من ائتمن عليها ومنه الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أد الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك أخرجه أبوداود والترمذي وقال حديث حسن غريب ﴿ قوله عز وجل ﴾ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴿ قيل هذا مما نزل في أبي لبابة وذلك لان أمواله وأولاده كانت في بنى قريظة فلذلك قال ما قال خوفا عليهم وقيل انه عام في جميع الناس وذلك أنه لما كان الاقدام على الخيانة في الأمانة هو حجب المال والولد نبه الله سبحانه وتعالى بقوله واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة على انه يجب على العاقل

لا تستنوا به (وتخونوا)  
جزم عطف على لا تخونوا  
أى ولا تخونوا (أماناتكم)  
فبما ينكم بأن لا تحفظوها  
(وأنتم تعلمون) تبعة ذلك  
ووباله أو وأنتم تعلمون انكم  
تخونون يعنى ان الخيانة  
توجد منكم عن تعمد لا عن  
سهو أو وأنتم علماء تعلمون  
حسن الحسن وقبح القبيح  
ومعنى الخون النقص كان  
معنى الأبقاء التمام ومنه  
تخونه اذا انتقصه ثم استعمل  
في ضد الأمانة والوفاء  
لأنك اذا خنت الرجل  
في شئ فقال أدخلت عليه  
النقصان فيه (واعلموا أنما  
أموالكم وأولادكم فتنة)  
أى سبب الوقوع في الفتنة  
وهى الآثم والعذاب  
أو محنة من الله ليلوكم  
كيف تحافظون فيهم على  
(وتخونوا أماناتكم)  
ولا تخونوا في فرائض الله  
وهى أمانة عليكم (وأنتم  
تعلمون) تلك الخيانة  
(واعلموا) يعنى به أبا لبابة  
(أنما أموالكم وأولادكم)  
التي في بنى قريظة (فتنة)

حدوده ( وأن الله عنده { الجزء التاسع } أجر عظيم ) ﴿ ٣٢ ﴾ فليكن ان تحرصوا على طلب ،

تعالى ليلوكم فيهم فلا يحملنكم جهنم على الخيانة كما في لباية ﴿ وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ لمن أثر رضى الله عايهم وراعى حدوده فيهم فأنيطوا همكم بماؤدبكم اليه ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تقوا الله يجعل لكم فرقا ﴾ هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أو نصرا يفرق بين الحق والباطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين أو مخرجا من الشبهات أو نجاة عما تحذرون في الدارين أو ظهورا يشهر اسركم ويثبت صيتكم من قولهم بتأفل كذا حتى سطع الفرقان أى الصبح ﴿ ويكفر عنكم سيئاتكم ﴾ ويسترها ﴿ ويفرلکم ﴾ بالجواز والعفو عنكم وقيل السيئات الصفات والذنوب الكبار وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرها الله لهم ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل ﴿ واذيعركم برك

أن يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد لان ذلك يشغل القلب ويعيره محجوبا عن خدمة المولى وهذا من أعظم الفتن وروى البغوى بسنده عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بعصى فقبله وقال اما انهم مجتلة مجتنة وانهم لمن ربحان الله وأخرج الترمذى عن عمر بن عبد العزيز قال زعت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن أحد ابني ابنته وهو يقول انكم تبخلون وتجنون وتجهلون وانكم لمن ربحان الله قال الترمذى لانعرف لسر بن عبد العزيز سماه عن خولة قوله لمن ربحان الله أى لمن رزق الله والربحان في اللغة الرزق ﴿ وقوله تعالى ﴾ ﴿ وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ يعنى لمن أدى الامانة ولم يخن وفيه تنبيه على ان سعادة الآخرة وهو ثواب الله أفضل من سعادة الدنيا وهو المال والولد ﴿ وقوله عز وجل ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تقوا الله ﴾ يعنى بطاعته وترك معاصيه ﴿ يجعل لكم فرقا ﴾ يعنى يجعل لكم نورا وتوفيقا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل والفرقان أصله الفرق بين الشينين لكنه أباع من أصله لانه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد يجعل لكم مخرجا في الدنيا والآخرة وقال مقاتل مخرجا في الدين من الشبهات وقال عكرمة نجاة أى يفرق بينكم وبين ما تخافون وقال محمد بن اسحق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويظنى باطل من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويطيه ويبطل الكفر ويوحنه ﴿ ويكفر عنكم سيئاتكم ﴾ يعنى وعج عنكم ما سلف من ذنوبكم ﴿ ويفرلکم ﴾ يعنى ويستر عليكم بان لا يفضحكم في الدنيا ولا في الآخرة ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ لانه هو الذى يفعل ذلك بكم فله الله نيل العظيم عليكم وعلى غيركم من خافه ومن كان كذلك فانه اذا وعد بشئ رفى به قيل انه يتفضل على الطائعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بنفرا لآ آت وقيل معناه ان بيده الفضل العظيم فلا يطلب من عند غيره ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ واذيعركم برك

وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد ( يا أيها الذين آمنوا ان تقوا الله يجعل لكم فرقا ) نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزيه والاسلام باعزاز أهله أو بياناً وظهوراً يشهر أسركم ويثبت صيتكم وأثاركم في أقطار الارض من قولهم سطع الفرقان أى طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات وشرحا للصدور أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة ( ويكفر عنكم سيئاتكم ) أى الصفات ( ويفرلکم ) ذنوبكم أى الكبار ( والله ذو الفضل العظيم ) على عباده ( واذيعركم برك

بليّة لكم ( وأن الله عنده أجر عظيم ) ثواب وافر في الجنة بالجهاد يا أيها الذين آمنوا ان تقوا الله ( فيما أسركم ونهاكم ) يجعل لكم فرقا ( نصرة ونجاة ) ( ويكفر عنكم سيئاتكم ) دون الكبار ( ويفرلکم ) سائر الذنوب ( والله ذو الفضل ) ذو المن

الذين كفروا) لما قنع الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكروا بكمرون بك وذلك ان قريشا لما أسلت الانصار فرقوا ان يتفاقم أمره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم ابليس ﴿ ٣٣ ﴾ في صورة سورة الانفال ﴿ شيخ وقال أنا شيخ من نجد دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان أحضركم وان تدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غيركوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بش الرأي يا أيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على حمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ماصنع واسترحتم فقال ابليس بش الرأي بقصد قوما غيركم ويقاثلكم بهم فقال أبو جهل لعنه الله أنا أرى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد فيفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال العيين صدق هذا الفتى هو أحوذك رأيًا تفرقوا على رأيي أي جهل مجتمعين على قتله فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يبيت

الذين كفروا ﴿ ٣٣ ﴾ تذكروا لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه الذين كفروا ﴿ ٣٤ ﴾ لما ذكر الله المؤمنين نعمهم عليهم بقوله تعالى واذكروا اذ أنتم قليل ذكركم على الله وسلم نعمه عليه فيما جرى عليه بمكة من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل ان يهاجر الى المدينة والمعنى واذكر يا محمد اذ يكرهك الذين كفروا وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير قالوا جميعا ان قريشا فرقوا لما أسلت الانصار ان يتفاقم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهر فاجتمع نفر من كفار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأبوسفیان وطعينة بن عدى والنضر بن الحرث وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونيبه ومنبه ابنا الحجاج وأمية بن خلف فاعتزمهم ابليس في صورة شيخ فلما رأوه قالوا له من أنت قال أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان أحضركم ولن تدموا مني رأيا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال أبو البختري أما أنا فأرى ان تأخذوا محمدا وتحبسوه في بيت مقيد او تشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غيركوة تلقون منها طعامه وشرابه وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كاهلك من قبله من الشعراء فصرخ عدو الله ابليس وهو الشيخ النجدي وقال بش الرأي رأيي لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فيوشك ان يثبوا عليكم فيقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقام هشام بن عمرو من بين حاضرين لؤي فقال أما أنا فأرى ان تحملوه على بسير وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ماصنع وأين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال ابليس اللعين ما هذا لكم برأيي تسمدون الى رجل قد أفسد أحلامكم فتخرجونه الى غيركم فيفسدهم ألم تروا الى جلاوة منطقته وطلاقة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه والله لئن فطمتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال أبو جهل والله لا سيرون عليكم برأيي ما أرى غيره اتي أرى ان تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيا وسطافيا ثم نعطي كل فتى سيفا صارما ثم يضربوه جميعا ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ولا أظن هذا الحى من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها وانهم اذا أرادوا ذلك قالوا العقل فتؤدى قريش دينه فقال ابليس اللعين صدق هذا الفتى هو أحوذك رأيًا والقول ما قال لا أرى غيره تفرقوا على قول أبي جهل وهم مجتمعون عليه فأتى جبريل

الذين كفروا ﴿ ٣٤ ﴾ تذكروا لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه الذين كفروا ﴿ ٣٥ ﴾ لما ذكر الله المؤمنين نعمهم عليهم بقوله تعالى واذكروا اذ أنتم قليل ذكركم على الله وسلم نعمه عليه فيما جرى عليه بمكة من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل ان يهاجر الى المدينة والمعنى واذكر يا محمد اذ يكرهك الذين كفروا وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير قالوا جميعا ان قريشا فرقوا لما أسلت الانصار ان يتفاقم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهر فاجتمع نفر من كفار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأبوسفیان وطعينة بن عدى والنضر بن الحرث وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونيبه ومنبه ابنا الحجاج وأمية بن خلف فاعتزمهم ابليس في صورة شيخ فلما رأوه قالوا له من أنت قال أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان أحضركم ولن تدموا مني رأيا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال أبو البختري أما أنا فأرى ان تأخذوا محمدا وتحبسوه في بيت مقيد او تشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غيركوة تلقون منها طعامه وشرابه وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كاهلك من قبله من الشعراء فصرخ عدو الله ابليس وهو الشيخ النجدي وقال بش الرأي رأيي لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فيوشك ان يثبوا عليكم فيقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقام هشام بن عمرو من بين حاضرين لؤي فقال أما أنا فأرى ان تحملوه على بسير وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ماصنع وأين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال ابليس اللعين ما هذا لكم برأيي تسمدون الى رجل قد أفسد أحلامكم فتخرجونه الى غيركم فيفسدهم ألم تروا الى جلاوة منطقته وطلاقة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه والله لئن فطمتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال أبو جهل والله لا سيرون عليكم برأيي ما أرى غيره اتي أرى ان تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيا وسطافيا ثم نعطي كل فتى سيفا صارما ثم يضربوه جميعا ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ولا أظن هذا الحى من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها وانهم اذا أرادوا ذلك قالوا العقل فتؤدى قريش دينه فقال ابليس اللعين صدق هذا الفتى هو أحوذك رأيًا والقول ما قال لا أرى غيره تفرقوا على قول أبي جهل وهم مجتمعون عليه فأتى جبريل

في مضجعه وأذن له الله في الحجرة فأسر عليا (قا وخا لث) فنام في مضجعه وقال له اتسمع يردني فانه لن يخلص اليك أمر تكرر هذباتا مرصدين فلما أصبحوا صاروا الى مضجعه فأبصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل الله مكرهم

في دار الندوة (الذين كفروا) أبو جهل وأصحابه

من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذا ذكر اذيعكرون بك ﴿ ليثبتوك ﴾ بالوفاق أو الحبس أو الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى أثبتته لاجراكه به ولا براح وقرى ليثبتوك بالتشديد وليثبتوك من اليسات وليقيدوك ﴿ أو يقتلوك ﴾ بسيفهم ﴿ أو يخرجوك ﴾ من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرغوا فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدوا مني رأيا ونصحا فقال ابو الجحزي رأيي ان نجسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بثس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان نحملاه على جبل فنخرجوه من ارضكم فلا يضركم ماصنع فقال بثس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل اتااري ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنوهاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا القتل علقناه فقال صدق هذا الفقي فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبي عليهما السلام واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله تعالى عنه في مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله تعالى عنه الى الغار ﴿ ويعكرون ويعكر الله ﴾ برد مكرهم عليهم أو بمجازاتهم عليه أو بمعاملة الماكريين

( ليثبتوك ) ليجبسوك  
ويوثقوك ( أو يقتلوك )  
بسيفهم ( أو يخرجوك )  
من مكة ( ويعكرون ) ويخفون  
المكائله ( ويعكر الله ) ويخفي  
الله ما أعد لهم حتى يأتيهم

صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه وأذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب أن يبيت في مضجعه وقال له انشع يردني فانه لن يخلص اليك منهم أمر تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب وأخذ الله عز وجل أبصارهم عند فخرج وجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يقرأ أنا جعلنا في أعناقهم أغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وأبو بكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي قبلها وكانت الودائع توضع عنده لصديقهم وأمانته قالوا وبات المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون أنه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا ثاروا اليه ليقتلوه فأرأوه عليا فقالوا له أين صاحبك قال لا أدري فاقتفوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار رأوا عليا به نسج العنكبوت فقالوا لودخله لم يكن النسج العنكبوت على بابه أثر فكث في الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة فذلك قوله سبحانه وتعالى واذا يعركون الذين كفروا وأصل المكر احتيال في خفية ﴿ ليثبتوك ﴾ أي ليجبسوك ويوثقوك لان كل من شديداً وأوثقه فقد أثبتته لانه لا يقدر على الحركة هو أو يقاتلوك يعني كما أشار اليهم أبو جهل ﴿ أو يخرجوك ﴾ يعني من مكة ﴿ ويعكرون ﴾ يعني ويحتالون ويدبرون في أمرك ﴿ ويعكر الله ﴾ يعني ويحازيهم الله جزاء مكرهم فسمى الجزء مكر لانه في مقابله وقيل معناه وبما هم الله بمعاملة مكرهم والمكر هو التدبير وهو من الله تعالى التدبير بالحق والمعنى أنهم احتالوا في ابطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه

( ليثبتوك ) ليجبسوك سجننا  
وهو ما قال عمرو بن هشام  
( أو يقتلوك ) جميعا وهو  
ما قال أبو جهل بن هشام  
( أو يخرجوك ) طردا وهو  
ما قال أبو الجحزي بن هشام  
( ويعكرون ) يريدون قتل  
وهلاكك يا محمد ( ويعكر الله )  
يريد الله قتلهم وهلاكهم

بنته (والله خير الماكرين) أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأنيبا كان عليه السلام يقرأ القرآن ويذكر أخبار القرون الماضية في قراءته فقال النضر بن الحرث لوشئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بسنخه حديث رسم وأحاديث الجهم فنزل (واذا تلى عليهم ﴿ ٣٥ ﴾ آياتنا) أي { سورة الانفال } القرآن ( قالوا قد سمعنا

لوشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الأساطير الاولين) وهذا سلم منهم ووقاحة هو إلى أن يأتي سورة واحدة من مثل هذا القرآن فلم يأتوا به (واذا قالوا اللهم ان كان هذا) أي القرآن (هو الحق من عندك) هذا اسم كان وهو فصل والحق خبر كان روى ان النضر لما قال ان هذا الأساطير الاولين قال لما نسي عليه السلام وبك هذا كلام الله فرقع النضر رأسه إلى السماء وقال ان كان هذا هو الحق من عندك (فأمطر علينا بجارة من السماء) أي ان كان القرآن هو الحق فأتينا على انكاره بالهيل كافتت باصحاب القيل (أو أئتنا بذاب أليم) نوع آخر من جنس الذباب الاليم قتل يوم بدر صبرا يوم بدر (والله خير الماكرين) اقوى المهلكين (واذا تلى) تقرأ (عليهم) على النضر بن الحرث وأصحابه (آياتنا) بالاسم والنهي (قالوا قد سمعنا) ما قال محمد عليه السلام

معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى جلوا عليهم فقتلوا ﴿ والله خير الماكرين ﴾ اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا الى الله انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من إيهام الذم ﴿ واذا تلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لوشاء لقلنا مثل هذا ﴾ هو قول النضر بن الحرث واسناده الى الجميع اسناد مافله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصمهم أو قول الذين اتهموا في امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وقرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فامتهم ان يشاؤا وقد تدهام وقرعهم بالجزع عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يصارضوا سواء مع انفتهم وفرط استكافهم ان يظلبوا خصوصا في باب البيان ﴿ ان هذا الاساطير الاولين ﴾ ماسطره الاولون من القصص ﴿ واذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا بجارة من السماء أو أئتنا بذاب أليم ﴾ هذا ايضا من كلام ذاك القائل ابلغ في الجحود روى انه لما قال النضر ان هذا الاساطير الاولين قال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

وتعالى اظهره وقواه والنصره فضاع فطهم وتديدهم وظهر فعل الله وتديده ﴿ والله خير الماكرين ﴾ فان قلت كيف قال الله سبحانه وتعالى والله خير الماكرين ولا خير في مكرهم قلت يحتمل أن يكون المراد والله اقوى الماكرين فوضع خير موضع اقوى وفيه تنبيه على ان كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل أن يكون المراد ان مكرهم فيه خير بزعمهم فقال سبحانه وتعالى في مقابله والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله خير مطلقا ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذا تلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لوشاء لقلنا مثل هذا ﴿ نزلت في النضر بن الحرث بن علقمة من بني عبد الدار وذلك انه كان يختلف الى أرض فارس والحيرة ويسمع أخبارهم عن رسم واسفنديار وأحاديث المعجم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم يقرؤون النوراة والابجيل ويركعون ويسجدون ويبكون فلما جاء مكة وجد النبي صلى الله عليه وسلم قد أوحى اليه وهو يقرأ ويصلي فقال النضر بن الحرث قد سمعنا معنى مثل هذا الذي جاء به محمد لوشاء لقلنا مثل هذا فذمهم الله بدفعهم الحق الذي لاشبهه فيه بادعائهم الباطل بقولهم لوشاء لقلنا مثل هذا بعد التصدي وأبان عجزهم عن ذلك ولو قدر واما تخلفوا عنه وهم أهل الفصاحة وفرسان البلاغة فبان بذلك كتبهم في قولهم لوشاء لقلنا مثل هذا ﴿ ان هذا الاساطير الاولين ﴾ يعني أخبار الماضين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ واذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا بجارة من السماء أو أئتنا بذاب أليم ﴿ نزلت في النضر بن الحرث أيضا قال ابن عباس لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن القرون الماضية قال النضر بن الحرث لوشئت لقلت مثل

(لوشاء لقلنا مثل هذا) مثل ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم (ان هذا) ما هذا الذي يقول محمد صلى الله عليه وسلم (الا أساطير) أحاديث (الاولين) وأخبارهم (واذا قالوا) قال ذلك النضر (اللهم ان كان هذا) الذين يقول محمد عليه السلام (هو الحق من عندك) أن ليس لك ولد ولا شريك (فأمطر علينا) على النضر (بجارة من السماء أو أئتنا بذاب أليم) وجميع قتل يوم بدر



وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قوى قومك قالوا لرسول الله عليه السلام حين دعاهم إلى الحق أن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق فاهدنا له (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم لأنك بشت رحمة لآل ابن مسعود أن لا يعذب قومًا عذاب استئصال مادام نبيهم بين أظهرهم وفيه أشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) هو في موضع الحال ومعناه نفى الاستغفار عنهم أي ولو على كانوا بمن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم أو معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفرونهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

سبأ (وما كان الله ليعذبهم) ليهلكهم أبا جهل وأصحابه (وأنت فيهم) مقيم (وما كان الله معذبهم) مهلكهم (وهم يستغفرون) يريدون أن

ويك أن كلام الله فقال ذلك والمعنى إن كان هذا القرآن حقًا منزلًا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره أو اثنتا بعباد اليم سواء والمراد منه التهمك وأظهر اليقين والجزم التام على كونه باطلاً وقرئ الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على أن المعلق به كونه حقًا بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيهه لا الحق مطلقًا لتجوزهم أن يكون مطابقًا للواقع غير منزل كاساطير الأولين ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴿بيان لما كان الموجب لا مهالهم والتوقف لأجابه دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم عذاب استئصال

هذا فقال له عثمان بن مظعون اتق الله فان محمداً صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وأنا أقول الحق قال فان محمداً صلى الله عليه وسلم يقول لا اله الا الله قال وأنا أقول لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعني الاصنام ثم قال اللهم ان كان هذا هو الحق يعني القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني ان كان الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من أمر التوحيد وادعاء النبوة وغير ذلك هو الحق فامطر علينا حجارة من السماء يعني كما أمطرتها على قوم لوط أو اثنتا بعباد اليم يعني مثل ما عذبت به الأمم الماضية وفي النظر بن الحرث نزل سأل سائل بعذاب واقع قال عطاء لقد نزل في النظر بن الحرث بضع عشرة آية فحقق به ما سأل من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبيرة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثة من قریش صبرا طعيرة بن عدى وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث وروى أنس بن مالك أن الذي قال ذلك أبو جهل (ق) عن أنس قال قال أبو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الآية فلما أخرجوه نزلت ومالههم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ اختلفوا في معنى هذه الآية فقال محمد بن اسحق هذه الآية متصلة بما قبلها وهي حكاية عن المشركين وذلك أنهم قالوا ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفرون ولا يعذبنا أمة ونبيها معها فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكره جهالتهم وغرهم واستفاحتهم على أنفسهم واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ ثم قال تعالى ردا عليهم ومالههم الا يعذبهم الله وان كنت بين أظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام وقال آخرون هذا كلام مستأنف يقول الله عز وجل اخبارا عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم واختلفوا في معناه فقال الضحاك وجاعة تأويلها وما كان الله ليعذبهم وأنت يا محمد مقيم فيهم بين أظهرهم قالوا نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ثم لما خرج منها بقي بقية من المسلمين يستغفرون فانزل الله عز وجل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم لما خرج أولئك المسلمون من بين أظهر الكافرين أذن الله في فتح مكة فهو العذاب

(الذي)

والتي عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم خارج عن طاعته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم إما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين أو قولهم اللهم اغفر غفرك أو غفرته على معنى لو استغفروا لم يذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلطون ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾ ومالهم مما ينع تمذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون

الذي وعدهم وقال ابن عباس لم يذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين آمنوا معه ويطلق بحيث أمر فقال الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقيم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله لهم ومالهم ألا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع إلى المشركين وذلك أنهم كانوا يقولون بعد فراقهم من الطواف غفرانك غفرانك وقال زيد بن رومان قالت قريش اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا جارة من السماء فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا اغفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال قتادة والسدى معناه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أي لو استغفروا ولكنهم لم يكونوا مستغفرين ولو أقرروا بالذنب واستغفروا الله لكانوا مؤمنين وقيل هذا دواء لهم إلى الإسلام والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لعبد لا أعاقبك وأنت تطيعني أي أطعني حتى لا أعاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون أي يسألون يعني لو أسألو لما عذبوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله العناية أنه يؤمن ويستغفر مثل أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون أي وفي أصلاهم من يستغفر وقيل في معنى الآية أن الكفار لما بالوا وقالوا إن كان محمد محقق قوله فامطر علينا جارة من السماء أخبر الله سبحانه وتعالى أن محمدا محق في قوله وأنه مع ذلك لا يعطر على أعدائه ومنكرى نبوته جارة من السماء ما دام بين أظهرهم وذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا أنه إذا كانت أقامته مانعة من نزول العذاب بهم فكيف كان في غير هذه الآية قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم فالجواب أن المراد من العذاب الأول هو عذاب الاستئصال والمراد من العذاب الثاني وهو قوله سبحانه وتعالى يعذبهم الله بأيديكم هو عذاب القتل والسبي والاسر وذلك دون عذاب الاستئصال قال أهل المعاني دلت هذه الآية على أن الاستغفار أمان وسلامة من العذاب عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أنزل على أمانين لامتى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة أخرجه الترمذي ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾ يعني أي شيء يمنعهم من أن يعذبهم يعني بعد خروجك من بين أظهرهم لأنه سبحانه وتعالى بين في الآية الأولى أنه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم بين أظهرهم وبين في هذه الآية أنه معذبهم ثم اختلفوا في هذا العذاب فقيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل أراد به عذاب الآخرة وقيل أراد بالعذاب الأول عذاب الاستئصال وأراد بالعذاب

من المستضعفين ( ومالهم  
ألا يعذبهم الله ) أي وما كان  
الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو  
معذبهم إذا فارقتهم ومالهم  
ألا يعذبهم الله

يؤمنوا ( ومالهم ألا يعذبهم  
الله ) أن لا يهلكهم الله بعدما

(وهم يصدون عن المسجد الحرام) وكيف لا يذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية { الجزء التاسع } واخراجهم ﴿ ٣٨ ﴾ رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا

يقولون نحن ولالة البيت والحرام فنصد من نشاء وندخل من نشاء فقبل (وما كانوا أولياؤه) وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولالة أسرار الحرم (أن أولياؤه الا المتقون) من المسلمين وقيل الضميران راجعان الى الله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك كانه استثنى من كان يعلم وهو عابداً و أراد بالاكثر الجيع كإبراد بالقلة المدم (وما كان صلاتهم عند البيت الامكاه) صغيرا كصوت المكاه وهو طائر ملب الصوت وهو فعال من مكاه إذا صفر (وتصدية) وتصفيقا تفعلة من الصدى وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله

خرجت من بين أظهرهم (وهم يصدون) محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه (عن المسجد الحرام) ويطوفون حوله عام الحديبية (وما كانوا أولياؤه) أولياء المسجد

﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ وحالهم ذلك ومن صدم عنه الجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية ﴿وما كانوا أولياؤه﴾ مستحقين ولاية امره مع شركهم وهورحلا كانوا يقولون نحن ولالة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ﴿وان أولياؤه الا المتقون﴾ من الشرك الذين لا يصدون فيه غيره وقيل الضمير ان الله ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ان لا ولاية لهم عليه كانه نبيه بالاكثر على ان منهم من يعلم ويعاند أو اراد به الكل كما يراد بالقلة المدم ﴿وما كان صلاتهم عند البيت﴾ أى دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يصفون موضعها ﴿الامكاه﴾ صغيرا فعال من مكاه إذا صفره وقرئ بالقصر كالبكاء ﴿وتصدية﴾ تصفيقا تفعلة من الصدى أو من الصدى على ابدال احد حر في التضعبن بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فانها لاتليق بمن هذه صلاته روى أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

الثاني العذاب بالسيف وقيل أراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب الآخرة وقال الحسن الآية الاولى وهى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله ومالهم ألا يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخلها النسخ ثم بين ما لاجله يعذبهم فقال تعالى ﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ يعنى وهم يمتنعون المؤمنين عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية ﴿وما كانوا أولياءه﴾ قال الحسن كان المشركون يقولون نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا أولياؤه يعنى ليسوا أولياء المسجد الحرام ﴿وان أولياؤه الا المتقون﴾ يعنى المؤمنين الذين يتقون الشرك ﴿ولكن أكثرهم﴾ يعنى المشركين ﴿لا يعلمون﴾ ذلك ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وما كان صلاتهم عند البيت الامكاه وتصدية﴾ لما ذكر الله عز وجل ان الكفار ليسوا بأولياء للبيت الحرام ذكر عقبه السبب فى ذلك وهوان صلاتهم عنده كانت مكاه وتصدية والمكاه فى اللغة الصغير يقال مكاه الطير يمكو اذا صفر والمكاه اسم طير أبيض يكون بالحجاز له صفير وقيل هو طائر يألف الريف سمى بذلك لكثرة مكاهه يعنى صفيره والتصدية التصفيق وفى أصله واشتقاقه قولان أحدهما انه من الصدى وهو الصوت الذى يرجع من الجبل كالجيب للمتكلم ولا يرجع الى شئ الثاني قال أبو عبيدة أصله تصددة فابدلت الياء من الدال قال الازهرى والمكاه والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله سبحانه وتعالى أخبر أنهم جعلوا مكان الصلاة اتى أمرها بها المكاه والتصدية قال حسان بن ثابت • صلاتهم التصدية والمكاه • قال ابن عباس كانت قریش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون

(ان أولياؤه) ما أولياؤه (الامتقون) الكفرو والشرك والقوا حش محمداً عليه السلام وأصحابه (ولكن أكثرهم) (وقال) كلهم (لا يعلمون) ذلك ولا يصدون به (وما كان صلوتهم) لم تكن عبادتهم (عند البيت الامكاه) صغيرا كصغير المكاه (وتصدية) تصف

ان يصلى يخلطون عليه ويرون أنهم يصلون ايضا ﴿ فذوقوا العذاب ﴾  
يعنى القتل والاسر يوم بدر وقبل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان تكون للعهد  
والمعهود اثنا بمذاب ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ اعتقادا وعلا ﴿ ان الذين كفروا  
ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله ﴾ نزلت في المطعنين يوم بدر وكانوا اثني  
عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جذر اوفى ابى سفيان  
استأجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وافق عليهم اربعين

عليه وسلم في صلاته يخلطون  
عليه ( فذوقوا العذاب )  
عذاب القتل والاسر يوم  
بدر ( بما كنتم تكفرون )  
بسبب كفركم ونزل  
في المطعنين يوم بدر وكانوا  
اثني عشر رجلا وكلهم  
من قريش وكان يطعم كل  
واحد منهم كل يوم عشر  
جذور ( ان الذين كفروا  
ينفقون اموالهم ليصدوا عن  
سبيل الله ) اى كان غرضهم  
في الاتفاق الصد عن اتباع  
محمد صلى الله عليه وسلم وهو

وقال مجاهد كان نفر من بنى عبد الدار يمارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف  
ويستهزؤن به ويدخلون أصابهم في أفواههم ويصفرون فالمكاه جعل الاصابع في الشدق  
والتصدية الصقير وقال جعفر بن ربيعة سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله الامكاه  
وتصدية فجمع كفيه ثم تقخ فيهما صفرا وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا  
دخل المسجد قام رجلان عن يمينه يصفران ورجلان عن يساره يصفقان ليخلطوا  
على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته وهم من بنى عبد الدار قتلى قول ابن عباس كان  
المكاه والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع أذى للنبي صلى الله عليه وسلم  
وقول ابن عباس أصح لان الله سبحانه وتعالى سمي ذلك صلاة فان قلت كيف سماها  
صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة قلت انهم كانوا يعتقدون ذلك المكاه والتصدية  
صلاة فخرج ذلك على حسب معتقدهم وفيه وجه آخر وهوان من كان المكاه والتصدية  
صلاته فلا صلاته فهو كقول العرب من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن  
جبير التصدية صدم المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فلى هذا التصدية  
من الصد وهو المنع ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ فذوقوا العذاب ﴿ يعنى عذاب القتل  
والاسر في الدنيا وقيل يقال لهم في الآخرة فذوقوا العذاب ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ يعنى  
بسبب كفركم في الدنيا ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا  
عن سبيل الله ﴿ لما ذكر الله سبحانه وتعالى عبادة الكفار البدنية وهى المكاه والتصدية  
ذكر عقبها عبادتهم المالية التى لا جدوى لها في الآخرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت  
في المطعنين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن  
عبد شمس ونيبه ومنبه ابنا الحجاج وأبو الجخري بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن  
حزام وأبى بن خلف وزمعة بن الاسود والحرث بن عامر بن نوفل والمباس بن عبد  
المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزر وأسلم  
من هؤلاء المباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام وقال  
الحكم بن عتبة نزلت في أبى سفيان بن حرب حين أنفق على المشركين يوم أحد أربعين  
أوقية كل أوقية اثنان وأربعون مثقالا وقال ابن أبى استأجر أبو سفيان يوم أحد الفين  
ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب وقيل استأجر  
يوم أحد الفين من الاحابيش من كنانة فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل

( فذوقوا العذاب يوم بدر )  
( بما كنتم تكفرون ) بمحمد  
عليه السلام واقرآن ( ان  
الذين كفروا ) وهم المطعمون  
يوم بدر أبو جهل وأصحابه  
وكانوا ثلاثة عشر رجلا  
( ينفقون اموالهم ليصدوا )  
ليصرفوا الناس ( عن سبيل  
الله ) عن دين الله وطاعته

سبيل الله ( فسينفقونها )

تكون عليهم حسرة ) ثم

تكون عاقبة انفاقها ندما

وحسرة فكان ذاتها تصير

ندما وتنقلب حسرة ( ثم

يغلبون ) آخر الامر وهو

من دلائل النبوة لانه أخبر

عنه قبل وقوعه فكان كما

أخبر ( والذين كفروا )

والكافرون منهم ( الى جهنم

يحشرون ) لان منهم من

أسلم وحسن اسلامه واللام

في ( ليميز الله الخبيث )

الفريق الخبيث من الكفار

( من الطيب ) أي من الفريق

الطيب من المؤمنين متعلقة

بمحشرون ليميز حزة وعلى

( ويحمل الخبيث ) الفريق

الخبيث ( بعضه على بعض

فيركه جيما ) فيجمعه

( فيجمله في جهنم ) أي

الفريق الخبيث ( أولئك )

اشارة الى الفريق الخبيث

( فسينفقونها ) في الدنيا

( ثم تكون عليهم حسرة )

ندامة في الآخرة ( ثم يغلبون )

يقتلون ويهزمون يوم بدر

( والذين كفروا ) أبو جهل

وأصحابه ( الى جهنم يحشرون )

يوم القيامة ( ليميز الله الخبيث

من الطيب ) الكافر من

المؤمن والمنافق من المخلص

والطالح من الصالح ( ويحمل

الخبيث بعضه على بعض )

أوقية أو في اصحاب العير فانه لما أصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب

محمد لعلمنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله ( فسينفقونها )

بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني

اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان

مساقي الاول لبيان غرض الانفاق ومساقي الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ( ثم

تكون عليهم حسرة ) ندما وغما لغواتها من غير مقصود جعل ذاتها كأنها تصير

حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ( ثم يغلبون ) آخر الامر وان كان الحرب بينهم

مجالا قبل ذلك ( والذين كفروا ) أي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذا سلم بعضهم

( الى جهنم يحشرون ) يساقون ( ليميز الله الخبيث من الطيب ) الكافر من

المؤمن أو الفساد من الصلاح واللام متعلقة بمحشرون أو يغلبون أو ما انفقه المشركون

في عداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة

بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حزة والكسائي ويعقوب ليميز من التميز وهو ابلغ

من الميز ( ويحمل الخبيث بعضه على بعض فيركه جيما ) فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى

يتراكبوا لفرط ازدهامهم أو يضم الى الكافر ما انفقه ليزيده عذابه كما للكانزين

( فيجمله في جهنم ) كله ( أولئك ) اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث

لما أصيب من أصيب من قريش يوم بدر ورجع أبو سفيان بيده الى مكة مشى عبد الله بن أبي

ربيعه وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش قد أصيب آباؤهم

وأبناؤهم وأخوانهم يوم بدر فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من

قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وترككم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال

على حربه لعلمنا ندرك منه ثارنا عن أصيب منافقهم نزلت ان الذين كفروا ينفقون أموالهم

ليصدوا عن سبيل الله أي ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون أموالهم

على أمثالهم من المشركين ليحقوا بهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين

( فسينفقونها ) يعني أموالهم في ذلك الوجه ( ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ) يعني

ما أنفقوا من أموالهم يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة لان أموالهم تذهب ويغلبون ولا

يظفرون بما يؤملون ( والذين كفروا ) يعني منهم لان فيهم من أسلم ولهذا قال والذين كفروا

يعني من المنافقين أموالهم ( الى جهنم يحشرون ) يعني يساقون الى النار ( ليميز الله الخبيث

من الطيب ) يعني ليفرق الله بين فريق الكفار وهم الفريق الخبيث وبين فريق

المؤمنين وهم الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال يميز أهل السعادة

من أهل الشقاوة وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازي على العمل الخبيث

النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل المراد به انفاق الكفار في سبيل الشيطان وانفاق

المؤمنين في سبيل الله ( ويحمل الخبيث بعضه على بعض ) يعني بعضه فوق بعض

( فيركه جيما ) يعني فيجمعه جيما ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكم ( فيجمله في جهنم )

يعني الخبيث ( أولئك ) اشارة الى المنافقين في سبيل الشيطان أو الى الخبيث

( هم )

الى بعض ( فيركه ) فيجمعه ( جيما ) الخبيث ( فيجمله ) فيطرحه ( في جهنم أولئك )

(هم الخاسرون) أنفسهم وأموالهم ( قل للذين كفروا ) أى أبى سفيان وأصحابه ( ان يتنوها ) عاهم عليه من مداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام ( يغفر لهم ما قد سلف ) لهم من العداوة ( وان يسودا ) لقتاله ( فقد مضت سنت الاولين ) بالاهلاك ﴿ ٤١ ﴾ في الدنيا ﴿ سورة الانفال ﴾ والمذاب في العقي أو سناه

ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر وأسلوا غفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في ان المرتد اذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المنزوعة (وقاتلوه حتى لا تكون فتنة) الى أن لا يوجد فيهم شرك قط ( ويكون الدين كله لله ) ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده (فان انتهوا) عن الكفر وأسلوا (فان الله بما يعملون بصير ) يشيهم على اسلامهم

(هم الخاسرون) المذبذبون بالعقوبة (قل) يا محمد (للذين كفروا) أبى سفيان وأصحابه (ان يتنوها) عن الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقتال محمد صلى الله عليه وسلم ( يغفر لهم ما قد سلف ) من الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقتال محمد صلى الله عليه وسلم ( فقد مضت سنت الاولين ) خات سيرة الاولين بالنصرة لاوليائه على أعدائه مثل يوم بدر

أو الى المتقين ﴿ هم الخاسرون ﴾ الكاملون في الحسran لانهم خسروا أنفسهم وأموالهم ﴿ قل للذين كفروا ﴾ ينى أبى سفيان وأصحابه والمعنى قل لا جلهم ﴿ أن يتنوها ﴾ عن مداوة الرسول صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام ﴿ يغفر لهم ما قد سلف ﴾ من ذنوبهم وقرى بالثناء والكاف على انه خطايم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى ﴿ وأن يسودوا ﴾ الى قتاله ﴿ فقد مضت سنة الاولين ﴾ الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك ﴿ وقاتلوه حتى لا تكون فتنة ﴾ لا يوجد فيهم شرك ﴿ ويكون الدين كله لله ﴾ وتضمحل عنهم الاديان الباطلة ﴿ فان انتهوا ﴾ عن الكفر ﴿ فان الله بما يعملون بصير ﴾ فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يقوب تعملون بالثناء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم فيكون تعليقهم بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعى اثابهم للمباشرة يستدعى اثابة مقاتليهم للتسبب

﴿ هم الخاسرون ﴾ ينى أنهم خسروا الدنيا والآخرة لانهم اشتروا بأموالهم عقاب الآخرة بقوله سبحانه وتعالى ﴿ قل ﴾ ينى قل يا محمد ﴿ للذين كفروا ان يتنوها ﴾ ينى عن الشرك ﴿ يغفر لهم ما قد سلف ﴾ ينى ما قد مضى من كفرهم وذنوبهم قبل الاسلام ﴿ وان يسودوا ﴾ فقد مضت سنت الاولين ﴿ ينى في اهلاك أعدائه ونصر أوليائه ومعنى الآية ان هؤلاء الكفار ان انتهوا عن الكفر ودخلوا في دين الاسلام والتزموا شرائع غفر الله لهم ما قد سلف من كفرهم وشركهم وان عادوا الى الكفر وأصرروا عليه فقد مضت سنة الاولين باهلاك أعدائه ونصر أنبيائه وأوليائه وأجمع العلماء على ان الاسلام يجب ما قبله واذا أسلم الكافر لم يلزمه شيء من قضاء العبادات البدنية والمالية وهو ساعة اسلامه كيوم ولدته أمه ينى بذلك انه ليس عليه ذنب قال يحيى بن معاذ الرازي التوحيد لم ينج عن هدم ما قبله من كفر فارجوا أن لا ينج عن هدم ما بعده من ذنب ﴿ وقاتلوه حتى لا تكون فتنة ﴾ قال ابن عباس ينى حتى لا يكون شرك وقال الحسن حتى لا يكون بلاء ﴿ ويكون الدين كله لله ﴾ ينى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وقال قتادة حتى يقال لا اله الا الله عليها قاتل نبي الله صلى الله عليه وسلم واليهادعا وقال محمد بن اسحق في قوله وقاتلوه حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ينى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد خالصا ليس فيه شرك ويخلع مادونه من الانداد والشركاء ﴿ فان انتهوا ﴾ ينى الشرك واقتن المؤمنين وايدانهم ﴿ فان الله بما يعملون بصير ﴾ ينى فان الله لا يخفى عليه شيء

(وقاتلوه) ينى كفار أهل مكة (حق) (قا و خا ٦ لث) لا تكون فتنة (الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقتال محمد عليه السلام في الحرم (ويكون الدين) في الحرم والعبادة (كله لله) حتى لا يبقى الدين الاسلام (فان انتهوا) عن الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقتال محمد صلى الله عليه وسلم ( فان الله بما يعملون) من الخير والشر (بصير

﴿وَأَنْ تُولُوا﴾ ولم يثبتوا ﴿فاعلموا أن الله مولاكم﴾ ناصركم فتقواه ولا تبالوا  
بمعاداتهم ﴿نعم المولى﴾ لا يضيع من تولاه ﴿ونعم النصير﴾  
لا يقلب من نصره

من أعمال العباد ونياتهم حتى يوصل إليهم ثوابهم ﴿وَأَنْ تُولُوا﴾ يعني وإن أعرضوا عن الإيمان  
وأصروا على الكفر وحادوا إلى قتال المؤمنين وأبناهم ﴿فاعلموا﴾ يعني أيها المؤمنون  
﴿أن الله مولاكم﴾ يعني أن الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم ﴿نعم المولى﴾  
ونعم النصير ﴿يعني أن الله سبحانه وتعالى هو نعم المولى فمن كان  
في حفظه ونصره وكفايته وكلايته فهو له  
نعم المولى ونعم النصير

(وأن تولوا) أعرضوا عن  
الإيمان ولم يثبتوا (فاعلموا  
أن الله مولاكم) ناصركم  
ومعينكم فتقوا بولايته  
وتصبرته (نعم المولى)  
لا يضيع من تولاه (ونعم  
النصير) لا يقلب من نصره  
والمنصوصون بالملح محذوف  
وأن تولوا (عن الإيمان  
(فاعلموا) يا معشر  
المؤمنين (أن الله مولاكم)  
حافظكم وناصركم  
عليهم (نعم المولى) الولي  
بالحفظ والنصرة (ونعم  
النصير) المانع





## الجزء العاشر

### اللمم ايذا بالمالكة القربين

﴿واعلموا ان ما غنمتم﴾ أي الذي اخذتموه من الكفار قهرا ﴿من شيء﴾ مما يقع عليه اسم الشيء حتى الحيط ﴿فان الله خسه﴾ مبتدأ خبره محذوف أي فثبت ان الله خسه وقرئ ﴿فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الحسن على خسة المطوفين﴾ وللرسول

﴿قوله عز وجل﴾ ﴿واعلموا ان ما غنمتم من شيء﴾ فان الله خسه وللرسول ﴿الغنم الفوز بالشيء يقال غنم غنما فهو غانم واختلف العلماء هل الغنيمة والتي اسمان لمسمى واحد أم يختلفان في التسمية فقال عطاء بن السائب الغنيمة ما ظهر المسلمون عليه من أموال المشركين فاخذوه عنوة وأما الأرض فهي في موقال سفيان الثوري الغنيمة ما أصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال وفيه الحسن وأربعة أخماسه لمن شهد الواقعة والتي ما صولحوا عليه بغير قتال وليس فيه خمس فهو لمن سمي الله وقيل الغنيمة ما أخذ من أموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والتي ما لم يوجب عليه بخيل ولا ركاب كالمشور والجزية وأموال الصلح والمهادنة وقيل ان التي والغنيمة معناهما واحد وهما اسمان لشيء واحد والصحيح انهما يختلفان فالتى ما أخذ من أموال الكفار بغير إيجاب خيل ولا ركاب والغنيمة ما أخذ من أموالهم على سبيل القهر والغلبة بإيجاب خيل عليه وركاب فذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية حكم الغنيمة فقال تعالى ﴿واعلموا ان ما غنمتم من شيء﴾ يعني من أي شيء كان حتى الحيط والحيط فان الله خسه وللرسول وقد ذكر أكابر المفسرين والفقهاء ان قوله لله افتاح كلام على سبيل التبرك وانما أضافه لنفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء وليس المراد منه ان سهم الله مفرجا لان الدنيا والآخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقادة وعطاء وإبراهيم النخعي قالوا سهم الله وسهم رسوله واحد والغنيمة تقسم

(خسة)

(واعلموا ان ما غنمتم) ما غنمتم الذي ولا يجوز ان يكتب الا مقصولا اذ لو كتب موصولا لوجب ان تكون ما كافة وغنمتم صلته والماخذ محذوف والتقدير الذي غنمتموه (من شيء) بيانه قيل حتى الحيط والحيط (فان الله خسه) والفاء اتماء دخلت لما في الذي من معنى المجازاة وان وما علمت فيه في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ تقديره فالحكم ان لله خسه (والرسول

(واعلموا) يا معشر المؤمنين (ان ما غنمتم من شيء) من الاموال (فان الله خسه) يخرج خمس الغنيمة قبل الله (والرسول) قبل

## ولدى القري

خسة أخماس أربعة أنحاسها لمن قاتل عليها وأحرزها وانحس الباقي لخسة أستاذ  
 كاذكر الله عز وجل للرسول ولدى القري واليتامى والمساكين وابن السبيل  
 وقال أبو العالية يقسم خمس الخمس على ستة أسهم سهم الله عز وجل فيصرف إلى  
 الكعبة والقول الأول أصح أي أن خمس الغنيمة يقسم على خسة أسهم سهم لرسول الله  
 صلى الله عليه وسلم كان له في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام  
 وهذا قول الشافعي وأحمد وروى الأعمش عن إبراهيم قال كان أبو بكر وعمر رضي  
 الله تعالى عنهما يعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والصلاح وقال قتادة  
 هو للخليفة وقال أبو حنيفة سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود في الخمس  
 فيقسم الخمس على الأربعة الأصناف المذكورين في الآية وهم ذوو القري واليتامى  
 والمساكين وابن السبيل وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولدى القري ﴾ يعني أن سهمها  
 من خمس الخمس لذوي القري وهم أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا  
 فيهم فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحمل لهم الصدقة وقال مجاهد  
 وعلي بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعي رحمه الله تعالى هم بنو هاشم وبنو المطلب  
 وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء وإن كانوا أخوة وبدل عليه ما روى  
 عن جبير بن مطعم قال جئت أنا وعثمان بن عفان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت  
 يا رسول الله أعطيت بني المطلب وتركنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم أعما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وفي رواية أعطيت بني  
 المطلب من خمس الخمس وتركنا وفي رواية قال جبير ولم يقسم النبي صلى الله عليه  
 وسلم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيئاً أخرجه البخاري وفي رواية أبي داود أن جبير  
 بن مطعم جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقسم من الخمس  
 في بني هاشم وبني المطلب فقلت يا رسول الله قسمت لأخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيئاً وقرابتنا  
 وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد  
 وفي رواية النسائي قال لما كان يوم خيبر رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوي القري  
 في بني هاشم وبني المطلب وترك بني نوفل وبني عبد شمس فأنطلقت أنا وعثمان بن عفان حتى أتينا  
 النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا نكر فضلهم للموضع الذي وضعك  
 الله به منهم فما بال أخواننا بني المطلب أعطيتهم وتركنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم أنا وبنو المطلب لا نفرق في جاهلية ولا اسلام وإنما نحن وهم شيء  
 واحد وشبك بين أصابعه وأختلف أهل العلم في سهم ذوي القري هل هو ثابت  
 اليوم أم لا فذهب أكثرهم إلى أنه ثابت فيعطى فقراؤهم وأغنياؤهم من خمس الخمس  
 للذكر مثل حظ الأنثيين وهو قول مالك والشافعي وذهب أبو حنيفة وأصحاب الرأي  
 إلى أنه غير ثابت قالوا سهم النسب صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القري مردود

## ولدى القري

الرسول (ولدى القري)  
 وقبل قرابة النبي صلى الله  
 عليه وسلم

واليتامى والمساكين { الجزء العاشر } ( وابن السبيل ) ﴿ ٢٦ ﴾ فانجلس كان في عهد رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله وسهم لذوي قرابته من بني هاشم وبني المطلب ودون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ النصر لقصة عثمان وجبير بن مطعم وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم ساقطون وكذلك سهم ذوى القربى وانما يعطون لفقيرهم ولا يعطى أغنيائهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه

في الخمس فيقسم خمس الغنيمة على ثلاثة أصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوى القربى مع هذه الاصناف دون أغنيائهم ووجه الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوى القربى وكذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوى القربى ولا يفضلون فقيرا على غني لان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه وألحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة غير أنهم يعطون القريب والبيد قال ويفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين والانثى مهما وقوله سبحانه وتعالى ﴿ واليتامى ﴾ جمع يتيم يعنى ويعطى من خمس الخس لليتامى واليتيم الذى له سهم في الخس هو الصغير المسلم الذى لأب له يعطى مع الحاجة اليه ﴿ والمساكين ﴾ وهم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين ﴿ وابن السبيل ﴾ وهو المسافر البعيد عن ماله فيعطى من خمس الخس مع الحاجة اليه فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم أربعة أخماسها الباقية بين الناعمين الذين شهدوا الوقعة وحازوا الغنيمة فيعطى للفارس ثلاثة أسهم سهم له وسهمان لفرسه ويعطى الراجل سهم واحد لما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم في النفل للفرس سهمين وللرجل سهم وفي رواية نحوه باسقاط لفظ النفل أخرجه البخاري ومسلم وفي رواية أبي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسهم للرجل ولفرسه ثلاثة أسهم سهم له وسهمين لفرسه وهذا قول أكثر أهل العلم وأليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحق وقال أبو حنيفة للفارس سهمان وللرجل سهم ويرضخ للسيد والتسوان والصبيان اذا حضر والقتال ويقسم العقار الذى استولى عليه المسلمون كالمقول وعند أبي حنيفة يتخير الامام في العقارين ان يقسمه بينهم وبين أن يحصله وقفاً على المصالح وظاهر الآية يدل على أنه لا فرق بين العقار والمنقول ومن قتل من المسلمين مشركاً في القتال يستحق سلبه من رأس الغنيمة لما روى عن أبي قتادة أن رسول الله

عليه وسلم يقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله وسهم لذوي قرابته من بني هاشم وبني المطلب ودون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ النصر لقصة عثمان وجبير بن مطعم وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم ساقطون وكذلك سهم ذوى القربى وانما يعطون لفقيرهم ولا يعطى أغنيائهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ( واليتامى ) ولقبيل اليتامى غير يتامى بن عبد المطلب ( والمساكين ) ولقبيل المساكين غير مساكين بن عبد المطلب ( وابن السبيل ) ولقبيل الضيف والمحتاج كأنما من كان وكان يقسم الخس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم سهم للنبي عليه السلام وهو سهم الله وسهم للقرابة لان النبي عليه السلام كان يعطى قرابته لقبيل الله وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل فعلامات النبي صلى الله عليه وسلم سقط سهم

النبي صلى الله عليه وسلم والذى كان يعطى للقرابة بقول أبي بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ( صلى الله )

فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنوهاشم لا تشكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرايت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه الصلاة والسلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا في اسلام وهبك بين اصابعه وقيل بنوهاشم وحدهم وقيل جميع قريش والفقير والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السيل وقيل الخمس كله لهم وقيل المراد باليتامى والمساكين وابن السيل من كان منهم والطف بالخصيص والآية نزلت ببدر وقيل الخمس كان في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من

صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيل الله عليه بيعة فله سلبه أخرجه الترمذي وأخرجه البخاري ومسلم في حديث طويل والسلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح والفرس الذي كان راكبه ويحوز للامام ان ينقل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عثاء وبلاء يكون منهم في الحرب يخصهم به من بين سائر الجيش ثم يحملهم أسوة الجماعة في سائر الغنيمة (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينقل بعض من يبعث من السرايا لانفسهم خاصة سوى عامة الجيش عن حبيب بن سلمة الفهري قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل الرمح في البداية والثلاث في الرجعة أخرجه أبو داود اختلف العلماء في أن النفل من أين يسقط فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال الشافعي وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبادة بن الصامت قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وبرة من خضب بعير فقال أيها الناس انه لا يحل لي عما أفاء الله عليكم قدر هذه الا الخمس والخمس مردود عليكم أخرجه النسائي وقال قوم هو من الاربعة الاخماس بعد افراز الخمس كسهم النزاة وهو قول أحمد واسحق وذهب قوم الى أن النفل من رأس الغنيمة قل الغنيميس كالسلب للمقاتل وأما النبي وهو ما أصابه المسلمون من أموال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب بأن سألهم على مال يؤدونه وكذلك الجزية وما أخذ من أموالهم اذا دخلوا دار الاسلام لا تجارة أو يموت أحد منهم في دار الاسلام ولا وارث له فهذا كله في مال النبي كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة حياته وقال عمر أن الله سبحانه وتعالى قد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا النبي بشئ لم يخص به أحدا غيره ثم قرأ عمرو ما أفاء الله على رسوله منهم الآية فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وكان يتفق على أهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال ثم ما بقي يحمله يحمل مال الله في الكراع والسلاح واختلف أهل العلم في مصرف النبي بمدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للأمة بعده وللإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه فيه قولان أحدهما انه للمقاتلة الذين أبنت أسماؤهم في ديوان الجهاد لانهم هم القاتلون مقام النبي صلى الله عليه وسلم في ارباب العدو والقول الثاني انه لصالح المسلمين وبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم ثم بالاهم

كان على ستة لله والرسول  
سهمان وسهم لا قربة  
فأجرى أبو بكر رضي الله  
عنه الخمس على ثلاثة وكذا  
عمرو من بعده من الخلفاء  
رضي الله عنهم ومعنى الله  
والرسول لرسول الله كقوله  
والله ورسوله أحق أن يرضوه

أكل نبي طعمة في حياته فاذا  
مات سقطت فلم يكن بعده  
لاحد وكان يقسم أبو بكر  
وعمر وعثمان وعلى في خلافتهم  
الخمس على ثلاثة أسهم سهم  
للنبي غير يتامى بني عبد  
المطلب وسهم للمساكين  
غير مساكين بني عبدالمطلب  
وسهم لابن السيل للضيف  
والمحتاج

(ان كنتم آمنتم بالله) فاعلموا به وارضوا به هذه القسمة قال ايمان يوجب الرضا بالحكم والعمل بالعلم (وما أنزلنا) معطوف على يا أي ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل { الجزاء المأثر } (على عبدنا يوم الفرقان) ﴿ ٤٨ ﴾ يوم بدر (يوم التقى الجمعان) الفرقان

شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ﴿ أن كنتم آمنتم بالله ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا أي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخس لهؤلاء فسلوه اليهم واقتسموا بالآخاس الأربعة الباقية فان العلم العمل إذا أمر بلم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالمرض والمقصود بالذات هو العمل ﴿ وما أنزلنا على عبدنا ﴾ محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرى عبدنا بضمين أي الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿ يوم الفرقان ﴾ يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل ﴿ يوم التقى الجمعان ﴾ المسلمون والكفار ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة ﴿ اذا تم بالعدوة الدنيا ﴾ بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب ﴿ وهم بالعدوة القصوى ﴾ البعدي من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه

من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ وهو بدل من يوم الفرقان (والله على كل شيء قدير) يقدر على ان ينصر القليل على الكثير كما فعل بكم يوم بدر (اذا تم) بدل من يوم الفرقان والتقدير اذكروا اذا تم (بالعدوة)

شط الوادي وبالكسر فيها مكى وأبو عمرو (الدنيا) القرى الى جهة المدينة تأنيث الادنى (وهم بالعدوة القصوى) البعدي عن

( ان كنتم ) اذ كنتم ( آمنتم بالله وما أنزلنا ) وبما أنزلنا ( على عبدنا ) محمد عليه السلام ( يوم الفرقان ) وبوم الدولة والنصرة للمحمد وأصحابه ويقال يوم الفرقان يوم فرق بين الحق والباطل وهو يوم بدر حكم بالنصرة والغنية للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والقتل والهزيمة لابي جهل وأصحابه ( يوم التقى الجمعان ) جمع محمد عليه السلام وجمع ابي سفيان ( والله على كل شيء ) من النصرة والغنية للنبي

قالهم من المصالح واختلف أهل العلم في تخميس التي فذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه الى أنه يتخمس وخمسة لاهل الخس من الغنية على خمسة أسهم وأربعة أخاسه للمقاتلة والمصالح وذهب الاكثرون الى أنه لا يتخمس بل يصرف جميعه مصرفا واحدا لجميع المسلمين فيه حق . عن مالك بن أنس قال ذكر عمر يوما التي فقال ما أنا أحق بهذا التي منكم وما أحدنا أحق به من الآخر الا أنا على منازلنا من كتاب الله وقسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل وعياله والرجل وحاجته أخرجه أبو داود وأخرج البغوي بسنده عنه انه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم الا له في هذا التي حق الا ما ملكت أيانكم وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ان كنتم آمنتم بالله ﴾ يعني واعلموا أيها المؤمنون ان خمس الغنية مصروفة الى من ذكر في هذه الآية من الاصناف فاقطعوا عند أطعامكم واقنعوا بأربعة أخاس الغنية ان كنتم آمنتم بالله وصدقتم بوحدانيته ﴿ وما أنزلنا على عبدنا ﴾ يعني وآمنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اضافة تشريف وتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم والذي أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يستلونك عن الانفال الآية ﴿ يوم الفرقان ﴾ يعني يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله عز وجل فيه بين الحق والباطل ﴿ يوم التقى الجمعان ﴾ يعني جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر وهو أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة أولسبع عشرة من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون مابين الالف والتسمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين وأمر منهم مثل ذلك ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ يعني على نصركم أيها المؤمنون مع قتلكم وكثرة أعدائكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ اذ كنتم أي اذكروا نعمة الله عليكم يا مشر المسلمين اذا كنتم ﴿ بالعدوة الدنيا ﴾ يعني بشفير الوادي الادنى من المدينة والدنيا هنا تأنيث الادنى ﴿ وهم ﴾ يعني المشركين ﴿ بالعدوة القصوى ﴾

صلى الله عليه وسلم وأصحابه والهزيمة لابي جهل وأصحابه (قديرا اذا كنتم) يا مشر المؤمنين ( يعني ) ( بالعدوة الدنيا ) القرى الى المدينة دون الوادي (وهم) يعني أبا جهل وأصحابه ( بالعدوة القصوى ) البعدي من

المدينة تأييد الاقصى وكلتا هاتين من بنات الواو والقياس قلب الواو يا كالطيا تأييد الاعلى وأما القصوى فكانت قود في مجيئه على الاصل (والركب) أى الدير وهو جرجع راكب في المعنى (أسفل منكم) نصب على الطرف أى مكانا أسفل من مكانكم يعنى فى أسفل الوادى بثلاثة أميال وهو من نوسع المحل لانه خرا المبتدأ (ولوتواعدتم) أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال (لاختلفتم في الميعاد) لخالف بعضكم بعضا فبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما فى قلوبهم من توب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ سورة الانفال ﴾ والمسلمين فلم يتفق لكم من

التلاقى ما وفقه الله وسبب له (ولكن) جمع بينكم بلا ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مقصولا) من اعزاز دينه واعلاء كلمته واللام تعلق بمخدوف أى ليقضى الله أمرا كان ينبغي ان يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعداءه بذلك قال النبي أبو منصور رجما لله القضاء

يحتمل الحكم أى ليحكم ما قد علم انه يكون كائنا أوليتم أمرا كان قد أراحه وما أراد كونه فهو مقول لا محالة وهو عز الاسلام وأهله وذل الكفر وحزبه وينعلق بيقضى (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) حتى نافع وأبو عمرو فالادغام لاتقاء الماثين والاظهار لان حركة الثانى غير

المدينة من خام الوادى (والركب) العير أبو سفيان وأصحابه (أسفل

قلب الواو يا كالطيا والعلية تفرقة بين الاسم والصيغة فجاء على الاصل كالقود وهو أكثر استعمالا من القصية (والركب) أى الدير أو قوادها (أسفل منكم) فى مكان أسفل من مكانكم يعنى الساحل وهو منصوب على الطرف واقع موقع الخبر والجللة حال من الطرف قبله وقادتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا سراكرهم ويبدلوا متتهى جهدهم وضرب شأن المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة ولذا ذكر مراكز الفريقين فان العدو الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدو القصوى وكذا قوله ﴿ ولوتواعدتم لاختلفتم في الميعاد ﴾ أى اوتواعدتم انتم وهم القتال ثم علمت حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هبة منهم وبأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الاضما من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ﴿ ولكن ﴾ جمع بينكم على هذه الحالة من غير ميعاد ﴿ ليقضى الله أمرا كان مقصولا ﴾ حتى يقابلان يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعداءه وقوله ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ﴾ بدل منه أو متعلق بقوله

يعنى بشفير الوادى الاقصى من المدينة مما يلي مكة والقصوى تأييد الاقصى (والركب أسفل منكم) يعنى بأصحابه وأصحابه وهم غير قريش التى خرجوا لاجلها وكانوا فى موضع أسفل من موضع المؤمنين الى ساحل البحر على ثلاثة أميال من بدر ﴿ ولوتواعدتم ﴾ يعنى أنتم والمنركون ﴿ لاختلفتم في الميعاد ﴾ وذلك ان المسلمين خرجوا ليأخذوا المير وخرج الكفار لينمواها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد والمعنى ولوتواعدتم أنتم والكفار على القتال لاختلفتم انتم وهم لقتلكم وكثرة عدوكم ﴿ ولكن ﴾ يعنى ولكن الله حكمكم على غير ميعاد ﴿ ليقضى الله أمرا كان مقصولا ﴾ يعنى من نصر أوليائه وعزاد دينه واهلاك أعداءه وأعداء دينه ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ﴾ يعنى يموت من مات عن بينة رآها وعبرة عاجبها وجهة قامت عليه ﴿ ويحيى من حي عن بينة ﴾ يعنى ويعيش من عاش عن بينة رآها وعبرة شاهدها وجهة قامت عليه وقال محمد ابن اسحق

منكم) على شط البحر ثلاثة أميال (ولو) (قا و خا ٧ لث) تواعدتم) فى المدينة للقتال (لاختلفتم في الميعاد) فى المدينة ذلك (ولكن ليقضى الله) ليقضى الله (أمرا كان مقصولا) كائنا بالصرة والغنية للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والقتل والهزيمة لاي جهل وأصحابه (ليهلك من هلك) يقول ليهلك على الكفر من أراد الله ان يهلك (عن بينة) بدالياً بالصرة لمحمد عليه السلام ويثبت على الايمان (من حي) من أراد الله ان يثبت (عن بينة) بدالياً بالنصرة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقال ليهلك ليكفر من هلك من أراد الله ان يكفر عن بينة بدالياً بالنصرة لمحمد

لازمة لانك تقول في المستقبل محي والادغام كذا استعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام أى يصدر كفر من كفر صن وضوح بينة لاعن مخالفة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلام ايضا عن يقين وعلم بالله دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان وقعة بدر من الآيات الواضحة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطاهوا لهذا ذكر فيها امر اكثر الفريقين وان العير { الجزء العاشر } كانت أسفل ٥٠ منهم مع انهم قد علموا ذلك كله مشاهدة لعلم

مفعولا والمعنى ليوت من يموت عن بينة يائنها ويميش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعدرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة وأليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد عن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحياة أو من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالقبح وقرأ ابن كثير ونافع وابوبكر ويعقوب من حي بك الادغام للعمل على المستقبل ﴿ وان الله لسميع عليم ﴾ بكفر من كفر وعقابه وإيمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتغال الامرين على القول والاعتقاد ﴿ اذيريكهم الله ﴾ في منامك قليلا ﴿ مقدر باذكر أو يدل ان من يوم الفرقان أو متعلق بعلم أى يعلم المسالخ اذ بقالهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فكون تبييتهم وتجميعا على عدوهم ﴿ ولو أراكم كثيرا لفشلتم ﴾ لجبنتم ﴿ ولتازعن في الامر ﴾ امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ﴿ ولكن الله سلم ﴾

معناه ليكفر من كفر بد حجة قامت عليه ويؤمن من آمن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هي الايمان ونحوه قال قتادة ليضل من ضل على بينة ويهتدى من اهتدى على بينة ﴿ وان الله لسميع عليم ﴾ يعنى يسمع دعاءكم ويعلم نياتكم ولا تخفى عليه خافية ﴿ قوله عز وجل ﴾ اذيريكهم الله ﴿ يعنى واذا ذكر يا محمد نعمة الله عليك اذيريك المشركين ﴿ في منامك ﴾ يعنى في نومك ﴿ قليلا ﴾ قال مجاهد أراهم الله في منامه قليلا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بذلك وكان ذلك تبييتا وقال محمد بن اسحق فكان ما أراد الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم يشعرون بها على عدوهم فكف عنهم بهما وتخوف عليهم من ضعفهم لعلهم يافيههم وقيل لما رأى الله النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش في منامه قليلا فاخبر بذلك اصحابه قالوا رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق فصار ذلك سببا لجراهم على عدوهم وقوة لقلوبهم وقال الحسن ان هذه الارادة كانت في البقظة والمراد من المنام العين لانها موضع النوم ﴿ ولو أراكم كثيرا لفشلتم ﴾ يعنى لجبنتم والفشل ضعف مع جبن والمعنى ولو أراكم كثيرا فذكرت ذلك لاصحابك لفشلوا وجبنوا عنهم ﴿ ولتازعن في الامر ﴾ يعنى اختلفتم في امر الاقدام عليهم أو الاجسام عنهم وقيل معنى التنازع في الامر الاختلاف الذي نكون معه مخالفة ومجادلة ومجادبة كل واحد الى ناحية والمعنى لاضطرب أمركم واختلفت كلمكم ﴿ ولكن الله سلم ﴾ يعنى ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله

الخلق ان النصر والغلبة لا تكون بالكثرة والاسباب بل الله تعالى وذلك ان المدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لا بأس بها ولا ماء بالمدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يئس فيها الابتسب ومشقة وكان العير وراء ظهور المدومع كثرة عدوهم وعدتهم وقلة المسلمين وضعفهم ثم كان ﴿ وان الله لسميع ﴾ لا قوالهم (عالم) بكفر من كفر وعقابه وإيمان من آمن وثوابه ﴿ اذيريكهم الله ﴾ نصب باخبر اذكر أو هو متعلق بقوله لسميع عليم أى يعلم المسالخ اذ بقالهم في عينك ﴿ في منامك قليلا ﴾ أى في رؤياك وذلك ان الله تعالى أراه اياهم في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان ذلك تجميعا لهم على عدوهم ﴿ ولو أراكم كثيرا لفشلتم ﴾ لجبنتم وهبتم الاقدام ﴿ ولتازعن في الامر ﴾ أمر القتال وترددتم بين الثبات والفرار ﴿ ولكن الله سلم ﴾

( الامر ) أمر القتال وترددتم بين الثبات والفرار ( ولكن الله سلم ) عصم وأنعم بالسلامة من القتل ( سلمكم )

صلى الله عليه وسلم ويؤمن من أراد الله ان يؤمن من بعد البيان ( وان الله لسميع ) لدعائكم ( علم ) باجابتكم ونصرتكم ( اذيريكهم الله في منامك ) يا محمد قبل يوم بدر ( قليلا ولو أراكم كثيرا لفشلتم ) لجبنتم ( ولتازعن في الامر ) لاختلفتم في أمر الحرب ( ولكن الله سلم ) قضى

والتنازع والاختلاف (انه علم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجليل والصبر والجزع (واذير يكموهم) الضميران مفعولان أي واذير يكموهم ﴿٥١﴾ (إذ { سورة الانفال } التقيم) وقت اللقاء ( في

أعينكم قليلا) هو نصب على الحال وانما قللهم في أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم و ليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويشبوا قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي أراهم سبعين قال أراهم مائة وكانوا ألفا (ويقللهم في أعينهم) حتى قال قائل منهم أراهم أكلة جزور قيل قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرت فيها بسببه ليجتروا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيهتوا ويهابوا ويجوز أن يبصروا الكثير قليلا بأن يسترا الله بعضهم بساتر أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يده ديك واحد فقال مالي لا أرى هذين الديكين أربعة (ليقضى الله أسرا كان مفعولا

(انه علم بذات الصدور) بما في القلوب (واذير يكموهم) يوم بدر ( إذ التقيم )

لقيم ( في أعينكم قليلا) حتى أجراكم عليهم (ويقللهم في أعينهم) حتى أجروا عليكم (ليقضى الله أسرا) ليقضى الله أسرا بالنصرة والنية لمحمد عليه السلام وأصحابه والقتل والهزيمة لابي جهل وأصحابه ( كان مفعولا ) كـ ١٠

انهم بالسلامة من القتل والتنازع (انه علم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها وما يغير من احوالها (واذير يكموهم) اذا التقيتم في أعينكم قليلا (الضميران مفعولان يرى وقليل حال من الثاني وانما قللهم في أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لمن الى جنبه أراهم سبعين فقال أراهم مائة تقيتاهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿٥١﴾ ويقللهم في أعينهم ﴿٥١﴾ حتى قال ابو جهل ان محمدا وأصحابه أكلة جزور وقللهم في أعينهم قبل التمام القتال ليجتروا عليهم ولا يستمدوا لهم ثم كثرتهم حتى يرونهم مثليهم لتفجأهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظام آيات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لاعلى هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بعد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ﴿٥١﴾ ليقضى الله أسرا كان مفعولا ﴿٥١﴾ كره لاختلاف الفعل المثلل به أولان المراد بالأسرا

سلمكم من الهزيمة والقتل ﴿٥١﴾ انه علم بذات الصدور ﴿٥١﴾ يعني انه تعالى يعلم ما يحصل في الصدور من الجراءة والجليل والصبر والجزع وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه انه علم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل ﴿٥١﴾ واذير يكموهم اذا التقيتم في أعينكم قليلا ﴿٥١﴾ يعني ان الله سبحانه وتعالى قلل عدد المشركين في أعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا في القتال ليتأكد في القطة ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وأخبر به أصحابه قال ابن مسعود لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي أراهم سبعين قال أراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال كنا ألفا ﴿٥١﴾ ويقللهم في أعينهم ﴿٥١﴾ يعني ويقللهم بامشرك المؤمنين في أعين المشركين قال السدي قال فاس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجموا فقال أبو جهل الآن اذبرز لكم محمدا وأصحابه فلا ترجعوا حتى نستأسلم انما محمدا وأصحابه أكلة جزور يعني قتلهم في عينه ثم قال فلا تقتلوهم واربطوهم في الحبال يقوله من القدرة التي في نفسه والحكمة في تقليل المشركين في أعين المؤمنين تصديق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ولتقوى بذلك قلوب المؤمنين وتزداد جراتهم عليهم ولا يجنبوا عند قتالهم والحكمة في تقليل المؤمنين في أعين المشركين لئلا يهربوا واذا استقلوا عدد المسلمين لم يالتوا في الاستعداد وللتأهب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المؤمنين عليهم فان قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل قلت ذلك ممكن في القدرة الالهية فان الله سبحانه وتعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك مجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والمجزة من خوارق العادات فلا ينكر ذلك ﴿٥١﴾ ليقضى الله أسرا كان مفعولا ﴿٥١﴾ يعني أسرا كانوا من اعلاء كلمة الاسلام ونصر أهله واذلال كلمة الشرك وخذلان أهله فان قلت قد قال في الآية المتقدمة ولكن ليقضى الله أسرا كان مفعولا وقال في هذه الآية ليقضى الله أسرا كان مفعولا



والى الله ترجع الامور) فيحكم فيها بما يريد ترجع شامى وحزبه وعلى (يا أيها الذين آمنوا اذالقيتم فتة) اذا حاربتم من الكفار وترك وصفها { الجزء العاشر } لان المؤمنين ﴿ ٥٢ ﴾ ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم ظا

ثمة الاستقاء على الوجه المحكى وههنا امرنا الاسلام واحله واذلال الشرك وحزبه  
﴿ والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اذالقيتم فتة ﴾ حاربتم جماعة ولم يصفها  
لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غاب في القتال ﴿ فاثبتوا ﴾ لاقائهم  
﴿ واذكروا الله كثيرا ﴾ في مواطن الحرب دائين له مستظهرين بذكره مترقبين  
لنصره ﴿ لعلمكم تظفون ﴾ تظفرون بمرادكم من النصر والثوبة وفيه تنبيه على  
ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء من ذكر الله وان ياتى اليه عند الشدائد ويقبل عليه  
بشراشه فارغ البال واثق بالانطقه لا يشغله عنه في شيء من الاحوال ﴿ وأطيعوا الله  
ورسوله ولا تنازعوا ﴾ باختلاف الآراء كما فعلتم بيدرا واحدا ﴿ فتفشلوا ﴾ جواب  
التهى وقيل عطف عليه ولذلك ترى ﴿ وتذهب ربحكم ﴾ بالجزم والرجح مستتارة

فما في هذا التكرارات المتصودة من ذكره في الآية المتقدمة ليحصل استيلاء المؤمنين  
على الممركين على وجه القهر والقبلة ليكون ذلك حجة دالة على صدق رسول الله  
صلى الله عليه وسلم والمتصود من ذكره في هذه الآية لانه تعالى قلل عدد الفريقين  
في اثنين بعضهم بعضا للحكمة التي تضاهي فلذلك قل ليضى الله أمرا كان مفعولا  
﴿ والى الله ترجع الامور ﴾ يعنى في الآخرة فيهازى كل طام على قدر عمله فالحسن  
باحسانه والمسيء باسائه أو ينقر قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذالقيتم فتة ﴾  
يعنى جماعة كافرة ﴿ فاثبتوا ﴾ يعنى لقتالهم وهو أن يوطنوا أنفسهم على لقاء العدو  
وقتاله ولا يحدثوها بالتولى ﴿ واذكروا الله كثيرا ﴾ يعنى كونوا ذاكرين الله عند لقاء  
عدوكم ذكرا كثيرا بقلوبكم وألسنتكم أمر الله عباده المؤمنين وأوليائه الصالحين بان  
يذكروه في أشد الاحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه تنبيه على أن الانسان  
لا يجوز أن يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكر هو اللطاء بالنصر  
على العدو وذلك ليحصل الامانة لله تعالى فأمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يسأوه  
النصر على العدو عند اللقاء ثم قل تعالى ﴿ لعلمكم تظفون ﴾ يعنى وكونوا على رجاء  
الفلاح والنصر والظفر فان قات ظاهرا الآية بوجوب الثبات على كل حال وذلك يوم  
انها ناسخة لآية التحرف والتحيز قات المراد من الثبات هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة  
في الجملة وآية التحرف والتحيز لا تقدم في حصول هذا الثبات في المحاربة بل ربما كان  
الثبات لا يحصل الا بذلك التحرف والتحيز ثم قل تعالى ﴿ وكذا لذلك ﴾ وأطيعوا الله  
ورسوله ﴿ يعنى في أمر الجهاد والثبات عند لقاء العدو ﴾ ولا تنازعوا فتفشلوا ﴿ يعنى  
ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف بوجوب الفشل والضعف والجبن ﴾ قوله  
عز وجل ﴿ وتذهب ربحكم ﴾ يعنى قوتكم وقول مجاهد نصرتكم قل وذبحت ربح  
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم احد وقول السدى جرائكم وجنكم

للقتال ( فاثبتوا ) لقتالهم  
ولا تقربوا ( واذكروا الله  
كثيرا ) في مواطن الحرب  
مستظهرين بذكره مستنصرين  
به داعين له على عدوكم  
اللهم اخذلهم اللهم اقطع  
دايرهم ( لعلمكم تظفون )  
تظفرون بمرادكم من النصر  
والثوبة وفيه اشعار بان على  
العبد أن لا يفتت عن ذكر  
ربه أشغل ما يكون قلبا واكثر  
ما يكون هما وان تكون  
نفسه مجتمعة لذلك وان  
كانت متوزعة عن غيره  
( وأطيعوا الله ورسوله )  
في الأمر بالجهاد والثبات  
مع العدو وغيرهما ( ولا تنازعوا  
فتفشلوا ) فثبتوا وهو  
منصوب باضماران وبدل  
عليه ( وتذهب ربحكم ) أى  
دولتكم يقال هبت رياح  
فلان اذا دالت له الدولة  
وتفقد أمره شبت في نفوذ  
( والى الله ترجع الامور )  
عواقب الامور في الآخرة  
( يا أيها الذين آمنوا )  
أصحاب محمد صلى الله عليه  
وسلم ( اذالقيتم فتة ) جماعة  
من الكفار يوم بدر ( فاثبتوا )  
مع نبيكم في الحرب  
( واذكروا الله كثيرا ) بالقلب

واللسان بالتهليل والتكبير ( لعلمكم تظفون ) اكنى نجوا من السخط والعذاب وتنصروا ( وأطيعوا الله ) ( وقال )  
ورسوله ( في أمر الحرب ) ( ولا تنازعوا ) لا تختلفوا في أمر الحرب ( فتفشلوا ) فثبتوا ( وتذهب ربحكم ) شدتكم والربح النصر

أمرها وتخشيتها بالريح وهبوبها وقبل لم يكن ﴿ ٥٣ ﴾ نصر قط { سورة الانفال } الأبرج يبعثها الله وفي الحديث

نصرت بالصبا وأهلك  
عاد بالدبور (واصبوا) في  
القتال مع العدو وغيره  
(ان الله مع الصابرين)  
أي ممينهم وحافظهم (ولا  
تكونوا كالذين خرجوا  
من ديارهم بطرا ورثاء  
الناس) هم أهل مكة حين  
نقروا الحياة العير فقام  
رسول أبي سفيان ان  
ارجعوا فقد سلمت غيركم  
فأبى أبو جهل وقال حق  
تقدم بدرا ونشرب بها  
الخمر ونخر الجزور وتعزف  
علينا القيان ونطعمهم بالعرب  
فذلك بطرهم وريأؤهم  
الناس باطعامهم فوافوها  
فسقوا كؤس المنايا مكان  
الخمر وناحت عليهم النوائح  
مكان القيان فنهاهم أن يكونوا  
مثلهم بطرين طريين  
مراثين بأعمالهم وأن يكونوا  
من أهل التقوى والكآبة  
والحزن من خشة الله  
غخلصين أعما لهم الله والبطر  
ان تشغله كثرة النعمة عن  
شكرها (ويصدون عن  
سبيل الله) دين الله

(واصبوا) في القتال مع  
نبيكم (ان الله مع الصابرين)  
معين الصابرين في الحرب  
(ولا تكونوا) في المعصية  
(كالذين خرجوا من

الدولة من حيث انها في تخشى أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها وقيل المراد بها  
الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلك  
عاد بالدبور ﴿ واصبروا ﴾ ان الله مع الصابرين ﴿ بالكلاءة والنصر ﴾ ولا تكونوا كالذين  
خرجوا من ديارهم ﴿ يعني أهل مكة حين خرجوا منها لحياة العير ﴾ بطرا ﴿  
فخروا وأثروا ﴾ ورثاء الناس ﴿ لينثوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا  
الجحفة وافاقهم رسول أبي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت غيركم فقال أبو جهل لا والله حتى  
تقدم بدرا ونشرب بها الخمر وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب  
فوافوها ولكن سقوا كؤس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم  
بطرين مراثين وامرهم بان يكونوا أهل التقوى والاخلاص من حيث ان النهى عن الشيء  
امر بضده ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ مبطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع

وقال مقاتل حدثكم وقال الاخفش وأبو عبيدة دولكم والريح هنا كناية عن نفاذ  
الامر وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا أقبل أمره على ما يريد  
وقال قتادة وابن زيد بن ربيع النصر ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله تعالى تضرب  
وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور  
وعن النعمان بن مقرن قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقابل  
من أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر أخرجه  
أبو داود ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (واصبوا) ﴿ يعني عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا  
عنهم ﴾ (ان الله مع الصابرين) ﴿ يعني بالنصر والمعونة ﴾ (ق) عن عبدالله بن أبي أوفى  
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى اذا  
مالت الشمس قام فيهم فقال أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا  
لقيتموه فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا  
عليهم (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنوا لقاء العدو  
فاذا لقيتموه فاصبروا ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم  
بطرا ﴿ يعني فخروا وأثروا وقيل البطر الطغيان في النعمة وذلك ان النعم اذا كثرت  
من الله تعالى على العبد فان صرفها في المفاخرة على الاقران وكأثر بها أبناء الزمان  
وأنفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في الحمة وان صرفها في طاعة الله وابتغاء  
مرصاته فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها  
﴿ ورثاء الناس ﴾ الرياء اظهار الجليل ليراء الناس مع ابطان القبيح والفرق بين  
الرياء والنفاق ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع  
ابطان المعصية ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ يعني ويمنعون الناس عن الدخول  
في دين الله نزلت هذه الآية في كفار قريش حين خرجوا الى بدر ولهم فخر وبنى

ديارهم مكة (بطرا) (أثروا) (ورثاء الناس) سمعة الناس (ويصدون عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته

الحال وكذا ان جسل مفعولاه لكن على تأويل المصدر ﴿ والله بما يعملون محيط ﴾  
فيمجازيكم عليه ﴿ واذا زين لهم الشيطان ﴾ مقدر بأذكر ﴿ أعمالهم ﴾ في معاداة  
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وغيرها بأن وسوس اليهم ﴿ وقال لا غالب لكم اليوم  
من الناس واني جار لكم ﴾ مقالة نفسانية والمعنى انه اتى في روعهم وخيل اليهم انهم  
لا يفلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها  
قربات مجيراهم حتى قالوا اللهم انصر اهدي الفتتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب

(والله بما يعملون محيط) عالم  
وهو وعيد (واذا زين لهم  
الشيطان أعمالهم وقال  
لا غالب لكم اليوم من  
الناس) واذا كراذ زين  
لهم الشيطان أعمالهم  
التي علموها في معاداة رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
ووسوس اليهم انهم لا يفلبون  
وغالب مبنى نحو لا رجل  
ولكم في موضع رفع خبر  
لا تقديره لا غالب كأن  
لكم ( واني جار لكم ) أى

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد أقبات بخيلائها وفخرها تهمل  
وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به قال ابن عباس ان أباسفيا لما  
رأى انه قد أحرز عيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لقتلنا غيركم  
ورحالك وأموالك فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نرد  
بدر او كان في بدر موسم من مواسم العرب يجتمع لهم بهاسوق في كل عام قال فنقم عليها  
ثلاثا ونصر الجزور ونظم الطعام ونسقى الخور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب  
فلا يزالون يهابوننا أبدا ما مضوا زاد غيره قال فلما وافوا بدر اسقوا كأس الحمام عوضا  
عن الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثاهم والمعنى  
لا يكونن أسركم أيها المؤمنون رياء وسمعة ولا لالتماس ما عند الناس ولكن اخلصوا لله  
عز وجل النية وقاتلوا حسة في نصر دينكم وموازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا  
الا لذلك ولا تطلبوا غيره ﴿ قوله تعالى ﴾ والله بما يعملون محيط ﴿ فيه وعيد وتهديد يعنى  
انه تعالى عالم بجميع الاشياء لا يخفى عن علمه شئ لانه محيط بأعمال الابد كلها فيجازى المحسنين  
وبما قبل المسيئين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ واذا زين لهم الشيطان أعمالهم ﴿ يعنى اذكروا  
أيها المؤمنون نعمة الله عليكم اذ زين الشيطان يريد ابليس للمشركين أعمالهم الخبيثة ﴿ وقال  
لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم ﴾ قال بعضهم كان تزينة وسوسة ألقاها في قلوبهم  
من غير أن تتحول في صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراقه  
بن مالك بن جهم وكان تزينة ان قربا لما أجمت على المسير الى بدر ذكر كرت الذى بينها وبين  
بن بكر بن الحرث من الحروب فكاد ذلك أن ينهم فتبدي لهم ابليس في صورة سراقه بن مالك  
بن جهم المدلجى وكان من أشرف بنى كنانة فقال أما جار لكم من أن يأتيكم من كنانة شئ  
تكرهونه فخر حواسرا وقال ابن عباس جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته  
في صورة رجل من رجال بنى مدلج سراقه بن مالك بن جهم فقال للمشركين  
لا غالب ليكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اسطف الداس أخذ رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قبضة من الزاب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل  
جبريل عليه السلام الى ابليس لعنه الله فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين  
انزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل بأسراقه أنزع انك جار لنا فقال  
انى أرى ما لاترون انى أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة

(والله بما يعملون) في الخروج  
على النبي صلى الله عليه وسلم  
والحرب (محيط) عالم  
(واذا زين لهم الشيطان  
أعمالهم) ابليس خروجه  
(وقال لا غالب لكم) عليكم  
( اليوم من الناس ) محمد  
صلى الله عليه وسلم وأصحابه  
( واني جار لكم ) معين لكم

( وقوله )

مجير لكم أو هميم ان طاعة الشيطان مما يجيرهم ﴿٥٥﴾ ( فلما ترامت سورة الانفال ) فلما تلاقى الفريقان

(نكص) الشيطان هاربا  
(على عقبيه) أى رجع  
القهقري (وقال انى برى  
منكم) أى رجعت عما  
ضمنت لكم من الامان روى  
ان ابليس تمثل لهم فى صورة  
سراقة بن مالك بن جشم  
فى جند من الشياطين معه  
راية فلما رأى الملائكة  
تنزل نكص فقال له الحرث  
ابن هشام أتخذلنا فى هذه  
الحالة فقال (انى أرى مالا  
ترون) أى الملائكة  
وانهزموا فلما بلغوا مكة  
قالوا هزم الناس سراقة  
فبلغ ذلك سراقة فقال والله  
ماشعرت بمسيركم حتى  
بلغتني هزيتكم فلما أسلوا  
علموا انه الشيطان (انى  
أخاف الله) أى عقوبته  
(والله شديد العقاب)

(فلما ترامت الفتان) الجمعان  
جمع المؤمنين وجمع الكافرين  
ورأى ابليس جبريل مع  
الملائكة (نكص على عقبيه)  
رجع الى خلفه (وقال) اهم  
(انى برى منكم) ومن قتالكم  
(انى أرى مالا ترون) أرى  
جبريل ولم تروه (انى أخاف  
الله والله شديد العقاب)  
اذا عاقب خاف ان يأخذه  
جبريل فيعرفه اليهم

أو صفته وليس صلته والالانتصب كقولك لا ضارباً يداً عندنا ﴿٥٥﴾ فلما ترامت الفتان  
أى تلاقى الفريقان ﴿٥٥﴾ نكص على عقبيه ﴿٥٥﴾ رجع القهقري أى بطل كيد وعاذ ما خيل  
اليهم انه يجيرهم بسبب هلاكهم ﴿٥٥﴾ وقال انى برى منكم انى أرى مالا ترون انى أخاف الله ﴿٥٥﴾  
أى تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما  
اجتمعت قریش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكان ذلك يثنيهم  
فقتل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكنانى وقال لا غالب لكم اليوم وانى مجيركم  
من بنى كنانة فلما رأى الملائكة نزل نكص وكان يده فى بدار الحارث بن هشام فقال له الى  
اين اتخذلنا فى هذه الحالة فقال انى أرى مالا ترون ودفع فى صدر الحارث والطلق وانهزموا  
فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ماشعرت بمسيركم حتى  
بلغتني هزيتكم فلما أسلوا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله انى  
أخاف الله انى أخافه ان يصيبني مكروها من الملائكة أو يهلكني ويكون الوقت هو الوقت  
الموعود اذ رأى ما لم يرقبه والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر ﴿٥٥﴾ والله شديد العقاب ﴿٥٥﴾

وقوله انى حار لكم يعنى مجير لكم من كنانة ﴿٥٥﴾ فلما ترامت الفتان ﴿٥٥﴾ أى التقي الجمعان رأى  
ابليس الملائكة قد نزلوا من السماء فعلم عدو الله ابليس انه لا طاقه له بهم ﴿٥٥﴾ نكص على عقبيه  
وقال انى برى منكم ﴿٥٥﴾ يعنى رجع القهقري وولى مدبراً هارباً على قفاه وقال  
الكلى لما التقي الجمعان كان ابليس فى صف المشركين على صورة سراقة بن مالك  
ابن جشم وهو أخذ بيد الحرث بن هشام فنكص عدو الله ابليس على عقبيه  
فقال له الحرث أفراراً من غير قتال وجعل يمسكه فدفع فى صدره وانطلق فانهزم  
الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال بلغني انكم تقولون انى  
هزمت الناس فوالله ماشعرت بمسيركم حتى بلغني هزيتكم فقالوا أما أيتنا فى يوم كذا وكذا  
فخلف لهم فلما أسلوا علموا أن ذلك كان شيطاناً قال الحسن فى قوله ﴿٥٥﴾ انى أرى مالا  
ترون ﴿٥٥﴾ قال رأى ابليس جبريل عليه السلام متعباً يردى عنى بين يدي النبي  
صلى الله عليه وسلم وفى يده اللجام يقود الفرس ماركباً وقال قتادة قال ابليس  
انى أرى مالا ترون وصدق وقال انى أخاف الله وكذب ما به خفاة الله ولكن  
علم انه لا قوته ولا منعة فاوردهم وأسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس لمن أطمع اذا  
التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم وقيل انه خاف أن يهلك فمن هلك وقيل  
خاف أن يأخذه جبريل فيعرف حاله فلا يطعموه وقيل مناه ﴿٥٥﴾ انى أخاف الله ﴿٥٥﴾  
أعلم صدق وعده لا وليا له لانه كان على ثقة من أمره وقيل لما رأى الملائكة قد  
نزلت من السماء خاف أن تكون القيامة ﴿٥٥﴾ والله شديد العقاب ﴿٥٥﴾ قيل معناه انى أخاف  
الله لانه شديد العقاب فعلى هذا يكون من تمام قول ابليس وقيل تم كلامه عند قوله  
انى أخاف الله وقوله تعالى والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله سبحانه وتعالى  
والله شديد العقاب لمن خالف الله وكفر به ﴿٥٥﴾ عن طلحة بن عبيد الله بن كرر أن

اذكروا (اذيقول المنافقون) الجزء العاشر { بالمدينة (والدين) ٥٦ } في قلوبهم مرض) هو من صفة المنافقين

يخوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا ﴿ اذيقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ﴾ والذين لم يطمثوا الى الايمان بسد وفي قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والمطف لتغير الوصفين ﴿ غر هؤلاء ﴾ يعني المؤمنين ﴿ دينهم ﴾ حين تعرضوا لما لا يدى لهم به فخرجوا وهم ثلاثائة وبضعة عشر الى زهاء الف ﴿ ومن يتوكل على الله ﴾ جواب لهم ﴿ فان الله عزيز ﴾ غالب لا يذل من استجار به وان قل ﴿ حكيم ﴾ يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويحجز عن ادراكه ﴿ ولو ترى ﴾ ولو رأيت فان لو نجعل المضارع ماضيا عكس ان اذيتوفى الذين كفروا الملائكة ﴿ بيدر واذا ظرف ترى والمفعول محذوف أى ولو ترى الكفرة أو حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن ماسر بالناء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مارؤى الشيطان يوما هو فيه أصفر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغبط منه في يوم عرفه وما ذاك الا لما يرى من نزل الرحمة ونجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما رأى يوم بدر فانه قد رأى جبريل يزج الملائكة أخرجه مالك في الموطأ وقوله ولا أدحر هو بالدال والحاء المهملتين من الدحور وهو الابعاد والطرده مع الاهانة وقوله يزج الملائكة أى يكفهم ويحبسهم ثلاثا يقدم بعضهم على بعض والوازع هو الذى يتقدم ويتأخر في الصف ليصلحه فان قلت كيف يقدر ابايس على أن يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا قلت ان الله عز وجل أعطاه قوة وأقدره على ذلك كما أعطى الملائكة قوة وأقدرهم على أن تشكلوا بصورة البشر لكن النفس الباطنة لم تغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة ﴿ قوله عز وجل ﴾ اذيقول المنافقون ﴿ يعنى من أهل المدينة ﴾ والذين في قلوبهم مرض ﴿ أى شك وارتباب وهم قوم من أهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يبقو الاسلام في قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا ﴿ غر هؤلاء دينهم ﴾ يعنى ان هؤلاء نفر قليلون يقاتلون أضغاثهم فقد ضلهم دينهم الاسلام على ذلك وحلهم على قتل أنفسهم رجاء الثواب في الآخرة فقتلوا جميعا يوم بدر وقال مجاهد ان فنة من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس ابن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمة بن الاسود بن المطلب وعلى بن أمية بن خلف والمعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتباب فحبسهم ارتبابهم فلما رآوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم ثم قال تعالى ﴿ ومن يتوكل على الله ﴾ يعنى ومن يسلم أمره الى الله ويشق بفضله ويعول على احسانه ﴿ فان الله ﴾ حافظه وناصره لانه ﴿ عزيز ﴾ لا يظله شئ ﴿ حكيم ﴾ فيما قضى وحكم فيوصل الثواب الى أوليائه والعقاب الى أعدائه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولو ترى اذيتوفى الذين كفروا الملائكة ﴿ يعنى ولو غابت يا محمد وشاهدت اذ تقبض الملائكة أرواح الذين كفروا عند الموت لرأيت أمرا عظيما ومنظرا فظيما وعذابا شديدا ينالهم في

أو أريد والذين هم على حرف ليسوا بآبى الاقدام في الاسلام ( غر هؤلاء دينهم ) يعنون ان المسلمين اعتزوا بدينهم فخرجوا وهم ثلاثائة وبضعة عشر الى زهاء ألف ثم قال جوابا لهم ( ومن يتوكل على الله ) يكمل اليه أمره ( فان الله عزيز ) غالب يسقط القليل الضعيف على الكثير القوى ( حكيم ) لا يسوى بين ولم وعدوه ( ولو ترى ) ولو غابت وشاهدت لان لو نزل المضارع الى معنى الماضي كارتداد الماضي الى معنى الاستقبال ( اذ ) نصب على الظرف ( يتوفى الذين كفروا ) يقبض أرواحهم ( الملائكة )

فلا يطعموه بعد ذلك ( اذيقول المنافقون ) الذين ارتدوا بيدر ) والذين في قلوبهم مرض ) شك وخلاف وسائر الكفار ( غر هؤلاء ) محمدا عليه السلام وأصحابه ( دينهم ) توحيدهم ( ومن يتوكل على الله ) في النصر ( فان الله عزيز ) بالنقمة من أعدائه ( حكيم ) بالنصرة لمن توكل عليه كما نصر نبيه صلى الله عليه وسلم يوم بدر ( ولو ترى ) لورأيت يا محمد

( ذلك )

( اذيتوفى الذين كفروا ) يقبض أرواحهم ( الملائكة )

قائل (يضربون) حال منهم (وجوههم) إذا أفلوا (وأدبارهم) ظهورهم وأستاههم إذا أدبروا وأوجوههم عند الانقضاء وأدبارهم عند الانقضاء وقبل في تنويف ضمير الله تعالى ﴿ ٥٧ ﴾ والملائكة { سورة الانفال } سرقة تبال ابتداء ويضربون

خير والاول الوجه لان الكفار لا يستحقون

أن يكون الله متوفيهم بلا واسطة دليله قراءة ابن

عاصم تنويف بالهاء (وذوقوا) ويقولون لهم ذوقوا معطوف

على يضربون (عذاب الحريق) أي مقدمة عذاب

النار أو ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به أو يقال

لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف أي لرأيت أمرا

فعليا (ذلك بما قدمت أيديكم) أي كسبت وهو

رد على الجبرية وهو من كلام الله تعالى أو من كلام

الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره (وأن الله عطف

عليه أي ذلك العذاب بسبب الكفر وما صيكم وبأن الله

(ليس بظلام للعبيد) لأن تعذب الكفار من العدل

وقيل ظلام للكثير لاجل العبيد أولني أنواع الظلم

الكاف في (كذاب آل فرعون) في عمل الرفع أي

دأب هؤلاء مل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم

وعملهم الذي دأبوا فيه أي يوم بدر (يضربون وجوههم)

على وجوههم (وأدبارهم) على ذنوبهم (وذوقوا عذاب

الحريق) الشديد

يضربون وجوههم ﴿ والجلالة حال من الذين كفروا واستثنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم أو من الملائكة أو منهما لاشقائه على الضميرين ﴿ وأدبارهم ﴿ ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب أي يضربون ما أقبل منهم وما أدبر ﴿ وذوقوا عذاب الحريق ﴿ عطف على يضربون باخيار القول أي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهب النار منها وجواب لو محذوف لتفطير الامر وتحويله ﴿ ذلك ﴿ الضرب والعذاب ﴿ بما قدمت أيديكم ﴿ بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك ﴿ وإن الله ليس بظلام للبيد ﴿ عطف على ما لا دلالة على ان السبيبة مقيدة بانضمامه اليه اذ لولا لا يمكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التحذير من مستحقه ليس بظلم شرطا ولا عقلا حتى يتنهض نفى الظلم سببا للتعذيب وظلام للكثير لاجل العبيد ﴿ كذاب آل فرعون ﴿ أي دأب هؤلاء مثل دأب آل

ذلك الوقت ﴿ يضربون وجوههم وأدبارهم ﴿ اختلفوا في وقت هذا الضرب فقل هو عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة تضرب وجوههم وأدبارهم وقال ابن عباس كان المشركون اذا أفلوا بوجوههم الى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف واذا ولوا أدبارهم ضربت الملائكة أدبارهم وقال ابن جرير يريد ما أقبل من أجسادهم وأدبر يعني يضربون جميع أجسادهم ﴿ وذوقوا عذاب الحريق ﴿ يعني وتقول لهم الملائكة عند القتل ذوقوا عذاب الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد محمية بالنار يضربون بها الكفار فتلهب النار في جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذا يوم القيامة تقول لهم الزبانية ذوقوا عذاب الحريق ﴿ ذلك ﴿ يعني الذي نزل بكم من القتل والضرب والحرق ﴿ بما قدمت أيديكم ﴿ يعني انما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت أيديكم من الكفر والمعاصي فان قلت اليد ليست محلا للكفر وانما محله القلب لان الكفر اعتقاد والاعتقاد محله القلب وظاهر الآية يقتضي ان فاعل هذا الكفر هي اليد وذلك يمتنع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة لان اليد آلة العمل والقدرة هي المؤثرة في العمل فاليد كناية عن القدرة ﴿ وقوله عز وجل ﴿ وإن الله ليس بظلام للعبيد ﴿ يعني انه سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا من خلقه الا بجرم اجترمه لانه لا يظلم أحدا من خلقه وانما نفى الظلم عن نفسه مع انه يعذب الكافر على كفره والمعاصي على عصيانه لانه يتصرف في ملكه كيف شاء ومن كان كذلك استحالة نسبة الظلم اليه فلا يتوهم متوهم انه سبحانه وتعالى مع خلقه كفر الكافر وتوبيخه عليه ظالم فهذا قال الله سبحانه وتعالى وإن الله ليس بظلام للعبيد لانهم في ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف فيهم كيف يشاء ﴿ قوله عز وجل ﴿ كذاب آل فرعون ﴿ يعني ان عادة هؤلاء

(ذلك) العذاب (بما قدمت) علمت (أيديكم) (قا وخا ٨ لث) في الشرك (وان الله ليس بظلام للعبيد) ان يأخذهم بلا جرم

داوموا عليه (والذين من قبلهم) من قبل قريش أو من قبل آل فرعون (كفروا) تفسير لدأب آل فرعون (بآيات الله  
فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب) والمعنى جروا على عادتهم في التكذيب فاجرى عليهم مثل ما فعل بهم في التعذيب  
(ذلك) العذاب أو الانتقام { الجزء العاشر } (ان الله لم يك **ح** ٥٨ مغيرا نعمته انهما على قوم حتى يغيروا ما

بأنفسهم) بسبب ان الله لم يصح  
في حكمته ان يغير نعمته عند  
قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال  
نعم لم يكن لأل فرعون  
ومشرك مكة حال مرضية  
فيغيروها الى حال مسخوطة  
لكن لما تغيرت الحال المرضية  
الى المسخوطة تغيرت الحال  
المسخوطة الى أسخط منها  
وأولئك كانوا قبل بشة  
الرسول اليهم كفرة عبدة  
أصنام فلما بعث اليهم بالآيات  
فكذبوه وسعوا في اراقة  
دمه غيروا حالهم الى أسوأ  
بما كانت فخير الله ما أنعم  
بدها بهم من الامهال وحاجاهم  
بالعذاب (وان الله سمع)  
لما يقول مكذبوا الرسل  
(عليهم) بما يفعلون (كذاب  
آل فرعون) تكرر لانا كيد  
أولان في الاولى الاخذ  
بالذنوب بلا بيان ذلك  
وهنا بين ان ذلك هو الاهلاك  
والاستئصال (والذين  
من قبلهم

فرعون وهو عمالهم وطريقهم الذي دأبوا فيه أي داموا عليه والذين من قبلهم  
من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدأب بهم فواخذهم الله بذنوبهم  
كما اخذ هؤلاء ان الله قوى شديد العقاب لا يغيبه في نفسه شيء ذلك إشارة  
الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يبدلوا ما بهم من حال الى حال اسوأ كغير  
اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بأنفسهم يبدلوا ما بهم من حال الى حال اسوأ كغير  
قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعريض الآيات والرسول بمعادة الرسول  
ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دماهم والتكذيب بالآيات والاستهزام بها الى غير  
ذلك مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا  
حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جرى عادته تعالى على تغييره متى يغيروا حالهم  
واصل يك يكون فخذت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه  
بالحروف اللينة تخفيفا وان الله سمع لما يقولون فز عليهم بما يفعلون كذاب  
آل فرعون والذين من قبلهم

الكفار في كفرهم كعادة آل فرعون في كفرهم فجوزى هؤلاء بالقتل والاسريوم بدر كما جوزى  
آل فرعون بالاغراق وأصل الدأب في اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب في كذا وكذا يدأوم  
عليه ويشع تنسديه في سميت المادة دأ بالان الانسان يدأوم على عادته ويواظب عليها قال ابن  
عباس سناه ان آل فرعون أيقنوا ان ما سى عليه السلام نبي من الله تعالى فكذبوه فكذلك هؤلاء  
لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فانزل الله بهم عقوبته كما أنزل بال فرعون  
والذين من قبلهم يعني من ذل آل فرعون كفروا بآيات الله يعني ان عادة الامم السالفة  
هو كفرهم بآيات الله فواخذهم الله بذنوبهم يعني بسبب كفرهم وذنوبهم وان الله قوى  
يعني في اخذه وانما قد من كفره وكذب رسله شديد العقاب يعني لمن كفر به وكذب  
رسله فذلك بان الله لم يك مغيرا نعمته انهما على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم يعني ان الله  
سبحانه وتعالى أنعم على أهل مكة بان أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث اليهم محمدا  
صلى الله عليه وسلم ففأبوا هذه النعمة بان تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه  
وسلم وغيروا ما بأنفسهم فسلبهم الله سبحانه وتعالى النعمة وأخذهم بالعقاب قال السدي  
نعمة الله ومحمد صلى الله عليه وسلم أنهم به على قرشة كفروا به وكذبوه فقال الله تعالى الى  
الانصار وان الله سمع يعني لا قول خافه لا يخفى عليه شيء من كلامهم فز عليهم يعني بما  
في صدورهم من خيرون سر فيجازي كل واحد على عمله كذاب آل فرعون يعني ان هؤلاء  
الكفار الذين قتلوا يوم بدر غيروا نعمة الله عليهم كذا آل فرعون والذين من قبلهم

(كذاب آل فرعون)  
كصنيع آل فرعون (والذين  
من قبلهم كفروا بآيات الله)  
بكتاب الله ورسوله يقول  
كفار مكة كفروا بمحمد

عائدا السلام والقرآن كما كفر فرعون ونحوه والذين من قبلهم بالرسول (واخذهم الله بذنوبهم) التكذيب به (وا)  
(ان الله قوى) بالاخذ شديد العقاب (ذلك) النبوة بالآيات (مغيرا نعمته انهما على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)  
(حتى يغيروا ما بأنفسهم) بترك الشكر (وان الله سمع) بدعائهم (عليهم) باجابتهم (كذاب آل فرعون) كصنيع آل فرعون (والذين

كذبوا بآيات ربهم) وفي قوله آيات ﴿ ٥٩ ﴾ ربهم زيادة دلالة على { سورة الانفال } كفران النعم وجحود الحق

( فاهلكناهم بذنوبهم  
وأغرقنا آل فرعون )  
بماء البحر ( وكل ) وكلهم  
من غرق القبط وقتل قريش  
( كانوا ظالمين ) أنفسهم  
بالكفر والمعاصي ( ان شر  
الدواب عند الله الذين كفروا  
فهم لا يؤمنون ) أي أسروا  
على الكفر فلا يتوقع منهم  
الايان ( الذين عاهدت منهم )  
بدل من الذين كفروا إلى الذين  
عاهدتهم من الذين كفروا  
او جعلهم شر الدواب لان شر  
الناس الكفار وشر الكفار  
المصريون وشر المصريين  
الناس كاثون لاهود ( ثم  
يتقضون عهدهم في كل مرة )  
في كل مساعدة ( وهم  
لا يتقون ) لا يخافون عاقبة  
القدر ولا يسألون بمافيده

من قبلهم كذبوا بآيات  
ربهم ) بالكتب والرسل  
كما كذب أهل مكة ( فاهلكناهم  
بذنوبهم ) بتكذيبهم  
( وأغرقنا آل فرعون )  
وقومه ( وكل ) كل هؤلاء  
( كانوا ظالمين ) كافرين  
( ان شر الدواب ) الخلق  
والخائفة ( عند الله الذين  
كفروا ) بتوقيظه وغيرهم  
( فهم لا يؤمنون ) بمحمد  
عليه السلام والقرآن ثم

كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون ﴿ ٥٩ ﴾ نكرر للتأكيد ولما تيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله آيات ربهم وبيان ما أخذه آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفروا الأخذ به والثاني لتسوية التغير في النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم ﴿ ٥٩ ﴾ من الفزق المكذبة أو من غرق القبط وقتل قريش ﴿ ٥٩ ﴾ كانوا ظالمين ﴿ ٥٩ ﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿ ٥٩ ﴾ ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ﴿ ٥٩ ﴾ أسروا على الكفرور سخاويه ﴿ ٥٩ ﴾ فهم لا يؤمنون ﴿ ٥٩ ﴾ فلا يتوقع منهم ايمان ولم لا اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والقاء لاهطع والتشبيه على ان تحقق المطوف عليه يستدعي تحقق المطوف وقوله ﴿ ٥٩ ﴾ الذين عاهدت منهم ثم يتقضون عهدهم في كل مرة ﴿ ٥٩ ﴾ بدل من الذين كفروا بذلك البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدتهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلح وقالوا نسينا عهدهم فنكشوا وما لؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فخالفهم ومن تضمن المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة أو المحاربة ﴿ ٥٩ ﴾ وهم لا يتقون ﴿ ٥٩ ﴾ سبة القدر ومغبته

كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم ﴿ ٥٩ ﴾ يعنى اهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسح فكذاك اهلكنا كفار قريش بالسيف ﴿ ٥٩ ﴾ وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ﴿ ٥٩ ﴾ يعنى الاولين والآخرين فان قات ما للفائدة في تكرير هذه الآية مرة ثانية قلت فيها فوائد منها ان الكلام الثانى مجرى مجرى التفصيل للكلام الاول لان الآية الاولى فيها ذكر أخذهم وفي الآية الثانية ذكر اغراقهم فهذه تفسير للاولى الفائدة الثانية انه ذكر في الآية الاولى انهم كفروا بآيات الله وفي الآية الثانية انهم كذبوا بآيات ربهم ففي الآية الاولى اشارة الى انهم أنكروا آيات الله وجحدوها وفي الآية الثانية اشارة الى انهم كذبوا بهامع جحدوها وكفروا بها الفائدة الثالثة ان تكرير هذه القصة للتأكيد وفي قوله كذبوا بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب ﴿ ٥٩ ﴾ قوله عز وجل ﴿ ٥٩ ﴾ ان شر الدواب عند الله ﴿ ٥٩ ﴾ يعنى في علمه وحكمه ﴿ ٥٩ ﴾ الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴿ ٥٩ ﴾ والاعنى ان شر الدواب من الانس الكفار المصريون على الكثر نزلت في يهود بنى قريظة رهط كعب بن الاشرف الذين عاهدت منهم ﴿ ٥٩ ﴾ قيل من صلة يعنى الذين عاهدتهم وتيل هى لانباض لان المعاهدة مع بعض التوم وهم الرساء والاشراف ثم نعم ينقضون عهدهم في كل مرة ﴿ ٥٩ ﴾ قال المنسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاصي يهود بنى قريظة ان لا يحاربوه ولا يمالئوا عليه نذعوا العبد وأعانوا مشرك مكة بالسلح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبابهم قالوا نسينا وأخطأنا فعاهدتهم الائمة فمقتوا العبد أبغضوا وما أثرا الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فخالفهم فوافقا على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ٥٩ ﴾ لا يتقون ﴿ ٥٩ ﴾ يعنى لا يخافون الله

منهم ﴿ ٥٩ ﴾ ال ( الذين عاهدت ) عهدهم بنى قريظة ( ثم يتقضون ) ينقضون في كل مرة ( حين ) وهم لا يتقون ( عن نقض العبد



أولا يتقون الله فيه أو نصرة المؤمنين وتسلطه عليهم ﴿فاما تنقظهم﴾ فاما تصادقهم وتظفرون بهم ﴿في الحرب فشردهم﴾ تفرق عن مناصبتك وتكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم ﴿من خالفهم﴾ من وراءهم من الكفرة والتشريد تفرق على اضطراب وقرى شرذ بالذال المجهمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمضى واحد فانه اذا شردهم من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراثة ﴿اعلمهم يذكرون﴾ لعل المشردين يتعطلون ﴿واما تخافن من قوم﴾ معاهدين ﴿خيانة﴾ نقض عهد بأمارات تلوح لك ﴿فان هذا اليهم﴾ فاطرح اليهم عهدهم ﴿على سواء﴾ على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تنجزهم في الحرب فانه يكون خيانة منك أو على سواء في الخوف أو العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول أى ثابتا على طريق سوى أو منه أو من المنبوذ اليهم أو منه ما على غيره وقوله ﴿ان الله لا يحب الخائنين﴾ تعليل للأمر بالنابذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف

في الحرب (فاما تصادقهم وتظفرون بهم) فشردهم من خلفهم (تفرق عن مناصبتك ومناصبتك بقتلهم شرقة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحدا اعتبارا بهم واتماظا بحالهم وقال الزجاج افعل بهم ما تفرق به جهم وتطرده من عداهم (لهم يذكرون) لعل المشردين من وراءهم يتعطلون (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) نكتا بأمارات تلوح لك (فان هذا اليهم) فاطرح اليهم العهد (على سواء) على استواء منك ومنهم في العلم بنقض العهد وهو حال من النابذ والمنبوذ اليهم أى حاصلين على استواء في العلم (ان الله لا يحب الخائنين)

في نقض العهد لان عادة من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يبقى نقض العهد حتى يسكن الناس الى قوله وينقون بكلامه فيبين الله عز وجل ان من جع بين الكفر ونقض العهد فهو من شر الدواب ﴿فاما تنقظهم في الحرب﴾ يعنى فاما تجنبن هؤلاء الذين نقضوا العهد وتظفرون بهم في الحرب ﴿فشردهم من خلفهم﴾ قال ابن عباس معناه فكل بهم من وراءهم وقال سعيد بن جبير أنذر بهم من خلفهم وأصل التشريد في اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى الآية انك اذا ظفرت هؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلا من القتل والتسكيل تفرق به جع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراءهم من أهل مكة واليمن ﴿لهم يذكرون﴾ يعنى لعل ذلك النكال عندهم من نقض العهد ﴿واما تخافن﴾ يعنى واما تعلمن يا محمد ﴿من قوم﴾ يعنى معاهدين ﴿خيانة﴾ يعنى نقضا للعهد بما يظهر لك منهم من آثار القدر كما ظهر من بنى قريظة والنضير ﴿فانبذ﴾ أى فاطرح ﴿اليهم﴾ يعنى عهدهم وارم به اليهم ﴿على سواء﴾ يعنى على طريق ظاهر مستو يعنى أعلمهم قبل حربك ايهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهمون انك نقضت العهد أولا بنصب الحرب معهم ﴿ان الله لا يحب الخائنين﴾ يعنى في نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من حير قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم بقرب حتى اذا انقضى العهد غزاهم فجاءه رجل على فرس أوبرذون وهو يقول الله أكبر الله أكبر وقاء لا غدرا فاذا هو عمرو ابن عتبة فأرسل اليه معاوية فسأله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا شدة عقدة ولا يحاها حتى ينقضى أمدها أو ينذ اليهم على سواء فرجع معاوية أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذى عن سليم بن عامر نفسه بلا زيادة رجل من حير وعنده الله أكبر مرة واحدة

(فاما تنقظهم) تأسرهم (في الحرب فشردهم) فنكل بهم (من خلفهم) أى يكونوا عبرة لمن خلفهم (لهم يذكرون) فيجتنبون نقض العهد (واما تخافن) تعلمن (من قوم) من بنى قريظة (خيانة) بنقض العهد (فانبذ اليهم على سواء) فانبذهم على بيان (ان الله لا يحب الخائنين)

الناقضين لليهود (ولا يحسن) بالياء وقع السين شامى وحزرة وزيد وحفص وبالثاء وقع السين أبو بكر وبالثاء وكسر السين غيرهم (الذين كفروا سبقوا) فاتوا وأقتلوا من ﴿٦١﴾ أن يظفر بهم (انهم لا يجزؤون) {سورة الانفال} انهم لا يفوتون ولا يجحدون

طالبهم حاجزا عن ادراكهم  
أنهم شامى أى لا لهم وكل  
واحدة من المكسورة  
والمفتوحة تعليل غيران  
المكسورة على طريقة  
الاستثاف والمفتوحة  
تعليل صريح فمن قرأ  
بالتاء قال الذين كفروا  
مفعول أول والثاني سبقوا  
ومن قرأ بالياء قال الذين  
كفروا فاعل وسبقوا مفعول  
تقدير من سبقوا فحذف ان  
وان مخففة من الثقيلة أى  
انهم سبقوا فسد مسد  
المفعولين أو يكون الفاعل  
مضمرا أى ولا يحسن محمد  
الكافرين سابقين ومن  
ادعى تفرد حجة بالقراءة  
ففيه نظر لما بينا من عدم  
تفرده بها وعن الزهرى  
انها نزلت فيمن أقات من  
قل المشركين (وأعدوا)  
أيها المؤمنون (لهم) لناقضى  
المهدأ ولجميع الكفار (ما)  
استطعتم من قوة) من  
كل ما يتقوى به في الحرب  
من عددها وفي الحديث الا  
ان القوة الرمي قالها ثلاثا  
على المنبر وقيل هي  
(ولا تحسن) لا تظن يا محمد  
(الذين كفروا) بى  
قربطة وغيرهم (سبقوا)

﴿ولا تحسن﴾ خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وقوله ﴿الذين كفروا سبقوا﴾  
مفعولاه وقرأ ابن ماسر وحزرة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احداً ومن خلفهم  
أو الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار أو على تقدير ان سبقوا وهو  
صنيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف أو على اشباع الفعل على ﴿انهم  
لا يجزؤون﴾ بالفتح على قراءة ابن ماسر وان لاصلة وسبقوا حال بمعنى سابقين أى  
مفلتين والاظهر انه تعليل للتهى أى لا تحسبنهم سبقوا فافتلوا لانهم لا يفوتون الله أو  
لا يجحدون طالبهم حاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل  
الاستثاف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت  
فيمن اقلت من قل المشركين ﴿وأعدوا﴾ أيها المؤمنون ﴿لهم﴾ لناقضى العهد  
أو للكفار ﴿ما استطعتم من قوة﴾ من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبه بن ماسر

وفيه جاء على دابة أو فرس وأما حكم الآية فقال أهل العلم اذا ظهرت آثار نقض  
العهد بمن هادنهم الامام من المشركين باسم ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نبذ  
العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتتضح له من غير أمر  
مستفيض فينتدب على الامام ان نبذ اليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لان قرينة كانوا  
قد ناهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا بأبسيان ومن معه من المشركين الى مظاهر تهمة على  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف القدر به وباصحابه  
فهنا يجب على الامام ان نبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب وأما اذا ظهر نقض العهد ظهورا  
مقنونا وجاه فلا حاجة للامام الى نبذ العهد بل يفعل كافي لرسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة  
لما اتقوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا وجيش  
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبر الظهران وذلك على أربع قراسخ من مكة ﴿وقوله تعالى  
﴿ولا تحسن﴾ قرئ بالياء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين  
كفروا وسبقوا﴾ يعنى فاتوا وانهم موا يوم بدر وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه ولا يحسن الذين  
كفروا وسبقوا يعنى خاصوا من القتل والاسرى يوم بدر ﴿انهم لا يجزؤون﴾ يعنى انهم بهذا السبق  
لا يجزؤون الله من الانتقام منهم اما في الدنيا بالقتل واما في الآخرة بنذاب البار وفيه سلبية لاننى  
صلى الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم يذمم منهم فاعلم الله أنهم لا يجزؤونه ﴿وقوله عز وجل  
﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ الاعداد اتخذ النبي لوقت الحاجة اليه وفي المراد  
بالقوة أقوال \* أحدها أنها جميع أنواع الأسلحة والآلات التي تكون لكم قوة في الحرب  
على قتال عدوكم \* الثاني انها الحصون والمعقل \* الثالث الرمي وقد جاءت مفسرة عن  
النبي صلى الله عليه وسلم فمارواه عقبه بن ماسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو  
على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمي نالما أخرجه مسلم (خ)  
عن أبي اسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صفوا القريش اذا كشوكم  
فاتوا من عذابنا قالوا وصنعوا (انهم لا يجزؤون) لا يفوتون من عذابنا (وأعدوا لهم) لبي قريظة وغيرهم (ما استطعتم من قوة)

فاتوا من عذابنا قالوا وصنعوا (انهم لا يجزؤون) لا يفوتون من عذابنا (وأعدوا لهم) لبي قريظة وغيرهم (ما استطعتم من قوة)

سميته عليه الصلاة والسلام يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثاً ولله عليه الصلاة والسلام خصه بالذكر لأنه اقواء ﴿ومن رباط الخيل﴾ اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول أو مصدر سمي به يقال ربط ربطاً ورباطاً ورباطاً حراًبطة ورباطاً أو وجمع ربط كفصيل وفصال وقرى ربط الخيل بضم الباء وسكونها

يعنى غشوكم وفي رواية أكثركم فارموهم واستبقوا نبلكم وفي رواية إذا أكثرتمكم فعليكم بالنبل (م) عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو باسمه (م) عن فقيم اللخمي قال قلت لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الفرصين وأنت شيخ كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أمانه قال قلت وما ذاك قال سمعته يقول من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصي عن أبي نجيح السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فهو له درجة في الجنة فيبلغت يومئذ عشرة أسهم قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رعى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرراً أخرجه النسائي والترمذي بمعناه وعنده قال عدل رقبة محررة وأخرجه أبو داود أيضاً عن عقبة بن عامر بمعناه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله عز وجل ليدخان بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في عمله الخير والرامي به والمحدث به وفي رواية ومنبله فارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا كل لهو باطل ليس من الله ومحمود إلا ثلاثة تأديب الرجل قرسه وملاعبته أهله وورمه بقوسه أي نبهه فانهم من الحق ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها أو كفرها أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي مختصراً إلى نبهه (خ) عن سامة بن الأكوع قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم يتضلون بالقوس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسمعيل فإن أباكم كان رامياً ارموا وأنا مع بني فلان فامسك أحد الفريقين بأيديهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون فقالوا كيف نرمي وأنت معهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا وأنا معكم كلكم والقول الرابع إن المراد بالقوة جمع ما يتقوى به في الحرب على العدو كل ما هو آلة يستعان بها في الجهاد فهو من جلة القوة المأمور باستعدادها وقوله صلى الله عليه وسلم إلا إن القوة الرمي لا ينبغي كون غير الرمي من القوة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقوله التدم توبة فهذا لا ينبغي اعتبار غيره بل يدل على أن هذا المذكور من أفضل المقصود وأجله فكذلكنا يحمل معنى الآية على الاستعداد للقتال في الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الآلات كالرمي بالنبل والنشاب والسيف والدرع وتعايم القروسية كل ذلك مأمور به إلا أنه من فروض الكفايات وقوله تعالى ﴿ومن رباط الخيل﴾ يعني اقتنائها وربطها للفرز في سبيل الله والربط سد الفرس وغيره بالمكان للحفظ وسمى المكان الذي يخص بإقامة حفظه فيه رباطاً والمرابطة إقامة المسافر بالثغور للحراسة فيها وربط الخيل للجهاد من أعظم ما يستعان به

الخصون (ومن رباط الخيل) هو اسم للخيل التي تربط في سبيل الله أو هو جمع ربط كفصيل وفصال وخص الخيل من بين ما يتقوى به كقوله جبريل من سلاح (ومن رباط الخيل) من الخيل الروابط

جمع رباط وعطفها على القوة كمطف جبريل وميكائيل على الملائكة ﴿ترهبون به﴾  
تخوفون به وعن يعقوب ترهبون به بالتشديد والضمير لما استطعتم أو للاعداد ﴿عدو الله  
وعدوكم﴾ يعني كفار مكة

روى ان رجلا قال لابن سيرين ان فلانا أوصى بثلاث ماله الحصون فقال ابن سيرين  
يشتري به الخيل ويربطها في سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون ومن رباط  
الخيال يعني الاناث ووجه هذا ان العرب تربط الاناث من الخيل بالانثى للنسل  
وروى ان خالد بن الوليد كان لا يركب في القتال الا الاناث لقلّة صهيلها وعن ابن عبيد  
قال كانت العصابة يستحبون ذكر الخيل عند الصفوف واثاث الخيل عند الشنات  
والفارات وقيل ربط الفصول أولى من الاناث لانها أقوى على الكر والفر والعدو  
فكانت المحاربة عليها أولى من الاناث وقيل ان لفظ الخيل عام فيتناول الفصول  
والاناث فأى ذلك ربط بنية الغزاة كان في سبيل الله (ق) عن عروة ابن الجعد البارق  
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل مقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة  
الاجر والغنمة (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل في نواصيها  
الخير الى يوم القيامة (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
من احتبس فرسا في سبيل الله ايمان الله وتصديقها بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله  
في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال الخيل ثلاثة هي لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فاما الذي هي  
له أجر فرجل ربطها في سبيل الله زاد في رواية لاهل الاسلام فاطل لها في سرج أو  
روضة فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كان له حسنات ولو انها قطعت  
طيلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت له آثارها وأرواثها حسنات ولو أنها مرت بنهر  
فشربت منه ولم يزدان يسقيها كان ذلك له حسنات فهي لذلك الرجل أجر ورجل  
ربطها تغنيا وتغفقا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك الرجل ستر ورجل  
ربطها فخرا ورياء ونواء لاهل الاسلام فهي على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه  
وسلم عن الجرف قال ما أنزل على فيها شيء الا هذه الآية الجامعة الفادة فمن يعمل مثقال  
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الطيل الخيل الذي يشد به الفرس وقت الرعى  
والاستئان الجرى والشرف النوط الذي تجرى فيه الفرس وقوله تغنيا يعني استثناء  
بها عن الطلب لما في أيدي الناس أما حق ظهورها فهو أن يحمل عليها منقطعا الى  
أهله وأما حق رقابها فليل أراد به الاحسان اليها وقيل أراد به الخيل عابها فبهر  
بالرقبة عن الذات وقوله نواء لاهل الاسلام النواء المعادة يقال طأأت الرجل مناواة  
اذا عاديته وقوله تعالى ﴿ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ يعني تخوفون بتلك القوة وبذلك  
الرباط عدو الله وعدوكم يعني الكفار من أهل مكة وغيرهم وقال ابن عباس تخزنون به  
عدوكم وذلك لان الكفار اذا علموا ان المسلمين متأهبون للجهاد مستعدون له

وميكال (ترهبون به) بما  
استطعتم (عدو الله وعدوكم)  
الاناث (ترهبون به)  
تخوفون بالخيل (عدو الله)  
في الدين (وعدوكم) بالقتل

من دونهم) غيرهم وهم اليهود والمنافقون وأهل فارس أو كفرة الجن في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى ان سهيل الخليل يهرب الجن (لا تعلمونهم) لا تعرفونهم باعيانهم (الله يعلمهم) وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم يوفركم عليكم جزاؤه (وأنتم لا تظلمون) في الجزاء بل تظلمون على القام (وان جنحوا مالوا جنح لهم واليه مال (الصلح) لا صلح وبكسر السين أبوبكر وهو مؤثت تأييت ضدها وهو الحرب (فاجنح لها) قبل اليها

(وآخرين من دونهم) من دون بني قريظة وسائر العرب ويقال كفار الجن (لا تعلمونهم) لا تعلمون عدتهم (الله يعلمهم) يعلم عدتهم (وما تنفقوا من شيء) من مال (في سبيل الله) في طاعة الله على السلاح والليل (يوف اليكم) يوف لكم ثوابه لا ينقص (وأنتم لا تظلمون) لا تنقصون من ثوابكم (وان جنحوا للصلح) ان مال بنو قريظة الى الصلح فارادوا الصلح (فاجنح لها) مل اليها

وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم (الله يعلمهم) يعرفهم (وما تنفقوا من شيء) في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه (وأنتم لا تظلمون) بتضييع العمل أو تقضى الثواب (وان جنحوا) مالوا ومنه الجنح وقد يمدى باللام والى (الصلح) لا صلح والاستسلام وقرأ أبو بكر بالكسر (فاجنح لها) وعاهد معهم وتأيت الضمير لمل السلم على نقيضها قيد قال

السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاها جرع

مستكمون لجميع الاسلحة وآلات الحرب واعداد الخيل مبروطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل يصير ذلك سببا لدخول الكفار في الاسلام أو بئس الجزية للمسلمين وقوله تعالى (وآخرين من دونهم) يعني وترهبون آخرين من دونهم اختلف العلماء فيه فقال مجاهد بنو قريظة وقال السدي هم فارس وقال ابن زيدهم المنافقون لقوله تعالى (لا تعلمونهم) لانهم معكم يقولون بالسنتهم لا اله الا الله (الله يعلمهم) يعني انهم منافقون وأورد على هذا القول ان المنافقين لا يقاتلون لاظهارهم كلمة الاسلام فكيف يخوفون باعداد القوة ورباط الحبل وأجيب عن هذا اليراد ان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلائهم وأسلحتهم كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم فكان في ذلك ارهابهم وقال الحسن هم كفار الجن وصحح هذا القول الطبري قال لان الله تعالى قال لا تعلمونهم ولا شك ان المؤمنين كانوا المسلمين بداء قريظة وفارس يعلمهم بانهم مشركون ولانهم حرب للمؤمنين أما الجن فلا يعلمهم الله يعلمهم يعني يعلم أحوالهم وأماكنهم ودونهم ويضد هذا القول ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الجن وان الشيطان لا يتجمل احد في داره فرس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجزري وغيره من المفسرين بغير اسناد وقال الحسن سهيل الخليل يهرب الجن قوله سبحانه وتعالى (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله) قبل أراد به نفقة الجهاد والغزو وقتل هو أسرا في كل وجه الحرب والطاعة فيدخل منه نفقة الجهاد وغيره ويوف اليكم يعني أجره في الآخرة ويجل لكم عريضه في الدنيا وأنتم لا تظلمون يعني وأنتم لا تنقصون من ثواب أعماكم شيئا قوله تبارك وتعالى (وان جنحوا للصلح فاجنح لها) لما أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين باعداد النوة وما يهرب العدو أمرهم بعد ذلك ان يقبلوا منهم الصلح ان مالوا اليه وسألوه فقال تعالى (وان جنحوا للصلح يعني مالوا الى السلم يعني المصالحة فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله تعالى فاجنح لها أي مل اليها يعني الى المصالحة روى عن الحسن وقادة أن هذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل انها غير منسوخة لكن تنضم الاسم بالصلح اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان رأى الامام أن يصلح أعداءه من الكفار وفيه قوة فلا يجوز ان يهادنهم سنة كاملة وان كانت القوة للمشركين جاز ان يهادنهم مرسنين ولا يجوز ان يهادنهم عابدا ابتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صالح أدلة مكة مدة عشر سنين ثم انهم انقضوا الدين قبل انقضائه مدة وقوله تعالى

( وتوكل على الله ) ولا تخف من ابطانهم ﴿ ٦٥ ﴾ المكر في { سورة الانفال } جنوحهم الى السلم فان الله

وقرى فاجمع بالضم ﴿ وتوكل على الله ﴾ ولا تخف من ابطانهم خداما فيه فان الله يصمك من مكرهم ويحققهم ﴿ انه هو السميع ﴾ لا قوالهم ﴿ العليم ﴾ بياتهم والآية خصوصاً باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة لسمتها آية السيف ﴿ وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله ﴾ فان حسبك الله وكافيك قال جرير

اني وجدت من المكارم حسبكم • ان تلبسوا حراثيب وتشبوا

﴿ هو الذي ابلك بنصره وبالمؤمنين ﴾ جميعا ﴿ وألف بين قلوبهم ﴾ مع ما فهم من العvisية والضعفة في ادنى شئ والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يألف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من مجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وبانه ﴿ لو انفقت ما في الارض جميعا ما لفت بين قلوبهم ﴾ أى تناهى عدوانهم الى حد لو انفق متفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على اللفة والاصلاح ﴿ ولكن الله ألف بينهم ﴾ بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب

﴿ وتوكل على الله ﴾ يعنى فوض أسرك الى الله فيما عقدته معهم ليكون عونك في جميع أحوالك ﴿ انه هو السميع ﴾ يعنى لا قوالهم ﴿ العليم ﴾ يعنى بأحوالهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وان يريدوا ان يخدعوك ﴾ يعنى يغدروا بك قال مجاهد يعنى بنى قريظة والمضى وان أرادوا باظهار الصلح خديتك لتكف عنهم ﴿ فان حسبك الله ﴾ يعنى فان الله كافيك بنصره وموته ﴿ هو الذي أبلك بنصره ﴾ يعنى هو الذي قواك وأعانك بنصره يوم بدر وفي سائر أيامك ﴿ وبالمؤمنين ﴾ يعنى وأيدك بالمؤمنين يعنى الانصار قال قلت اذا كان الله قد أيد بنصره فأى حاجة الى نصر المؤمنين حتى يقول وبالمؤمنين قلت التأيد والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون بأسباب باطنة غير معلومة وأسباب ظاهرة معلومة فاما الذى يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذى أيدك بنصره لان أسبابه باطنة بغير وسائط معلومة وأما الذى يكون بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لان أسبابه ظاهرة بوسائط وهم المؤمنون والله سبحانه وتعالى هو مسبب الاسباب وهو الذى أقامهم لنصره ثم بين كيف أيد به المؤمنين فقال تعالى ﴿ وألف بين قلوبهم ﴾ لو أنفقت ما في الارض جميعا ما لفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴿ وذلك ان العرب كانت فيهم الحية الشديدة والانفة العظيمة والانفس القوية والعvisية والانطواء على الضعفة من أدنى شئ حتى لو أن رجلا من قبيلة لطم لطمه واحدة قاتل عنه أهل قبيلته حتى يدركوا ثأرهم لا يكاد يألف منهم قلبان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وآمنوا به واتبعوه انقلب تلك الحالة فأنفقت قلوبهم واستجمعت كلمهم وزالت حجة الجاهلية من قلوبهم وأبدلت تلك الضغائن والتماسد بالموودة والمحبة لله وفي الله واتفقوا على الطاعة وصاروا أنصارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعوانا يقاتلون عنه ويحمونه وهم الاوس والخزرج وكانت فيهم في الجاهلية حروب عظيمة وممادة شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت المحبة والالفة وهذا مما لا يقدر عليه الا الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول الله صلى الله

بن قلوبهم ( جمع بين قلوبهم وكلمتهم بالاسلام ) لو أنفقت ( فاوفاها ٩ لث ) ما في الارض جميعا ( من الذهب والفضة ) ما لفت بين قلوبهم (

كافيك هو صمك من مكرهم ( انه هو السميع ) لا قواك ( العليم ) بأحوالك ( وان يريدوا ان يخدعوك ) يغدروا ( فان حسبك الله ) كافيك الله ( هو الذي أبلك ) قواك ( بنصره وبالمؤمنين ) جميعا ( وألف بين قلوبهم ) قلوب الاوس والخزرج بعد تعدادهم مائة وعشرين سنة ( لو أنفقت ما في الارض جميعا ما لفت بين قلوبهم ) أى بلغت عدوانهم مبلغا لو أنفق متفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر عليه ( ولكن الله ألف بينهم ) بفضلهم ورجته وجمع بين كلمتهم بقدرته فاحدث بينهم التوادد والتحابب وأماط عنهم التباغض والتحاقت واردها ( وتوكل على الله ) في تقضهم ووفائهم ( انه هو السميع ) لقاتلهم ( العليم ) بتقضهم ووفائهم ( وان يريدوا ) بنو قريظة ( أن يخدعوك ) بالصلح ( فان حسبك الله ) الله حسبك وكافيك ( هو الذي أبلك ) قواك وأعانك ( بنصره ) يوم بدر ( وبالمؤمنين ) بالاوس والخزرج ( وألف

(انه عزيز) يقهر من  
يخضعونك (حكيم) ينصر  
من يتبعونك (يا أيها النبي  
حسبك الله ومن اتبعك  
من المؤمنين) الواو بمعنى مع  
وما بعده منصوب والمفعول  
كفالك وكفى أتباعك  
من المؤمنين الله ناصرا  
ويجوز أن يكون في محل  
الرفع أي كفالك الله وكفالك  
أتباعك من المؤمنين قيل  
أسلم مع النبي صلى الله عليه  
وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا  
وست نسوة ثم أسلم عمر  
فنزلت (يا أيها النبي حرض  
المؤمنين على القتال)  
التحريض المبالغة في الحث  
على الأمر من الحرض وهو  
أن ينهكه المرض حتى  
يشقى على الموت (ان يكن  
منكم عشرون صابرون  
يغلبوا مائتين

وكانهم) ولكن الله العليم بينهم  
بين قلوبهم بالامان (انه  
عزيز) في ماله وسلطانه  
(حكيم) في أمره وقضائه  
(يا أيها النبي حسبك الله)  
الله حسبك (ومن اتبعك  
من المؤمنين) الاوس  
والخزرج (يا أيها النبي  
حرض المؤمنين) حرض  
وحث المؤمنين (على القتال)  
يوم بدر (ان يكن منكم  
عشرون صابرون)  
في الحرب محتسبون (يغلبوا  
مائتين) يقاتلوا مائتين من المشركين

يقلها كيف يشاء (انه عزيز) تام القدرة والظبة لا يصع عليه ما يريد (حكيم)  
يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريد وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن  
لا امداءا ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والقب بينهم بالاسلام حتى  
تصافوا وصاروا انصارا (يا أيها النبي حسبك الله) كافيك (هو من اتبعك من المؤمنين)  
اما في محل النصب على المفعول منه كقوله

اذا كانت الهجاء واشتجر القنا فحسبك والضحك سيف مهند  
أو الجرح عطف على المكثي عند الكوفين أو الرفع عطف على اسم الله أي كفالك الله  
والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم  
ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر رضي الله تعالى عنه فنزلت ولذلك قال ابن  
عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في أسلامه (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال)  
بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشقى على الموت وقرئ حرض  
من الحرض (ان يكن منكم عشرون صابرون يظلبوا مائتين

عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على صدقه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر  
الانصار لم أجدكم ضلالا فهذا كم الله في وكنتم متفرقين فالفكم الله في وعالة فاعناكم الله في  
وفي الآية دليل على ان القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء وأراد وذلك لان تلك  
الالفة والمحبة انما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه  
سبحانه وتعالى ختم هذه الآية بقوله (انه عزيز حكيم) يعني أنه تعالى قادر قاهر  
يمكنه التصرف في القلوب فيقلها من المداوة الى المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل  
ذلك على وجه الحكمة والصواب (قوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي حسبك الله  
ومن اتبعك من المؤمنين) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت  
في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة  
وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت هذه الآية في هذا القول تكون  
الآية مكية كتبت في سورة مدنية باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت  
بالبيداء في غزوة بدر وقبل القتال فعلى هذا القول أراد بقوله تعالى ومن اتبعك من  
المؤمنين يعني الى غزوة بدر وقيل أ. اد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار  
وتكون الآية نزلت بالمدينة وقيل أراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الآية يا أيها  
النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين وقيل معناه حسبك الله ومتبعوك من  
المؤمنين (قوله عز وجل (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) يعني حثهم  
على قتال عدوهم والتحريض في اللغة الحث على الشيء بكثرة التزير وتسهيل الخطب  
فيه كانه في الاصل ازالة الحرض وهو الهلاك (ان يكن منكم عشرون) يعني رجلا  
(صابرون) يعني عند اللقاء محتسبين أنفسهم (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) يعني من عدوهم  
وظاهر لفظ الآية خبر ومعناه الامر فكأنه تعالى قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا

وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ) هذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا  
عشرة أمثالهم من الكفار بكون الله وتأييده ﴿ ٦٧ ﴾ (بأنهم في سورة الانفال قوم لا يفقهون) بسبب ان

الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهايم فيقتل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته بخلاف من يقاتل على بصيرة وهو يرجو النصر من الله قيل كان عليهم ان لا يفرروا ويثبت الواحد للعشرة ثم ثقل عليهم ذلك فتسحق وخفف عنهم مقاومة الواحد الاثنى بقوله (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ﴿ لما اوجب الله على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنى وتكرر المعنى الواحد يذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لفتان الفتح وهو قراءة حاصم وليجتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على ان المراد بهذا الخبر الامر قوله الآن خفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل على الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك على ان الله سبحانه وتعالى اوجب اولا على المؤمنين هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء ﴿ وان يكن منكم مائة ﴾ يعنى صابرة ﴿ يغلبوا ألفا من الذين كفروا ﴾ فحاصله وجوب ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار ذلك ﴿ بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ يعنى ان المشركين لا يقاتلون لطلب ثواب وخوف عقاب انما يقاتلون حيلة فاذا صدقتهم في القتال فانهم لا يثبتون معكم ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ﴾ (خ) عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم ان لا يفر واحد من عشرة ولا عشرون من مائتين ثم نزلت الآن خفف الله عنكم الآية فكتب ان لا يفر مائة من مائتين وفي رواية أخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الآن خفف الله عنكم الآية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله سبحانه وتعالى الآن خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الآية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله سبحانه وتعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فثقل ذلك على المؤمنين فنزلت الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون وعلم أن فيكم ضعفا يعنى في قتال الواحد للعشرة فان تكن منكم مائة صابرة محتسبة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فرد من العشرة الى الاثنى فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم أن يفرؤا فايما رجل فر من

وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ﴿ شرط في معنى امر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بأنهم ان صبروا غلبوا بكون الله وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن حاصر تكن بالنساء في الآيتين ووافقهم البصريان في وان تكن منكم مائة صابرة ﴿ بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وهوى الدجيات قتلوا أو قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ﴾ لما اوجب الله على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنى وقيل كان فيهم قلة فاسروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرر المعنى الواحد يذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لفتان الفتح وهو قراءة حاصم

وليجتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على ان المراد بهذا الخبر الامر قوله الآن خفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل على الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك على ان الله سبحانه وتعالى اوجب اولا على المؤمنين هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء ﴿ وان يكن منكم مائة ﴾ يعنى صابرة ﴿ يغلبوا ألفا من الذين كفروا ﴾ فحاصله وجوب ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار ذلك ﴿ بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ يعنى ان المشركين لا يقاتلون لطلب ثواب وخوف عقاب انما يقاتلون حيلة فاذا صدقتهم في القتال فانهم لا يثبتون معكم ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ﴾ (خ) عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم ان لا يفر واحد من عشرة ولا عشرون من مائتين ثم نزلت الآن خفف الله عنكم الآية فكتب ان لا يفر مائة من مائتين وفي رواية أخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الآن خفف الله عنكم الآية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله سبحانه وتعالى الآن خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الآية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله سبحانه وتعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فثقل ذلك على المؤمنين فنزلت الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون وعلم أن فيكم ضعفا يعنى في قتال الواحد للعشرة فان تكن منكم مائة صابرة محتسبة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فرد من العشرة الى الاثنى فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم أن يفرؤا فايما رجل فر من

(وان يكن منكم مائة يغلبوا)  
يقاتلوا (ألفا من الذين  
كفروا بأنهم قوم لا يفقهون)  
أمر الله وتوحيده (الآن)  
بعد يوم بدر (خفف الله  
عنكم) هون الله عليكم (وعلم  
أن فيكم ضعفا) بالقتال  
(فان يكن منكم مائة صابرة)  
محتسبة (يغلبوا) يقاتلوا  
(مائتين وان يكن منكم  
ألف يغلبوا) (ألفين باذن الله



وحزة والضم وهو قرامة الباقي **والله مع الصابرين** **﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾** وقرأ البصريان بالتاء

من ثلاثة فلم يفر من فر من اثنين فقد فر **﴿والله مع الصابرين﴾** يعني بالنصر والموتة قال سفيان قال ابن شبرمة وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك **﴿قوله تعالى ما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾** روى عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وجرى بالأسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأر بهم لعل الله أن يتوب عليهم وخدمهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فدعهم نضرب أعناقهم مكن علينا من عقيل فيضرب عنقه ومكن حزة من العباس فيضرب عنقه ومكن من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واد يا كثير الخطب فادخلهم فيه ثم اضرمده عليهم فارأى فقال له العباس قطعت رجلك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله يلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ويشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال فن تبي فانه مني ومن عصاني فانك خفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ومثلك يا عبد الله بن رواحة كمثل موسى قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم أنتم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الاسهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فارأيتني في يوم أخوف ان تقع على الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهوما قلت وأخذ منهم الفداء فلما كان من الندجئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدان يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تبكيت لبكائكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل عليه ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض الآية أخرج هذا الحديث الترمذي مختصرا وقال في الحديث قصة وهي هذه القصة التي ذكرها البغوي وأخرج مسلم في أفراد من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما أسروا الأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بى بكر وعمر ماترون في هؤلاء الأسارى فقال أبو بكر يا رسول الله هم بنو النعم والعشيرة

والله مع الصابرين )  
وتكرير مقاومة الجماعة  
لاكثر منها صرتين قبل  
التخفيف وبهذه للدلالة  
على ان الحال مع القلة  
والكثرة لا تتفاوت اذا الحال  
قد تتفاوت بين مقاومة  
العشرين المائتين والمائة  
الالف وكذلك بين مقاومة  
المائة المائتين والالف  
الالفين ( ما كان لنبي )  
ماصح له ولا استقام ( ان  
يكون له أسرى ) ان تكون  
( الفين باذن الله والله  
مع الصابرين ) معين  
الصابرين في الحرب  
بالنصرة ( ما كان لنبي )  
ما ينبغي لنبي ( أن يكون له  
أسرى ) أسرى من الكفار

بصري (حق يثخن في الأرض) الأثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من الثخانة وهي الغلظ والكثافة يعني حتى ينزل الكفر بإشاعة القتل في أهله ويمز الاسلام بالاستيلاء ﴿٦٩﴾ والقهر ثم الاسر { سورة الانفال } بذلك. وي أن رسول الله

﴿ حتى يثخن في الأرض ﴾ يكثر القتل ويبلغ فيه حتى ينزل الكفر ويقل حزبه ويمز الاسلام ويستولى أهله من أثخنه المرض اذا أثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة ﴿ تريدون عرض الدنيا ﴾ حطامها بأخذكم الفداء ﴿ والله يريد الآخرة ﴾ يريد لكم ثواب الآخرة وأسبب نيل ثواب الآخرة من اعزاز دينه ووقع اعدائه ﴿ وقرئ يجر الآخرة على اخمار المضاف كقولهم

اكل امرئ تحسين امراً ونار توقد بالليل نارا

﴿ والله عزيز ﴾ يثلب اوليائه على اعدائه ﴿ حكيم ﴾ يعلم ما يليق بكل حال ويخصه

أرى ان تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فسمى الله أن يهديهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى ان تمكثنا فنضرب أعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن خزيمة من العباس فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيب لعمري فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديده فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من القدر جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تبكيت لباكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أذى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ما كان لني أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض الى قوله فكلوا مما عظم حلالا طيبا فاحل الله الغنيمة لهم ذكره الحميدي في مسنده عن عمار بن الخطاب عن افراد مسلم بزيادة فيه أما تفسير الآية فقوله تعالى ما كان لني أن تكون له أسرى يعني ما كان ينبغي ولا يجب لني وقال أبو عبيدة معنم لم يكن لني ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان لني ان يحبس كافرا قدر عليه وصار في يده أسيرا للفداء والمن والاسرى جمع أسير وأسارى جمع الجمع ﴿ حتى يثخن في الأرض ﴾ الأثخان في كل شيء عبارة عن قوته وشده يقال أثخنه المرض اذا اشتدت قوته عليه والمعنى حتى يبلغ في قتال المشركين ويظلمهم ويهزمهم فاذا حصل ذلك فله أن يقدم على الاسر فيأسر الأسارى ﴿ تريدون عرض الدنيا ﴾ الخطاب لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني تريدون أيها المؤمنون عرض الدنيا بأخذكم الفداء من المشركين وانعاسي منافع الدنيا عرضا لانه لا ثبات لها ولا دوام فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الآخرة فانها دائماً لا انقطاع لها وقوله سبحانه وتعالى ﴿ والله يريد الآخرة ﴾ يعني انه سبحانه وتعالى يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ولصركم الدين لانها دائماً بلا زوال ولا انقطاع ﴿ والله عزيز ﴾ لا يقهر ولا يغلب ﴿ حكيم ﴾

صلى الله عليه وسلم أن يسعين أسيرافهم العباس وعمو عقيل فاستشار النبي عليه السلام أبابكر فيهم فقال قومك وأهلك استبقهم لعن الله

يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضي الله عنه كذبوك وأخرجوك

فقدمهم واضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن

عليا من عقيل وخزيمة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال عليه السلام مثلك

يا أبا بكر كمثل إبراهيم حيث قال ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك

يا عمر كمثل نوح حيث قال رب لا تدبر علي الأرض من الكافرين ديارا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لهم ان دقت قلوبهم وان شتم قلوبهم واشتد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا

بأحد فلما أخذوا الفداء نزلت الآية (تريدون عرض الدنيا) متاعها يعني الفداء سماه عرضا لقلة بقائه وسرعة فناءه ( والله يريد

الآخرة ) أي ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالأثخان في القتل ( والله عزيز ) بقهر الاعداء ( حكيم ) في عتاب الاولياء

( حتى يثخن ) يغلب ( في الأرض ) بالقتال ( تريدون عرض الدنيا ) بفداء أسارى يوم بدر والله يريد الآخرة ( والله عزيز ) بالمعزة من أعدائه ( حكيم ) النصره لاوليائه

بها كاسر بالاثخان ومنع عن الاقتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت القلبة للمؤمنين روى انه عليه السلام اتى يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رضي الله تعالى عنه اضرب اعناقهم فانه اثم الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكفى من فلان لتسيب له ومكن عليا وجزء من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يوافق ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان الله ليأين قلوب رجال حتى تكون الين من الابن وان الله ليشدد قابوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم عليه السلام قال فمن تبغى فانه منى ومن عصاني فانتك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح عليه السلام قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا

يعنى في تدبير مصالح عباده قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمؤمنون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله سبحانه وتعالى في الاسارى فاما ما بعد واما فداء فحمل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخيار ان شاؤا قتلهم وان شاؤا استعبدهم وان شاؤا فادوهم وان شاؤا أعقوهم قال الامام فخر الدين ان هذا الكلام يومه ان قوله فاما ما بعد واما فداء يزيل حكم الآية التي نحن في تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلمتا الآيتين متوافقتان وكلتاهما تدلان على انه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده أخذ الفداء قال العلماء كان الفداء لكل أسير أربعين أوقية والواقية أربعون درهما فيكون مجموع ذلك ألفا وستمائة درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل أسير أربعة آلاف درهم

### فصل

قد استدل بهذه الآية من يقدح في عصمة الانبياء وبيان من وجوه الاول ان قوله ما كان لى أن يكون له أسرى صريح في النهى عن اخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثانى ان الله سبحانه وتعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فلما لم يقتلوهم بل أسروهم دل ذلك على صدور المذهب منهم الوجه الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب الوجه الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قعدا بكيان لاجل أخذ الفداء وخوف المذاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه الاول ان قوله سبحانه وتعالى ما كان لى أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض يدل على انه كان الاسر مشروطا ولكن بشرط الاثخان في الارض وقد حصل لان الصحابة رضي الله تعالى عنهم قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظماء المشركين وصناديدهم وأسروا سبعين وليس من شرط الاثخان في الارض قتل جميع الناس فدللت الآية على جواز الاسر بعد الاثخان وقد حصل والجواب عن الوجه الثانى ان الاسر بالقتل انما كان مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين ان النبي صلى

(لولا كتاب من الله) لولا حكم من الله (سبق) ان لا يعذب احدا على العمل بالاجتهاد وكان هذا اجتهاد منهم لانهم نظروا في ان استيقادهم ربما كان سببا في اسلامهم ﴿ ٧١ ﴾ وان فداءهم { سورة الانفال } يتخوى به على الجهاد وخفى

عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم او ما كتب الله في اللوح ان لا يعذب اهل بدر وكان لاواخذ قبل البيان والاعذار وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكري القياس كتاب مبتدأ ومن الله صفته اى لولا كتاب ثابت من الله وسبق صفة اخرى له وخبر المبتدأ محذوف اى لولا كتاب هذه الصفة في الوجود وسبق لا يجوز ان يكون خيرا لان لولا لا يظهر خيرا أبدا (لمسكم) لئلاكم وأصابكم (فما أخذتم) من فداء لاسرى (عذاب عظيم) روى ان عمر رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبيكان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والاتباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه ﴿ لولا كتاب من الله سبق ﴾ لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده اولا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالثبوت اوان الفدية التي اخذوها ستحل لهم ﴿ لمسكم ﴾ لئلاكم ﴿ فيما أخذتم ﴾ من الفداء ﴿ عذاب عظيم ﴾ روى انه عليه السلام

فخبر اصحابه فأخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبيكان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والاتباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه ﴿ لولا كتاب من الله سبق ﴾ لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده اولا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالثبوت اوان الفدية التي اخذوها ستحل لهم ﴿ لمسكم ﴾ لئلاكم ﴿ فيما أخذتم ﴾ من الفداء ﴿ عذاب عظيم ﴾ روى انه عليه السلام الله عليه وسلم لم يؤمر مباشرة قتال الكفار بنفسه واذا ثبت ان الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفداء وهو محرم فقول لا تسلم ان اخذ الفداء كان محرما وأما قوله سبحانه وتعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ففيه عتاب لطيف على اخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل على تحريم الفداء اذ لو كان حراما في علم الله لمعهم من اخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قدما يبيكان يحتمل أن يكون لاجل أن بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالامر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكى النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الامر واخذ الفداء والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴿ قال ابن عباس كانت الفتناء محرمة على الانبياء والامم فكانوا اذا أصابوا مغنا جعلوه للفران فكانت النار تنزل من السماء فتأكله فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في اخذ الفتناء والفداء فانزل الله عز وجل لولا كتاب من الله سبق يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الفتناء لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا عن شهد بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج لو كتاب من الله سبق انه لا يفضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا يأخذ قوما فعلوا بجهالة لمسكم يعني لاصابكم بسبب ما أخذتم من الفداء قبل أن تؤمر وابه عذاب عظيم قال محمد بن اسحق لم يكن من المؤمنين أحد عن حضر بدر الا واحب الفتناء الا عمر بن الخطاب فانه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يا رسول الله كان الاتحان في القتل أحب الى من استيقاد الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء

لولا كتاب من الله سبق) اولا حكم من الله بحال الفتناء لامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال بالسعادة لاهل بدر (المسكم) لاصابكم (فما أخذتم) من الفداء (عذاب عظيم) شديد

ال لو نزل العذاب لما نجاة غيره وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان ﴿ فكلوا ﴾  
 مما غنمتم ﴿ من القدية فانها من جملة الغنائم وميل امسكوا عن الغنائم فنزلت والقاء  
 للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبهوه ثبت من زعم  
 ان الامر الوارد بعد الحظر للإباحة ﴿ حلالا ﴾ حال من المغنوم أو صفة للمصدر رأى  
 اكلا حلالا وقائده ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المماثلة أو حرمتها على  
 الاولين ولذلك وصفه بقوله ﴿ طيبا واتقوا الله ﴾ في مخالفته ﴿ ان الله غفور ﴾  
 غفر لكم ذنوبكم ﴿ رحيم ﴾ اياكم ما اخذتم ﴿ يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى ﴾  
 ما نجاة غيره عمرو وسعد بن معاذ ﴿ قوله عز وجل ﴾ فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ﴿  
 يعني فقد أحلت لكم الغنائم وأخذ الفداء فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا روى انه لما نزلت  
 الآية الاولى كف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم عما أخذوا من الفداء  
 فنزلت فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فأحل الله الغنائم بهذه الآية لهذه الامة وكانت قبل  
 ذلك حراما على جميع الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله  
 عليه وسلم قال وأحلّت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي ﴿ ق ﴾ عن أبي هريرة ان رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم قال ولم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم وذلك  
 بان الله رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا وقوله سبحانه وتعالى ﴿ واتقوا الله ان الله  
 غفور رحيم ﴾ يعني وخافوا الله أن تعودوا وان تفعلوا شيئا من قبل أنفسكم قبل أن تؤمروا به  
 واعلموا أن الله قد غفر لكم ما أقدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل في قولهم واتقوا  
 الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية ﴿ قوله  
 سبحانه وتعالى ﴾ يا أيها النبي قل لمن في أيديكم ﴿ نزلت في العباس بن عبد المطلب عم  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين  
 خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج ومعه عسرون أوقية من ذهب ليطعم بها  
 اذا حانت نوبته فكانت نوبته يوم الوضعة ببدر فاراد أن يطعم ذلك اليوم فاقبضوا  
 فلم يطعم شيئا وبقيت العسرون أوقية معه فلما أسرا أخذت منه فكلهم رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم أن يحسب العسرين أوقية من فدائه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال  
 أما شيء أخرجت به لتستعين به عليا فلا تركه لك وكلم فداء ابن أخيه عقيل بن أبي طالب  
 ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تركني أتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فإني أذهب الذي دفعته أم الفضل وفت خروجك من مكة وقلت  
 لها اني لأدري ما يصنعني في وجهي هذا فان حدث بي حذب فهذا لك ولبيد الله  
 ولبيد الله وللفضل وفهم يعني بنه فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال أخبرني  
 به ربي قال العباس أشهد انك لصادق وأشهد أن لا اله الا الله وانك عبده ورسوله  
 لم يطلع عبدا أحد الا الله وأسراني أخيه عقيلًا ونوفل بن الحرث فاسلما فذلك قوله  
 سبحانه وتعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم ﴿ من الاسرى ﴾ يعني الذين أسرتهم

معاذ لقوله كان الاثخان  
 في لقتل أحب الي ( فكلوا  
 مما غنمتم ) روى انهم  
 امسكوا عن الغنائم ولم  
 يجدوا أيديهم اليها فنزلت  
 وقيل هو اباحة للفداء  
 لانه من جملة الغنائم والقاء  
 للتسبب والسبب محذوف  
 ومضاه قد أحلت لكم  
 الغنائم فكلوا ( حلالا )  
 مطلقا عن العتاب والعقاب  
 من حل العقاب وهو نصب  
 على الحال من المغنوم أو  
 صفة للمصدر أي أكلا  
 حلالا ( طيبا ) لذينا  
 أو حلالا بالسر طيبا  
 بالطبع ( واتقوا الله ) فلا  
 تقدموا على شيء لم يهدهم  
 اليكم فيه ( ان الله غفور )  
 لما غنمتم من قبل ( رحيم )  
 باحلال ما غنمتم ( يا أيها  
 النبي قل لمن في أيديكم ) في  
 ملككم كان أيديكم قابضة  
 عليهم ( من الاسرى ) جمع  
 أسير من الأسارى أبو عمرو  
 ﴿ فكلوا مما غنمتم ﴾ من الغنائم  
 غنائم بدر ( حلالا طيبا  
 واتقوا الله ) أخشوا الله في  
 القول ( ان الله غفور ) مجاوز  
 ( رحيم ) بما كان لكم  
 يوم بدر من الفداء ( يا أيها  
 النبي قل لمن في أيديكم من  
 الاسرى ) يعني

جميع أسرى ( أن يعلم الله في قلوبكم خيرا ) خلوص إيمان وحمية ( يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ) من القداء اما إن يختلفكم في الدنيا اصنافا ويتبعكم في الآخرة ( ويفقر لكم والله غفور رحيم ) روى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البعيرين ثمانون الفاقصا لصلاة الظهر وما صلى ﴿ ٧٣ ﴾ حتى فرقه وأمر ﴿ سورة الانفال ﴾ العباس ان يأخذ منه فاخذ منه ما

قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة وكان له عشرون عبدا وان أداناهم ليجر في عشرين ألفا وكان يقول أجزأ الله أحد الوعدين وأما على ثقة من الآخر (وان يريدوا) أى الاسرى (خيانتك) نكت ما يأسوك عليه من الاسلام بالردة أو منع ما ضمنوا من القداء ( فقد خانوا الله من قبل ) في كفرهم به ونقض ما أخذ على كل قائل من ميثاقه .

( فامكن منهم ) فامكنك منهم أى أظفرك بهم كما رأيتم يوم بدر فسيكن منهم ان عادوا الى الحيانة ( والله عليم ) بالمال ( حكيم ) فيما أمر في الحال ( ان الذين آمنوا وهاجروا ) من مكة حياله ورسوله ( وجاهدوا

عباسا ) ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ( تصديقا واخلصا ) يؤتكم ( يعطكم ) خيرا أفضل ( مما أخذ منكم ) من القداء ( ويفقر لكم ) ذنوبكم في الجاهلية ( والله

وقرأ ابو عمرو من الاسارى ﴿ ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ﴾ ايمانا واخلصا ﴿ يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ﴾ من القداء روى انها نزلت في العباس رضى الله عنه كلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقدى نفسه وابنى اخويه عليل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركنى انكف قريش ما بقيت فقال ابن الذهبي الذى دفتته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها انى لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبد الله والفضل وقم فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربى تعالى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطع عليه احدا الا الله ولقد دفعت اليها في سواد الليل قال العباس فابذلني الله خيرا من ذلك الى الآن عشرين عبدا ان اداناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم وما احب انى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعنى الموعود بقوله ﴿ ويفقر لكم ﴾ والله غفور رحيم وان يريدوا ﴿ يعنى الاسرى ﴾ خيانتك ﴿ نقض ما طاهدوك ﴾ فقد خانوا الله ﴿ بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل ﴾ من قبل فامكن منهم ﴿ اى فامكنك منهم كافل يوم بدر فان عادوا الخيانة فسيكنك منهم ﴾ والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا ﴿ هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حياله ورسوله ﴾ وجاهدوا

وأخذتم منهم القداء ﴿ ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ﴾ يعنى ايمانا وتصديقا ﴿ يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ﴾ يعنى من القداء ﴿ ويفقر لكم ﴾ يعنى ماسلف منكم قبل الايمان ﴿ والله غفور ﴾ يعنى لمن آمن وتاب من كفره ومما صبه ﴿ رحيم ﴾ يعنى باهل طاعته قال العباس فابذلني الله خيرا مما أخذ منى عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير أداناهم يضرب بشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية وأعطاني زمزم وما أحب انى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربى عز وجل وقوله تعالى ﴿ وان يريدوا ﴾ يعنى الاسارى ﴿ خيانتك ﴾ يعنى أن يكفروا بك ﴿ فقد خانوا الله ﴾ يعنى فقد كفروا بالله ﴿ من قبل ﴾ وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك ﴿ فامكن ﴾ يعنى فامكن الله المؤمنين ﴿ منهم ﴾ بدر حتى قتلوا منهم وأسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه يتمكن من كل أحد يخونه أو ينقض عهده ﴿ والله عليم ﴾ يعنى بما فى بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق أو خيانة ونقض عهد ﴿ حكيم ﴾ يعنى حكم بأنه يجازى كلا بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا

غفور ( مجاوز ) رحيم ) لمن آمن به ( وان يريدوا ) ( قا و خا ١٠ لث ) خيانتك ( بالايمن يا محمد ) فقد خانوا الله من قبل ( أى من قبل هذا بترك الايمان والمعصية ) فامكن منهم ( أظهرك عليهم يوم بدر ) ( والله عليم ) بما فى قلوبهم من الخيانة وغيرها ( حكيم ) فيما حكم عليهم ( ان الذين آمنوا ) بمحمد عليه السلام والقرآن ( وهاجروا ) من مكة الى المدينة ( وجاهدوا

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) هم المهاجرون (والذين آووا وانصروا) أي آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الانصار (أولئك بعضهم أولياء بعض) أي يتولى بعضهم بعضاً في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة دون ذوى القربايات حتى نسخ ذلك بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل أراد به النصرة والمعاونة والذين آمنوا ولم يهاجروا (من مكة) (مالكم من ولايتهم) من توليتهم في الميراث ولايتهم حصة وقيل هما واحد (من شيء حتى يهاجروا) فكان لا يرث { الجزء العاشر } المؤمن الذي ﴿ ٧٤ ﴾ لم يهاجر من آمن وهاجروا لم يبق

بأموالهم ﴿ فصر فوها في الكراع والصلاح وانفقوها على المحاربين ﴾ وأنفسهم في سبيل الله ﴿ بمباشرة القتال ﴾ والذين آووا وانصروا ﴿ هم الانصار آووا المهاجرين إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم ﴾ أولئك بعضهم أولياء بعض ﴿ في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض اوبالنصرة والمظاهرة ﴾ والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ﴿ أي من توليتهم في الميراث وقرأ جزء ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كأنه يتولى صاحبه يزاوله علاً ﴾ وان استنصروكم في الدين فليكن النصر ﴿ فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين ﴾ الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴿ عهدفانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم ﴾ والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴿ في الميراث اوالموازرة وهو عطفهم ويدخل على منع التوارث

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴿ يعني ان الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وسدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعني وهجروا ديارهم وقومهم في ذات الله عز وجل وابتغاه رضوان الله وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعني وبذلوا أنفسهم في سبيل الله يعني في طاعة الله وابتغاه رضوانه ﴾ والذين آووا وانصروا يعني آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه من المهاجرين وأسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار ﴿ أولئك ﴾ يعني المهاجرين والانصار ﴿ بعضهم أولياء بعض ﴾ يعني في العون والنصرة دون اقربائهم من الكفار وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة وكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون اقربائهم وذوى ارحامهم وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حيثما كانوا فصار ذلك منسوخاً بقوله تعالى وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴿ وقوله عز وجل ﴾ والذين آمنوا ولم يهاجروا ﴿ يعني آمنوا وأقاموا بمكة ﴾ مالكم من ولايتهم من شيء ﴿ يعني من الميراث ﴾ حتى يهاجروا ﴿ يعني إلى المدينة ﴾ وان استنصروكم في الدين ﴿ نحو ان استنصركم الذين آمنوا ولم يهاجروا ﴾ فليكن النصر ﴿ يعني فليكن نصرهم واعانتهم ﴾ الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴿ أي عهد فلا تنصروهم عليهم ﴾ والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴿ يعني في النصرة والمعونة وذلك ان كفار

الذين لم يهاجروا اسم الايمان وكانت الهجرة فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة دل أن صاحب الكبيرة لا يخرج من الايمان ( وان استنصروكم ) أي من أسلم ولم يهاجر ( في الدين فليكن النصر ) أي ان وقع بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونة فواجب عليكم ان تنصروهم على الكافرين ( الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ) فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدئون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك ( والله بما تعملون بصير ) تحذير عن تعدى حد الشرع ( والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ) ظاهره اثبات المواالة بينهم ومعناه

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ( في طاعة الله ) والذين آووا ) وطنوا محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة ( ونصروا )

محمد عليه السلام يوم بدر ( أولئك بعضهم أولياء بعض ) في الميراث ( والذين آمنوا ) بمحمد عليه السلام ( قريش ) والقرآن ( ولم يهاجروا ) من مكة إلى المدينة ( مالكم من ولايتهم ) من ميراثهم ( من شيء ) وما من ميراثكم اهتم من شيء ( حتى يهاجروا ) من مكة إلى المدينة ( وان استنصروكم في الدين ) استعانوكم على عدوهم في الدين ( فليكن النصر ) على عدوهم ( الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ) فلا تميزوهم عليهم ولكن أصلحو ايمنهم ( والله بما تعملون ) من الصلح وغيره ( بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ) في الميراث

نهى المسلمين عن موالاة الكفار وموارثتهم وإيجاب مباعدهم ومصارمتهم وإن كانوا أقارب وإن يتركوا يتوارثون بعضهم ببعضهم  
قال ( الاتفلوه ) أى إن لاتفلوا ما ﴿ ٧٥ ﴾ أمرتكم به من { سورة الانفال } توأصل المسلمين وتولى

بعضهم بعضاً حتى في التوارث  
تفضيلاً لنسبة الاسلام على  
نسبة القرابة ولم تجملوا  
قرابة الكفار كالأقارب  
( تكن قنفة في الارض وقساد  
كبير ) تحصل قنفة في الارض  
ومقصد عظمية لان المسلمين  
مالم يصيروا يدا واحدة  
على الشرك كان الشرك  
ظاهراً والفساد زائداً  
( والذين آمنوا وهاجروا  
وجاهدوا في سبيل الله  
والذين آووا ونصروا  
أولئك هم المؤمنون حقا )  
لانهم صدقوا إيمانهم  
وحققوا بمقتضياته  
من هجرة الوطن ومفارقة  
الأهل والسكن والانسلاخ  
من المال والدنيا لاجل  
الدين والعقبة ( لهم مغفرة  
ورزق كريم ) لائمة فيه

( الاتفلوه ) قسمة الموارث  
كأبني لكم لذوى القرابة  
( تكن قنفة في الارض )  
بالشرك والارتداد ( وقساد  
كبير ) بالقتل والمعصية  
( والذين آمنوا ) بمحمد  
عليه السلام والقرآن  
( وهاجروا ) من مكة الى  
المدينة ( وجاهدوا في سبيل  
الله ) في طاعة الله ( والذين  
آووا ) وطوا محمد صلى  
الله عليه وسلم وأصحابه  
بالمدينة ( ونصروا ) محمد

أو الموارزة بينهم وبين المسلمين ﴿ الاتفلوه ﴾ أن لاتفلوا ما أمرتكم به من التوأصل بينكم وتولى  
بعضكم بعض حتى في التوارث وقطع الملائق بينكم وبين الكفار ﴿ تكن قنفة في الارض ﴾  
تحصل قنفة فيها عظمية وهي منصف الايمان وظهور الكفر ﴿ وفساد كبير ﴾ في الدين وقرى  
كثير ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم  
المؤمنون حقا ﴾ لما قسم المؤمنين ثلاثة أقسام بين أن الكاملين في الايمان منهم هم الذين  
حققوا إيمانهم بتحصيل مقتضاء من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصر الحق ووعدهم  
الموعود الكريم فقال ﴿ لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ لاتباعه ولائمة فيدثم الحق بهم

قريش كانوا معادين لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعاً  
قال ابن عباس يعني في الميراث وهو أن يرث الكفار بعضهم من بعض ﴿ الاتفلوه ﴾ تكن  
قنفة في الارض وفساد كبير ﴿ قال ابن عباس الاتأخذوا في الميراث بما أمرتكم به وقال  
ابن جريج الاتعاونوا وتناصروا وقال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار  
أهل ولاية في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض ثم قال  
سبحانه وتعالى الاتفلوه وهو أن يتولى المؤمن الكافر دون المؤمنين تكن قنفة  
في الارض وفساد كبير فالقنفة في الارض هي قوة الكفار والفساد الكبير هو منصف  
المسلمين ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك  
هم المؤمنون حقا ﴾ يعني لاشك في إيمانهم ولا ريب لانهم حققوا إيمانهم بالحجرة والجهاد  
وبذل النفس والمال في نصرة الدين ﴿ لهم مغفرة ﴾ يعني لذنوبهم ﴿ ورزق كريم ﴾  
يعني في الجنة فإن قلت ما معنى هذا التكرار قلت ليس فيه تكرار لانه سبحانه وتعالى  
ذكر في الآية الأولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضاً ثم ذكر في هذه  
الآية ما من به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل إن إعادة الشيء مرة بعد أخرى  
تدل على مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم أولاً ثم أعاد ذكرهم ثانياً دل ذلك على تعظيم  
شأنهم وعلو درجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في هذه الآية  
من وجوه المدح ثلاثة أنواع \* أحدها قوله أولئك هم المؤمنون حقا وهذا يفيد  
الحصر وقوله سبحانه وتعالى حقا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين في طريق  
الدين وتحقيق هذا القول أن من فارق أهله وداره التي نشأ فيها وبذل النفس والمال كان  
مؤمناً حقاً النوع الثاني قوله سبحانه وتعالى لهم مغفرة وتنكير لفظ المغفرة يدل على أن لهم  
مغفرة وأى مغفرة لا ينالها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة سارة لجميع ذنوبهم النوع  
الثاني قوله سبحانه وتعالى ورزق كريم فكل شيء شرف وعظم في باب قيل له كريم والمعنى  
أن لهم في الجنة رزقاً لا تحقهم فيه غصانة ولا تعب وقيل أن المهاجرين كانوا على طبقات  
فمنهم من هاجر أولاً الى المدينة وهم المهاجرون الأولون ومنهم من هاجر الى ارض  
الحبيشة ثم هاجر الى المدينة فهم أصحاب الميقاتين ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل

عليه السلام يوم بدر ( أولئك هم المؤمنون حقا ) لصدقنا ( لهم مغفرة ) لذنوبهم في الدنيا ( ورزق كريم ) ثواب حسن في الجنة



ولا تنفيس ولا تكرار لان { الجزء العاشر } هذا الآية واردة للشاه ٧٦ عليهم مع الوعد الكرم والاولى للام

بالتواصل ( والذين آمنوا مع بعد ) يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة ( وهاجروا وجاهدوا معكم فآلثكم منكم ) جعلهم منهم تفضيلا وترغيبا ( وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض ) وأولوا القربات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالحجرة والنصرة ( في كتاب الله ) في حكمه وقسمته أو في اللوح أو في القرآن وهو آية الموارث وهو دليل لنا على توريث ذوى الارحام ( ان الله بكل شئ عليم )

( والذين آمنوا ) بمحمد عليه السلام والقرآن ( من بعد ) من المهاجرين الاولين ( وهاجروا ) من مكة الى المدينة ( وجاهدوا معكم ) المدو ( فآلثكم منكم ) معكم في السر والعلانية ( وأولوا الارحام ) ذوى القرابة في النسب الاول فالاول ( بعضهم أولى ) ببعض في الميراث ( في كتاب الله ) في اللوح المحفوظ نسخ بهذه الآية الآية الاولى ( ان الله بكل شئ ) من قسمة الموارث وصلاحكم وغيرهما ( علم )

في الامر من سيطلق بهم ويسم بسيتهم فقال ( والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فآلثكم منكم ) أي من جلتكم ايها المهاجرون والانصار ( وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض ) في التوارث من الاجانب ( في كتاب الله ) في حكمه أو في اللوح أو في القرآن واستدل به على توريث ذوى الارحام ( ان الله بكل شئ عليم ) من الموارث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا ( عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فأنشفع له يوم القيامة وشاهدانه يرى من التفاق واعطى عشر حسنات بعد كل منافق ومنافقة وكان العرض وحلته يستغفرون له ايام حياته

فتح مكة فذكر الله في الآية الاولى اصحاب الهجرة الاولى وذكر في الثانية اصحاب الهجرة الثانية والله أعلم بمراده ( وقوله سبحانه وتعالى ) والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم ( اختلافوا في قوله من بعد قيل من بعد صلح الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل من بعد نزول هذه الآية وقيل من بعد عزوة بدر والاصح ان المراد به أهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح وبطل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه في الصحبين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة ويحاج عن هذا بان المراد منه الهجرة المخصوصة من مكة الى المدينة وأما من كان من المؤمنين في بلديخاف على اظهار دينه من كثرة الكفار وجب عليه أن يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على اظهار دينه ( وقوله تعالى ) فآلثكم منكم ( يعني انهم منكم وأتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاولين أشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالحجرة لان الله سبحانه وتعالى ألحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا أن المهاجرين الاولين أفضل وأشرف لما صح هذا الالحاق ( وقوله تعالى ) ( وأو لو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ) قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالحجرة والاخاء حتى نزلت هذه الآية وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض أي في الميراث فبين بهذه الآية ان سبب القرابة أقوى وأولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الآية ذلك التوارث وقوله في كتاب الله يعني في حكم الله وقيل أراد به في اللوح المحفوظ وقيل أراد به القرآن وهي ان قسمة الموارث المذكورة في سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن وتحسك اصحاب الامام أبي حنيفة بهذه الآية في توريث ذوى الارحام وأجاب عنه الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه بأنه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذي بينه في سورة النساء فصارت هذه الآية مقيدة بالاحكام التي ذكرها في سورة النساء من قسمة الموارث واعطاء أهل الفروض فروضهم وما بقي فبالعصبات ( وقوله سبحانه وتعالى ) ( ان الله بكل شئ عليم ) يعني انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لا تخفى عليه خافية والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

فيقضى بين عباده بما شاء من ﴿ ٧٧ ﴾ أحكامه قسم { سورة براءة } الناس أربعة أقسام قسم

آمنوا وهاجروا وقسم  
آمنوا ونصروا وقسم  
آمنوا ولم يهاجروا وقسم  
كفروا ولم يؤمنوا

﴿ سورة التوبة مدينة

وهي مائة وتسع

وعشرون آية كوفي

ومائة وثلاثون غيره ﴿

لها أسماء براءة التوبة  
المقشقة المبعثرة المشردة  
الخزية الفاضحة المثيرة  
الحافرة المنكلة المددمة  
لان فيها التوبة على المؤمنين  
وهي تقشش من النفاق  
أي تبرئ منه وتبعثر عن  
أسرار المنافقين وتبعث  
عنها وتبرئها وتحفر عنها  
وتفضحهم وتكلمهم  
وتشردهم وتخزيهم وتدمم  
عليهم وفي ترك التسمية في  
ابتدائها أقوال فمن على  
وابن عباس رضي الله عنهما  
ان بسم الله أمان وبراءة  
نزلت لرفع الأمان وعن  
عثمان رضي الله عنه أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم  
كان اذا نزل عليه سورة  
أو آية قال اجعلوها في  
الموضع الذي يذكر فيه كذا

يملق نقض عهد المشركين  
والله أعلم بأسرار كتابه  
﴿ ومن السورة التي يذكر  
فيها التوبة وهي كلها مدينة

### ﴿ سورة براءة ﴾

مدينة وقيل الآيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها أسماء آخر  
التوبة والمقشقة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والخزية والفاضحة  
والمنكلة والمشردة والمددمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والتقشقة  
من النفاق وهي التبرئ منه والبحث عن حال المنافقين وأثارها والحفر عنها وما يخزيهم  
ويفضحهم وينكلهم ويشرد بهم ويدمدم عليهم ويذكر عذابهم وآياها مائة وثلاثون

### ﴿ تفسير سورة التوبة ﴾

وهي مدينة بإجماعهم قال ابن الجوزي سوى آيتين في آخرها لقد جاءكم رسول من  
أنفسكم فالتجسس نزلت بمكة وهي مائة وتسع وعشرون آية وقيل مائة وثلاثون آية  
وأربعة آلاف وثمان وسبعون كلمة وعشرة آلاف وأربعمائة وثمان وثمانون حرفا  
ولهذه السورة أسماء عشرة سورة التوبة وسورة براءة وهذا الاسم مشهوران  
وهي المقشقة قاله ابن عمر سميت بذلك لانها تقشش من النفاق أي تبرئ منه وهي  
المبعثرة لانها تبعثر عن أخبار المنافقين وتبعث عنها وتبرئها والفاضحة قاله ابن عباس  
لانها فضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة وهي الخزية لان فيها خزي  
المنافقين وهي المددمة سميت بذلك لان فيها هلاك المنافقين وهي المشردة سميت  
بذلك لانها شردت جوع المنافقين وفرقتهم وهي المثيرة سميت بذلك لانها أثارت غايات  
المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أسرارهم عن سعيد بن جبير قال قلت لابن  
عباس سورة التوبة فقال بل هي الفاضحة ما زالت تقول ومنهم حق ظنوا أن لا يبقى  
أحد الا ذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال نزلت في بدر قال قلت سورة الحشر قال بل  
سورة بني النضير أخرجاه في الصحيحين

### ﴿ فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في أول هذه السورة ﴾

عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حكمكم على ان عدتم الى الانفال وهي من المثاني والى  
براءة وهي من المثاني فقرتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعوها  
في السبع الطوال ما حكمكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا  
ما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا نزل عليه شيء دعا بعض  
من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا واذا نزلت  
عليه الآية يقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال  
من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة  
بقصتها وظننت انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها أو من  
غيرها من أجل ذلك قرنت بينهما ولم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعها في السبع

قد قيل الا لايتين في آخرها فانها مكيستان وكلماتها ألفان وأربعمائة وسبع وستون وحروفها عشرة آلاف ﴿

وكذا وتوفي رسول الله ﷺ الجزء العاشر ﷺ صلى الله عليه وسلم ٧٨ ولم يبين لنا أين نضعها وكانت

قصتها شبه قصة الانفال لان فيها ذكر اليهود وفي براءة نبذ اليهود فلذلك قرنت بينهما وكانت تدعيان القرينين وتعدان السابعة من الطوال وهي سبع وقيل اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة نزلت في القتال وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة (براءة) خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة (من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) من لا ابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين أي هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما قول كتاب من فلان وبإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (براءة) هذه براءة (من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) ثم نقضوا والبراءة هي نقض العهد يقول من كان بينه وبين رسول الله صلى

وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامار وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة أو آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها شبه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر اليهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت العصابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله (براءة من الله ورسوله) أي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان تكون براءة مبتدأ تخصيصها بصفتها والظير هو الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله برآ من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقتم البراءة بالله ورسوله والمهادنة

الطوال أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما أن في الانفال ذكر اليهود وفي براءة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لا يبغي على بن أبي طالب لم يكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يابن أن براءة نزلت بالسيف وان بسم الله الرحمن الرحيم أمان وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لان التسمية رجة والرجة أمان وهذه السورة نزلت في المنافقين وقال المبرد لم تفتح هذه السورة الشريفة بسم الله الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح للخير وأول هذه السورة وعيد ونقض عهد فلذلك لم تفتح بالتسمية وسئل أبي بن كعب عن هذا فقال انها نزلت في آخر القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر في كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمر في براءة بذلك فضمت الى الانفال لشبهها بها وقيل ان العصابة اختلفوا أن في سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة أم سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لانها نزلتا في القتال ومجموعهما مما ماثان وخمس آيات فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين العصابة تركوا بينهما فرجة تنبيهها على قول من يقول انها سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبيهها على قول من يقول هما سورة واحدة أما التفسير فقوله تعالى (براءة من الله ورسوله) يعني هذه براءة من الله ورسوله وأصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان أبرأ براءة أي انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علة وقيل معناها التباعد مما تكره مجاورته قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك كان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهدا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله عز وجل بنقض عهدهم وذلك قوله سبحانه وتعالى واما تخافن من قوم خيانة الآية ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمر به ونبذ اليهم عهدهم قال الزجاج أي قد برئ الله ورسوله من اعطائهم اليهود والوفاء بها اذا تكثروا (الى الذي عاهدتم من المشركين) الخطاب مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم وعاقدهم الا أنه هو الذي عاقدهم وأصحابه بذلك راضون فكانهم هم عقدوا وعاهدوا وقوله سبحانه وتعالى

(فسبحوا)

الله عليه وسلم عهد فقد نقضه منهم فمنهم من كان عهده أربعة أشهر ومنهم

الى فلان أو مبتدأ التخصيص بها بصفتها وانظر ﴿ ٧٩ ﴾ الى الذين { سورة براءة } عاهدتم كقولك رجل من

بنو تميم في الدار والمعنى ان الله ورسوله قد برأ من المهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبذ اليهم ( فسيحوا في الارض أربعة أشهر ) فسيحوا في الارض كيف شئتم والسمع السيرة على مهل روى أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا اناس منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنذ المهد الى التاكثين وأسروا أن يسيحوا في الارض أربعة أشهر آمنين من كان عهده فوق أربعة أشهر ومنهم من كان عهده دون أربعة أشهر ومنهم من كان عهده تسعة أشهر ومنهم من لم يكن بينه وبين رسول الله عهد فقضوا كلهم الا من كان عهده تسعة أشهر وهم بنو كنانة فمن كان عهده فوق أربعة أشهر ودون أربعة أشهر جعل عهده أربعة أشهر بعد التفص من يوم انه ومن كان عهده أربعة أشهر جعل عهده بعد التقض أربعة أشهر من يوم النحر و كان عهده تسعة أشهر روى على ذلك من كان له عهد جعل عهده سنين يوم ما من يوم النحر الى نحو وج

بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نيل عهد المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله تعالى واتفاق الرسول فانها برآ منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا من بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنذ العهد الى التاكثين وامهل المشركين أربعة أشهر ليسيروا ابن شاة فقال ﴿ فسيحوا في الارض أربعة أشهر ﴾ شوال وذى القعدة وذى الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روى انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا رضي الله تعالى عنه راكب الغنم ليقراها على اهل الموسم وكان قد بعث ابوبكر رضي الله عنه اميرا على الموسم فقبل له لوبعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدى عنى الرجل منى فلما دنا على رضي الله تعالى عنه سمع ابوبكر رضي الله تعالى عنه الرغاء فوقه وقال هذا رغاء ناقه رسول الله

﴿ فسيحوا في الارض ﴾ أى فسيحوا في الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحدا من المشركين وأصل السياحة الضرب في الارض والانتاح فيها والبعد عن مواضع المارة قال ابن التباري قوله فسيحوا فيه مضمرا أى قل لهم فسيحوا وليس هذا من باب الامر بل المقصود منه الاباحة والاطلاق والاعلام بحصول الامان وزوال الخوف يعنى سيحوا في الارض وأتم آمنون من القتل والقتال ﴿ أربعة أشهر ﴾ يعنى مدة أربعة أشهر واختلف العلماء في هذا التأجيل وفي هؤلاء الذين يرى الله ورسوله اليهم من اليهود التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاهد هذا التأجيل من الله للمشركين فن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر رفعه الى أربعة أشهر ومن كانت مدته أكثر حطه الى أربعة أشهر ومن كان عهده بغير أجل معلوم محدود حسده بأربعة أشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث أدرك ويؤسر الا أن يتوب ويرجع الى الايمان وقيل ان المقصود من هذا التأجيل أن يتفكروا ويحتاطوا لانفسهم ويعلموا أنه ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام أو القتل فيصير هذا داعيا لهم الى الدخول في الاسلام ولئلا ينسب المسلمون الى القدر ونكث العهد وكان ابتداء هذا الاحل يوم الحج الاكبر واتقضاؤه الى عشر من ربيع الآخر فأما من لم يكن له عهد فاما جعله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك لخروج يوم ما قال الزهري الاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان هذه الآلة نزلت في شوال والقول الاول أصوب وعليه الاكثر وقيل الكلى انما كانت الاربعة أشهر عهدا لمن كان له عهد دون الاربعة أشهر فأنتم له الاربعة أشهر فأما من كان عهده أكثر من أربعة أشهر فهذا أمر باتمام عهده بقوله تعالى فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم وقيل كان ابتداءها في العاشر من ذى القعدة وآخرها العاشر من ربيع الاخر لا الحج في تلك السنة كان في العاشر من ذى القعدة سبب النحر ثم سار في السنة المقبلة اما سار من ذى الحجة فيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الرمان قد استدار لحدث وقال الحسن أمرا لله عز وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم نقتال من قتله من المشركين

الحرم فقال لهم ( فسيحوا في الارض ) فامضوا في الارض من يوم النحر ( أربعة أشهر ) آمنين من القتل بالعهد

أين شأوا لا يتعرض لهم وهي الأشهر الحرم في قوله فاذا سلخ الأشهر الحرم فاقبلوا المشركين وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وقبعت مكة سنة ثمان وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوبكر على { الجزء العاشر } موسم سنة تسع ٨٠ ثم أتبعه عليا راكب العضباء ليقراها

صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فلما كان قبل التزوية خطب أبو بكر رضي الله تعالى عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جرة العقبة وقال يا أيها الناس أتى رسول الله اليكم فقالوا بما ذاققرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى ذى عهد عهده ولعل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤدى عنى الارجل منى ليس على العموم فانه

فقال تعالى قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل الا من قاتله ثم أمره بقتال المشركين والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فلا يمكن لاحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر لا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الاجل لجيهم أربعة أشهر وأجل دماء جيهم من أهل الصود وغيرهم بعد انقضاء الاجل وقال محمد بن اسحق ومجاهد وغيرهما نزلت في أهل مكة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاهد قريشا عام الحديبية على أن يضوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منهم وأعاتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة وتقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حق وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

لاهم اتى ناسد محمدا • حلب أيتنا وأبيه الاتلدا  
كنت لنا أبواكنا ولدا • نمت أسلنا ولم نترزع يدا  
فانصر هداك الله نصر أبدا • وادع عباد الله يأتوا مددا  
فيهم رسول الله قد تجردا • في فلق كالبحر يجري مزبدا  
أبيض مثل الشمس يسمو صعدا • ان شيم خطب وجهه تربدا  
ان قريشا أخلفوك الموعدا • ونقضوا ميثاقك المؤكدا  
وزعموا أن لست تجي أحدا • وهم أذل وأقل عددا  
هم يتوننا بالحطيم هجدا • وقتلونا رصما وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم أنصركم وتجهز الى مكة ففتحتها سنة ثمان من الهجرة فلما كانت سنة تسع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحج فقبل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال لأحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فبعث أبوبكر في تلك السنة أميراً على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه أربعين آية من سورة براءة ليقراها على أهل الموسم ثم بعث به عليا على ناقته العضباء ليقرا على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم

على أهل الموسم فقبل له لوبشت بها الى أبي بكر فقال لا يؤدى عنى الارجل منى فلما دنا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقته رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فلما كان قبل التزوية خطب أبو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جرة العقبة فقال يا أيها الناس أتى رسول الله اليكم فقالوا بما ذاققرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على ابلغ ابن عمك اننا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانك ليس بنسأ وبند عهدا لا ملعن بالرماح وضرب بالسيوف والأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والحرم أو عشره من ذي الحجة

والحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لانهم أو منوافيها وحرم قتلهم ( وسلم ) وتسلمهم أو على التخليب لان ذا الحجة والحرم منها والجمهور على إباحة القتال في الأشهر الحرم وان ذلك قد نسخ

صلى الله عليه وسلم بمثلان يؤدي عنه كثير الم يكنوا من عترته بل هو مخصوص باليهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع أبو بكر فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأنى شئ فقال لا ولكن لا ينبغي لاحد أن يبلغ هذا الرجل من أهل أما ترضى يا أبى بكر انك كنت معى في الفار وانت معى على الخوض قال بلى يا رسول الله ففسار أبو بكر أمبرا على الحجاج وعلى بن أبى طالب يؤذن براءة فلما كان قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم فقام للناس الحج والعمرى في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أسرار الحج حتى اذا كان يوم النحر قام على بن أبى طالب رضى الله عنه فاذن في الناس بالذى أمره وقرأ عليهم أول سورة براءة وقال يزيد بن تبيع سألت أعليا بأبى شئ بمث في الحجة قال بمث بربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد ما هم هذا في حج ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع (ق) عن أبى هريرة ان أبى بكر بنه في الحجة التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ثم أرفد النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فأمره ان يؤذن براءة قال أبو هريرة فاذن معنا في أهل منى براءة ان لا يحج بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ويوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج وانما قيل الحج الاكبر من أجل قول الناس للعمرة الحج الاصغر قال فنبذ أبو بكر الى الناس في ذلك فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وأنزل الله في العام الذي نبذ فيه أبو بكر الى المشركين يا أيها الذين آمنوا انما للمشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد ما هم هذا وان خفتم علة فسوف يغنيكم الله من فضله الآية

### فصل

قديتوهم متوهم ان في بمث على بن أبى طالب براءة أول براءة عزله أبى بكر عن الامارة وتقضيه على أبى بكر وذلك جهل من هذا المنوهم ويدل على ان أبى بكر لم يزل أميرا على الموسم في تلك السنة أول حدث أبى هريرة المتقدم ان أبى بكر بعثه في رهط يؤذنون في الناس الحديث وفي لفظ أبى داود والنسائي قال بمثى أبو بكر فبين يؤذن في يوم النحر عني ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بمثى أبو بكر فيه دليل على أن أبى بكر كان هو الامير على الناس وهو الذي أقام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم وأجاب العلماء عن بمث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليؤذن في الناس براءة بان عادة العرب جرت أن لا يتولى تقرير العهد ونقضه الا سيد القبيلة وكبرها أو رجل من أقاربها وكان على بن أبى طالب أقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم من أبى بكر لانه ابن عمه

(واعلموا أنكم غير معجزى { الجزء العاشر } الله) لا تقوتونه ﴿ ٨٢ ﴾ وان أمهلكم (وان الله محزى الكافرين

في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الارجل من اهل ﴿واعلموا انكم غير معجزى الله﴾ لا تقوتونه وان أمهلكم ﴿وان الله محزى الكافرين﴾ بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة ﴿وأذان من الله ورسوله الى الناس﴾ أى اعلام فقال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورقعه كرفع براءة على الوجهين ﴿يوم الحج الاكبر﴾ يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روى انه عليه الصلاة والسلام وقت يوم النحر عند الجمرات في جهة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر اولان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقى الاعمال اولان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمسلمون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب اولانه

ومن ربه فبعثه الله صلى الله عليه وسلم ليؤذن عنه براءة اراحة لهذه العلة لئلا يقولوا هذا على خلاف ما عرفه من طائفتنا في عقد اليهود وقضها وقيل لما خص ابا بكر بتوليته على الموسم خص عليا بتبليغ هذا الرسالة تطييبا لقلبه ورعاية لجانبه وقيل انما بعث عليا في هذه الرسالة حتى يصلى خلف ابي بكر ويكون حاربا مجرى التنبية على امامة ابي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر اميرا على الحاج وولاه الموسم وسث عليا خلفه ليقرا على الناس براءة فكان ابوبكر الامام وعلى المؤتم وكان ابوبكر الخطيب وعلى المستمع وكان ابوبكر المتولى أمره الموسم والامير على الناس ولم يكن ذلك لئلا يدل ذلك على تقديم ابي بكر على علي وفضله عليه والله أعلم ﴿وقوله عز وجل﴾ واعلموا أنكم غير معجزى الله ﴿سنى﴾ ان هذا الامهال ليس لعجز عنكم ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب قائم وقيل معناه فسيحوا في الارض اربعة أشهر عالمين انكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم وبأخذكم لانكم في ملكه وقبضته ونحت قهره وسلطانه وقيل معناه انما أمهلكم هذه المدة لانه لا يخاف القسوت ولا يعجزه شيء ﴿ورأى الله محزى الكافرين﴾ بمعنى بالقتل والعذاب في الآخرة ﴿وقوله عز وجل﴾ وأذان من الله ورسوله ﴿الاذان في اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة لانه اعلام يدخل وقتها والمعنى واعلام صادر من الله ورسوله واصل معالى الناس يوم الحج الاكبر﴾ اختافوا في يوم الحج الاكبر فروى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة ويروى ذلك عن ابن عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعن علي بن ابي طالب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر أخرجه الترمذى وقال ويروى موقوفا عليه وهو أصح وعن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت يوم النحر بين الجمرات في الجهة التي حج فيها فقال أى يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر أخرجه أبو داود ويروى ذلك عن عبد الله بن أبي أوفى والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدق

مذله في الدنيا بالآلة وفي الآخرة بالعذاب (وأذان من الله ورسوله الناس) ارتفاعه كل ارتفاع برامة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها والاذان بمعنى الايدان وهو الاعلام كان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء والفرق بين الجملة الاولى والثانية أن الاولى

اخبار بيقوت البراءة والثانية اخبار بوجود الاعلام بما ثبت وانما علق البراءة بالدين عوهدا ومن المسلمين وعلق الاذان بالناس لان البراءة مخصصة بالمعاهدين والناس اثنين منهم وأما الاذان فعام لجميع الناس من تاهد ومن لم يهاد ومن فكث من المعاهدين ومن لم ينك (يوم الحج الاكبر) يوم عرفة لان الوقوف بعرفة معظم افعال الحج أو يوم النحر لان فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرى ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج

(واعلموا) يا معسر الكفار (انكم غير معجزى الله) غير قائمين من عذاب الله بالقتل بعد اربعة أشهر (وان الله محزى الكافرين) معذب الكافرين بعد اربعة أشهر بالقتل (وأذان من الله) وهذا اعلام من الله (ورسوله الى الناس) للناس (يوم الحج الاكبر) يوم النحر (وروى)

الاصغر ( أن الله يرى من المشركين ) ﴿ ٨٣ ﴾ أي بأن الله { سورة براءة } حذفت صلة الاذان تخفيفا

ورسوله عطف على المنوى  
في يرى أو على الابتداء  
وحذف الخبر أي ورسوله  
يرى وقرى بالنصب  
عطفًا على اسم ان والخبر  
على الجوار أو على القسم  
كقوله لعرك وحكي  
ان اعرابيا سمع رجلا  
يقروها فقال ان كان الله  
بريثا من رسوله فانامنه  
يرى قلبه الرجل الى عمر  
في اعرابي قرأته  
فنديها أسرعر يتعلم  
العربية ( فان تبتم ) من  
الكفر والقدر ( فهو )  
أي التوبة ( خير لكم )  
من الاصرار على الكفر  
( وان توليت ) عن التوبة  
أو تبتم على التولى والاعراض  
عن الاسلام ( فاعلموا أنكم  
غير معجزى الله ) غير  
سابقين الله ولا فاشين أخذه  
وعقابه ( وبشر الذين  
كفروا بعذاب أليم )

( أن الله يرى من المشركين )  
ودينهم وعهدهم الذي  
نقضوا ( ورسوله ) أيضا  
يرى من ذلك ( فان تبتم )  
من الشرك وآمنتم بالله  
وعمحمد عليه السلام  
والقرآن ( فهو خير لكم )  
من الشرك ( وان توليت )  
عن الايمان والتوبة ( فاعلموا )

ظهر فيه عن المسلمين وذل المشركين ﴿ ان الله ﴾ اي بأن الله ﴿ يرى ﴾ من المشركين  
اي من عهودهم ﴿ ورسوله ﴾ عطف على المستكن في يرى أو على محل ان واسمها  
في قراءة من كسرهما اجراء للاذان مجرى القول وقرى بالنصب عطفًا على اسم ان  
اولان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بنبوت البراءة وهذه  
اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين ﴿ فان تبتم ﴾  
من الكفر والقدر ﴿ فهو ﴾ قاتوب ﴿ خير لكم ﴾ وان توليت ﴿ عن التوبة ﴾ أو تبتم على  
التولى عن الاسلام والوقاء ﴿ فاعلموا انكم غير معجزى الله ﴾ لا فتوتونه طلبا ولا تجزونه  
هرا في الدنيا ﴿ وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾ في الآخرة

وروى ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج الاكبر أيام منى كلها وكان سفيان الثوري يقول  
يوم الحج الاكبر أيام منى كلها لان اليوم قد يطلق ويراد به الحين والزمان كقولك  
يوم صفين ويوم الجبل لان الحروب دامت في تلك الايام ويطلق عليها يوم واحد وقال  
عبدالله بن الحرث بن نوفل يوم الحج الاكبر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد  
المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم عند المؤمنين والكافرين  
قال مجاهد الحج الاكبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة وقال الزهري والشعبي وعطاء الحج  
الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة وانما قيل لها الاصغر لقصان أعمالها عن الحج وقيل سمى  
الحج الاكبر لموافقة حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة  
فودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر في خطبته ان الزمان قد استدار  
وأبطل النسي وجع أحكام الجاهلية قوله عز وجل سبحانه وتعالى ﴿ أن الله يرى ﴾  
من المشركين ورسوله ﴿ فاعلموا انكم غير معجزى الله ﴾ ورسوله بأن الله يرى من المشركين  
وانما حذفت الباء لالة الكلام عليها وفي رفع رسوله وجوه الاول انه رفع بالابتداء وخبره  
مضمرة والتقدير ان الله يرى من المشركين ورسوله ايضا يرى من المشركين ﴿ ان الله يرى ﴾  
من المشركين الثالث ان الله في محل الرفع بالابتداء ويرى خبره ورسوله عطف على المبتدأ  
فان قلت لا فرق بين قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان  
الله يرى من المشركين ورسوله فافائدة هذا التكرار قلت المقصود من الآية الاولى البراءة  
من المهد ومن الآية الثانية البراءة التي هي نقيض الموالاتة الجارية مجرى الزجر والوعيد  
والذي يدل على صحة هذا الفرق انه قال في أولها براءة من الله ورسوله الى من يرى اليهم  
وفي الثانية يرى منهم قوله عز وجل ﴿ فان تبتم ﴾ يعني فان رجعت عن شرككم وكفركم  
﴿ فهو خير لكم ﴾ يعني من الاقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله في التوبة والاقلاع  
عن الشرك الموجب لدخول النار ﴿ وان توليت ﴾ يعني أعرضتم عن الايمان والتوبة من  
الشرك ﴿ فاعلموا انكم غير معجزى الله ﴾ فيه وعيد عظيم واعلام لهم بأن الله سبحانه  
وتعالى قادر على انزال العذاب بهم وهو قوله تعالى ﴿ وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾

يا معشر المشركين ( انكم غير معجزى الله ) غير ما تبتم من عذاب الله ( وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ) يعني القتل بعد أربعة اشهر



بشارة المؤمنين بنعيم مقيم (الا الذين عاهدتم من المشركين) استثناء من قوله فسبحوا في الارض والماضي براءة من الله وسو الى الذين عاهدتم من { الجزء العاشر } المشركين فقولوا ﴿ ٨٤ ﴾ لهم سبحوا الا الذين عاهدتم منهم (ثم

﴿ الا الذين عاهدتم من المشركين ﴾ استثناء من المشركين او استدراك وكأنه قيل لهم بعد ان امروا بقتل العهد الى التاكيد ولكن الذين عاهدوا منهم ﴿ ثم لم ينقضوكم شيئاً ﴾ من شروط العهد ولم ينكثوا ولم يقتلوا منكم ولم يضرروكم قط ﴿ ولم يظاهروا عليكم احداً ﴾ من اعدائكم ﴿ فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ﴾ الى تمام مدتهم ولا تجروهم بحري التاكيد ﴿ ان الله يحب المتقين ﴾ تعبد وقنيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى ﴿ فاذا انسلك ﴾ انقضى واصلى الانسلاخ خروج الشيء مما لا يسده من سطح الشاة ﴿ الاشهر الحرم ﴾ التي ابيع للناس كمين ان يسبحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا على بالنظم مخالف للاجتماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيها نزل بعد ما ينسخها ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾

يعنى في الآخرة ولفظ البشارة هنا انما ورد على سبيل الاستهزاء كما يقال تحميم الضرب واكرامهم الشتم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ الا الذين عاهدتم من المشركين ﴿ هذا الاستثناء راجع الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله الشتم الى الذين عاهدتم من المشركين يعنى الامن عهد الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو نصر حتى من كنانة امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان تدنى من مدتهم تسعة اشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله تعالى ﴿ ثم لم ينقضوكم شيئاً ﴾ يعنى من عهدهم التي عاهدتموهم عليها ﴿ ولم يظاهروا ﴾ يعنى ولم يماونوا ﴿ عليكم احداً ﴾ يعنى من عدوكم وقال صاحب الكشاف وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسبحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سبحوا في الارض الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوكم ﴿ فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ﴾ والاستثناء يعنى الاستدراك كانه قيل لهم بعد ان امروا في التاكيد لكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم بحرامهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ﴿ ان الله يحب المتقين ﴾ يعنى ان قضية التقوى تقتضى ان لا يسوى بين القيلتين يعنى الوافي بالعهد والتاكيد والغادر فيه ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ فاذا انسلك الاشهر الحرم ﴿ يعنى فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحق هى شهرة العهد سميت حرماً لحرمة نقض العهد فيها فمن كان له عهد فعنده أربعة أشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء المحرم وذلك لخسوس يوم او قيل اغايل لهما حرم لان الله سبحانه وتعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم فان قلت على هذا القول هذه المدة وهى الخسوس يوم او بعض الاشهر الحرم والله سبحانه وتعالى قال فاذا انسلك الاشهر الحرم قلت لما كان هذا القدر من الاشهر متصلاً بما مضى أطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾

ينقضوكم شيئاً) من شروط الهدأى وفوا بالعهد ولم ينقضوه وقرئ لم ينقضوكم أى عهدكم وهو أليق لكن المشهورة أبغ لانه في مقالة التمام (ولم يظاهروا عليكم أحداً) ولم يماونوا عليكم عدواً (فاتموا اليهم عهدهم) فأدوه اليهم تاماً كاملاً (الى مدتهم) الى تمام مدتهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في التاكيد لكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم بحرامهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر (ان الله يحب المتقين) يعنى ان قضية التقوى ان لا يسوى بين الفريقين فاتموا الله في ذلك (فاذا انسلك) مضى أو خرج (الاشهر الحرم) التي ابيع فيها لنا كمين أن يسبحوا (فاقتلوا المشركين) الذين نقضوكم وظاهروا

(الا الذين عاهدتم من المشركين) يعنى بنى كنانة بسد طام الحديبية (ثم لم ينقضوكم شيئاً) لم ينقضوا عهدهم مما كان لهم تسعة أشهر (ولم يظاهروا) ولم

يماونوا (عليكم أحداً) من عدوكم (فاتموا اليهم) لهم (عهدهم الى مدتهم) الى وقت أجلهم تسعة أشهر (حيث) (ان الله يحب المتقين) عن نقض العهد (فاذا انسلك الاشهر الحرم) فاذا خرج شهر الحرم من بعد يوم النحر (فاقتلوا المشركين)

عليكم (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم (وخذوهم) وأسروهم والاختذا الأسر (واحصروهم) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد (واقعدوا لهم كل مرصد) كل عر وجناز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف (فان تابوا) عن الكفر (واقاموا الصلوة وآتوا الزكاة) ﴿٨٥﴾ فخلوا { سورة برأفة } سييلهم فاطلقوا عنهم

بمدا الأسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تعرضوا لهم (ان الله غفور) يستد الكفر والقدور بالاسلام (رحيم) برفع القتل قبل الاداء بالالتزام (وان أحد من المشركين استجارك فاجره) أحد من المشركين استجارك شرط مضمر يفسره الظاهر أي وان استجارك أحد استجارك والمضى وان جاءك أحد من المشركين بمدا نقضاء الأشهر لا عهد بينك وبينه واستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن فامنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه) بمذا ذلك (مأمنه) داره التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قتله ان شئت وفيه دليل على ان المستأمن لا يؤذى وليس له الاقامة في دارنا ويمكن من العود (ذلك) أي الامر بالاجارة في قوله فاجره (بانهم قوم لا يعلمون) بسبب

الناكثين (حيث وجدتموهم) من حل وحرم (وخذوهم) وأسروهم والاختذا الأسر (واحصروهم) واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام (واقعدوا لهم كل مرصد) كل عر لا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف (فان تابوا) عن الشرك بالايان (واقاموا الصلوة وآتوا الزكاة) تصديقاً لثوبتهم وایمانهم (فخلوا سييلهم) فدعوهم ولا تعرضوا لهم بشئ من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سييله (ان الله غفور رحيم) تليل للامر أي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعدهم الثواب بالتوبة (وان أحد من المشركين) المأمور بالتعرض لهم (استجارك) استأمنك وطلب منك جوارك (فاجره) فامنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه مأمنه) موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل (ذلك) الامن او الامر (بانهم قوم لا يعلمون) ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا يد

حيث وجدتموهم (يعنى في الحل والحرم وهذا امر اطلاق يعنى اقلوهم في أى وقت أى مكان وجدتموهم (وخذوهم) يعنى وأسروهم (واحصروهم) أى واحبسوهم قال ابن عباس يريدان تحصنوا فاحصروهم امنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) يعنى على كل طريق والمرصد الموضع الذى يقعد فيه للعدو من رصدت الشئ أرصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم رصدا حتى تأخذوهم من أى وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها (فان تابوا) يعنى من الشرك ورجعوا الى الايمان (واقاموا الصلوة) يعنى وأتموا أركان الصلاة المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة عليهم طيبة بما أنفسم (فخلوا سييلهم) يعنى الى الدخول الى مكة والتصرف في بلادهم (ان الله غفور رحيم) يعنى لمن تاب ورجع عن الشرك الى الايمان ومن المصيبة الى الطاعة (رحيم) يعنى بأوليائه وأهل طاعته وقال الحسن بن الفضل نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على أذى الاعداء (قوله تعالى) (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله) يعنى وان استأمنك يا محمد أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم ليسمع كلام الله الذى أنزل عليك وهو القرآن فاجره حتى يسمع كلام الله ويعرف ماله من الثواب ان آمن وما عليه من العقاب ان أصر على الكفر (ثم أبلغه مأمنه) يعنى ان لم يسلم أبلغه الى الموضع الذى يأمن فيه وهو دار قومه وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فقتله (ذلك بانهم قوم لا يعلمون) أى لا يعلمون دين الله وتوحيدهم فهم يحتاجون

الحرام (وخذوهم) أسروهم (احبسوهم) عن البيت (واقعدوا لهم كل مرصد) على كل طريق يذهبون ويحيئون فيدا لتجارة (فان تابوا) من الشرك وآمنوا بالله (واقاموا الصلوة) اقرؤا بالصلوات الخمس (وآتوا الزكاة) اقرؤا باداء الزكاة (فخلوا سييلهم) الى البيت (ان الله غفور) متجاوز لمن تاب منهم (رحيم) لمن مات على التوبة (وان أحد من المشركين استجارك) استأمنك (فاجره) فامنه حتى يسمع كلام الله قراءتلك لكلام الله (ثم أبلغه مأمنه) وطنه الى حيثما جاء ان لم يؤمن (ذلك) الذى ذكرت (بانهم قوم لا يعلمون)

الجزء العاشر { ما الاسلام } ٨٦ وما حقيقة ما تدعوا اليه فلا بد من اعطاء

من اما لهم ريثما يسمعون ويتدبرون ﴿ كيف يكون للمشركون عهد عند الله وعند رسوله ﴾ استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا يتكثوه مع وطرة صدورهم اولان في الله ورسوله بالعهد وهم تكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام اول المشركون او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركون ان لم يكن خبرا قتيبين ﴿ الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ﴾ هم المستنون قبل ومحل النصيب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ﴿ فاستقاموا لكم فاستقيموا لهم ﴾ اي قدر بصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية ﴿ ان الله يحب المتقين ﴾ سبق بيانه ﴿ كيف ﴾ تكرر لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التثنية على الملة وحذف القفل للعلم به كفاي قوله وخبر تعالى انما الموت بالقرى \* فكيف وهاتا هضبة وقلب

اي فكيف مات

الى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة ﴿ كيف يكون للمشركون عهد عند الله وعند رسوله ﴾ هذا على وجه التعجب ومعناه الجحد اي لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يقدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال سبحانه وتعالى ﴿ الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ﴾ قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم اهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدي ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحق هم بنو خزاعة وبنو مدلج وبنو الدئل قبائل من بني بكر كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال عبادهم اهل العهد من خزاعة ﴿ فاستقاموا لكم ﴾ يعني على العهد ﴿ فاستقيموا لهم ﴾ يعني ما اقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد واعانوا بني بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح ارملة أشهر يختارون من امرهم اما ان يسلموا وامان يطبقوا بأي بلاد شاؤا فاسلموا بعد اربعة الانهر والصواب من ذلك قول من قال انهم قبائل من بني بكر وهم خزاعة وبنو مدلج من ضمرة وبنو الدئل وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الدئل من بني بكر فامر باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة وانما كان الصواب هذا القول لان هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كف يقول لكثي قدمضي فاستقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين قال الله عز وجل فيهم الا الذين عاهدتم من المشركون ثم لم ينقضوا شيئا كما تقصم قريش ولم يظاهروا عليكم احدا كما ظهرت قريش بني بكر على خزاعة وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وقوله تعالى ﴾ ان الله يحب المتقين ﴾ يعني انه سبحانه وتعالى يحب الذين يوفون بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه ﴿ كيف

انهم قوم جهلة لا يعلمون الامان حتى يسمعوا او يفهموا الحق ( كيف يكون للمشركون عهد عند الله وعند رسوله ) كيف استفهام في معنى الاستنكار أي مستنكر أن ينبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تتحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتالهم ثم استدرك ذلك بقوله ( الا الذين عاهدتم ) أي ولكن الذين عاهدتم منهم ( عند المسجد الحرام ) ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبني ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم ( فاستقاموا لكم ) ولا يظهر منهم نكث أي فاستقاموا على وفاء العهد ( فاستقيموا لهم ) على الوفاء وما شرطية أي فان استقاموا لكم فاستقيموا لهم ( ان الله يحب المتقين ) يعني ان التربص بهم من أعمال المتقين ( كيف أمر الله وتوحيده ) ( كيف ) على وجه التعجب ( يكون للمشركون عهد عند الله وعند رسوله ) الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام بعد عام الحديبية وهم بنو كنانة ( فاستقاموا لكم ) بالوفاء ( فاستقيموا لهم ) بالتمام ( ان الله يحب المتقين )

( وان )

عن نقض العهد ( كيف ) على وجه التعجب يكون بينكم وبينهم عهد

ان يظهر واعليكم تكرار لاستبعاد ﴿ ٨٧ ﴾ ثبات المشركين بسورة براءة على العهد وحذف الفعل لكونه معلوماً أي

﴿ وان يظهر واعليكم ﴾ أي وحالهم أنهم ان يظهر وابكم ﴿ لا يرقبوا فيكم ﴾ لا يراعوا فيكم  
﴿ الا ﴾ حلقا وقيل قرابة قال حسان

لمركان لك من قريش • كال السقب من رآل النعام

وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجوار لانهم كانوا اذا تعاقبوا رفعوا  
به اصواتهم وشهروهم ثم استمير للقرابة لانها تمقد بين الاقارب مالا يقدره الحلف ثم  
لربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من الال الشيء اذا حده او من ال البرق اذا لمع  
وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايل كجبرئيل وجبرئيل ﴿ ولا ذمة ﴾ عهدا او حقا  
يعاب على اغفاله ﴿ يرضونكم بافواههم ﴾ استئناف لبيان حالهم المتأنية لثباتهم على العهد  
المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد  
ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعده الايمان والطاعة والوفاء  
بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية  
تنافيه ﴿ وتأبى قلوبهم ﴾ ما يتقوه به افواههم ﴿ واكثرهم فاسقون ﴾ مقردون  
لا عقيدة تزعمهم ولا سروة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي  
عن القدر والتمقف عما يجري الى احدوثة السوء ﴿ اشترى بايات الله ﴾ استبدلوا بالقرآن  
﴿ ننا قليلا ﴾ عوضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات

وان يظهر واعليكم ﴿ قيل هذا مردود على الآية الاولى تقديره كيف يكون  
لهم عهد وان يظهر واعليكم ﴾ ﴿ لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة ﴾ وقال الاخفش منناه  
كيف لا تقتلونهم وهم ان يظهر واعليكم أي يظفروا بكم ويظلموكم ويطوا عليكم لا يرقبوا  
أي لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه لا يراعوا فيكم الا قال ابن عباس يعني  
قرابة وقيل رجاء وهذا معنى قول ابن عباس أيضا وقال قتادة الال الحلف وقال السدي  
هو العهد وكذلك الذمة واعا كرر للتأكيد ولاختلاف اللفظين وقال أبو جاز وعجاءد  
الال هو الله عز وجل ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع كلام مسيلة الكذاب  
ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعني من الله وعلى هذا القول يكون معنى الآية لا يرقبون  
الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه ولا ذمة بيني ولا يحفظون عهدا ﴿ يرضونكم بافواههم  
وتأبى قلوبهم ﴾ معنى يطيعونكم بالسنة بخلاف ما في قلوبهم ﴿ واكثرهم فاسقون ﴾  
فان قات ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر أخبث وأفهم من الفسق فكيف وصفهم  
بالفسق في معرض الذم وما الفائدة في قوله واكثرهم فاسقون مع ان الكفار كلهم فاسقون  
قلت قد يكون الكافر عدلا في دينه وقد يكون فاسقا خبيث الفسق في دينه فالمراد بوصفهم  
بكونهم فاسقين أنهم تقضوا العهد وبالنوا في مداوة فوسفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم  
فيكون أبلغ في الذم وانما قال أكثرهم ولم يقل كلهم فاسقون لان منهم من وفى بالعهد ولم  
ينقضه واكثرهم تقضوا العهد فلماذا قال سبحانه وتعالى واكثرهم فاسقون • وفعله  
تعالى ﴿ اشترى بايات الله ننا قليلا ﴾ يعني استبدلوا بايات القرآن والايمان بهاء عر صا  
قليل من متاع الدنيا وذلك انهم تقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله

كيف يكون لهم عهد وحالهم  
انهم ان يظهر واعليكم أي  
يظفروا بكم بعدما سبق لهم من  
تأكيد الايمان والمواثيق  
﴿ لا يرقبوا فيكم الا ﴾ لا يراعوا  
حلقا والاقربة ﴿ ولا ذمة ﴾  
عهدا ﴿ يرضونكم بافواههم ﴾  
بالوعد بالايمان والوفاء  
بالعهد وهو كلام مبتدأ  
في وصف حالهم من  
مخالفة الظاهر والباطن  
ومقرر لاستبعاد الثبات منهم  
على العهد ﴿ وتأبى  
قلوبهم ﴾ الايمان والوفاء  
بالعهد ﴿ واكثرهم  
فاسقون ﴾ ناقضون العهد  
أو مقردون في الكفر  
لا سروة تمنعهم عن الكذب  
ولا شمائل تردعهم عن  
الكذب كما يوجد ذلك في  
بعض الكفرة من التفادي  
عنهما ﴿ اشترى ﴾ استبدلوا  
﴿ بايات الله ﴾ بالقرآن  
﴿ ننا قليلا ﴾ عوضا يسيرا  
وهو اتباع الاهواء والشهوات  
﴿ وان يظهر واعليكم ﴾  
لا يرقبوا فيكم لا يحفظوكم  
﴿ الا ﴾ لقبيل القرابة ويقال  
لقبل الله ﴿ ولا ذمة ﴾ لا لقبيل  
العهد ﴿ يرضونكم بافواههم ﴾  
بالسنة ﴿ وتأبى ﴾ تنكر  
﴿ قلوبهم واكثرهم ﴾ كلهم  
﴿ فاسقون ﴾ ناقضون العهد ﴿ اشترى بايات الله ﴾ بمحمد عليه السلام وقرآن ﴿ ننا قليلا ﴾ عوضا يسيرا

(فصدوا عن سبيله) فعدلوا { الجزء العاشر } عنه وصرفوا غيرهم ﴿ ٨٨ ﴾ (أنهم ساء ما كانوا يعملون) أ

﴿فصدوا عن سبيله﴾ دينه الموصل إليه أو سبيل يثبه بمحصر الحجاج والعمار والقاء  
للدلالة على أن اشتراءهم أداهم إلى الصد ﴿أنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ علمهم هذا وما دل عليه  
قوله ﴿لا يرقبون في مؤمن الا ولادمة﴾ فهو تفسير لا تكرير وقبل الا ولادمة في المناقذين وهذا  
خاص بالذين اشتروا وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم ﴿وأولئك  
هم المعتدون﴾ في الشرارة ﴿فان تابوا﴾ عن الكفر ﴿واقاموا الصلوة وآتوا الزكاة  
فاخوانكم﴾ فهم اخوانكم ﴿في الدين﴾ لهم مالكم وعليهم ما عليكم ﴿وتفصل الآيات  
لقوم يعلمون﴾ اعتراض الحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين

عليه وسلم بسبب أكلة أطعمهم إياها أبو سفيان بن حرب فذمهم الله بذلك قال مجاهد  
أطعم أبو سفيان حلفاء وترله حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فصدوا عن  
سبيله﴾ يعني متموا الناس عن الدخول في دين الله قال ابن عباس وذلك أن أهل  
الطائف أمدهم بالاموال ليقوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
﴿أنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ يعني من الشرك وتقضهم العهد ومنهم الناس  
عن الدخول في دين الاسلام ﴿لا يرقبون في مؤمن الا ولادمة﴾ يعني ان هؤلاء  
المشركين لا يراعون في مؤمن عهدا ولا ذمة اذا قدروا عليه قتلوه فلا تبقوا أنتم عليهم  
كالم يبقوا عليكم اذا ظهروا عليكم ﴿وأولئك هم المعتدون﴾ يعني في تقض العهد  
﴿قوله عز وجل﴾ ﴿فان تابوا﴾ يعني فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن  
تقض العهد الى الوفاء به ﴿واقاموا الصلوة﴾ يعني بالمفروضة عليهم بجميع حدودها  
وأركانها ﴿وآتوا الزكاة﴾ يعني وبذلوا الزكاة المفروضة عليهم طيبة بها أنفسهم  
﴿فاخوانكم في الدين﴾ يعني اذا فعلوا ذلك فهم اخوانكم في الدين لهم مالكم وعليهم ما عليكم  
﴿وتفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ يعني ونبين جميع أدلتنا ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم  
ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة وقال ابن مسعود  
أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يرك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة  
جميعا لم يفرق بينهما وأبى أن يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال يرحم الله أيا بكر ما كان  
أقتهه يعني بذلك ما ذكره أبو بكر في حق من منع الزكاة وهو قوله والله لا افرق بين  
شيئين جمع الله بينهما يعني الصلاة والزكاة (ق) عن أبي هريرة قال لما توفى النبي صلى  
الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لا بى  
بكر كيف تقابل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس  
حتى يقولوا لا اله الا الله فن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الابحقة وحسابه  
على الله عز وجل فقال أبو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة  
حق المال والله لو منعوني عاقا كانوا يؤدونها في رواية عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله  
وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا أن رأيت ان الله شرع صدر أبي بكر للقتال

بئس الصنيع صنيعهم  
(لا يرقبون في مؤمن الا  
ولادمة) ولا تكرار لان  
الاول على الخصوص حيث  
قال فيكم والثاني على العموم  
لانه قال في مؤمن (وأولئك  
هم المعتدون) المجاوزون  
الغاية في الظلم والشرارة  
(فان تابوا) عن الكفر  
(واقاموا الصلوة وآتوا  
الزكاة فاخوانكم) فهم  
اخوانكم على حذف المبتدأ  
(في الدين) لافي النسب  
(وتفصل الآيات) ونبيها  
(لقوم يعلمون) يفهمون  
فيتفكرون فيها وهذا  
اعتراض كأنه قيل وان  
من تأمل تفصيلها فهو  
المسلم تحريضا على تأمل  
ما فصل من احكام المشركين  
المعاهدين وعلى المحافظة عليها

(فصدوا عن سبيله) عن دينه  
وطاعته (أنهم ساء ما كانوا  
يعملون) بئس ما كانوا  
يصنعون من الكتمان  
وغيره ويقال نزلت هذه  
الآية في شأن اليهود  
(لا يرقبون) لا يحفظون  
(في مؤمن الا) قرابة ويقال  
الا هو الله (ولادمة) لا لقل  
العهد (وأولئك هم المعتدون)  
من الحلال الى الحرام

بتقض العهد وغيره (فان تابوا) من الشرك وآمنوا بالله (واقاموا الصلوة) أقرأوا بالصلوات (وآتوا الزكاة) (فصرفت)  
أقرأوا بالزكاة (فاخوانكم في الدين) في اذ اسلام (وتفصل الآيات) تبين القرآن بالامر والنهي (لقوم يعلمون) ويصدقو

(وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم) أى نقضوا العهد المؤكدة بالإيمان (وطعنوا في دينكم) وطجوه (فقاتلوا أئمة الكفر) فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر ﴿ ٨٩ ﴾ موضع ضميرهم { سورة براءة } وهم رؤساء الشرك أو

زعما قريش الذين هموا باخراج الرسول وقالوا اذا طعن الذي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على أن لا يلعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة أئمة بهزتين كوفي وشامي الباكون بهزة واحدة غير ممدودة بسدها ياء مكسورة أصلها أئمة لانها جمع امام كعماد وأعمدة فنقلت حركة الميم الاولى الى الهزة الساكنة وأدغمت في الميم الاخرى

فن حقت الهزتين أخرجهما على الاصل ومن قلب الثانية ياء فلكسرتها (انهم لايمان لهم) وانما أثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا أيمانهم لانه أراد أيمانهم أظهر وهائهم قال لايمان لهم على الحقيقة وهو دليل على أن عين الكافر لا تكون عينا ومعناه عند السامع رجة الله أنهم لاوفون بها لان عينهم عين عنده حيث وصفها بالنكث لا ايمان شامى أى لا اسلام (لهم يثرون)

(وان نكثوا) أهل مكة

﴿ وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم ﴾ وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان أو الوفاء بالعهود ﴿ وطعنوا في دينكم ﴾ بصرح النكذيب وتبجح الاحكام ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر ﴾ أى فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع الضمير للدلالة على أنهم صاروا بذلك ذوى الرئاسة والقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالأئمة رؤساء المشركين فالنحويين اما لان قتلهم اهم وهم احق به أو لمنع من ساقبتهم وقرأ عامر وابن عامر وحزة والكسائي وروح عن يعقوب أئمة بتحقيق الهزتين على الاصل والنصر على الياء لحن ﴿ انهم لايمان لهم ﴾ أى لا ايمان لهم على الحقيقة والاملا طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهده الحنفية على ان عين الكافر ليست عينا وهو ضميم لان المراد نفي الوفاق عليها لانها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا أيمانهم وقرأ ابن عامر لايمان بمعنى لا امان أو لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتدين وهو ضميم لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاختيار عن قوم معينين أو ليس لهم ايمان فراقبوا لاجله ﴿ ولهم يثرون ﴾ متعلق بقاتلوا أى

فرفت انه الحق عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبائنا وأكل ذبحنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ وان نكثوا أيمانهم ﴿ يعنى وان نقضوا عهودهم ﴾ من بعد عهدهم ﴿ يعنى من بعد ما عاهدوكم عليه أن لا يقتلوك ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم ﴾ وطعنوا في دينكم ﴿ يعنى وطجوا دينكم الذى أنتم عليه وقد حوا فيه وتلبوه وفي هذا دليل على ان الذى اذا طعن في دين الاسلام وطج ظاهره لا يبقى له عهد والمراد بهؤلاء الذين نقضوا العهد كقريش وهو قوله تعالى ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر ﴾ يعنى رؤس المشركين ونادتهم قال ابن عباس نزلت في أنى سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وأبي جهل واند عكرمة وسائر رؤساء قريش وهم الذين نقضوا عهودهم وهموا باخراج الرسول رقتل أاد جمع الكفار وانما ذكر الأئمة لانهم الرؤساء والمادة مفي تساهم فالتابع وحال مجاههم فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ما قتل أهل هذه الآفة بعد ولم مات أهلها ولعل حذيفة أراد بذلك الذين يظهرون مع الدجاء من اليهود فانه أئمة الكفر في ذلك الزمان والله أعلم بمراده ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ انهم لايمان لهم ﴿ جمع بين أى لا عهد لهم وقيل معناه أنهم لاوفاء لهم بالعهود وقرئ لايمان لهم كسر الهمزة وساء لادين لهم ولا تصديق وقيل هو من الايمان أى اقتناوهم حيث وجدتهم وهم لا يؤمنون ﴿ ان نكثوا ﴾ أى ان نكثوا عن الايمان الى الايمان من غير المؤمنين على

(أيانهم) - يرد لهم إلى دكر وينهم (ما و خا ١٢ ث) (من - ميم وطعنوا في دينكم) - طعنوا في دين الاسلام (فقاتلوا أئمة الكفر) - عادة الكفر بأسيان وأصحابه (انهم لايمان لهم) - لا عهد لهم (لهم يثرون) - لكى يثروا

متعلق بقتالوا أئمة الكفر وما بينهما اعتراض أي ليكن غرضكم في مقاتلتهم انتباههم عما هم عليه بعدما وجد منهم من الظلم وهذا من غاية كرهه على المسئ ثم حرص على القتال فقال ( ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم )  
 التي حلفوها في المعاهدة { الجزء العاشر } ( وهو ما باخراجه ) ﴿ ٩٠ ﴾ ( الرسول ) من مكة ( وهم بدؤكم أول

ليكن غرضكم في المقاتلة ان يتبوا عما هم عليه لا ليصل الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين  
 ﴿ ألا تقاتلون قوما ﴾ تحريض على القتال لان الهمة دخلت على النبي للاشكار فافادت  
 المبالغة في الفعل ﴿ نكثوا أيمانهم ﴾ التي حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين  
 على ان لا يماونوا عليهم فما نوا بنى بكر على خزاعة ﴿ وهو ما باخراجه الرسول ﴾ حين  
 تشاوروا في اسره بدار الندوة على ما سر ذكره في قوله واذا يمحرك الذين كفروا  
 وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهو ما باخراجه من المدينة ﴿ وهم بدؤكم أول  
 مرة ﴾ بالمعادة والمقاتلة لانه عليه الصلاة والسلام بدأهم بالدعوة والرام الحجة  
 بالكتاب والتحدى به فمدلوا عن معارسته الى المعادات والمقاتلة فاعتكم ان تمارضوهم  
 وتصادموهم ﴿ ان تخشونهم ﴾ أتكون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم ﴿ والله حق  
 ان تخشوه ﴾ فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا اسره ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ فان قضية الايمان  
 ان لا يخشى الا الله ﴿ قاتلوهم ﴾ امر بالقتال بديان موجب والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه  
 ﴿ يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ﴾ وعدلهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم

جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال تعالى ﴿ ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم ﴾ يعني  
 نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأطانوا بنى بكر على خزاعة  
 ﴿ وهو ما باخراجه الرسول ﴾ يعني من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة ﴿ وهم بدؤكم ﴾  
 يعني بالقتال ﴿ أول مرة ﴾ بقى يوم بدر وذلك أنهم قالوا لا نصرف حق نستأصل  
 محمدا وأصحابه وقيل أراد به انهم بدؤا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ﴿ ان تخشونهم ﴾ يعني أنخافوهم أيها المؤمنون فتزكون قتالهم  
 ﴿ والله أحق أن تخشوه ﴾ يعني في ترك القتال ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ يعني ان كنتم  
 مصدقين بوعد الله ووعيده ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ﴿  
 يريد بالعذاب القتل يعني يقتلهم الله بأيديكم فان قلت كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله  
 بأيديكم وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قلت المراد بقوله وما كان الله ليعذبهم  
 وأنت فيهم عذاب الاستئصال يعني وما كان الله ليستأصلهم بالعذاب جميعا وأنت فيهم  
 والمراد بقوله قاتلوهم يعني الذين نقضوا العهد وبدؤا بالقتال فامر الله بنبيه صلى الله عليه  
 وسلم والمؤمنين بقتال من قاتلهم أو نقض عهدهم والفرق بين العذابين ان عذاب  
 الاستئصال يتعدى الى المذنب وغير المذنب والى المحالف والموافق وعذاب القتل  
 لا يتعدى الا الى المذنب المخالف ﴿ وقوله تعالى ﴾ ويخزهم ﴿ يعني ويذلهم بالقهر والاسم  
 ويذلهم الذل والهوان ﴾ وينصركم عليهم ﴿ يعني بان يظفركم بهم

سرة) بالقتال والبادى  
 أعظم لما يمتكم من أن  
 تقتلوهم ويخضعهم بترك  
 مقاتلتهم وحضهم عليها ثم  
 وصفهم بما يوجب الخس  
 عليهما نكث العهدوا خراج  
 الرسول والبدء بالقتال  
 من غير موجب (أنخشونهم)  
 توبيخ على الخشية منهم  
 ( قاله أحق أن تخشوه )  
 بان تخشوه فقاتلوا أعداءه  
 (ان كنتم مؤمنين) فاختشوه  
 أي ان قضية الايمان  
 الكامل أن لا يخشى المؤمن  
 الا ربه ولا يبالي بمن سواه  
 ولما ويخضعهم الله على ترك  
 القتال جرد لهم الاسره  
 بقوله (قاتلوهم) ووعدهم  
 النصر ليثبت قلوبهم وتصح  
 نياتهم بقوله (يعذبهم الله  
 بأيديكم) قتلا (ويخزهم)  
 أسرا (وينصركم عليهم)

عن نقض العهد ( ألا  
 تقاتلون قوما ) ما لكم  
 لا تقاتلون قوما يعني أهل  
 مكة ( نكثوا أيمانهم )  
 نقضوا عهودهم التي يتك  
 وينهم ( وهو ما باخراجه  
 الرسول ) أرادوا قتل

الرسول حيث دخلوا دار الندوة (وهم بدؤكم أول مرة) ينقض العهد منهم حيث أطانوا بنى بكر ( ويشب )  
 حلفاءهم على بنى خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم (أنخشونهم) يا معشر المؤمنين أنخشون قتالهم ( قاله أحق أن تخشوه )  
 في ترك أسره (ان كنتم) اذ كنتم (مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) يسوقكم بالقتل (ويخزهم) يذلهم بالهزيمة (وينصركم عليهم)

يفلبكم عليهم) ويشف صدور قوم مؤمنين (طائفة منهم وهم خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويذهب غيظ قلوبهم) لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله ﴿ ٩١ ﴾ هذه المواعد { سورة براءة } كلها فكان دليلا على صحة

نبوته (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء كلام واخبار بان بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم كابي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وهي ترد على المعتزلة قولهم ان الله تعالى شاء ان يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم (والله اعلم يعلم ماسيكون كما يعلم ماقد كان (حكيم) في قبول التوبة (أم حسبتم أن تتركوا وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أم منقطعة والهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان أي لا تتركوا على ما أنتم عليه حتى يتبين الخالص منكم وهم الذين جاهدوا

والتمكن من قتلهم واذلالهم ﴿ ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾ يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلوا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ﴿ ويذهب غيظ قلوبهم ﴾ لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والآية من المجزآت ﴿ ويتوب الله على من يشاء ﴾ ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الاسر فان القتال كان سبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين ﴿ والله اعلم ﴾ بما كان وما سيكون ﴿ حكيم ﴾ لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ﴿ أم حسبتم ﴾ خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمناقضين وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ﴿ ان تتركوا ﴾ وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴿ ولم يقين الخالص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم في العلم وارادني المعلوم للبيعة فانه كالبهران عايد من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه

﴿ ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾ يعني ويبرئ داء قلوبهم مما كانوا ينالونه من الاذى منهم ومن المعلوم ان من طال اذيه من خصمه ثم مكنته الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سببا لقوة اليقين وثبات العزيمة قال مجاهد والسدي اراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اعانت قريش بنى بكر على خزاعة حتى قتلوا منهم ثم شفى الله صدور خزاعة من بنى بكر حتى اخذوا يا ناره منكم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ﴿ ويذهب غيظ قلوبهم ﴾ يعني ويذهب وجد قلوبهم عما نالوه من بنى بكر وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف الا خزاعة من بنى بكر الى المصر ذكره البغوي بغير سند ﴿ ثم قال تعالى ﴾ ويتوب الله على من يشاء ﴿ هذا كلام مستأنف ليس له تعلق بالاول والمعنى ويهدي الله من يشاء الى الاسلام فيمن عليه بالتوبة من الشرك والكفر ويهديه الى الاسلام كافي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو فلهؤلاء كانوا من أئمة الكفر ورؤساء المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا ﴿ والله اعلم ﴾ يعني بسر اثار عبادته ومن سبقت له العصابة الازلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه الى الاسلام ﴿ حكيم ﴾ يعني في جميع افعاله ﴿ قوله عز وجل ﴾ أم حسبتم أن تتركوا ﴿ هذا من الاستفهام المعترض في وسط الكلام ولذلك ادخلت فيه أم لتفريق بينه وبين الاستفهام المتبدا والمعنى اظنتم ايها المؤمنون ان تتركوا فلا تؤسروا بالجهاد ولا تكهنوا بظهور الصادق من الكاذب ﴿ وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴾ اراد بالعالم المعلوم لان وجود الشيء يلزمه معاوم الوجود عند الله لا جرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قاله الامام فخر الدين الرازي ونقل الراحدي عن الزحاج

بالغلبة ( ويشف صدور قوم مؤمنين) يفرح قلوب بني خزاعة عليهم بما أحل لهم القتل يوم فتح مكة ساعة في الحرم ( ويذهب غيظ قلوبهم ) حنق قلوبهم (ويتوب الله على من يشاء) على من تاب منهم ( والله

ليم ) عن تاب ومن لم يتب منهم ( حكيم ) فيما حكم عليهم ويقال حكم بقتلهم وهزيتهم ( أم حسبتم ) اظنتم يا معشر المؤمنين ( أن تتركوا ) ان تهملوا وان لا تؤسروا بالجهاد ( وما يعلم الله ) ولم ير الله ( الذين جاهدوا منكم ) في سبيل الله



في سبيل الله لوجه الله (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أي بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما { الجزء الثامن } منها التوقع ٩٢ وقد دلت على أن تبين ذلك متوقع

﴿ولم يتخذوا﴾ عطف على جاهدوا داخل في الصلة ﴿من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾ بطانة يوالونهم ويفشون اليهم أسرارهم وما في لسان من معنى التوقع منه على أن تبين ذلك متوقع ﴿والله خير بما تعملون﴾ يعلم خباياهم وهو كالترجح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ﴿ما كان للمشركين﴾ ما صح لهم ﴿أن يعمروا مساجد الله﴾ شياً من المساجد فضلاً عن المسجد الحرام وقبل هو المراد وإنما جمع لأنه قلة المساجد وإمامها فإمامه كما صرح الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وإبي أي السمل الذي يحازي عليه لأنه إنما يحازي على ما علوا ﴿ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾ قال الفراء الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم يفشون اليهم أسرارهم وقيل قادة وليجة يعني خيانة وقيل الضعفاء خديعة وقال عطاه أولياء يعني لا يتخذوا المشركين أولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين وقيل أبو عبيدة كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة من الواو ج فوليجة الرجل من يختصه بدخيلة أمره دون الناس وقال الراغب الوليجة كل ما يتخذ الإنسان معقداً عليه وليس من قومه فلان وليجة في القوم إذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذاهي المؤمنين عن موالاة المشركين وأن يفشوا اليهم أسرارهم ﴿والله خير بما تعملون﴾ يعني من موالاة المشركين وإخلاص العمل لله وحده ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله يعني به المسجد الحرام وقرئ مساجد الله على الجمع والمراد به المسجد الحرام أيضاً وإنما ذكره بلفظ الجمع لأنه قبلة المساجد كلها وسبب نزول هذه الآية أن جماعة من رؤساء كفار قريش أسروا يوم بدر ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيرونهم بالشرك وجعل على بن أبي طالب يوح العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكفون محاسنا نقبل له وهل لكم من محاسن قل نعم نحن أفضل منكم نحن نعمل المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجاج ونفك العاني يعني الأسير فنزلت هذه الآية ما كان للمشركين أي ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله أو يجب الله على المسلمين منعهم من ذلك لأن المساجد إنما تعمر لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافراً بالله فليس له أن يعمر مساجد الله واختلفوا في المراد بالمعارة على قولين أحدهما أن المراد بالمعارة العمارة المعروفة من بناء المساجد وتشيدها وسميتها عند خرابها فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني أن المراد بالمعارة دخول المسجد والقعود فيه فيمنع الكافر من دخول المسجد بفراذن مسلم حتى لو دخل بفراذن مسلم عن روان دخل بأذن لم يعز ويدر على جواز دخول

كائن وإن الذين لم يخلصوا دينهم الله يميز بينهم وبين المخلصين ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهد منكم والمخاصين غير المتخذين وليجة من دون الله والمراد بنفي العلم في العلوم كقولك ما علم الله معنى ما قيل في تريد ما وجد ذلك مني والمضى أحسبتم أن تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين (والله خير بما تعملون) من خير أو شرف فيجازيكم عليه (ما كان للمشركين) ما صح لهم وما استقام (أن يعمروا مساجد الله) مساجد الله مكي وبصري يعني المسجد الحرام وإنما جمع في القراءة بالجمع لأنه قبلة المساجد وإمامها فإمامه كما صرح جميع المساجد ولأن كل بقعة منه مسجد أو أريد جنس المساجد وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنبها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس وهو أكد إذ طريقه طريق الكناية كما تقول فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفي إقرائه القرآن من تصريحك بذلك

(ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين) المخاصين (وليجة) بطانة من الكفار (والله خير) (الكافر) بما تعملون (من الخير والشر في الجهاد وغيره) (ما كان للمشركين) ما ينبغي للمشركين (أن يعمروا مساجد الله)

(شاهدين على انفسهم  
بالكفر) باعترفهم بعبادة  
الاصنام وهو حال من الواو  
في يعزروا والمعنى ما استقام  
لهم ان يجمعوا بين امرين  
متضادين عبارة متعبدات  
الله مع الكفر بالله وعبادته  
(اولئك حبطت افعالهم  
وفي النار هم خالدون)  
دائمون (انما يعمر مساجد  
الله) عمارتها رما استمر  
منها وقها وتنظيفها وتنويرها  
بالمصابيح وصيانتها بحال  
تدبرها المساجد من احاديث  
الدنيا لانها بنيت للعبادة  
والذكر ومن الذكر درس  
العلم (من آمن بالله واليوم  
الآخر) ولم يذكر الايمان  
بالرسول عليه السلام لما  
علم ان الايمان بالله قرينة  
الايمان بالرسول لاقتراحهما  
في الاذان والاقامة وكلمة  
الشهادة وغيرها اودل  
شاهدين على انفسهم)  
بثليتهم (بالكفر اولئك  
حبطت افعالهم) بطلت  
حناتهم في الكفر  
(وفي النار هم خالدون)  
لا يعدمون ولا يخرجون  
منها (انما يعمر مساجد الله)  
المسجد الحرام (من آمن  
بالله واليوم الآخر)

عمر ويقيم بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب  
الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متضادين عبارة  
بيت الله وعبادة غيره روى انه لما اسر العباس عمه المسلمون بالشرك وقطعة الرجم  
واغلظ له على رضى الله تعالى عنه في القول فقال ما بالكم تذكرون مساوينا وتكفون عاصنا  
انما يعمر المسجد الحرام ويحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العاق فنزلت (اولئك  
حبطت افعالهم) التي يفخرون بها بما قرنها من الشرك (وفي النار هم خالدون)  
لاجله (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)

الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن اثال الى سارية من سواري  
المسجد وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها قوله عز وجل (شاهدين  
على انفسهم بالكفر) يعني لا يدخلون المساجد في حال كونهم شاهدين وقيل تقديره  
وهم شاهدون فلما حذفت وهم نصب وقال ابن عباس رضى الله عنه شهادتهم على انفسهم  
بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا اصنامهم خارج البيت  
الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عمرة كل طائفوا طوفة سجدوا للاصنام فلم  
يزدادوا بذلك من الله الا بعدا وقال الحسن انهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم  
بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال السدي شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان النصراني  
يسئل من انت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرک يقول مشرك وقال  
ابن عباس رضى الله عنه في رواية عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه من انفسهم  
(اولئك حبطت افعالهم) يعني الاعمال التي علوها في حال الكفر من اعمال البر مثل قري  
الضرب وسقى الحاج وفك العاق لانها لم تكن لله فلم يكن لها تأثير مع الكفر (وفي النار هم  
خالدون) يعني من مات منهم على كفره قوله عز وجل (انما يعمر مساجد الله  
من آمن بالله واليوم الآخر) لما بين الله عز وجل ان الكافر ليس له ان يعمر مساجد الله  
بين في هذه الآية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من آمن بالله فان الايمان بالله  
شرط فحين يعمر المسجد لان المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا  
بالله امتنع ان يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الآخر يعني وآمن باليوم الآخر وانه حق  
كائن لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزاء أجره انما يكون في الآخرة فمن أنكر  
الآخرة لم يعبد الله ولم يعمره مسجدا فان قلت لم يذكر الايمان برسول الله مع أن الايمان  
به شرط في صحة الايمان قات ان الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل في الايمان بالله  
فان من آمن بالله واليوم الآخر فقد آمن برسول الله لان من جهة معرف الايمان بالله واليوم  
الآخر لانه هو الداعي الى ذلك وتبين ان المسركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعى النبوة  
طلب للرياسة والملك فاخبر الله عز وجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما ادعى الايمان بالله  
واليوم الآخر لا لطلب الرياسة والملك فلذلك قال سبحانه وتعالى انما يعمر مساجد الله من  
آمن بالله واليوم الآخر وترك ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه تبارك

وآتى الزكوة) وفي قوله (ولم يخش الا الله) تنبيه على الاخلاص والتمسك بالحق في أبواب الدين بأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع خوف اذلاله من قد يخفى المحاذير ولا يتأكد أن لا يختشأها وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فإريدني تلك الخشية عنهم (ففسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) تنبيه للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم لان عسى كلمة اطماع والمنى انما تستقيم عبارة هؤلاء وتكون معتد بها عند الله دون من سواهم (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام

بالبعث بعد الموت) واقام الصلوة) أتم الصلوات الخمس (وآتى الزكوة) أدى الزكاة المفروضة (ولم يخش الا الله) ولم يعبد الا الله ففسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) بدين الله وجهته وعسى من الله واجب ثم نزلت في رجل من المشركين أسر يوم بدر فافتخر على على أو على رجل من أهل بدر فقال نحن نسقي الحاج ونعمر المسجد الحرام وننعل

واقام الصلوة وآتى الزكوة) أي انما تستقيم عمارتها هؤلاء الجامعين للكمالات العلية والعملية من عمارتها تزيينها بالقرى وتنويرها بالسراج وإدامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها عاملين له كحديث الدنيا وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى ان بيوتى في ارضي المساجدون زوارى فيها عمارها فطوبى لبعد تطهر في بيته ثم زارنى في بيتى فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قريته وتامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى الزكاة عليه (ولم يخش الا الله) أي في أبواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبيلة لا يكاد الرجل الماقل يتأكد عنها (ففسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) ذكره بصيغة التوقع قطعاً لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخهم بالقطع بأنهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداهم دأثراً بين عسى ولعل فاعظنك بأضدادهم ومنعاً للمؤمنين ان يقتروا باحوالهم ويتكلموا عليها (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام

وتعالى قال بعد الايمان بالله واليوم الآخر) واقام الصلوة وآتى الزكوة) وكان ذلك محاماً به رسول الله صلى الله عليه وسلم فن أقام الصلاة وآتى الزكاة فقد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان الاعتبار بأقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في عمارة المساجد ان الانسان اذا عمر المسجد أقام الصلاة وآتى الزكاة لان عمارة المسجد انما تلزم لأقامة الصلاة فيه ولا يشغل بعمارة المسجد الا اذا كان مؤد بالزكاة لان الزكاة واجبة وعمارة المسجد نافلة ولا يشغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال التريضة الواجبة عليه (قوله عز وجل) ولم يخش الا الله) يعني ولم يخف في الدين غير الله ولم ترك أمراً لله لخشية الناس (ففسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) وعسى من الله واجب يعني وأولئك هم المهتدون المتسكون بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان فان الله عز وجل يقول انما هم مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية أخرجه الترمذي وقال حدث حسن (ق) عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد أرواح أعداء الله في الجنة نزلاً كلما غدا أرواح النزل ما يبعث للضيف عند نزوله بالقوم (ق) عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى لله مسجداً يبنى به وجهه الله تعالى بنى الله له بيتاً في الجنة وفي رواية بنى الله له في الجنة مثله وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجداً صغيراً كان أو كبيراً بنى الله له بيتاً في الجنة أخرجه الترمذي عن عمرو بن عبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجداً يذكرك الله به بنى الله له بيتاً في الجنة أخرجه النسائي (قوله سبحانه) وتعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) الآية (م) عن العمان بن بشر قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رحل ما أبالي أن لأعمل عملاً بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد في سبيل الله افضل مما فعلتم فزجرهم

كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين ( السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالمصانة والوقاية ولا بد ﴿ ٩٥ ﴾ من مضاف { سورة براءة } محذوف تقديره أجمعتم

أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدق قراءة ابن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلماً بعد ظلمهم بالكفر لأنهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعها نزلت جواباً لقول العباس حين أسر فطفيق على رضى الله عنه يوبخه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم تذكر مساوينا وتدع محاسننا فقل أولكم محاسن فقال نعم المسجد والسقاية والحاج ونفك العاني وقيل افتخر العباس بالسقاية وشيئة بالعمارة وعلى رضى الله عنه بالاسلام والجهاد فصدق الله تعالى علياً

كن آمن بالله كمايمان من آمن بالله يعنى البدرى ( واليوم الآخر ) بالبعث بعد الموت ( رجاى فى سأل الله ) فى طاعة الله

كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ﴿ السقاية والعمارة مصدران سقى وعمر فلا يشبهان بالجئت بل لابد من اضممار تقديره أجمعتم أهل سقاية الحاج كن آمن أو أجمعتم سقاية الحاج كمايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين وأعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله ﴿ لا يستون عند الله ﴾ وبين عدم تساويهم بقوله ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ أى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاودة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم منهمكون فى الضلالة

عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستقيته فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر الى آخرها وقيل قال العباس حين أسرى يوم بدر ثلث كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نمر المسجد الحرام وسقى الحاج فانزل الله هذه الآية وأخبر ان عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله وان الايمان والجهاد مع نية خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي نزلت فى علي بن أبي طالب والعباس بن عبدالمطلب وطلحة بن أبي شيبة افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت بيدي مفاتيحه وقال العباس وأنا صاحب السقاية والقيام عاها وقال على ما أدري ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الآية أجمعتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهى سقى الحاج وكان العباس بن عبدالمطلب بده سقاية الحاج وكان يليها فى الجاهلية فلما جاء الاسلام وأسلم العباس أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعنى بناءه وتشيدته وسميته ﴿ كن آمن بالله واليوم الآخر ﴾ فيه حذف تقديره كمايمان من آمن بالله واليوم الآخر ﴿ وجاهد فى سبيل الله ﴾ أى وكجهاد من جاهد فى سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقى والماسر تقديره أجمعتم ساقى الحاج وعامر المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ﴿ لا يستون عند الله ﴾ يعنى لا يستوى حال هؤلاء الذين آمنوا بالله وحاهدوا فى سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمره المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله سبحانه وتعالى لا يقبل عملاً الايمان به ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ( خ ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندا فقال اسقى فقال يا رسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه قال اسقى فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يستقون ويمهلون فيها قال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا أن تقبلوا انزلت حتى أصع الجبل على هذا يعنى عاقبه ( م ) عن بكر بن عبد الله المزنى قال كنت حاضراً مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه أعرابى فقال ما لى أرى نبيكم مستقون الماء والابن وأنتم تسفون الماء من حاسبة بكم أم من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما لنا

يوم بدر ( لا يستون عند الله ) فى الطاعة والثواب ( والله لا يهدي ) لا يرشد الى دينه ( القوم الظالمين ) المسركين من لم يكن اهلاً للهدى

(الذين آمنوا وجاهدوا في سبيل الله يأموا لهم وانفسهم) اولئك (اعظم درجة عند الله) من اهل السقاية والعمارة (وأولئك هم { الجزء العاشر } الفازنون) لأنهم ﴿ ٩٦ ﴾ والمختصون بالفوز دونكم (يشمره

ربه (يدشروهم حمزة) (برجة)  
 منه ورضوان وجنات )  
 تنكيرو المبشرو لوقوعه وراء  
 صفة الواصف وتعرف  
 المعرف ( لهم فيها ) في  
 الجنات ( نعيم مقيم ) دائم  
 { خالدين فيها أبدا ان الله  
 عنده اجر عظيم } لا ينقطع  
 لما أمر الله النبي عليه السلام  
 بالمعجزة جعل الرجل

يقول لابنه ولا تخيدوا لقرايتكم  
انا قد أسرنا بالحجرة فتم  
من يسرع الى ذلك ويعجه  
و منهم من تعلق به زوجته  
أو ولده فيقول تدعنا بلا  
شيء فنفزع فيمجلس  
معه ويذبح الحجرة فنزل  
(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا  
آباءكم وأخوانكم أولياء

(الذين آمنوا) بحمد  
عليه السلام والقرآن  
(وهاجروا) من سكة  
الى المدينة (وجاهدوا في  
سبيل الله) في طاعة الله  
(بأموالهم وأنفسهم)  
بمنفعة أموالهم وبخروج  
أنفسهم (أعظم درجة)  
فهي الجنة (مد الله) من غفرهم  
(واولئك هم الفائزون)  
فانازرا بالجنة ونجوا من النار

فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله﴾ أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم تستمع فيه هذه الصفات أو من أهل السقاية والعمارة عندهم ﴿واولئك هم الفائزون﴾ بالتواب ونيل الحسنى عند الله دونكم ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها﴾ في الجنات ﴿نسيم مقبم﴾ دائم وقرأ جزء يبشرهم بالغنصيف وتنكير المبشر به اشعار بأنه وراء التعيين والتعريف ﴿خالدين فيها ابدا﴾ أكد الخلود بالتأبيد لأنه قد يستعمل للكث الطويل ﴿إن الله عنده اجر عظيم﴾ يستحقرونه ما استوجبوه لاجله أو نعيم الدنيا ﴿يا ايها الذين آمنوا لاتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء﴾ نزلت في المهاجرين

من حاجة ولا يحل أنما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى فآييناه  
بأنه من يبيد فشرب وسقى فضله أسامة فقال أحسنتم أو أجزتم كذا فاصنعوا فلا تريد تغيب  
ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم البينة تمر ينقع في الماء عدوة ويشرب وعشاء وينقع  
عشاء ويشرب عدوة وهذا حلال فإن غلى وحض حرم قوله عز وجل ﴿الذين آمنوا  
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله﴾ يعني أن من  
كان موصوفا بهذه الصفات يعني الإيعان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان  
أعظم درجة عند الله من افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام وأعمال يذكر القسم المرجوح  
ليان فضل القسم الرجح على الإطلاق على من سواهم والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة  
عند الله في الآخرة ﴿وأولئك﴾ يعني من هذه صفتهم ﴿هم الفائزون﴾ يعني بسعادة  
الدنيا والآخرة ﴿يشهرهم ربهم﴾ يعني يخبرهم ربهم بالبشارة الخبر السار الذي يفرح الإنسان  
عند سماعه وتستثير بشرة وجهه عند سماعه ذلك الخبر السار ﴿ثم ذكر الخبر الذي يبشرهم  
به فقال تعالى ﴿برحمته ورضوان﴾ وهذا أعظم البشارات لأن الرحمة والرضوان  
من الله عز وجل على العبد ثم آتاه مقصوده ﴿وجنات لهم فيها نعيم مقيم﴾ يعني أن نعيم  
الجنة دائم غير منقطع أبدا ﴿خالدين فيها﴾ يعني في الجنان وفي النعيم ﴿أبدا﴾ يعني لا  
انقطاع له ﴿إن الله عهده أجر عظيم﴾ يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله ﴿قوله  
سبحانه وتعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء﴾ قال مجاهد هذه  
الآية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطلحة وامتاعهما من الهجرة وقال ابن عباس  
لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة إلى المدينة فنهى من تعلق به أهله وأولاده  
فبتواون تشدك الله أن لا تصيحا فبرق لهم فقيم عليهم وبدع الهجرة فانزل الله هذه الآية  
وقال مقاتل نزلت في التهمة الذين ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بكملة فنهى الله المؤمنين  
عن أن يتولواهم بالمال لأن آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء يعني بطاعة

(یا سرزمین پروردگار من الله من العذاب و یسوان) برضایتهم عنهم (و جنات) (و اصدقاه)  
 بجنات (لهم فیها نعيم مقيم) دائم البغایع (خالدین فیها ابدًا) یعدونوا ولا ینخرجون (ان الله عنده اجر عظیم)  
 ثواب و اقر لمن آمن به (یا ایها الذین آمنوا لاتخذوا آباءکم و اخوانکم الذین بکفة من الکفار (أولیاء) فی الذین

ان استحبوا الكفر على الايمان ( اي آثروه واختاروه ) ومن يتولهم منكم ( أي ومن يتول الكافرين ) فاولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم ( اقاربكم وعشيرتكم ابوبكر ) وأموال اقترفتموها ( اكتسبتموها ) وتجاره تخشون كسادها ( فوات وقت ) ﴿ ٩٧ ﴾ نفاقها ( وما كن ) سورة براءة { ترضونها أحب اليكم من

الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بأمره ) وهو عذاب عاجل أو عقاب أجل أو قمع

( ان استحبوا الكفر على الايمان ) اختاروا الكفر على الايمان ( ومن يتولهم منكم ) في الدين ( فاولئك هم الظالمون ) الكافرون مثلهم ويقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم من المؤمنين

الذين بمكة الذين منعوك عن الهجرة أو ولياء في المون والنصرة ان استحبوا الكفر اختاروا دار الكفر يعني مكة على الايمان على دار الاسلام يعني المدينة ومن يتولهم منكم في المون والنصرة فاولئك هم الظالمون الضارون بأنفسهم ( قل ) يا محمد ( ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم قومكم الذين هم بمكة ( وأموال اقترفتموها ) اكتسبتموها ( وتجاره ) تخشون كسادها ) أن لا تنفق بالمدينة ( وما كن ) منازل ( ترضونها ) شتون

فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابنائنا وعشيرتنا وذهبنا تجارتنا وبقينا ضالين وقيل نزلت نهيًا عن موالاة التهمة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ﴿ ان استحبوا الكفر على الايمان ﴾ ان اختاروه وحرصوا عليه ﴿ ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون ﴾ بوضعهم الموالاة في غير موضعها ﴿ قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم ﴾ اقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشرة بجاعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابوبكر وعشيرتكم وقرئ وعشيرتكم ﴿ واموال اقترفتموها ﴾ اكتسبتموها ﴿ وتجاره تخشون كسادها ﴾ فوات وقت نفاقها ﴿ وما كن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ﴾ الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه ﴿ فتربصوا ﴾ حتى ياتي الله بأمره ﴿ جواب ووعد والامر عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل قمع مكة

وأصدقاء تفشون اليهم أسراركم وتؤثرون المقام منهم على الهجرة قال بعضهم حل هذه الآية على ترك الهجرة مشكل لان هذه السورة نزلت بعد الفتح وهي من آخر القرآن نزولا والا قرب أن يقال ان الله سبحانه وتعالى لما أمر المؤمنين بالتبدي من المشركين قالوا كيف يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه فذكر الله أن مقاطعة الرجل أهله وأقاربه في الدين واجبة فالؤمن لا يوالى الكافر وان كان أباه وأخاه وابنه وهو قوله تعالى ﴿ ان استحبوا الكفر على الايمان ﴾ يعني ان اختاروا الكفر وأقاموا عليه وتركوا الايمان بالله ورسوله ﴿ ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون ﴾ يعني ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة أمر الله واختار الكفار على المؤمنين ولما نزلت هذه الآية قال الذين أسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهب تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا فانزل الله سبحانه وتعالى ﴿ قل ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة ﴿ ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم ﴾ وقرئ على الجمع وعشيرتكم المشيرة هم الاذنون من أهل الانسان الذين يعاشرهم دون غيرهم ﴿ وأموال اقترفتموها ﴾ يعني اكتسبتموها ﴿ وتجاره تخشون كسادها ﴾ يعني بفراقكم لها ﴿ وما كن ترضونها ﴾ يعني تستوطنونها راضين بسكنائها ﴿ أحب اليكم من الله ورسوله ﴾ يعني أحب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله ﴿ وجهاد في سبيله ﴾ فين الله سبحانه وتعالى انه يجب تحمل جميع المضار في الدنيا ليقى الدين سليماً وأخبر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندهم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله ﴿ فتربصوا ﴾ أي فانتظروا ﴿ حتى ياتي الله بأمره ﴾ يعني يقضاه وهذا

لجلوس فيها ( أحب اليكم من الله ) من طاعة الله ( قا و خا ١٣ لث ) ( ورسوله ) ومن الهجرة الى رسوله ( وجهاد ) ومن جهاد ( في سبيله ) في طاعته ( فتربصوا ) فانتظروا ( حتى ياتي الله بأمره ) بعذابه يعني القتل يوم قمع مكة ثم هاجروا بعد ذلك

﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ لا يرشدكم الله في مواطن كثيرة ﴿ يعني مواطن الحرب هي مواطنها ﴾ ويوم حنين ﴿ وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في ايام مواطن او يفسر المواطن بالوقت كقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله

أمرهم يدنو وتخوف وقال مجاهد ومقاتل يعني بفتح مكة ﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ يعني الخارحين عن طاعته وفي هذا دليل على انه اذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا ﴿ قوله عز وجل ﴾ لقد نصركم الله النصر المأمونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم ﴿ في مواطن كثيرة ﴾ يعني اما كن كثيرة والمراد بها غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم تسع عشرة غزوة زاده برودة في حديثه قاتل في ثمان منهن ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ﴿ ويوم حنين ﴾ يعني ونصركم الله في يوم حنين أيضا فاعلم الله سبحانه وتعالى انه هو الذي يتولى نصر المؤمنين في كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب له وحنين اسم واد قرب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشرة ميلا وقال عروة هو الى جنب ذي الحجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قمع مكة وقديت عليها يوم من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر الفاعشرة آلاف من المهاجرين والانصار والافان من الطلقاء وقال عطاه كانوا ستة عشر ألفا وقال الكلبي كانوا عشرة آلاف وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا اقطو وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصري وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن رقيش لن تغلب اليوم من قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلاوا الى كلمة الرجل وفي رواية فلم يرض الله قوله ووكلمهم الى أنفسهم وذكر ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب ان القاتل لذلك أبو بكر الصديق وحكي ابن جرير الطبري ان القاتل لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد هذه الكلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد لانه صلى الله عليه وسلم كان في جميع احواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدو ولا الى غيره بل نظره الى ما أتى من عند الله عز وجل من النصر والمأمونة قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذراري ثم نادوا يا حياة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكر لنا ان الطلقاء انجفوا يومئذ ما لاس فلما انجفل القوم هربوا (ق) عن أبي اسحق قال جاء رجل الى البراء فقال أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمار فقال أشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما ولي ولكنه انطلق اخفاء من الناس وحسر الى هذا الحى من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كانوا رجل من جرادة فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوسفیان بن الحرث يقود به بذلته فزّل ودعا

مكة ( والله لا يهدي القوم الفاسقين ) والآية تنهى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين اذ لا نجد عند أروع الناس ما يستحب له دينه على الآباء والانشاء والاموال والحفظون ( لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ) كوقعة بدر وقرينة والنضير والحديبية وخير وقع مكة وقيل ان المواطن التي انصر الله فيها النبي عليه السلام والمؤمنون ثمانون موطنا ومواطن الحرب مقامات ومواضعها ( ويوم ) أى واذكروا يوم ( حنين ) وادبين مكة والطائف كانت فيداوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن تغلب اليوم من قلة فسألت رسول الله عليه الصلاة والسلام

( والله لا يهدي ) لا يرشد الى دينه ( القوم الفاسقين ) الكافرين من لم يكن أهلا لدينه ( لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ) في مشاهد كثيرة عند القتال ( ويوم حنين ) خاصة وهو وادبين مكة والطائف

واستنصر وهو يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب اللهم أنزل نصرك زاد أبو خيثمة ثم صفهم قال البراء كنا والله إذا أحر البأس نتقى بهوان الشجاع منالذي يحاذي بدينه النبي صلى الله عليه وسلم والمسلم عن أبي اسحق قال قال رجل للبراء بن مازب يا أبا عمارة فردتم يوم حنين قال لا والله ما ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤه حسرا ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبقي نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطون فأقبلوا هناك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بنته البيضاء وأبوسفيان بن الحرث بن عبدالمطلب يقود بد قتل ودما واستنصر وقال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب ثم صفهم وروى شعبة عن أبي اسحق قال قال البراء ان هوازن كانوا قوما رماة ولما لقيناهم جلنا عليهم فانهمزوا فأقبل المسلمون على الفنائهم فاستقبلونا بالسهم قاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يضر قوله ولكنه انطلق اخفاء من الناس الاخفاء جمع خفيف وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم ما يوقهم والحسر جمع حاسر وهو الذي لا درع عليه يقال اذا رمى القوم بأسرهم إلى جهة واحدة رمينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا اذا أحر البأس يعني اذا اشتد الحرب والبأس بالوحدة من تحت الشدة والخوف وقال الكلبي كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثائة من المسلمين وانهمز سائر الناس وقال غيره لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ غير عه العباس بن عبدالمطلب وابن عمه أبوسفيان بن الحرث وأيمن ابن أم أيعن قتل يوم حنين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أيعن أخو أسامة بن زيد لأمه أمهما بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته (م) عن العباس بن عبدالمطلب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت أنا وأبوسفيان بن الحرث بن عبدالمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء اهداه له قروة بن نفثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفارولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بقلته قبل الكفار قال العباس وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها ارادة أن لا تسرع وأبوسفيان أخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عباس ناد أصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صيتا فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا لبيك لبيك قال فاقفوا الكفار والدعوة في الانصار يقولون يا منشر الانصار يا منشر الانصار قال ثم قصرت الدعوة على بني الحرث بن الخزرج فقالوا يا بني الحرث بن الخزرج يا بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حي الوطيس قال ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت أنظر فاذا القتال على هيئته فما!



أرى قال فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياتهم فما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم  
مدبراً قوله حتى الوطيس أي اشتد الحرب قال الخطابي هذه الكلمة لم تسمع قبل أن يقولها  
النبي صلى الله عليه وسلم من العرب وهي مما اقتضيه وأنشأه والوطيس في اللغة التور وقوله  
حدهم كليلاً يعني لا يقطع شيئاً (م) عن سلمة بن الأكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله  
عليه وسلم حينئذ قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من  
تراب الأرض ثم استقبل به وجوههم وقال شأهت الوجوه فخلق الله منهم انساناً لا ملاً عينيه  
ترايا بذلك القبضة قولوا مدبرين فهزمهم الله بذلك وقسم رسول الله غنائمهم بين المسلمين أخرجهم  
مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبيرة أمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة  
مسومين وروى أن رجلاً من بني نضير قال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل  
البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم إلا كهية الشامة وما كان قتلنا  
الابائهم فآخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة وروى أن رجلاً  
من المشركين قال يوم حنين لما اتقينا وأصحاب محمد لم يقفوا لنا حلب شاة أن كشفناهم فينا  
نحن نسوقهم حتى اتقينا إلى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال فتلقتنا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شأهت الوجوه ارجعوا  
قال فانهزمتنا وركبوا أكثافنا فكانت أياها واختلفوا ملقائنا الملائكة يوم حنين على  
قولين والصحيح أنهم لم يقاتلوا اليوم بدرونا فكانت الملائكة يوم حنين مدداً وعونا وذكر  
البحوي أن الزهري قال بلغني أن شيعة بن عثمان قال استدبرت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد قتله بطلحة بن عثمان وبن أبي طلحة وكانا قد قتلوا يوم  
أحد فأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما في نفسي فالتفت إلى وضرب في صدري  
وقال أعينك بالله يا شيعة فارعدت فرائصي فنظرت إليه وهو أحب إلى من سمعي وبصري  
فقلت أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أطلعك الله على ما في نفسي فلما  
هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى أتوا أوطاس وبها هيالهم وأموالهم فبعث  
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأشرعين يقال له أبو طاس وأمره على الجيش  
فسار إلى أوطاس فاقتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبي المسلمون عيال  
المشركين وهرب أميرهم مالك بن عوف النصري فأبى الطائف قحصن بها وأخذ ماله  
وأهله فبين أخذ وقتل أبو طاس أمير المسلمين قال الزهري أخبرني سعيد بن المسيب أنهم  
أصابوا يومئذ ستة آلاف صبي ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الطائف فحاصروهم  
بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم وأبى الجعرانة فأحرم  
منها بعمرة وقسم بها غنائم حنين وأوطاس وتأنف أناس منهم أبو سفيان بن حرب  
والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو والقرع بن حابس فأعطاهم (ق) عن أنس بن مالك  
أن ناساً من الأنصار قالوا يوم حنين حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء  
فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى رجلاً من قريش المائة من الأبل فقالوا يفتقر الله  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشاً ويتركونا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال أنس  
( فحدث )

فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة من آدم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حديث يلتقى عنكم فقال له فقهاء الانصار اما ذوو رأينا يا رسول الله لم يقولوا شيئاً وأما أناس منا حديثه اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطى قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أعطى رجلاً حديثي عهد بكفر أتألفهم أفلا ترضون ان تذهب الناس بالاموال وترجعوا الى رحالكم برسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قدر حيننا قال فانكم ستجدون بعدى اثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا سنصبر اذا في رواية قال أنس فلم نصبر (ق) عن عبد الله بن زيد بن حاصم قال لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يسط الانصار شيئاً فكأنهم وجدوا اذ لم يصعب ما اصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الانصار ألم أجدكم ضالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي واطالة فأغناكم الله بي كلما قال شيئاً قالوا الله ورسوله آمن قال فامنعكم أن تجيبوا رسول الله كلما قال شيئاً قالوا الله ورسوله آمن قال لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا أترضون أن تذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبوا بالنبي الى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولولسلك الناس واديا أو شعبا لسلكت وادى الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار (م) عن رافع بن خديج قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس كل انسان مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

أتجعل نبي ونهب الصيد • بين عينة والاقرع

فاكان حصن ولا حابس • يفوقان مرداس في جمع

وما كنت دون امرئ منهما • ومن يخفض اليوم لا يرفع

قال فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة (خ) عن المسور وحران أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه ان يرد عليهم مالهم وسيبهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معي من ترون وأحب الحديث الى أصدقاه فاختاروا احدي الطائفتين اما المال واما السبي وقد كنت استأثيت بكم وفي رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راد عليهم الا احدي الطائفتين قالوا انا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأتى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين واني قد رأيت ان أرد اليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك لهم فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك لهم يا رسول الله فقال لهم في ذلك انا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع الينا امر فاؤكم أمركم فرجع الناس فكلهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(اذ) بدل من يوم (أعجبتكم كثرتكم) فادرك المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو التامر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ قلمهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه ليس معه الا معه الناس آخذوا بلجام دابته { الجزء العاشر } وأبوسفان بن ١٠٢ الحارث ابن عه آخذوا بركابه فقال

﴿اذ أعجبتكم كثرتكم﴾ منه ان يسطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضى تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضى كثرتهم واعجابا بالاهم في جميع المواطن وحسين واديين مكة والطائف حارب فيهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا والعشر الذين حضروا وقع مكة والافان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فلما اتقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم او ابوبكر رضى الله عنه او غيره من المسلمين لن تغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ قلمهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا معه العباس رضى الله عنه آخذوا بلجامه وابن عه ابوسفان ابن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهى شجاعته فقال للعباس وكان صيتا مع الناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون ليك ليك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين حنى الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا ﴿فلم تفتن عنكم﴾ اى الكثرة ﴿شيئا﴾ من الاغناء او من امر العدو ﴿وضاقت عليكم الارض بما رحبت﴾ برحبها اى سمعها لا تجدون فيها مقرا تطمئن فيه نفوسكم من شدة الرعب اولاتبتون فيها كن لا يسمعه مكانه ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ الكفار ظهوركم ﴿مدبرين﴾ منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ﴿ثم انزل الله سكينته﴾ رجته التى سكنوا بها وآمنوا ﴿على رسوله وعلى المؤمنين﴾ الذين انهزموا واعادة الجبار

فاخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا فهدى الذى بلغنا من سبي هوازن وأنزل الله عز وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين ﴿اذ أعجبتكم كثرتكم﴾ يعنى حين قلتم لن تغلب اليوم من قلة ﴿فلم تفتن عنكم﴾ يعنى كثرتكم ﴿شيئا﴾ يعنى ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن اتما يكون بنصر الله ومعوته ﴿وضاقت عليكم الارض بما رحبت﴾ يعنى بسعتها وقضاها ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ يعنى منهزمين ﴿ثم أنزل الله سكينته﴾ يعنى بعد الهزيمة والسكينة الطمأنينة والامنة وهى فسيلة من السكون وذلك ان الانسان اذا خاف رجب فؤاده فلا يزال متحركا واذا أمن سكن فؤاده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الامن وقوله عز وجل ﴿على رسوله وعلى المؤمنين﴾ انما كان انزال السكينة على المؤمنين لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب في هذه الواقعة ثم من الله عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجسوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر

للعباس مع بالناس وكان صيتا فنادى يا اصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون ليك ليك ونزلت الملائكة وعليهم الثياب البيض على خيول بلق فآخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزم وكان من دعائه عليه السلام يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر ( فلم تفتن عنكم شيئا وضاعت عليكم الارض بما رحبت ) ما مصدرية والباء بمعنى مع أى مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه ثياب السراى ملتبسا بالملقى لم تجدوا موضعا لفراركم عن أعدائكم فكانها ضاقت عليكم ( ثم وليتم مدبرين ) ثم انهزمهم ( ثم أنزل الله سكينته ) رجته التى سكنوا بها وآمنوا ( على رسوله وعلى المؤمنين

( اذ أعجبتكم كثرتكم ) كثرة جوعكم وكانوا عشرة آلاف

رجل ( فلم تفتن عنكم ) كثرةكم من الهزيمة ( شيئا وضاعت عليكم الارض ) من الخوف ( بما رحبت ) بسعتها ( وانزل ) ( ثم وليتم مدبرين ) منهزمين من العدو وكان عددهم أربعة آلاف رجل ( ثم أنزل الله سكينته ) طمأنينته ( على رسوله وعلى المؤمنين )

وأنزل جنوداً لم تروها (يعني الملائكة) ﴿١٠٣﴾ وكانوا غانية { سورة براءة } آلاف أو خمسة آلاف أو ستة

عشر ألفاً (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر وسى النساء والذراري (وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) وهم الذين أسلموا منهم (والله غفور) بستر كفر المدون بالاسلام (رحيم) بصر الولي بعد الانهزام (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس) أي ذوو نجس وهو مصدر يقال نجس نجساً وقدر قدر لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولا يمتثلون ولا يتطهرون ولا يقتسمون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملاسة لهم أو جساوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها (فلا يقربوا المسجد الحرام) فلا يحجروا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون

وأنزل جنوداً من السماء لم تروها (يعني الملائكة بالنصرة لكم) (وعذب الذين كفروا) بالقتل والهزيمة يعني قوم مالك بن عوف الدهماني وقوم كنانة بن عبد ياليل الثقفي (وذلك جزاء الكافرين) في الدنيا (ثم يتوب الله من بعد ذلك) القتال والهزيمة (على من يشاء) على من تاب منهم

للتبشير على اختلاف حالهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يغروا وأنزل جنوداً لم تروها (باعتنكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف أو ثمانية أو ستة عشر الفاعل اختلاف الأقوال) (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر والسبي (وذلك جزاء الكافرين) أي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) منهم بالتوفيق للإسلام (والله غفور رحيم) يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روى أن ناساً منهم جاؤا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وإبرهم وقديسي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا وقديسي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم مالا يحصى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اختاروا أما سباً يأم وأما أموالكم فقالوا ما كنا نعلم إلا بحساب شيئاً فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال إن هؤلاء مجاؤا مسلمين وأنا خيرناهم بين الدراري والأموال فلم يمدلوا إلا بحساب شيئاً فن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يرده فثأته ومن لا فيعطنا وليكن قرصاً علينا حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال أنى لا أدري لعل فيكم من لا يرضى ففروا عرفاءكم قليدرفوا أئنا فرفوا أئنا قدرضوا (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس) نخبث باطنهم أولادهم يجب أن يجتنب عنهم كما يجتنب عن الأنجاس أولانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالباً وفيه دليل على أن ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن أعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعاً لرجم (فلا يقربوا المسجد الحرام)

وأنزل جنوداً لم تروها (يعني الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتخذيل المشركين وتجيئهم للقتال لأن الملائكة تقاتل الايوم بدر) (وعذب الذين كفروا) يعني بالاسر والقتل وسى العيال والأموال (وذلك جزاء الكافرين) يعني في الدنيا ثم إذا أفضوا إلى الآخرة كان لهم عذاب أشد من ذلك العذاب وأعظم (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) يعني فيهديه إلى الاسلام كما فعل بمن بقي من هوازن حيث أسلموا وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم تائبين فن عايمهم وأطلق سبهم (والله غفور) لمن تاب (رحيم) بعباده (قوله عز وجل) (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس) قيل أراد بالمشركين عبدة الأصنام دون غيرهم من أصفاف الكفار وقيل بل أراد جميع أصفاف الكفار عبدة الأصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشيء القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الشيء الخبيث وأراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لأن نجاسة العين سموا نجساً على الذم لأن الفقهاء اتفقوا على طهارة أبدانهم وقبلهم أنجاس العين كالكلب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركاً غائباً روى هذا عن الزيدية من الشيعة والقول الأول أصح وتل قيادة سماهم نجس لأنهم شئون فلا يمتلحون ويحدثون فلا يتوضئون مؤفلا يقربوا المسجد الحرام

(والله غفور) متجاوز (رحيم) لمن تاب (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس) قدر (فلا يقربوا المسجد الحرام) بالحج

لنجاستهم واتمانى عن الاقتراب للمباعدة اول المنع عن دخول الحرم وقيل المراد به التمسك  
عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقاس  
مالك رحمه الله سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار  
مخاطبون بالقروع ﴿ بعد عامهم هذا ﴾ يعنى سنة براءة وهى التاسعة وقيل سنة  
حجة الوداع ﴿ وان خفتم عيلة ﴾ فقرا بسبب منعه من الحرم

المراد منهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قروا من المسجد الحرام ويؤكد  
هذا قوله تعالى سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام أراد به الحرم لانه أسرى  
به صلى الله عليه وسلم من بيت أم هانئ قال الطحاوي وجلة بلاد الاسلام في حق الكفار  
ثلاثة أقسام • أحدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا كان أو مستأنا لظاهر  
هذه الآية وبه قال الشافعي وأحمد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والامام في الحرم  
فلا يأذنه في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه أو يبعث اليه من يسمع رسالته خارج  
الحرم وجوز ابو حنيفة وأهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم • القسم الثاني من بلاد  
الاسلام الحجاز وحده ما بين اليمامة واليمن ونجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهايم  
ونصفها حجازي وقيل كلها حجازي وقال ابن الكلبي حد الحجاز ما بين جبل طى  
وطريق العراق سمي حجازا لانه مجهزين تهامة ونجد وقيل لانه مجهزين نجد والسرعة  
وقيل لانه مجهزين نجد وتهامة والشام قال الحري وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار  
دخول أرض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيمون فيها أكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة  
أيام (م) عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يخرجن اليهود  
والنصارى من جزيرة العرب فلا تترك فيها الاسلام زاد في رواية لغير مسلم وأوصى  
فقال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك أبو بكر وأجلاهم عمر  
في خلافته وأجل لمن يقدم تاجرا ثلاثا عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب أخرجه مالك في الموطأ مرسل (م) عن جابر  
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قد عيش ان يعبد المصلون  
في جزيرة العرب ولكن في التمريض بينهم قال سعيد بن عبدالعزيز جزيرة العرب  
ما بين الوادي الى أقصى اليمن الى تخوم العراق الى البحر وقال غيره حد جزيرة  
العرب من أقصى عدن ابين الى ريف العراق في الطول ومن جدة وما والاها من ساحل  
البحر الى أطراف الشام عرضا • والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكافرين  
يقم فيها بعد أمان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم ﴿ قوله عز وجل  
﴿ بعد عامهم هذا ﴾ يعنى العام الذى حج فيه أبو بكر الصديق بالناس وفيه نادى  
على براءة وان لا يحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة ﴿ وان خفتم عيلة ﴾ يعنى  
فقرا وفاقا وذلك ان أهل مكة كانت معاشهم من التجارات وكان المشركون يجلبون الى مكة  
الطعام ويتجرون فلما انما من دخول الحرم خاف أهل مكة من الفقر وضيق العيش فذكروا

في الجاهلية ( بعد عامهم هذا ) وهو عام تسع من  
الهجرة حين أسرا أبو بكر  
رضي الله عنه على الموسم  
ويكون المراد من نهي  
القربان التمسك عن الحج  
والعمرة وهو مذهبنا  
ولا يمتنعون من دخول الحرم  
والمسجد الحرام وسائر  
المساجد عندنا وعند  
الشافعي رحمه الله يمتنعون  
من المسجد الحرام خاصة  
وعند مالك يمتنعون منه ومن  
غيره وقيل نهي المشركين  
أن يقربوه راجع الى  
نهي المسلمين عن تمكينهم  
منه ( وان خفتم عيلة ) أى  
فقرا بسبب منع المشركين  
من الحج وما كان لكم في  
قدومهم عليكم من الارقاق

والطواف ( بعد عامهم هذا )  
عام البراءة يوم النحر ( وان  
خفتم عيلة ) الفقرو الحاجة

والمكاسب) فسوف يغنيكم  
 الله من فضله ) من الثنائم  
 أو المطر والنبات أو من  
 متاجر جميع الاسلام (ان  
 شاء) هو تعليم لتعليق  
 الامور بمشيئة الله تعالى  
 لتقطع الآمال اليه ( ان  
 الله عليهم ) باحوالكم  
 (حكيم) في تحقيق آمالكم  
 أو علم بمصالح العباد حكيم  
 فيما حكم وأراد ونزل في  
 أهل الكتاب (قاتلوا الذين  
 لا يؤمنون بالله) لان اليهود  
 مثنية والنصارى مثناة (ولا  
 باليوم الآخر) لانهم فيه  
 على خلاف ما يجب حيث  
 يزعمون ان لا أكل في الجنة  
 ولا شرب ( ولا يحرمون  
 ما حرم الله ورسوله) لانهم  
 لا يحرمون ما حرم في الكتاب  
 والسنة أو لا يعملون بما في

( فسوف يغنيكم الله من  
 فضله ) من رزقه من وجه  
 آخر ( ان شاء ) حيث شاء  
 ويغنيكم عن تجارة بكرين  
 وائل ( ان الله عليهم ) بأمرنا  
 ( حكيم ) فيما حكم عليكم  
 ( قاتلوا الذين لا يؤمنون  
 بالله ولا باليوم الآخر )  
 ولا ينعم الجنة ( ولا يحرمون  
 في التوراة ) ما حرم الله  
 ورسوله

وانقطع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق ﴿ فسوف يغنيكم الله من  
 فضله ﴾ من عطائه أو بفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم  
 مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلوا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والقتائم  
 وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرى طائلة على انها مصدر كالمافية او حال  
 ﴿ ان شاء ﴾ قيده بالمشيئة ليقطع الآمال الى الله تعالى ولينبه على انه تعالى متفضل  
 في ذلك وان الفنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ﴿ ان الله عليهم ﴾  
 باحوالكم ﴿ حكيم ﴾ فيما يعلو ويتسع ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم  
 الآخر ﴾ اى لا يؤمنون بهما على ما ينسبى كما ينسب في اول البقرة فايغلبهم كلا ايمان  
 ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ﴿ ما ثبت تحريره بالكتاب والسنة وقبل رسوله

ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وان خفتم عيلة ﴿ فسوف يغنيكم الله  
 من فضله ﴾ قال عكرمة فاغناهم الله بان أنزل المطر مدرارا وكثر خبرهم وقال مقاتل أ- لم  
 أهل جدة وصنماء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا  
 يخافون وقال الضمحاك وقناة عوضهم الله منها الجزية فاغناهم بها ﴿ ان شاء ﴾ قيل انما  
 شرط المشيئة في الفنى المطلوب ليكون الانسان دائم التضرع والابتغال الى الله تعالى  
 في طلب الخيرات ودفع الآفات وان يقطع العباد مله من كل أحد الامن الله عز وجل فانه  
 هو القادر على كل شئ وقيل ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعميم رعاية الادب كما  
 في قوله تبارك وتعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين ﴿ ان الله عليهم ﴾ بمعنى بما  
 يصلحكم ﴿ حكيم ﴾ يعنى انه تعالى لا يفعل شئ الا عن حكمة وصواب فن حكمته ان منع  
 المشركين من دخول الحرم وأرجب الجزية والذل والصغار على أهل الكتاب فقال  
 تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ قال مجاهد نزلت الآية حين  
 أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزاهم بنزولها غزوة تبوك وقال الكلبي نزلت  
 في قريظة والنضير من اليهود فصالحهم فكانت أول جزية اصابها اهل الاسلام وأول ذل  
 أصاب اهل الكتاب بأيدي المسلمين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه  
 المؤمنين والمعنى قاتلوا أيها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فان  
 قلت اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف أخبر الله عنهم  
 أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قلت ايمانهم بالله ليس كما ايمان المؤمنين وذلك  
 ان اليهود يعتقدون النجوم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس  
 بمؤمن بالله وقيل من اعتقد ان عزيرا ابن الله وان المسيح ابن الله فليس بمؤمن بالله بل هو  
 مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من رسل الله فليس بمؤمن بالله واليهود والنصارى  
 يكذبون أكثر الانبياء فليسوا بمؤمنين بالله وأما ايمانهم باليوم الآخر فليس كما ايمان المؤمنين  
 وذلك انهم يعتقدون بشدة الارواح دون الاجساد يعتقدون ان أهل الجنة لا يأكلون  
 فيه أو لا يشربون ولا ينكحون ومن اعتقد ذلك فليس ايمانه كما ايمان المؤمنين وان زعم انه  
 مؤمن بآياته تعالى فهو لا يحرمون ما حرم الله ورسوله بحسبى ولا يحرمون الخمر والخنزير  
 ونبي من أنم لا يحرمون ما حرم الله في القرآن ولا ما حرم رسوله في السنة وقيل معناه

التوراة والانجيل ( ولا يدينون دين الحق ) ولا يعتقدون دين الاسلام الذي هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذته دينه ومعتقده ( من الذين { الجزء العاشر } أوتوا الكتاب ) ﴿ ١٠٦ ﴾ بيان للذين قبله وأما اليهود

هو الذي يزعمون آتباعه والمعنى أنهم يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعلا  
﴿ ولا يدينون دين الحق ﴾ الثابت الذي هو ناسخ سائر الأديان ومبطلها ﴿ من الذين أوتوا  
الكتاب ﴾ بيان للذين لا يؤمنون ﴿ حتى يعطوا الجزية ﴾ ما تقرّر عليهم أن يعطوه  
مشتق من جزي دينه اذا قضا ﴿ عن يد ﴾ حال من الضمير أي عن يد معاتبة  
بمعنى متقادين أو عن يدهم بمعنى مسلمين بأيديهم غير باعثن بأيدي غيرهم ولذلك منع  
من التوكيل فيه أو عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير أو عن يد قاهرة عليهم  
بمعنى اذلاء عاجزين أو عن انعام عليهم فان ابتاعهم بالجزية نعمة عظيمة أو من الجزية بمعنى  
تقدرا مسلمة عن يد إلى يد ﴿ وهم صاغرون ﴾ اذلاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال تؤخذ

لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوها وأتوا بأحكام من قبل أنفسهم ﴿ ولا  
يدينون دين الحق ﴾ يعنى ولا يعتقدون صحة الاسلام الذي هو دين الحق وقيل الحق  
هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الاسلام وهو قوله تعالى ان الدين عند الله  
الاسلام وقيل معناه ولا يدينون دين أهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم  
﴿ من الذين أوتوا الكتاب ﴾ يعنى أعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى ﴿ حتى يعطوا  
الجزية ﴾ وهى ما يعطى المعاهد من أهل الكتاب على عهده وهى الحراج المضروب على رقابهم  
سميت جزية الاجترأ بها في حقن دماهم ﴿ عن يد ﴾ يعنى عن تير وغلبة يقال اكل من أعطى  
شيئا كرها من غير طيب نفس أعطى عن يد وقال ابن عباس يعطونها بأيديهم ولا يرسلون  
بها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقدا لانسيئة وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام المسلمين عليهم  
بقبولها منهم ﴿ وهم صاغرون ﴾ من الصغار وهو الذل والاهانة يعنى يعطون الجزية  
وهم اذلاء مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قائلون والقابض جالس وقال  
ابن عباس تؤخذ الجزية من أحدهم وتوطأ عنقه وقال الكلى اذا أعطى بصقع ققاء وقيل  
هو ان يؤخذ ببطيته ويضرب في لهزمته ويقال له أدحق الله بأعداء الله وقال الامام  
الشافعى رضى الله تعالى عنه الصغار هو جربان أحكام المسلمين عليهم

### فصل في بيان أحكام الآية

اجتمعت الامة على جواز أخذ الجزية من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اذا  
لم يكونوا عربا واختافوا في أهل الكتاب العرب وفي غير أهل الكتاب من كفار الم  
فذهب الشافعى الى ان الجزية على الاديان لا على الانساب فؤخذ من أهل الكتاب  
عربا كانوا أو عجميا ولا تؤخذ من عبدة الاوثان بحال واحتج عاروى عن أنس ان النبي  
صلى الله عليه وسلم بمث خالد بن الوليد الى أكيدر دومة فآخذه فأتوا به فحقن دمه وصالحه  
على الجزية أخرجه أبو داود وقال الشافعى وهو ربه من العرب سالاه من غسان  
وأخذه من أهل ذمة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك الى ان الجزية تؤخذ

من جميع الكفار الا المرند وقال أبو حنيفة تؤخذ من أهل الكتاب على اعموم

الكتاب) أعطوا الكتاب يعنى اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية عن يد) عن قيام من يدي يد (وهم صاغرون) ذليلون (من)

مطلقون بأهل الكتاب في  
قبول الجزية وكذا الترك  
والهنود وغيرهما بخلاف  
مشركي العرب لما روى  
الزهري أن النبي عليه  
السلام صالح عبدة الاوثان  
على الجزية الا من كان من  
العرب ( حتى يعطوا  
الجزية ) الى ان يقبلوها  
وسميت جزية لانها يجب على  
على أهلها أن يجزوه أى  
يقضوه أو هى جزاء على  
الكفر على التحميل في  
تذليل (عن يد) أى عن يد  
مواتية غير محتمة ولذا قالوا  
أعطى يدهم اذا تقادوا قالوا  
نزع يده عن الطاعة أو حتى  
يعطوها عن يد الى يد  
نقدا غير نسيئة لا مبعوثا  
على يد أحد ولكن عن يد  
المعطى الى يد الآخذ (وهم  
صاغرون) أى تؤخذ منهم  
على الصغار والذل وهو أن  
يأتى بها بنفسه ماشا غير  
راكب ويسلمها وهو قائم  
والمسلم جالس وان يتل  
تلتة ويؤخذ بتلييه  
ويقال له ادا الجزية يا ذى  
وان كان يؤديها ويرزخ  
في ققاء وتسقط بالاسلام

ولا يدينون دين الحق )

لا يخضعون لله بالوحيد منهم بين  
منهم فقال (من الذين أوتوا

الجزية من الذي ونوجأ عتقه ومفهوم الآية يقتضى تخصيص الجزية بأهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضى الله تعالى عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوابهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه تؤخذ منهم الا من مشرك العرب لما روى الزهري انه عليه الصلاة والسلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك رضى الله تعالى عنه تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الفقى والفقى وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه الفقى ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شئ على الفقير غير الكسوب

من مشركي الجهم ولا تؤخذ من مشركي العرب وقال ابو يوسف لا تؤخذ من العربي كتابيا كان أو مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان أو مشركا وأما المجوس فاتفقت الصحابة على جواز الاخذ منهم ويدل عليه ما روى عن بحالة بن عبيدة ويقال عبد قلم يكن عمر اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس هجر اخرجه البخارى عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما أدري كيف أصنع في أمرهم فقال عبد الرحمن بن عوف أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة أهل الكتاب أخرجه مالك في الموطأ عن ابن شهاب قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس البحرين وان عمر اخذها من مجوس فارس وان عثمان بن عفان اخذها من البربر أخرجه مالك في الموطأ وفي امتناع عمر من أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم اخذها منهم دليل على ان رأى الصحابة كان على انها لا تؤخذ من كل مشرك وانما تؤخذ من أهل الكتاب واختلفوا في أن المجوس هل هم من أهل الكتاب فروى عن علي بن أبي طالب أنه قال كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا وقد أسرى على كتابهم فرقع من بين أظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناحكتهم بخلاف أهل الكتاب وأما من دخل في دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين فينظر فان كانوا قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل فانهم بقرون بالجزية ونحل مناكحتهم وذبائحهم وان كانوا دخاوافيه بعد النسخ عبي محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ شريعتهم بشريعته فانهم لا يقرون بالجزية ولا نحل ذبائحهم ومناكحتهم ومن شككنا في أمرهم هل دخاوافيه بعد النسخ أو قبله يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم ولا نحل ذبائحهم ومناكحتهم تغليبا للتحريم ومنهم نصارى العرب من تنوخ وبهراوى بنى تغلب أقرهم عمر بالجزية وقال لا نحل لنا ذبائحهم وأما الصابئة والسامرة فسيبيلهم سبيل أهل الكتاب فهم في أهل الكتاب كاهل البدع في المسلمين وأما قدر الجزية فأقلها دينار ولا يجوز أن ينقص عنه ويقبل الدينار من الفقى والفقير والمتوسط ويدل عليه ما روى عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم



وقالت اليهود بنزير ابن الله ﴿ انما قاله بعضهم من متقدمهم او عن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقمة نجت نصر من يحفظ التوراة وهو لما احياء الله بعد مائة عام الى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهاكهم على التكذيب وقرأ حاصم والكسائي ويعقوب عزيز بالتورين على انه هربي مخبر عنه باين غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما منع صرفه للعجمة والتعريف اول لقاء الساكنين تشبها للنون بحرف اللين اولان الابن وصف واظهر محذوف مثل مبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤمن الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر ﴿ وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴿ هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد لابلا اب اولان يفعل ما فعله من ابراء الاكدة والابرص واحياء الموتى من ام يكن الها

( وقالت اليهود ) كلهم  
أو بعضهم (عزير ابن الله)  
مبتدأ وخبر كقوله المسيح  
ابن الله وعزير اسم أعجمي  
ولعجته وتعريفه امتنع  
صرفه ومن نون وهو عاصم  
وعلى فقد جعله عربيا  
( وقالت النصارى المسيح  
ابن الله

ماوجه الى اللين امره ان يأخذ من كل حالم أى عظم دينارا أو عدله من المعافرة ثياب تكون بالين أخرجه أبوداود قالني صلى الله عليه وسلم امره ان يأخذ من كل عظم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين النقي والفقير والمتوسط وفيه دليل على أنه لا تؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وانما تؤخذ من الاحرار البالغين وذهب قوم الى أن على كل موسر أربعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينارا وهو قول أصحاب الرأي ويدل عليه ما روى عن أسلم ان عمر بن الخطاب ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهما ومع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام أخرجه مالك في الموطأ قال أصحاب الشافعي أقل الجزية دينارا ليزاد على الدينار الا بالتراضي فاذا رضى أهل الدمة بالزيادة ضربنا على المتوسط دينارين وعلى النقي أربعة دنانير قال العلماء انما أقرأ أهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف أهل الشرك حرمة لا بأثم الذين انقضوا على الدين من شريعة التوراة والانجيل تمل النسخ والتبديل وأيضا فان بأيديهم كتب قديمة فربما تفكروا فيها فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فأما هذا المعنى وليس المقصود من أخذ الجزية من أهل الكتاب اقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن دماهم واما هاهنا رجاء ان يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بان يؤمنوا ويصدقوا اذ رأوا محاسن الاسلام وقوة دلائله وكثرة الداخلين فيه ﴿ قوله عز وجل ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴿ الآية لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة أن اليهود والنصارى لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق بينه في هذه الآية فآخبر عنهم انهم أثبتوا لله ولدا ومن جوز ذلك على الله فقد أشرك به لانه لا فرق بين من يعبد صفا وبين من يعبد المسيح فقد بان بهذا انهم لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب أخذ الجزية منهم وإبقائهم على هذا الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التي بأيديهم ولما هم يتفكرون فيها ويعرفون الحق فيرجعون اليه وسعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان

( وقالت اليهود ) يهود  
أهل المدينة ( عزير ابن  
الله وقالت النصارى )  
نصارى أهل نجران ( المسيح  
ابن الله

ابن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف تبعك وقد تركت قبلتنا وأنت  
لا تزعم أن عزير ابن الله فأنزل الله هذه الآية وقال عبيد بن عيرانا قال هذه المقالة رجل  
واحد من اليهود اسمه قضا بن عازوراء وهو الذي قال إن الله فقير ونحن أغنياء فعلى  
هذين القولين القائل لهذه المقالة جماعة من اليهود أو واحد وانما نسب ذلك إلى اليهود  
في وقالت اليهود جريا على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد تقول  
العرب فلان يركب الخيل وانما يركب فرسا واحدا منها وتقول العرب فلان  
يجالس الملوك ولم له لم يجالس الا واحدا منهم وروى عطية العوفي عن ابن عباس  
أنه قال انما قالت اليهود ذلك من أجل أن عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم  
والتابوت فيهم فاضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله سبحانه وتعالى عنهم التابوت  
وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل إليه أن يرده إليه التوراة  
فبينما هو يصلي مبتلا إلى الله عز وجل نزل نور من السماء فدخل جوفه فصادت إليه  
فأذن في قومه وقال يا قوم قد آتاني الله التوراة وردها إلى فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء  
الله ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير  
على ما في التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما أوتي عزير هذا الا أنه ابن الله وقال الكلبي  
أن بنحصر لما غزا بيت المقدس وظهر على بني اسرائيل وقتل من قرأ التوراة كان عزير  
اذ ذاك مغيرا فلم يقتله لصغره فلما رجع بنو اسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ  
التوراة بعث الله لهم عزيرا ليحدثهم التوراة ويكون لهم آية بعدما أماته الله مائة سنة قال فأتى  
ملك باتاء فيهماء فشرب من دفقات له النوراة في صدره فلما أتاهم قال أنا عزير فكذبوه وقالوا  
ان كنت كاتزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم ان رجلا منهم قال ان أبي  
حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى أخرجوها  
فصارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر حرقا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة في قلب  
عزير الا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين القولين ان هذا القول  
كان فاشيا في اليهود جميعا ثم انه انقطع واندرس فأخبر الله تعالى به عنهم وأظهره عليهم ولا  
عبارة ياتكار اليهود ذلك فان خبر الله عز وجل أصدق وأثبت من انكارهم وأما قول  
النصارى المسيح ابن الله فكان السبب فيه انهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه  
السلام احدى وثمانين سنة يصلون إلى الفيلة ويصومون رمضان حق وقع بينهم وبين  
اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من اصحاب عيسى  
عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا ففهم  
مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فأتى احتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معناتهم  
انه عد إلى فرس كان يقاتل عليه فعرقه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على  
رأسه ثم انه أتى إلى النصارى فقالوا له من انت قال أنا عدوكم بولص فقد نوديت من السماء  
انه ليس لك توبة حتى تتنصر وقد تبنت وأنتكم فادخاوه الكنيسة ونصروه وأدخلوه  
بيتا منهم لم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قبل توبتك  
فصدقه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم انه عمدا إلى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نسطور

ذلك قولهم بافواههم) أى قول لا يعتمد برهان ولا يستند الى بيان فها هو اللفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته كالألة  
المهملة) يضاهون قول الدين { الجزء العاشر { كفروا من قبل } ١١٠ لا بد فيه من حذف مصاب تزد

ذلك قولهم بافواههم ﴿ اما تأكيداً لنسبة هذا القول اليهم ونفى التجوز  
عنها او اشعاراً بأنه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهملة الذى يوجد في الافواه  
ولا يوجد مفهومه في الاعيان ﴿ يضاهون قول الدين كفروا ﴿ أى يضاهى قولهم  
قول الذين كفروا لحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ﴿ من قبل ﴿ أى من قبلهم  
والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة  
بنات الله واليه وود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأه  
طاصم ومنه قولهم امرأة ضاهياً على ميل للنساء شابهت الرجال في انها لا تحيض ﴿ قاتلهم الله ﴿  
دعاهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم ﴿ أى يؤمكون بـ

والآخر يعسوب والآخرة ملكان فلم نستطع ان عيسى ومريم والاله ثلاثة وعلم يعسوب  
أن عيسى ليس بانسان ولكنه ابن الله وعلم ملك أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما  
اسمى ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له أنت خالصى وادع الناس لما  
علمك وأمره أن يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم انى رأيت عيسى في المنام وتد  
رضى عني وقال اكل واحدهم انى أذبح نفسى تنز الى عيسى ثم ذهب الى المذبح ذبح  
نفسه وتفرق أولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس والآخر  
الى ناحية أخرى وأظهر كل واحد منهم مقالته ودعا الناس اليها نبيه على ذلك طوائف  
من الناس فتفرقوا واختلوا ووقع التماثل فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله وقال  
الامام فخر الدين الرازى بعد ان حكى هذه الحكاية والاقرب عندي ان يقال اعلمه ذكر  
لفظ الابن في الانجيل على ما لى التسري كآورد لفظ الحبل في حق ابراهيم على سبيل  
النسب فالتوا وفسروا لفظ الابن بالسوة الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم وفشا  
هذا المذهب الفاسد في اتاع عيسى عليه السلام والله أعلم بحقيقة الحال ﴿ ذلك قولهم  
بافواههم ﴿ يعنى اثم تتلون ذلك الاموال السنتم من غير علم رجعون اليه قال أهل الممان  
ان ذكر الله هو لا مقرب بالاولاه والاسن الا كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة له  
بم يضاهون ﴿ قال ابن عباس بنسابة والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواطنون  
وقال الحسن يوافقون ﴿ قول الذين كفروا من قبل ﴿ قال قتادة والسدى معناه  
ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزرا بن الله  
وقال مجاهد معناه يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون الملائكة  
بنات الله وقال الحسن سبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم  
الحالية الكافرة وقال القسبي يريد أن من كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود  
والنصارى يقولون ما قال أولوهم نزه فانهم الله ﴿ قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن  
حزم قلمهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب أى حق ان  
يقال لهم هذا القول تعجبا من بشاعة قولهم كما قال لمن قتل فلا سمح منه قاتله الله ما عجب  
نعمه ﴿ أى يؤمكون ﴿ يعنى أى يصرفون عن الحق بدو ضوح الدليل واقامة الحجة

يضاهى قولهم قولهم ثم  
حذف المضاف وأقم الضمير  
المضاف اليه مقامه فانقلب  
صرفوا يعنى ان الذين كانوا  
في عهد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم من اليهود  
والنصارى يضاهى قولهم  
قول قدماهم يعنى انه كفر  
تدبم فيهم غير مستحدث  
أو الضمير للنصارى أى  
يضاهى قولهم المسيح ابن  
الله قول اليهود عزرا بن  
الله لانهم أقدم منهم  
بضاهون طاصم وأصل  
المضاهاة المشابهة والاكثر  
ترك الهمز واشقاقه من  
قولهم امرأة ضاهية وهى  
الى أشبهت الرجال بأنها  
لا تحيض كذا قاله الزجاج  
( قاتلهم الله ) أى هم أحقاء  
بان يقال لهم هذا ( أى  
يؤمكون ) أى يصرفون

ذلك قولهم بافواههم  
بالسنتم ( يضاهون )  
بشؤون ( قول الذين كفروا  
من قبل ) من قبلهم يعنى أهل  
مكة لان أهل مكة قالوا  
اللات والعزى ومناة بنات  
الله وكذلك قالت الدود  
عزير ابن الله وقالت  
النصارى قال بعضهم المسيح  
ابن الله وقال بعضهم

سريك وقال بعضهم هو الله ودال بعضهم بالثلاثة ( فانهم الله ) انهم الله ( أى يؤمكون ) من أن ( فان الله )

(اتخذوا) أي أهل الكتاب  
 (أخبارهم) علماءهم  
 (ورهبانهم) نساكهم  
 (أربابا) آلهة (من دون  
 الله) حيث أطاعوهم في  
 تحاليل ما حرم الله وتحريم  
 ما أحل الله كما يطاع الأرباب  
 في أوامرهم ونواهيهم  
 (والمسيح ابن مريم) عطف  
 على أخبارهم أي اتخذوه  
 راجعاً حيث جعلوه ابن الله  
 (وما أسروا) ألا عبدوا الهة  
 واحداً) يجوز الوقف عليه  
 لأن ما بعده يصلح ابتداء  
 وصلاح وصفاً واحداً (لأله  
 الأهو سبحانه عما يشركون)  
 تنزيه له عن الأسراك  
 (ردين أن يلقنوا نور  
 الله بأفواههم

يكذبون (اتخذوا أخبارهم)  
 علماءهم يعني اليهود (ورهبانهم)  
 واتخذت الصاري  
 أصحاب الصوامع (أرباباً)  
 أطاعوهم بالصيغة (من  
 دون الله والمسيح ابن  
 مريم) واتخذوا المسيح ابن  
 مريم الهة (وما أسروا)  
 في جملة الكتب (الألأبدوا)  
 لوحدوا (الهوا واحداً)  
 لاله الأهو سبحانه) تنزه  
 نفسه (عما يشركون) يردون  
 أن يلقنوا) ببطاوا (نور الله)  
 دبر الله (بأفواههم) بتكذيبه  
 ويقال بالسنتهم

كقوله يصرفون عن الحق إلى الباطل  
 دون الله بأن أطاعوهم في تحريم ما أحل الله وتحاليل ما حرم الله أو بالسجود لهم  
 والمسيح ابن مريم بأن جعلوه ابن الله وما أسروا أي وما أمر المتخذون  
 أو المتخذون أرباباً فيكون كالدليل على بطلان الانخاذ إلا ليعبدوا ليطعوا الهة  
 واحداً وهو الله تعالى وأما طاعة الرسل وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة  
 الله لا اله الا هو صفة ثابتة أو استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون  
 تنزيه له عن أن يكون له شريك يريدون أن يلقنوا أي يخذلوا نور الله بجهته  
 الدالة على وحدانيته وتقديسه عن الولد أو القرآن أو نبوة محمد صلى الله تعالى عليه  
 وسلم بأفواههم بشركم أو بتكذيبهم

بأن الله واحداً فاجعلوا له ولداً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وهذا التعجب راجع  
 إلى الخلق لأن الله سبحانه وتعالى لا يتعجب من شيء ولكن هذا الخطأ على عادة  
 العرب في مخاطبتهم قاله سبحانه وتعالى عجب بنو إسرائيل على ما فعلوا من تركهم الحق  
 واستمرارهم على الباطل لا قوله سبحانه وتعالى واتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً  
 من دون الله يعني اتخذ اليهود والنصارى علماءهم وقراءهم والأخبار العلماء من اليهود  
 والرهبان أصحاب الصوامع من النصارى أرباباً من دون الله يعني أنهم أطاعوهم في معصية الله  
 تعالى وذلك أنهم أحلوا لهم أشياء وحرموا عليهم أشياء من قبل أنفسهم فطاعوهم فيما  
 فاتخذوهم كالأرباب لأنهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الإلهية عن عدي بن حاتم قال أنت  
 الذي صلى الله عليه وسلم وفي معنى صائب من ذهب قتال ما عدى أطرح عنك هذا اللون  
 وسمته يقرأ في سورة راءة اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله قال أمثالهم  
 لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً  
 حرموه أخرجه الترمذي وقال حدثني غريب قال عبد الله بن المبارك  
 وهل يدل الدين إلا الملوكة وأخبار سوء ورهبانها (١)

هو والمسيح ابن مريم يعني اتخذوه الهوا وذلك لما اعتقدوا فيه النبوة والحلولاء عدوا  
 فيه الإلهية وما أمروا به يعني وما أحروا في الكتب القديمة المنزلة عليهم على  
 أنسة أنبيائهم إلا ليعبدوا الهوا واحداً به لأنه سبحانه وتعالى هو المسحق للسادات الأخره  
 لا اله الا هو سبحانه عما يشركون أي تعالى الله وتنزهه عن أن يكون له شريك في السادة  
 والأحكام وأن يكون له شريك في الألوه يستحق العظيم والجلال ما يريدون به  
 يعني يريد رؤساء اليهود والنصارى أن يلقنوا نور الله بأفواههم يعني يريدوا  
 إبطال دين الله الذي جاءه محمد صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم إياه وقبل المراد من النور  
 الدلائل الدالة على صحة وتوحيده صلى الله عليه وآله وسلم أم أحدنا المميزا الهات  
 الحات لإعادة التي ناهرت على يدنا من الهات على صلاتنا  
 القرآن العظيم الذي نزل على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم على الأندلس عام ١١١١

(١) وما بعده قوله قد وقع اليوم في حصة من يد العلم أساليب قاله مصدحه

﴿ وأي الله ﴾ أي لا يرضى من الآن يتم نوره ﴿ بأعلاء التوحيد واعزاز الاسلام ﴾ وقيل أنه تمثيل لحالهم في طلبهم إبطال نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالكذب بحال من يطلب إطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيده بنفخه وأنصح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لأنه في معنى النفي ﴿ ولو كره الكافرون ﴾ محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ كالبيان لقوله وأي الله الآن يتم

وثالثها أن دينه الذي أمر به وهو دين الاسلام ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والشهادة عليه والالتقياد لأمره ونهيه واتباع طاعته والامتناع بعبادته والتبري من كل معبود سواه فهذه أمور نبوة ودلائل واضحة في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فن أراد إبطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب سببه وبطل عمله ثم إن الله سبحانه وتعالى وعد نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بزيادة النصر وأعلاء الكلمة وإظهار الدين بقوله ﴿ وأي الله الآن يتم نوره ﴾ ولو كره الكافرون ﴿ أي ﴾ وبأي الله الآن يتم نوره ﴿ أي ﴾ الحق الذي بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولو كره ذلك الكافرون ﴿ أي ﴾ قوله عز وجل ﴿ هو الذي أرسل رسوله ﴾ يعني أن الله الذي بأي الآن يتم نوره هو الذي أرسل رسوله من محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ أي ﴾ بالهدى ﴿ أي ﴾ بالقرآن الذي أنزله عليه وجعله هاديا إلى الحق ودين الحق ﴿ أي ﴾ معنى دين الاسلام ﴿ أي ﴾ ليظهره ﴿ أي ﴾ يعني لعليده ﴿ أي ﴾ الدين كله ﴿ أي ﴾ معنى على سائر الأديان ومال ابن عباس الهاء في لتظهره مأخوذة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى لعليده سرائع الدين كلها وتظهره عما لها حتى لا يخفى عما به نفي منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة إلى الدين الحق والمعنى يظهر دين الاسلام على الأديان كلها وهو أن لا يعبد الله إلا هو وقال أبو هريرة والضحاك ذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبيد أهل دين الا دخلوا في الاسلام ويبطل على محبة هذا الأول ما روى عن أبي هريرة في حديث نزول عيسى عليه السلام قال قال الله صلى الله عليه وسلم ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبيد على وجه الارض بيت مدر ولا ور الا أدخله الله كلمة الاسلام اما يعز عزير أو مثل ذلك اما ان يمزح فيجعله من أهله فيحزوا به واما ان يذلم فيدينون له اخرجوه البغوي غير سند (م) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تبدل اللات والعزى فقلت يا رسول الله اني كنت أظن حين أنزل الله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون ذلك ما شاء الله ثم بعث الله رجلا طيبة توفي كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فينبئ من لا خبر فيه ف يرجعون إلى دين آبائهم قال النافعي وهذا ظهور الله من رسوله صلى الله عليه وسلم على الأديان كلها بان لكل من سمعه انه الحق رسالا خاف من الايمان بالحل وقال وأمره على الاصل دين أهل الكتاب ودين الامنان

كره الكافرون) مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالكذب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده وبنفخه القساية القصوى من الاشراق ليطغى بنفخه أجرى وبأي الله مجرى لا يريد الله ولذا وقع في مقابلة يريدون والا لا يقال كرهت أو أيقنت الا زيدا (هو الذي أرسل رسوله) محمد اعلمه السلام (بالهدى) بالقرآن (ودين الحق) الاسلام (ليظهره) لعلمه (على الدين كله) على أهل الأديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين

(وبأي الله) لا يترك الله (الآن) يتم نوره (الآن) يظهر دينه الاسلام (ولو كره) وان كره (الكافرون) ان يكون ذلك (هو الذي أرسل رسوله) محمدا عليه السلام (بالهدى) بالقرآن والايان (ودين الحق) دين الاسلام شهادة أن لا اله الا الله (ليظهره على الدين كله) ليظهر دين الاسلام على الأديان كلها من قبل ان تقوم الساعة

روى عنه ائمة من اهل البيت (عليهم السلام) في بيان ما يحرم من اموال الرهبان واليهود والذين يكتزون الذهب والفضة (يخزونون) (عن سبيل الله) (سورة براءة) دينة (والذين يكتزون

الذهب والفضة) يجوز ان يكون اشارة الى الكثرة من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين ذميتين فيهم أخذ الرش وكثرة الاموال والضمن من الاتفاق في سبيل الخبز ويجوز ان يراد المسلول الكانزون غير المنفقين وبقرون بينهم وبين المرتشين من أهل الكتاب تغليظ وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أدى زكاته فليس يكتزون كان باطنا وما يبلغ ان يزكى فليزك فهو كثر وان كان ظاهرا ولقد كان كثير من الصحابة رضى الله عنهم كبد الرحمن ابن عوف وطحة يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما علم أحد من أعراف عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والافتاء مباح لا يذم صاحبه

(ولو كره) وان كره (المشركون) ان يكون ذلك (بالأهل الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (ان كثيرا من الاحبار) علماء اليهود (والرهبان) أصحاب الصوامع (ليأكلوا أموال الناس بالباطل)

بهم نوره ولذلك كرر (ولو كره المشركين) غير انه ومنع المشركون موضع الحافرون للدلالة على انهم ضمو الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في لظهوره للدين الحق والرسول عليه الصلاة والسلام واللام في الدين للبشرى على سائر الاديان فينسبها او على اهلها فيخذلهم (يا أيها الذين آمنوا) ان كثيرا من الاحبار والرهبان يأكلون أموال الناس بالباطل (ياخذونها بالرشا في الاحكام) سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه (ويصدون عن سبيل الله) دينة (والذين يكتزون الذهب والفضة

فقهروا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين حتى دناوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل أهل الكتاب وسبي حتى كان بعضهم بالاسلام وأعطى بعضهم الجزية ساغرين وجرى عليهم حكمه فهذا هو ظهوره على الدين كله (ولو كره المشركون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) ان كثيرا من الاحبار والرهبان (قد صدقوا) معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى (وفي قوله سبحانه وتعالى ان كثيرا دليل على ان الأقل من الاحبار والرهبان لم يأكلوا أموال الناس بالباطل ولعلهم الذين كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن أخذ الاموال بالاكل في قوله تعالى (ليأكلوا أموال الناس بالباطل) لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمى الشيء باسم ما هو اعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من اجله أكلوا أموال الناس بالباطل فقليل اهتم كانوا يأخذون الرش من سفاتهم في تخفيف الشرائع والمساخطة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بأيديهم كتباً يحرقونها ويبدلونها ويقولون هذه من عند الله وبأخذون بها غنا قايلا وهي المال كل الى كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في كتبهم لانهم كانوا يخافون لو آمنوا به وصدقوه لذهب عنهم تلك المال كل وقيل ان التوراة كانت مستقلة على آيات دالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم وكان الاحبار والرهبان يذكرون في تأويلها وجوها فاسدة باطلة ويحرقون معانيها طلبا للرياسة وأخذ الاموال ومنع الناس عن الايمان به وذلك قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) يعنى ويمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الاسلام (والذين يكتزون الذهب والفضة) أصل الكثر في اللغة تجعل المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز مجموع واختلفوا في المراد به هؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كثرة الذهب والفضة فقليل هم أهل الكتاب قاله معاوية بن أبي سفيان لان الله سبحانه وتعالى وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالغل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس والسدى نزلت في معاني الزكاة من المسلمين وذلك انه سبحانه وتعالى لما ذكر قبح طريقة الاحبار والرهبان في الحرص على أخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وذكر وعده من جمع المال ومنع حقوق الله منه وقال أبو ذر نزلت في أهل الكتاب والمسلمين ووجه هذا ان الاموال التي سهاها وتعالى وصاحبها أهل الكتاب بالحرص على أخذ المال من الناس بالباطل ثم ذكر بعده وعده من جمع المال ومع الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس الكنا

بالرشوة والحرام (ويصدون عن سبيل الله) (قاو خا ١٥ لث) عن دين الله وطاعته (والذين يكتزون) يجمعون (الذهب والفضة

أومن المسلمين (خ) عن زيد بن وهب قال سررت بالربذة فاذا بأبي ذر فقلت ما أنزلت هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وغيرهم فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب إلى عثمان يشكوني فكتب إلى عثمان أن أقدم المدينة فقدمتها فكثر على الناس حتى كانوا لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال إن عثت تمحيت فكننت قريبا فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمر على عبد حبشي سمعت وأطعت واختلف العلماء في معنى الكنز فقيل هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم يؤد زكاته وروى عن ابن عمر أنه قال له إسرائيلي أخبرني عن قول الله عز وجل والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بمذاب أليم قال ابن عمر من كثرتها فلم يؤد زكاتها ويل له هذا كان قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرا للأموال أخرجه البخاري وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسئل عن الكنز ما هو فقال هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل ما أدبت زكاته فليس يكتزون كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يكره به صاحبه وإن لم يكن مدفونا وروى عن علي بن أبي طالب قال أربعة آلاف فافوقها كنز ومادونها نفقة وقيل الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه إليه وروى الطبري بسنده عن أبي أمامة قال توفي رجل من أهل الصفة فوجد في منزله دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر فوجد في منزله ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا في أول الإسلام قبل أن تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شيء من المال إخراجها لاحتياج غيره إليه فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكتزون الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين فقال عمر أنا أفرج عنكم فالطلق فقال يا نبي الله أنه كبر على أصحابك هذه الآية فقال إن الله لم يفرض الزكاة إلا لتطيب ما بقى من أموالكم وأنما فرض الموارث لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له ألا أخبرك بخير ما يكثر المرء المرأة السالحة إذا نظرت إليها سرته وإذا أسرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته أخرجه أبو داود عن ثوبان قال لما نزلت والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه أنزلت في الذهب والفضة فلو علمنا أي المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضله لسان ذا كرو قلب شاكر وزوجة سالحة تعين المؤمن على إيمانه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه الأقوال القول الأول وهو ما ذكرنا عن ابن عمر أن كل مال أدبت زكاته فليس يكتز ولا يحرم على صاحبه اكتنازه وإن كثرت وإن كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب عليه وإن قل إذا كان مما يجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد من الله إلا أن يتفضل الله عز وجل عليه بفضوه وغفرانه ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا

ولا ينفقونها في سبيل الله ﴿٢﴾ يجوز أن يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والفضن به وان يراد به المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقتترانه بالمرتسين من اهل الكتاب للتقليظ وبدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضى الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا لطيب بها ما بقى من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادى زكاته فليس بكنز اى بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الاتفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوى بها ونحوه (٢) فالمراد منه من لم يؤد حقه لقوله عليه الصلاة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن

كان يوم القيامة صفائح من نار فاحى عليها في نار جهنم فيكوى بها جيئه وجنبه وظهره ككاردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله قال لا بل قال ولا صاحب ابل لا يؤدى منها حقها ومن حقها حلبها يوم ورودها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أو فرما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه باخفافها وتمضه بانفواها ككاسر عليه أولاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله قال نعم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شاة ليس فيها عقصاء ولا جلاء ولا عضباء تنطع بقر ونها وتطؤه باظلافها ككاسر عليه أولاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار أخرجه مسلم بزيادة فيه قوله ككاردت أعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت بضم الراء وفي بعضها بردت بالباء وهذا هو الصواب والرواية الاولى هي رواية الجمهور قوله حلبها هو بفتح اللام على المشهور وحكى اسكانها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوى من الارض الواسع الاملس والعقصاء هي الشاة الملتوية القرنين وانما استشاهها لانها لا تؤلم بنطحها وهكذا الجلاء وهي الشاة التي لا قرن لها وكذا العضباء وهي الشاة المكسورة القرن (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل ماله ننجما أقرع له زبيتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شذقيه ثم يقوله أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين ينفقون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الآية الشجيع الحية والاقرع صفة له بطول العمر لان من طال عمره تمزق شعره وذهب وهي صفة أخبت الحيات والزبيتان هما الزبدتان في الشدقين واللهز متان عظيمان اثنتان في اللحين تحت الاذنين ﴿٣﴾ وقوله تعالى ﴿٤﴾ ولا ينفقونها في سبيل الله ﴿٥﴾ يعنى ولا يؤدون زكاتها وانما قال ولا ينفقونها ولم يقل ينفقونها لانه رد الكفاية الى المال المكنوز وهي اعيان الذهب والفضة وقيل رد الكفاية الى الفضة لانها اخلب أموال

(ولا ينفقونها في سبيل الله)  
الضمير راجع الى الملقى  
لان كل واحد منهما دنانير  
ودراهم فهو كقوله وان  
طائفتان من المؤمنين اقتلوا  
أو أريد الكنوز والاموال  
أو معناه ولا ينفقونها  
والذهب كما أن معنى قوله  
﴿٣﴾ فاني وقيار بها لتريب  
وقيار كذلك وخصا بالذكر  
من بين سائر الاموال لانها  
قانون التمول وأمان  
الاشياء وذكر كثرهما  
دليل على ماسواهما  
ولا ينفقونها) يعنى الكنوز  
(في سبيل الله) في طاعة الله  
ويقال ولا يؤدون زكاتها

(٢) فالمراد منها ما لم يؤد حقه  
نسخه



(فبشرهم بذاب أليم) ومعنى قوله (يوم يحصى عليها نار جهنم) أن النار تحصى عليها أي توقد وانما ذكر القمل لأنه مسند إلى الجار والمجرور أصله يوم نحصى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحصى لانتقال الاسناد عن النار إلى عليها كما تقول رفعت القصة إلى الأمير فان لم تذكر القصة قلت رفعت إلى الأمير (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وخضعت هذه الاعضاء لانهم كانوا اذا أبصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم وآياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بارتكابهم وولوه ظهورهم أو معناه يصكرون على الجهات الأربع مقاديرهم وما خيرهم وجنوبهم (هدا ما كنزتم)

(فبشرهم) يا محمد (بذاب أليم) وجيع (يوم يحصى عليها) على الكنوز ويقال على النار (في نار جهنم فتكوى بها) فتضرب بالكنوز (جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا) يقال لهم عقوبة هذا (ما كنزتم) بما جمستم من الاموال

أبى هريرة رضي الله تعالى عنه صاحب ذهب ولافضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ﴿فبشرهم بذاب أليم﴾ هو الذي بهما ﴿يوم يحصى عليها في نار جهنم﴾ أي يوم توقد النار ذاتها حتى شديد عليها واسله نحصى بالنار فجعل الاجزاء النار مبالغة ثم حذفت النار واستند القمل إلى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانقل من صيغة التأنيث إلى صيغة التذكير وانما قال عاليا والمذكور عيثان لأن المراد بهما دنائير ودرهم كثيرة كما قال على رضي الله تعالى عنه أربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولايتفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز أو للاموال فان الحكم عاد وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون القول أو للفضة وتخصيصها للقر بها ودلالة حكمها على أن الذهب أولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ﴿لأن جباههم وأمسأهم آياه﴾ كان لطلب الوجاعة بالغنى والتتم بالطعام الشهية والملابس البهية اولاهم ازوروا عن السائل وأعرضوا عنه وولوه ظهورهم اولاهم اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشغلة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد اولاهم اصول الجهات الأربع التي هي مقادير البدن وما آخره وجنابه ﴿هذا ما كنزتم﴾ على ارادة القول

الناس ﴿فبشرهم بذاب أليم﴾ يعني الكافرين الذين لا يؤدون زكاة أموالهم (ق) عن أبي ذر قال انتهت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأيته قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جاست فلم أقار حتى قت فقات يارسول الله فذاك أبي وأمي من هم قال هم الا كثرون أموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خافه وعن يمينه وعن شماله وقيل ما هم مامن صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الاجاءت يوم القيامة أعظم ما كانت واسمعه تنطحه بقرونها وتطؤه باغلالها كما تنقذت أخرها عادت عليه أولاهم حتى يقضى بين الناس هذا لفظ مسلم وفرقه البخاري في موضعين \* وقوله تعالى ﴿يوم يحصى عليها﴾ يعني على الكنوز فتدخل النار فوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة ﴿في نار جهنم فتكوى بها جباههم﴾ يعني بالكنوز جباههم وجنوبهم وظهورهم ﴿قال ابن عباس لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلد به حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدة قال بعض العلماء انما خص هذه الاعضاء بالسكى من بين سائر الاعضاء لان الغنى صاحب المال اذا آله السائل فطلب منه شيئا تبدو منه آثار الكراهة والمنع فند ذلك يقطب وجهه ويكبح وتجمع أسارير وجهه فيتجمد جبينه ثم ان كرر السائل الطلب نأى بجانبه عنه ومال عن جهته وتركه جانبا ثم ان كرر الطلب وألح في السؤال ولاه ظهره وأعرض عنه واستقل جهة أخرى وهي نهاية في الرد والقابة في المنع الدال على كراهية الاعطاء والبذل وهذا دأب مانعي البر والاحسان وعادة البخلاء ولذلك خص هذه الاعضاء الثلاثة بالكي يوم القيامة وقوله سبحانه وتعالى ﴿هذا ما كنزتم﴾

هذا ما كُتِبَ عليكم

لتنفع به نفوسكم وما علمتم

انكم كُنتُمْ تكتزونون لتستضربه

انفسكم وهو توبيع (فذوقوا

ما كنتم تكتزونون ) أى

وبال كُنتُمْ تكتزونون أى

تكتزونون أو وبال كونكم

كانتكم (ان عدة الشهور

عند الله اثنا عشر شهرا)

من غير زيادة والمراد بيان

ان أحكام الشرع تبنى على

الشهور القمرية المحسوبة

بالأهلة دون الشمسية (فى

كتاب الله) فمما أثبتناه وأوجه

من حكمه أو فى اللوح (يوم

خلق السموات والارض

منها أربعة حرم) ثلاثة سرد

ذوالقعدة للقعود عن القتال

وذوالحجة للحج والحرم

لتحريم القتال فيه وواحد

فرد وهو رجب لترجييب

( لانفسكم ) فى الدنيا

( فذوقوا ما كنتم )

ما كنتم ( تكتزونون )

تجمعون (ان عدة الشهور

عند الله ) يقول السنة

بالشهور عند الله معنى شهور

السنة التى تؤدى فيها الزكاة

( اثنا عشر شهرا فى كتاب الله )

فى اللوح المحفوظ ( يوم )

من يوم ( خالق السموات

والارض منها ) من الشهور

( أربعة حرم ) رجب

وذوالقعدة وذوالحجة

﴿ لانفسكم ﴾ لمنعتها وكان عين مضرتها وسبب تمذيبها ﴿ فذوقوا ما كنتم تكتزونون ﴾

أى وبال كُنتُمْ تكتزونون أو ما تكتزونونه وقرئ تكتزونون بضم الون (ان عدة الشهور) أى

مبلغ عددها ﴿ عند الله ﴾ معمول عدة لأنها مصدر ﴿ اثنا عشر شهرا ﴾ فى كتاب الله ﴿

فى اللوح المحفوظ أو فى حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله ﴿ يوم خلق السموات

والارض ﴾ متعلق بما فيه من معنى الثبوت أو بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان

هذا امر ثابت فى نفس الامر منذ خلق الله الاحرام والازمنة ﴿ منها أربعة حرم ﴾

لانفسكم ﴿ أى يقال لهم ذلك يوم القيامة ﴾ فذوقوا ما كنتم تكتزونون ﴿ أى

فذوقوا عذاب ما كنتم فى الدنيا من الاموال ومنتم حق الله منها (ق) عن الاحنف

بن قيس قال قدمت المدينة فيمنأ أنا فى حلقة فيها ملا من قريش اذ جاء رجل خشن

التياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكاذبين برضف يحصى عليه

فى نار جهنم فيوضع على حلقة ثدى أحدهم حتى يخرج من نفص كتفيه ويوضع على

نفص كتفيه حتى يخرج من حلقة ثديه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فأرأيت أحدا

منهم رجع اليه شيأ قال فادبر فابته حتى جلس الى سارية فقلت مارأيت هؤلاء

الاكرهوا ما قلت لهم فقال ان هؤلاء لا يقلون شيأ هذا لفظ مسلم وفيه زيادة لم أذكرها

وزاد البخارى قات من هذا قالوا أبو ذر قال فتمت اليه فقلت ماشى سمعتك تقول قبيل

فقال ما قلت الاشياء سمعت من نبيهم صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل ﴿ ان عدة

الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ﴾ هى المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجادى

الاولى وجادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذوالقعدة وذوالحجة

وهذه شهور السنة القمرية التى هى مبنية على سير القمر فى المنازل وهى شهور العرب

التي يتدبها المسلمون فى سياهم ومواقيت جههم وأعيادهم وسائر أمورهم وأحكامهم

وأيام هذه الشهور ثلثائة وخمسة وخسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور

الشمس فى الفلك دورة تامة وهى ثلثائة وخمسة وستون يوما وربيع يوم فتقص السنة

الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية قيع

الحج والصوم تارة فى الشتاء وتارة فى الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الآية

من أجل النسيء الذى كانت العرب تفعله فى الجاهلية فكان يقع جههم تارة فى وقت وتارة

فى المحرم وتارة فى صفر وتارة فى غيره من الشهور ما علم الله عز وجل ان عدة شهور سنة

المسلمين التى يتدون بها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تبارك وتعالى

ان عدة الشهور عند الله يعنى فى علمه وحكمه اثنا عشر شهرا ﴿ فى كتاب الله ﴾ يعنى فى اللوح

المحفوظ الذى كتب الله فيه جميع أحوال الخلق وما يؤتون وما يذرون وقيل أراد بكتاب

الله القرآن لان فيه آيات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل أراد بكتاب الله الحكم

الذى أوجبه وأمر عباده بالآخذ به م يوم خلق السموات والارض ﴿ يعنى أن هذا الحكم

حكم به وقضاه يوم خالق السموات والارض أن السنة اثنا عشر شهرا ﴿ منها ﴾ يعنى

من الشهور ﴿ أربعة حرم ﴾ وهى رجب فرد وذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ثلاثة

واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم دين إبراهيم واسماعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما ﴿ فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ بترك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة وأولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه أعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطية انه لا يحمل للناس أن يفتروا في الحرم وفي الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا ويؤيدوا الأول ما روى انه عليه

متوالية وانما سميت حرما لأن العرب في الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو أن أحدهم لقي قاتل أبيه وابنه وأخيه في هذه الأربعة الأشهر لم يحجبه ولمجاهد الاسلام لم يزد لها الاحراما وتعظيما ولأن الحسنات والطاعات فيها تنضاعف وكذلك السيئات أيضا أحد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الأشهر الحرم ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ يعني ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوى فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه يعني حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل أراد بالدين القيم الحكم الذي لا يغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدائم الذي لا يزول فالواجب على المسلمين الأخذ بهذا الحساب والمسد في صومهم وحجهم واعيادهم وبياعاتهم وأجل ديونهم وغير ذلك من سائر أحكام المسلمين المرتبة على الشهور ( ق ) عن أبي بكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جدى وشعبان أي شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال أليس ذوالحجة قلنا بلى قال أي بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلد الحرام قلنا قال بلى فأي يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم الحرة قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم الا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض الا ليبلغ الشاهد الغائب فلعن بعض من يسأله أن يكون أو عياله من بعض من سمعه ثم قال ألاهل بلغت ألاهل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد ﴿ وقوله عروجل ﴾ فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴿ قيل الكناية في فيهن ترجع الى جميع الأشهر أي لا تظلموا أنفسكم في جميع أشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصي والفساد مطلقا في جميع الاوقات الى الممات وقيل ان الكناية ترجع الى الأشهر الحرم وهو قول أكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح أعظم أجرا في الأشهر الحرم والظلم فيهن أعظم منه فيما سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس لا تظلموا فيهن أنفسكم يريد استهلال الحرام والفارة فيهن وقال محمد بن اسحق بن يسار لا تجمعوا احلالها حراما ولا جرامها حلالا كفعل أهل الشرك وهو

العرب اياه أي لتعظيمه ( ذلك الدين القيم ) أي الدين المستقيم لا يفضله أهل الجاهلية يعني أن تحريم الأربعة الأشهر هو الدين المستقيم ودين إبراهيم واسماعيل وكانت العرب تمسك به فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى أحدثت النسوة فغيروا ( فلا تظلموا فيهن ) في الحرم أو في اثني عشر ( أنفسكم ) بارتكاب المعاصي

والحرم ( ذلك الدين القيم ) الحساب القائم لا يزد ولا ينقص ( فلا تظلموا ) فلا تضروا ( فيهن ) في الشهور ( أنفسكم ) بالمعصية ويقال

(وقاتلوا المشركين كافة) حال  
من الفاعل أو المفعول (كما  
يقاتلونكم كافة) جميعا  
(واعلموا أن الله مع المتقين)  
أى ناصر لهم خشم على  
التقوى بضمان النصرة  
لاهلها (انما النسي)  
بالحزمة مصدر نساء اذا  
آخره وهو تأخير حرمة الشهر  
الى شهر آخر وذلك انهم  
كانوا أصحاب حروب وفارات  
فاذا جاء الشهر الحرام  
وهم يحاربون شق عليهم ترك  
الحاربة فيحلونه ويحرمون  
مكانه شهرا آخر حتى  
رفضوا تخصيص الاشهر  
الحرم بالتحريم فكانوا  
يحرمون من بين شهور العام  
أربعة أشهر (زيادة في  
الكفر) أى هذا الفصل  
منهم زيادة في كفرهم

في الاشهر الحرم (وقاتلوا  
المشركين كافة) جميعا في الحل  
والحرم (كما قاتلونكم كافة)  
جميعا (واعلموا) يامشر  
المؤمنين (أن الله مع المتقين)  
الكفر والشرك والفواحش  
وتقضى العهد والقتال  
في أشهر الحرم (انما النسي)  
زيادة في الكفر (يقول  
تأخير الحرم الى صفر معصية

السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بختين في شوال وذى القعدة وقاتلوا المشركين  
كافة كما يقاتلونكم كافة) جميعا وهى مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن  
الزيادة وقع موقع الحال (واعلموا ان الله مع المتقين) بشارة وضمان لهم بالنصرة  
بسبب تقواهم (انما النسي) أى تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاءهم  
شهر حرام وهم يحاربون احوله وحرمو مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص  
الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء  
وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسي والنساء وثلاثهما مصادر نساء اذا اخره  
(زيادة في الكفر) لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمة الله فهو كفر آخر ضمومه

النسي وقيل ان الانفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد والامتناع عنه على الاطلاق  
شاق على النفس لاجرم ان الله خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع  
الانسان في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبائح والمنكرات فربما تركها في باقى الاوقات  
فتصير هذه الاوقات الشريفة والاشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصى في غيرها  
من الاشهر فهذا وجد الحكمة في تخصيص بعض الاشهر دون بعض بمزيد التشريف  
والتعظيم وكذلك الامكنة أيضا وقوله سبحانه وتعالى (وقاتلوا المشركين كافة  
كما يقاتلونكم كافة) يعنى قاتلوا المشركين باجمكم مجتمعين على قتالهم كما أنهم يقاتلونكم  
على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على قتالهم ولا تتخاذلوا ولا تتدابروا  
ولا تفشلوا ولا تجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين  
في مقاتلة أعدائكم من المشركين واختلف العلماء في تحريم القتال في الاشهر الحرم  
فقال قوم كان كثيرا حراما ثم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعنى في الاشهر الحرم  
وفي غيرهن وهذا قول قتادة وعطاء الحرساني والزهرى وسفيان الثورى  
قالوا لان النسي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بختين وثقيفا بالطائف وحاصرهم  
في شوال وبعض ذى القعدة وقال آخرون انه غير منسوخ قال ابن جريج حلف  
بالله عطاء بن أبى رباح ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم  
وما نسخت الا أن يقاتلوا فيها (واعلموا ان الله مع المتقين) يعنى بالنصر والمعونة على  
على اعدائهم قوله سبحانه وتعالى (انما النسي) زيادة في الكفر النسي في الالة عبارة  
عن التأخير في الوقت ومنه النسيئة في البيع ومعنى النسي المذكور في الآية هو تأخير  
شهر حرام الى شهر آخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم  
وتعظيمها وكان ذلك مما عسكت به من ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت عامة معاش  
العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم البكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية ورعاو قمت  
حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخير حروبهم الى الاشهر الحلال  
ففسؤا يعنى أخرؤا تحريم شهر الى شهر آخر فكانوا يؤخرون تحريم الحرم الى صفر  
فيستحلون الحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى تأخير تحريم صفر أخرؤه الى

الى كفرهم **يضل به** الذين كفروا **كفروا** ضلالا زائفا وقرأ حجة والكسائي وحقق بضل  
ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا يؤخرون شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة  
كلها وكانوا يحجبون في كل شهر طامين فحسوا في ذي الحجة طامين ثم جئوا في المحرم طامين  
ثم جئوا في صفر طامين وكذا باقي شهور السنة فوافقت حجة ابي بكر في السنة التاسعة قبل حجة  
الوداع المرة الثانية من ذي القعدة ثم حج رسول الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع  
فوافق حجة شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف برفة في اليوم التاسع وخطب  
الناس في اليوم العاشر يعني وأعلمهم ان أشهر النسي قد تناهت باستدارة الزمان وطاد  
الاسرالى ما وضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى  
الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحدث  
المتقدم وأمرهم بالمحافظة على ذلك لتلا تبدل في مستأنف الايام واختلفوا في أول  
من نسي النسي فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد أول من نسي النسي بنو مالك  
بن كنانة وكان يليه جنادة بن عوف بن أمية الكناني وقال الكلبي أول من فعل ذلك  
رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يقوم على الناس في الموسم فاذا هم الناس  
بالصدر قام فخطب الناس فبقول لا مرد لما قضيت أما الذي لأعاب ولا أجاب فيقول له  
المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسبهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر في هذا العام  
حرام فاذا قل ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال  
عقدوا اوتار القسي وركبوا الاسنة في الرماح وأغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل  
يقال له جنادة بن عوف وهو الذي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرحمن بن زيد  
ابن أسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم  
وفينا ناسي الشهر القلمس

(يضل) كوفي غير أبي بكر  
(به الذين كفروا) بالنسي  
والضمير في

زيادة مع الكفر (يضل به)  
بطل بئأخير المحرم الى صفر  
(الذين كفروا)

وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جوبير عن الضحاك عن ابن عباس  
ان أول من سن النسي عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف والذي صح من حديث أبي هريرة  
وعائشة ان عمرو بن لحي أول من سب السوايب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رأيت  
عمرو بن لحي يجر قصه في النار فهذا ما ورد في تفسير النسي الذي ذكره الله في قوله انما  
النسي زيادة في الكفر يعني زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم أمروا بإيقاع  
كل فعل في وقته من الاشهر الحرم ثم انهم بسبب أغراضهم الفاسدة أخروه الى وقت  
آخر بسبب ذلك النسي فأوقعوه في غير وقته من الاشهر الحرم فكان ذلك العمل زيادة  
في كفرهم **يضل به** الذين كفروا **كفروا** قرئ يضل بفتح الياء وكسر الصاد ومعناه يضل  
بالنسي الذين كفروا وقرئ يضل بضم الياء وفتح الصاد ومعناه ان كبارهم أضلوه  
وحلوه عليه وقرئ يضل به الذين كفروا بضم الياء وكسر الصاد ومعناه يضل الله  
به الذين كفروا أو يضل به الشيطان الذين كفروا بترين ذلك لهم وقيل معناه  
يسل به الذين كفروا تاممهم والآخذين بأفئدتهم وهذا الوجه أقوى الوجهين

( يحرمونه عاما ويحرمونه عاما ) للنبي أي إذا حلوا شهر من الأشهر لحرام طامرا رجوا في العام القابل ( لا يحرمونه عاما )  
 ما حرم الله ) ليوافقوا المدة التي هي الأربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين واللام تنطلق  
 يمحله ويحرمونه أو يحرمونه فحسب وهو الظاهر ( فيحلو ما حرم الله ) أي فيحلو ما عواطة العدة وحدها  
 من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص الأشهر بينها ( زين لهم سوء أعمالهم ) زين الشيطان  
 لهم ذلك فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة ﴿ ١٢١ ﴾ ( والله ) سورة براءة { لا يهدي القوم الكافرين }

حال اختيارهم الثبات  
 على الباطل ( يا أيها الذين  
 آمنوا ما لكم إذا قيل لكم  
 انفروا ) انفروا ( في سبيل  
 الله ) انما قلتم ) تناقلتم وهو  
 أصله الآن اناء أدغت في  
 اناء فصارت ثاء ساكنة  
 فدخلت ألف الوصل لثلا  
 يتبدأ بالسكن أي بتباطئهم  
 ( الى الأرض ) ضمن معنى  
 الميل والاخلاد فهدى إلى  
 أي ملتم إلى الدنيا وشهواتها  
 وكرهتم مشاق السفر  
 ومتابعه أي ملتم إلى  
 الإقامة بارضكم ودياركم  
 وكان ذلك في غزوة تبوك  
 استنفروا في وقت عسرة  
 وخط وقيظ مع بعد الشقة  
 وكثرة العدو فشق عليهم  
 ذلك وقيل ما خرج  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 في غزوة الأوري عنها  
 بغيرها الا في غزوة تبوك  
 ليستعد الناس تمام العدة

يضل على البناء للمفول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله تعالى ﴿ يحلونه عاما ﴾ يحلون  
 النبي من الأشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ﴿ ويحرمونه عاما ﴾  
 فيتركونه على حرمة قيل أول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكنانى كان يقوم  
 على جبل في الموسم فينادى ان ألهتكم قد انحلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادى في القابل  
 ان ألهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجلتان تفسير للضلال احوال ﴿ ليواطؤا  
 عدة ما حرم الله ﴾ أي ليوافقوا عدة الأربعة المحرمة واللام متعلقة بصرمونه أو يعادل  
 عليه مجموع القبلين ﴿ فيحلو ما حرم الله ﴾ عواطة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت  
 ﴿ زين لهم سوء أعمالهم ﴾ وقرئ على البناء للفعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم  
 حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسنا ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ هداية موصلة الى  
 الاهتداء ﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انما قلتم ﴾ تباطئتم  
 وقرئ تناقلتم على الأصل وانما قلتم على الاستفهام للتوبيخ ﴿ الى الأرض ﴾ متعلق به  
 كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل فهدى إلى وكان ذلك في غزوة تبوك امرؤا بها  
 بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم

تفسير قراءة من قرأ يضل بضم الياء وكسر الضاد ﴿ يحلونه عاما ﴾ يحلون عاما  
 يعني يحلون ذلك الانشاء عاما ويحرمونه عاما والمعنى يحلون الشهر المحرم عاما فيجعلونه  
 حلالا لغيره فيد ويحرمونه عاما فيجعلونه محرما فلا يغيرون فيه ﴿ ليواطؤا ﴾ يعني  
 ليوافقوا ﴿ عدة ما حرم الله ﴾ يعني أنهم ما أحلوا شهر من المحرم الا حرموا شهرا مكانه  
 من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا أحلوا مكانه شهرا من الحرام لاجل  
 أن يكون عدد الأشهر الحرم أربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في العدد لافي الحكم  
 كذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿ فيحلو ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم ﴾ قال ابن عباس  
 زين لهم الشيطان هذا العمل ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ يعني أنه سبحانه  
 وتعالى لا يرشد من هو كافر أنهم لما سبق له في الانزال أنه من أهل النار قوله عز وجل  
 ﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انما قلتم الى الأرض ﴾ نزلت  
 هذه الآية في الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من  
 الطائف أمر بالجهاد لغزو الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة

يحلونه ) يعني المحرم ( عاما )

فيقاتلون فيه ( ويحرمونه ) يعني المحرم ( ق ا و خ ا ١٦ ل ث ) ( عاما ) فلا يقاتلون فيه فإذا أحلوا المحرم حرموا صفر بدله  
 ( ليواطؤا ) ليوافقوا ( عدة ما حرم الله ) أربعا بالعدد ( فيحلو ما حرم الله ) يعني المحرم ( زين لهم ) حسن لهم ( سوء أعمالهم )  
 قبح أعمالهم ( والله لا يهدي ) لا يرشد الى دينه ( القوم الكافرين ) من لم يكن أهلا لذلك وكان الذي يفعل هذا رجلا يقال له تميم بن ثعلبة  
 ( يا أيها الذين آمنوا ) أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ( ما لكم إذا قيل لكم انفروا ) انفروا مع نبيكم ( في سبيل الله ) في طاعة الله  
 وفي غزوة تبوك ( انما قلتم الى الأرض ) اشتبهتم الجلوس على الأرض

﴿أرضيتُم بالحياة الدنيا﴾ وفروها ﴿من الآخرة﴾ بدل الآخرة ولعنها ﴿فما  
متاع الحياة الدنيا﴾ فما التمتع بها ﴿في الآخرة﴾ في جنب الآخرة ﴿الا قليل﴾ مستحق  
﴿الاستغفار﴾ ان لا تنفروا الى ما استغفرتم اليه ﴿بمذنبكم عذابا أليما﴾ بالاهلاك بسبب  
نظيح كقصط وظهور عدو ﴿ويستبدل قوما غيركم﴾ ويستبدل بكم آخرين مطيعين  
كاهل اليمن وابناء فارس ﴿ولا تضروه شيئا﴾ اذ لا يقدح تناقلكم في نصرة دينه شيئا

من المحرحين طابت الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الاورى  
بغيرها حتى كانت غزوة تبوك ففزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد  
واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعددا كثيرا وجلى للمسلمين أمرهم لأهبطوا أهبة  
عدوهم فشق عليهم الخروج وتناقلوا فانزل الله عز وجل هذه الآية بأيتها الذين آمنوا  
مالك اذا قيل لكم يفرقوا قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا في سبيل الله أى  
اخرجوا الى الجهاد يقال استغفر الامام الناس اذا حثهم على الخروج الى الجهاد  
ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واذا استغفرتم فانفروا والاسم النفي  
اثاقتم أى تناقلتم وتباطأتم عن الخروج الى الغزو الى الارض معنى لزمتم أرضكم  
ومساكم وانما استعمل ذلك الغزو لشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة  
والحاجة الى كثرة الاستعداد من العدد وال زاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار  
المدينة وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا فاستعمل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله تعالى  
بقوله ﴿أرضيتُم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ معنى أرضيتُم بخفض العيش وزهرة  
الدنيا ودعها من نعيم الآخرة ﴿فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل﴾ معنى ان  
لذات الدنيا ونعيمها فان زائل ينفد عن قليل ونعيم الآخرة باق على الابد فلهذا  
السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة الى نعيم الآخرة وفي الآية دلائل على وجوب  
الجهاد في كل حال وفي كل وقت لان الله سبحانه وتعالى نص على ان تناقلهم عن الجهاد أمر  
منكر فلو لم يكن الجهاد واجبا لمعاتبهم على ذلك التناقل ويؤكد هذا الوعيد المذكور  
الآية الآتية وهى قوله تعالى ﴿الاستغفار﴾ معنى ان لم تنفروا أيها المؤمنون الى  
ما استغفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ﴿بمذنبكم عذابا أليما﴾ معنى في الآخرة  
لان العذاب الليم لا يكون الا في الآخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر في الدنيا  
قال نجيعة بن نضيع سألت ابن عباس عن هذه الآية فقال استغفر رسول الله صلى الله  
عليه وسلم حيا من أحياء العرب قتلوا فأمسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك عذابهم  
﴿ويستبدل قوما غيركم﴾ معنى خيرا منكم وأطوع قال سعيد بن جبيرة أبناء فارس  
وقيل هم أهل اليمن نبه سبحانه وتعالى على انه قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم  
واعزاز دينه فان سارعوا معه الى الخروج الى حيث استغفروا حصلت النصرة بهم  
ووقع أجرهم على الله عز وجل وان تناقلوا وتخلفوا عند حصلت النصرة بغيرهم  
وحصل العتبى لهم لثلاث توهموا ان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته  
لا تحصل الا بهم وهو قوله تعالى ﴿ولا تضروه شيئا﴾ قيل الضمير راجع الى الله تعالى

(أرضيتُم بالحياة الدنيا  
من الآخرة) بدل الآخرة  
(فما متاع الحياة الدنيا  
في الآخرة) في جنب  
الآخرة (الا قليل الا  
تنفروا) الى الحرب (بمذنبكم  
عذابا أليما ويستبدل قوما  
غيركم ولا تضروه شيئا)  
سخط عظيم على المتأولين  
حيث أوعدهم بعذاب أليم  
مطلق يتناول عذاب  
الدارين وانه يهلكهم  
ويستبدل بهم قوما آخرين  
خيرا منهم وأطوع وأنه  
غنى عنهم في نصرة دينه  
لا يقدح تناقلهم فيها شيئا  
وقل الضمير في ولا تضروه  
للسلطان عليه السلام لان  
الله وعده أن ينصره  
الناس وان ينصره وعده

(أرضيتُم بالحياة الدنيا)  
ما في الحياة الدنيا (من الآخرة)  
فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة  
الا قليل (يسير لا يسير) الا  
تنفروا) ان لم تخرجوا مع  
نبيكم الى غزوة تبوك  
(بمذنبكم عذابا أليما) وجبا  
في الدنيا والآخرة (ويستبدل  
قوما غيركم) خيرا منكم  
وأطوع (ولا تضروه) أى  
لا يضر الله جلوسكم شيئا

كائن لا محالة ( والله على كل شيء ) ﴿ ١٢٣ ﴾ من التبديل { سورة براءة } والتعذيب وغيرهما ( قدير )

لا انتصروه فقد انتصروه الله  
الانتصروه فينتصروه من  
نصره حين لم يكن معه الا  
رجل واحد فدل بقوله  
فقد نصره الله على انه  
ينتصره في المستقبل كما  
نصره في ذلك الوقت ( اذ  
أخرجهم الذين كفروا )  
أسند الاخراج الى الكفار  
لانهم حين هموا باخراجه  
أذن الله له في الخروج  
فكانهم أخرجوه ( ثاني  
أثنين ) أحد اثنين كقوله  
ثالث ثلاثة وهما رسوالله  
وأبو بكر وانتصابه على  
الحال ( اذ هما ) بدل من  
اذا أخرجه ( في الفار )  
هو نقيب في أعلى ثور وهو  
جبل في غنى مكة على مسيرة  
ساعة مكثا فيه ثلاثا ( اذ  
يقول ) بدل ثان ( لصاحبه ) لا  
تخزن ان الله معنا ( بالنصرة  
والحفظ ) لطلع المشركون

والله على كل شيء ) من العذاب  
والبدل ( قدير الانتصروه )  
ان لم تنصروا محمد صلى الله  
عليه وسلم بالخروج معه الى  
غزوة تبوك ( فقد نصره الله  
اذا أخرجهم الذين كفروا )  
كفار مكة ( ثاني اثنين )  
يعني رسول الله وأبو بكر  
( اذ هما ) رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وأبو بكر رضي الله

فانه التقى من كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول عليه الصلاة والسلام  
ولا تنصروه فان الله وعده بالعصمة والنصرة ووعدهم حق ( والله على كل شيء ) قدير  
فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلامد كما قال تعالى ( لا تنصروه فقد  
نصره الله ) أي ان لم تنصروه فينتصره الله كما نصره الله ( اذ أخرجهم الذين كفروا )  
ثاني اثنين ( ولم يكن معه الا رجل واحد ) فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه  
مقامه وان لم تنصروه فقد أوجب الله له النصره حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن  
يخذه في غيره وأسند الاخراج الى الكفرة لانهم باخراجه أوقته تسبب لأذن الله  
له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجرى المنقوص مجرى المقصور  
في الازراب ونصبه على الحال ( اذ هما في الفار ) بدل من اذا أخرجه بدل البعض  
اذا المراد به زمان متسع والفارق في أعلى ثور وهو جبل في غنى مكة على مسيرة ساعة  
مكثا فيه ثلاثا ( اذ يقول ) بدل ثان أو ظرف لثاني ( لصاحبه ) وهو أبو بكر رضي الله  
تعالى عنه ( لا تخزن ان الله معنا ) بالعصمة والمؤنة روى ان المشركين طلعوا فوق الفار

يعني ولا تنصروا الله شيئا لانه غنى عن العالمين وانما تنصرون أنفسكم بترككم الجهاد مع  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يعني ولا تنصروا محمدا صلى الله عليه وسلم شيئا فان الله ناصره على أعدائه ولا يخذه  
( والله على كل شيء ) قدير يعني انه تعالى قادر على كل شيء فهو ينصرتبه ويعز  
دينه قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة  
وقال الجمهور هذه الآية محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فلم ينفروا كما نقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ قوله عز وجل  
( لا تنصروه فقد نصره الله ) يعني الانتصروا محمدا صلى الله عليه وسلم أي المؤمنون  
هذا خطاب لمن تناقل عن الخروج معه الى تبوك فاعلم الله عز وجل انه هو المتكفل  
بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه واعلاء كلمته أطاؤه أو لم يعينوه وانه  
قد نصره عند فلة الاولياء وكثرة الاعداء فكيف به اليوم وهو في كبرة من العدد  
والعدد ( اذا أخرجهم الذين كفروا ) يعني انه تعالى نصره في الوقت الذي أخرجهم  
فيه كفار مكة من مكة حين مكروبه وأرادوا قتله ( ثاني اثنين ) يعني هو واحد اثنين  
وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ( اذ هما في الفار ) يعني اذ رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الفار والفار نقيب عظيم يكون في الجبل وهذا الفار  
في جبل ثور وهو قريب من مكة ( اذ يقول لصاحبه لا تخزن ) يعني يقول رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق لا تخزن وذلك ان أبا بكر خاف من الطلب ان  
يلجوا بمكائهم فيخرج من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخزن ( ان الله معنا )  
يعني بالنصر والمؤنة قال الشعبي عاتب الله عز وجل أهل الارض جميعا في هذه الآية  
غير أبي بكر وقال الحسن بن الفضل من قال ان أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله

عنه ( في الفار اذ يقول ) رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لصاحبه ) أبي بكر ( لا تخزن ) يا أبا بكر ( ان الله معنا ) معينا



فأشفق أبو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك بأثنين الله ثالثهما فأعاجهم الله عن النار فجعلوا يترددون حوله فلم يرووه وقيل لما دخل النار بث الله جامتين فباستتا في أسفلها والمنكبوت فنجبت عليه

صلى الله عليه وسلم فهو كافر لا تكاره نص القرآن وفي سائر الصحابة إذا أنكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يكر أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في النار أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبي بكر الصديق قال نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في النار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك بأثنين الله ثالثهما قال الشيخ محي الدين النووي معناه ثالثهما بالنصر والموتة والحفظ والتسديد وهو داخل في قوله سبحانه وتعالى إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لأبي بكر وهي من أجل مناقبه والفضيلة من أوجه منها اللفظ الدال على أن الله ثالثهما ومنها بذله نفسه ومفارقته أهله وماله ورياسته في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك روى عن عمر بن الخطاب أنه ذكر عنده أبو بكر فقال وددت أن على كله مثل علمه يوما واحدا من أيامه وليلة واحدة من لياليه أما لي الله فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النار فلما اتبها إليه قال والله لا تدخله حتى أدخل قبلك فان كان فيه شيء أصابني دونك فدخله فكسبه ووجد في جانيه ثقبافشق أزاره وسدما به وبقي منها ثقبان فالقمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الحجر ولم يتحرك خفاة أن يتبته رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا أبا بكر فقال لدغت فذاك أبي وأمي فتغل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتفض عليه وكان سبب موته وأما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا تؤدى الزكاة فقال لو تمنوني عقالا لجاهدتهم عليه فقلت يا خيفة رسول الله تأم الناس وارفق بهم فقال لي أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص وأناحي أخرجه في جامع الأصول ولم يرقم عليه علامة لاحد قال البغوي وروى انه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا بكر فقال اذكر الطلب فامشي خلفك واذكر الرصد فامشي بين يديك فلما انتهيا إلى النار قال مكانك يا رسول الله حتى استبرأ النار فدخل فاستبرأه ثم قال انزل يا رسول الله فنزل وقال له ان أكل فأنا رجل واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الأمة

فوق النار فأشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك بأثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل النار بث الله جامتين فباستتا في أسفلها والمنكبوت فنجبت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول النار ولا يفتنون قدام خذ الله بأبصارهم عنه وقالوا من أنكر محبة أبي بكر فقد كفر لا تكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة

## ذكر سياق حديث الهجرة وهو من أفراد البخاري

عن عائشة قالت لم أعقل أبوي قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشيه فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك الضماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد يا أبا بكر فقال أبو بكر أخرجني قومي فأريد أن أسعى في الأرض فأعبد ربي فقال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانك جار فأرجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتمل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم ان أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أن يخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وفي رواية فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وأمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة سرأبا بكر فليعبد ربه في داره وليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فاننا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث أبو بكر كذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتقى مسجدا بقضاء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيسقط فيه عليه نساء المشركين وأبناءؤهم وهم يحبون منه وينظرون اليه وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فافزع ذلك أشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا أجربنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتقى مسجدا بقضاء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه واما قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانه فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وان أبي الا أن يعلن بذلك فسله أن يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نتخفرك ولنا مقرين لابي بكر الاستعلان قالت عائشة فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر فقال قد علمت الذي عاهدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك وأما أن ترجع الى ذمتي فاني لأحب أن تسمع العرب اني أخفرت في رجل عقدت له فقال أبو بكر فأتى أرد اليك جوارك وأرضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين اني رأيت دار هجرتكم سبعة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع طامة من كان بارض الحبشة الى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحببه وعلف راحلتين كانتا عنده من ورق السمر وهو الحبط أربعة أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن جلوس يوما في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنا في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فدأله أبي وأمي والله

ما جاء به في هذه الساعة الأمر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أحلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله قل فاني قد أذن لي في الخروج قال أبو بكر الصلبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أبو بكر فتخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله احدي راحتي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم باليمن قالت طائشة فجهازناهما أحث الجهاز وصنعتا لهما سكرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فكننا فيه ثلاث ليل يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرا يكادان به الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما طاسرين فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحهما عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث وأستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عدي هادي خريتا والحريث المساهر بالهداية قد غس حلقا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فامناه فدفعنا لهما راحتهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليل فأناهما صبح ثلاث فارتحلا وانطلقا معهما طاسرين فهيرة والدليل الدلي فاخذ بهما طريق السواحل وفي رواية طريق الساحل قال ابن شهاب فاخبرني عبدالرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقه بن مالك بن جشم ان أياه أخذه انه سمع سراقه بن مالك بن جشم يقول جاءنا رسول كفار قريش يحملون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقه اني قد رأيت آتفا أودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقه فعرفت أنهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا يبتغون ضاللتهم ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قت فدخلت فاصرت جاريق أن نخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فقبضتها على وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فحططت بزجه الأرض وخفضت طاله حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقميت وأهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى يلتصقا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فمضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قاعة اذا لثريديعا عثان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين اتميت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلته ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم اخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزأني ولم يسألاني الا أن قالا اخف عنا ما استطعت فسأله أن يكتب لي كتاب أمن فأمر طاهر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فآخبرني عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يقدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانتقلوا يوما بعدما أطلوا انتظارهم فلما آووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على ظهر أطم من أطامهم لاسر ينظر اليه فيصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يلك اليهودي ان قال بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرونه قال فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فمدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم سامتا فطلق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أيا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان سر بدا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذاه مسجدا فقالا بل نبيه لك يا رسول الله فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناء مسجدا وطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الابن في بنيانه ويقول

هذا الحمال لاسجال خير • هذا ابرر بنا وأطهر

ويقول اللهم ان الاجر أجر الآخرة • فارحم الانصار والمهاجرة • فقتل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يلبثنا في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل بيت شعر تام غير هذا البيت أخرجه البخاري بطوله

﴿ شرح غريب الفاظ الحديث ﴾

قولها لم أعقل أبوى الا وهما يديتان الدين يعنى أنهما كانا ينقادان الى الطاعة وبرك الغمام بفتح الباء من برك وكسر الفين المججمة اسم موضع بينه وبين مكة خمس ليال مما يلي ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قليب ماء لبني ثعلبة قوله تكسب المعدوم فيه قولان أحدهما انه لقوة سعدة وحظه من الدنيا لا يتعذر عليه كسب كل شئ حتى

المعدوم الذي يتعذر كسبه على غيره والقول الثاني انه يملك الشيء المعدوم المتعذر لمن لا يقدر عليه فقيه وصقه بالاحسان والكرم والكل ما يتقل حله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بامر الميال وأقراء الضيف ونوائب الحق ما ينوب الانسان من المفارم وقضاء الحقوق لمن يقصده أذاك جارأي حام وناصر ومدافع عنك والاستعلان والاعلان اظهار الخفي وقوله فينقذف النساء عليه يعني يزدجن عليه والذمة العهد والامان واخفاره انقضها واللاية الجبل والحرة الارض التي تملوها بجارة سو يقال اقل الشيء على مرسل بكسر الراء أي على هيتك والراحلة البعير القوي على الحل والسير والظهيرية وقت شدة الحر والنطاق جبل أو نحوه تشديد المرأة وسطها وترفع ثوبها من تحتها فتعطف طرفا من أعلاه الى اسفله لئلا يصل الى الارض وقولها ثقف لقن يقال ثقف الرجل ثقافة اذا صار حاداً قطناً واللقن السريع الفهم والادلاج تخفيف الدال سير أول الليل وبتشديد ها سير آخره والمخة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الراء وسكون السين حوالبن يقال تعق الراعي بالغم اذا دما حاله مجتمع اليه والفلس ظلام آخر الليل والخرير تقدم شرحه في الحديث وهو الماهر بالهداية وأراد به هداية الطريق فهو الدليل وقد غمس حلقاً يقال غمس فلان حلقاً في آل فلان اذا أخذ بنصيب من عهدهم وحلقهم والاسودة الاشخاص والاكاة التل المرتفع من الارض يقال قرب الفرس يقرب تقريبا اذا عدا عدوا دون الاسراع والكنانة هي الجمبة التي تحمل فيها السهام والاذلام القدامح التي كانوا يستقيمون بها عند طلب الحوائج كالفسال والشان الغبار يقال مارزأت فلاناً شيئاً أي ما أصبت منه شيئاً والمراد أنهم لم يأخذوا منه شيئاً وقوله أوفى أي أشرف واطلع والاطم البناء المرتفع كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر الياء أي هم ذوو ثياب بيض والمربد الموضع يوضع فيه التمر كالبيدر وقوله هذا الجمال هو بالحاء المهملة يعني هذا الحل والمحمول من اللبن أبر عند الله واطهروا بئى ذخرا وأدوم منفعة في الآخرة لاجال خير يعني ما يحمل من خير من التمر والزيت والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الحل الذي نحمله من اللبن لاجل عمارة المسجد أفضل عند الله مما يحمل من خير وقد روى هذا الجمال بالجيم من التجميل ورواية الاولى أشهر وأكثر والله أعلم قال الزهرى لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الغار أرسل الله سبحانه وتعالى زوجاً من حمام حتى باصتا في أسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتاً وقيل أتت يمامة على قم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعمأ بصارهم فجعل الطلب يضربون يميناً وشمالاً حول الغار يقولون لودخلا هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت في بعض التفاسير شعراً وقد نسب الى أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وهو قوله

قال النبي ولم يجزع يوقرنى • ونحن فى سد فى ظلمة الغار  
لا نخش شيئاً فان الله ثالثنا • وقد تكفل لى منه باظهار

﴿فأنزل الله سكينته﴾ أمته التي تسكن عندها القلوب ﴿عليه﴾ على النبي أو على صاحبه وهو الأظهر لأنه كان مترجماً ﴿وأيده﴾ بجنود لم تروها ﴿يعني﴾ الملائكة أنزلهم ليحرسوه

وإنما كيد من تخشى بواذره • كيد الشياطين قد كادت لكفار  
والله مهلكهم طرايعاً صنعوا • وجاعل المنتهى منهم إلى النار  
﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ يعني فأنزل الله الطمأنينة والسكون  
على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس على أبي بكر لأن النبي صلى الله عليه  
وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك

﴿فصل في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على فضل﴾

﴿سيدى أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه﴾

منه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلماً على باطن أبي بكر  
الصديق في سره وأعلانه وأنه من المؤمنين الصادقين الصديقين الخاصين فاختار صحبته  
في ذلك المكان الخوف المحمدي به. ومنها أن هذه الهجرة كانت بأذن الله تعالى فخص الله  
بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم أبا بكر دون غيره من أهله وعشيرته وهذا التخصيص يدل  
على شرف أبي بكر وفضله على غيره • ومنها أن الله سبحانه وتعالى طاب أهل الأرض بقوله  
تعالى ألا تنصروه فقد نصره الله سوى أبي بكر الصديق وهذا دليل على فضله • ومنها أن  
سيدنا أبا بكر رضى الله تعالى عنه لم يترك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا  
حضر بل كان ملازمه وهذا دليل على صدق محبته وصحة صحبته • ومنها مؤانسته للنبي  
صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه وفي هذا دليل على فضله • ومنها أن الله سبحانه  
وتعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه وتعالى ثاني اثنين إذ هما في الغار  
وفي هذا نهاية الفضيلة لأبي بكر رضى الله تعالى عنه وقد ذكر بعض العلماء أن أبا بكر كان  
ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر الأحوال • ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم  
دعا الخلق إلى الإيمان بالله فكان أبو بكر أول من آمن ثم دعا أبو بكر إلى الإيمان بالله ورسوله  
فاستجاب له عثمان وطحمة والزبير فآمنوا على يدى أبي بكر ثم جعلهم إلى النبي صلى الله عليه  
وسلم • ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في موقف من غزواته إلا وأبو بكر معه  
في ذلك الموقف • ومنها أنه لما عرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الإمامة فكان ثانيه  
• ومنها أنه ثانيه في تربيته صلى الله عليه وسلم وفي هذا دليل على فضل أبي بكر الصديق • ومنها  
أن الله سبحانه وتعالى نص على صحبة أبي بكر دون غيره بقوله سبحانه وتعالى إذ يقول  
لصاحبه لا تحزن • ومنها أن الله سبحانه وتعالى كان ثالثهما ومن كان الله معه دل على فضله  
وشرفه على غيره • ومنها أنزال السكينة على أبي بكر واختصاصه بهادليل على فضله والله  
أعلم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿وأيده﴾ بجنود لم تروها • يعني وأيد النبي صلى الله عليه وسلم بأنزال  
الملائكة ليصرفوا رجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته وقيل أني الرعب في قلوب الكفار  
حين رجا وقال جماعة الكافي أماته بالملائكة يوم بدر فآخبر الله سبحانه وتعالى أنه نصره

(فأنزل الله سكينته) ما ألقى  
في قلبه من الأمانة التي  
سكن عندها وعلم أنهم  
لا يصلون إليه (عليه) على  
النبي صلى الله عليه وسلم  
أو على أبي بكر لأنه كان  
يخاف وكان عليه  
السلام ساكن القلب  
(وأيده بجنود لم تروها) هم  
الملائكة صرفوا وجوه  
الكفار وأبصارهم عن أن  
يروا وأيده بالملائكة يوم  
بدر والأحزاب وحين  
(فأنزل الله سكينته)  
طمأنينته (عليه) على نبيه  
(وأيده) أماته يوم بدر  
ويوم الأحزاب ويوم حنين  
(بجنود لم تروها) يعني

في القار أولعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله ﴿وجمل كلمة الذين كفروا السفلى﴾ يعني الشرك أو دعوة الكفر ﴿وكلمة الله هي العليا﴾ يعني التوحيد أو دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له أو بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن أو بحفظه ونصره حيث حضره وقرأه يقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل ﴿والله عزيز حكيم﴾ في امره وتدبيره ﴿انفروا خفافا﴾ لنشاطكم له ﴿وثقالا﴾ عند مشقته عليكم أو ثقلة عيالكم ولكثرتها أو ركبانا ومشاة أو خفافا وثقالا من السلاح أو صحاحا ومراسنا وذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعلى ان انفروا قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج

وصرف عنه كيد الاعداء وهو في القار في حالة القلة والحواف ثم نصره بالملائكة يوم بدر ﴿وجمل كلمة الذين كفروا السفلى﴾ يعني كلمة الشرك فهي سفلى الى يوم القيامة ﴿وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ قال ابن عباس هي كلمة لا اله الا الله فهي باقية الى يوم القيامة عالية وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا قدروها فيما بينهم من الكيد للنبي صلى الله عليه وسلم ليقولوه وكلمة الله هي ما وعده من النصر والظفر بهم فكان ما وعده الله سبحانه وتعالى حقاً وصدقاً ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿انفروا خفافا وثقالا﴾ يعني انفروا على الصفة التي تحبب عليكم الجهاد بها وعلى الصفة التي ينقل عليكم فيها وهذا ان الوصفان يدخل تحتها أقسام كثيرة فلهذا اخلفت عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقناة وعكرمة يعني شبابا وشيوخا وقال ابن عباس نشاطا وغير نشاط وقل عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال أبو صالح خفافا من المال يعني فقراء وثقالا يعني أغنياء وقال ابن زيد الخفيف الذي لاضيعته له والتقليل الذي له الضيعة بكره أن يدع ضيعته ويروي عن ابن عباس قال خفافا أهل البصرة من المال وثقالا أهل البصرة وقيل خفافا يعني من السلاح مقلين منه وثقالا يعني مستكثرين منه وقيل مشاغل وغير مشاغل وقيل أحماء ومرضى وقيل عزابا ومتأهلين وقيل خفافا من الخاشية والاتباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعني مسرعين في الخروج الى العز وساعة سماع القيرو وثقالا يعني بعد الزوى فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها داخلة تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعني على أي حال كنتم فيهما فان قلت فلي هذا يلزم الجهاد لكل أحد حتى المريض والزم والقبر وليس الامر كذلك فسامعني هذا الامر قلت من العلماء من حمله على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الآية بقوله وما كان المؤمنون ليغفروا كافة الآية وقال السدي نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية ومنهم من حمل هذا الامر على التنبه قال مجاهد ان أبا أيوب الانصاري شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخاف عن غزوة غزاها

(وجمل كلمة الذين كفروا) أي دعوتهم الى الكفر (السفلى وكلمة الله) دعوته الى الاسلام (هي) فصل (العليا) وكلمة الله بالنصب يقبوض بالعطف والرفع على الاستئناف أو جذاذ هي لم تزل كانت طالية (والله عزيز) يعز نصره أهل كلمته (حكيم) ينزل أهل الشرك بحكمته (انفروا خفافا) في النفور لنشاطكم له (وثقالا) عند مشقته عليكم أو خفافا لقلّة عيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبابا وشيوخا أو مهزلبا وسمانا أو صحاحا ومراسنا

الملائكة (وجمل كلمة) دين (الذين كفروا السفلى) المظومة المذمومة (وكلمة الله هي العليا) الغالبة الممدوحة (والله عزيز) بالقمة من اعدائه (حكيم) بالنصرة لا ولياته (انفروا) اخرجوا مع نبيكم الى غزوة تبوك (خفافا وثقالا) شابا وشيوخا ويقال نشاطا وغير نشاط ويقال خفافا من المال والعيال وثقالا

بهما ان أمكن أو بإحدهما  
على حسب الحال والحاجة  
(في سبيل الله ذلكم) الجهاد  
(خير لكم) من تركه (ان  
كنتم تعلمون) كون ذلك  
خيرا فبادروا اليه ونزل في  
المخلفين عن غزوة تبوك  
من المنافقين (لو كان  
عرضا) هو ما عرض لك من  
منافع الدنيا يقال الدنيا  
عرض حاضر يأكل منه  
البر والفاجر أي لو كان ما  
دعوا اليه مقبلا (قريبا)  
سهل المأخذ (وسفرا  
قاصدا) وسطا مقاربا  
والقاصد والقصد المتدلل  
(لاتبعوك) لوافقوك في  
الخروج (ولكن بعدت  
عليهم الشقة) المسافة  
الشاقة الشاقة (وسيجلفون  
بالله لو استطعنا

﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ بما أمكن لكم منهما كليهما أو أحدهما  
﴿ذلكم خير لكم﴾ من تركه ﴿ان كنتم تعلمون﴾ الخير علم انه خير أو ان كنتم تعلمون  
انه خير اذا أخبر الله به صدق قبادروا اليه ﴿لو كان عرضا﴾ أي لو كان ما دعوا اليه  
نقعد نبونا ﴿قريبا﴾ سهل المأخذ ﴿وسفرا قاصدا﴾ متوسطا ﴿لاتبعوك﴾ لوافقوك  
﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ المسافة التي تقطع بمشقة وقرى بكسر العين والشين  
﴿وسيجلفون بالله﴾ أي المخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين ﴿لو استطعنا﴾

المسلمون بعده قليل له في ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفروا خفافا وثقالا  
ولا أجدني الا خفيفا أو ثقيلا وقال الزهري خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت إحدى  
عينيه قليل له أنك عليل صاحب ضر فقال استغفر الله الخفيف والثقل فان لم يمكن  
الحرب كثرت السواد أو حفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو كنت واليا على حص  
فلقت شيئا قد سقط حاجبا على عينيه من أهل دمشق على راحلته يريد الفزو فقلت  
يا عم أنت مذور عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استغفر الله خفافا وثقالا الا انه  
من محبة بئليه والصحيح هو القول الاول انها منسوخة وان الجهاد من فروض الكفايات ويدل  
عليه ان هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك وان النبي صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة  
في تلك الغزوة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد من فروض الكفايات ليس  
على الاعيان والله أعلم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل  
الله ﴿فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل آلات  
الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد والقول الثاني أن  
من كان له مال وهو مريض أو مقعد أو ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد بالله بان يعطيه  
غيره من يصلح للجهاد فيغزو بالله فيكون مجاهدا بالله دون نفسه ﴿ذلكم﴾ يعني ذلكم  
الجهاد ﴿خير لكم﴾ يعني من القعود والتثاقل عنه وقيل معناه ان الجهاد خير حاصل لكم  
ثوابه ﴿ان كنتم تعلمون﴾ يعني ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ﴿ثم نزل في المنافقين  
الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قوله عز وجل﴾ لو كان  
عرضا قريبا ﴿فيه اضمارة تقديره لو كان ما تدعوهم اليه عرضا يعني غنمة سهلة قريبة  
التناول والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر  
يأكل منه البر والفاجر ﴿وسفرا قاصدا﴾ يعني سهلا قريبا ﴿لاتبعوك﴾ يعني تخرجوا معك  
﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ أي المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان  
سلوكها ومعنى الآية لو كان العرض قريبا والغنمة سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك طمعا  
في تلك المنافع التي تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيدا وكانوا يستعظمون غزو الروم  
لاجرم اثم تخلفوا لهذا السبب ﴿ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم انه اذا رجع النبي  
عليه السلام من هذا الجهاد يجلفون بالله وهو قوله تعالى﴾ وسيجلفون بالله ﴿يعني  
المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة﴾ لو استطعنا

بالمال والعيال (وجاهدوا  
بأموالكم وأنفسكم في  
سبيل الله) في طاعة الله  
(ذلكم) الجهاد (خير لكم)  
من الجلوس (ان كنتم  
اذ كنتم تعلمون) وتصدقون  
ذلك (لو كان عرضا قريبا)  
غنمة قريبة (وسفرا قاصدا)  
هنا (لاتبعوك) الى غزوة  
تبوك بطيئة الانفس  
(ولكن بعدت عليهم  
الشقة) السفر الى الشام  
(وسيجلفون بالله) لكم اذا

رجعتم من غزوة تبوك عبد الله بن أبي وجديد بن فليس ومعتب بن قيس واصحابهم الذين تخلفوا عن غزوة تبوك (لو استطعنا)



نخرجنا منكم) من دلائل النبوة لأنه أخبر بها من يكون بعد القول فقالوا كما أخبر أو بالله متعلق يستعملون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين أي يستعملون بمعنى المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معترضين يقولون بالله لو استطعنا نخرجنا منكم أو يستعملون { الجزأ المأثر } بالله يقولون ﴿ ١٣٢ ﴾ لو استطعنا وقوله نخرجنا سمدسدا

يقولون لو كان لنا استطاعة العدة أو البدن وقري لو استطعنا بضم الواو تشبيهها بالواو الضمير في قوله اشترؤا الضلالة ﴿ نخرجنا منكم ﴾ سمدسدا جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لأنه أخبر عما وقع قبل وقوعه فهو يهلكون أنفسهم ﴿ باقاعها في العذاب وهو يدل من يستعملون لأن الحلف الكاذب انقاع للنفس في الهلاك أو حال من فاعله ﴿ والله يعلم أنهم لكاذبون ﴾ في ذلك لأنهم كانوا مستطيعين الخروج ﴿ عفا الله عنك ﴾ كناية عن خطاه في الأذن فإن العفو من روادفه ﴿ لم أذنك لهم ﴾ بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاينة عليه والمعنى لا شيء أذنك لهم في القعود حين استأذنوك واءتوا

نخرجنا منكم ﴿ يعني إلى هذه الغزوة ﴾ ﴿ يهلكون أنفسهم ﴾ يعني بسبب هذه الأيمان الكاذبة والفاق وفيه دليل على أن الأيمان الكاذبة تهلك صاحبها ﴿ والله يعلم أنهم لكاذبون ﴾ يعني في أيمانهم وهو قولهم لو استطعنا نخرجنا منكم لأنهم كانوا مستطيعين الخروج ﴿ عفا الله عنك ﴾ لم أذنك لهم ﴿ قال الطبري هذا عتاب من الله عز وجل طاب الله به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أي في أذنه لمن أذله في التخليع عنه من المنافقين حين شخص إلى تبوك لغزو الروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في أذنك لهؤلاء المنافقين استأذنوك في ترك الخروج معك إلى تبوك قال عروبن ميمون الأودي أشان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بشيء فيهما أذنه للمنافقين وأخذهم القداء من أسارى بدر فمات به الله كما تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظروا إلى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل أن يعيره بالذنب

### فصل

استدل بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنوب من الأنبياء وبسببه من وجهين أحدهما أنه سبحانه وتعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سابقة الذنب • الوجه الثاني أنه سبحانه وتعالى قال لم أذنك لهم وهذا استفهام معناه الإنكار • والجواب عن الأول أنا لا نسلم أن قوله تعالى عفا الله عنك يوجب صدور الذنب بل نقول أن ذلك يدل على المبالغة في التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره إذا كان معظما له عفا الله عنك ما صنعت في أمرى رضى الله عنك ما جوابك عن كلامي وعفاك الله وغفرك كل هذه الألفاظ في ابتداء الكلام واقتضاه تدل على تعظيم المخاطب بد قال علي بن الجهم يخاطب المتوكل عفا الله عنك الإحرمة • تمود بفضلك أن أبعدا

ألم تر عبدا عدا طوره • ومولى عفا ورشيدا هدى

ألفنى أقالك من لم يزل • يقيل ويصرف عنك الردى

والجواب عن الثاني أنه لا يجوز أن يكون المراد بقوله لم أذنك لهم الإنكار عليه وبإيانه

جوابي القسم ولو جفا ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الإبدان كأنهم تمارنوا (يهلكون أنفسهم) يدل من يستعملون أو حال منه أي مهلكين والمعنى أنهم يهلكونها بالحلف الكاذب أو حال من نخرجنا أي نخرجنا منكم وإن أهلكنا أنفسنا والقيناها في التهلكة بما نعملها على السير في تلك الشقة (والله يعلم أنهم لكاذبون) فيما يقولون (عفا الله عنك) كناية عن الزلة لأن العفو رادف لها وهو من لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الأنبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لسائر الأنبياء عليهم السلام (لم أذنك لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك أذنك لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالأذن

بالزاد والراحلة (نخرجنا منكم) إلى غزوة تبوك

(يهلكون أنفسهم) بالخلف الكاذبة (والله يعلم أنهم لكاذبون) لأنهم كانوا يستطيعون الخروج مع (أما) النبي صلى الله عليه وسلم (عفا الله عنك) يا محمد (لم أذنك لهم) للمنافقين بالجلوس

(حق يتبين لك الذين صدقوا وتعلم ﴿ ١٣٣ ﴾ الكاذبين) يتبين لك { سورة براءة } الصادق في العلم والحق

الكاذب فيه وقيل عيشان فلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمرهما بأخذ الفداء وأذنه للمناققين فمات به الله عليهما ﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ﴾ أي ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا فإنه اخلص منهم يادرون إليه ولا يتوقفون على الأذن فيه فضلا أن يستأذنوك في التخلف عنه وأن يستأذنوك في التخلف كراهة أن يجاهدوا ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾ شهادة لهم بالقوى وعدة لهم بنوابه ﴿ انما يستأذنك ﴾ في التخلف ﴿ الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ تخصيص الإيمان بالله عز وجل واليوم الآخر في المؤمنين للاشعار بأن الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما ﴿ وارتابت قلوبهم ﴾

ان له ذلك لنزك الافضل وهم يستأذنون على ترك الافضل ( لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا ) ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا ( بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ) عدة لهم بأجزال الشواب ( انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ) يعني المناققين وكانوا تسعة ونلائين رجلا ( وارتابت قلوبهم ) شكوا في دينهم

(حق يتبين لك الذين صدقوا)

بأكاذيب وهلا توقفت ﴿ حق يتبين لك الذين صدقوا ﴾ في الاعتذار ﴿ وتعلم الكاذبين ﴾ فيه قيل انما قيل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذ الفداء واذنه للمناققين فمات به الله عليهما ﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ﴾ أي ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا فإنه اخلص منهم يادرون إليه ولا يتوقفون على الأذن فيه فضلا أن يستأذنوك في التخلف عنه وأن يستأذنوك في التخلف كراهة أن يجاهدوا ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾ شهادة لهم بالقوى وعدة لهم بنوابه ﴿ انما يستأذنك ﴾ في التخلف ﴿ الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ تخصيص الإيمان بالله عز وجل واليوم الآخر في المؤمنين للاشعار بأن الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما ﴿ وارتابت قلوبهم ﴾

اما أن يكون قد صدر عنه ذنب في هذه الواقعة أولا فان كان قد صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق بقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل أن يتوجه الانتكار عليه وان لم يكن قد صدر عنه ذنب امتنع الانتكار عليه فثبت بهذا أن الانتكار يتبع في حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضي عياض في كتابه الشفاء في الجواب عن قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم انه أمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهى فيعد معصية ولا عده تعالى عليه معصية بل لم يمهأ أهل العلم معاتبة وغاطوا من ذهب الى ذلك قال تفتويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان محمدا في أمرين قالوا وقد كان له أن يفعل ما يشاء فيعلم بتزل عليه فيه وحى فكيف وقد قال الله سبحانه وتعالى له فأذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله بآل يطاع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقدعوا وانه لا حرج عليه فياقل وایس عفاها عن غفريل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدفة الحيل والرقيق ولم تجب عليهم قطأي لم يلزمكم ذلك ونحوه للتشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لا يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنب قال الداودي انها كرمه وقال مكي هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكي السمرقندي أن معناه طافك الله وقيل معناه أدام الله لك العفو لم أذنت لهم يعني في التخلف عنك وهذا يحمل على ترك الأولى والاكمل لاسيما وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا ﴿ حق يتبين لك الذين صدقوا ﴾ يعني في اعتذارهم ﴿ وتعلم الكاذبين ﴾ يعني فيما يعتذرون به قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المناققين يومئذ حتى نزلت براءة قوله سبحانه وتعالى ﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ﴾ أي في أن يجاهدوا وانما حسن هذا الحذف لظهوره ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾ يعني الذين يتقون مخالفته وسارعون الى طاعته ﴿ انما يستأذنك ﴾ يعني في التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر ﴿ الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ وهم المناققون لقوله عز وارتابت قلوبهم ﴿ بمعنى شك قلوبهم في الايمان وانما أصناف الشك والارتباب الى القاب لانه محل المعرفة والايمان أيضا فاذا دخله الشك

الكفر والترك ( انما يستأذنك ) الجاوس عن الخروج ( الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ) في السر ( وارتابت ) سكت ( قلوبهم )

فهم في ريبهم يترددون ﴿أى يصيرون﴾ ولولو أرادوا الخروج لأعدوا له ﴿الخروج﴾ عدة ﴿أهبة﴾ وقرى عده بمحذف التاء عند الإضافة كقوله

ان الخليفة اجدوا البين فأنجروا • واخلفوك عدلا من الذى وعدوا

وعده بكسر الهمزة بإضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم ﴿استدراك عن مفهوم قوله ولو أرادوا الخروج كأنه قال ما خرجوا ولكن تبطلوا لانه تعالى كره انبعاثهم أى نهوضهم للخروج﴾ فنبطهم ﴿فحبسهم بالجبن والكسل﴾ وقيل اقمدا مع القاعدين ﴿تمثيل لاقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم أو وسوسة الشيطان بالامر بالقيود أو حكاية قول بعضهم لبعض أو اذن الرسول عليه السلام لهم والقاعدين يحتمل المذكورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم

كان ذلك نفاقا ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾ يعنى أن المنافقين متحيرون لامع الكفار ولا مع المؤمنين وقد اختلف علماء النسخ والمنسوخ في هذه الآية فقيل انها منسوخة بالآية التي في سورة النور وهي قوله سبحانه وتعالى ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله وقبل انها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الآيات ان المؤمنين كانوا يسارعون الى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استئذان فاذا عرض لاحدهم عذر استأذن في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عذرا في الاذن لهم بقوله تعالى فأذن لمن شئت منهم وأما المنافقون فكانوا يستأذنون في التخلف من غير عذر فغيرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر ﴿ولو أرادوا الخروج﴾ يعنى الى الغزو ومكم ﴿لأعدوا له عدة﴾ تهويله بأعداد آلات السفر وآلات القتال من الكراع والسلاح ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ يعنى خروجهم الى الغزو ومكم ﴿فنبطهم﴾ يعنى منعهم وحبسهم عن الخروج ومكم والمعنى ان الله سبحانه وتعالى كره خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم فصرهم عنه وههنا يتوجه سؤال وهو ان خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم اما ان يكون فيه مصلحة أو مفسدة فان كان فيه مصلحة فلو كان ولكن كره الله انبعاثهم فنبطهم وان كان فيه مفسدة فلم يمانع نبيه صلى الله عليه وسلم في اذنه لهم بالقيود والجواب عن هذا السؤال ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى أخبر عن تلك المفسدة بقوله تعالى لو خرجوا فيكم مازادوكم الاخبالا يبق فلم تأت الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لم أذن لهم فنقول انه صلى الله عليه وسلم أذن لهم قبل تمام الفحص وكمال التأمل والتدبر في حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم أذن لهم وقيل انما سمعوا لاجل انه اذن لهم قبل أن يوحى اليه في أمرهم بالقيود وقيل اقمدا مع القاعدين ﴿معناه﴾ انهم لما استأذنوه في القعود قيل لهم اقمدا مع القاعدين وهم النساء والصبيان والمرضى وأهل الاعذار ثم اختلفوا في القائل من هو فقيل قال بعضهم لبعض اقمدا مع القاعدين وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل المنصب لما استأذنوه في القعود فقال لهم اقمدا مع القاعدين فاختلوا ذلك وقعدوا وقبل ان القائل ذلك هو الله سبحانه وتعالى بأن اتى في قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين الى الجهاد ثم بين سبحانه وتعالى ما في خروجهم من المفاسد فقال تعالى

واضطربوا في عقيدتهم (فهم في ريبهم يترددون) يتحيرون لان التردد يدلن التحير كما أن الثبات يدلن المستبصر (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له) (الخروج أو الجهاد) (عدة) أهبة لاهم كانوا مياسير ولما كان ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل (ولكن كره الله انبعاثهم) نهوضهم للخروج كأنه قيل ما خرجوا ولكن تبطلوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم (فنبطهم) فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث والشيطان التوقيف عن الامر بالزهد فيه (وقيل اقمدا) أى قال بعضهم لبعض أو قاله الرسول عليه السلام غضبا عليهم أو قاله الشيطان بالوسوسة (مع القاعدين) مودم لهم

فهم في ريبهم (في شكهم يترددون) يتحيرون (ولو أرادوا الخروج) معك الى غزوة تبوك (لأعدوا له) للخروج (عدة) قوة من السلاح والزاد (ولكن كره الله انبعاثهم) خروجهم معك الى غزوة تبوك (فنبطهم) فحبسهم عن الخروج

والحاق بالنساء والصبيان والزمن الذين شأنهم القعود في البيوت (لو خرجوا فيكم ما زادوكم) بخروجهم معكم (الاجبال) الافساد  
وشرا والاستثناء متصل لان المعنى ما زادوكم شيئا الاجبال والاستثناء المنقطع ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك  
ما زادوكم خيرا الاجبال والمستثنى منه ﴿ ١٣٥ ﴾ في هذا الكلام { سورة براءة } غير مذكور واذا لم يذكر

وقع الاستثناء من الشيء فكان  
استثناء متصلا لان الجبال  
بعضه (ولا اوضعوا خلاكم)  
ولسعوا بينكم بالضرب  
والفأثم وافساد ذات الين  
يقال وضع العبر وضعا  
اذا اسرع واوضته انا  
والمعنى ولا اوضعوا كآبهم  
بينكم والمراد الاسرار بالفأثم  
لان الراكب اسرع من الماشي و  
خط في المصحف ولا اوضعوا  
بزيادة الالف لان الفقرة  
كانت تكتب الفاء قبل الخط  
العربي والخط العربي  
اخترع قريبا من نزول  
القرآن وقد بقي من تلك  
الالف اثر في الطباعة فكتبوا  
صورة الهمزة الفارقة  
الفارقة ونحوه ولا اذبحه  
(بمنونكم) حال من الضمير في  
اوضعوا (الفتنة) اي يطلبون  
ان يفتنوك بان يوقعوا الخلاف  
فيما بينكم ويفسدوا نيائكم في  
مفراكم (وفيكم سماعون لهم)  
اي غامون يسمعون حديثكم  
فيقلونه اليهم (والله عليم  
بالظالمين) بالناافقين (لقد  
استغوا الفتنة) بصدا الناس  
او بان يفتكوا به عليه السلام  
للعقبة او بالرجوع يوم  
أحد (من قبل) من قبل  
غزوة تبوك

﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم ﴾ بخروجهم شيئا ﴿ الاجبال ﴾ فسادا وشرا ولا يستلزم  
ذلك ان يكون لهم خيال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار أعم العام الذي وقع  
منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرا  
﴿ ولا اوضعوا خلاكم ﴾ ولا سراعوا كآبهم بينكم بالتمية والضرب أو الهزيمة والتخذييل  
من وضع العبر وضعا اذا اسرع ﴿ ينفونكم الفتنة ﴾ يريدون ان يفتنوك بايقاع الخلاف فيما  
بينكم أو الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا ﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾  
ضمة يسمعون قولهم ويعطيونهم أو غامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم ﴿ والله عليم  
بالظالمين ﴾ فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم ﴿ لقد استغوا الفتنة ﴾ تشتت امرك وتفرق  
اصحابك ﴿ من قبل ﴾ يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كانوا يخلفوا عن تبوك بعدما خرجوا  
مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم

﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم الاجبال ﴾ يعني لو خرج هؤلاء المنافقون معكم الى الغزو ما زادوكم  
الافساد وشرا وأصل الجبال اضطراب وسرعى يؤثر في العقل كالجنون قال بعض  
الحماة هذا من الاستثناء المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خبالا  
والمراد به هنا الافساد وايقاع الجبن والقشل بين المؤمنين بتحويل الامر وشدة السفر  
وكثرة العدو وقوتهم ﴿ ولا اوضعوا خلاكم ﴾ يعني ولا سراعوا فيكم وساروا بينكم  
بالقاء التمية والاحاديث الكاذبة فيكم ﴿ ينفونكم الفتنة ﴾ يعني يطلبون لكم ما تفتنون  
به وذلك أنهم يقولون للمؤمنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم ستهمون  
منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي نجبن وقيل معناه يطلبون  
الصيب والشر ﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾ قال مجاهد يعني وفيكم عيون لهم يؤدون اليهم  
اخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس وقال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام  
المنافقين ويعطيونهم وذلك أنهم يلقون اليهم أنواعا من الشبهات الموجبة لضعب القلب  
فيقبلونها منهم \* فان قلت كيف يجوز أن يكون في المؤمنين المخلصين من يسمع ويطيع  
للمنافقين \* قلت يحتمل أن يكون بعض المؤمنين لهم أقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم  
فاذا قالوا قولاً راعا أثر ذلك القول في قلوب ضمة المؤمنين في بعض الاحوال ﴿ والله  
عالم بالظالمين ﴾ وهذا وعيدهم لديد المنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين  
﴿ فوله سبحانه وتعالى ﴾ لقد استغوا الفتنة من قبل ﴿ يعني لقد طابوا صد اصحابك  
يا محمد عن الدين وردهم الى الكفر وتخذيل الناس عنكم قبل هذا اليوم كما فعل عبدالله  
ابن ابي بن سارل يوم احد حين انصرف باصحابه عنكم

قالوا بهم (لو خرجوا فيكم معكم) ما زادوكم (الاجبال) شرا وفسادا (ولا اوضعوا خلاكم) لساروا على الابل و. ملكه (بمنونكم الفتنة)  
يطلبون فيكم الشرا والفساد والدلالة على العيب (وفيكم) معكم (سماعون لهم) جواسيس للكفار (والله عليم بالظالمين) بالناافقين عبدالله بن  
أبي واصحابه (لقد استغوا الفتنة) بغوائل الفوائد يعني طلبوا لك الشر (من قبل) من قبل غزوة تبوك

( وقلوبك الامور ) ودبروا لك الحيل والمكائد ودوروا الآراء في ابطال امرك ( حق جاء الحق ) وهو باييدك وتصورك ( وظهر امر الله ) وقلب دينه وعلا شرعه ( وهم كارهون ) أي على رغم منهم ( ومنهم من يقول انذني ولا تقتني ) ولا توقني في الفتنة وهي الاثم بان لا تأخذني فاني { الجزا العاشر } ان تخلفت بغير اذنك { ١٣٦ } أئمت أو لا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت

معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجدي بن قيس المناقي قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تقتني بنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني أعينك على فارتكفي ( ألا في الفتنة سقطوا ) يعني ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف ( وان جهنم لمحيطة بالكافرين ) الآن لان اسباب الاحاطة بهم هي اوهي تحيط بهم يوم القيامة ( ان تصيبك ) في بعض الفزوات ( حسنة ) ظفرو غنية ( تسؤهم ) وان تصيبك مصيبة ( نكبة ) وشدة في بعضها نحو ما جئ يوم أحد ( يقولوا قد أخذنا أسرا ) الذي نحن متسحون به من الحذر واليقظ والعمل بالحزم ( وقلوبك الامور )

ظهر البطن وبطننا اظهر ( حتى جاء الحق ) كره المؤمنون ( وظهر امر الله ) دين الله الاسلام ( وهم كارهون ) ذلك ( ومنهم من المنافقين ) من يقول ( وهو جدي بن قيس ( انذني ) بالجائوس ( ولا تقتني ) بنات الاصفر ( ألا في

أحد ( وقلوبك الامور ) ودبروا لك المكائد والحيل ودوروا الآراء في ابطال امرك ( حتى جاء الحق ) النصر والأيدي الالهية ( وظهر امر الله ) وعلا دينه ( وهم كارهون ) أي على رغم منهم والآثان لتسلب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما يبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهناك اسرارهم وكشف اسرارهم واذا حجة اعتذارهم تداركا لمسافوت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ( ومنهم من يقول انذني ) في القعود ( ولا تقتني ) ولا توقني في الفتنة أي المصيان والمخالفة بان تأخذني وفيه اشعار بان لا محالة متخلف اذن له أو لم يأذن أو في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذا كفل لهم يمدى أو في الفتنة بنساء الروم الروى ان جدي بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تقتني بنات الاصفر ولكني اعينك على فارتكفي ( ألا في الفتنة سقطوا ) أي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف أو ظهور النفاق لاما احتزوا عند ( وان جهنم لمحيطة بالكافرين ) جامعة لهم يوم القيامة أو الآن لان احاطة اسبابها يوم كوجودها ( ان تصيبك ) في بعض غزواتك ( حسنة ) ظفرو غنية ( تسؤهم ) لفرط حسدهم ( وان تصيبك ) في بعضها ( مصيبة ) كسر أو شدة كما اصاب يوم أحد ( يقولوا قد أخذنا أسرا )

( وقلوبك الامور ) يعني وأحالوا فبك وفي أمرك وفي ابطال دينك الرأي وبالفوا في تخذيل الناس عنك وقصدهم تشييت أمرك ( حتى جاء الحق ) يعني النصر والظفر ( وظهر امر الله ) وهم كارهون ( يعني ذلك ) قوله عز وجل ( ومنهم من يقول انذني ولا تقتني ) نزلت في الجدي بن قيس وكان من المنافقين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لماجهز الى غزوة تبوك قال للجدي بن قيس يا أبا وهب هل لك في جلاذ بني الاصفر يعني الروم تخذ منهم سراري ووصفاء فقال الجدي برسول الله لقد عرف قومي اني رجل مغرم بحب النساء واني اخشى ان رأيت بنات بني الاصفر ان لا اصبر عنهن انذني في القعود ولا تقتني بنات وأعينك على قال ابن عباس اعطى الجدي بن قيس ولم تكن له علة الا للنفاق فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فانزل الله عز وجل فيدونه يعني ومن المنافقين من يقول انذني في النفاق والقعود في المدينة ولا تقتني يعني بنات بني الاصفر وهم الروم ( ألا في الفتنة سقطوا ) يعني انهم وقعوا في الفتنة العلنية وهي النفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه ( وان جهنم لمحيطة بالكافرين ) يعني يوم القيامة تحيط بهم وتجمعهم فيها ( قوله سبحانه وتعالى ) ان تصيبك حسنة تسؤهم ( يعني ان تصيبك ) يا محمد حسنة من نصر وغنية تحزن المنافقين ( وان تصيبك مصيبة ) أي من هزنا أرشد ( يقولوا ) أي المنافقين ( قد أخذنا أسرا )

الفتنة في الشرك والنفاق ( سقطوا ) ردة و ( ران بسوءهم لمحيطة ) ستميط ( الكافرين ) يوم القيامة ( يعني ) ( ان تصيبك حسنة ) الفتن والنبيات مثل يوم بدر ( تسؤهم ) ساءهم ذلك في المنافقين ( وان تصيبك ) مصيبة ( القتل والهزيمة مثل يوم أحد ) أي يقول المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه ( قد أخذنا أسرا ) حذرنا

(من قبل) من قبل ما وقع (وبتولوا) عن مقام التحدث بذلك الى اهلهم (وهم فرحون) مسرورون (قل ان يصينا الاما كتب الله لنا) أي قضى من خيرا وشر (هو مولانا) ﴿ ١٣٧ ﴾ أي الذي يتولانا { سورة براءة } ونشواه (وعلى الله

فليتوكل المؤمنون) وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله (قل هل تربصون بنا) تنتظرون بنا (الاحدى الحسينين) وهما النصره والشهادة (ونحن تربص بكم) احدى السوايين اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو) بذاب (بأيدنا) وهو القتل على الكفر (فتربصوا) بنا ما ذكرنا (انامكم متربصون) ما هو طاعتكم

بالتخاف عنهم (من قبل) من قبل المصيبة (وبتولوا) عن الجهاد (وهم فرحون) مجبون بما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم أحد (قل) يا محمد للمنافقين (لن يصينا الا ما كتب الله لنا) قضى الله لنا (هو مولانا) أولى بنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وعلى المؤمنين ان يتوكلوا على الله (قل) يا محمد للمنافقين (هل تربصون بنا) تنتظرون بنا (الاحدى الحسينين) الفتح والغنية أو القتل والشهادة (ونحن تربص بكم أن يصيبكم الله بذاب من عنده) لهلاككم

من قبل ﴿ تبصروا بانصرافهم واستحمدوا آراءهم في الخفاف ﴾ ويتولوا ﴿ عن متحدثهم بذلك ومجتهمهم لها ﴾ وعن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ وهم فرحون ﴾ مسرورون ﴿ قل لن يصينا الا ما كتب الله لنا ﴾ الا ما اختصنا بأياته وإيجابه من النصره أو الشهادة أو ما كتب لاجلنا في اللوح المحفوظ لا يتغير عواقبتكم ولا يتحالفكم وقرى هل يصينا وهل يصينا وهو من يفعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم بصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب ﴿ هو مولانا ﴾ ناصرنا ومتولى امرنا ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره ﴿ قل هل تربصون بنا ﴾ تنتظرون بنا ﴿ الا احدى الحسينين ﴾ الا احدى الماقتبين اللتين كل منهما حصى المواقب النصره والشهادة ﴿ ونحن تربص بكم ﴾ أيضا احدى السوايين ﴿ ان يصيبكم الله بذاب من عنده ﴾ بقارعة من السماء ﴿ أو بأيدنا ﴾ أو بعذاب بأيدنا وهو القتل على الكفر ﴿ فتربصوا ﴾ ما هو طاعتنا ﴿ انامكم متربصون ﴾ ما هو ما قبلكم

يعنى أخذنا أسرا بالجند والحزم في القعود عن النزو ﴿ من قبل ﴾ يعنى من قبل هذه المصيبة ﴿ ويتولوا هم فرحون ﴾ يعنى مسرورين لما نالك من المصيبة وسلامتهم منها ﴿ قل لن يصينا الا ما كتب الله لنا ﴾ يعنى قل يا محمد لهؤلاء الذين يفرحون بما يصيبك من المصائب والمكروه لن يصينا الا ما قدره الله لنا وعلينا وكتبه في اللوح المحفوظ لان القلم جف عا هو كائن الى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر أحد أن يدفع عن نفسه مكروها نزل به أو يجلب لنفسه نفعا أراد لم يقدر له ﴿ هو مولانا ﴾ يعنى ان الله سبحانه وتعالى هو ناصرنا وحافظنا وهو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ يعنى في جميع أمورهم ﴿ قل هل تربصون بنا ﴾ يعنى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين هل تنتظرون بنا أي الماقتبون ﴿ الا احدى الحسينين ﴾ يعنى اما النصر والغنية واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى النزو والجهاد في سبيل الله اما أن يغاب عدوه فيقوز بالنصر والغنية والاجر العظيم في الآخرة واما ان يقتل في سبيل الله فحصل له الشهادة وهي الناية القصوى ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله وفي رواية تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرج في سبيله واجهادا في سبيله وإيماناً وتصديقا برسلى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنية أخرجاه في الصحين قوله سبحانه وتعالى ﴿ ونحن تربص بكم ﴾ يعنى ونحن نتظر بكم احدى السوايين ﴿ أن يصيبكم الله بذاب من عنده ﴾ يعنى فيهلككم كما هلك من كان قبلكم من الامم الحالية ﴿ أو بأيدنا ﴾ يعنى أو بصيكم بأيدى المؤمنين بان يظفروا بكم ويظهروا عليكم ﴿ فتربصوا انامكم متربصون ﴾ قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان انا متربصون مواعيد الله من اظهاردنه واستنصال من خالفه

(أو بأيدنا) بسيفنا لقتلكم (فتربصوا) (قا و خا ١٨ لث) فانظروا بنا (انامكم متربصون) منتظرون لهلاككم

( قل أنفقوا ) في قوله المبر ( طوعا أو مكرها ) طاعين أو مكرهين نصب على الحال كرها حزة وعلى وهو أمر في معنى الخبر ومما ( لن يتقبل منكم ) أنفقتم طوعا أو مكرها ونحوه استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله أسئني بنا أو أحسن لا ملومة لدينا ولا مقلبة ان قلت أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا فلو ملك أسأت إلينا أو أحسنت وقد جازعكس { الجزء العاشر } في قولك رحم الله ١٣٨ زيدا ومعنى عدم القبول أنه

قل أنفقوا طوعا أو مكرها لن يتقبل منكم ( أمر في معنى الخبر أي لن يتقبل منكم نفقاتكم أنفقتم طوعا أو مكرها وفائدة المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كأنهم أصروا بأن ينفقوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جدين قيس واعبك على ولقي العجل يتقبل أمرين أن لا يؤخذ منهم وأن لا يبايعوا عليه وقوله ( أنكم كنتم قوما فاسقين ) تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له ( وما منهم أن يتقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ) أي وما منهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم وقرأ حزة والكسائي أن يتقبل بالياء لأن نأثت الفقات غير حقيق وقرئ يقبل على أن الفعل لله ( ولا يأتون الصلوة إلا وهم كسالى ) متثاقلين ( ولا ينفقون إلا وهم كارهون ) لأنهم لا يرجون بها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا ( فلا تهجك أموالهم ولا أولادهم ) فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال

قل أنفقوا طوعا أو مكرها ( نزلت في الجدين قيس المنافق وذلك أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود عنه وقال أنا أعطيك ما لي فأذن الله عز وجل رد عليه قل أي قل يا محمد لهذا المنافق وأمثاله في النفاق أنفقوا طوعا أو مكرها يعني أنفقوا طاعينين من قبل أنفسهم أو مكرهين بالانفاق بالزام الله ورسوله أيكم بالانفاق ( لن يتقبل منكم ) لان هذا الانفاق انما وقع لغير الله وهذه الآية وإن كانت خاصة في انفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من انفق ماله لغير وجه الله بل أنفقه رياء وسمة فانه لا يتقبل منه ثم علل بسبب منع القبول بقوله ( أنكم ) أي لأنكم ( كنتم قوما فاسقين ) والمراد بالفسق هنا الكفر وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى ( وما منهم أن يتقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ) أي المانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله وبرسوله ( ولا يأتون الصلوة إلا وهم كسالى ) جمع كسلان يعني متثاقلين في الاتيان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فلذلك ذمهم مع فعلها ( ولا ينفقون إلا وهم كارهون ) لانهم كانوا ينتقدون الانفاق في سبيل الله مفرما ومنع ذلك الانفاق متما ( فلا تهجك ) يا محمد ( أموالهم ولا أولادهم ) هذا الخطاب وإن كان مختصا بالنبي صلى الله عليه وسلم إلا أن المراد به جميع المؤمنين والمعنى فلا تهجوا بأموال المنافقين وأولادهم والاعجاب السرور بالشيء مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد أنه ليس لغیره مثله وهذا يدل على استغراق النفس بذلك الشيء ويكون سبب انقطاعه عن الله عز وجل فيتبني للانسان أن لا يجب بشئ من أمور الدنيا ولذاتها فان العبد اذا كان من الله عز وجل في استدراج كثير ماله وولده فيكثر إعجابه به والله فيسقط ويكفر

عليه السلام يردها عليهم ولا يقبلها ولا يشيها الله وقوله طوعا أي من غير الزام من الله ورسوله وكرها أي ملزمين وسمى الانزام اكراها لانهم متنافقون فكان الزامهم الاتفاق شاقا عليهم كالاكراه ( أنكم ) تعليل لرد انفاقهم ( كنتم قوما فاسقين ) مقتردين مأتين ( وما منهم أن يتقبل منهم نفقاتهم ) وبالياء حزة وعلى ( إلا أنهم كفروا ) أنهم فاعل منع وهم وأن يتقبل مفعولا ماى وما منهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم ( بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة إلا وهم كسالى ) جمع كسلان ( ولا ينفقون إلا وهم كارهون ) لانهم لا يريدون بها وجدا لله تعالى وصفهم بالطوع في قوله طوعا وسلبه عنهم ههنا لان المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم وما طوعهم ذلك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختار ( فلا تهجك أموالهم ولا أولادهم )

( قل ) يا محمد للمنافقين ( أنفقوا ) أموالكم ( طوعا ) من قبل أنفسكم ( أو مكرها ) جبرا مخافة القتل ( لن يتقبل ) ( نعمدة الله ) منكم ( ذلك ) ( أنكم كنتم قوما فاسقين ) منافقين ( وما منهم أن يتقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ) في السر ( ولا يأتون الصلوة ) الى الصلاة ( إلا وهم كسالى ) متثاقلون ( ولا ينفقون ) شيئا في سبيل الله ( إلا وهم كارهون ) ذلك ( فلا تهجك ) يا محمد ( أموالهم ) كثرة أموالهم ( ولا أولادهم ) كثرة



اتمايريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ( الاعجاب بالشئ أن تسريه سرور راض به متعجب من نفسه والمعنى فلا تسريه سرور راض به متعجب من نفسه ) فيأول بالاتفاق منه في أبوابه من نية الدنيا فان الله اعطاهم ما اعطاهم ﴿ ١٣٩ ﴾ ليعذبهم بالمصائب ( سورة براءة )

الخير وهم كارهون له أو ينهب أموالهم وسي أولادهم أو يجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والخوف عليها وكل هذا عذاب ( وتزحق أنفسهم وهم كافرون ) وتخرج أرواحهم وأصل الزهوق الخروج بصوبة ودلت الآية على بطلان القول بالاصلح لانه أخبر أن اعطاء الاموال والاولاد لهم للتعذيب والامانة على الكفر وعلى ارادة الله تعالى المعاصي لان ارادة العذاب ب ارادة ما يعذب عليه وكذا ارادة الامانة على الكفر ( ويحلفون بالله انهم لمنكم ) لمن جلة المسلمين ( وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ) يخافون القتل وما يفعل بالمشركون فيظاهرون بالاسلام تقية ( لو يجدون ملجأ ) مكانا يلجئون اليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة ( أو مغارات ) أو

﴿ اتمايريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ﴾ بسبب ما يكابدون لجعلها وحفظها من المتعاصي وما يرون فيها من الشدائد والمصائب ﴿ وتزحق أنفسهم ﴾ وهم كافرون ﴿ فيموتوا كافرين ﴾ مشتغلين بالتعجب عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم وأصل الزهوق الخروج بصوبة ﴿ ويحلفون بالله انهم لمنكم ﴾ انهم لمن جلة المسلمين ﴿ وما هم منكم ﴾ لكفر قلوبهم ﴿ ولكنهم قوم يفرقون ﴾ يخافون منكم ان تقبلوا بهم ما تقبلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ﴿ لو يجدون ملجأ ﴾ حصنا يلجئون اليه ﴿ أو مغارات ﴾ غيرا

نعمة الله عليه ولهذا قال سبحانه وتعالى ﴿ اتمايريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ﴾ فان قلت كيف يكون المال والولد عذابا في الدنيا وفيهما اللذة والسرور في الدنيا قلت قال مجاهد وقادة في الآية تقديم وتأخير وتقديرها فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا اتمايريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وقيل ان سبب كون المال والولد عذابا في الدنيا هو ما يحصل من المتعاصي والمشاق في تحصيلهما فاذا حصل اذدادا تعب وتحمل المشاق في حفظهما ويزداد الحزن والغم بسبب المصائب الواقعة فيهما فعلى هذا القول لاحاجة الى التقديم والتأخير في نظم الآية وأورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل لكل أحد من بني آدم مؤمنهم وكافرهم فافائدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا وأجيب عن هذا اليراد بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو ان المؤمن قد علم انه مخلوق للآخرة وانه ينال بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فليكن المال والولد في حقه عذابا في الدنيا وأما المنافق فانه لا يعتقد كون الآخرة له وانه ليس فيها ثواب فبقى ما يحصل له في الدنيا من التعب والشدّة والغم والحزن على المال والولد عذابا عليه في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار ان المال والولد عذاب على المنافقين في الدنيا دون المؤمنين وقيل ان تعذيبهم همما في الدنيا أخذ الزكاة منهم او العفة في سبيل الله غير ماثبين على ذلك وربما قتل الولد في التزويج فلا ينال الوالد المفايق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل يعذبهم بالتعب في جمعه وحفظه والكراهة في اتفائه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمد ثم يقدم في الآخرة على ملك لا يعذره ﴿ وتزحق أنفسهم ﴾ يعني وتخرج أنفسهم ﴿ وهم كافرون ﴾ والمعنى انهم يموتون على الكفر فتكون عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الآخرة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ويحلفون بالله ﴿ يعني المنافقين ﴾ انهم لمنكم ﴿ يعني على دينكم وملتكم ﴾ وما هم منكم ﴿ يعني انهم كاذبون في أيمانهم ﴾ ولكنهم قوم يفرقون ﴿ يعني انهم يخافون أن تظهروا على ما هم عليه من النفاق ﴾ لو يجدون ملجأ ﴿ يعني حرزا وحصنا ومقلا يلجئون اليه وقبل لو وجدوا مهربا للهربوا اليه وقبل لو يجدون قوما يأمنون عندهم على أنفسهم منكم لصاروا اليهم وفسار قوكم ﴾ أو مغارات ﴿ يعني غيرا في الجبال جمع مغارة وهو الموضع الذي يفور فيه الانسان

اولادهم ( اتمايريد الله ليعذبهم بها ) في الآخرة ( وتزحق أنفسهم ) تخرج أنفسهم ( في الحياة الدنيا

وهم كافرون ) مقدم ومؤخر ( ويحلفون بالله ) عبد الله بن أبي وأصحابه ( انهم لمنكم ) معكم في السر والعلانية ( وما هم منكم ) معكم في السر والعلانية ( ولكنهم قوم يفرقون ) يخافون من سيوفكم ( لو يجدون ملجأ ) حرزا يلجئون اليه ( أو مغارات )



﴿ أو مدخلا ﴾ نفقا يتجسرون فيه مقتصل من الدخول • وقرأ يعقوب مدخلا من دخل • وقرأ مدخلا أى مكانا يدخلون فيه أنفسهم ومتدخلا ومتدخلا من تدخلوا واندخل ﴿ لولوا إليه ﴾ لا قبلوا نحوه ﴿ وهم يحجمون ﴾ يسرعون اسراعا لا يردهم شئ كالفرس الجوح وقرأى يحجزون ومنها الجازة ﴿ ومنهم من يلزك ﴾ يبيك وقرأ يعقوب يلزك بضم وابن كثير لا ملزك ﴿ في الصدقات ﴾ في قسمتها ﴿ فان أعطوا متهازنوا وان لم يسطوا منها اذاهم يخطون ﴾ قيل انها نزلت في ابي الجواند المنافق قال لا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رفاة القوم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستطفت قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال وبلك

أى يستتر ﴿ أو مدخلا ﴾ يعنى موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب فى الارض كنفق اليربوع وقال الحسن وجهه يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لولوا إليه ﴾ والمعنى انهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة أو على أحد هذه الوجوه الثلاثة وهى شر الامكة وأضيقيها لولوا إليه أى لرجعوا إليه وتحزروا فيه ﴿ وهم يحجمون ﴾ يعنى وهم يسرعون الى ذلك المكان والمعنى ان المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا أن يهربوا منكم الى أحد هذه الامكنة لصاروا إليه لشدة بغضهم اياكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ومنهم من يلزك فى الصدقات ﴿ نزلت فى ذى الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير وهو أصل الخوارج (ق) عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم فإأناه ذوا الخويصرة رجل من بنى تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلك من يعدل اذا لم أعدل وفى رواية قد خبت وخسرت ان لم أعدل فقال عرين الخطاب أئذنى فيه فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم زاد فى رواية يقرؤن القرآن لا يحاوز تراقيهم يعرقون من الدين وفى رواية من الاسلام كما يعرق السهم من الرمية وقال الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له أبو الجواند لم تقسم بالسوية فنزلت هذه الآية وقال قتادة ذكرنا ان رجلا من أهل البادية حدث عهدا بأصراية أنى التى صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهباً وقضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك أن تعدل فاعدلت فقال نى الله صلى الله عليه وسلم وبلك فمن ذا يعدل بعدى وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيه محمد الا من أحب ولا يؤثرها الا من يسواه فانزل الله سبحانه وتعالى ومنهم من يلزك فى الصدقات يعنى ومن المنافقين من يبيك فى قسم الصدقات وفى تقريبها ويظمن عليك فى أمرها يقال همزة ولززه بمعنى واحد أى طابه ﴿ فان أعطوا منها ﴾ يعنى من الصدقات ﴿ رضوا ﴾ يعنى رضوا عنك فى قسمتها ﴿ وان لم يعطوا منها اذاهم يخطون ﴾ يعنى وان لم تعطهم منها عابوا عليك وسخطوا

غيرانا (أو مدخلا) أو نفقا يندسون فيه وهو مقتل من الدخول (لولوا إليه) لا قبلوا نحوه (وهم يحجمون) يسرعون اسراعا لا يردهم شئ من الفرس الجوح (ومنهم من يلزك فى الصدقات) يبيك فى قسمة الصدقات ويظمن عليك (فان أعطوا متهازنوا وان لم يسطوا منها اذاهم يخطون) اذا للمقاجة أى وان لم يعطوا منها فاجؤا السخط وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لالدين ومافيه صلاح أهله لانه عليه السلام استعطفت قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم

فى الجبل (أو مدخلا) سربا فى الارض (لولوا إليه) لذهبوا إليه (وهم يحجمون) يهرولون هرولة والجوح مشى بين مشيين (ومنهم من المنافقين أبو الاحوص وأصحابه) من يلزك فى الصدقات (يظمن عليك فى قسمة الصدقات يقولون لم يقسم بنتا بالسوية) فان أعطوا منها من الصدقات حظوا وافر (رضوا) بالقسمة

أنهم رضوا ما آتاهم الله  
ورسوله وقالوا حسبنا الله  
سيؤتيانا الله من فضله  
ورسوله انا الى الله راغبون  
جواب لو محذوف تقديره  
ولو أنهم رضوا لكان خيرا  
لهم والمعنى ولو أنهم رضوا  
ما أصابهم به الرسول من  
الغنية وطابت به نفوسهم  
وان قل نصيبهم وقالوا كفانا  
فضل الله ومنه وحسبنا ما  
قسم لنا سيرتنا غنية  
أخرى فيؤتيانا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أكثر  
مما آتانا اليوم انا الى الله في  
أن يغفنا ويحولنا فضله  
لراغبون ثم بين مواضعها  
التي توضع فيها فقال ( انما  
الصدقات للفقراء والمساكين )  
قصر جنس الصدقات على

بالقسمة ( ولو أنهم ) يعني  
المنافقين ( رضوا ما آتاهم الله )  
بما أعطاهم الله من فضله  
( ورسوله وقالوا حسبنا الله )  
ثقتنا بالله ( سيؤتيانا الله من  
فضله ) سيغفينا الله من فضله  
برزقه ( ورسوله )  
بالعطية ( انا الى الله راغبون )  
رغبنا الى الله لوقالوا هكذا  
لكان خيرا لهم ثم بين لمن  
الصدقات فقال ( انما  
الصدقات للفقراء ) لأصحاب  
الصفة ( والمساكين )  
للطوائف

ان لم يعدل فمن بعدل واذا المفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية ﴿ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله  
ورسوله ﴾ ما أعطاهم الرسول عليه السلام من الغنية والصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه  
على ان ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام كان بأمره ﴿ وقالوا حسبنا الله ﴾ كفانا فضله  
﴿ سيؤتيانا الله من فضله ﴾ صدقة أو غنية أخرى ﴿ ورسوله ﴾ فيؤتيانا أكثر مما آتانا  
﴿ انا الى الله راغبون ﴾ في ان يغفينا من فضله والآية بأمرها في حيز الشرط والجواب محذوف  
تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول عليه الصلاة  
والسلام فقال ﴿ انما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ أي الزكوات لهؤلاء المحدودين دون  
غيرهم وهو دليل على ان المراد بالملزمهم في قسم الزكوات دون الضمان والفقير من لا مال له  
﴿ ولو أنهم رضوا ﴾ يعني ولو ان المنافقين الذين طابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا  
﴿ ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله ﴾ أي كافينا الله ﴿ سيؤتيانا الله من فضله ورسوله ﴾  
يعني ما محتاج اليه ﴿ انا الى الله راغبون ﴾ يعني في أن يوسع علينا من فضله فيغفينا  
عن الصدقة وعن غيرها من أموال الناس وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم  
وأعود عليهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ انما الصدقات للفقراء والمساكين ﴿ الآية ﴾ اعلم  
ان المنافقين لما لمزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاوه في قسم الصدقات بين الله  
عز وجل في هذه الآية ان المستحقين للصدقات هؤلاء الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم  
ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها بشئ ولم يأخذ لنفسه منها شيئا فلم يلزونه  
ويسبون عليه فلا مطمئن لهم فيه بسبب قسم الصدقات ﴿ عن زياد بن الحارث الصدائي  
قال آتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فآتاه رجل فقال أعطني من الصدقة  
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى  
حكم فيها ونجزاها ثمانية أجزاء فان كنت من تلك الاجزاء أعطيتك حقا أخرجك أبو داود  
فصل في بيان حكم هذه الآية وفيه مسائل المسئلة الاولى ﴿ ﴾

في بيان وجه الحكمة في ايجاب الزكاة على الاغنياء ومصرفها الى المحتاجين من الناس وذلك  
من وجوه الوجه الاول ان المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة  
الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع فاذا استغرق  
القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات المقربة الى الله  
عز وجل فانقضت الحكمة الالهية بايجاب الزكاة في ذلك المال الذي هو سبب البعد  
عن الله فيصير سببا للقرب من الله عز وجل باخراج الزكاة منه الوجه الثاني ان كثرة  
المال تؤجب قسوة القلب وحب الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها فواجب الله سبحانه  
وتعالى الزكاة ليقول ذلك المال الذي هو سبب لقسوة القلب الوجه الثالث سبب وجوب  
الزكاة امتحان العبد المؤمن لان التكليف البدينة غير شاقة على العبد واخراج المال  
مشق على النفس فأوجب الله عز وجل الزكاة على العباد ليمتحن باخراج الزكاة أصحاب  
الاموال ليميز بذلك المطيع المخرج لها طيبة بنفسه من العاصي المانع لها الوجه الرابع أن

المال مال الله والاغنياء خزان الله والفقراء عيال الله فامر الله سبحانه وتعالى خزائنه الذين هم اغنياء بدفع طائفة من ماله الى عياله فيثيب العبد المؤمن المطيع المسارع الى امتثال الامر المشفق على عياله ويعاقب العبد العاصي المانع لعياله من ماله (ق) عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم الامين الذي ينفذ ويربما قال يطعم ما امر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذي امره به احدى المتصدقين والوجه الخامس ان الفقراء عاقلات قلوبهم بالاموال التي يابدي الاغنياء فاجب الله عز وجل تمصيا للفقراء في ذلك المال تطيبا لقلوبهم والوجه السادس ان المال الفاضل عن حاجة الانسان الاصلية اذا أمسك بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المال فامر بدفع الزكاة الى الفقراء حتى لا يصير ذلك المال معطلا بالكلية

الآية تدل على أنه لاحق لاحد في الصدقات الا هؤلاء الاصناف الثمانية وذلك بجمع عليه لان كلتي انما يقيدان بالحصر وذلك لانها مركبة من ان وما فكلية ان الاثنان وكلية ما للنفى فتد اجتماعهما يقيدان الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل ذلك على ان الصدقات لا تصرف الا الى الاصناف الثمانية

في بيان الاصناف الثمانية فالصنف الاول الفقراء والثاني المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلماء في الفرق بين الفقير والمساكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهرى الفقير الذي لا يسأل والمساكين السائل وقال ابن عرليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن الفقير من أتقى نفسه وثيابه ولا يقدر على شيء محسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمساكين الصحيح المحتاج وقال الشافعي رضى الله تعالى عنه الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقفاً زماناً كان أو غير زمن والمساكين من له مال أو حرفة ولكن لا تقع منه موقفاً لكفايته سائلاً كان أو غير سائل فالمساكين عنده أحسن حالاً من الفقير وقال أبو حنيفة وأصحاب الرأي الفقير أحسن حالاً من المساكين ومن الناس من قال لافرق بين الفقير والمساكين حجة الشافعي ومن وافقه ان الله سبحانه وتعالى حكم بصرف الصدقات الى هؤلاء الاصناف الثمانية دفعا لحاجتهم وتحصيلاً لمصلحتهم فبدأ بالفقراء وانما يبدأ بالاهم فالاهم فلولم تكن حاجتهم أشد من حاجة المساكين لما بدأ بهم وأصل الفقير المكسور الفقار قال لشد

لمأرى لبـد النـسـور تطـايرت • رفـع القـوادـم كـالفـقير الـاعـزل  
قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار ثبت بهذا أن الفقير انما سمي  
فقيرا لزمانته وحاجته الشديدة ونعمته الزمانة من الثقلب في الكسب ولان النبي صلى  
الله عليه وسلم كان يتعوز من الفقر وقال اللهم احبني مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى

(۴)

وأنه عليه السلام كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالنكس لقوله تعالى أو مسكيناً في زمرة المساكين يوم القيامة رواه الترمذي من حديث أنس فلو كان المسكين أسوأ حالاً من الفقير لما تعوذ من الفقر وسأل المسكنة مثبت بهذا أن المسكين أحسن حالاً من الفقير ولأن الله سبحانه وتعالى قال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأثبت لهم ملكاً مع اسم المسكنة لأن السفينة من سفن البحر تساوي ذنائب كثيرة ولأن الغنى والفقر ضدان والمسكنة قسم ثالث بينهما ثبت بهذا أن الفقير أسوأ حالاً من المسكين ووجه أبي حنيفة ومن وافقه على أن المسكين أسوأ حالاً من الفقير قوله أو مسكيناً ذامترية وصف المسكين بكونه ذامترية هو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضر والشدة ولأن الله تعالى جعل الكفارات للمساكين فلو لم يكن المسكين أشد حاجة من غيره لما جعله واحتم أيضاً بقول الراعي

أما الفقير الذي كانت حلوبته \* وفق العيال فليترك له سبب

واحتم أيضاً بقول الأصمعي وأبي عمرو بن العلاء أن الفقير الذي له ما يأكل والمسكين الذي لا شيء له وكذا قال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وقبل الفقير الذي له السكن والخدام والمسكين الذي لا ملك له وقيل إن كل محتاج إلى شيء فهو مفقر إليه وإن كان غنياً عن غيره قال الله سبحانه وتعالى أنتم الفقراء إلى الله فأثبت لهم اسم الفقر مع وجدان المال والجواب عن هذه الصحاح أما قوله أو مسكيناً ذامترية فهو وجه لذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه لأنه قيد المسكين المذكور هنا بكونه ذامترية فدل على أنه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة واللام يبق لهذا القيد فائدة والجواب عن جعل الكفارات للمسكين أنه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال بببت الراعي أنه ذكر الفقير وحده فكل فقير أفرد بالاسم جازاً إطلاق المسكين عليه فسقط الاستدلال به وأما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين وبالجمل أن الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضعف نفسه وسكت عن الحركة في طاب القوت عن عبد الله بن عمر وابن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحمل الصدقة لغنى ولا لذي مرة سوى أخرجه النسائي وأبو داود وله في رواية أخرى ولا لذي مرة قوي عن عبيد الله بن عدي بن الحيار قال أخبرني رجلان أنهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقات فسألاه منهما رفع فينا الظر وخفضه فرآنا جليدين فقال إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب أخرجه أبو داود والنسائي وأخرجه الشافعي ولفظه إن رجلين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن الصدقة فقال إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغنى ولا لذي قوة مكتسب واختلف العلماء في حد الغنى الذي يمنع من أخذ الصدقة فقال الأكثرون حده أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي وقال أصحاب الرأي حده أن يملك مائتي درهم وقال

صرفها إلى الأصناف وهو المروى عن عكرمة ثم الفقير الذي لا يسأل لأن عنده ما يكفيه الحال والمسكين الذي يسأل لأنه لا يجد شيئاً فهو أضعف حالاً منه وعند الشافعي رحمه الله على العكس

ذاتربة ﴿ والعاملين عليها ﴾ الساعين في تحصيلها وجعلها ﴿ والمؤلفة قلوبهم ﴾ قوم أسلموا ونيهم ضيقة فيه فيسأل قلوبهم وأشرف قديرتهم بأعطائهم وصراعاتهم اسلام نظرائهم وقد أعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس كذلك وقبل اشرف يستألفون على ان يسلموا فانه عليه الصلاة

قوم من ملك خسين درهما أو قيمتها لا تحل له الصدقة لما روى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يفيده جاء يوم القيامة ومسلته في وجهه خوش أو خدوش أو كدوش قيل يا رسول الله وما يفيده قال خشون درهما أو قيمتها من الذهب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك وأجد واسحق وقالوا لا يجوز أن يعطى الرجل أكثر من خسين درهما من الزكاة وقيل أربعين درهما لما روى عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف أخرجه أبو داود وكانت الاوقية في ذلك الزمان أربعين درهما ● الصنف الثالث قوله سبحانه وتعالى ﴿ والعاملين عابها ﴾ وهم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من اهلها ووضعها في جبهتها فيعطون من مال الصدقات بقدر أجور أعمالهم سواء كانوا فقراء أو أغنياء وهذا قول ابن عمرو بن عبد الله الشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد الا ان الشافعي يقول هو أجرة عمل تتقدر بقدر العمل والصحيح ان الهاشمي والمطلب لا يجوز أن يكون عاملا على الصدقات لما روى عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقة فاراد أبو رافع أن يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل لنا الصدقة وان مولى القوم منهم أخرجه الترمذي والنسائي ● الصنف الرابع قوله تعالى ﴿ والمؤلفة قلوبهم ﴾ وهم قسمان قسم مسلمون وقسم كفار فاما قسم المسلمين قسمان القسم الاول هم قوم من أشرف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات بتألفهم بذلك كما أعطى عينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلي فهؤلاء أسلموا وكانت نيهم ضيقة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوى رغبتهم في الاسلام وقوم أسلموا وكانت نيهم قوية في الاسلام وهم أشرف قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تألفا لقومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام فيجوز للامام أن يعطى أشغال هؤلاء من خمس خمس الغنية والفقير من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات أيضا القسم الثاني من مؤلفة المسلمين هم قوم من المسلمين يكونون بازاء قوم كفار في موضع لا يتابعهم جيوش المسلمين الا بكافة كبيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين بازاءهم من المسلمين لا يجاهدونهم لضعف نيهم أو لضعف حالهم فيجوز للامام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة

( والعاملين عليها )

هم السعاة الذين يقبضونها

( والمؤلفة قلوبهم ) على

الاسلام أشرف من العرب

كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يتألفهم على ان

يسلموا وقوم منهم أسلموا

فيعطهم تقريراً لهم على

( والعاملين عليها ) لجابي

الصدقات ( والمؤلفة

قلوبهم ) بالعطية أبي سفيان

وأصحابه نحو خمسة عشر

والسلام كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد قد منهم من يؤلف قلبه بشئ منها على قتال الكفار وماني الزكاة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما عزاه الله واكثر اهله سقط **وفي الرقاب** وللصرف في فك الرقاب بان يماون المكاتب بشئ منها على اداء النجوم وقيل بان يتاع الرقاب فتتق وبه قال مالك واجد اوبان يعدي الاسارى والمدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل

قلوبهم ومن هؤلاء قوم بازاء جماعة من ماني الزكاة فيأخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيه الامام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روى ان عدي بن حاتم جاء ابا بكر بثلاثمائة من الابل من صدقات قومه فاعطاه ابر بكر منها ثلاثين بعيرا واما مؤلفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم أو يرجى اسلامهم فيجوز للامام ان يعطى من يخاف شره أو يرجو اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله الى الاسلام أما اليوم فقد أعز الله الاسلام ولما الحمد على ذلك وأغناه عن ان يتألف عليه أحد من المشركين فلا يعطى مشركا تألفا بحال وقد قال بهذا كثير من أهل العلم ورأوا أن المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي واسحق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وأبي جعفر محمد بن علي وأبي ثور وقال أحمد يطمون ان احتاج المسلمون الى ذلك **الصف الخامس** قوله سبحانه وتعالى **وفي الرقاب** قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب أقوال الاول ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين فيدفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وهو قول أكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد ويدعيه أيضا قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم والقول الثاني وهو مذهب مالك وأحمد واسحق ان سهم الرقاب موضوع لعنق الرقاب فيشتري به عبدهم بمقرون وبدل عليه ماروى عن ابن عباس انه قال لا بأس ان يعتق الرجل من الزكاة القول الثالث وهو قول أبي حنيفة وأصحابه انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها في عتق رقبة ويغان بهما كتب لان قوله وفي الرقاب يقتضى التبعض والقول الرابع وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشتري به عبدهم من صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال أصحابنا الاحوط في سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب وبدل عايه انه سبحانه وتعالى أثبت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام الملك فقال انما الصدقات للفقراء وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلا بد ان الفرق بين فائدة وهي أن الاصناف الاربعة المتقدمة ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤوا وأما الرقاب فموضوع فيهم في تخليص رقابهم من الرق ولا بدع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا الفقهاء في الغار من

الاسلام (وفي الرقاب) هم  
المكاتبون يمانون منها  
رجلا (وفي الرقاب)  
المكاتبين

للأيدان بأنهم أحق بها ﴿ والفارمين ﴾ المديونين لأنفسهم في غير مصيبة ومن غير اسراف اذالم يكن لهم وقاه أو لاصلاح ذات الدين وان كانوا اغنياء لقوله عليه الصلاة والسلام لا تحل الصدقة لغنى الا نخسة لغاز في سبيل الله أو لغارم أو لرجل اشتراها بعالمه أو لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين لغنى أو لعامل عليها ﴿ وفي سبيل الله ﴾ وللصرف في الجهاد بالاتفاق على المتطوعة وابتاع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر والمصانع ﴿ وابن السبيل ﴾ المسافر المنقطع عن ماله

فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في القزا وكذا ابن السبيل فيصرف اليه ما يحتاج اليه في سفره الى بلوغ غرضه ﴿ الصنف السادس قوله سبحانه وتعالى ﴾ والفارمين ﴿ أصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق على النفس وسمى الدين غرما لكونه شاقا على الانسان والمراد بالفارمين هنا المديونون وهم قسمان قسم اداؤوا لأنفسهم في غير مصيبة فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم اذالم يكن لهم مال في ديونهم فان كان عندهم وقاه فلا يعطون وقسم اداؤوا في المروف واصلاح ذات الدين فيعطون من مال الصدقات ما يقضون به ديونهم وان كانوا اغنياء لما روى عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغنى الا نخسة لغاز في سبيل الله أو لعامل عليها أو لغارم أو لرجل أسير اعانة أو لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين لغنى أخرجه أبو داود مرسلان عطاء بن يسار لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورواه ممر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه اما من كان دينه في مصيبة فلا يعطى من الصدقات شيئا ﴿ الصنف السابع قوله عز وجل ﴾ وفي سبيل الله ﴿ يخو وفي الفقة في سبيل الله وأراد به الغزاة فلم يسم من مال الصدقات فيعطون اذا أرادوا الخروج الى القزا ما يستعينون به على أسر الجهاد من النققة والكسوة والسلاح والحوالة فيعطون ذلك وان كانوا اغنياء لما تقدم من حديث عطاء وأبي سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن أراد الحج عند أكثر أهل العلم وقال قوم يجوز أن يصرف سهم سبيل الله الى الحج بروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا أجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتي وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفي سبيل الله عام في الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه ﴿ الصنف الثامن قوله سبحانه وتعالى ﴾ وابن السبيل ﴿ يعنى المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمي المسافر ابن السبيل للازمته الطريق قال الشاعر

أما ابن الحرب ريتى ولدا \* الى ان شئت واكتلت لداتي

أو الحبيب المنقطع بهم (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله وعدل عن اللام الى في الاربعة الاخيرة للأيدان بأنهم أرسخ في استحقاق التصديق عليهم من سبق ذكره لان في اللوام قبه على أنهم احق بان توضع قبههم الصدقات ويجعلوا مظنة لها وتكرير في قوله في سبيل الله وابن السبيل فيه فضل وترجيح لهذين على الرقاب والفارمين وانما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المناققين ليدل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسبا لا طباعهم واشعارا بالهم بعداء عنها وعن مصارفها فغالهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمن قاسمها وسهم المؤلفة قلوبهم سقط باجاء الصحابة في صدر خلافة أبي بكر رضي الله عنه لان الله أعز الاسلام وأغنى عنهم والحكم متى ثبت معقولا لمعنى خاص يرتفع ويتهى بذهاب ذلك المعنى

( والفارمين ) لأصحاب

الديون في طاعة الله

( وفي سبيل الله ) وللمجاهدين في سبيل الله ( وابن السبيل ) للضيف النازل ما الطريق

﴿ فريضة من الله ﴾ مصدر لما دل عليه الآية الكريمة أي فرض لهم الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة ﴿ والله عليم حكيم ﴾ يضع الأشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم وصراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين جواز صرفها الى صنف

فكل مريد سفرًا مباحًا ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره يعطى من الصدقات ما يكفيه لمؤنة سفره سواء كان له مال في البلد الذي يقصده أو لم يكن له مال وقال قتادة ابن السيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السيل هو الحاج المنقطع ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ فريضة من الله ﴾ يعني ان هذه الاحكام التي ذكرها في هذه الآية فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الاشياء فريضة ﴿ والله عليم ﴾ يعني بمصالح عباده ﴿ حكيم ﴾ يعني فيما فرض لهم لا يدخل في تدبيره وحكمه نقض ولا خلل

### المسئلة الرابعة

في أحكام متفرقة تتعلق بالزكاة اتفق العلماء على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقراء هي الزكاة المقروضة بدليل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة واختلفوا في كيفية قسمتها وفي جواز صرفها كلها الى بعض الاصناف دون بعض فذهب جماعة من الفقهاء الى انه لا يجوز صرفها كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقي وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي فاليجب ان يقسم زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سماهم ثمانية أقسام قسمة على السواء لان سهم المؤلف ساقط وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاته بنفسه ثم حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان تصرف الى أقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة أو أكثر فلوفاوت بين أولئك الثلاثة جاز فان لم يجد من بعض الاصناف الا واحدا دفع حصة ذلك الصنف اليه مالم يخرج من حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شيء رده الى الباقي وذهب جماعة من العلماء الى انه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف أو الى شخص واحد منهم جاز لان الله سبحانه وتعالى اتى اسمى هذه الاصناف الثمانية اعلاماً منه أن الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا يجابا منه لقسمتها بينهم جميعاً وهذا قول عمر وابن عباس وبد قال سعيد بن جبير وعطاء واليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي وأحمد بن حنبل قال أحمد بن حنبل يجوز أن يضعها في صنف واحد وتقرئها أولى وقال إبراهيم النخعي ان كان المال كثيراً يحتل الاجزاء قسمه على الاصناف وان كان قليلاً وضعه في صنف واحد وقال مالك يتعمى موضع الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من أهل الحلة والحاجة فان رأى الخلة في الفقراء في عام قدمهم وان رآها في صنف آخر في عام حولها اليهم وكل من دفع اليه شيئاً من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه فان حصل أدنى اسم التني فلا يعطى بعده شيئاً وان كان محترفاً لكنه لا يجحد أنه

( فريضة من الله ) في معنى  
المصدر المؤكد لان قوله انما  
الصدقات للفقراء معناه  
فرض الله الصدقات لهم  
( والله عليم ) بالمصلحة  
( حكيم ) في القسمة  
( فريضة ) قسمة ( من الله )  
لهؤلاء ( والله عليم ) بهؤلاء  
( حكيم ) فيما حكم لهؤلاء



واحد وبه قال الأئمة الثلاثة واختاره بعض أصحابنا وبه كان يفتي شافعي ووالدي رحمهما  
الله تعالى على أن الآية بيان أن الصدقة لا تخرج منهم لا إيجاب قسمها عليهم هو ومنهم  
الذي يؤذون النبي ويقولون هو أذن ﴿ يسمع كل ما يقال له ويصدق سمي بالجارية للبالغة  
كأنه من فرط استماعه صار جلته آلة السماع كما سمي الجاسوس حينذاك أو اشتق له فعل  
من أذن إذا أذا استمع كأنه وشلل روى أنهم قالوا الحمد أذن سامعة تقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا

حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته فلا اعتبار عند الإمام الشافعي رضي الله عنه  
ما يدفع الحاجة من غير حد وقال أحمد بن حنبل لا يبسط الفقير أكثر من خسين درهما  
وقال أبو حنيفة أكره أن يعطى رجل واحد من الزكاة ما بقي درهم فإن أعطيته أجزأ  
فإن أعطى من بطلته فقير أبان أنه غني فهل يحزى فيه قولان ولا يجوز أن يعطى صدقة لمن  
تلزمه نفقته وبه قال مالك والثوري وأحمد وقال أبو حنيفة والشافعي لا يبسط إلا الواو علا  
ولا ولدا وإن سفل ولا زوجة ويعطى من عداهم وتحرم الصدقة على ذوى القربى وهم  
بنو هاشم وبني المطلب فلا يدفع إليهم من الزكاة شيء لقوله صلى الله عليه وسلم أنا آل بيت  
لا تحل لنا الصدقة وقال أبو حنيفة نحرّم على بني هاشم ولا نحرّم على بني المطلب دينا نقوله  
صلى الله عليه وسلم أنا وبني المطلب شيء واحد لم يفرقونا في جاهلية ولا إسلام وتحرم  
الصدقة على مولى بني هاشم وبني المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وقال  
مالك لا تحرم واختلّفوا في نقل الصدقة من بلد المال إلى بلد آخر مع وجود المستحقين في  
بلد المال فكرهه أكثر أهل العلم لعل قابوب فقراء ذلك البلد بذلك المال ولقوله صلى الله  
عليه وسلم لما ذوّأ علمهم أن الله سبحانه وتعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد  
على فقراءهم الحديث بطوله في الصحيحين واتفقوا على أنه إذا نقل المال إلى بلد آخر وأداءه  
إلى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض إلا ما حكى عن عمر بن عبد العزيز فإنه رد صدقة  
جئت من خراسان إلى الشام فردّها إلى مكانها من خراسان والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى  
﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ﴾ نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فأنحرف  
أن يبلغه ما تقولون فقعنا فقال الجلاس بن سوبد وهو من المنافقين بل نقول ما شئنا ثم  
نأتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فأتى محمد أذن أي يسمع كل ما يقال له وقبله  
وقيل معنى هو أذن أي ذوّأ أذن سامعة وقال محمد بن اسحق نزلت في رجل من المنافقين  
يقال له نبيل بن الحرث وكان أزنم نأثر الشعر أحرّ السنين أسفع الحدين مشوه  
الخلقة وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر إلى الشيطان  
فليتنظر إلى نبيل بن الحرث وكان يتم حديث النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنافقين  
فقل له لا تفعل ذلك فقال إنما محمد أذن فمن حدثه شيئا صدقه فنقول ما شئنا  
ثم نأتيه ونحلف له فيصدقنا فأنزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقولهم هو أذن  
أنه لبس بعد غور بل هو سامع سريع الاغترار بكل ما يسمع فأجاب الله سبحانه وتعالى

(ومنهم الذين يؤذون النبي  
ويقولون هو أذن) الأذن  
الرجل الذي يصدق كل  
ما يسمع ويقبل قول كل  
أحد سمي بالجارية التي  
هي آلة السماع كأن جلته  
أذن سامعة وأبناؤهم له  
هو قولهم فيه هو أذن قصدوا  
به المذمة وأنه من أهل  
سلامة القلوب والفرّة  
فسره الله تعالى بما هو  
مدح له وثناء عليه فقال

(ومنهم) من المنافقين جذام  
ابن خالد وإياس بن قيس  
وسماك بن يزيد وعبيد بن  
مالك (الذين يؤذون  
النبي) بالطعن والشم  
(ويقولون) بعضهم لبعض  
(هو أذن) يسمع منا ويصدقنا  
إذا قلنا له ما قلنا فيك شيئا

(قل أذن خير لكم) كقولك رجل صدق تريد الجود والصلاح كأنه قيل لم هو أذن ولكن نعم الأذن ويجوز أن يكون هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك ثم فسر كونه أذن خيرا به (يؤمن بالله) أي يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة (ويؤمن للمؤمنين) ويقبل من المؤمنين المخلص من المهاجرين والانصار وعدى قبل الإيعان بالبلاء إلى الله لأنه قصد به ﴿١٤٩﴾ التصديق بالله الذي {سورة براءة} هو ضد الكفر به وإلى المؤمنين باللام لأنه قصد

السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقهم لكونهم صادقين عنده ألا ترى إلى قوله وما أنت بمؤمن لنا كيف ينهى عن البلاء (ورجة) بالطف على أذن ورجة حجة عطف على خيرا أي هو أذن خيرا وأذن رجة لا يسمع غيرهما ولا يقبله (الذين آمنوا منكم) أي وهو رجة للذين آمنوا منكم أي أظهروا الإيمان أيها المنافقون حيث يقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل المشركين أو هو رجة للمؤمنين حيث استنقذهم من الكفر إلى الإيمان ويشفع لهم في الآخرة بإيمانهم في الدنيا (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) في الدارين (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن

بما نقول ﴿قل أذن خير لكم﴾ تصديق لهم بأنه أذن ولكن لآعلى الوجه الذي ذموا به بل من حيث أنه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله ﴿يؤمن بالله﴾ يصدق به لما قام عنده من الأدلة ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام حزمة للفرقة بين إيمان التصديق فإنه بمعنى التسليم وإيمان الأمان ﴿ورجة﴾ أي وهو رجة ﴿الذين آمنوا منكم﴾ لمن أظهر الإيمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلا بحالك بل رفقابكم وترجاء عليكم وقرأ حجة بالجر عطف على خيره وقرئ بالنصب على أنها علة فعل دل عليه أذن خيرا أي بأذن لكم رجة وقرأ نافع أذن بالتخفيف فيها وقرئ أذن خير على أن خير صفة لها وخبر ثان ﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾ بإيذائه ﴿يحلفون بالله لكم﴾ على معاذيرهم فيما قالوا أو تخلفوا ﴿ليرضوكم﴾

عنه بقوله ﴿قل أذن خير لكم﴾ يعني هب الله أذن لكنه أذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى أنه مستمع خير وصالح لا مستمع شر وفساده وقرئ أذن خير مرفوعين منونين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ يعني أنه يصدق المؤمنين ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين وإنما عدى الإيمان بالله بالبلاء والإيمان للمؤمنين باللام لأن الإيمان بالله هو تقيض الكفر فلا يمتدى إلا بالبلاء فيقال آمنت بالله والإيمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال إلا باللام ومنه قوله تعالى أؤمن لك وقوله آمنت له ﴿ورجة﴾ أي وهو رجة ﴿الذين آمنوا منكم﴾ وإنما قال منكم لأن المنافقين كانوا يزعمون أنهم مؤمنون فبين الله سبحانه وتعالى كذبهم بقوله أنه رجة للمؤمنين المخلصين لا للمنافقين وقيل في كونه صلى الله عليه وسلم رجة لأنه يجرى أحكام الناس على الظاهر ولا ينقب عن أحوالهم ولا يمتك أسرارهم ﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾ يعني في الآخرة ﴿قوله عز وجل﴾ يحلفون بالله لكم ليرضوكم ﴿قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجللاس بن سويد ووديمة بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالوا إن كان ما يقول محمد حقا فحقن شر من الخير وكان عندهم خلام من الانصار اسمه طامر بن قيس فحرقوه وقالوا هذه المقالة فنضب الخلام من قولهم وقال والله

أو تخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيمتدرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالخطاب ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم

(قل لهم يا محمد) لا الشراي يسمع منكم ويصدقكم بالخير لا بالكذب ويقال أذن خير إن كان أذا فهو خير لكم (يؤمن بالله) يصدق قول الله (ويؤمن للمؤمنين) يصدق قول المؤمنين الخاضعين (ورجة) من العذاب (الذين آمنوا منكم) في السروا العلانية (والذين يؤذون رسول الله) بالتخلف عنه في غزوة تبوك جللاس بن سويد وسماك بن عمرو وغنى ابن خبير وأصحابهم (لهم عذاب أليم) وجيع في الدنيا والآخرة (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) بالتخلف

(والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا ﴿ ١٥٠ ﴾ مؤمنين) أي ان كنتم مؤمنين

لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ أحق بالارضاع بار والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضا من أولان الكلام في ابتداء الرسول صلى الله عليه وسلم وارضائه أولان التقدير والله أحق أن يرضوه والرسول كذلك ﴿ ان كانوا مؤمنين ﴾ صدق ﴿ ألم يعلموا أنه ﴾ ان الشأن ﴿ وقرئ بالتاء ﴾ من محاد الله ورسوله ﴿ يشاقق الله ﴾ من الحدة ﴿ فان له نار جهنم خالدا فيها ﴾ على حذف الخبر أي فحق ان له أو على تكرير ان لتأ ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من محاد الله ورسوله يهلك ﴿ وقرئ ﴾ فان له بالكسر ﴿ ذلك الخزي العظيم ﴾ يعني الاهلاك الدائم ﴿ يحذو المنافقون ان تنزل عليهم ﴾ على المؤمنين ﴿ سورة تنبئهم بما في قلوبهم ﴾ وتمتلك عليهم

ان ما يقول محمد حق وأنتم شر من الخير ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم فسألهم فأنكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحالف عامر انهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوه يعتذرون ويحلفون فانزل الله هذه الآية والمعنى يحلف لكم أي المؤمنون هؤلاء المنافقون ليرضوكم يعني فيما يلصقكم عنهم من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ اختلفوا في معنى هذا الضمير إلى ماذا يعود فقيل الضمير عائذ على الله تعالى لان في رضا الله رضا رسوله صلى الله عليه وسلم وأمنى والله ورسوله أحق أن يرضوه بالتوبة والاخلاص وقيل يجوز أن يكون المراد برضوهما فاكثرتي بذكر أحدهما عن الآخر وقيل مضاه والله أحق أن يرضوه وكذلك رسوله ﴿ ان كانوا مؤمنين ﴾ يعني ان كان هؤلاء المنافقون مصدقين برعد الله ووعيده في الآخرة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ألم يعلموا ﴿ قال أهل المعاني ألم تعلم خطاب لمن علم شيئا من نبيه أو أنكره فيقال له ألم تعلم انه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من أحكام الدين ما يحتاجون إليه خاطب المنافقين بقوله ألم يعلموا يعني من شرائع الدين التي علمهم رسولنا ﴿ أنه من محاد الله ورسوله ﴾ يعني أنه من يخاف الله ورسوله وأصل المحادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحدة يقال حاد فلان ملانا اذا صار في غير حده وخالفه في أمره وقيل معنى محاد الله ورسوله أي يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله ﴿ فان له نار جهنم ﴾ أي فحق أن له نار جهنم ﴿ خالدا فيها ﴾ يعني على الدوام ﴿ ذلك الخزي العظيم ﴾ يعني ذلك الخلود في نار جهنم هو الفضيحة العظيمة ﴿ قوله عز وجل ﴾ يحذر المنافقون ﴿ يعني يخشى المنافقون ﴿ أن تنزل عليهم سورة ﴾ يعني على المؤمنين ﴿ تنبئهم ﴾ يعني تخبر المؤمنين ﴿ بما في قلوبهم ﴾ يعني بما في قلوب المنافقين من الحسد والمداوة للمؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزول القرآن في شأنهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبصرة والمثيرة يعني انها فضحت المنافقين وبصرت عن أخبارهم وأثارتها وأسفرت عن مخازيهم ومثالبهم وقال ابن عباس أنزل الله ذكر سبعين رجلا من المنافقين بأسمائهم وأسمائهم آباءهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة منه على المؤمنين

تزعجون فاحق من أرسنيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسول الله فكانا في حكم شيء واحد كقولك احسان زيد واجاله رضى أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ﴿ ألم يعلموا أنه ﴾ ان الامر والشأن ﴿ من محاد الله ورسوله ﴾ يجاوز الحد باختلاف وهي مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق ﴿ فان له ﴾ على حذف الخبر أي فحق أن له ﴿ نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون ﴾ خبر بمعنى الامر أي يحذر المنافقون ﴿ ان تنزل عليهم سورة ﴾ تنزل بالتخفيف مكي ومصرى ﴿ تنبئهم بما في قلوبهم ﴾ من الكفر والتفاق والضمائر للمنافقين لان السورة اذا

عن الغزو ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ﴾ لو كانوا مصدقين في إيمانهم ﴿ ألم يعلموا ﴾ يعني جازسا وأصحابه ﴿ أنه من محاد الله ﴾ يخالف الله ﴿ ورسوله ﴾ في السر ﴿ فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم ﴾ العذاب الشديد ﴿ يحذر المنافقون ﴾

عبد الله بن أبي واصحابه ﴿ ان تنزل عليهم ﴾ على نبيهم ﴿ سورة تنبئهم ﴾ تخبرهم ﴿ بما في قلوبهم ﴾ من النفاق ﴿ لتلا ﴾

نزلت في مناهم فهي نازلة عليهم دليله ﴿ ١٥١ ﴾ قل استهزؤا أو { سورة براءة }

الاولان المؤمنين والثالث

للمنافقين وصح ذلك لان

المعنى يقود اليه (قل

استهزؤا) أمر تهديد (ان

الله يخرج ما تحذرون)

مظهر ما كنتم تحذرونه

أي تحذرون اظهاره من

نفاقكم وكانوا يحذرون أن

يفضحهم الله بالوحي فيهم

وفي استهزؤهم بالاسلام

وأهله حتى قال بعضهم

وددت اني قدمت فجذلت

مائة وانه لا ينزل فيناشي

يفضحنا (ولئن سألتهم

ليقولن انما كنا نخوض

ونلعب) بينا رسول الله

صلى الله عليه وسلم يسير في

غزوة تبوك وركب من

المنافقين يسرون بين يديه

فقالوا انظروا الى هذا الرجل

يريد أن يفتح قصور الشام

وحصونها هيهاهه هههه

فاطلع الله نبيه على ذلك فقال

احبسوا على الركب فانهم

فقال قلم كذا وكذا فقالوا

ياي الله لا والله ما كنا في شيء

من أسرك ولا من أسرا أصحابك

ولكن كنا في شيء مما نخوض

(قل) يا محمد لوديعه بن

جذام وجد بن قيس

وجهم بن حير (استهزؤا)

بمحمد عليه السلام والقرآن

(ان الله يخرج) مظهر

(ما تحذرون) ما كنتمتون

استهزؤهم ويحوز ان تكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروه ويخرج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بث في امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله ﴿ قل استهزؤا ان الله يخرج ﴾ مبرز أو مظهر ﴿ ما تحذرون ﴾ أي ما تحذرونه من انزال السورة فيكم أو ما تحذرون اظهاره من مساويكم ﴿ ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ﴾ روى ان ركب المنافقين صرخوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح

لثلاث يعير بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مؤمنين ﴿ قل استهزؤا ﴾ أمر تهديد فهو كقولهم اعملوا ما شئتم ﴿ ان الله يخرج ﴾ أي مظهر ﴿ ما تحذرون ﴾ والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يظهر الى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه عن المؤمنين قال ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا للرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها وينكروا له في ليلة مظلمة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد اضمروا له وأمره أن يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضر بها حذيفة حتى نجاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم أحدا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنهم فلان وفلان حتى عددهم كلهم فقال حذيفة هلا بعثت اليهم من يقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم بل بكفيناهم الله بالديلة (م) عن قيس بن عباد قال قلت لعمار أ رأيت قتالكم أ رأيا رأيتهم فأن الرأي يخطئ ويصيب أم عهدا عهدا اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يهده الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في أمي قال شعبة وأحسبه قال حدثني حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أمي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يخرجون ربحها حتى يلج الجبل في سم الحائط ثمانية منهم تكفيهم الديلة جراح من النار يظهر في أكثافهم حتى ينجم من صدورهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ﴿ الآية وسبب نزولها على ما قال زيد بن أسلم ان رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما اقرأنا رغبنا بطونا وأكذبنا أسنة واجبننا عند اللقاء فقال له عوف بن مالك كذبت ولكك منافق ولا خبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر فوجد القرآن قد سبقه قال زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه يعني الى المنافق متاعا بحقب ناقدة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لله وآباءه ورسوله كنتم تستهزؤن ما زنده قال محمد بن

من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ولئن سألتهم) يا محمد عما ذا ضحكتم (ليقولن انما كنا نخوض) تحدث عن الركب (ونلعب)

( ٥ )

بعد اظهاركم الايمان (ان لعن عن طائفة منكم) بتوبتهم واخلاصهم الايمان بعد النفاق (لعن طائفة بانهم كانوا مجرمين)  
مصرين على النفاق غير تأييد منه ان يعف ﴿ ١٥٣ ﴾ لعن طائفة غير { سورة براءة } عاصم (المنافقون والمنافقات)

الرجال المنافقون كانوا ثلاثمائة  
والنساء المنافقات مائة  
وسبعين (بعضهم من  
بعض) أى كانوا نفس  
واحدة وفبدنى ان يكونوا  
من المؤمنين وتكذبهم في  
قولهم ويخلفون بالله انهم  
لكم وتقرر لقوله وما هم  
منكم ثم وصفهم بما يدل على  
مضادة حالهم لحال المؤمنين

فقال (يا سرون بالانكر)  
بالكفر والعصيان (وينهون  
عن المعروف) عن الطاعة  
والايمان (ويقضون  
أيديهم) شحاً بالمبار والصدقات  
والانفاق في سبيل الله  
(نسوا الله) تركوا أمره  
أو أغفلوا ذكره (فنسبهم)  
فتركهم من رحته وفضله

مع ايمانكم (ان لعن  
عن طائفة منكم) جهنم بن  
جهنم لانه لم يستمضى معهم  
ولكن ضحك معهم (لعن طائفة)  
طائفة (وديمة بن جذام  
وجدين قيس) بانهم كانوا  
مجرمين) مشركين في السر  
(المنافقون) من الرجال  
(والمنافقات) من النساء  
(بعضهم من بعض) على  
دين بعض في السر (يا سرون  
بالانكر) بالكفر ومخالفة

﴿ ان لعن عن طائفة منكم ﴾ لتوبتهم واخلاصهم أو لتجنبتهم عن الايمان والاستمضاء ﴿ لعن طائفة بانهم كانوا مجرمين ﴾ مصرين على النفاق أو مقدمين على الايمان والاستمضاء ﴿ وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان لعن بالياء والبناء على المفعول ذهاباً الى المعنى كأنه قال ان ترجم طائفة ﴾ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾ أى متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كأى بعض الشئ الواحد وقيل انه تكذيبهم في حلفهم بالله انهم لكم وتقرر لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله ﴿ يا سرون بالانكر ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ وينهون عن المعروف ﴾ عن الايمان والطاعة ﴿ ويقضون أيديهم ﴾ عن المبار وقض اليد ككتابة عن الشئ ﴿ نسوا الله ﴾ اغفوا ذكر الله وتركوا طاعته ﴿ فنسبهم ﴾ فتركهم من فضله ولطفه

قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين  
﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ان لعن عن طائفة منكم لعن طائفة بانهم كانوا مجرمين ﴿  
ذكر المفسرون ان الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة والاثنان طائفة والعرب توقع  
لفظ الجمع على الواحد فلهذا أطلق لفظ الطائفة على الواحد قال محمد بن اسحق الذي عني  
عنه رجل واحد وهو غاشن بن جبر الاشجعي يقال انه هو الذي كان يضحك ولا يخوض  
وقيل انه كان يمتشى بجانبه وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه أخف فلما نزلت الآية  
تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اللهم انى لأزال أسمع آية تقرأ أعنى بها تقشعر  
منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفائى قتلاً في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا  
كفنت أنا دفنت فاصيب يوم الائمة ولم يعرف أحد من المسلمين مصرعه ﴿ قوله عز وجل  
﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾ بغير انهم على أمر واحد ودين واحد يحتمون  
على النفاق والاعمال الحثيثة كما يقول الانسان اغيره انا منك وأنت منى أى أمرنا  
واحد لامباينة فيه ﴿ يا سرون بالانكر ﴾ يعنى بأمر بعضهم بمضا بالشرك والمعصية  
وتكذب الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ وينهون عن المعروف ﴾ يعنى عن الايمان  
والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ ويقضون أيديهم ﴾ يعنى عن النفاق  
في سبيل الله تعالى وفى كل خير ﴿ نسوا الله فذنبهم ﴾ هذا الكلام لا يمكن اجراؤه على  
ظاهره لانه لو جلتا على النسيان الحقيق لم يستحقوا ذم الله لان النسيان ليس فى وسع البشر  
دفعه وإيضاً فان النسيان فى حق الله محال فلا بد من التأويل وقد ذكروا فيه وجهين الاول  
معناه انهم تركوا أمره حتى صاروا بمنزلة الناسين له فجازاهم بان يصيرهم بمنزلة المنى من  
ثوابه ورحته فخرج على من أوجه الكلام فهو كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثاها الوجه  
الثانى ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فبين ذكرهم بالرحمة  
والاحسان فجعل النسيان عارة عن ترك الذكر لان من ترك شأماً بذكره وفعل ما تركه اطاعة الله

الاول (وينهون عن المعروف) (تأ و خا ٢٠ لث) عن الايمان وموافقة الرسول (وتقيضون) معكون  
(أيديهم) عن الفقة في الخير (نسوا الله) تركوا طاعة الله في السر (فنسبهم) خذلهم في الدنيا وتركهم في الآخرة في النار

(ان المنافقين هم الفاسقون) هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والالساخ عن كل خير وكفى المسير ذاجرا  
أن يلم بما يكسبه هذا الاسم { الجزء العاشر } الاحش الذي ١٥٤ وصف به المنافقون حين ماتوا . هم

من ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعده الله  
المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم  
عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها { ولعنهم الله } ابدتهم من رحمة وأهانهم  
{ ولهم عذاب مقيم } لا ينقطع والمراد به ما وعدوه أو ما يقادونه من تعب الخلق  
{ كالذين من قبلكم } أي أتت مثل الذين أوتوا من قبل من قبلكم من قبلكم من قبلكم  
أشد منكم قوة وأكثر أهوالا وأولاداً { بأن تشبههم بهم وتمثل حالهم بحالهم } فاستمتم  
بخلافهم { نصيبهم من ملاء الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التدرع عنه ما تدرعوا به  
من فاسقة تتم بخلافكم

والإيمان به تركهم من نوفيته وحدانيته في الدنيا ومن رحنه في العقي { ان المنافقين هم  
الفاسقون } يعني هم الخارجون عن الطاعة فهو عد الله المنافقين والمنافقات والكفار  
يقال وعده بالخبر وعدا ووعد بالشر وعدا قالوعد يكون في السير والشر { نار جهنم  
خالدين فيها } فيه حذف تقديره يصلونها خالدين بمعنى مقدرين فيها هي حسبهم  
يعني هي كافيتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الإيمان والطاعة { ولعنهم الله }  
يعني وابعدهم من رحمتهم وطردهم عن بابه { ولهم عذاب مقيم } أي دائم لا يقطع فان  
فأت قوله خالدين فيها بمعنى ولهم عذاب دائم وهذا تكرار لغامته فأت ذلك تكرارا  
وبيان الفرق من وجهين الاول اذ معناه ولهم نوع آخر من العذاب المقيم سوى العلي  
بالبارء ولقائل أن يقول هذا الاول مشكك لانه سبحانه وتعالى قال في النار هي حسبهم  
وذلك يمنع من ضم شيء آخر إلى عذاب البارء وأجيب عن هذا الاشكال بأن قوله هي حسبهم  
في الاطلاق ولا يمتنع ان يحصل نوع آخر من العذاب من غير جنس النار كالزهر وروبوته وكون  
ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثاني ان العذاب المقيم هو العذاب المجلد لهم في الدنيا وهو ما يقادونه  
من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من الفاق وكشف فضائحهم وهذا هو العذاب المقيم  
قوله سبحانه وتعالى { كالذين من قبلكم } هذا رجوع عن القية الى خطاب  
المعذور والكاف في الذين للتشبيه والمعنى فلعنهم كلعن الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين  
بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في الاسر بالمنكر والنهي عن المعروف وبمنزلة الاسرى  
عن فعل الخير والملاءمة وقيل انه تعالى شبه المنافقين في عدوهم عن الله واتاع أمره  
لاحل طالب الدنيا من ماء من الكفار ثم وصف الكفار بأنهم كانوا أشد أهوالا من المنافقين  
قوة وأكثر أهوالا وأولاداً فقال تعالى { كانوا أشد قوة من الذين من قبلهم } يعني بأهوالهم  
{ وأكثر أهوالا وأولاداً } فاستمتم بخلافهم { نصيبهم من ملاء الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التدرع عنه ما تدرعوا به  
من فاسقة تتم بخلافكم

(ان المنافقين هم الفاسقون)  
الكافرون في السر (وعده الله  
المنافقين) من الرجال  
(والمنافقات) من النساء  
(والكفار نار جهنم خالدين  
فيها) مقربين في النار (هي  
حسبهم) (ولعنهم الله)  
(ولهم عذاب مقيم) (كأنهم  
وأكثر أهوالا وأكثر أهوالا

(وعده الله المنافقين  
والمنافقات والكفار نار  
جهنم خالدين فيها)  
مقدرين الخلود فيها (هي)  
أي النار (حسبهم) فيه دلالة  
على عظم عذابها وأنه يجيث  
لايزاد عليه (ولعنهم الله)  
وأهانهم مع التعذيب وجعلهم  
مذمومين ملحقين بالشياطين  
الملاعين (ولهم عذاب  
مقيم) دائم معهم في العاجل  
لا ينفك عن عذبه وهو  
ما يقادونه من تعب الخلق  
والظاهر المخالف للباطن  
خوفا من المسلمين وما  
يحذرونه أبدا من الفضيحة  
ونزول العذاب ان اطاع  
على أسرارهم الكاف في  
(كالذين من قبلكم كانوا  
أشد منكم قوة وأكثر  
أموالا وأولاداً فاستمتم  
بخلافهم فاستمتم بخلافكم

(ان المنافقين هم الفاسقون)  
الكافرون في السر (وعده الله  
المنافقين) من الرجال  
(والمنافقات) من النساء  
(والكفار نار جهنم خالدين  
فيها) مقربين في النار (هي  
حسبهم) (ولعنهم الله)  
(ولهم عذاب مقيم) (كأنهم  
وأكثر أهوالا وأكثر أهوالا

كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) عما يرفع أي أثم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلهم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم بخلاقكم كما ستمتعوا بخلاقهم أي تأنذوا بإفلاذ الدنيا والحلاق النصيب مشتق من انطلق وهو التقدير أي باخلق الإنسان بمعنى قدر من خبر ﴿ ١٥٥ ﴾ (وخضتم) في الباطل { سورة براءة } (كالذي خاضوا) كالقوج

الذي خاضوا أو كالخوض الذي خاضوا والخوض الدخول في الباطل واللهو وانما فهم فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم معني عندلهم الاولين بالاستمتاع بماوتوا من حظوظ الدنيا والهاهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطالب الفلاح في الآخرة ثم شبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم (أو تلك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) في مقابلة قوله وآبناء أجره في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين (وأولئك هم الخاسرون) ثم ذكر نبأ من قباهم فقال (ألم بأنهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح) هو بدل من الذين (وعاد وعود قوم ابراهيم

كما استمتع الذين من قباهم بخلافهم ﴿ ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخذجة من الشهوات الفانية والرائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذات الدنيوية الحقيقية تمهيدا لدم المخاطبين بشايتهم واقفاء أثرهم ﴿ وخضتم ﴿ ودخلتم في الباطل ﴿ كالذي خاضوا أو كالقوج الذي خاضوا أو كالخوض الذي خاضوه ﴿ أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ﴿ لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين ﴿ وأولئك هم الخاسرون ﴿ الذين خسروا في الدنيا والآخرة ﴿ ألم بأنهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح ﴿ اعرقوا بالطوفان ﴿ وعاد ﴿ اهلكوا بالريح ﴿ وعود ﴿ اهلكوا بالرجفة ﴿ وقوم ابراهيم ﴿ اهلك نمرود ببعض واهلك اصحابه

والخاسرون بخلاقكم ﴿ كما استمتع الذين من قبلكم بخلافهم ﴿ فان فات ما الفاشة في ذكر الاستمتاع بالحلاق في حق الاولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم اعاد ذكره في حق الاولين ثالثا ﴿ قلت فأنته اندبهم الاولين بالاستمتاع بماوتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركهم النظر فيما يصلحهم في الدار الآخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار بحال من تدمهم ثم رجع الى ذكر حال الاولين ثالثا وهذا كاتريد أن تبكت بعض الظلة على فتح ظلمة ﴿ قوله أنت مثل فرعون كان يقتل فيبرحق وندب فيبرجرم فانت تفعل مثل ما كان يفعل الكرر هنا لا أكيد وتقبح فعالمهم وفعل من شابههم في فعلهم ﴿ وقوله تعالى عز وخضتم كالذي خاضوا ﴿ معطوف على ما قبله ومستند اليه يعني وسلكنتم في فعلكم مثل ما سلكوا في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رساله والاستهزاء بالآيتين ﴿ أولئك حبطت أعمالهم ﴿ معنى بطات أعمالهم ﴿ في الدنيا والآخرة ﴿ يعني ان أعمالهم لانفعهم في الدنيا ولا في الآخرة بل يأمون عابا ﴿ رأى انهم اناسرون ﴿ والمعنى انكاملت أعمال الكفار الماضين وخسروا بسبل أعمالكم ابراهيم ونوح وخسرون ﴿ ق ﴿ عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لتبين ان الذين من ﴿ انكم شبروا بشرو ذراعا بشارع حتى لو دخلوا جحر شيب لا ينجوهم فلما بارسل الله اليهم رسوله ارسى عاقبة ﴿ قوله عز وجل ﴿ ألم بأنهم ﴿ رجع الى الخطاب الى القبيصة يعني ألم أتى دواء الماء بين والكفار رسلا مني ﴿ يعني انهم دائما م ﴿ ربنا ﴿ معنى خبر ر الذين من قبلهم ﴿ يعني الامم الماضية الذين خاضوا باسم كتب اهلكناهم حين خالفوا أسسنا وعسوا رسائنا ﴿ سم فقال حاله ﴿ دوم ﴿ يعني أنهم اهلكوا بالطوفان ﴿ وعاد ﴿ اهلكوا بالريح العقيم ﴿ وعود ﴿ اهلكوا بالرجفة ﴿ قوم ابراهيم ﴿ اهلكوا سب السمة وكان هلاك نمرود ببعض

في الدنيا (كما استمتع) كما أكل (الذين من قبلكم) من المنافقين (بخلافهم) بنصبيهم من الآخرة في الدنيا (وخضتم) في الباطل (كالذي خاضوا) وكذبتهم محمد صلى الله عليه

ولم ﴿ اسر كالذين خاضوا وكذبوا أنباءه ﴿ نبي انباء الله (أولئك حبطت أعمالهم) بطات حسناتهم (في الدنيا والآخرة) وأولئك هم الخاسرون (ألم بأنهم نبأ) خبر (الذين من قباهم) كيف اهلكناهم (قوم نوح) اهلكناهم بالترق (وعاد) قوم هود اهلكناهم بالريح (وعود) قوم صالح اهلكناهم بالرجفة (وقوم ابراهيم) اهلكناهم بالهدم



وأصحاب مدين ( وأهل مدين وهم قوم شعيب ) والمؤتفكات ( مدائن قوم لوط ) واشتباكهن انقلاب أحوالهن  
 الخير إلى الشر ( أنتم ) { الجزء العاشر } رسلهم بالبينات ﴿ ١٥٦ ﴾ فإكان الله يظلمهم ( فاسمع )

﴿ وأصحاب مدين ﴾ وأهل مدين وهم قوم شعيب أهلكوا بال نار يوم الظلة ﴿ والمؤتفكات ﴾  
 قريات قوم لوط اشتفكت بهم أي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا  
 حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المقردين واشتباكهن انقلاب أحوالهن من الخير  
 إلى الشر ﴿ أنتم رسلهم ﴾ يعني الكل ﴿ بالبينات ﴾ فإكان الله يظلمهم ﴿ أي لم يكن من عادته  
 ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ﴾ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿ حيث صر ضوها  
 للمقاب بالكفر والتكذيب ﴾ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴿ في مقابلة  
 قوله المنافقون والمناققات بعضهم من بعض ﴾ يأسرون بالمعروف وينهون عن المنكر  
 ويقيمون الصاوة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ﴿ في سائر الأمور

أن يظلمهم بأهلأكلهم  
 لأنه حكيم فلا يماقهم بغير  
 جرم ( ولكن كانوا أنفسهم  
 يظلمون ) بالكفر  
 وتكذيب الرسل ( والمؤمنون  
 والمؤمنات بعضهم أولياء  
 بعض ) في التناصر والترحم  
 ( يأسرون بالمعروف )  
 بالطاعة والايان ( وينهون  
 عن المنكر ) عن الشرك  
 والصبيان ( ويطيعون  
 الصاوة ويؤتون الزكاة  
 ويطيعون الله ورسوله

﴿ وأصحاب مدين ﴾ وهم قوم شعيب أهلكوا بذاب يوم الظلة ﴿ والمؤتفكات ﴾ يعني المنقلبات  
 التي جعل الله عاليها سافلها وهي مدائن قوم لوط وأما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الطوائف  
 الستة لأن آثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من أرض العرب  
 فكانوا يمررون عليهم ويعرفون أخبارهم ﴿ أنتم رسلهم بالبينات ﴾ يعني بالمجربات  
 الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا أسرارنا كما فعلتم أيها  
 المنافقون والكفار فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتجهل لكم النعمة كالعججات لهم  
 ﴿ فإكان الله يظلمهم ﴾ يعني يتجهل العقوبة لهم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ يعني  
 أن الذي استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم أنفسهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ والمؤمنون والمؤمنات  
 بعضهم أولياء بعض ﴿ لما وصف الله المنافقين بالأعمال الخيثة والأحوال الفاسدة ثم ذكر  
 بعده ما أعد لهم من أنواع الوعيد في الدنيا والآخرة عقبه بذكر أوصاف المؤمنين وأعمالهم  
 الحسنة وما أعد لهم من أنواع الكرامات والخيرات في الدنيا والآخرة فقال تعالى والمؤمنون  
 والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يعني المولاة في الدين واتفاق الكلمة والعون والصرة  
 فان كانت أند سبحانه وتعالى قال في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المؤمنين  
 بعضهم أولياء بعض فقال الله في ذلك ما كان نفاق الاتباع وكفرهم انما حصل بتقليد  
 المتبوعين وهم الرؤساء والأكابر وحصل بمقتضى الطبيعة أيضا قال فيهم بعضهم من بعض  
 ولما كانت الموافقة الحاسلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة  
 وهوى النفس وصفهم بأن بعضهم أولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفائدة  
 ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ يأسرون بالمعروف ﴿ يعني بالايان بالله ورسوله واتباع  
 أمره والمعروف كل ما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة ﴾ وينهون عن المنكر ﴿ يعني عن  
 الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون  
 وحده ﴿ ويطيعون الصلوة ﴾ يعني الصلاة المفروضة ويحجون أركانها وحدودها ﴿ ويؤتون  
 الزكاة ﴾ يعني الواجبة عليهم وهو في مقابلة ويطيعون الله ورسوله ﴿ ويطيعون الله ورسوله ﴾

( وأصحاب مدين ) قوم  
 شعيب أهلكناهم بالرجفة  
 ( والمؤتفكات ) المكذبات  
 المتخففات يعني قوم لوط  
 أهلكناهم بالسنف والحجارة  
 ( أنتم رسلهم بالبينات )  
 بالأسر والنهي والعلامات  
 فلم يؤمنوا بهم فإهلكهم الله  
 ( فإكان الله يظلمهم )  
 ببلأكلهم ( ولكن كانوا  
 أنفسهم يظلمون ) بالكفر  
 وتكذيب الأنبياء  
 ( والمؤمنون ) المصدقون  
 من الرجال ( والمؤمنات )  
 المصدقات من النساء  
 ( بعضهم أولياء بعض )  
 على دين بعض في السر  
 والعلانية ( يأسرون  
 بالمعروف ) بالتوحيد

واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ( وهو عن المنكر ) عن الكفر والشرك وترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ( يعني )  
 ( ويطيعون الصلوة ) يحجون الصلوات الخمس ( ويؤتون الزكاة ) يعطون زكاة أموالهم ( ويطيعون الله ورسوله ) في السر والعلانية

أولئك سيرجهم الله) السين مفيدة وجود ﴿ ١٥٧ ﴾ الرجعة في سورة برأه، لا محالة فهي تؤكد أن أولئك سيرجهم الله

الوعد في سائرهم منك يومنا  
(أن الله عزيز) غالب على  
كل شيء قادر عليه فهو يقدر  
على الثواب والعقاب (حكيم)  
واضح كلامه منعه (وعد)  
الله المؤمنين والمؤمنات  
جنات تجري من تحتها  
الأنهار خالدين فيها ومسكن  
طية) يطيب فيها العيش  
وعن الحسن رجه الله  
قصورا من اللؤلؤ والياقوت  
الاجر والزبرجد في  
جنات عدن) هو علم بدليل  
قوله جنات عدن التي  
وعد الرحمن وقد عرفت  
أن الذي والى وضع الوصف  
المعارف بالجل وهي مدينة

( أولئك سيرجهم الله )

لا يعذبهم الله (أن الله عزيز)

في ملكه وسلطانه (حكيم)

في أمره وقضائه (وعد الله)

المؤمنين (المؤمنات)

المصدقات من النساء

(جنات) بساين (تجري)

من تحتها) من تحت شجرها

ومساكنها (الأنهار)

أنهار الخمر والماء والنفيل

واللبن (خالدين فيها)

مقيمين في الجنة (ومساكن

طية) منازل حسنة قد طيبها

الله بالمسك والريحان ويقال

﴿ أولئك سيرجهم الله ﴾ لا محالة فإن السين مؤكدة للوقوع ﴿ أن الله عزيز ﴾ غالب على كل  
شيء لا يمتنع عليه ما يريد ﴿ حكيم ﴾ يضع الأشياء مواضعها ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات  
جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومسكن طية ﴾ تستطيها النفس أو يطيب  
فيها العيش وفي الحديث أنها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأجر ﴿ في جنات  
عدن ﴾ إقامة وخلود وعنه عليه الصلاة والسلام عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر  
على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى  
لمن دخلك ومرجع المظف فيما يحتمل أن يكون إلى تعدد الموعد لكل واحد أو للجميع

يعنى فيها يأمرهم به وهو في مقابلة لسوا الله فتسيرهم ﴿ أولئك ﴾ يعنى المؤمنين والمؤمنات  
الموصوفين بهذه الصفات ﴿ سيرجهم الله ﴾ لما ذكر الله ما وعده المنافقين من العذاب  
في نار جهنم ذكر ما وعده المؤمنين والمؤمنات من الرجعة والرضوان وما أعد لهم في الجنان  
والسين في قوله سيرجهم الله للمبالغة والتوكيد ﴿ أن الله عزيز حكيم ﴾ وهذا يوجب  
المبالغة في الترضيب والترهيب لأن العزيز هو الذي لا يمتنع عليه شيء أراد فهو قادر على  
إيصال الرجعة لمن أراد وإيصال العقوبة لمن أراد والحكيم هو الذي يدبر عبادته على ما يقتضى  
العدل والإنصاف ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار  
خالدين فيها ﴾ لما ذكر الله في الآيات المتقدمة وعيد المنافقين وما أعد لهم في نار جهنم  
من العذاب ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية ما وعده المؤمنين من الخير والثواب  
والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار البساتين التي تخرج في حسانها الناظر لأنه  
سبحانه وتعالى قال ومسكن طية في جنات عدن والمطوف يجب أن يكون منيرا للمطوف  
عليه فتكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين فتكون جنات  
عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات الأخر هي البساتين التي يتزهدون فيها فهذه  
قائمة المغيرة بين المطوف والمطوف عليه والفرق بينهما ﴿ ومسكن طية ﴾ يعنى  
ومنازل يسكنونها طية ﴿ في جنات عدن ﴾ يعنى في بساتين خلد وإقامة يقال عدن بالمكان  
إذا قام به روى الطبري بسنده عن عمران بن حصين وأبي هريرة قال سئل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومسكن طية في جنات عدن قال قصر من لؤلؤة في ذلك  
القصر سبعون دارا من ياقوتة جراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت  
سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الخور العين  
وفي رواية في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام وفي كل بيت سبعون  
وصيفة ويعطى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله أجمع وروى بسنده  
عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعنى دار الله التي لم ترها  
عين ولم تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه من بني آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين  
والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فان صحت هذه الرواية  
فلا بد من تأويلها فقول الله عدن داره يعنى دار الله وهو من باب حذف المضاف تقديره عدن

جيلة ويقال طاهرة ويقال عامرة (في جنات عدن) درجة العليا

في الجنة ( ورضوان من الله ) رضى من رضوان الله ( أكبر ) من ذلك كله لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة ( ذلك ) إشارة إلى ما وعد الله الرضوان ( هو الفوز العظيم ) وحده دون ما بعده الناس فوزاً ( بأمر النبي جاهد الكفار ) بالسيوف ( والمنافقين ) بالحجة

(وَدَعَا إِلَى اللَّهِ كَبِيرًا)  
رِثَا بِهِمْ أَعْظَمُ مِمَّا هُوَ فِيهِ  
(ذَلِكَ) ، الَّذِي ذَكَرْتُ  
(هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ) الْحِجَابُ  
الْوَاقِعُ (بِأَيْ إِلَى حَاذِ  
الْكَفَّارِ) بِالسَّيْفِ  
(وَالْمُنَافِقِينَ) بِالْأَسَلِ

قيس الانصارى الجلاس  
أجل والله ان محمدا صادق  
وأنت سر من الخير وياغ  
ذلك رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فاستحضر فحلم  
بالله ما قال فرقع عامر يده  
فقال اللهم ازل على عبدا  
ونبيك تسديق العساقي  
وذلكذب الكاذب فنزل  
(يحاقون بالله ما قالوا ولقد  
قالوا كلمة الكفر) يسرى  
ان كان ما يقول محمد حقا فمن  
سر من الخير أو هو  
استمزاؤهم فقال الجلاس  
بارك ولى الله والله لتدله  
وصديق عامر فتاب الجلاس  
وحسنت توبته (وأكفروا  
بداسلامهم) وأظهروا  
كفرهم بعد اظهراهم

(واغاظ) اشد (عاهم)  
على كالأعريقين بالزل  
والفعل (وسأواهم جهنم)  
صبرهم جهنم (وبئس  
المصير) صاروا اليه  
(يخافون بالله مبالوا)  
حلف بالله الاس من سويد  
ماقات الذي قال على عامر  
اس قيس (واعتدوا له الك)

انکار محمد صادة افما  
دلت بالله مانا و کتاب د

﴿واعانك عليهم﴾ في ذلك ولا تحابهم ﴿وما واهم بهم﴾ وبئس المصير ﴿مصيبهم﴾  
﴿مافون بالله ما نارا﴾ روى انه عليه الصلاة والسلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل  
عدا لفرأى وبهيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا تخلفنا نحن  
شربن الخمر فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم استغفره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب  
الجالس وحسنت توبته ﴿ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم﴾ واظهر والكفر  
يعني وجاهد المنافقين واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف ان المنافيق  
هو الذي يظن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف  
والقال لاطهاره الاسلام فقال ابن عباس أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه  
وسلم بمجاهدة الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واذهب الفرق عنهم وهذا قول الضحاة  
أيضا وقال ابن مسعود بيده فان لم يستطع فبأسانه وان لم يستطع فبقايعه فان لم يستطع فليكن  
في وجهه وقال الحسن وقادة اقامة الحدود عليهم يعني اذا تعاطوا أسبابها وهذا القول  
فيه بعد لان اقامة الحدود واجبة على من ليس بموافق فلا يكون لهذا اتفاق بالفاق  
وانما في الحسن وقادة ذلك لان غالب من كان يتعاطى أسباب الحدود تقتصم  
عليهم في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المنافقون قال الطبري وأولى الاموال  
فسول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب  
جهاد المنافقين وليس في الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل آخر وقد دلت  
الدلائل المنفصلة ان الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجبة  
عليهم تارة وبترك الرخق بهم تارة وبالاتهار تارة وهذا هو قول ابن مسعود ﴿واعانك  
عليهم﴾ يعني ددد عليهم بالجهاد والارهاب ﴿وما واهم بهم﴾ وبئس المصير ﴿مصيبهم﴾  
ار جهنم مسكنهم وبئس المصير مصيرهم اليها فان قلت كيف تراه النبي صلى الله عليه وسلم  
المنافقين بين أظهر أمحاء مع علمهم بمحالهم قالت انما أمر الله عز وجل نبيه سيدنا محمدا  
صلى الله عليه وسلم ببال من أظهر كذا الكفر وأقام على اظهارها فلما من كلام بالكر  
في السر ماذا المانع عا، أكره ورسع عذ وقال اتى مسلم فانه يحكم بأسا في الماهر في  
حقن دمه والله وولده وان كان بعدا غير ذلك في الباطل لانه سبحانه وتعالى أمر  
باجراء الاحكام على الطواغر فلذلك أجرى النبي صلى الله عليه وسلم المسفين على  
ظواهرهم وركل سرائرهم الى الله سبحانه وتعالى لانه العالم باحوالهم وهو مجازم  
في الآخرة المستحقون ﴿تولد عز وجل﴾ ﴿مافون بالله ما قالوا﴾ والى كلمة الكفر  
وكذا روى اسلاهم ﴿اختام المقسرون فمن نزلت هذه الآية قتال عصابة بن

(كفر) كلمة الكفار، له حيث ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عن المنافقين وعائدهم طاعة الله  
والله أعلم بالصواب من أمرهم قالوا يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتقرّوا به  
قلوبكم ذلك أظن على العباد وقالوا يا أيها الذين آمنوا لا تمشوا في الأرض فساداً ولا  
قالوا يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بالباطل وتقرّوا بها قلوبكم ذلك أظن على العباد

بعد اظهار الاسلام ﴿وهو ما عالم ينالوا﴾ من قتل الرسول وهو ان بخسة عشر منهم

الزبير نزلت في الجلاس بن سويد أقبل هو ابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس  
ان كان ما جاهد به محمد حقاً لنحن شر من جرحنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب أما والله  
يا عدو الله لا أخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت ان ينزل في القرآن أو  
ان يصيبني قارعة أو ان أخلط بخطيئته فأنيت اني صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله  
أقبلت أما والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا غفافة ان أخلط بخطيئته أو تصيبني  
قارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس أقلت ما قال مصعب تخلف ما قال  
فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الآية وروى عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في ظل جرة فقال انسيأنيكم انسان فينظر اليكم  
بعين الشيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل أذرق فدعاه رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فقال علام تشقني أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء بصحابة فحلفوا بالله  
ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ثم اتهم جميعاً  
الى آخر الآية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من  
غفار وكانت جهينة حلفاء الانصار فظهر الغفاري على الجهيني فقال عبدالله بن أبي  
ان سلول للاوس انصروا أخاكم قوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك  
يا كلك وقال ثن رجعا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسمى بهما رجل من المسلمين  
الى النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فسأله فحلف بالله ما قاله فانزل الله هذه الآية هذه  
روايات الطبري وذكر البغوي عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن سويد وذلك ان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بقبوكم فذكر المنافقين وسماهم رجسا  
وطهم فقال الجلاس لئن كان محمد صادقاً لنحن شر من الخير فلما انصرف رسول الله صلى  
الله عليه وسلم الى المدينة أتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب  
يا رسول الله على فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس  
عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب على عامر ثم قام عامر  
فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء فقال  
اللهم أنزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون  
آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل أن يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فان يتوبوا يا خيرا  
لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله أسمع الله قد عرض على التوبة صدق عامر بن قيس  
فما قاله لقد قتله وأنا أستغفر الله وأتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه  
فتاب وحسنت توبته فذلك قوله سبحانه وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة  
الكفر وكفروا بعد اسلامهم يعني أظهروا كلمة الكفر بعد اسلامهم وتلك الكلمة هي  
سب النبي صلى الله عليه وسلم فقبل هي كلمة الجلاس بن سويد لئن كان محمد صادقاً لنحن  
شر من الخير وقيل هي كلمة عبدالله بن أبي بن سلول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن  
الاعز منها الاذل وستأني القصة في موضعها في سورة المنافقين ان شاء الله تعالى قوله  
سبحانه وتعالى ﴿وهو ما عالم ينالوا﴾ قال مجاهد الجلاس بقتل الله، سمع مقالته خشية

الاسلام وفيه دلالة على  
ان الايمان والاسلام واحد  
لانه قال وكفروا بعد اسلامهم  
(وهو ما عالم ينالوا) من قتل  
محمد عليه الصلاة والسلام أو قتل  
حاصر لرحه على الجلاس  
وقيل أرادوا أن يتوجوا  
ابن أبي وان لم يرض  
رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وهو ما عالم ينالوا أرادوا  
قتل الرسول واخراج الرسول  
ولم يقدروا على ذلك

وما تقولوا (الا ان الله  
ورسوله من فضله) وذلك  
انهم كانوا حين قتل  
رسول الله صلى الله عليه  
المدينة في ضنك من العيش  
لا يركبون الخيل  
ولا يجوزون الغنيمات  
بالقناهم وقتل الجلاس  
مولى قاهر رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بدينه  
اثني عشر ألفا فاستغنى

(فان يتوبوا) عن النفاق  
(بك) الثواب (خير لهم)  
وهي الآية التي تاب عنده  
الجلاس (وان يتولوا)  
يصروا على النفاق (بمذهبهم)  
الله عذابا أليما في الدنيا  
والآخرة (بالقتل والنار  
(وما لهم في الارض من ولي  
ولا نصير) ينجيهم من العذاب

(وما تقولوا) وما طعنوا على

النبي صلى الله عليه وسلم  
وأصحابه (الا ان أغناهم  
الله ورسوله من فضله)  
بالغنمية (فان يتوبوا) من  
الكفر والنفاق (بك) خيرا  
لهم (من الكفر والنفاق  
(وان يتولوا) عن التوبة  
(بمذهبهم الله عذابا أليما)  
وجيعا (في الدنيا والآخرة  
وما لهم في الارض من  
ولي) حاة لا يحفظهم (ولا

نصير) مانع عنهم ما يراود

توالتوا عند سرجه من تبوك ان يدفعوه عن ظهر راحلته الى الوادي اذا تسلم العقبة بالليل فاخذ  
عابرين بأسر بخطام راحلته يقوده ها وحذيفة خلفها يسوقها فيبينهما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع  
اخفاف الابل وقمعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وأخرجاه واخراج المؤمنين  
من المدينة أويان يتوجوا عبدالله بن أبي وان لم يرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم  
﴿ وما تقولوا ﴾ وما تكروا وما وجدوا ما يورث قمتهم ﴿ الا ان اعناهم الله ورسوله من فضله ﴾  
فان أكثر اهل المدينة كانوا محايج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله تعالى  
عليه وسلم اثروا بالنائم وقتل للجلاس مولى قاهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدينه  
اثني عشر ألف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المقاميل أو الملل ﴿ فان يتوبوا بك ﴾  
خير لهم ﴿ هو الذي حل الجلاس على التوبة والضمير في بك للتوب ﴾ ﴿ وان يتولوا ﴾  
بالاصرار على النفاق ﴿ بمذهبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة ﴾ بالقتل والنار ﴿ وما لهم  
في الارض من ولي ولا نصير ﴾ فينجيهم من العذاب

ان يفشيها عليه وقيل هم عبدالله بن أبي بن ساول وكان همه قوله لئن رجعنا الى المدينة  
فلننقله وقيل هم اثنا عشر رجلا من المنافقين يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا  
على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقاوه فجاء جبريل عليه السلام فاخبره وأمره ان  
يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم فارسل حذيفة لذلك وقال السدي قال المنافقون  
اذا رجعنا الى المدينة عقدنا على رأس عبدالله بن أبي بن سلول تاجا فلما وصلوا اليه ﴿ وما  
تقموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله ﴾ يعني وما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه  
وسلم شيئا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله والمعنى ان المنافقين عما وبضد الواجب فحصلوا  
موضع شكر النبي صلى الله عليه وسلم أن تقموا عليه وقيل اقم بطروا النعمة فنقموا أشرا  
وبطرا وقال ابن قتيبة سناه ليس ينقمون شيئا ولا يعرفون الا الصنع وهذا كقول الشاعر  
ما نقم الناس من أمية الا انهم يحلمون ان غضوا

وهذا ليس بما يتم وانما أردان الناس لا ينقمون عليهم شيئا فهو كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ••••• بن قلول من قراع الكتائب

اي ليس فيهم عيب قال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك  
من العيش فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم استغفروا بالغنائم فعلى هذا القول يكون الكلام  
عاما وقال عروة كان الجلاس قتل له مولى قاهره النبي صلى الله عليه وسلم بدينه  
فاستغنى وقال قتادة كانت لعبدالله بن أبي دبة فاخرجها رسول الله صلى الله عليه  
وسلم له وقال عكرمة ان مولى ابني عدي قتل رجلا من الانصار فقتضاه النبي صلى الله  
عليه وسلم بالدية اثني عشر الفا وفيه نزلت وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله  
﴿ فان يتوبوا بك ﴾ خير لهم ﴿ يعني فان يتوبوا من كفرهم ونفاقهم بك ذلك خير لهم  
في المآجل والآجل ﴾ ﴿ وان يتولوا ﴾ يعني وان يرضوا عن الايمان والتوبة وبصروا  
على النفاق والكفر ﴿ بمذهبهم الله عذابا أليما في الدنيا ﴾ يعني بالحزى والاذلال  
﴿ والآخرة ﴾ أي ويمذهبهم في الآخرة بالنار ﴿ وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ﴾

(ومنهم من عاهد الله) روى ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني ما لا يقل عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خيرا من كثير لا تطيقه { الجزء العاشر } فراجع ١٦٢ وقال والذي بشك بالحق ان رزقك

﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ﴾

يعنى وليس لهم أحد يمنعهم من عذاب الله أو ينصرهم في الدنيا والآخرة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ﴿ الا يقرئ بالبغوى بسند الثعلبي عن أبي أمامة الباهلي رضى الله تعالى عنه قال جاء ثعلبة بن حاطب الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني ما لا يقل على الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خيرا من كثير لا تطيقه ثم آتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني ما لا يقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أما لك في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال هي ذهابا وقضه لسارت ثم آتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني ما لا والذي بشك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما ففقت كل غنمى الدود فصاقت عليه المدينة فتحنى عنها ونزل واديا من أوديتها وهي تنهى كل غنمى الدود فكان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهر والدهر وصل في غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة أيضا حتى صار لا يشهد الجمعة ولا الجمعة فكان إذا كان يوم الجمعة خرج فالتقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسمنها وادفقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا وبع ثعلبة يا وبع ثعلبة فأنزل الله سبحانه وتعالى آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة وكيف يأخذان وقل لهما مرا على ثعلبة بن حاطب ورجل من بني سليم فخذوا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا جزية انطلقا حتى تفرغاهم عودا الى فانطلقا وسعهما السلى فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا ما هذه عليك قال خذها فان نفسى بذلك طيبة فراعلى الناس وأخذوا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أرونى كتابكما فقرأ ثم قال ما هذه الا جزية ما هذه الا جزية اذها حتى أرى رأيي قال فاقبل فاقبل فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يتكما يا وبع ثعلبة يا وبع ثعلبة ثم دعا السلى بخير فآخبراه بالذى صنع ثعلبة فأنزل الله سبحانه وتعالى فيد ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية الى قوله سبحانه وتعالى وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى آتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني ان أقبل

مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعاه فاتخذ غنما ففقت كل غنمى الدود فصاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجمعة والجماعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل كثير ماله حتى لا يسعه وادفقال يا وبع ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاختد الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقتهما ومرت ثعلبة فسألاه الصدقة فقال ما هذه الا جزية وقال ارجع حتى أرى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا وبع ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى أبي بكر رضى الله عنه فلم يقبها وجاء بها الى عمر رضى الله عنه في خلافته فلقبها وهلك في زمن عثمان رضى الله عنه ( لئن آتانا من فضله ) أى المال ( لنصدقن ) لنفرض الصدقة والاصل لنصدقن ولكن اتاء أدعت في الصاد لقر بها منها

بهم (ومنهم من المناقنين) حلف بالله بى ثعلبة بن حاطب بن أبي بلتعة (لئن آتانا) أعطانا (منك) (من فضله) المال الذى له بالشام (لنصدقن) فى سبيل الله لتؤدين منه حق الله ولنصلن به الرحم

ولنكونن من الصالحين ﴿١﴾ نزلت في ثعلبة بن حاطب أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لن يرزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فقد آله فاتخذ عثمان فتمت كما نعى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقبل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا وبع ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس مصدقاتهم ومرا بطلبة فسألاه الصدقة وافرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الاجزبة ما هذه الاخت الجزية فارجم حتى ارى رأيي فنزلت فبعث ثعلبة بالصدقة فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب يمشو على رأسه فقال هذا علك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضى الله تعالى عنه فلم يقبلها ثم جاء بها منك صدقتك فجعل يمشو على رأسه التراب فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا علك قد امرتك فلم تطعني فلما اى أن يقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدقة رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأتى ابا بكر فقال اقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانالا أقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها منه فلما ولى عمر أناه فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أبو بكر فانالا أقبلها منك فلم يقبلها ثم ولى عثمان فآناه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان وأخرجه الطبرى أيضا بسنده قال بعض العلماء لما لم يقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدقة ثعلبة لان الله سبحانه وتعالى منعه من قبولها منه مجازاة له على اخلافه ما عاهد الله عليه واهانته له على قوله انما هي جزية أو أخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت صدقة عليه إهانة له وليعتبر غيره به فلا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس بإخراجها ويرى أنها واجبة عليه وأنه يتأب على إخراجها وما قبل على منحها وقال ابن عباس ان ثعلبة أتى مجلسا من مجالس الانصار فاشهدهم لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت منه ووصلت القرابة فات ابن عم له فورث منه مالا قليف بما عاهد الله عليه فانزل الله فيه هذه الآية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملا أقمود فقتلا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلايه وقال ابن السائب ان ثعلبة بن حاطب بن أبي بلتعة كان له مال بالشام فابطأ عليه فجهد ذلك جهدا شديدا فحلف بالله لئن آتاني الله من فضله يعني ذلك المال لأصدقن منه ولا صلت فلما آتاه ذلك المال لم يبع بما عاهد الله عليه فزلت هذه الآية وحاصله ان ظاهر الآية يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لئن آتاه من فضله ليصدقن وليفعلن فبدأ أعمال الخير والبر والصلة فلما آتاه الله من فضله ما سأل لم يبق بما عاهد الله عليه ومعنى الآية ومن المنافقين من أعطى الله عهدا لئن رزقنا من فضله بان يوسع علينا في الرزق لنصدقن يعني لنصدقن ونخرجن من ذلك المال صدقة ﴿٢﴾ ولنكونن من الصالحين ﴿٣﴾ يعني ولنعملن في ذلك المال ما يعمل أهل الصلاح باموالهم

(ولنكونن من الصالحين)  
 باخراج الصدقة  
 (ولنكونن من الصالحين)  
 من الجامدين



الى عمر رضى الله تعالى عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رضى الله تعالى عنه ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلوا به ﴾ منعوا حق الله منه ﴿ وتولوا ﴾ عن طاعة الله ﴿ وهم معرضون ﴾ وهم قوم عادتهم الاعراض عنها ﴿ فاعقبهم نفاقا في قلوبهم ﴾ أى فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه ﴿ يلقون الله بالموت أو يلقون علم أى جزاءه وهو يوم القيامة ﴾ عا خافوا الله ما وعدوه بسبب اخلائهم ما وعدوه من التصديق والصالح ﴿ وبما كانوا يكذبون ﴾ وبكونهم كاذبين فيه وان خلف الوعد متضمن للكذب مستقيم من

من صلة الارحام والانفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكاة وايصالها الى أهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذى يخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله لنصدقن اخراج الزكاة الواجبة وقوله ولنكونن من المسالحين اشارة الى كل ما يفعله أهل الصلاح على الاطلاق من جميع أعمال البر والطاعة ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلوا به ﴾ يعنى فلما رزقهم الله لم يضعوا من أعمال البر شيئا ﴿ وتولوا به ﴾ يعنى عما عهدوا الله عليه ﴿ وهم معرضون ﴾ يعنى عن العهد ﴿ فاعقبهم نفاقا في قلوبهم ﴾ يعنى فاعقبهم الله نفاقا بأن سيرهم منافقين يقال أعقب فلانا دامة اذا سارت عاقبة أمره الى ذلك وقيل معناه انه سبحانه وتعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم ﴿ الى يوم يلقونه ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى حرهم التوبة الى يوم القيامة فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه ﴿ عا خالفوا الله ما وعدوه ﴾ يعنى الصدقة والانفاق في سبيله ﴿ وبما كانوا يكذبون ﴾ يعنى في قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين ﴿ عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان ﴾ عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالسا ومن كانت فيه خلة وفي رواية خصلة فمن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عهد غدر واذا وعد أخلف واذا خاصم فجره قال الشيخ عبي الدين النووى هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث ان هذه الخصال قد توجد في المسلم المصدق الذى ليس فيه شك وقد أجمع العلماء على ان من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعله هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق بخلافه في النار فان اخوة يوسف عليهم السلام جمعوا هذه الخصال وكذا قد يوجد لبعض السلف وبعض العلماء من هذا أو كما قال الشيخ هذا ليس بحمد الله اشكالا ولكن اختلاف العلماء فى معناه فالذى قاله المحققون والاكثر وهو الصحيح المختار أن معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها يشبه المنافقين في هذه الخصال ويتخاف باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه وهذا موجود في صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه في حق من حدثه ووعدوه وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لأن معناه منافق في الاسلام فيظن الكفر ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلفين في الدار الاسفل من النار وقوله

( فلما آتاهم من فضله ) أعطاهم الله المال ونالوا منهاهم ( بخلوا به ) منعوا حق الله ولم يفوا بالعهد ( وتولوا ) عن طاعة الله ( وهم معرضون ) معرضون على الاعراض ( فاعقبهم نفاقا في قلوبهم ) فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه ( الى يوم يلقونه ) أى جزاء فعلهم وهو يوم القيامة ( عا خالفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ) بسبب اخلائهم ما وعدوا الله من التصديق والصالح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف

( فلما آتاهم ) الله أعطاهم ( من فضله ) المال الذى له بالشام ( بخلوا به ) وعدوا من حق الله ( وتولوا ) عن ذلك ( وهم معرضون ) مكذبون ( فاعقبهم نفاقا في قلوبهم ) فجعل عاقبته على النفاق الى يوم يلقونه الى يوم القيامة ( عا خالفوا الله ما وعدوه ) عا أخلف وعده ( وبما كانوا يكذبون )

الوعد ثلث النفاق (ألم يعلموا) يسنى ﴿١٦٥﴾ المنافقين {سورة براءة} (إن الله يعلم سرهم) ما

الوجهين أو المقال مطلقاً وقرئ يكذبون بالتشديد (ألم يعلموا) أي المنافقون أو من هاهنا الله وقرئ بالتاء على الالتفات (إن الله يعلم سرهم) ما سره في انفسهم من النفاق أو الزم على الاخلاف (ونجواهم) وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن أو تسمية الزكاة جزية (وان الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه ذلك (الذين يلزون) ذم مرفوع أو منصوب أو بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلزون بالضم (المطوعين) المتطوعين (من المؤمنين في الصدقات) روى أنه صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقترضت ربي أربعة وأمسكت ليعالي أربعة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت إحدى أسرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم وتصدق

صلى الله عليه وسلم كان مناققا خالصا معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبية عليه فأما من نذر ذلك منه فليس ذلك حاملا فيه هذا هو المختار في معنى الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فاتهم حدثوا في أيمانهم فكذبوا واتمّنوا على دينهم فخانوا ووعدوا في أمور الدين ونصره فآخفوا وفجروا في خصوصاتهم وهذا قول سعيد بن جبيرة وعطاء بن أبي رباح ورجع إليه الحسن البصري بعد أن كان على خلافه وهو مروى عن ابن عباس وابن عمر ورواه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض وإليه ما لا أكثر أختنا وحكي الخطابي قولاً آخر أن معناه التعمير للمسلم أن يعتاد هذه الخصال وحكي أيضا عن بعضهم أن الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وتأشير إشارة كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يضلون كذا والله أعلم وقال الامام فخر الدين الرازي ظاهر هذه الآية يدل على أن نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم أن يبالغ في الاحتراز عند تأذاه الله في أمر فليجتهد في الوفاء به وقوله سبحانه وتعالى (ألم يعلموا) يعني هؤلاء المنافقين (إن الله يعلم سرهم) يعني ما تطوى عليه صدورهم من النفاق (ونجواهم) يعني ما يفاوض به بعضهم بعضاً فيما بينهم والتجوى هو الخفي من الكلام يكون بين القوم والمعنى أنهم يعلمون أن الله يعلم جميع أحوالهم لا يخفى عليه شيء منها (وان الله علام الغيوب) هذا ما غف في العلم يعني أن الله عالم بجميع الاشياء فكيف تخفى عليه أحوالهم قوله عز وجل (الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) الآية (ق) عن أبي مسعود البدرى رضى الله عنه قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشئ كثير فأنار أصراء وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا أن الله أفى عن صاع هذا فنزلت الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم الآية وقال ابن عباس وغيره من المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية آلاف درهم

(إن الله يعلم سرهم) ما سره من النفاق بالزعم على اخلاف ما وعدوه (ونجواهم) وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدير منها (وأن الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه شيء (الذين) محله النصب أو الرفع على الذم أو الجر على البدل من الضمير في سرهم ونجواهم (يلزون المطوعين) يسيرون المطوعين المتبرعين (من المؤمنين في الصدقات) متعلق يلزون روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقترضت ربي أربعة وأمسكت أربعة ليعالي فقال عليه السلام بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت تماسر أسرأتيه عن ربع الثمن على ثمانين

من المؤمنين في الصدقات) بطعنون على عبد الرحمن وأصحابه في الصدقات يقولون ما جاء هؤلاء بالصدقات الأرياء وسمة

ألفا وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر (والذين) عطط على المطوعين (لا يجهدون الاجهدهم) طاقتهم وعن نافع جهدهم وهما واحد وقيل { الجزء المباشر } الجهد الطاقة ﴿ ١٦٦ ﴾ والجهد المشقة وجاء أبو عقيل بصاع

من تمر فقال بت ليلتي أجز بالجبرير على صاعين فزكت صاعا ليعالي وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلزمهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وأما صاع أبي عقيل قاله غنى عنه ( فيسخررون منهم ) فيمزؤون ( سخر الله منهم ) جازاهم على سخرتهم وهو خير غير دعاء ( ولهم عذاب أليم ) مؤلم ولما سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لآبيه في مرضه نزل ( استغفر لهم أولا تستغفر لهم ) وقد مر أن هذا الامر في معنى الخبر كما به قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ( ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ) والسبعون ( والذين لا يجهدون الا جهدهم ) ويطعنون على الذين لا يجهدون الا طاقتهم وكان هذا أبو عقيل عبد الرحمن بن تيمح لم يجهد الا صاعا من تمر ( فسخررون منهم ) بقلعة الصدقة يقولون ما جاء به الا ليدكر به ويهبطي من الصدقة أكثر مما جاء به ( سخر الله منهم ) عابهم يوم القيامة في الآخرة مع

عاصم بن عدى بمائة وسق تمر وجاء أبو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي أجز بالجبرير على صاعين فزكت صاعا ليعالي وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلزمهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وأما صاع أبي عقيل قاله غنى عنه ( فيسخررون منهم ) فيمزؤون ( سخر الله منهم ) جازاهم على سخرتهم وهو خير غير دعاء ( ولهم عذاب أليم ) مؤلم ولما سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لآبيه في مرضه نزل ( استغفر لهم أولا تستغفر لهم ) وقد مر أن هذا الامر في معنى الخبر كما به قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ( ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ) والسبعون ( والذين لا يجهدون الا جهدهم ) ويطعنون على الذين لا يجهدون الا طاقتهم وكان هذا أبو عقيل عبد الرحمن بن تيمح لم يجهد الا صاعا من تمر ( فسخررون منهم ) بقلعة الصدقة يقولون ما جاء به الا ليدكر به ويهبطي من الصدقة أكثر مما جاء به ( سخر الله منهم ) عابهم يوم القيامة في الآخرة مع

الله لهم بما الى الجسة (ولهم عذاب أليم) وجميع في الآخرة ( استغفر لهم ) يقول ان تستغفر لعبد الله بن أبي ( قال ) وجد بن ميسر وعنب بن قشير واحبابهم نحو سبعين رجلا (أولئك هم الذين) سواء عليهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم

جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير وليس على الحديد والغاية اذ لو استغفروا لمدة حياتهم لن يغفر الله لهم ولا لهم ولا يغفر لمن كفر به والمعروف ان بالفتحة ١٦٧ في الاستغفار فلن يغفر الله (سورة براءة) لهم وقد وردت الاشارة

بذكر السبعين وكلها تليق على الكثرة لاعلى الحديد والناية ووجه تخصيص السبعين من بين سائر الاعداد ان العدد قليل وكثير فالقليل ماديون الثلاث والكثير الثلاث فافوقها وأدنى الكثير الثلاث وليس لاقصاء غاية والعدد أيضا نوعان شفع وتروا أول الاشفاع انسان وأول الاوتار ثلاثة والواحد ليس بعدد والسبعة أول الجمع الكثير من النوعين لان فيه اوتار ثلاثة واشفاقا ثلاثا والعشرة كالالحساب لان ما حوازل العشرة فهو اضافة الآحاد الى العشرة كقولك اعاشر وثلاثة عشر الى عشرين والعشرون تكرير العشرة مرتين والثلاثون تكريرها ثلاث مرات وكذلك الى مائة فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكررة منه وكما الحساب والكررة منه فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لاقصاء فحاز أن يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى والله أعلم (ذلك)

عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفره ففعل عليه الصلاة والسلام فبزت فقال عليه الصلاة والسلام لا يزيدني على السبعين فقلت سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين الممددات مخصوص لانه الاصل فيجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون الحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبع مائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام الممدد فكانه العدد بأسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله ﷺ اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لاجل تناولا تصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها ﷻ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﷻ المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاملايح عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه

قال المفسرون لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبيان نفاقهم وظهر للمؤمنين جأؤ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصذرون اليه ويقولون استغفر لنا فنزل استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وهذا كلام خرج مخرج الامر ومعناه الخبر تقديره استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم وانما خص سبحانه وتعالى السبعين من العدد بالذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على عهزة رضى الله تعالى عنه سبعين تكبيرة ولان آحاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع والجمار سبع والنجوم السبعة فلها هذا خص الله تبارك وتعالى السبعين بالذكر للمبالغة في اليأس من طمع المغفرة لهم قال الضحالي ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فساؤ من على السبعين لعل الله أن يغفر لهم فانزل الله سبحانه وتعالى سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما توفي عبد الله بن ابي بن سلول جاءه ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يطيه قيصة يكفن فيه أمه ثم سأله أن يصلى عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه فقام عمر فاخذ سوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلى عليه وقد نهاك ربك أن تصلى عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل فقال استغفروا لهم أو لا تستغفروا لهم ان تستغفروا لهم سبعين مرة وسأزيد على السبعين قال انه منافق فعلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل على ائمة مات أنا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله واماواهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم ﷻ وقوله سبحانه وتعالى ﷻ ذلك ما هم كفروا بالله ورسوله ﷻ يعني ان هذا القتل من الله وهو ترك عفو عنهم وترك المغفرة لهم من أجل انهم اخبروا الكفر على الايمان بالله ورسوله ﷻ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﷻ يعني والله لا يوفق للايمان به ورسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷻ قوله عز وجل

اسألت اليأس من المغفرة (انهم) سب انهم (كفروا بالله ورسوله) لا غفرنا لكافرين (والله لا يهدي القوم الفاسقين) السارحين

ذلك العذاب (انهم كفروا بالله ورسوله) في السر (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الماصين عبد الله بن ابي

عن الايمان ماداموا مختارين للكفر والطغيان ( فرح المخلفون ) المنافقون للمدين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم وخاضهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلبهم ونفاقهم والشيطان (عقدهم) بقعودهم عن النزو (خلاف رسول الله) مخالفة له وهو مفعول له أو حال أي قعدوا لمخالفته أو مخالفين له (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) لم يفعلوا { الجزء العاشر } ما فعله المؤمنون ﴿ ١٦٨ ﴾ من بذل أموالهم وأرواحهم

لا ينقل ولا يهتدى والتنبه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسره من إيمانهم ما لم يعلم أنهم مطبوعون على الضلالة والمنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴿ فرح المخلفون بمقدمهم خلاف رسول الله ﴾ بقعودهم عن النزو خلفه يقال أقام خلاف الحى أى بعدهم ويجوز أن يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة أو الحال ﴿ وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴾ أيثارا للدعة والسفقتى على طاعة الله وفيه تمييز للمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاء بسبيل الاموال والمهج ﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر ﴾ أى قاله بعضهم لبعض أو قالوه للمؤمنين تبطأ قل نار جهنم أشد حرا ﴿ وقد آثرتموها بهذه المخالفة ﴾ لو كانوا ينفقون بك أن ما بهم اليها وأنها كيمهى ما أخاروها أيثار الدعة على الطاعة ﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ﴾ فرح المخلفون بمقدمهم خلاف رسول الله ﴿ يعنى فرح المخلفون عن غزوة تبوك والمخلف الماتروك بمقدمهم يعنى بقعودهم في المدينة خلاف رسول الله يعنى بعده وعلى هذا المعنى خلاف يعنى خلف فهو اسم للجهة المعينة لأن الانسان اذا توجه الى قدامه فن تركه خافه ففقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك واقاموا بالمدينة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قدامهم بالخروج الى الجهاد فاخاروا القعود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴾ والمعنى أنهم فرحوا بسبب النجاة وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك ان الانسان يميل بطبعه الى اثار الراحة والقعود مع الاهل والولد ويكره اتلاف النفس والمال وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر ﴾ وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله سبحانه وتعالى ﴿ قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا ينفقون ﴾ يعنى قل يا محمد هؤلاء الذين أخاروا الراحة والقعود خلافتك عن الجهاد في الحر أن نار جهنم التي هي موعدهم في الآخرة أشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يملكون قل ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن يبعثوا معه وذلك في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولان تسليم الخروج ولا تنفروا في الحر قتال عز وجل قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا ينفقون فأمروا الله تعالى بالخروج ﴿ فليضحكوا قليلا ﴾ يعنى فليضحك هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا في الدنيا القانية بمقدمهم خلافه ﴿ وليبكوا كثيرا ﴾ يعنى مكان ضحككم في الدنيا وهذا وان ورد بصلة الامر الا ان

في سبيل الله وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعى الايقان ( وقالوا لا تنفروا في الحر ) قال بعضهم لبعض أو قالوا للمؤمنين شيطان ( قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا ينفقون ) استجهال لهم لأن من تصون من مشقة ساعة فوق بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان أجهل من كل جاحل ( فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ) أى فيضحكون قليلا على فرحهم بخلفهم في الدنيا ويكون كثيرا أجزاء في العقبى الا انه اخرج على لفظة الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان أهل النفاق سيكون في النار عبر الدنيا لا يرألهم دمع ولا يكتحلون بنوم

وأصحابه ( فرح المخلفون رضى المنافقون (عقدهم) بتخلفهم عن غزوة تبوك (خلاف رسول الله) خلف ر- ول الله ( وكرهوا أن

يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ( طاعة الله ) قالوا ( وقال بعضهم لبعض لا تنفروا في الحر ) ( معناه ) لا تخرجوا مع محمد صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك في الحر الشديد ( قل ) لهم يا محمد ( نار جهنم أشد حرا ) جرا ( لو كانوا ينفقون ) ينفقون ويصدقون ( فليضحكوا قليلا ) في الدنيا ( وليبكوا كثيرا ) في الآخر

(جزاء بما كانوا يكسبون) من النفاق (فان رجعت الله) أي ردك من تبوك وأعماله (إلى طائفة منهم) لأن منهم من  
النفاق ومنهم من هلك (فاستأذنوك) ١٦٩ (للخروج) إلى غزوة { سورة براءة } بعد غزوة تبوك (فما كان

تخرجوا معي أبداً)  
يسكون إلياء جزءة على وأبو  
بكر (ولن تقاتلوا معي عدوا)  
معي حفص (انكم رضيتم  
بالعود أول مرة) أول مادية  
إلى غزوة تبوك (فأقعدوا  
مع الخالفين) مع من تخلف  
بعد وسأل ابن عبد الله بن  
أبي وكان مؤمناً أن يكفن  
النبي صلى الله عليه وسلم  
أباه في قيصره ويصلي عليه  
قبل فاعترض عمر رضي الله  
عنه في ذلك فقال عليه السلام  
ذلك لا ينقصه وكنت أرجو  
أن يؤمن به ألف من قومه  
فقل (ولا تصل على أحد  
منهم) من المنافقين يعني  
صلاة الجنازة روى أنه أسلم  
أب من الخرج لما رآه  
يطلب التبرك بتوب النبي  
صلى الله عليه وسلم (مات)  
صفة لأحد (أبداً) ظرف

(جزاء بما كانوا يكسبون)  
يقولون ويحملون من المعاصي  
(فان رجعت الله) من  
غزوة تبوك (إلى طائفة  
منهم) من المنافقين بالمدينة  
(فاستأذنوك للخروج)  
إلى غزوة أخرى (فقل)  
لهم يا محمد (لن تخرجوا معي  
أبداً) بعد غزوة تبوك (ولن  
تقاتلوا معي عدوا) انكم رضيتم

جزاء بما كانوا يكسبون) أخبار عما يؤل إليه حالهم في الدنيا والآخرة أخرجه على ضيغة  
الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز أن يكون الضمك والبكاء كناية عن السرور والفرح  
والمراد من القلة الدم (فان رجعت الله إلى طائفة منهم) فان ردك إلى المدينة وفيها  
طائفة من المخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين أو من بقي منهم فكان  
المخلفون اثني عشر رجلاً (فاستأذنوك للخروج) إلى غزوة أخرى بعد تبوك (فقل)  
لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوا) أخبار في معنى النبي المبالة (انكم رضيتم  
بالعود أول مرة) تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم وأول  
مرة هي الخرجة إلى غزوة تبوك (فأقعدوا مع الخالفين) أي المخلفين لعدم لياقتهم للجهاد  
كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً)

معناه الأخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول أعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة  
إلى بئسهم في الآخرة لأن الدنيا قانية والآخرة باقية والمنقطع الفاني بالنسبة إلى الدائم الباقي  
قليل (جزاء بما كانوا يكسبون) يعني أن ذلك البكاء في الآخرة جزاء لهم على ضحكهم وأعمالهم  
الحديثة في الدنيا (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وروى البغوي بسنده عن أنس بن مالك قال  
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطعوا أن تبكوا فنيا كوا فان  
أهل النار يكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع  
الدموع فتسيل الدماء فتفرغ العيون فلوان سقنا أجريت فيها الجرت قوله سبحانه وتعالى  
(فان رجعت الله) يعني فان ردك الله يا محمد من غزائك هذه (إلى طائفة منهم)  
يعني إلى المخلفين عنك وانما قال منهم لأنه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك  
كان منافقاً مثل أصحاب الأعداء (فاستأذنوك للخروج) يعني فاستأذنك المنافقون  
الذين تخلفوا عنك وتحقق نفاقهم في الخروج معك إلى غزوة أخرى (فقل لن تخرجوا  
معي أبداً) يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين طلبوا الحروب وهم مقيمون على نفاقهم لن  
تخرجوا معي أبداً إلى غزوة ولا إلى سفر (ولن تقاتلوا معي عدوا) انكم (يعني لانكم  
رضيتم بالعود أول مرة) يعني انكم رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك (فأقعدوا مع  
الخالفين) يعني مع المخلفين النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمن وقال ابن عباس  
مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع الخالفين يقال صاحبه خالفه اذا كان مخالفاً كثير الخلاف  
وفي الآية دليل على الرجل اذا ظهر منه مكروه وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه  
وترك مصاحبته لأن الله سبحانه وتعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله  
عليه وسلم إلى الجهاد وهو مشر باظهار نفاقهم ودمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكروهم  
وخداعهم اذا خرجوا إلى الفزوات (فأقعدوا مع الخالفين) يعني لا تصل على أحد منهم مات أبداً

لعود) بالحلوس (أول مرة) في أول مرة من (فا و خا ٢ لث) غزوة تبوك (فأقعدوا) عن الجهاد (مع الخالفين)  
مع النساء والصبيان (ولا تصل على أحد منهم) من المنافقين بعد عبد الله بن أبي (مات أبداً) ويقال على عبد الله بن أبي

روى ابن أبي دمار رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه سأله أن يستغفر له  
ويكفنه في شماره الذي على جسده ويصلي عليه فلما مات أرسل قيصه ليكفن فيه وذهب  
ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وأعلم ينده عن التكفين في قيضه ونهى عن الصلاة  
عليه لأن الضئنة بالقميص كانت محلاً بالكرم ولأنه كان مكافاة لآبائه

الآية قول قتادة بث عبد الله بن أبي بن ساول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وهو مريض ليأتيه فلما جاءه عمر عن ذلك فأتاه النبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه نبى الله  
صلى الله عليه وسلم قال أما كان حب اليهود فقال يا نبي الله أفلم أتاك إليك اثني بنى ولكن  
بمشت إليك لتستغفر لي وسأله قيصه أن يكفن فيه فأعطاه إياه واستغفر له رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فمات فكفنه في قيضه صلى الله عليه وسلم ونثت في جلد له ودلاه في قبره فانزل الله  
سبحانه وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية (خ) عن عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه قال لما مات عبد الله بن أبي بن ساول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي  
عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت إليه فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي  
ابن ساول وقد قال يوم كذا وكذا أعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وقال أخرتني يا عمر فلما اكتمرت عليه قال اني خيرت فاخترت لواعلم أني ان زدت على السبعين  
يغفر له لزدت عليها قل فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم احمر فمات  
الايسير حتى نزلت الآية ثانيا من براءة ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الى  
قوله وهم فاسقون قل فجهت بدمه من جرأتني على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله  
ورسله أعلم واخرجه الترمذي وزاد في فاصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدمه على منافق  
ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى (ق) عن جابر رضي الله عنه قال أني رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بعدما أدخل حفرته فامر به فأخرج فوضعه على ركبتيه  
ونثت فيه من ريقه وألبسه قيضه والله أعلم وكان كساعيا قيصا قال سفيان وقل  
أبو هرون وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصان فقال له ابن عبد الله يا رسول الله ألبس  
عبد الله قيضك الذي على جلدك قال سفيان فيرون ان النبي صلى الله عليه وسلم ألبس عبد الله  
قيضه مكافاة لما صنع وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر أتى بالعباس  
ولم يكن عليه ثوب فنظر الى صلى الله عليه وسلم له قيضه فوجدوا قيض عبد الله بن أبي قد مر  
عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم إياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قيضه الذي ألبسه

### فصل

قد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن أبي بن ساول  
المنافق سورة اختلاف في الروايات ففي حديث ابن عمر المتقدم انهما توفي عبد الله  
ابن أبي بن ساول أتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يديه قيضه  
ليكفنه فيه وأن يصلي عليه فأعطاه قيضه وصلى عليه وفي حديث عمر بن الخطاب من أفراد  
البحارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى له ليصلي عليه وفي حديث جابر ان الى  
صلى الله عليه وسلم أتاه بعد ما أدخل حفرته فامر به فأخرج فوضعه على ركبته ونثت

تصل وكان عليه السلام  
إذا دفن الميت وقب على قبره  
ودعاه فقبل

العباس قيصه حين اسرى بدر والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفر له وهو ممنوع في حق الكفار ولذلك رتب النبي صلى الله عليه وسلم مات ابدى

عليه من ريقه وألبسه قيصه ووجد الجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم أعطاه قيصه فكفن فيه ثم انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه وليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله اعلم انه صلى عليه أولا كما في حديث عمر وابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ثانيا بعد ما أدخل حفرته فاخرج منها ونزع عنه القميص الذي أعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم ألبسه قيصه بيده الكريعة فعل هذا كله بعبد الله بن أبي تطييا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا مسلما صالحا غناصا وأما قول قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عادته في سرجه وانه سأله أن يستغفر له وأن يعطيه قيصه وأن يصلي عليه فاعطاه قيصه واستغفر له وصلى عليه ونفث في جلدته ودلاه في حفرته فهذه جل من القول ظاهرها الترتيب والمراد بهذا الترتيب الاتوفاقيين الاحاديث فيكون قوله ونفث في جلدته ودلاه في قبره جملة منقطع عما قبلها يعني أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعد ما أعطاه القميص وبعد أن صلى عليه والله أعلم وقال القرطبي في شرح صحيح مسلم ان عبد الله بن أبي بن سلول كان سيدا لخزرج في آخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج وغيرهم حسده وناصبه العداوة غير أن الاسلام غلب عايد فافق وكان رأسا في المنافقين وأعظمهم نفاقا وأشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى لقد روى عن ابن عباس أنهم كانوا ثلاثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة وكان ولده عبد الله يعني ولد عبد الله بن أبي من فضلاء الصحابة وأصدقهم اسلاما وأكثرهم عبادة وأسرحهم صدرا وكان أبر الناس بابيه ومع ذلك فقد قال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك تعلم أني من أبر الناس بابي وأن أمرتي أن أتتك رأسه فملت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تمفوعه وكان من أحرص الناس على اسلام أبيه وعلى أن يتفع من ركات النبي صلى الله عليه وسلم بشئ ولذلك لما مات أبوه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطيه قيصه ليكفنه فيه فبنال من بركته فاعطاه وسأله أن يصلي عليه فصلى عليه كل ذلك اكراما لانه عبد الله واسما له ولطيفته وقول عمر تصلي عليه وقد نهى الله أن تصلي عليه يحتمل أن يكون قبل نزول ولا تصلي على أحد منهم مات أبدا ويظهر من هذا السياق ان عمرو وقع في خاطره ان الله نهى عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والحديث الذي شهد له به النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم ولا تستغفر لهم وهذا التأويلان فيهما بعد قال القرطبي والذي يظهر لي والله اعلم أن البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس وساقه سياقة هي أبين من هذه وليس فيها هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمرو ثبت اليه الحديث الى قوله فصلى عليه ثم انصرف فلم يابث الا يسيرا حتى أنزلت عليه الآيتان من براءة قال القرطبي



الموت على الكفر فان احياء الكافر للتدبير دون التمتع فكأنه لم يحيى ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة اللهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون لتعليل للنهي أو تأييد الموت ولا تعجبك أموالهم وأولادهم

وهذا مساق حسن وتنزيل متقن ليس فيه شيء من الاشكال المتقدم فهو الاولى وقوله صلى الله عليه وسلم سأزيد على السبعين وعد بالزيادة وهو مخالف لما في حديث ابن عباس عن ابن عمر فان فيه لو أعلم أني ان زدت على السبعين يغفرله لزدت وهذا تعييد لذلك الوعد المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها ببعضاً ويقيدها ببعضاً فذلك قال لواعم أي ان زدت على السبعين يغفرله لزدت فقد علم أنه لا يغفرله وقوله صلى الله عليه وسلم اني خيرت مشكل مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافراً وهو متقدم على الآية التي فيها التفسير والجواب عن هذا الاشكال ان المنهي عنه استغفاره لمن تحقق موته على الكفر والشرك وأما استغفاره لاولئك المنافقين المخير فيهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم أنه لا يقع ولا ينفع وفاقته وان وقع كان تطيباً للقلوب الاحياء من قراياتهم فان فصل الاستغفار المنهي عنه من المخير فيه وارتفع الاشكال بحمد الله والله اعلم وقال الشيخ عبي الدين النوى انما اعطاه قميصه ليكفنه فيه تطيباً للقلب ابتداءً لله فانه كان صحابياً صالحاً وقد سأله ذلك فأجاب بالبدو قل بل اعطاه مكافأة لعبد الله بن ابي المنافق الميت لانه ألبس العباس حين أسري يوم بدر قميصاً وفي الحديث بيان مكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم قد علم ما كان من هذا المنافق من الابداهه وقابله بالحسنى وألبسه قميصه كفناً وصل عليه واستغفر له قال الله سبحانه وتعالى وانتك لملي خلق عظيم وقال البغوي قال حفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب ان يكائه بها ويروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كلم فجاقل بعبد الله بن أبي فقال صلى الله عليه وسلم وما يقى عند قميصي وصلاتي من الله والله اني كنت أرجو أن يسلم به ألف من فومه فيروي انه أسلم ألف من قومه لمساؤه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم وقوله سبحانه وتعالى ولا تقم على قبره يعني لا تقف عليه ولا تتول دفنه من قولهم قام فلان بأمر فلان اذا كفاه أمره وناب عنه فيه اللهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون وهذا لتعليل لسبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الآية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعد ما هاء فان قلت الفسق أدنى حالاً من الكفر وماذا كرفي تعاليل هذا الهى كونه كافراً دخل تحته الفسق وغيره فالنافذة في وصفه بكونه فاسقاً بعد ما وصفه بالكفر قلت ان الكافر قد يكون عدلاً في نفسه بان يؤدي الامانة ولا يضر احد سواً وقد يكون خبيثاً في نفسه كثير الكذب والمكر والحداع واضمار السوء للغير وهذا أمر مستقيم عند كل أحد ولما كان المنافقون بهذه الصفة الحيثة وصفهم الله سبحانه وتعالى بكونهم فاسقين بعد أن وصفهم بالكفر قوله سبحانه وتعالى ولا تعجبك أموالهم وأولادهم

( ولا تقم على قبره اثم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ) لتعليل للنهي أي اثم ليسوا باهل للصلاة عليهم لانهم كفروا بالله ورسوله ( ولا تعجبك أموالهم وأولادهم )

( ولا تقم على قبره ) ولا تقف على قبره ( اثم كفروا بالله ورسوله ) في السر ( وماتوا وهم فاسقون ) منافقون ( ولا تعجبك ) يا محمد ( أموالهم ) كثرة أموالهم ( وأولادهم ) ولا كبرة أولادهم

انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهد انفسهم وهم كفرون ﴿ تكرير للتأكيد والاسرار حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفس مقبضة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير الاول ﴿ واذا انزلت سورة ﴿ من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ﴿ ان آمنوا بالله ﴿ بان آمنوا بالله ويجوز ان يكون ان مفسرة ﴿ وجاهدوا مع رسوله

انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهد انفسهم وهم كفرون ﴿ الكلام على هذه الآية في مقامين . المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه ان تجديد النزول له شأن في تقرير ما نزل اولاً وتأكيده وارادة ان يكون المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه وأن يستعد ان العمل به مهم وانما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه وهو ان أشد الاشياء جذباً للقلوب والخواطر الاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد أخرى وبالجملة فالتكرير يراد به التأكيد والمبالغة في التحذير من ذلك الشيء الذي وقع الاهتمام به وقيل أيضاً انما كرر هذا المعنى لانه اراد بالآية الاولى قوماً من المنافقين كان لهم أموال واولاد عند نزولها وبالآية الاخرى اقواماً آخرين منهم . المقام الثاني في وجه بيان ما حصل من التفاوت في الالفاظ في هاتين الآيتين وذلك انه قال سبحانه وتعالى في الآية الاولى فلا تعجبك بالقائه وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما انه عطف الآية الاولى على قوله ولا ينطقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة للاموال والاولاد فحسن العطف عليه بالقائه في قوله فلا تعجبك وأما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها فلها في بحرف الواو وقال سبحانه وتعالى في الآية الاولى فلا تعجبك أموالهم ولا اولادهم وأسقط حرف لا هنا فقال سبحانه وتعالى وأولادهم والسبب فيه ان حرف لا دخل هناك لزيادة التأكيد فيدل على أنهم كانوا معجبين بكثرة الاموال والاولاد وكان اعجابهم بأولادهم أكثر وفي اسقاط حرف لا هنا دليل على انه لا تفاوت بين الامرين قال سبحانه وتعالى في الآية الاولى انما يريد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال سبحانه وتعالى هنا ان يعذبهم بحرف أن والفائدة فيه التنبيه على أن التعليل في أحكام الله محال وانه أجاز حرف اللام فمناه أن كقوله سبحانه وتعالى وما أمر والا ليمدو الله ومعناه وما أمر والا بان يمدو الله وقال تبارك وتعالى في الآية الاولى في الحياة الدنيا وقال تعالى هنا في الدنيا والفائدة في اسقاط لفظة الحياة التنبيه على أن الحياة الدنيا بلغت في الحسد الى حيث أنها لا تستحق أن تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاختصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنفيهاً على كمال دناءتها فهذه جل في ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ قوله عز وجل ﴿ واذا أنزلت سورة ﴿ يحتمل أن يراد بالسورة بعضها لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل ان يراد جميع السورة فعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتقة على الامر بالايمان والامر بالجهاد ﴿ أن ﴿ أي بان ﴿ آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله ﴿ فان قلت كيف يأمرهم بالايمان مع كونهم مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهد في المستقبل وقيل ان الامر بالايمان يتوجه على كل أحد في كل

انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهد انفسهم وهم كفرون (التكرير للمبالغة والتأكيد وأن يكون على بال من المخاطب لا ينساه وأن يستعد أنه مهم ولأن كل آية في فرقة غير الفرقة الاخرى (واذا أنزلت سورة) يجوز أن يراد سورة بتمامها وان يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه (أن آمنوا بالله) بان آمنوا أو هي ان المفسرة (وجاهدوا مع رسوله

(انما يريد الله ان يعذبهم بها) في الآخرة (وتزهد انفسهم) تخرج أرواحهم (في الدنيا وهم كفرون) مقدم ومؤخر (واذا أنزلت سورة) من القرآن وأمر واقعياً (ان آمنوا بالله) صدقوا بما نكلمكم بالله (وجاهدوا مع رسوله

استأذنك أولو الطول منهم ( ذوو الفضل والسعة ) وقالوا ذرنا نحن مع البغاة ( مع الذين لهم عذر في التخلّف )  
 كالمريض والزمي ( رضوا بأن يكونوا مع الخوالب ) أي النساء جمع خالفة ( وطبع على قلوبهم ) ختم عليها الاختيارهم الكفر  
 والفاق ( فهم لا يفقهون ) { الجزء العاشر } مافي الجهاد ١٧٤ من الفوز والسعادة وما

استأذنك أولو الطول منهم ( ذوو الفضل والسعة ) وقالوا ذرنا نحن مع القاعدين ( الذين  
 قعدوا لعذر ) رضوا بأن يكونوا مع الخوالب ( مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي  
 لاخير فيه ) وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ( مافي الجهاد وموافقة الرسول من السعادة  
 وما في التخلّف عنه من الشقاوة ) لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم  
 وأنفسهم ( أي أن تخلّب هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم ) وأولئك  
 لهم الخيرات ( منافع الدارين النصر والغنية في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة  
 وقيل الحور القوله تعالى فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة ) وأولئك  
 هم المفلحون ( الفأزون بالمطالب ) أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار  
 خالدن فيها ذلك الفوز العظيم ( بيان لما لهم من الخيرات الاخرية )

ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهره العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون  
 والمعنى ان اخاصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمان على الامر  
 بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد أصلاً فكانه قيل للمنافقين الواجب عليكم  
 ان تؤمنوا بالله أولاً وتجاهدوا مع رسوله ثانياً حتى يفيدكم ذلك الجهاد فائدة يرجع  
 عليكم نفعها في الدنيا والآخرة ( قوله سبحانه وتعالى ) استأذنك أولو الطول منهم (  
 قال ابن عباس يعني أهل الفنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من المال وقيل هم  
 رؤساء المنافقين وكبرائهم وفي تخصيص أولى الطول بالذكر قولان أحدهما ان الذم  
 لهم ألزم لكونهم قادرين على أهبة السقر والجهاد والقول الثاني انما خص أولى الطول  
 بالذكر لان الاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستئذان ( وقالوا ) يعني أولى  
 الطول ( ذرنا نحن مع القاعدين ) يعني في البيوت مع النساء والصبيان رثيل مع المرضى  
 والزمي ( رضوا بأن يكونوا مع الخوالب ) قيل الخوالب النساء اللواتي تخلفن في السوت  
 فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بأن يكونوا في تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل خوالب  
 جمع خالفة وهم أدنياء الناس وسفاهتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم ( وطبع  
 على قلوبهم فهم لا يفقهون ) يعني وختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون  
 سر الله في الامر بالجهاد ( قوله سبحانه وتعالى ) لكن الرسول والذين آمنوا معه  
 جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ( أي أن تخلّب هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير  
 منهم معى الرسول والمؤمنين ) وأولئك لهم الخيرات ( منافع الدارين النصر والغنية  
 في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي  
 جمع خيرة تخفيف خيرة ) وأولئك هم المفلحون ( أي الفأزون بالمطالب ) قوله  
 سبحانه وتعالى ( أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدن فيها ذلك الفوز العظيم )

في التخلّف من الهلاك  
 والشقاوة ( لكن الرسول  
 والذين آمنوا معه جاهدوا  
 بأموالهم وأنفسهم ) أي  
 أن تخلّب هؤلاء فقد نهض  
 الى الفوز من خير منهم  
 ( وأولئك لهم الخيرات )  
 تناول منافع الدارين  
 لا طلاق اللفظ وقيل  
 الحور لقوله فيهن خيرات  
 ( وأولئك هم المفلحون )  
 الفأزون بكل مطلوب  
 ( أعد الله لهم جنات تجري  
 من تحتها الأنهار خالدن  
 فيها ذلك الفوز العظيم )

استأذنك ( يا محمد  
 أولو الطول ) ذوو الفنى  
 ( منهم ) من المنافقين عبد الله  
 ابن أبي وجدة بن قيس وهيب  
 ابن قشير ( وقالوا ذرنا )  
 يا محمد ( ذرنا نحن مع القاعدين )  
 بغير عذر ( رضوا بأن يكونوا  
 مع الخوالب ) من النساء  
 والصبيان ( وطبع ) ختم  
 ( على قلوبهم فهم لا يفقهون )  
 لا يصدقون أمر الله ( لكن  
 الرسول ) محمد صلى الله عليه  
 وسلم ( والذين آمنوا )  
 في السر والعلانية ( معه )  
 جاهدوا بأموالهم وأنفسهم

في سبيل الله ( وأولئك لهم الخيرات ) الحسنات المقبولات في الدنيا ويقال الحواري في الآخرة ( وأولئك ) بيان (  
 هم المفلحون ) الناجزون من السخط والمذاب ( أعد الله لهم جنات ) يساتين ( تجري من تحتها ) من تحت شجرها ومسكنها ( الأنهار )  
 أنهار الخرماء والماء والصل والابن ( خالدن فيها ) مقيمين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها ( ذلك ) الذي ذكرت ( الفوز العظيم )

قوله أهد دليل على أنها مخلوقة (وجاء ﴿ ١٧٥ ﴾ المعتذرون من الأعراب { سورة براءة } ليؤذن لهم) هو من صذر

في الأمر إذا قصر فيه وتواني و  
حقيقته أن يومهم أن له عذرا فيما  
فعل ولا عذر له والمعتذرون  
بإدغام التاء في الذال ونقل  
حركتها إلى العين وهم الذين  
يعتذرون بالباطل قيل هم  
أسد وعطفان قالوا لأننا  
وان بناجهدا فأذن لنا  
في التخلف ( وقعد الذين  
كذبوا الله ورسوله ) هم  
منافقوا الأعراب الذين  
لم يجيؤا ولم يعتذروا فانه  
بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله  
في ادعائهم الإيمان (سيصيب  
الذين كفروا منهم ) من  
الأعراب (عذاب أليم) في  
الدنيا بالقتل وفي الآخرة

النجاة الوافرة فازوا  
بالجنة وما فيها ونجوا من  
النار وما فيها ( وجاء إليك  
يا محمد ) المعتذرون ( مخففة  
من كان له عذر ) من الأعراب  
من بني غفار وان قرأت  
المعتذرون مشددة  
يعنى من لم يكن له عذر  
( ليؤذن لهم ) لكي يأذن لهم  
رسول الله بالتخلف عن  
غزوة تبوك ( وقعد الذين  
كذبوا الله ورسوله )  
في السر وبقال خالفوا الله  
ورسوله في السر في الجهاد  
بإراذ ( سيصيب الذين  
( عذاب أليم ) وجيع .

﴿ وجاء المعتذرون من الأعراب ليؤذن لهم ﴾ يعنى أسد وعطفان استأذنا في التخلف معتذرين  
بالجهد وكثرة العيل وقبلهم رهط عاصرين الطفيل قالوا ان غزو فامك اغارت طي على اهلنا  
ومواشينا والمعتذر امامن عذر في الامر اذا قصر فيه موها ان له عذرا ولا عذر له أو من  
اعتذر اذا مهد العذر بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين ويجوز كسر العين  
لالتقاء الساكنين وخمها للاتباع لكن لم يقرأ بها وقرأ يعقوب معتذرون من عذر اذا  
أهد في العذر بقرى المعتذرون بتشديد العين والذال على أنه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن  
اذا لم لا دغم في العين وقد اختلف في أنهم كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة فيكون قوله  
﴿ وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ﴾ في غيرهم وهم منافقوا الأعراب كذبوا الله  
ورسوله في ادعاء الإيمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار ﴿ سيصيب الذين كفروا  
منهم ﴾ من الأعراب أو من المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسبه لا لكفره ﴿ عذاب أليم ﴾

بيان لما لهم من الحيات الاخرية ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وجاء المعتذرون من الأعراب  
ليؤذن لهم ﴾ يعنى وجاء المعتذرون من اعراب البوادي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يعتذرون اليه في التخلف عن الغزو معه قال الضحاك هم رهط عاصرين الطفيل جاءوا الى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم معتذرين اليه دقا عن أنفسهم فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا معك  
تغير اعراب طي على خللائنا وأولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قد أبأني الله من اخباركم وسيفي الله عنكم وقبلهم نفر من بني غفار رهط خفاف بن اعياء  
ابن رخصة وقيل هم من أسد وعطفان وقال ابن عباس هم الذين تخافوا بعذر فأذن لهم  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية وجاء المعتذرون أى المقصرون بمعنى أنهم قصروا  
ولم يأتوا في الاعتذار به والمعتذر من يرى ان له عذرا ولا عذر له وقيل ان الاصل في هذا  
اللفظ عند العامة المعتذرون أدغمت التاء في الذال لقرب مخرجيهما والاعتذار في كلام  
العرب على قسمين يقال اعتذر اذا كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد الله عليهم  
بقوله قل لا تعتذروا ندل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال اعتذر اذا أتى بعذر صحيح  
ومنه قول لبيد ومن يك حولا كاملا فقد اعتذر .

بمعنى فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو من التعذر الذي هو التصدير يقال عذر تعذير اذا قصر ولم يبلغ  
فعلى هذا المعنى يحتل أنهم كانوا صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من  
قال أنهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى لما ذكرهم قال بعده ﴿ وقعد الذين كذبوا الله  
ورسوله ﴾ فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على أنهم ليسوا كاذبين ويروى عن  
أبي عروب بن الامانة لما قيل له هذا الكلام قال ان قومنا كفوا عذرا بباطل فهم الذين  
عاهم الله تعالى بقوله وجاء المعتذرون وتخلف آخرون لا لعذر ولا لشبهة عذر جراءة  
على الله تعالى فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الأعراب الذين  
ما جاءوا لعذر وظهور بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الإيمان ﴿ سيصيب  
الذين كفروا ﴾ منهم عذاب أليم ﴾ يعنى في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار . انما قال منهم

﴿ كفروا منهم ﴾ من المنافقين عبدالله بن ابى وأصحابه

بالقتل والنيار ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ﴾ كالهري والزمنى ﴿ ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ﴾ لفقرهم كجهينة وحرينة وبني عذرة ﴿ مخرج ﴾ اثم في التأخر ﴿ اذا انصهوا لله ورسوله ﴾ بالايان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل المولى الناصح أو بما قدروا عليه قداماً أو قولاً يسود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ﴿ ماعلى المحسنين من سبيل ﴾ أى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم - يسيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منفرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك ﴿ والله غفور رحيم ﴾ لهم أو ليسى فكيف المحسن

لانه سبحانه وتعالى علم ان منهم من سيؤمن ويخلص في ايمانه فاستثناهم الله من المناققين الذين أصروا على الكفر والفاق وما توا عليه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ليس على الضعفاء ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى المناققين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا باعذار باطلة عقبه بذكر أصحاب الاعذار الحقيقة الصحيحة وعذرهم واخبر ان فرض الجهاد عنهم ساقط فقال سبحانه وتعالى ليس على الضعفاء والضعيف هو الصحيح في هذه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنساء ومن خلق في أصل الحاجة ضعفاً خفيفاً ويدل على ان هؤلاء الاصناف هم الضعفاء ان الله سبحانه وتعالى عطى عليهم المرضى فقال سبحانه وتعالى ﴿ ولا على المرضى ﴾ والمعطوف منائر للمعطوف عليه فاما المرضى فيدخل فيهم أهل المعنى والبرج والزمان وكل من كان موصوفاً بعرض يمنعه من التمكن من الجهاد والسفر والغزو ﴿ ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ﴾ يعنى الفقراء العاجزين عن أهبة الغزو والجهاد فلا يجدون الزاد والراحلة والراح ومؤنة السفر لان العاجزين عن نفقة الغزو معذور ﴿ مخرج ﴾ أى ليس على هؤلاء الاصناف الثلاثة مخرج أى اثم في التخلف عن الغزو وقال الامام فخر الدين الرازى ليس في الآية انه يحرم عابهم الخروج لان الواحد من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة اما بحفظ متاعهم أو بتكثير سوادهم بشرط أن لا يحمل نفسه كلا ووبالاعليهم فان ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفاء في جواز التخلف عن الغزو شرطاً معيناً وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ اذا انصهوا لله ورسوله ﴾ ومعناه أنهم اذا قاموا في البلد احتزوا عن افشاء الاراجيب واثارة الفتن وسعوا في ايصال الخير الى أهل المجاهدين الذين خرجوا الى الغزو وقاموا بمصالح بيوتهم واخلصوا الايمان والعمل لله وتابوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جلة هذه الامور تجري مجرى النصيحة لله ورسوله ﴿ ماعلى المحسنين من سبيل ﴾ أى ليس على من أحسن فنصحه لله ورسوله في تخلفه عن الجهاد بمذراً باحه الشارع طريقاً يتطرق عليه فيعاقب عليه والمعنى انه سد باباً حسن طريق العقاب عن نفسه ويستنبط من قوله ماعلى المحسنين من سبيل ان كل مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله مخلصاً من قلبه ليس عليه سبيل في نفسه وماله الا ما أباحه الشرع بدليل منفصل ﴿ والله غفور ﴾ يعنى لمن تخلف عن الجهاد بمذراً ظاهراً أباحه الشرع ﴿ رحيم ﴾ يعنى انه تعالى رحيم بجميع عباديه قال قتادة

بالنار ( ليس على الضعفاء ) الهري والزمنى ( ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ) هم الفقراء من مزينة وجهينة وبني عذرة ( مخرج ) اثم وضيق في التأخر ( اذا انصهوا لله ورسوله ) بان آمنوا في السر والعلن وأطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه ( ما على المحسنين ) المعذورين السامعين ( من سبيل ) أى لا جناح عليهم ولا طريق للعتاب عليهم ( والله غفور ) يغفر لهم تخلفهم ( رحيم ) ( ليس على الضعفاء ) من الشيوخ والزمنى ( ولا على المرضى ) من الشباب ( ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ) في الجهاد ( مخرج ) اثم بالتخلف ( اذا انصهوا لله في الدين ( ورسوله ) في السنة ( ماعلى المحسنين ) بالقول والفعل ( من سبيل ) من خرج ( والله غفور ) متجاوز لمن تاب ( رحيم ) لمن مات على التوبة

تيسين) اسبل (من الدمع حتى نالوا الجحودا) (مار عا ١٣ لب) نار اجدوا (ما ينفقون) في اجهاد (اعا السيل) الحرج

﴿ على الذين يستأذنونك وهم أغنياء ﴾ واجدون للآهبة ﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالب ﴾ استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدخلة والانتظام في جملة الخوالب إشاراً للدعة ﴿ وطبع الله على قلوبهم ﴾ حتى غفلوا عن وخامة العاقبة ﴿ فهم لا يعلمون ﴾ مغيبته

سبيل قال تعالى في حق من يعتذر ولا عذر له إنما السبيل يعني أنما تتوجه الطريق بالقوية ﴿ على الذين يستأذنونك ﴾ يا محمد في التخلف عنك والجهاد معك ﴿ وهم أغنياء ﴾ يعني قادرين على الخروج معك ﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالب ﴾ يعني رضوا بالدخلة والضعة والانتظام في جملة الخوالب وهم النساء والصبيان والعمود معهم ﴿ وطبع الله على قلوبهم ﴾ يعني ختم عليها ﴿ فهم لا يعلمون ﴾ ما في الجهاد من الخير في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فالفوز بالغنمة والظفر بالعدو وأما في الآخرة فالثواب والنعم الدائم الذي لا ينقطع

على الذين يستأذنونك ( في التخلف ( وهم أغنياء ) وقوله ( رضوا ) استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء قليل رضوا ( بأن يكونوا مع الخوالب ) أي بالانتظام في جملة الخوالب ( وطبع الله على قلوبهم ) فهم لا يعلمون

( على الذين يستأذنونك ) بالتخلف ( وهم أغنياء ) بالمال عبدالله بن أبي وجد بن قيس ومعتب ابن قشير وأصحابهم نحو سبعين رجلاً ( رضوا بأن يكونوا مع الخوالب ) مع النساء والصبيان ( وطبع الله ) ختم الله ( على قلوبهم ) فهم لا يعلمون ( أمر الله ولا يصدقون







الحمد لله الذي هدانا لهذا

(يتذرون اليكم) يعنيون  
لأنفسهم عذرا باطلا  
(أذا رجعت إليهم) من هذه  
السفرة (قل لا تعتذروا)  
بالباطل (لن يؤمن لكم)  
لن تصدقكم وهو علة لهم  
عن الاعتذار لأن غرض  
المعذر أن يصدق فيما  
يعتذره (قد نبأنا الله من  
أخباركم) علة لا تنصاه  
تصدقهم لأنه تعالى إذا  
أوحى إلى رسوله الإعلام  
بأخبارهم وما في ضمائرهم  
لم يسقم مع ذلك تصديقهم  
في ما ذكروا (وسر الله إليكم  
ورسوله) أننبون أم يتوبون  
على كفركم (ثم تردون إلى  
عالم الغيب والشهادة)  
أي تردون إليه وهو عالم كل  
سر وعلاية (فينبئكم بما  
كنتم تعملون) فيجازيكم  
على حسب ذلك

يتذرون اليكم في العاصف إذا رجعت إليهم من هذه السفرة هل لانه ذروا  
بالمعذرات الكاذبة لانه ان يؤمن لكم لن تصدقكم لانه قد نبأنا الله من أخباركم  
اعلمنا لوحي إلى نبيه بعض أخباركم وهو في ضمائرهم من الشر والفساد وسير الله  
عليكم ورسوله أسيدون عن الكفر أم يتوبون عليه مكانه استأنا وأهمل لا و  
تردون إلى عالم الغيب والشهادة أي إلى ما نوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على  
أنه مطاع على سرهم وعلمهم لأنفوت عن علمي من ضمائرهم وأعلمهم هر فينبئكم  
بما كنتم تعملون بالأنبياء والعقاب عليه

قوله سبحانه وتعالى يتذرون اليكم إذا رجعت إليهم يعني ما ذكروا هؤلاء  
المساقون المخلفون عنك ما عهدت إليهم وأما ذكره بالنظر إلى ما سطره على الله  
عليه وسلم ويحتمل أنهم اعتذروا إلى الله تعالى بهذا قال تعالى يتذرون اليكم يعني  
بالاعتذار الباطل الكاذب إذا رجعت إليهم يعني من سفرهم هل أي قل لهم ما عهدت  
لهم لا تعتذروا بل البتة روي أن المنافقين الذين يخافون عذابي العظيمين  
بصفة وتمازين فقال الله تعالى قل لا تعتذروا لن يؤمن لكم يعني ما ذكروا  
أما ذكروا من أخباركم من أخباركم من أخباركم من أخباركم من أخباركم  
الله عليكم ورسوله يعني في المسألة أنتب أنتم من نفاقكم أم تصفون عليه ودل  
أنهم وعدوا بأن يصروا المؤمنين في المستقبل فلهذا قل وسير الله عليكم ورواه  
شون بما فهم أم لا ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم  
تعملون لانه هو المطاع على ما في ضمائرهم من الحيات والكذب والخلاف الو قوله

(يتذرون اليكم إذا  
رجعتهم) من غزوة تبوك  
(إليهم) إلى المدينة فلم  
تقدروا أن تخرجوا معكم (هل)  
يا محمد لهم (لا تعتذروا)  
بالخلف (لن يؤمن لكم)  
لن تصدقكم بما تقولون  
من العليل (قد نبأنا الله)  
أخبارنا الله (من أخباركم)  
من أسراركم ونفائسكم  
(وسير الله عليكم ورسوله)

بمد ذلك أن يتب (ثم تردون) في الآخرة (إلى عالم الغيب) ما نبت عن العباد و إلى الغيب ما لم يعلم العباد (عن)  
ويقال ما يكون (والشهادة) ما علمه الساد ويقال ما كان (تمنيتكم) فكم (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخير

(سَيُخْلَقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ تُعْرَضُونَ عَنْهُمْ) تتركوهم ولا توبخوهم (فَلَا تُعَاتِبُوهُمْ) فاعرضوا عنهم (وَمَا وَاهِمٌ جَهَنَّمُ) وما واهم جهنم (وَمَصِيرُهُمُ) مصيرهم (الباريقي) وكهفهم النار عتايها وتوبيخها فلا تتكلفوا عتابهم (جزاء بما كانوا يكسبون) أى يحجزون جزاء كسبهم (يُخْلَقُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ) (يُخْلَقُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ) أى غرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك فى دنياهم (فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أى فان رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه وان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنكم ان يلبسوا على الله فلا بهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهى عن الرضى عنهم والاعتذار بما ذرهم بسد الاعراض وعدم الالتفات نحوهم (الاعراب) اهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من اهل الحضر لوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل

(وما واهم جهنم) وما واهم جهنم (وَمَصِيرُهُمُ) مصيرهم (الباريقي) وكهفهم النار عتايها وتوبيخها فلا تتكلفوا عتابهم (جزاء بما كانوا يكسبون) أى يحجزون جزاء كسبهم (يُخْلَقُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ) (يُخْلَقُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ) أى غرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك فى دنياهم (فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أى فان رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه وان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنكم ان يلبسوا على الله فلا بهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهى عن الرضى عنهم والاعتذار بما ذرهم بسد الاعراض وعدم الالتفات نحوهم (الاعراب) اهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من اهل الحضر لوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل

عز وجل (سَيُخْلَقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ) يعنى اذا رجعت من سفركم اليهم يعنى الى المتخلفين بالمدينة من المنافقين (لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ) يعنى لنعرضوا عنهم ولا تؤنبوهم ولا توبخوهم بسبب تخلفهم (فَاعْرَضُوا عَنْهُمْ) يعنى صدعوهم وما اخبروا لانفسهم من الفاق وقيل يريد ترك الكلام يعنى لا تكلموهم ولا تجالسوهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال اهل المعاني ان هؤلاء المنافقين طلبوا اعراض العشق فاعطوا اعراض المقت ثم ذكر العلة فى سبب الاعراض عنهم فقال تعالى (إِنَّهُمْ رَجَسٌ) يعنى ان بواطنهم خبيثة بحسبة وأعمالهم قبيحة (وَمَا وَاهِمٌ جَهَنَّمُ) يعنى مسكنهم فى الآخرة (جَهَنَّمُ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يعنى من الاعمال الخبيثة فى الدنيا قال ابن عباس نزلت فى الجدين قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين سلا من المنافقين فقال صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت فى عبد الله بن أبى لهب لآتى صلى الله عليه وسلم بالله الذى لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بدارها وطلب من ابي صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه فانزل الله عز وجل هذه الآية والى بعدها محاذون لكم لترضوا عنهم (يعنى محاب لكم هؤلاء المنافقون لترضوا عنهم) فان ترضوا عنهم يعنى فان رضيت عنهم أيها المؤمنون بما حاقوا اكم وقبائحهم بذرهم (فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) يعنى انه سبحانه وتعالى يعلم ما فى قلوبهم من الفاق والشك ولا يرضى عنهم أبدا وقوله سبحانه وتعالى (الاعراب أشد كفرا ونفاقا) نزلت فى سكان البادية يعنى اهل البدو أشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر قال اهل اللغة يقال رجل عربى اذا كان نسيا فى العرب وجمد العرب ورجل أعرابى اذا كان بدويا بطابع مساط الفيت والكلا ويجمع الاعرابى على الاعراب والاعراب

وسيلون من الشر (يُخْلَقُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ) بالحق (فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) (الاعراب) أشد كفرا ونفاقا) هم أشد على الكفر والفاق من

وسيلون من الشر (يُخْلَقُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ) بالحق (فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) (الاعراب) أشد كفرا ونفاقا) هم أشد على الكفر والفاق من



وَيُحْتَمَلُ مَا يَنْفَقُ قُرْبَاتِ عَدَالَتِهِ (قُرْبَاتِ) أَسْبَابُ الْقُرْبَةِ (عِنْدَ اللَّهِ) وَهُوَ مَقْبُولٌ أَنْ يَتَقَبَّلَ صَلَوَاتُ الرَّسُولِ  
لأنه عليه السلام كان يدعو للتصدقين ﴿ ١٨٣ ﴾ بالخير والبركة { سورة براءة } ويستغفر لهم كقوله

صل على آل أبي أوفى (أ) أنها) ان الفقة أو صلوات الرسول (قربة لهم) قربة نافع وهذا شهادة من الله للمصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرق التثنية وإحقيق المؤذين نبات الامر ونمكته وكذلك (سيدخلهم الله في رجنه) جنته وما في السب من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله عن المصدقين وان الصدقة منه يمكن اذا خاضت النية من صاحبها (ان الله غفور) يسترعي الخلل (رحيم) يقبل جهد المقل (والسابقون) مبتدأ (الاولون) صفاتهم (من المهاجرين) يبين اهمهم وهم الذين صلوا الى القلبين أو الذين شهدوا بدرأ أو بيمه الرشوان (والانصار) والهلان (وتحتمل) وفق في الجهاد (قربات عند الله) قربة الى الله في الدرجات (وصلوات الرسول) دماء الرسول (ألا انها) نعت

وتحتمل ما نفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثان مفعولي يتخذ وعند الله صفتها وظرف ليتخذ وصلوات الرسول سبب صلواته لأنه صلى الله عليه وسلم كان يدعو للتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للتصدق عليه ان يدعو للتصدق عند اخذ صدقه لكن ليس له ان يصل عليه كاقال عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل أبي أوفى لأنه منصب فلان يفضل به على غيره إلا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة مستقدم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التثنية وان الحقيقة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش قربة بضم الراء سيدخلهم الله في رجنه وعدلهم بأحاطة الرحمة عليهم والسين تحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم ثمره قبل الاولى في اسد وغطقان وبين تيم والثانية في عبدالله ذي الجهادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القلبين أو الذين شهدوا بدرأ أو الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار واهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل بيعة العقبة الثانية

رسول الله صلى الله عليه وسلم أرايتم ان كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيرا من بني عيم وبني أسد وبني عبدالله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة فقال رجل خابوا وخسروا قال نعم هم خير من بني عيم وبني أسد وبني عبدالله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة وفي رواية أن الامر عن بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم اتعاباك سراق الحجاج من أسد وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرايت ان كان أسد وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة خيرا من بني عيم وبني عامر وأسد وغطفان قال خابوا وخسروا قال نعم (ق) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسلم سالما الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم في رواية لها ما نالها أفعال لكن الله تالها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش والانصار وجهينة ومزينة وأسلم وأنجع وغفار موالى للنس لهم مولى دون الله ورسوله وقوله سبحانه وتعالى ويتخذ ما نفق قربات عند الله جع قربة أي طلب بما نفق القربة الى الله تعالى وصلوات الرسول سبب وغبون في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومعه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى إلا انها قربة لهم يحتمل ان يعود الضمير في أنها الى صلوات الرسول ويحتمل أن يعود الى الاتفاق وكلاهما قربة لهم عند الله وهذه شهادة من الله تعالى للمؤمن المنعدين بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات الرسول له من عند الله لان الله سبحانه وتعالى أكد ذلك بحرف التثنية وهو قوله تعالى لا وبمحرف المحقق وهو قوله تعالى أنها قربة لهم سيدخلهم الله في رجنه وهذه النعمة هي أقصى

مراده (أ) انهم المؤمنون المخلصون في سبيله (رحيم) مذكور

الله في رجنه (ق) ج (أ) الله غفور (مجاوز) رحيم (لن تاب) والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار

عطف على المهاجرين أى  
ومن الانصار وهم أهل  
بيعة العقبة الاولى وكانوا  
سبعة نفر وأهل العقبة  
صلوا الى قبلتين وشهدوا  
بندرا

(٧) قوله: عر المعداد حيا  
حسبه والسادس عته بن عامر  
كافي المواهب. قوله في الهامس  
سبعة تبع فيه الكشاف وهو  
خالف لما في المواهب وماها  
ا

اتبعوهم باحسان) من المهاجرين والانصار فكانوا سائر الصحابة وقبل هم الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة والحير (رضي الله عنهم) باعمالهم الحسنة (ورضوا عنه) بما أفاض عليهم من نعمه الدينية والدنيوية (وأعدلهم) عطف على رضى (جنت تجري تحتها الانهار) من تحتها مكي (خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ومن حواكمهم) حول بادتكم وهي المدينة (من الاعراب منافقون) وهم جهينة

(والذين اتبعوهم باحسان) بأداء الفرائض واجبات المعاصي الى يوم القامة (رضي الله عنهم) باحسانهم (ورضوا عنه) بالثواب والكرامة (وأعدلهم جنت) ساتين (تجري تحتها) من تحت شجرها وماكنها (الانهار) أنهار الماء والحر والصل والابن (خالدين فيها) مقيمين في الجنة لا يرتون ولا يخرجون منها (أبدا ذلك) الرصوان والجنان (الفوز العظيم) النجاة الوافرة (ومن حواكمهم من الاعراب) أعدو وغطفان (منافقون)

بالرفع عطفا على والسابقون ﴿ والذين اتبعوهم باحسان ﴾ اللاحقون بالسابقين من النبيين أو من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة ﴿ رضي الله عنهم ﴾ بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ﴿ ورضوا عنه ﴾ بما أفاض لهم نعمته الدينية والدنيوية ﴿ وأعدلهم جنت تجري تحتها الانهار ﴾ وقرأ ابن كثير من تحتها الانهار كما هو في سائر المواضع ﴿ خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم ﴾ وعن حولكم ﴿ أي وعن حول بلدتكم يعني المدينة ﴾ من الاعراب منافقون ﴿ هم جهينة ومنينة واسلم

يده خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان من أهل المدينة وذلك ل أن ياجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ان الله سبحانه وتعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين بماذا سبقوا فيقول اللفظ بجلا فلمات تعالى من المهاجرين والانصار ووصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا وجب صرف اللفظ الجمل اليه وهو الهجرة والنصرة والذي يدل عليه أيضا أن الهجرة طاعة عظيمة ومربية عالية من حيث ان الهجرة أمر شاق على النفس لمفارقة الوطن والشيرة وكذلك النصره فأنها مربية عالية ومنقبة شريفة لأنهم نصرروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه وآووه وواسوه وآووا أصحابه وواسوهم فلذلك أنى الله عز وجل عليهم ومدحهم فقال سبحانه وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ﴿ تولاه عز وجل ﴾ والذين اتبعوهم باحسان ﴿ قيل هم بنية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين على هذا القول كون الجمع من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والانصار في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال عطاءهم الذين يذكرون المهاجرين والانصار فترجون عليهم ويدعون لهم ويذكرون بحسنهم (ق) عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد فرقة فرنين أو ثلاثة (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو ان احدا وفي رواية أحدكم أففق مثل أحد ذهب ما بلغ مدأ أحدهم ولا نصيفه أراد بالقرن في الحديث الاول أصحابه والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلفوا في مدته من الزمان فقيل من عشرين الى عشرين وقيل من مائة الى مائة وعشرين سنة والمد المذكور في الحديث الثاني هو ربع صاع والصيب نصفه والمعنى أو أن أحدا عمل مهما قدر عليه من اعمال البر والانفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر السير التافه من أعمال الصحابة وانقاتهم لأنهم أنفقوا وبذوا الجهد وفي وقت الحاجة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴿ يعني رضي الله عن أعمالهم ورضوا عنه بما حازهم عليها من الثواب وهذا اللفظ عام ادخل فيه كل الصحابة ﴿ وأعدلهم جنت تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ومن حواكمهم من الاعراب ﴿ منافقون ﴾ ذكر جماعة من المفسرين المأخوذ من المعنى والى معنى ابن ابي ربيعة من الاعراب منينة

وأسلم وأشجع وغفار كانوا { الجزء الحادي عشر } نازلين حولها ﴿ ١٨٦ ﴾ (ومن أهل المدينة) عطف على-

وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها ﴿ ومن أهل المدينة ﴾ عطف على بمن حولكم  
أو خسر المحذوف صفته ﴿ مردوا على النفاق ﴾ ونظيره في حذف الموصوف  
واقامة الصفة مقامه قوله

أنا ابن جلا وطلاع الثلثاء \* متى اضحى السمامة تعرفوني  
وعلى الاول حصة للمناققين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر أو كلام مبتدأ لبيان  
تفرغهم وتفرغهم في النفاق ﴿ لا تعلمهم ﴾ لا تعرفهم بأعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وثوقهم  
في تحامي مواقع النهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك ﴿ نحن  
نعلمهم ﴾ ونطلع على اسرارهم ان قدروا أن يابسوا عليك لم يقدروا أن يلبسوا علينا  
﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ بالفضيحة والقتل أو ياحدهما وعذاب القبر أو باخذ الزكاة ونهك  
الابدان ﴿ ثم يردون الى عذاب عظيم ﴾ الى عذاب النار

وجهمية وأشجع وغفار وأسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني ومن هؤلاء الاعراب  
منافقون وما ذكره مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهؤلاء القبل ومدحهم  
فان سمع نقل المفسرين فيحصل قوله سبحانه وتعالى ومن حولكم من الاعراب منافقون  
على التليل لان لفظة من للتبعض ويحمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بهم على الاكثر  
والاغلب وهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم وأما  
الطبري فانه أطلق القول ولم يعين احدا من القبائل المذكورة بل قال في تفسيره هذه الآية  
من القوم الذين حول مدينتكم أيها المؤمنون من الاعراب منافقون ومن أهل مدينتكم  
أيضا أمثالهم أقوام منافقون وقال البغوي ﴿ ومن أهل المدينة ﴾ من الاوس والخزرج  
منافقون ﴿ مردوا على النفاق ﴾ فيه تقديم وتأخير تقديره ومن حولكم من الاعراب  
ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق يعني سرنوا عليه يقال تمر فلان على ربه  
اذاعة أو تجبر ومنه الشيطان المارد وتمرد في معصيته أي سرن وثبت عليها وأدعا ولم يتب  
منها قال ابن اسحق لجواقيه وابوا غيره وقال ابن زيد أقاموا عليه ولم يتوبوا ﴿ لا تعلمهم ﴾  
يعني أنهم بانغوا في النفاق الى حيث أنك لا تعلمهم بالمجد مع صفاء خاطرك وإطلاء على الاسرار  
﴿ نحن نعلمهم ﴾ يعني لكن نحن نعلمهم لانه لا تخفى علينا خافية وان دقت ﴿ سنعذبهم مرتين ﴾  
اختلف المفسرون في العذاب الاول مع اتفاقهم على ان العذاب الثاني وعذاب القبر  
بدلين قوله ﴿ ثم يردون الى عذاب عظيم ﴾ وهو عذاب النار في الآخرة فثبت بهذا  
انه سبحانه وتعالى يعذب المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الآخرة  
أما المرة الاولى وهي التي اختلفوا فيها فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم  
خطيبا في يوم حجة فقال يا فلان فأنك منافق اخرج يا فلان فأنك منافق فخرج  
من المسجد أنا وساقضهم فهذا هو العذاب الاول والثاني هو عذاب القبر فان صح هذا  
القول فيحتمل أن يكون بعد أن أعلم الله حالهم وسماهم له لان الله سبحانه وتعالى قال  
لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم بعد ذلك أعلمهم بهم وقال مجاهد هذا العذاب الاول هو التل والسبي  
وهذا القول ضعيف لان أحكام الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنامير بما يقتلوا ولم  
يسبروا عن مجاهد رواية أخرى أنهم عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة المرة الاولى هي

والمبتدأ الذي هو بمن حولكم  
والمبتدأ منافقون ويحوز  
أن يكون جملة معطوفة على  
المبتدأ والخبر اذا قدرت  
ومن أهل المدينة قوم  
(مردوا على النفاق) أي  
تمهروا فيه على أن مردوا  
صفة موصوف محذوف  
وعلى الوجه الاول لا يخلو  
من أن يكون كلاما مبتدأ  
أو صفة للمناققين فصل بينها  
وبينه بمعطوف على خبره  
ودل على مهارتهم فيه بقوله  
(لا تعلمهم) أي يخفون  
عليك مع فطنتك وصدق  
فراستك لفرط تنوعهم  
في تحامي ما يشككك في  
أمرهم ثم قال (نحن  
نعلمهم) أي لا يعلمهم الا الله  
ولا يطاع على سرهم غيره  
لانهم يبتغون الكفر في  
سوءاء قلوبهم وبرزون  
لك ظاهرا كظاهرا المخلصين  
من المؤمنين (سنعذبهم  
مرتين) هما القتل وعذاب  
القبر أو الفضيحة وعذاب  
القبر أو أخذ الصدقات  
من أموالهم ونهك أبدانهم  
(ثم يردون الى عذاب  
عظيم) أي عذاب النار

ومن أهل المدينة) عبد الله  
ابن أبي واصل (مردوا)  
ثبتوا وجموا (على النفاق  
لا تعلمهم) لا تعلم نفاقهم  
(نحن نعلمهم) نعلم نفاقهم

(سنعذبهم مرتين) مرة عند قبض أرواحهم ومرة في القبور (ثم يردون الى عذاب عظيم) عذاب جهنم (الدبيلة)

﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾ ولم يستدروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين قرأهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا أن لا يحملوا أنفسهم حتى تحملهم فقال وأنا اقسم ان لا احملهم حتى

الدبيلة في الدنيا وقد جاء تفسيرها في الحديث بأنها خراج من نار تظهر في اكتافهم حتى تقم من صدورهم بمعنى تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى هي المصائب في الاموال والاولاد في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحق الاولى هي ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودنولهم فيه كرها غير حسبة والاخرى عذاب القبر وقيل احداهما ضرب الملائكة وجبرهم وادبارهم عند قبض ارواحهم والاخرى عذاب القبر وقيل الاولى احراق مسهم مسجد الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم وهو قوله سبحانه وتعالى ثم يردن الى عذاب عظيم يعني عذاب جهنم يخلدون فيه قوله عز وجل ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾ فيه قولان أحدهما انهم قوم من المنافقين تابوا من نفاقهم واخلصوا وحجة هذا لقول ان قوله تعالى وآخرون عطف على قوله ومن حولكم من الاعراب منافقون والطف موهم وبعضه ما نقله الطبري عن ابن عباس انه قال هم الاعراب والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرين أنها نزلت في جماعة من المسلمين من اهل المدينة تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختلف المفسرون في عددهم فروى عن ابن عباس انهم كانوا عشرة منهم أبو لبابة وروى عنه انهم كانوا خمسة أحدهم أبو لبابة وقال سعيد بن جبير وزيد بن أسلم كانوا ثمانية أحدهم أبو لبابة وقال قتادة والضحكة كانوا سبعة أحدهم أبو لبابة وقيل كانوا ثلاثة أبو لبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثلبة ووديدة بن حزام وذلك انهم كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا أكون من الضلال ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الجهاد واللاواء فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى فلانطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويسد لنا فربطوا أنفسهم في سوارى المسجد فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم سربهم فرأهم فقال من هؤلاء فقالوا هؤلاء الذين تخلفوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى اومر باطلاقهم رغبا وعنى وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الآية فامرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فاطلقهم وعذرهم فلما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك خذها فنصدق بها وعتا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امرت ان آخذ من أموالكم شيئا فانزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الآية وقال قوم نزلت

(وآخرون) أي قوم آخرون سوى المذكورين (اعترفوا بذنوبهم) أي لم يستدروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بانهم بشئ ما فعلوا فادمن وثابوا عشرة فسيعة منهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين اوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر قرأهم موثقين فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا أن لا يحملوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحملهم فقال وأنا اقسم أن لا احملهم حتى اومر فيهم ففزل فاطلقهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فنصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من أموالكم شيئا فنزل خذ من أموالهم صدقة

(وآخرون) ومن اهل المدينة قوم آخرون وديعة ابن جذام الانصاري وابو لبابة بن عبد المنذر الانصاري وأبو ثلبة (اعترفوا) أقروا (بذنوبهم) بتخلفهم عن غزوة



او من فيهم قزلت قاطعتهم ﴿ خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ﴾ خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف ومواقفة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كافي قولهم بعت النساء

هذه الآية في أبي لبابة خاصة واختلفوا في ذنبه الذي تاب منه فقال مجاهد نزلت في أبي لبابة حين قال لبني قريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح وأشار الى حلقه فتدم على ذلك وربط نفسه بسارية وقال والله لا امل نفسي ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فبكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خرم شيئا عليه فانزل الله هذه الآية فقل له قد تيب عليك قال والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يماني فجاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فله عليه وسلم فله عليه وسلم فقال أبو لبابة يا رسول الله ان من توبني اذ أهرجدار قومي التي أصبت فيها الذنب وان أنخلع من مالي كله صدقة الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يحزبك الثالث يا أبا لبابة قالوا جيئافاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث أموالهم وترك لهم الثلث لان الله سبحانه وتعالى قال خذ من أموالهم ولم يقل خذ أموالهم لان افضة من تقتضي النقيض وقال الحسن وقتادة وهؤلاء سون الثلاثة الذين تخلفوا وسيأتي خبرهم وأما تفسير الآية فقوله تعالى وآخرون اعتفوا بذنوبهم قال اهل المعاني الاعتراف عبارة عن الاقرار بالشئ ومعناه انهم أفروا بذنوبهم وقده دقيقة وهي انهم لم يشكروا عن تخلفهم باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين ولكن اعتفوا على أنفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قلت الاعتراف بالذنب هل يكون توبة أم لا قلت مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن الاعتراف بالندم على الماضي من الذنب واستعزم على تركه في المستقبل يكون ذلك الاعتراف والندم توبة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ﴿ قيل أراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيئ هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سائر الفزوات والسيئ هو تخلفهم عنه في غزوة تبوك وفيل ان العمل الصالح بمع جميع أعمال البر والطاعة والسيئ ما كان منه على هذا تكون الآية في حق جميع المسلمين والحل على العموم أولى وان كان السبب مخصوصا بمن تخاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وروى الطبري عن أبي عثمان قال ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الامة من قوله وآخرون اعتفوا بذنوبهم فان قلت قد جعل كل واحد من العمل الصالح والسيئ خلطا فاخلولوا به قلت ان الخلط عبارة عن الجمع المطلق فاما قولك خاطئه فانما يحسن في الموضع الذي يخرج كل واحد من الخاطئين بالآخر ويتغير به عن صفته الاصلية كقولك خلطت الماء باللبن وخاطت الماء واللبن فتتوب الواو عن الباء فيكون معنى الآية على هذا خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ذكره غالب المفسرين واذكره الامام فخر الدين الرازي وقال اللائق بهذا الموضع الجمع الطاق لان العمل الصالح والعمل السيئ اذا حصل ما يبي كل واحد منهما على حاله كما هو

( خلطوا عملا صالحا )  
خروجوا الى الجهاد ( وآخر )  
سيئا ( تخلطوا عنه والتوبة )  
والاثم وهو من قولهم بعت النساء شاة ودرهما أي شاة بدرهم قالوا وبمحق الباء لان الواو للجمع والياء للالتصاق فينا سبار أو المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر فكل واحد منهما مخلوط ومخاطوبه كقولك خاطت الماء واللبن نريد خاطت كل واحد منهما بصاحبه بخلاف قولك خاطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا باللبن مخلوطا به واذا فاتته بالواو فقد جعلت الماء واللبن مخلولين ومخلوطا بهما كانك قات خلطت الماء باللبن

( خلطوا عملا صالحا ) خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم مرة ( وآخر سيئا ) تخافوا

شاة ودرهما أولدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر ﴿ عسى الله ان يتوب عليهم ﴾ ان يقبل توبتهم وهى مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ يتجاوز عن السائب ويتفضل عليه ﴿ خذ من اموالهم صدقة ﴾ روى انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فزلت ﴿ تطهرهم ﴾ من الذنوب او حب المال المؤدى بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتههم بالجزم جوا باللام ﴿ وتزكهم بها ﴾ وتمى بها حسناتهم وترفعهم الى

مذمبنا فان عندنا القول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم والعقاب فقوله سبحانه وتعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فيه تنبيه على فى القول بالمحاطة وأنه يقى كل واحد منهما كما كان من غير ان يتأثر أحدهما بالآخر فليس الا لجمع المطلق وقال الواحدى العرب تقول خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن كالتول جمت زيدا وعمرا والواو فى الآية أحسن من الباء لانه أريد معنى الجمع لاحقيقة الخلط الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيئ كما يختلط الماء باللبن لكن قد يجمع بينهما وقوله سبحانه وتعالى ﴿ عسى الله ان يتوب عليهم ﴾ قال ابن عباس وجهور المفسرين عسى من الله واجب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى فعسى الله ان يأتى بالفتح وقد فعل ذلك وقال أهل المعاني لفظة عسى هنا تفيد الطمع والاشفاق لانه أبعد من الاتكال والاهمال وقيل ان الله سبحانه وتعالى لا يحب عايه شئ بل كل ما يفعله على سبيل التفضيل والتطول والاحسان فذكر لفظة عسى التى هى للترجى والطمع حتى يكون العبد بين الترجى والاشفاق ولكن هو الى نيل ما يرجوه منه أقرب لانه ختم الآية بقوله ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ وهذا يفيد انجاز الوعد ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها ﴿ قال ابن عباس لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابابابة وصاحبه اطلق ابوباباة وصاحبه فاتوا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اموالنا وتصدق بها عنا وصل علينا يريدون استغفرنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آخذ شيئا منها حتى أوصى به فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة الآية وهذا قول زيد بن أسلم وسعيد ابن جبير وتادة والضحاك ثم اختتم العلماء فى المراد بهذه الصدقة فقال بعضهم هو راجع الى هؤلاء الذين تابوا وذلك انهم بذلوا اموالهم صدقة فوجب الله سبحانه وتعالى أخذها وصار ذلك معتبرا فى كمال توبتهم لتكون جارية بجرى الكفارة وأصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم وبذلوا الزكاة أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منهم وقال بعضهم ان الآية كلام مبتدأ والمقصود منها ايجاب أخذها من الاغنياء ودفعها الى الفقراء وهذا قول أكثر الفقهاء واستدلوا بها على ايجاب أخذ الزكاة أما جهة القول الاول فانهم قالوا ان الآيات لا بد وان تكون منتظمة

واللبن بالماء ( عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ) ولم يذكر توبتهم لانه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة ( خذ من اموالهم صدقة ) كفارة لذنوبهم وقيل هى الزكاة ( تطهرهم ) عن الذنوب وهو صفة لصدقة واتاء الخطاب أولية المؤنث والتاء فى ( وتزكهم ) للخطاب لاحالة ( بها ) بالصدقة والتزكية مبالغة فى التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الانماء والبركة

سرة ( عسى الله ) وعسى من الله واجب ( ان يتوب عليهم ) ان يتجاوز عنهم ( ان الله غفور ) لمن تاب منهم ( رحيم ) لمن مات على التوبة ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم ما يأخذ من اموالهم لقولهم خذ من اموالنا ما تخلفنا عن غزوة تبوك قبل الاموال فلم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم حتى بين الله له فقال ( خذ من اموالهم ) اموال المتخلفين ( صدقة ) ثلثا ( تطهرهم ) من الذنوب ( وتزكهم بها ) تصلحهم بها

منازل المخلصين **و** وصل عليهم **و** اعطف عليهم بالدعاء والا يستغفر لهم

متناسبة فلو جعلناها على أخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الآية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها  
ولان جمهور المفسرين ذكروا في سبب نزلها انها نزلت في شأن التائبين وأما أصحاب القول  
الاخير فاتهم قالوا المناسبة حاصلة أيضا على هذا التقدير وذلك أنهم لما تابوا وأخلصوا  
وأقروا أن السبب الموجب للتخلف هو حب المال أسروا باخراج الزكاة التي هي طهرة  
فلا أخرجوها علمت صحة قولهم وصحة توهمهم ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم  
فان قالوا ان الزكاة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد أخذ منهم ثلث أموالهم قلنا لا يمنع هذا  
صحة ما قلناه لانهم رضوا بهذا الثلث من أموالهم فلا يكونوا راضين باخراج الزكاة أولى ثم  
في هذه الآية أحكام الاول قوله سبحانه وتعالى خذ من أموالهم صدقة الخطايا فيه لنى صلى الله  
عليه وسلم أى خذ يا محمد من أموالهم صدقة كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذها منهم  
أيام حياته ثم أخذها من بعده الأئمة فيجوز للإمام أو نائبه ان يأخذ الزكاة من الأغنياء  
ويدفعها الى الفقراء الحكم الثانى قوله من أموالهم واقطعة من تقضى التبعيض وهذا البعض  
المأخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القرآن فليبق الا الصدقة التي بين رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قدرها وصفتها في أخذ الزكاة الحكم الثالث ظاهر قوله خذ من أموالهم صدقة  
يفيد الموم قجب الزكاة في جميع المال حتى في الديون وفي مال الزكاة الحكم الرابع ظاهر  
قوله تطهرهم ان الزكاة انما وجبت لكونها طهرة من الآثام وصدور الآثام لا يمكن حصولها  
الامن البالغ دون الصى فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون الصى وهذا قول  
أبي حنيفة ثم أحاب أصحاب الشافعى بأنه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم  
مطلقا وللعلماء في قوله سبحانه وتعالى تطهرهم أقوال الاول أن معناه خذ يا محمد من  
أموالهم صدقة فانك تطهرهم بأخذها من دنس الآثام القول الثانى أن يكون تطهرهم  
متعلقا بالصدقة تقديره خذ من أموالهم صدقة فانها طهرة لهم وانما حسن جعل الصدقة  
مطهرة لما جاء ان الصدقة من أوساخ الناس فاذا أخذ الصدقة فقد اندفعت تلك الأوساخ  
وكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله سبحانه وتعالى  
وتركهم بها منقطعا عن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من أموالهم صدقة تطهرهم  
تلك الصدقة وتركهم أنتباه القول الثالث أن تجعل التاء في قوله تطهرهم وتركهم  
ضمير المخاطب ويكون المعنى تطهرهم أنت يا محمد بأخذها منهم وتركهم أنت بواسطة تلك  
الصدقة القول الرابع أن معناه تطهرهم من ذنوبهم وتركهم يعنى ترفع منازلهم عن منازل  
المنافقين الى منازل الابرار المخلصين وقيل معنى وتركهم أى تنمى أموالهم بركة أخذها  
منهم الحكم الخامس قوله سبحانه وتعالى **و** وصل عليهم **و** ادع لهم واستغفر لهم لان أصل  
الصلاة في اللغة الدعاء قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه السنة للإمام اذا أخذ الصدقة  
أن يدعو للمتصدق فيقول آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما بقيت وقال بعضهم يجب  
على الامام ان يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب في صدقة الفرض  
ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطى وقال

في المال ( وصل عليهم )  
واعطف عليهم بالدعاء لهم  
وترحم والسنة ان يدعو  
المصدق لصاحب الصدقة  
اذا أخذها .

( وصل عليهم ) استغفر لهم  
وادع لهم

﴿ان صلواتك سكن لهم﴾ تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجسمها لتعدد المدحولهم، وقرأ جزء والكسائي وحفص بالتوحيد ﴿والله سمع﴾ باعتبارهم ﴿عليهم﴾ بنسبتهم ﴿ألم يعلموا﴾ الضمير اما الملتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم أو لغيرهم وللمراد به التخصيص عليهما ﴿ان الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ اذا صحت وتمديته بمن تضمنه معنى التجاوز ﴿ويأخذ الصدقات﴾ يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله

بعضهم يستحب أن يقول اللهم صل على فلان ويبدل عليه ماروى عن عبد الله بن أبي أوفى وكان من أصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فأما أبو أوفى بصدقة فقال اللهم صل على آل أبي أوفى أخرجاه في الصحيحين وقوله سبحانه وتعالى ﴿ان صلواتك﴾ وقرئ صلواتك على الجمع ﴿سكن لهم﴾ يعني أن دعاءك رجاء لهم وقال ابن عباس طمأنينة لهم وقيل ان الله قد قبل منهم وقال أبو عبيدة تبيت قلوبهم وقيل ان السكن ما سكنت اليه النفس والمعنى ان صلواتك توجب سكن نفوسهم اليها والمعنى ان الله قد قبل توبتهم أو قبل ذكائهم ﴿والله سمع﴾ يعني لا قوالهم أول دعائك لهم ﴿عليهم﴾ يعني بنياتهم ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ هذه صيغة استفهام الا أن المقصود منه التقرير فبشر الله عز وجل هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الآية ألم يعلم هؤلاء الذين تابوا ان الله تعالى يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالص وقيل ان المراد بهذه الآية غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك انه لما نزلت توبة هؤلاء التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فبالهم اليوم فانزل الله هذه الآية ترغيبا لهم في التوبة وقوله سبحانه وتعالى عن عباده قبل لا فرق بين عن عباده ومن عباده لا فرق بين قولك أخذت هذا العلم عنك أو منك وقيل بينهما فرق ولعل عن في هذا الموضع أبلغ لان فيه تبييرا بقبول التوبة مع تسهيل سبلها وقوله سبحانه وتعالى ﴿ويأخذ الصدقات﴾ يعني يقبلها ويثبت عليها وانما ذكر لفظ الاخذ ترغيبا في بذل الصدقة واعطائها الفقراء وقيل معنى أخذ الله الصدقات تضمنه الجزاء عليها ولما كان هو المجازي عليها والمثبت بها أسند الاخذ الى نفسه وان كان الفقير او السائل هو الآخذ لها وفي هذا تعظيم أمر الصدقات وتشريفها وان الله سبحانه وتعالى يقبلها من عبده المتصدق (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت ثمرة قتر بوفى كفى الرحمن حتى نكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فله أو فصيله لفظ مسلم وفي البخاري من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب وفي رواية ولاية سل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربى أحدكم فله حتى تكون مثل الجبل وأخرجه الترمذي ولفظه ان الله سبحانه وتعالى

(ان صلواتك) أى صلواتك  
كوفى غير أبى بكر قبل الصلاة  
كثرت من الصلوات لانها للجنس  
(سكن لهم) يسكنون اليه  
وتطمئن قلوبهم بان الله قد  
تاب عليهم (والله سمع)  
لدعائك أو سمع لاعتراقهم  
بذنوبهم ودعائهم (عليهم) بما فى  
ضمايرهم من الندم والغم  
لما فرط منهم (ألم يعلموا)  
المراد المتوب عليهم أى ألم  
يعلموا قبل أن يتاب عليهم  
وتقبل صدقاتهم (ان الله  
هو يقبل التوبة عن عباده)  
اذا صحت (ويأخذ الصدقات)  
ويقبلها اذا صدرت عن  
خلوص النية وهو  
للتخصيص أى ان ذلك  
ليس الى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم انما الله هو الذى  
يقبل التوبة ويردها

(ان صلواتك) استغفارك  
ودعائك (سكن لهم)  
طمأنينة لقلوبهم بان تقبل  
توبتهم (والله سمع) لقاتهم  
خدمنا أموالنا (عليهم)  
بتوبتهم ونياتهم (ألم يعلموا)  
ان الله هو يقبل التوبة عن  
عن عباده (من عباده) وبأخذ  
الصدقات) ويقبل الصدقات

فأقصده بها ووجهها إليه (وأن الله هو الثواب) كثير قبول التوبة (الرحيم) بقبول التوبة (الرحيم) لهؤلاء التائبين (اعلموا فيروا)  
الله عليكم ورسوله والمؤمنون) { الجزء الحادي عشر } أي فإن عليكم لا يخفى ﴿ ١٩٢ ﴾ خيرا كان أو شرا على الله وعباده

﴿ وان الله هو الثواب الرحيم ﴾ وان من شأنه قبول توبة التائبين والفضل عليهم ﴿ وقل اعلموا ﴾ ما شئتم ﴿ فسيرى الله عليكم ﴾ فانه لا يخفى عليه خيرا كان أو شرا ﴿ ورسوله والمؤمنون ﴾ فانه تعالى لا يخفى عنهم كارأيتهم وتبين لكم ﴿ وستردون الى عالم الغيب والشهادة ﴾ بالموت ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ بالمجازاة عليه ﴿ وآخرون ﴾ من المختلفين ﴿ مرجون ﴾ مؤخرون أي موقوف امرهم من أرجائه اذا اخرته وقرأ نافع وحزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لقتان ﴿ لاسر الله ﴾

يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيريها لاحدكم كاي ربي أحدكم فلو حتى القيمة لتعسير مثل جبل أحد وتصدق ذلك في كتاب الله سبحانه وتعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده وبأخذ الصدقات وعصى الله الربوا ويرى الصدقات وقوله من كسب طيب أي حلال وذكر اليمين والكف في الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله سبحانه وتعالى قد قبلها من المعطي لان من عادة الفقير أو السائل أخذ الصدقة بكفه اليمين فكان المنصديق قد وضع صدقته في القبول والاثابة وقوله فزبروا أي تكبر يقال زبرا الشيء يربو اذا زاد وكبر والقلو بضم الفاء وقصها لقتان المهرول ما يولد والفصيل ولد الناقة الى أن يفصل عنها ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ وان الله هو الثواب الرحيم ﴿ تأكيد لقوله سبحانه وتعالى ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وينبئكم بان الله هو الثواب الرحيم ﴿ قوله عز وجل ﴾ وقل ﴿ أي قل يا محمد لهؤلاء التائبين ﴿ اعلموا ﴾ بعنى الله بطاعته وأداء فرائضه ﴿ فسيرى الله عليكم ﴾ فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكأنه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله تعالى يرى اعمالكم ويجازيكم عليها ﴿ ورسوله والمؤمنون ﴾ يعنى ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أعمالكم أيضا لما رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فباطلاع الله اليه على اعمالكم وأما رؤية المؤمنين فبما يقذف الله عز وجل في قلوبهم من محبة الصالحين ومن المذنبين ﴿ وستردون الى عالم الغيب والشهادة ﴾ يعنى وسترجعون يوم القيامة الى من يعلم سرهم وعلائكم ولا يخفى عليه شئ من بواطنكم وظواهركم ﴿ فينبئكم ﴾ أي فيخبركم ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ يعنى في الدنيا من خيرا وشرا فيجازيكم على اعمالكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وآخرون مرجون ﴿ أي مؤخرون والارجاء التأخير ﴿ لاسر الله ﴾ يعنى لحكم الله فهم قال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى قسم المختلفين على ثلاثة أقسام أولهم المنافقون وهم الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه - والقسم الثاني التائبون وهم الذين سارعوا الى التوبة بعدما اعترفوا بذنوبهم وهم أبو لبابة وأصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ومؤخرون الى أن يحكم الله تعالى فيهم وهم المراد بقوله وآخرون مرجون لاسر الله والفرق بين القسم الثاني والقسم الثالث ان القسم الثاني سارعوا الى التوبة

كما رأيت وتبين لكم أو غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روى انه لما نيت عليهم قال الدين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون قالهم فزلت وقوله تعالى فسيرى الله وعيد لهم ونحذر من ماقبة الاصرار والذهول عن التوبة (وستردون الى عالم الغيب) ما يغيب عن الناس (والشهادة) ما يشاهدونه (فينبئكم بما كنتم تعملون) تنبئة تكبر ومجازاة عليه (وآخرون مرجون لاسر الله) خيرهم مذني وكوفي غير أي بكر مرجون غيرهم من أرجيته وأرجائه اذا اخرته ومنه المرجئة أي وآخرون من المختلفين موقوفون الى أن يظهر (وان الله هو الثواب) المتجاوز (الرحيم) لمن تاب (وقل) لهم يا محمد (اعلموا) خيرا بعد التوبة (فسيرى الله) عليكم ورسوله ويرى الله ورسوله (والمؤمنون) ويرى المؤمنون (وستردون) بعد الموت (الى عالم الغيب) ما غاب عن الابد ويقال

ما يكون (والشهادة) ما علمه الابد وقال ما كان (فينبئكم) يخبركم (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخير والشر (فآياتهم) (واخرون) وقوم آخرون من أهل المدينة كتب بن مالك وحرارة بن الربيع وهلال أمية (مرجون لاسر الله) موقوفون عودون

أمر الله فيهم (أما يذهبهم) أن أصروا ولم يوبوا (وأما يتوب عليهم) أن تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية وسراوة بن الربيع والضابط مكة تخلفوا عن غزوة تبوك وهم الذين ذكروا في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا (والله عليهم) برجائهم (حكيم) في أراجهم وأما اللشك وهو راحع إلى العباد أي خافوا عليهم المذاب وأرجوا لهم الرحمة وروى أنه عليه السلام أمر أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شد أنفسهم على السواري وأظهروا الجزع والغم فلما علوا أن ١٩٣ أحدا لا ينظر إليهم سورة برامة فوضوا أمرهم إلى الله

وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله (والذين اتخذوا مسجدا) تقديره ومنهم الذين اتخذوا الله بن عمرو بن عبد مناف وشاعى وهو مبتدأ خبره محذوف أى حازيناهم روى أن بنى عمرو ابن عوف لما بنوا مسجد قباء بشوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأنهم فأنهم فصلى فيه فحسدتهم أخوانهم بنو غنم بن عوف وقالوا بنى مسجدا ونرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ويصلى فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام وهو الذى قال لرسول الله عليه السلام يوم أحد لا أجد قوما يقاوتوك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاوتله إلى يوم حنين فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء وقالوا لئن صلى الله عليه وسلم بيننا مسجدا لذى العلة والحاجة ونحن نحب أن تصلى لنا فيه فقال

في شأنهم (أما يذهبهم) أن أصروا على النفاق (وأما يتوب عليهم) أن تابوا والزيد للعباد وفيه دليل على أن كلا الأمرين بإرادة الله تعالى (والله عليهم) أحوالهم (حكيم) فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد هؤلاء كعب ابن مالك وهلال بن أمية وسراوة بن الربيع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك أخلصوا نياتهم ووضوا أمرهم إلى الله فرحمهم الله تعالى (والذين اتخذوا مسجدا) عطف على وآخرون مرجون أو مبتدأ خبره محذوف أى وفين وصفا للذين اتخذوا أو منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بشيروا (ضرارا) مضارة للمؤمنين روى أن بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتهم فأنهم فصلى فيه فحسدتهم أخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد أن يؤمهم فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام فلما اتعوه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنا قد بيننا مسجدا لذى الحاجة والعلة والليله المطيرة والشاتية فصل فيه حتى تتخذ مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بكاء بن الدخشم ومن بن عدى وعامر بن السكن والوحشى فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا واتخذ مكانه كناسة (وكفرا)

فقبل الله توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا إلى التوبة فاخر الله أمرهم نزلت هذه الآية في الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية وسراوة بن الربيع وستأتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك أنهم لم يبالقوا في التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من أهل بدر فجعل بعض الناس يقول هل كانوا وبعضهم يقول عسى الله أن يتوب عليهم ويفقر لهم وهو قوله سبحانه وتعالى (أما يذهبهم) (أما يتوب عليهم) يعنى أن أمرهم إلى الله تعالى أن شاء عندهم بسبب تخلفهم وإن شاء غفر لهم وعفا عنهم (والله عليهم) يعنى بما فى قلوبهم (حكيم) يعنى بما يقضى عليهم قوله سبحانه وتعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا)

أتى على جناح سفروا إذا قدم من تبوك (قا و خا ٢٥ لث) أن شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه آتيان المسجد فنزلت عليه فقال لو حشى قاتل حزة ومن بن عدى وغيرهما انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الحليف والقمامة ومات أبو عامر بالشام (ضرارا) مفعول له وكذا ما بعده أى مضارة لأخوانهم أصحاب مسجد قباء (وكفرا)

أنفسهم لأمر الله (أما يذهبهم) يخلفهم عن غزوة تبوك (وأما يتوب عليهم) تجاوز عنهم تخلفهم (والله عليهم) توبتهم وتخلفهم (حكيم) فها حكم عليهم (والذين اتخذوا) بنوا (مسجدا) عبد الله بن أبى وجدة بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهم نحو سبعة عشر رجلا (ضرارا) مضرة للمؤمنين (وكفرا) فى قلوبهم

وتقوية للكفر الذي يظفرونه ﴿ وتفرقنا بين المؤمنين ﴾ يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قباء ﴿ وارصادا ﴾ ترقبا ﴿ لمن حارب الله ورسوله من قبل ﴾ يعني الراهب فإنه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين حتى انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليماني من قيصر يحنوه يحارب بهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل مشلق يحارب أو يتخذوا أى اتخذوا مسجدا من قبل ان يوافق هؤلاء بالخفاف لما روى انه بنى قبيل غزوة تبوك فقالوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيه فقال انا

نزلت في جماعة من المناقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وكانوا اثني عشر رجلا من أهل النفاق ودية بن ثابت وخادم بن خالد ومن داره أخرج هذا المسجد وملبة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناء مجمع وزيد ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وأبو حبيبة بن الازهر ونبتل بن الحرث وبجناد بن عثمان وبمخرج بنوا هذا المسجد ضاررا بمعنى مضارة للمؤمنين وكفرا يعني ليكفروا فيه بالله ورسوله ﴿ وتفرقنا بين المؤمنين ﴾ لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلى فيه بعضهم فيؤدى ذلك الى الاختلاف واقتراق الكلمة وكان يصلى بهم فيه مجمع بن جارية وكان شابا يقرأ القرآن ولم يدر ما أرادوا ببنائه فلما فرغوا من بنائه أنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله اناهد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة واليلة المطيرة واليلة الشامية وانما يحب أن تأتينا وتصلى فيه وتدعو بالبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا فيه وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وارصادا لمن حارب الله ورسوله ﴾ يعني أنهم بنوا هذا المسجد للضرار والكفر وبنوه ارسادا يعني انتظارا واعدادا لمن حارب الله ورسوله ﴿ من قبل ﴾ يعني من قبل بناء هذا المسجد وهو أبو عامر الراهب والد حنظلة غيل الملائكة وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له أبو عامر ما هذا الدين الذي جئت به فقال له النبي صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين ابراهيم فقال أبو عامر فانا عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال أبو عامر بلى ولكنك أدخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها ببيضاء نقية فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غربيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين

وتقوية للنفاق (وتفرقنا بين المؤمنين) لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فارادوا ان يفرقوا عنه وتختلف كلمتهم (وارصادا لمن) واعدادا لاجل من (حارب الله ورسوله) وهو الراهب أعدوه ليصلى فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد يبنى مباهاة أو رياء أو سمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو بحال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار (من قبل) مطلق يحارب أى من قبل بناء هذا المسجد يعني يوم الحندق

ثباتا على كفرهم يعني النفاق (وتفرقنا بين المؤمنين) لكي يصلى طائفة في مسجدهم وطائفة في مسجد الرسول (وارصادا) انتظارا (لمن حارب الله ورسوله) لمن كفر بالله ورسوله (من قبل) من قبلهم أبو عامر الراهب الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسقا

على جناح سفروا إذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فترلت ﴿ وليلحن ان اردنا  
الا الحسنى ﴾ ما اردنا ببناءه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهى الصلاة والذكر  
والتوسعة على المسلمين ﴿ والله يشهد انهم لكاذبون ﴾ فى حلقهم ﴿ لا تقم فيه ابدا ﴾

(ويلحن) كاذبين  
(ان اردنا الا الحسنى)  
ما اردنا ببناء هذا المسجد  
الا الخصلة الحسنى وهى  
الصلاة وذكر الله والتوسعة  
على المسلمين (والله يشهد  
انهم لكاذبون) فى حلقهم  
(لا تقم فيه ابدا) للصلاة

(ويلحن ان اردنا) ما اردنا  
بناء المسجد (الا الحسنى)  
الا الاحسان الى المؤمنين  
لكي يصلى فيه من فاته صلاته  
فى مسجد قباء (والله يشهد  
يعلم انهم لكاذبون) فى حلقهم  
(لا تقم فيه) لا تصل فى مسجد  
الشقاق (ابدا)

وسمى الناس ابا عامر الفاسق فلما كان يوم اُحد قال أبو عامر الفاسق للنبي  
صلى الله عليه وسلم لا أجسد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك  
الى يوم حنين فلما انتهزت هوازن ينس أبو عامر وخرج هاربا الى الشام وأرسل  
الى المنافقين ان استمدوا واستطعن من قوة وسلاح واينوا الى مسجد فاني ذاهب الى قصر  
ملك الروم فاتى بجند من الروم فاخرج محمدا واصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد  
قباة فذلك قوله سبحانه وتعالى وارصادا يعنى انتظار لمن حارب الله ورسوله يعنى ابا عامر  
الفاسق ليصلى فيه اذا رجع من الشام من قبل يعنى ان ابا عامر الفاسق حارب الله  
ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار ﴿ وليلحن ﴾ يعنى الذين بنوا المسجد  
﴿ ان اردنا ﴾ يعنى ما اردنا ببناءه ﴿ الا الحسنى ﴾ يعنى الا الخصلة الحسنى وهى الرقى بالمسلمين  
والتوسعة على اهل الضعف والجزع عن الصلاة فى مسجد قباء أو مسجد الرسول صلى الله  
عليه وسلم ﴿ والله يشهد انهم لكاذبون ﴾ يعنى فى قلوبهم وخلفهم روى أن النبي صلى الله  
عليه وسلم لما انصرف من تبوك راجعا نزل بذي أوان وهو موضع قريب من المدينة  
فأتاه المنافقون وسألوه ان يأتى مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتهم فانزل الله هذه الآية  
وأخبره خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن  
الدخشم ومعن بن عدي وطاس بن السكن ووحشي فقال لهم اطلقوا الى هذا المسجد الظالم  
أهله فاحرقوه وأحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بنى سالم بن عوف وهم رهط  
مالك بن الدخشم فقال مالك أنظرونى حتى أخرج اليكم بنار فدخل أهله فأخذ  
من سفن النخل فاشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فاحرقوه  
وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك الموضع  
كناسة تلقى فيها الجيف والتن والقمامة ومات أبو عامر الراهب بالشام غربيا وحيدا  
وروى ان بنى عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباء أتوا عمر بن الخطاب فى خلافة  
فسألوه ان يأذن لجمع بن جارية ان يؤمهم فى مسجدهم فقال لا ونعمة عين أليس هو  
امام مسجد الضرار قال بجمع يا أمير المؤمنين لا تجل على فوالله لقد صليت فيه وأنا لا أعلم  
ما أضروا عليه ولو علمت ما صليت معهم فيه وكنت غلاما قارئاً للقرآن وكانوا شيوخا  
لا يقرؤن فصليت بهم ولا أحسب الا أنهم يتقربون الى الله ولم أعلم ما فى أنفسهم فمذره  
عمر فصدقه وأمره بالصلاة فى مسجد قباء قال عطاء لما وقع الله على عمر بن الخطاب الامصار  
أمر المسلمين ان يبذروا المساجد وأمرهم ان لا يبذروا فى موضع واحد مسجدين يضار  
أحدهما الآخر ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ لا تقم فيه ابدا ﴿ قال ابن عباس معناه  
لا تصل فيه ابدا منع الله عز وجل تبيته صلى الله عليه وسلم ان يصلى فى مسجد الضرار



للصلاة ﴿مسجد أسس على التقوى﴾ يعني مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم  
وصلى فيه أيام مقامه بقباء من الاثنين إلى الجمعة لأنه أوفق للقصة أو مسجد رسول الله صلى الله تعالى  
عليه وسلم لقول أبي سعيد رضي الله تعالى عنه سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنه فقال  
هو مسجدكم هذا مسجد المدينة ﴿من أول يوم﴾ من أيام وجوده ومن يوم الزمان والمكان كقوله  
لمن الديار بقنة الحجر • أقوين من حجج ومن دهر

﴿أحق أن تقوم فيه﴾ أولى بأن تصلي فيه ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ من المعاصي والغسل

﴿مسجد أسس على التقوى﴾ اللام فيه لام الابتداء وقيل لام القسم تقديره والله مسجد  
أسس يعني بني أسلم ووضع أساسه على التقوى يعني على تقوى الله عز وجل ﴿من أول يوم﴾  
يعني من أول يوم بني ووضع أساسه كان ذلك البناء على التقوى ﴿أحق أن تقوم فيه﴾  
يعني مصليا واختافوا في المسجد الذي أسس على التقوى فقال عمر وزيد بن ثابت وأبو  
سعيد الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة ويدل عليه  
ما روى عن أبي سعيد الخدري قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت  
بعض نسائه فقلت يا رسول الله أي المسجدين أسس على التقوى قال فأخذ كففا من حصي  
فضرب به الأرض ثم قال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة أخرجه مسلم ﴿ق﴾ عن أبي هريرة  
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين يتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري  
على حوضي ﴿ق﴾ عن عبد الله بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين يتي  
ومنبري روضة من رياض الجنة عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان  
قوائم منبري هذا روايت في الجنة أخرجه النسائي وقوله روايت يعني ثوابت يقال رتب  
بالمكان اذا قام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير  
وقادة انه مسجد قباء ويدل عليه سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى فيه رجال يحبون  
أن يتطهروا والله يحب المطهرين ويدل على انهم أهل قباء ما روى عن أبي هريرة قال  
نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا  
يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم أخرجه ابوداود والترمذي وقال حديث غريب  
هكذا ذكره صاحب جامع الاصول برواية ابى داود والترمذي موقوفا على ابى هريرة  
ورواه البغوي من طريق ابى داود مرفوعا عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال  
نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال  
كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذا الآية وما يدل على فضل مسجد قباء ما روى عن ابن عمر  
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قباء أو يأتي قباء راكبا وما شيا زاد في رواية فيصل في  
ركبتين وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكبا وما شيا  
وكان ابن عمر يرفعه له أخرجه الرواية الأولى والزيادة البخاري ومسلم وأخرج الرواية الثانية  
البخاري عن سهل بن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى يأتي هذا المسجد  
مسجد قباء فيصل فيه كان له كعدل عمرة أخرجه النسائي عن اسد بن ظهير ان النبي صلى الله عليه  
وسلم قال الصلاة في مسجد قباء كمرة أخرجه الترمذي وقوله سبحانه وتعالى ﴿فيه رجال  
يحبون أن يتطهروا﴾ يعني من الاحداث والجنابات وسائر النجاسات وهذا قول أكثر المفسرين  
قال عطاء ولما كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة وروى الطبري بسنده

(مسجد أسس على التقوى)  
اللام للابتداء وأسس  
ثبت له وهو مسجد قباء  
أسسه رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وصلى فيه أيام  
مقامه بقباء وهي يوم  
الاثنين والثلاثاء والاربعاء  
والخمس وخرج يوم الجمعة  
أو مسجد رسول الله صلى  
الله عليه وسلم بالمدينة  
(من أول يوم) من أيام  
وجوده قبل القياس فيه  
مذ لانه لا ابتداء الناية  
في الزمان ومن لا ابتداء  
الناية في المكان والجواب  
ان من عام في الزمان  
والمكان (أحق أن تقوم  
فيه) مصليا (فيه رجال  
يحبون أن يتطهروا)

مسجد) وهو مسجد قباء (أسس  
على التقوى) بني على طاعة  
الله وذكره (من أول يوم)  
دخل النبي صلى الله عليه  
وسلم المدينة ويقال أول  
مسجد بني بالمدينة (أحق)  
أصوب (أن تقوم) تصلي  
(فيه) في مسجد قباء (فيه)  
رجال يحبون أن يتطهروا)  
أن ينسلوا ادبارهم بالماء

والله يحب المطهرين) قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقالوا مؤمنون انتم فسكت القوم ثم اُمامها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانما هم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم ﴿١٩٧﴾ قال اترضون على البلاء (سورة براءة) قالوا نعم قال اترضون

في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون انتم ورب الحكمة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله تتبع الغائط الاجار الثلاثة ثم تتبع الاجار الماء فلا النبي عليه السلام رجال يحبون أن يتطهروا قيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص الحب للشيء ومعنى محبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل الحب بمحبوبه (أفمن أسس بنيانه) وضع أساس ما يبنيه (على تقوى من الله ورضوان خيراً من أسس بنيانه على شفا جرف) هذا سؤال تقرير وجوابه مكوت عنه

(والله يحب المطهرين)

المذمومة طلباً لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها ﴿والله يحب المطهرين﴾ يرضى عنهم ويدنيه من جنابه تعالى ادناه المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال عليه الصلاة والسلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال عليه السلام اترضون على البلاء قالوا نعم قال اترضون في الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام اترضون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله تتبع الغائط الاجار الثلاثة ثم تتبع الاجار الماء فلا ينجسون ان يتطهروا ﴿أفمن أسس بنيانه﴾ ببيان دينه ﴿على تقوى من الله ورضوان خيراً﴾ على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ﴿أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾

عن عويم بن ساعدة وكان من أهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا هل قباء اني اسمع الله عز وجل قد أحسن عليكم الشاء في الطهور فاهذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعمل شيئاً الا أن جيراننا من اليهود رأيناهم يفسلون أدبارهم من الغائط فقلنا كما غسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا هل قباء ان الله سبحانه وتعالى قد أحسن عليكم الشاء في الطهور فاتصنعون قالوا أنا نفضل عنا أثر الغائط والبول وقال الامام فخر الدين الرازي المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه الاول ان التطهر من الذنوب هو المؤثر في القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني ان الله سبحانه وتعالى وصف أصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والتقريب بينهم والكفر بالله وكون هؤلاء يعني أهل قباء بالصد من صفاتهم وما ذاك الا لكونهم مبرئين من الكفر والمعاصي وهي الطهارة الباطنية الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما يحصل لها أثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصي وقيل يحتمل انه محمول على كلا الاسرين يعني طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي وطهارة الظاهر من الاحداث والنجاسات بالماء ﴿والله يحب المطهرين﴾ فيه مدح لهم وشاء عليهم والرضا عنهم بما اختاروه لانفسهم من المداومة على محبة الطهارة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان ﴿يعني طلب بنيانه المسجد الذي بناه تقوى الله ورضاه والمعنى ان الباني لما بنى ذلك البناء كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه ﴿خيراً من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾ الشفا هو

بالماء من الادناس (أفمن أسس بنيانه) على طاعة الله وذكره (ورضوان) بنوا ارادة رضوان ربهم وهو مسجد قباء (خيراً من أسس بنيانه) بنى أساسه وهو مسجد الشقاق (على شفا جرف) على طرف هوى وليس له أصل (هار) غار

لوضوحه والمعنى أفن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهي تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل شفا جرف هار فى قلة التماسك وضع شفا الجرف فى مقابلة التقوى لانه جعل مجازاً (الجزء الحادى عشر) عايناه فى التقوى (١٩٨) والشفا الجرف والشفير وجرف الوادى

على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها ﴿فانهار به فى نار جهنم﴾ فادى به ظوره وقلة استمسكه الى السقوط فى النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادى الهائر فى مقابلة التقوى تمثيلاً لما بنوا عليه امر دينهم فى البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهار به فى النار ووضعه فى مقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التى الجنة ادناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع فى النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرأ ابن عامر وحجة وابو بكر جرف بالتخفيف ﴿والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم ﴿لا يزال بنيانهم الذى بنوا﴾ بناؤهم الذى بنوه مصدر اريد به المفعول وليس يجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ﴿رربة﴾

الشفير وشفا كل شىء حرفه ومنه يقال أشفى على كذا اذا دأبته وقرب ان يقع فيه والجرف المكان الذى أكل الماء تحته فهو الى السقوط قريب وقال أبو عبيد الجرف هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية فينحدر بالماء فيبقى واهياها أى هائر وهو ساقط فهو من هار يهوى فهو هائر وقيل من هار يهوى اذا تهديم وسقط وهو الذى تدعى بهضه فى أثر بعض كاهياها الرمل والثنى الرخو ﴿فانهار به﴾ يعنى سقط بالبانى ﴿فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ والمعنى ان بناء هذا المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم فيهور باهله فيها وهذا مثل خربة الله تعالى للمسجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد بقاء أو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى المثل أفن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذى هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسس دينه على أضعف القواعد وأقلها بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل بناء على غير أساس ثابت وهو شفا جرف هار واذا كان كذلك كان أسرع الى السقوط فى نار جهنم ولان البانى الاول قصد ببناء تقوى الله ورضوانه فكان بناؤه أشرف البناء والبانى الثانى قصد ببناء الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان بناؤه أخس البناء وكانت عاقبته الى نار جهنم قال ابن عباس صيرهم نفاقهم الى النار وقال فاداه الله ما تاهى بناؤهم حتى وقع فى النار ولقد ذكرنا انه حفرت بقعة منه فرؤى الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبد الله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار ﴿لا يزال بنيانهم الذى بنوا رربة﴾

جانبه الذى يتخسر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذى أشقى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف وألفه ليس بالف فاعل انما هي منه واصله هور فقلت ألقا تهركها وانفتح ما قبلها ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا دل على حقيقة الباطل وكنه أمره أفن أسس بنيانه من أسس بنيانه شامى ونافع جرف شامى وحجة ويحيى هار بالامالة أبو عمرو وحجة فى رواية ويحيى ﴿فانهار به فى نار جهنم﴾ فطاح به الباطل فى نار جهنم ولما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل رشع المجاز فجى بلفظ الانهار الذى هو للجرف ولبصوران المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف هار من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهو فى قصرها قال جابر رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار

( والله لا يهدى القوم الظالمين ) لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم ( لا يزال بنيانهم الذى بنوا رربة ) يعنى (

فانهار به ) فانهار به يعنى بانيه ( فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين ) لا يغفر للمنافقين ولا ينجيهم ( لا يزال بنيانهم ) بعد ما هدمت ( الذى بنوا رربة )

في قلوبهم) لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لما ظاهروا من ذلك وعظم عليهم (الا ان تقطع قلوبهم) شامى وحزة وحفص أى تقطع ﴿ ١٩٩ ﴾ فيهم تقطع { سورة براءة } أى الا ان تقطع قلوبهم قطعا

وتفرق أجزاءه فسيقتل  
يسئلون عنه وأما مادامت  
سائلة بمحنة فالريبة باقية  
فيها متمكنة ثم يجوز أن  
يكون ذكر التقطع تصوير  
الحال زوال الريبة عنها  
و يجوز أن يراد حقيقة  
تقطيعها وما هو كائن منه  
بقتلهم أو في القبر أو في النار  
أو معناه الا أن يتوبوا توبة

تقطع بها قلوبهم ندما واسفا  
على تقريطهم (والله عليم)  
بجزائهم (حكيم) في جزاء  
جرائمهم (ان الله اشترى من  
المؤمنين أنفسهم وأموالهم  
بان لهم الجنة) مثل الله  
اثابهم بالجنة على بذلهم  
أنفسهم وأموالهم في سبيله  
بالشراء وروى تاجرهم  
فاغلى لهم الثمن وعن الحسن

حرة ندامة (في قلوبهم  
الا ان تقطع قلوبهم)  
الا ان يموتوا (والله عليم)  
ببنيانهم مسجد الضرار  
وبنيانهم (حكيم) فيما حكم  
من هدم مسجدهم وحرقة  
بث اليه رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بعد رجوعه من  
غزوة تبوك عام بن قيس  
ووحشياه ولى مطعم بن عدي  
حتى أحرقاه وهدماه (ان الله

في قلوبهم) أى شكوا ونفاقا والمعنى ان بنيانهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزائد نفاقهم فانه  
سجلهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم  
وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم ﴿ الا ان تقطع قلوبهم ﴾ قطعا بحيث لا يبقى  
لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقبل المراد  
بالقطع ما هو كائن بالقتل أو في القبر أو في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب  
الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحزة وحفص وقرئ  
يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب  
ولو قطعت وقطعت على البناء الفاعل أو المفعول ﴿ والله عليم ﴾ بنيانهم ﴿ حكيم ﴾ فيما  
أمر بهدم بنيانهم ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ﴾ تمثيل

يعنى شكاً ونفاقاً ﴿ في قلوبهم ﴾ والمعنى ان ذلك البنيان صار سبباً لحصول الريبة  
في قلوبهم لان المناققين فرحوا ببناء مسجدهم فلما أمر رسول الله صلى الله عليه  
وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا غما وحزنا وبغضا لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم فكان ذلك سبب الريبة في قلوبهم وقيل اهم كانوا يحسبون انهم محسنون  
في بنيانه كما حجب الجهل الى نبي اسرائيل فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه  
بقوا شاكين مرتابين لأى سبب أمر بتخريبه وقد السدى لا يزال هدم بنيانهم  
ريبة أى حرارة وغيظا في قلوبهم ﴿ الا أن تقطع قلوبهم ﴾ أى تجعل قلوبهم قطعا  
وتفرق أجزاءه اما بالسيف واما بالموت والمعنى ان هذه الريبة باقية في قلوبهم الى  
أن يموتوا عليها ﴿ والله عليم ﴾ يعنى بأحوالهم وأحوال جميع عباده ﴿ حكيم ﴾ يعنى  
فيما حكم به عليهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم  
بان لهم الجنة ﴿ الآية قال محمد بن كعب القرظي لما بايست الانصار رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبدالله بن رواحة اشترط  
لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لرى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ واشترط  
لنفسى أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فالتنا قال  
الجنة قالوا ربح البيع لا تقبل ولا تستقبل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم  
وأموالهم بان لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال أهل المائى لا يجوز أن يشتري الله  
شيأ هوله في الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والاشياء كلها ملك لله عز وجل  
ولهذا قال الحسن أنفسنا هو خلقها وأموالنا هو رزقنا ايها لكن جرى هذا  
مجرى التلطف في الدماء الى الطاعة والجهاد وذلك لان المؤمن اذا قاتل في سبيل الله  
حتى يقتل أو أنفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الآخرة جزاء بما فعل  
في الدنيا فجعل ذلك استبدالا واشترأ فهذا معنى اشترى من المؤمنين أنفسهم  
وأموالهم بان لهم الجنة والمراد بالشراء الاموال انفاقها في سبيل الله وفي جمع

اشترى من المؤمنين (الخلصين) أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة (بالجنة

أنفسا هو خاقها وأموالها ورزقها ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم إصرابي وهو يقرؤها فقال بيع والله مريح  
لأنقله ولا نقتله فخرج إلى النزو واستشهد (يقاتلون في سبيل الله) بيان محل التسليم (فيقتلون ويقتلون) أي تارة يقاتلون  
العدو وطورا يقتلهم { الجزء الحادي عشر } العدو فيقتلون ﴿ ٢٠٠ ﴾ ويقتلون جزة وعلى ( وعدا عليه )

مصدر أي وعدهم بذلك  
وعدا (حقا) سفته أخبر  
بان هذا الوعد الذي وعده  
للمجاهدين في سبيله وعد  
ثابت قد أثبتته (في التورية  
والانجيل والقرآن) وهو  
دليل على أن اهل كل ملة  
أمروا بالقتال ووعدوا عليه  
ثم قال (ومن أوفى بعهده  
من الله) لان اخلاف المباد  
قيح لا يقدم عليه الكريم  
منه كيم باكرم الاكرمين  
ولا ترى ترغيا في الجهاد  
أحسن منه وأبلغ (فاستبشروا  
بيعمكم الذي بايعتم به )  
فافرحوا به غاية الفرح  
فانكم تبيعون فانيا بباقي  
( وذلك هو الفوز العظيم )  
قال الصادق ليس لبلادكم  
ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا  
بها (التائبون) رفع على المدح  
أي هم التائبون يعني  
المؤمنين المذكورين او هو  
(يقاتلون في سبيل الله)  
في طاعة الله ( فيقتلون )  
العدو (ويقتلون) ويقتلهم  
العدو ( وعدا عليه )  
على الله (حقا) واجبا  
ان يؤمهم ( في التورية

لأثابة الله إليهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله ﴿ يقاتلون في سبيل الله  
فيقتلون ويقتلون ﴾ استئناف بيان ما لاجله الشراء وقيل يقاتلون في معنى الامر  
وقرأ جزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب  
وان فعل البعض قد يستند الى الكل ﴿ وعدا عليه حقا ﴾ مصدر مؤكد لما دل عليه  
الشراء فانه في معنى الوعد ﴿ في التورية والانجيل والقرآن ﴾ مذكور فيهما كما  
اثبت في القرآن ﴿ ومن أوفى بعهده من الله ﴾ مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا  
﴿ فاستبشروا ببيعمكم الذي بايعتم به ﴾ فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم  
عظائم المطالب كما قال ﴿ وذلك هو الفوز العظيم ﴾ التائبون ﴿ رفع على المدح أي هم  
التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف  
تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى  
أو خبره ما بعده أي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الحصا  
وجوء البر والطاعة ﴿ يقاتلون في سبيل الله ﴾ هذا تفسير لتلك المبالغة وقيل فيه معنى الاسرائي  
قاتلوا في سبيل الله ﴿ فيقتلون ويقتلون ﴾ معنى فيقتلوا أعداء الله ويقتلون في طاعة الله وسبيله  
﴿ وعدا عليه حقا ﴾ يعني ذلك الوعد بان لهم الجنة وعد على الله حقا ﴿ في التورية والانجيل  
والقرآن ﴾ يعني ان هذا الوعد الذي وعده الله تعالى للمجاهدين في سبيله قد أثبتته في التوراة  
والانجيل كما أثبتته في القرآن وفيه دليل على ان الامر بالجهاد موجود في جميع الشرائع  
ومكتوب على جميع اهل الملل ﴿ ومن أوفى بعهده من الله ﴾ معنى لأحد أو في العهد من الله  
فاستبشروا ﴿ ببيعمكم الذي بايعتم به ﴾ يعني فاستبشروا وابعاء المؤمنين بهذا البيع الذي  
بايعتم الله به ﴿ وذلك ﴾ معنى هذا البيع ﴿ هو الفوز العظيم ﴾ لان رايح في الآخرة  
قال عمر بن الخطاب ان الله بايعكم وجعل الصفتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعة  
ريجة بايع الله بها كل مؤمن وعنه قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا فاشترى الجنة  
بعضها وقال قتادة ثامنهم فاعلى لهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ التائبون ﴿ قال الفقراء  
استؤب لعل التائبون بالرفع لتقام الآية الاولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج  
التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمير والمعنى التائبون الى آخره لهم الجنة أيضا وان  
لم يجاهدوا غير مما تدين ولا قاصدين لنزك الجهاد وهذا وجه حسن فكله وعد بالجنة  
جميع المؤمنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جملة تابا الاول كان الوعد بالجنة  
خاصا بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح يعني المؤمنين  
المذكورين في قوله ان الله اشترى ﴿ وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى ﴾ التائبون يعني الذين تابوا  
من الشرك وبرؤا من النفاق وقيل التائبون من كل معصية قيدخل التوبة من الكفر والنفاق فيه

والانجيل والقرآن ﴿ ومن أوفى بعهده من الله ﴾ ومن أفر بوفاء عهده من الله ﴿ فاستبشروا ببيعمكم الذي ﴾ ( وقيل )  
بايعتم به ﴿ الله يعني الجنة ﴾ ( وذلك هو الفوز العظيم ) الجهاد الواقف بين من هم فقال (التائبون) أي هم التائبون من الذنوب

مبتدأ خيره (المأخوذ)

أى الذين عبدوا الله وحده  
وأخلصوا له العبادة وما بعده  
خير بمذخبر أى الثابون  
من الكفر على الحقيقة  
الجامعون لهذه الخصال  
وعن الحسن هم الذين تابوا  
من الشرك وتبرؤا من  
الفاق (الحامدون) على  
نعمه الاسلام (السامحون)

المؤمنون له عليه السلام  
سباحة أمية الصائم أو طلبية  
المعلم لأنهم يسمحون في  
الأرض يطلبونه في مظانه  
أو السائرون في الأرض  
للاعتبار ( الراكعون  
الساجدون ) المحققون  
على صاوات ( الآسرون  
بالمعروف ) بالإيمان  
والمعرفة والطاعة  
( والناهون عن المنكر )  
عن الشرك والمعاصي  
ودخلت الواو للأشعار  
بأن السبعة عقد تام أو للتضاد  
بين الأمر والنهي كما في قوله

( الطبعون ) ( الملبون )  
 ( الحامدون ) ( الشاكرون )  
 ( السائحون ) ( الساعون )  
 ( الراكبون الساجدون )  
 في الصلوات الخمس  
 ( الآسمون المعروف )  
 بالتوحيد والاحسان  
 ( والهاون عن المسكر )  
 عن الكفر وما لا يرف  
 في شريعة ولا سنة

وقرىٰ بالياء نصبا على المدح أو جرا صفة للمؤمنين ﴿المابدون﴾ الذين عبدوا الله مخلصين له ﴿الحامدون﴾ لتعماته أولمأنهم من السراء والضراء ﴿السائحون﴾ الصائمون لقوله عليه الصلاة والسلام سياحة أمي الصوم شبه بها من حيث أنه يسوق عن الشهوات أو لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملايكوت أو السائحون للجهاد أو لطاب العلم ﴿الراكون الساجدون﴾ في الصلاة ﴿الأسرون﴾ بالمعروف ﴿بالايمن والطاعة﴾ والتناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والمأطف فيه للدلالة على أنه جماعطع عليه في حكم خمسة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله تعالى

وقيل التائبون من جميع المعاصي لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم ان النوبة المقبولة انما تحصل بامور أربعة اولها احتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها الدم على فعلها فيمضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها أن يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالنوبة تحصيل مدح الناس له ودفع مذمتهم فليس بمخلص في توبته المابدون ﴿ يعنى المطيعين لله الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقيل هم الذين أتوا بالعبادة على أقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهي أن تكون العبادة خالصة لله تعالى ﴾ الحمدون ﴿ يعنى الذين يحمدون الله تعالى على كل حال في السراء والضراء ﴾ روى البغوي بغير سند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء وقيل هم الذين يحمدون الله ويقومون بشكره على جمیع نعمه دنيا وأخرى ﴿ السائحون ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس هم الصائمون قال سفيان بن عيينة انما سمى الصائم سائحاً لدركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والكاح وقال الانزهري قيل للصائم سائح لان الذي يسبح في الارض متعبدا لا زاد معه فكان ممسكا عن الاكل وكذلك الصائم ممسك عن الاكل وقيل اصل السياحة استقرار الذهاب في الارض كالماء الذي يسبح والصائم مستقر على فعل الطاعة وترك المنهى وقال عطاة السائحين هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله ويدل عليه ما روى عن عثمان بن مظعون قال قلت يا رسول الله ائذن لي في السياحة فقال ان سياحة أمق الجهاد في سبيل الله ذكره البغوي بغير سند وقال عكرمة السائحون هم طلبة العلم لا هم يتنقلون من بلد الى بلد في طلبه وهيل ان السباح بها أثر عظيم في تهذيب النفس وتحسين أخلاقها لان السائح لابد أن يلقى أنواعا من الضر والبؤس ولا بد له من الصبر عليها ويلقى العلماء والصلحاء في سياحته فيستفيد منهم ويعود عليه من بركتهم وبرى العجايب وآثار قدرة الله تعالى في تفكير في ذلك قيده على وحدانية الله سبحانه وتعالى وعظم قدرته ﴿ الراكدون الساجدون ﴾ يعنى المصلين وانما مرعنا صلاة الركوع والسجود لانهما معظم أركانها وبما آثر المولى من غير المال في تلاوة، صلاة، اصيام والتصدق لانهما حالان للمسلم وعمره الآسران بالمعروف والنهي عن المنكر مأمرون

﴿ والحافظون لحدود الله ﴾ أي فيما بينه وبينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على أن ما قبله في فصل الفضائل وهذا مجملها وقيل إن هذا للايدان بأن التمداد قد تم بالسمع من حيث أن السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تمداد آخر مطوف عليه ولذلك تسمى أو القافية ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على أن إيمانهم دطهم إلى ذلك وإن المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبتدأ به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجعلهم عن إحاطة الإقحام وتعبير الكلام ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لأبي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة أحاج لك بها عند الله فأبى فقال عليه السلام لا زال استغفرك ما لم أنه عنه فنزلت وقيل لما اغتصم مكة خرج إلى الأبواء فزار قبره ثم قال مستعبدا فقال أنى استأذنت ربى في زيارة قبر أبى فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل على الآيتين ﴿ ولو كانوا أولى قربي ﴾

الناس بالحق في أديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل الصالح ويتوهمونهم عن كل قول وفعل نهى الله عباده عنه وأنهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن أما انهم لم يأمروا الناس بالمعروف حتى كانوا من أهله ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه وأما دخول الواو في والناهون عن المنكر فإن العرب تطع بالواو على السبعة ومنه قوله سبحانه وتعالى وثامنهم كلبهم وقوله تعالى في صفة الجنة وقمت أبوابها وقبل فيه وجه آخر وهو أن الموصوفين بهذه الصفات الست هم الآسرون يعني هم الآسرون بالمعروف والناهون عن المنكر

فعلى هذا يكون قوله تعالى التائبون إلى قوله الساجدون مبتدأ خبره الآسرون يعني هم الآسرون بالمعروف والناهون عن المنكر ﴿ والحافظون لحدود الله ﴾ قال ابن عباس يعني القائمين بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لقرائض الله وهم أهل الوفاء ببيعة الله وفلهم المؤدون فرائض الله المتهون إلى أسرهم ونهيهم فلا يضيئون شيئا من العمل الذي الزمهم به ولا يرتكبون منهيانها عنه ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ يعني بشرا محمد المصدقين بما وعدهم الله به إذا وفوا الله تعالى بعهده فإنه موف لهم بما وعدهم من إدخال الجنة وقيل وبشر من فعل هذه الأفعال التسع وهو قوله تعالى التائبون إلى آخر الآية بأن له الجنة وإن لم ينزل قوله عز وجل ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي ﴾ الآية واختلف أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية فقال قوم نزلت في شأن أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم والد على وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ويدل على ذلك ما روى عن سعيد بن المسيب عن أبيه المسيب أن حزن قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أيا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة أرغب عن ملة عبد المطلب فلم ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضها عاياه ويعودان لتلك المعاملة حتى قال أبو طالب

ثبات وأبكرا (والحافظون لحدود الله) أو أمره ونواهيه أو معالم الشرع (وبشر المؤمنين) المتصفين بهذه الصفات وهم عليه السلام أن يستغفر لأبي طالب فنزل (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي) أي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته

(والحافظون لحدود الله) لفرائض الله (وبشر المؤمنين) بالجنة (ما كان للنبي) ما حاز لمحمد صلى الله عليه وسلم (ولذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أن يستغفروا) أن يدعو للمشركين لو كانوا أولى قربي (في الرحم

آخر ما كلمهم أنا على ملة عبد المطلب وأبي أن يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أستغفرن لك ما لم أنه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وأنزل الله في أبي طالب أنك لا تهدي من أحبت ولكن الله يهدي من يشاء أخرجاه في الصحيحين «فان قلت قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الآية في شأن أبي طالب وذلك ان وفاته كانت بمكة أول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهي من آخر القرآن نزولاً» قلت الذي نزل في أبي طالب قوله تعالى أنك لا تهدي من أحبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أستغفرن لك ما لم أنه عنك كما في الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفره في بعض الاوقات الى أن نزلت هذه الآية فنفع من الاستغفار والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمد عند الموت قل لا اله الا الله أشهدك بها يوم القيامة فأبى فانزل الله أنك لا تهدي من أحبت ولكن الله يهدي من يشاء الآية وفي رواية قال لولا تعيرني قريش يقولون إنما حله على ذلك الجزع لا قررت بها عينك فانزل الله الآية (ق) عن أبي سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب فقال له تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في خضاض من نار يبلغ كعبه تنلى من دماغه وفي رواية يغلى منه دماغه من حرارة نعليه (ق) عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما أغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك قال هو في خضاض من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول الله ان عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من نار فاخرجته الى خضاض وقال أبو هريرة وريدة لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة أتى قبر أمه آمنة فوق حى حيث الشمس رجاء ان يأذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وروى الطبري بسنده عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم قال واكثر ظني انه قال قبره أمه فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبدا فقلنا يا رسول الله انا رأينا ما صنعت قال انى استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يؤذن لي فارقى بالكثير من يومئذ وحكى ابن الجوزي عن بريدة قال ان النبي صلى الله عليه وسلم سر بقبر أمه فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس لبكائه ثم انصرف اليهم فقالوا ما بك قال سررت بقبر أمي فصليت ركعتين ثم استأذنت ربي أن أستغفر لها فنويت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين فاستأذنت ربي أن أستغفر لها فزجرت زجرا فابكاني ثم دعا براحتيه فركبها فاسارا لاهنية حتى قامت الناقة لتقل الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى الآية (ق) عن أبي هريرة قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي في ان أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فاذن لي



من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ﴿ بأن ما توا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لحياتهم فانه طلب توفيقهم للايمان وقد دفع القرض باستغفار ابراهيم عليه الصلاة والسلام لآبيه الكافر فقال ﴿ وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها اياه ﴾ وعدها ابراهيم اياه بقوله لا ستغفرون لك أى لا طاب من مفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ اياه أو وعدها ابراهيم ابوه وهو الوعد بالايمان ﴿ فلما تبين له انه عدو لله ﴾ بأن مات على الكفرى أو اوحى فيه بأنه لن يؤمن ﴿ تبرأ منه ﴾

فزوروا القبور فانها تذكركم الموت وقال قادة قال لى صلى الله عليه وسلم لا تستغفرون لآبى كما استغفر ابراهيم لآبيه فانزل الله هذه الآية وروى الطبرى بسنده عنه قال ذكر لنا أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ما نبى الله ان من آباءنا من كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويفك العاني ويوفى بالدم أفلا نستغفرهم فقال لى صلى الله عليه وسلم بلى والله لا تستغفرون لآبى كما استغفر ابراهيم لآبيه فانزل الله عز وجل ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الا انه لم يذنب لهم الله ابراهيم فقال تعالى وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها اياه الا انه عن على بن أبى طالب قال سمعت رجلا يستغفر لابيه وهما مشركان فقلت له أتستغفر لابويك وهما مشركان فقال استغفر ابراهيم لآبيه وهو مشرك فذكرت ذلك لانه صلى الله عليه وسلم فترأت ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الا به أخرجه الناس والترمذى وقال حديث حسن وأخرجه الطبرى وقال فيه فانزل الله عز وجل وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه مدلوله تبرأ منه الآية ومعنى الآية ما كان يذنب للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لان الله بهانه وتعالى لا يغفر للمشركين ولا يجوز أن يطلب منه الا بعهده وفيه النهى عن الاستغفار للمشركين ولو اتوا أولى قرى لان الآية عن الاستغفار للمشركين عام لا تنوي فيه العرب واليه ثم ذكر الله عز وجل - بل - بل الميع فقال تعالى ﴿ ومن بعد ما - من لهم انه اصحاب الجحيم ﴾ بنى بين اهلهم ما توا على الشرك مهم من اصحاب الجحيم وأيضا فقد تال سبارا ود الى الله لا يغفر أن شرك به والله تعالى لا يثاب بعد ما موله سبارا وتعالى ﴿ وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها اياه ﴾ ما كان طلب ابراهيم لآبيه المعثرة من الله الا من أجل موعدة وعدها ابراهيم اياه أن يستغفر له وجاء اسلافه الى أى طالب رضى الله تعالى عنه لما أمر الله خيرا عن ابراهيم انه قال سلام عليك يا مفرقا من سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان سمعت أبا بكر لا يوجب رجلا مشركا فقال أولم يستغفر ابراهيم لآبيه مايت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله عز وجل قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لآبيه لا ستغفرون لك معنى ان ابراهيم ليس مدبوة في هذا الاستغفار لانه انما استغفر لآبيه وهو مشرك اكل الموعا الذى وعده أن يسلم ﴿ فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴾

( من بعد ما تبين لهم أنهم اصحاب الجحيم ) من بعد ما ظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك ثم ذكر عذر ابراهيم فقال ( وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها اياه ) أى وعد أبوه اياه أن يسلم أو هو وعد أباه أن يستغفر وهو قوله لا ستغفرون لك دليله قراءة الحسن وعدها أباه ومعنى استغفروه سؤاله المغفرة له بعد ما سلم أو سؤاله اعطاه الاسلام الذى به يغفر له ( فلما تبين ) من جهة الوحى ( له ) لابراهيم ( أنه ) ان أباه ( عدو لله ) ان يموت كافرا وانه قطع رحاؤه عنه ( تبرأ منه ) واطح استناده

( من بعد ما تبين لهم أنهم اصحاب الجحيم ) أهل النار أى ما توا على الكفر ( وما كان استغفار ابراهيم ) أى دعاه ابراهيم ( لآبيه الا عن موعدة وعدها اياه ) أن يسلم ( فلما تبين له أنه عدو لله ) أى حين مات على الكفر ( تبرأ منه ) ومن دند

قطع استغفاره ﴿ ان ابراهيم لأواه ﴾ لكثيرا التأوه وهو كناية عن فرط ترجمه ورقة قلبه ﴿ حلیم ﴾ صبور على الاذى والجللة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع

فعل هذا الهاء في اياه راجعة الى ابراهيم والوعد كان من أبيه وذلك ان ابا ابراهيم وعد ابراهيم ان يسلم فقال ابراهيم سأستغفر لك ذبي يعني اذا أسلمت وقيل ان الهاء راجعة الى الاب وذلك ان ابراهيم وعد اياه ان يستغفر له رجاء اسلامه وتؤكد هذا قوله سأستغفر لك ربي ويدل عليه أيضا قراءة الحسن وعدها آياه بالياء الموحدة فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه يعني فلما ظهر لابراهيم وابنه ان آياه عدو لله يعني بوعده على الكفر تبرأ منه عند ذلك وقيل يحتمل ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى ابراهيم ان آياه عدو له قبرا منه وقيل لما تبين له في الآخرة انه عدو لله تبرأ منه ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقي ابراهيم عليه السلام آياه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قفرة وغبرة فيقول ابراهيم ألم أفل لك لا تصفى فيقول أبو- فالיום لأعصيك فيقول ابراهيم يارب انك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فأني خزي أخزي من أبي فيقول الله تبارك وتعالى اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابراهيم ما نحت رجلتك فينظر فإذا هو بذبح متعلخ فؤخذ بقوائمه فياق في النار أخرجه البخاري زاد غيره قبرا منه والدة عرة نالوها سواد والذئب بذلك مجمة ثم ياه مشاة من تحت ثم خاء مجمة هو ذكر الضاع والاتى ذمجة ﴿ وقوله تبارك وتعالى ﴾ ان ابراهيم لأواه حلیم ﴿ جاء في الحديث ان الاواه الحاشع المنضرع وقال ابن مسعود الاواه الكثير الدماء وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو المؤمن الثواب وقال الحسن وقناعة الاواه رحم بعباد الله وقال مجاهد الاواه المؤمن وقال كعب الاحبار هو الذي يكنز التأوه وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول أوه من النار قبل ان لا ينفع أوه وقال عتبة بن عامر الاواه الكثير الذكركه عز وجل وقال سعيد بن جببر هو السبع وعنه انه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع عما يكرمه الله الخائف من النار وقال أبو عبيدة هو المأوه شفتا ومرفقا المتضرع ايقانا ولزوما للطاعة وقال الزجاج انتظم في قول أبي عبيدة جمع ما مل في الاواه وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت تنفس الصعداء والفعل به أزه وهو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه أوه والسبب فيه ان عند الحزن يحس الروح داخل القلب ويشد حرها فالإنسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب لنفخ بعض مائه من الحزن والشدة وأما الحلیم فصاء ظاهر وهو الصفوح عن سبه أو أماء بمكره ثم يقابله بالاحسان واللطيف كما فعل ابراهيم بأبيه حين قال له ان لم تنته لأرجنك فاجابه ابراهيم بقوله سلام عليك سأستغفر لك ربي وقال ابن عباس الحلیم السيد وإنما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهما شدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله ليعين

( ان ابراهيم لأواه ) هو  
التأوه شفتا وفرقا ومنه  
انه لقرط ترجمه ورقته كان  
يتعطف على أسه الكافر  
( حلیم ) هو الصبور على  
اللأه الصفوح عن الاذى  
لانه كان يستغفر لاسيه وهو  
يقول لارجاك

( ان ابراهيم لأواه ) دماء  
ويقول رحيم ويقال سيد ويقال  
كان يتأوه على نفسه ويقول  
أوه من النار قبل دخول  
النار ( حلیم ) عن الجهل

( و ما كان الله ليضل  
أى ما أمر الله باتقائه  
واجتنابه كالاستغفار  
للمشركين وغيره مما يبي  
عنه وبين أنه محظور لا يؤخذ  
به عباده الذين هدهم  
للاسلام ولا يخذلهم الا اذا  
قدموا عليه بعد بيان  
خطره وعلمهم بأنه واجب  
الاجتناب واما قبل العلم  
والبيان فلا وهذا بيان  
لنذر من خاف المتأخذة  
بالاستغفار للمشركين  
والمراد بما يتقون ما يجب  
اتقاؤه للهى فاما ما جعل  
بالفعل فهو مؤثرف على  
النقيب ( ان الله بكل شى  
عليم ان الله له ملك السموات  
والارض يحيى ويميت وما  
لكم من دون الله من ولى ولا  
نصير

( وما كان الله ليضل قوما )  
ليضل قوما بمنزلة الضلال  
ويقال ليضل عمل قوم  
( بعد اذهدهم ) للايعان  
( حتى بين لهم ما يتقون )  
المنسوخ بالسبع ( ان الله  
بكل شى ) من المنسوخ  
والسبع ( عليم ان الله له ملك  
السموات ) نخزائن  
السموات الشمس والقمر  
والنجوم وغير ذلك  
( والارض ) وخزائن  
الارض مثل البحار  
والدواب والحيال والاسماك  
وغير ذلك ( يحيى )

شكاسته عليه ﴿ وما كان الله ليضل قوما ﴾ أى ليسمهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم  
﴿ بعد اذهدهم ﴾ للاسلام ﴿ حتى بين لهم ما يتقون ﴾ حتى بين لهم خطره ما يجب  
اتقاؤه وكان بيان عذر للرسول في قوله لعمه أو لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل  
المنع وقيل أنه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة  
دليل على ان الغافل غير مكلف ﴿ ان الله بكل شى عليم ﴾ فيعلم امرهم في الحاليتين  
﴿ ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى  
ولا نصير ﴾ لما منعهم عن الاستغفار للمشركين لو كانوا اولى قربى وتضمن ذلك  
وجوب التبرى عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومثولى امره والغالب  
عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويبرؤا

سجانه وتعالى أنه مع هذه الصفات الجميلة البرأ من أبيه لما ظهر له اسرار  
على الكفر فاهدوا به أنتم في هذه الحالة أيضا وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وما كان  
الله ليضل قوما بعد اذهدهم ﴾ يعنى وما كان الله ليقضى عليكم الضلال بسبب  
استغفاركم لموتاكم المشركين بعد ان رزقكم الهداية ووفقكم للايعان به وبرسوله  
وذلك أنه لما منع المؤمنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع  
خافوا ما صدر منهم فاعلمهم ان ذلك ليس بضائرهم ﴿ حتى بين لهم ما يتقون ﴾ يعنى  
ما يأتون وما يذرون وهو أن يقدم اليهم الهى عن ذلك الفعل فاما قبل الهى فلا  
خرج عليهم في فعله وقبل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل الهى عن الاستغفار  
للمشركين فلما منعوا من ذلك وقع في قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك  
فانزل الله عز وجل هذه الآية وبين أنه لا يؤاخذهم بعمل الابد ان بين لهم ما يجب  
علمهم أن يتقوه ويتركوه وقال مجاهد بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين  
خاصة وبيانه لهم في مصيئته وطاعة عامة وقال الضحالة وما كان الله ليزب قوما حتى  
يبين لهم ما يأتون وما يذرون وقال الكلبي هذا في أمر النسخ وذلك ان قوما  
قدموا على النى صلى الله عليه رسا وأسلموا قبل تحريم الخمر وصرف القبلة الى  
الكعبة ورجعوا الى قومهم هم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى  
الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدسوا بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت  
والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره  
فمحن على ضلال فانزل الله عز وجل ﴿ وما كان الله ليضل قوما بعد اذهدهم ﴾ يعنى  
وما كان الله ليضل عمل قوم قد دعوا بالمنسوخ حتى بين بالسبع ﴿ ان الله بكل شى  
عليم ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عند ما نهاكم عن  
الاستغفار للمشركين ويعلم ما بين لكم من أوامره ونواهيه ﴿ ان الله له ملك السموات  
والارض ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى هو القادر على ملك السموات والارض وما فيها  
منه وملكه يحكم فيهم بما يشاء ﴿ يحيى ويميت ﴾ يعنى انه تعالى يحيى ويميت من يشاء  
الايعان ويميت عليه ويحيى من يشاء على الكفر ويميت عليه لا اعتراض لاحد عليه  
من كنه وعبيده ﴿ وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ﴾ يعنى انه تعالى هو ولىكم

( ويعت في الدنيا ) وما لكم من دون الله ( من عذاب الله ) من ولى ( نرب ينصير ) مانع ( و )

لقد تاب الله على النبي

أي تاب عليه بأذنه للمنافقين  
في الخلف عنه كقوله عفا  
الله عنك ( والمهاجرين  
والانصار ) فيه بحث للمؤمنين  
على التوبة وأنه مامن مؤمن  
الا وهو محتاج الى التوبة  
والاستغفار حتى النبي  
صلى الله عليه وسلم  
والمهاجرين والانصار  
( الذين اتبعوه في ساعة  
العسرة ) في غزوة تبوك  
ومعناه في وقتها والساعة  
مستعمله في معنى الزمان  
المطلق وكانوا في عسرة  
من الظهور بنقبة العسرة على  
بسر واحد ومن الزاد  
تزدودوا النمر المداود  
والشعر المموس والاهالة  
الزمنحة وبانت بهم الشدة  
حتى انقسم القمرة اثنان  
وربعاء صبا الجماعة ليشرخوا  
عليها الماء ومن الماء حتى  
نحروا الابل وعصروا  
كرشها وشربوها وفي شدة  
زمان من جارة القيظ ومن  
الحذب والقحط

( لقد تاب الله على النبي )

تجاوزاته عن السي  
( والمهاجرين والانصار )  
الذين صلوا الى القبطين  
وشهدوا بدرا ثم بنم  
نقال ( الذين اتبعوه ) اتبعوا  
الذين اتبعوا تبوك ( )

مأعداء حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواء ﴿ لقد تاب الله على النبي  
والمهاجرين والانصار ﴾ من اذن المنافقين في الخلف أو برأهم عن علقه التوب  
كقوله لغفرلك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو ميث على التوبة والمعنى  
ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين والانصار لقوله تعالى  
وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقى  
اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بأنها مقام الانبياء والصالحين من عباده  
﴿ الذين اتبعوه في ساعة العسرة ﴾ في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا  
في عسرة الظهور ثعب العسرة على بسر واحد والزاد حتى قبل ان الرجلين كانا

وناصرهم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصرهم عليهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ لقد  
تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار ﴿ الآية تاب الله بمعنى تجاوز وصفه عن  
النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار ومعنى توبته على النبي صلى الله عليه  
وسلم مؤاخذته بأذنه للمنافقين بالخلف في غزوة تبوك وهو كقوله سبحانه  
وتعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لأنه ذنب يوجب  
عقابا وقال اصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك كقوله سبحانه وتعالى فان الله خسه  
ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه تشریف للمهاجرين والانصار في نعم توبتهم  
الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله فان الله  
خسه وللرسول فهو تشریف له وأما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلان  
ما وقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت في وقت شديد وربما  
وقع في قلوب بعضهم انا لا نقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله  
عابهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الحواطر والوساوس القسائية وتمل ان  
الانسان لا يخلو من زلات وتبعات في مدة عمره اما من باب الصغار واما من باب ترك  
الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر  
ومتاعبه وعبروا على تلك الشدائد العظيمة التي حصلت لهم في ذلك السفر غفر الله  
لهم وتاب عليهم لاجل ما تحملوه من الشدائد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله  
عليه وسلم وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على علم مراتبهم  
في الدين وانهم قد بانوا الى الرتبة التي لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم  
الى ذكرهم ﴿ الذين اتبعوه ﴾ في تلك غزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر  
بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين ألفا مابين راكب  
وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر القبائل ﴿ في ساعة العسرة ﴾ معنى  
في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك  
تسمى غزوة العسرة والجيش الذي سار فيه يسمى جيش العسرة لانه كان عام  
عسرة ( ) والزاد رالماء قال الحسن كان عسرة سم يشترحوا ( )

العسرة والشدة وكانت لهم عسرة من الزاد وعسرة من الظهور وعسرة من الحر وعسرة من العدو وعسرة من بعد الطريق

يقتسمان قرة والماء حتى شربوا اللفظ من بعد ما كاد تزيع قلوب فريق منهم عن الثبات على الإيمان أو اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشأن أو ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم وقرأ جزء وحقق يزغ بالياء لأن تأييد القلوب غير حقيقى وقرئ من بعد ما زاحت قلوب فريق منهم يعنى المتخافين ثم تاب عليهم تكبرر للتأكيد وتنبه على أنه تاب عليهم من أجل ما كابدوا من العسرة أو المراد أنه تاب عليهم لكيدودتهم أنه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة ثم تاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية وسارة بن الربيع الذين خلفوا تخافوا عن الغزو أو خام أمرهم فانهم المرجون

يعقبونه بينهم ركب الرجل ساعده ثم نزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم القراموس والشعر المتخير وكان نفر منهم يخرجون وماءهم الا انقرات اليسر بينهم اذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ القرة فلا كما حتى يحدطمها ثم يخرجها من فيه يه ليها احب ثم يشرب حاجا جرعة من الماء وشغل صاحبه كذلك حتى تأتى على آخرهم ولا يبقى من القرة الا الذرة فقتلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم رضى الله عنهم وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيف شديد فتزكنا منزلا أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا ان رقابنا ستقطع وحتى ان الرجل لينهر بسيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستقطع فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله ان الله عز وجل قد عودك في الدماء خيرا فادع الله قال يحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجع حتى ارسل الله سحابة فطمرت فلوأما معهم من الاوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجد بها جاوزت السكر أسنده الطبري عن عمر بن قولته عز وجل من بعد ما كاد تزيع قلوب فريق منهم يعنى من بعد ما تارب أن عميل قاوب بعضهم عن الحق من أجل المشقة والشدة التي نالتهم والزغ في اللغة المل وقيل هم بعضهم أن يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التي نالتهم لكنهم صبروا واحسبوا واندما على ما خطر في قلوبهم فلاجل ذلك قال تعالى ثم تاب عليهم يعنى انه سبحانه وتعالى علم اخلاص نيتهم وصدق توبتهم فرزقهم الا نابة والتوبة فلا قلت قد ذكر التوبة أولا ثم ذكرها ثانيا فافائدة التكرار انه سبحانه وتعالى ذكر التوبة أولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطيبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردف بذكر التوبة سرية أخرى تعظيما لشأنهم ولعلوا أنه سبحانه وتعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم ثم أسبعه بقوله انه بهم رؤف رحيم تأكيداً لذلك ومعنى الرؤف في صفة الله تعالى انه الرفيق بعباده لانه لم يحملهم مالا يطيقون من العبادات وبين الرؤف والرحيم فرق لليب وان تقاربا في المعنى قال الخطابي قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرأفة تكون مع الكراهة قوله سبحانه وتعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا هذه معطوف على ما قبله تقديره لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا فافائدة هذا ان بيان قبول توبتهم وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية وسارة بن الربيع وكلهم من الانصار واحبايه

(من بعد ما كاد تزيع قلوب فريق منهم) عن الثبات على الإيمان أو عن اتباع الرسول في تلك القزوة والخروج معه وكاد ضمير الشأن والجملة بعده في موضع التعصب وهو كقولهم ليس خلق الله مثله أى ليس شأن خلق الله مثله يزغ جزء وحقق (ثم تاب عليهم) ذكر بر للتوكيد (أنه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة) أى و تاب على الثلاثة وهم كعب بن مالك وسارة بن الربيع وهلال بن أمية وهو عطس على النبي (الذين خلفوا) عن الغزو

(من بعد ما كان يزغ) عمل (قلوب فريق منهم) من المؤمنين المخلصين عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم (ثم تاب عليهم) تجاوز عنهم وثبت قلوبهم حتى خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم (انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا) وتجاوز عن الثلاثة الذين خام توبتهم كعب بن مالك واحبايه

وهم المرادون بقوله سبحانه وتعالى وآخرون سرجون لا لله في معنى خلقوا قولان أحدهما أنهم خلفوا عن توبة أبي لبابة وأصحابه وذلك أنهم لم يخضعوا لخاضع أبو لبابة وأصحابه قتال الله على أبي لبابة وأصحابه وآخر أمر هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك والقول الثاني أنهم تخلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وأما حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه فقد روى عن ابن شهاب الزهري قال أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب وكان قائداً لكعب من بني حنينة عني قال وكان أعلم قومه وأوعاهم لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب بن مالك بن عبد الله بن مالك بن كعب يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحد أتخلف عنها إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير مياد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جئت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الأورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً واستقبل عدواً كثيراً فجلال للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب قتل رجل يريد أن يتغيب الأظن أن ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحى من الله عز وجل وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنزلها أسبب قتيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قطفت أغدولكي أنجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً فاقول في نفسي أنا قادر على ذلك إذا أردت فلم ينزل ذلك فجادى بي حتى استمر الناس الجداً فصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غداً والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً فلم ينزل ذلك فجادى بي حتى أسرعوا وتفارط الفزو فهمت أن أرتحل نادركم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك قطفت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزني أني لأرى لي أسوة الأرجل مغموماً عليه في النفاق أو رجلاً ممن عذرا الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداء والنظر في عطفه فقال له معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبهها هو كذلك رأى رجلاً مبيضاً يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أباً خيشمة فاذا هو أبو خيثمة الأنصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزته المنافقون قال كعب فلما بلغني أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلاً من تبوك حضرف بني فطفقت أنذكر الكذب وأقول بم أخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهل فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أطل قاهما زاح عن الباطل حتى حضرت أنى لن أنجونه بهي أبدا فاجت صدقه فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قاهما وكان اذا قدم من سفره بنا بالمسجد فرجع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا قبل منهم على نيتهم وبأصم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله عز وجل حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المقضب ثم قال لي تسال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك ألم تكن قد ابست ظهرك قال قلت يا رسول الله انى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بمذرت قد أعطيت جدلا ولكنى والله لقد علمت ان حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليو شكن الله أن يسخطك على وثن حدثتك حديث صدق تجد على فيه انى لارجو فيه عنى الله وفي رواية عفو الله عز وجل والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقامت وثار رجال من بنى سلمة فاتبونى فقالوا لى والله ما علمناك أذبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال فوالله ما زالوا يؤنبونى حتى أردت أن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسى قال ثم قلت لهم هل لى هذا أحدمى قالوا نعم لقيه معك رجلا ن قالما مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قلت من هما قالوا سارة بن الربيع العامرى وهلال بن أمية الواقفى قال فذكروا الى رجلين صالحين قد شهدا بدرا ففيهما أسوة قال فضيت حين ذكروهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس وأقال تقبروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فهاهى بالارض التى عرف قلبنا على ذلك خسين ليلة فاما صاحبى فاستكانا وقدا فى بيوتهما ببيكان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فاشهد الصلاة وأطوف فى الاسواق ولا يكلمنى أحد وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فاقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلى قريبا منه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتى نظرا لى واذا التفت نحوه أعرض عنى حتى اذا طال على ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقات يا أبا قتادة أنشدك يا لله هل تعلم انى أحب الله ورسوله قال فسكت فمدت فناشدته فسكت فمدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضيت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار فبينما أنا أمشى فى سوق المدينة اذا بنطى من نبط أهل الشام عن قدمى بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب ابن مالك قال فطفق الناس يشيرون لى حتى جاءنى فدفع الى كتابا من ملك غسان وكنت كاتباً

فقرأته فإذا فيه أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفالك ولم يحمالك الله بدار هوان ولا مضية فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأتها وهذه أيضا من البلاء قُتِمت بها التور فمجبرته حتى إذا مضت أربعون من الحسين واستلبت الوحي وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعزل امرأتك قال فقلت أطلبها أم ماذا أعمل قال لا بل اعزلها ولا تقربها قال وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك قال فقلت لامرأتى الحق باهلك فكوني عندهم حتى يقضى الله في هذا الأمر قال فجمعت امرأة هلال بن أمية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربنك فقالت إنه والله ما به حركة إلى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا قال فقال لي بعض أهل لواء استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه قال فقلت لأستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدري ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فليئت بذلك عذري ليل فأكمل لنا خسون ليلة من حين نهي عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صبح حسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل عنا قد ضاقت على نفسي وضائق على الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت أنه قد جاء فرج قال وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إلى فرسا وسعى ساع من اسم قبل وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من القوس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى نزعته له ثوبي فكسوتهما إياه بشارته والله ما أملك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أتأم رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقاني الناس فوجا فوجا يهتفون بالتوبة ويقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهتأني والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلا سلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يا رسول الله أمن عند الله فقال لا بل من عند الله وكان صلى الله عليه وسلم إذا سرائر واستنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قر قال وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله إن من توبى أن انخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فاني أمسك سهمي الذي بخير قال وقلت يا رسول الله إن الله اتما أنجاني بالصدق وإن من توبى أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت أن أحدا من المسلمين أبلأ الله في صدق الحديث



منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلغنى الله ووالله ما تمعدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لا رجوان يحفظنى الله فيما بقى قال فانزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانسار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أرى نعم الله على من نعمة قط بعد ان هدانى للاسلام اعظم فى نفسى من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبة فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرما قال لاحد فقال الله سبحانه وتعالى سيحلفون بالله اذا انقلبتم اليهم لنعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وما واهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لنرضوا عنهم فان رضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا أيها الثلاثة عن أسرار أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلقوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله تعالى فيه فبذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذى ذكر مما خلفنا عن التزو واتما هو تخليفه ايانا وارجاؤه أمرنا عن حلفه واعتذر اليه فقبل منه وفى رواية ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامى وكلام صاحبي ولم يند عن كلام أحد من المخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الاسراف ما من شئ أهم الى من أن أموت فلا يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمنى أحد منهم ولا يصلى على ولا يصلى على قال وأما نزل الله عز وجل وتوبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة فى شأى متنية بامرئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب بن مالك قالت أفلا أرسل اليه فابشره قال اذا يحطكم الناس فيمنونكم اليوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله عاينا أخرجه البخارى ومسلم

### شرح غريب هذا الحديث

قوله حين توائمتنا على الاسلام النوائق تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحلة الجلى أو الناقة القويان على الحمل والفره وقوله ورى بغيرها يقال ورى عن الشئ اذا أخفاه وأظهر غيره والمقازة البربة القفراء سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها قوله فجلا هو بالتخفيف يعنى كشف لهم مقصدهم وأظهره لهم والاهبة الجهاز وما يحتاج اليه المسافر قوله فانا اليها أصغر هو بالعين المهمله أى أميل والصبر الميل وقوله وتصارط الغزواى تباعد ما بينى وبين الجيش من المسافة وطلق مثل جعل والمتموص المصيب المشار اليه بالسبب يقال فلان ينظر فى عطفيه اذا كان مجباً بنفسه ويقال زال به السراب يزول اذا ظهر شخص الانسان خيالا فيه من يمدو السراب

( هو )

﴿ حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾ أى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكليّة وهو مثل لشدة الحيرة ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ قلوبهم من فرط الوحشة والنم بحيث لا يسمعها أنس ولا سرور ﴿ وظنوا ﴾ وعلموا ﴿ أن لا ملجأ من الله ﴾ من سططه ﴿ الا إليه ﴾ الا الى استغفاره ﴿ ثم تاب عليهم ﴾

هو ما يظهر للانسان في البرية في وقت الهاجرة كأنه ماء والميض بكسر الياء لا بس الياء. قوله كن أباً خيثة معناه أنت أبو خيثة وقيل معناه اللهم اجعله أباً خيثة أى لتوجد يا هذا الشخص أباً خيثة حقيقة. قوله الذى لزمه المنافقون يعنى طابوه واحتقروه والقافل الراجع من سفره الى وطنه. قوله حضرنى بجى البث أشد الحزن كأنه لشدة يظهره قوله زاح عنى الباطل أى زال وذهب عنى وأجمت صدقه أى عزمت عليه لقد أعطيت جدلاً أى فصاحة وقوة في الكلام بحيث أخرج عن عهدة ما أردت بما أشاء من الكلام والمغضب بفتح الضاد هو الغضب. قوله فما زالوا يوقنوني أى بلوموني أشد اليوم. قوله حتى تنكرت لى في نفسى الأرض فماهى بالأرض التى أعرف معناه تغير على كل شئ من الأرض وتوحشت على وصارت كأنها أرض لا أعرفها. وقوله فاما صاحبائى فاستكانا يعنى خضعوا وسكنوا. قوله تسورت حائط أبى قتادة أى علوته وصعدت سوره وهو أعلاه والانباط الفلاحون والزرعون وهم من السجم والروم والمضيعة مفعلة من الضياع والاطراح. قوله قيمت بها التنور فحجرت به أى فقصدت بالعصيفة. أتى أرسل بها ملك غسان فاحرقها في التنور وبلغ جبل بالمدينة معروف. وقوله وانطلقت أناثم يعنى أقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس يقال برق وجهه اذا لمع وظهر عليه أمارات الفرج والسرور. وقوله انخلع من مالى أى اخرج منه جميعه وأتصدق به كما ينخلع الانسان قيصره. قوله ما علمت أحدا من المسلمين أبلاء الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني البلاء والابتلاء يكون في الخير وفي الشر واذا اطلق كان في الشر غالباً فاذا اريد به الخير قيد به كما قيد هنا بقوله أحسن مما أبلاني أى أنعم على. قوله أن لا أكون كذبتة هذا هو في جميع روايات الحديث زيادة لفظ لا قال بعض العلماء لفظ لا زائدة ومعناه أن أكون كذبتة. وقوله فاهلك هو بكسر اللام وارجاؤه أمرنا تأخير. وقوله في الرواية الاخرى يحطكم الناس أى يطوكم ويزدجون عليكم وأصل الوطء الكسر. وقوله سائر الليل يعنى باقى الليل. وقوله وأذن بتوبة الله علينا أى اعلم والاذان الاعلام والله أعلم. قوله عن وجل ﴿ حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾ يعنى بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى أنه ضاقت عليهم المكان بعد ان كان واسعا ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ يعنى من شدة النغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم ﴿ وظنوا ﴾ يعنى وأيقنوا وعلموا ﴿ أن لا ملجأ ﴾ يعنى لا مفزع ولا مفر ﴿ من الله الا إليه ﴾ ولا عاصم من عذابه الا هو ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ فيه اضممار وحذف

( حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ) أى مع سعتها وهو مثل الحيرة فى أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكاناً يقرون فيه قلقاً وجزعاً ( وضاقت عليهم أنفسهم ) أى قلوبهم لا يسمعها أنس ولا سرور لأنها خرجت من فرط الوحشة والنم ( وظنوا أن لا ملجأ من الله الا إليه ) وعلموا أن لا ملجأ من سطط الله الا الى استغفاره ( ثم تاب عليهم ) بعد خسرين يوماً

( حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ) أى رحبت ( وضاقت عليهم أنفسهم ) قلوبهم بتأخير التوبة ( وظنوا ) علموا وأيقنوا ( أن لا ملجأ من الله الا إليه ) أن لا نجاة لهم من الله ( الا إليه ) الا بالتوبة اليه من تخلفهم عن غزوة تبوك ( ثم تاب عليهم ) تجاوز عنهم وعفا

بالتوفيق للتوبة ﴿ ليتوبوا ﴾ أو انزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التوابين أو رجع عليهم بالقبول والرجة مرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ﴿ ان الله هو التواب ﴾ لمن تاب وان ماضى اليوم مائة مرة ﴿ الرحيم ﴾ المتفضل عليه بالنعم ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ فيما لا يرصاه ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾ في إيمانهم وعهودهم أو في دين الله نية وقولا وعلاوة فرى من الصادقين أى في توبتهم وإيمانهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة وأضرابهم ﴿ ما كان لاهل المدينة ومن

تقديره وظنوا أن لا ملجأ من الله الا إليه فرجعهم ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه وقوله ثم تاب عليهم تأكيد لقبول توبتهم لانه قد ذكر توبتهم في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم بيانه وانه عطف على قوله لقد تاب الله على النسي والمهاجرين والانصار أى وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا ﴿ وقوله تعالى ﴿ ليتوبوا ﴾ معناه ان الله سبحانه وتعالى تاب عليهم في الماضي ليكون ذلك داعيا لهم الى التوبة في المستقبل فيرجعوا ويدأوموا عليها وقيل ان أصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالتهم الاولى يعنى الى عادتهم في الاختلاط بالناس ومكالتهم فتسكن نفوسهم بذلك ﴿ وان الله هو التواب ﴾ يعنى على عبادہ ﴿ الرحيم ﴾ بهم وفيه دليل على ان قبول التوبة بمحض الرجة والكرم والفضل والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شئ ﴿ قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ يعنى في مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾ يعنى مع من صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المناققين الذين قعدوا في البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن جبيرة مع الصادقين يعنى مع أبي بكر وعمر وقال ابن جرير مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يستندروا بالاعتذار الباطلة الكاذبة وهذه الآية تدل على فضيلة الصدق لان الصدق يهتدى الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد في الحديث وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صاحبه شياً ثم لا ينجزه اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين وروى أن أبا بكر الصديق احتج بهذه الآية على الانصار في يوم السقيفة وذلك أن الانصار قالوا منأ ميرومكم أمير فقال أبو بكر يا معشر الانصار ان الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك هم الصادقون من هم قالت الانصار أأنتم هم فقال أبو بكر ان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فأنتم أن تكونوا معنا ولم يأمرنا أن نكون معكم نحن الامراء وأنتم الوزراء وقيل مع عفى من والمعنى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ما كان لاهل المدينة ﴾ يعنى لساكنى المدينة من المهاجرين والانصار ﴿ ومن

( ليتوبوا ) ليكونوا من جملة التوابين ( ان الله هو التواب الرحيم ) عن أبي بكر الوراق انه قال التوبة النصوح أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ) في إيمانهم دون المنافقين أو مع الذين لم يتخلفوا أو مع الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعلا والآية تدل على أن الاجماع حجة لانه أمر بالسكون مع الصادقين فلزم قبول قولهم ( ما كان لاهل المدينة ومن

عنهم ) ليتوبوا ( لكي يتوبوا ) من تخلفهم ( ان الله هو التواب ) المتجاوز ( الرحيم ) لمن تاب ( يا أيها الذين آمنوا ) عبدالله بن سلام وأصحابه وغيرهم من المؤمنين ( اتقوا الله ) أطيعوا الله فيما أمركم ( وكونوا مع الصادقين ) مع أبي بكر وعمر وأصحابهما في الجلوس والحروج بالجهاد ( ما كان لاهل المدينة ) ما جاز لاهل المدينة ( ومن

حولهم من الاعراب ان يخلفوا عن رسول الله ( المراد بهذا النبي الذي وخض هؤلاء بالذكور وان استوى كل  
الناس في ذلك لقربهم منه ولا يخفى عليهم خروجه ( ولا يرغبوا ) ولا أن يضنوا ( بأنفسهم عن نفسه ) عايب نفسه أي  
لا يختاروا ابقاء أنفسهم على نفسه في الشدائد بل أسروا بأن يصحبوه في البأساء والضراء ويلقوا أنفسهم بين يديه في كل  
هدة ( ذلك ) التي عن الخلف ( بأنهم ) بسبب أنهم ( لا يصيبهم ظمأ ) عطش ( ولا نصب ) تعب ( ولا غصصة ) جماعة ( في  
سبيل الله ) في الجهاد ( ولا يطؤون موطئا ) ﴿ ٢١٥ ﴾ موطئا { سورة براءة } ولا يدوسون مكانا من أماكن

الكفار بخوافر خيولهم  
واخفاف دوابهم وأرجلهم  
( يقيظا لكفار ) يفضيهم  
ويضيق صدورهم ( ولا  
ينالون من عدو نيلا )  
ولا يصيبون منهم اصابة  
بقتل أو أسر أو جرح  
أو كسر أو هزيمة ( الا كتب  
لهم به عمل صالح ) عن ابن  
عباس رضي الله عنهما  
لكل روعة سمون ألم  
حسنة يقال نال منه اذا  
رزأ ونقصه وهو عام  
في كل ما يسوءهم وفيه دليل  
على أن من قصد خيرا كان  
سعيه فيه مشكورا من قيام  
وقعود ومشى وكلام وغير  
ذلك وعلى ان المدد يشارك  
الجيش في القيمة بعد  
انقضاء الحرب لان وطء  
ديارهم بما يفيظهم وقد أسهم  
النبي صلى الله عليه وسلم  
لأبي عاصم وقد قدما بعد  
تقضى الحرب والموطئ

حولهم من الاعراب من  
مزية وجهينة واسلم ( أن

حولهم من الاعراب ان يخلفوا عن رسول الله ﴿ عن حكمه لى عبرته بصيغة التثنية للمبالغة ﴾  
﴿ ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ﴾ ولا يصنوا أنفسهم عالم يصن نفسه عنه ويكابدوا  
معه ما يكابده من الاهوال روى ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له  
في الظل وبسطت له الحصر وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب  
يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الضم والريح  
ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومركا ربح فدرس رسول الله صلى الله  
تعالى عليه وسلم طريقه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة  
فكأنه هو ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز  
النصب والجزم ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن الخلف  
أو وجوب المشايمة ﴿ بأنهم ﴾ بسبب أنهم ﴿ لا يصيبهم ظمأ ﴾ شئ من العطش  
﴿ ولا نصب ﴾ تعب ﴿ ولا غصصة ﴾ جماعة ﴿ في سبيل الله ﴾ ولا يطؤون موطئا ﴿  
ولا يدوسون مكانا ﴾ يقيظ الكفار ﴿ يفضيهم وطؤه ﴾ ولا ينالون من عدو نيلا ﴿ كالقتل  
والأسر والنهب ﴾ الا كتب لهم به عمل صالح ﴿ الاستوجبوا له الثواب وذلك مما يوجب

حولهم من الاعراب ﴿ يعني سكاك البوادي من مزية وجهينة واسلم وانهم وغفار  
وقيل هو عام في كل الاعراب لان اللفظ عام وجهلة على العموم أولى ﴾ أن يخلفوا عن  
رسول الله ﴿ يعني اذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعناه النهي أي ليس لهم أن يخلفوا عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ ولا يرغبوا ﴿ يعني ولا أن يرغبوا ﴾ بأنفسهم عن نفسه ﴿  
يعني ليس لهم أن يكرهوا لانفسهم ما يختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه  
ولا يختاروا لانفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبة والجهاد معه في حال الشدة  
والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بأنفسهم ان يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة  
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومقاساة التعب ﴿ ذلك بأنهم لا يصيبهم ﴾  
في سفرهم وغزواتهم ﴿ ظمأ ﴾ أي عطش ﴿ ولا نصب ﴾ أي تعب ﴿ ولا غصصة ﴾ يعني  
جماعة عديدة ﴿ في سبيل الله ولا يطؤون موطئا يقيظ الكفار ﴾ يعني ولا يضعون قدما على الارض  
يكون ذلك القدم سببا لقيظ الكفار وغمهم وحزنهم ﴿ ولا ينالون من عدو نيلا ﴾ يعني  
أسرا أو قتلا أو هزيمة أو غنم أو نحو ذلك قليلا كان أو كثيرا ﴿ الا كتب لهم به عمل  
صالح ﴾ يعني الا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح

يخلفوا عن رسول الله ( في الغزوة ) ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ( لا يكونوا على أنفسهم أشفق من نفس النبي صلى الله  
عليه وسلم ويقال ولا يرغبوا بأنفسهم بصحبة أنفسهم عن نفسه عن صحبة النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد ( ذلك ) الخروج  
( بأنهم لا يصيبهم ظمأ ) عطش في الذهاب والجي ( ولا نصب ) ولا تعب ( ولا غصصة ) ولا جماعة ( في سبيل الله ) في الجهاد  
( ولا يطؤون موطئا ) لا يجوزون مكانا بظهوره عليه ( يقيظ الكفار ) بذلك ( ولا ينالون من عدو نيلا ) قتلا أو هزيمة  
( الا كتب لهم به عمل صالح ) ثواب عمل صالح في الجهاد

مكان فان كان مكانا ففي يفظ  
الكفار يفظهم وطوء  
( ان الله لا يضيع أجر  
المحسنين ) أي أنهم محسنون  
والله لا يبطل ثوابهم  
( ولا ينفقون نفقة ) في سبيل  
الله ( صغيرة ) ولو تمرة ( ولا  
كبيرة ) مثل ما أنفق عثمان  
رضي الله عنه في جيش  
المسرة ( ولا يقطعون واديا )  
أي أرضا في ذهابهم وحبشهم  
وهو كل منفرج بين جبال  
وأمام يكون منفذ السيل  
وهو في الاصل فاعل من  
ودى اذا سال ومنه لودى  
وقد شاع في الاستعمال بمعنى  
الأرض ( الا كتب لهم )  
من الاتفاق وقطع الوادى  
( ليجزيهم الله ) متعلق  
بكتب أي أثبت في صحائفهم  
لأجل الجزاء ( أحسن  
ما كانوا يعملون ) أي  
يجزيهم على كل واحد  
جزاء أحسن عمل كان لهم  
فيلحق مادونه به توفيرا  
( ان الله لا يضيع ) لا يبطل  
( أجر المحسنين ) ثواب  
المؤمنين في الجهاد ( ولا  
ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة )  
قليلة ولا كثيرة في الذهاب  
والجى ( ولا يقطعون واديا )  
في طلب العدو ( الا كتب لهم  
ثواب عمل صالح ) ليجزيهم الله  
أحسن ما كانوا يعملون

المتابعة ﴿ ان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ على احسانهم وهو تعطيل لكتب وتبيينه على  
ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلا تله سى في تكسيلم بأقصى ما يمكن كضرب  
المداوى للمحسنين واما في حق المؤمنين فلا تله صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم  
﴿ ولا ينفقون نفقة صغيرة ﴾ ولو علاقة ﴿ ولا كبيرة ﴾ مثل ما أنفق عثمان رضي الله تعالى  
عنه في جيش المسرة ﴿ ولا يقطعون واديا ﴾ في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل  
اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض ﴿ الا كتب لهم ﴾ الا أثبت لهم ذلك ﴿ ليجزيهم  
الله ﴾ بذلك ﴿ أحسن ما كانوا يعملون ﴾ جزاء أحسن اعمالهم أو أحسن جزاء اعمالهم  
قد ارتضاء لهم وقبل منهم ﴿ ان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ يعني ان الله سبحانه وتعالى  
لا يبدع محسنا من خلقه قد أحسن في عمله وأطاعه فيما أمره به أو نهاه عنه أن يجازيه على احسانه  
وعمله الصالح وفي الآية دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه  
وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله ومن قصد معصية الله كان قيامه  
وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها سيئات الا ان يغفرها الله بفضله وكرمه واختاف  
العلماء في حكم هذه الآية فقال قتادة هذا الحكم خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم  
اذا غزا بنفسه لم يكن لاحد أن يتخلف عنه الا بذر فاما غيره من الأئمة والولاة فيجوز  
لمن شاء من المؤمنين ان يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن  
مسلم سمعت الاوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيدا يقولون في هذه الآية انها  
لاول هذه الامة وآخرها فعمل هذا تكون هذه الآية محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد  
هذا حين كان أهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله عز وجل وأباح التخلف لمن  
شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدى عن عطية انه قال وما كان  
لهم ان يتخافوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم وأمرهم وقال هذا هو  
الصحيح لانه لا تعين الطاعة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا اذا أمر وكذا  
غيره من الأئمة والولاة قالوا اذا ندبوا أو عينوا لانا لسوغنا للمندوب أن يقاعد ولم  
يختص بذلك بعض دون بعض لادى ذلك الى تعطيل الجهاد والله أعلم وقوله عز وجل  
﴿ ولا ينفقون ﴾ يعني في سبيل الله ﴿ نفقة صغيرة ولا كبيرة ﴾ يعني تمرة فسا  
دونها أو أكثر منها حتى علاقة سوط ﴿ ولا يقطعون واديا ﴾ يعني ولا يجاوزون في  
مسيرهم واديا مقبلين أو مدبرين فيه ﴿ الا كتب لهم ﴾ يعني كتب الله لهم آثارهم  
وخطاهم ونفقاتهم ﴿ ليجزيهم الله ﴾ يعني يجازيهم ﴿ أحسن ما كانوا يعملون ﴾ قال الواحدى  
معناه بأحسن ما كانوا يعملون وقال الامام فخر الدين الرازى فيه وجهان الاول أن  
الأحسن من صفة أفعالهم وفيها الواجب والمندوب والمباح قاله سبحانه وتعالى يجزيهم  
على الأحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثاني ان الأحسن صفة للجزاء أي  
يجزيهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل وهو الثواب وفي الآية دليل  
على فضل الجهاد وأنه من أحسن أعمال العباد (ق) عن سهل بن سعد الساعدي ان

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لغزو  
عزوا وطلب علم كالا يستقيم لهم ان يتبطوا جميعا فانه يحل بأمر المماش

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع  
سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها الجسد في سبيل  
الله أو القدوة خير من الدنيا وما عليها وفي رواية وما فيها (ق) عن أبي هريرة قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهادا في سبيل  
وايمانين وتصديقا برسلي فهو على ضامن ان أدخله الجنة أو أخرجته الى مسكن الذي  
خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله  
الا جاء يوم القيامة كهيئة يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده  
لولا ان أشق على المسلمين ما قدمت خلافا سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا جد  
سعة فاجلهم ولا يجحدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لو ددت  
ان أغزو في سبيل الله فاقول ثم أغزو فاقول ثم أغزو فاقول لفظ مسلم وللبخاري بمناه (ق)  
عن أبي سعيد الخدري قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس أفضل  
قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعاب  
يعبد الله وفي رواية يتقى الله ويدع الناس من شره (خ) عن أبي هريرة ان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايماناً بالله وتصديقاً بوعده فان شبعه  
وريد وروث وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسناته (خ) عن ابن عباس ان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال ما غبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار (م) عن أبي مسعود  
الانصاري البدرى قال جاء رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال  
هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعائة ناقة كلها  
مخطومة لا عن خريم بن فاك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة في سبيل الله  
كتب الله له سبعائة ضعة أخرجه الترمذي والنسائي قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما  
كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ الآية قال عكرمة انزلت هذه الآية ما كان لاهل المدينة  
ومن حوازم من الاعراب ان يخافوا عن رسول الله قال ناس من المنافقين هلك من  
تخاف فنزلت هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال ابن عباس انها ليست  
في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين اجابت بلادهم  
فكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد وتبأوا بالاسلام هم كاذبون  
في واصل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فانزل الله عز وجل الآية  
ينهيهم على الله عليه وسلم انهم ليسوا بمؤمنين فرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى  
عشائرهم وذكر هو منهم ان غاروا فلو انهم نزلوا ذلك قوله سبحانه وتعالى  
﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ الآية في رواية أخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
من كل حي من العرب بحماية فانزل الله عز وجل الآية في رواية أخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا جرمهم (وما كان المؤمنون  
لينفروا كافة) السلام  
لأن كبد النبي أي أن تقيد  
الكافة عن أوطانهم لطلب  
العلم غير صحيح للأفضاء الى  
في الجهاد (وما كان المؤمنون)  
ما جاز للمؤمنين (لينفروا كافة)  
يخرجوا جميعا في السرية  
ويتركوا النبي صلى الله عليه  
وسلم في المدينة وحده

﴿ فلولانفر من كل فرقة منهم طائفة ﴾ فهلا نفر من كل جماعة كثيرة قليلة واحل بلدة جماعة قليلة ﴿ ليتفقوا في الدين ﴾ ليتكفوا الفقه فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ﴿ ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ﴾ وليصلوا غاية سعيهم ومظم غرضهم من الفقه ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتدكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد ﴿ لعلمهم يحذرون ﴾ ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة نفر دوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقة كما يتذكروا ويحذروا فلولان ينذر اخبار الآحاد

اسر دينهم ويتفقون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما نأمرنا ان نفعله واخبرنا عما نقول لشارنا اذا اطلقنا اليهم فآمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله ويسبغهم الى قومهم بالصلاة والزكاة فكانوا اذا اتوا قومهم نادوا من اسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق اياه وامه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من امر الدين وان ينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ويدعوهم الى الاسلام وينذروهم النار ويشيروهم بالجنة وقال مجاهد ان ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فاسابوا من الناس معروفا ومن الخطب ما يقتضون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم اصحابكم وجشتمونا فوجدوا في انفسهم تحرجا واقبلوا من البداية كلهم حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل ﴿ فلولانفر من كل فرقة منهم طائفة ﴾ يتفقون الخير وقد طائفة ﴿ ليتفقوا في الدين ﴾ لیسمو ما أنزل الله ﴿ ولينذروا قومهم ﴾ من الناس ﴿ اذا رجعوا اليهم لعلمهم يحذرون ﴾ وقال ابن عباس ما كان المؤمنون ليعفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلولانفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصابة يعني السرايا ولا يسيرون الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل في بعضهم قرآن تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد أنزل على نبيكم من بعدكم قرآنا وقد علمناه فتكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم وتبعث سرايا أخرى فذلك قوله سبحانه وتعالى ليتفقوا في الدين يقول ليتعلموا ما أنزل الله على نبيهم وعلموا السرايا اذا رجعت اليهم لعلمهم يحذرون تقل هذه الاقوال كلها الطبري وأما تفسير الآية فيمكن أن يقال انها من بقية أحكام الجهاد ويمكن أن يقال انها كلام مبتدأ لا تملق له بالجهاد فلي الاحتمال الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزوة يتخلف عنه الامتافق أو صاحب عذر فلما بالغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شيء من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبشها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جميعا الى الغزوة وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فنزلت هذه الآية فيكون المعنى

( ما كان )

المفسدة ( فلولانفر ) فمن لم يكن تغير الكفاية فهلا نفر ( من كل فرقة منهم طائفة ) أي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم التغير ( ليتفقوا في الدين ) ليتكفوا الفقه فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها ( ولينذروا قومهم ) وليعلموا سرى هممتهم الى التفقه انذار قومهم وارشادهم ( اذا رجعوا اليهم ) دون الاغراض الحسية من التصدر والتؤوس والتشبه بالظلمة في المراكب والملابس ( لعلمهم يحذرون ) ما يجب اجتنابه وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بشا بعد غزوة

( فلولانفر ) فهلا خرج ( من كل فرقة ) جماعة ( منهم طائفة ) وبقي طائفة بالمدينة ( ليتفقوا في الدين ) لكي يتعلموا امر الدين من النبي صلى الله عليه وسلم ( ولينذروا ) لينذروا وليعلموا ( قومهم ) اذا رجعوا اليهم ( من غزوتهم ) لعلمهم يحذرون لكي يعلموا امرها به وما نهوا عنه ويقال

ما لم نواتر لم نجد ذلك وقد اشبهت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل  
للآية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفي وانقطعوا  
عن التفقه فأمر وان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى  
لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجهاد بالحجة هو الاصل والمقصود من البشة  
فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي  
رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذ ارجعوا اليهم بما حصلوا اليهم

ما كان ينبغي للمؤمنين ولا يجوز لهم أن ينفروا بكليتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بل يجب أن ينقسموا قسمين فطائفة يكونون مع رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وطائفة ينفرون الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام  
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في الدين  
لان الاحكام والشرايع كانت تبيد شيئا بعد شيئا فاللازمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
يحفظون ما نزل من الاحكام وما يجدد من الشرايع فاذا قدم الغزاة أخبروهم بذلك فيكون  
معنى الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة قلوا يعني فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة  
للجهاد وقد طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذ ارجعوا  
اليهم من غزوهم لعلهم يحذرون يعني مخالفة أمر الله وأمر رسوله وهذا معنى قول قتادة  
وقيل ان التفقه سعة للطائفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بغيرهم الله  
من الظهور على المشركين والتصرة وينذروا قومهم اذ ارجعوا اليهم ومعنى ذلك ان  
الفرقة النافرة اذا شاهدوا نصر الله لهم على أعدائهم وان الله يريد اعلاء دينه وتقوية دينه  
صلى الله عليه وسلم وان الفئة القليلة قد غلبت جما كثيرا فاذا رجعوا من ذلك النفي الى  
قومهم من الكفار أنذروهم بما شاهدوا من دلائل النصر والفتح والظفر لهم لعلهم  
يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق وأورد على هذا القول ان هذا الولوج لا يند تفقها  
في الدين ويمكن أن يجاب عنده بانهم اذا علموا ان الله هو ناصرهم ومقوهم على عدوهم كان  
ذلك زيادة في ايمانهم فيكون ذلك تفقها في الدين واما الاحتمال الثاني وهو ان يقال ان  
هذه الآية كلام مبتدأ لا تعلق له بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي  
صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي فاصابوا معروفا ودعوا من وجدوا من الناس  
الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم  
من ذلك حرجا فاقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله  
هذه الآية والمعنى هلا نفر من كل فرقة طائفة وقد طائفة ليتفقهوا في الدين وبلغوا  
ذلك الى النافرين لينذروا قومهم اذ ارجعوا اليهم لعلهم يحذرون يعني بأس الله ونقمة  
اذا خالفوا أمره وفي الآية دليل على أنه يجب ان يكون المقصود من العلم والتفقه دعوة  
الحلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم فكل من تفقه وتعلم بهذا  
القصد كان على المنهج القويم والصراط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب الدنيا  
كان من الاخسرين أعمالا الآية (ق) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

تبوك بعدما نزل في المتخلفين  
من الآيات الشداد استبق  
المؤمنون عن آخرهم الى  
النفي وانقطعوا جميعا عن  
التفقه في الدين فأمر وان  
ينفر من كل فرقة منهم  
طائفة الى الجهاد ويبقى  
سايرهم يتفقهون حتى  
لا ينقطعوا عن التفقه الذي  
هو الجهاد الاكبر اذ الجهاد  
بالحجج أعظم أثر من  
الجهاد بالنصال والضمير  
في ليتفقهوا للفرق الباقية  
بعد الطوائف النافرة من  
بينهم ولينذروا قومهم  
ولينذر الفرق الباقية  
قومهم النافرين اذ ارجعوا  
اليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم  
من السلام وعلى الاول  
الضمير للطائفة النافرة الى  
المدنية لتفقه

نزلت هذه الآية في بني أسد  
أصابتهم سنة فجاؤا الى  
النبي صلى الله عليه وسلم  
بالمدينة فاعلوا أسرار المدينة  
وأفسدوا طرقها بالعدوات  
فنهاهم الله عن ذلك



غيبتهم من العلوم ﴿ يا أيها الذي آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار ﴾ أمروا بقتال  
الاقرب منهم فالاقرب كما أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أولا باتذار عشيرته  
الاقربين فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقبلهم يهود حوالى المدينة كقرينة

يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما أنا قاسم ويعطى الله ولم يزل أمر هذه الامة  
مستقيا حتى تقوم الساعة وحتى يأتي أمر الله (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يمجدون الناس ما من خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا  
فقهوا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقه واحد أشد على الشيطان  
من ألف عابد آخرجه الترمذى وأصل الفقه في اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وقفه  
فقاهة اذا صار فقهيا ومثل الفقه هو الوصول الى علم قائب يعلم شاهده وأخص من العلم  
وفي الاصطلاح الفقه عبارة عن العلم بأحكام الشرائع وأحكام المدن وذلك ينقسم الى فرض  
عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة أحكام الطهارة وأحكام الصلاة والصوم فملى  
كل مكلف معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فرض على كل مسلم ذكره  
البخارى وغيره وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف يحكم الشرع يجب عامه معرفة علمها مثل  
علم الزكاة اذا صار له مال يجب في مثله الزكاة وعلم أحكام الحج اذا وجب عليه رما فمضى الكفاية  
من الفقه فهو ان يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد في درجة القضاة واذا قدم أهل بلد عن تعلم مصوا  
جسبا واذا قام به من كل بلد واحد فمضى حتى بلغ درجة القضاة واذا قدم أهل بلد عن تعلم مصوا  
تفاهيد فمضى لهم من الحوادث عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى العلم  
على العالم كفضلى على أدناكم أخرجه الترمذى مع الزيادة في حديثه عن أبي هريرة قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة  
أخرجه الترمذى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج الى طلب العلم  
فهو في سبيل الله حتى يرجع أخرجه الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي  
صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل ابنة شكمة اوست قاعة  
او قراصة عادلة أخرجه أبو داود الآلة المحكمة هي التي لا اثناء فيها ولا اختلاف  
في حكمها أو ما ليس بنسوخ والسنة المأثمة هي المستقرة الدائمة التي العمل بها متمسك  
لا يتراءى والفريضة الدالة على التي لا يجوز فيها ولا حجب في فوائدها قال الأئمة ليزيد ما من  
علم عامل معلم يدعى عظيما في ما كرم السموات وأخرجه الترمذى موقوتا وهو الامام  
الشافعي رضي الله تعالى عنه طالب العلم أفضل من الصلاة الغلة في دولة سبحانه وتعالى  
﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار ﴾ أمروا بالاقرب الاقرب اليهم  
في الدار والنسب قال ابن عباس مثل قرينة والنضير ونخيل ونحوها وقال ابن عمر هم  
الروم لانهم كانوا مكان الشام والشام أقرب الى المدينة من العراق ومال بعضهم اليه العلم  
وقال ابن زيد كان الذين يلوونهم من الكفار العرب فقاموا بهم حتى فرغوا منهم فأصروا  
بقتال أهل الكتاب وجهادهم حتى يؤمنوا أو يسطوا الجزيرة عن يدهم وتل عن بعض العلماء انه قال

(يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين  
يلوونكم) يقربون منكم (من  
الكفار) القتال واجب  
مع جميع الكفرة قربهم  
وبعيدهم ولكن الاقرب  
فالاقرب أو واجب وقد حارب  
النبي صلى الله عليه وسلم  
قومه ثم غيرهم من عرب  
الحجاز ثم الشام والشام  
أقرب الى المدينة من العراق  
وغیره وهكذا المنروضة  
على أسهل كل ناحية  
(يا أيها الذين آمنوا) محمد  
صلى الله عليه وسلم واقرب  
(قاتلوا الذين يلوونكم  
من الكفار) من بني قريظة  
والنضير

قاتلوا من ولهم (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وعنف في المقاتلة قبل القتال (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة والغلظة (واذا ما أنزلت سورة) ماصلة مؤكدة (فمنهم) فن ﴿٢٢١﴾ المنافيين (من يقول) بعضهم { سورة براءة } لبعض (أيكم زادت هذه)

السورة (إيماناً) انكاراً واستهزاء بالمؤمنين وأيكم صر فوج بالابتداء وقيل هو قول المؤمنين للحث والتثنية (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) يقينا وثباتاً وخشية أو إيماناً بالسورة لأنهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلاً (وهم يستبشرون) يدون زيادة التكليم بشارة التشریف (وأما الذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق مهو غساد يحتاج إلى علاج كالفساد في البدن (فزادتهم رجساً إلى رجسهم)

وفدك وخير (وليجدوا فيكم) منكم (غلظة) شدة (واعلموا) ياء مشر المؤمنين (أن الله مع المتقين) معين المؤمنين محمد عليه السلام وأصحابه بالنصرة على أعدائهم (واذا ما أنزلت سورة) آية فيقرأ عليهم محمد صل الله عليه وسلم (فمنهم) من المنافقين (من) يقول أي يقول بعضهم (ألكم زادت هذه) السورة والآية (إيماناً) خوفاً ورجاءاً وثباتاً فقال محمد (فأما الذين آمنوا) محمد عليه السلام وأصحابه (فزادتهم إيماناً) خوفاً ورجاءاً وثباتاً (وهم)

والنضير وخير وقيل الروم فأنهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وصبر على القتال وقرئ بفتح القين وضمتها وهما لغتان فيها (واعلموا أن الله مع المتقين) بالحراسة والإعانة (واذا ما أنزلت سورة ففهم) فن المنافقين (من يقول) انكاراً واستهزاء (أيكم زادت هذه) السورة (إيماناً) وقرئ أيكم بالنصب على ضمائر قل يفسره زادت (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الإيمان بها وبما فيها إلى إيمانهم (وهم يستبشرون) بتزولها لأنه سبب لزيادة كمالهم وارتضاع درجاتهم (وأما الذين في قلوبهم مرض) كفر (فزادتهم رجساً إلى رجسهم) كفراً بما مضى إلى الكفر بتغييرها

نزلت هذه الآية قبل الأمر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة صارت ناسخة لقوله سبحانه وتعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للتسليم لأنه سبحانه وتعالى لما أمرهم بقتال المشركين كافة أرشدهم الطريق الأصوب الأصح وهو أن يبدأ بقتال الأقرب فالأقرب حتى يصلوا إلى الأبعد فلا يبعد وهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لأن قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً قومه ثم انتقل منهم إلى قتال سائر العرب ثم انتقل إلى قتال أهل الكتاب وهم قريظة ونضير وخيبر وفدك ثم انتقل إلى غزو الروم في الشام فكل فتح الشام في زمن الصحابة ثم انهم انهملوا إلى العراق ثم بعد ذلك إلى سائر الأمصار لأنه إذا قاتل الأقرب تقوى بما ينال منهم من الضائم على الأبعد وقوله سبحانه وتعالى (وليجدوا فيكم غلظة) معنى شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبرا على جهادهم (واعلموا أن الله مع المتقين) معنى بالعون والنصرة (واذا ما أنزلت سورة ففهم من يقول أيكم زادت هذه إيماناً) يعني وإذا أنزل الله سورة من سور القرآن فمن المنافقين من يقول يعني يقول بعضهم لبعض أنكم زادت هذه معنى السورة إيماناً معنى تصديقاً وبقينا وانما يقول ذلك المنافقون استهزاء وقبل يقول ذلك المنافقون لبعض المؤمنين فقال الله سبحانه وتعالى (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) معنى تصديقاً وقرباً من الله ومعنى الزيادة ضم معنى إلى آخر من جنسه (وهم يستبشرون) أي هم فزادتهم إيماناً إذا آمنوا بتزول سورة من القرآن عن ثمة واعرفوا أنها من عند الله عز وجل زادهم ذلك الإفراز والاعتراف إيماناً وقد تقدم بسط الكلام على زيادة الإيمان في أول سورة الانفال (وهم يستبشرون) معنى أن المؤمنين يفرحون بتزول القرآن شيئاً بعد شيء لأنهم كلما نزل ازدادوا إيماناً وذلك واجب من الثواب في الآخرة وكما تحصل الزيادة في الإيمان بسبب نزول القرآن كذلك يحصل الزيادة في الكفر وهو قوله سبحانه وتعالى (وأما الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق سمى الشك في الدين مرضاً لأنه فساد في القلب يحتاج إلى علاج كما مرض في البدن إذا حصل يحتاج إلى العلاج (فزادتهم رجساً) يعني سورة من القرآن (رجساً إلى رجسهم)

يستبشرون) بما أنزل من القرآن (وأما الذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (فزادتهم رجساً إلى رجسهم) شكاً في شكه بما

كفرا مضموما الى كفرهم (وماتوا وهم كافرون) هو اخبار عن اصرارهم عليه الى الموت (أولايرون) يعنى المنافقين وبالثاء جزء  
خطاب للمؤمنين ( اللهم { الجزء الحادى عشر } يفتنون ) يتلون ﴿ ٢٢٢ ﴾ بالقسط والمرضى وغيرهما (فى كل

﴿وماتوا وهم كافرون﴾ واستحكم ذلك فبهم حتى ماتوا عليه ﴿أولايرون﴾ يعنى المنافقين  
وقرأ جزءه بالثاء ﴿اللهم يفتنون﴾ يتلون باصناف البليات أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله  
تعالى عليه وسلم فيعانون ما يظهر عليه من الآيات ﴿فى كل عام مرة أو مرتين﴾ ثم  
لايتوبون ﴿لا يشعرون ولا يتوبون من نفاقهم﴾ ولا هم يذكرون ﴿ولا يتوبون﴾ ولا  
﴿واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض﴾ تفاسروا باليؤن انكارا لها وسخرية  
أو غيلا لما فيها من عيوبهم ﴿هل يراكم من أحد﴾ أى يقولون هل يراكم من أحد ان قتم من  
حضرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فان لم يره أحد قاموا وان رآهم أحد أقاموا  
﴿ثم انصرفوا﴾ عن حضرة مخافة الفضيحة ﴿صرف الله قلوبهم﴾ عن الايمان وهو  
بسنى كفرا الى كفرهم وذلك أنهم كلما جمعدوا نزول سورة أو استهزؤا بها  
ازدادوا كفرا مع كفرهم الاول وسى الكفر رجسا لانه أقبح الاشياء وأصل  
الرجس فى اللغة الشئ المستقذر ﴿وماتوا﴾ يعنى هؤلاء المنافقين ﴿وهم كافرون﴾ يعنى  
وهم حاحدون لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد فى هذا  
الآية الايمان يزيد وينقص وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه ويقول  
تعالوا حتى نزيد ايماننا وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ان الايمان يبدو لمعة  
بيضاء فى القلب وكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله  
وان الفاق يبدو لمعة سوداء فى القلب وكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب  
كله وأيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق  
لوجدتموه أسود ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿أولايرون﴾ قرئ ترون بالثاء على خطاب  
المؤمنين وقرئ بالياء على انه خبر عن المنافقين المذكورين فى قوله فى قلوبهم مرض  
﴿انهم يفتنون﴾ يعنى يتلون ﴿فى كل عام مرة أو مرتين﴾ يعنى بالامراض والشدائد  
وقبل بالقسط والجذب وقيل بالغزو والجهاد وقيل أنهم بفسخهمون باظهار نفاقهم  
وقيل أنهم ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون وقيل أنهم ينقضون عهدهم فى السنة مرة  
أو مرتين ﴿ثم لايتوبون﴾ يعنى من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون الى الله ﴿ولا هم  
يذكرون﴾ يعنى ولا ينتظرون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين  
﴿واذا ما أنزلت سورة﴾ يعنى فيها عيب للمنافقين وتوبيخهم ﴿نظر بعضهم الى بعض﴾  
يريدون بذلك الهرب بقول بعضهم لبعض اشارة ﴿هل يراكم من أحد﴾ يعنى هل  
أحد من المؤمنين يراكم ان قتم من مجلسكم فان لم يره أحد خرجوا من المسجد وان  
عابوا أن أحدا براهم من المؤمنين أقاموا ولبثوا على تلك الحال ﴿ثم انصرفوا﴾ يعنى  
عن الاعيان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التى يسهون فيها  
ما يكرهون ﴿صرف الله قلوبهم﴾ يعنى عن الايمان وقال الزجاج أنهم الله مجازاة لهم

عام مرة أو مرتين ثم لا  
يتوبون) عن نفاقهم) ولا  
هم يذكرون) لا يتوبون أو  
بالجهاد مع رسول الله صلى الله  
عليه وسلم لا يتوبون بما يرون  
من دولة الاسلام ولا هم  
يذكرون بما يقع بهم من  
الاصطلام) (واذا ما أنزلت  
سورة نظر بعضهم الى بعض)  
تفاسروا باليؤن انكارا  
للوحي وسخرية به قائلين  
(هل يراكم من أحد) من المسلمين  
انصرف قانا لا نصبر على  
استماعه وبقلبنا الضحك  
فتخاف الافضاح بينهم وإذا  
ما أنزلت سورة فى عيب  
المنافقين أشار بعضهم الى  
بعض هل يراكم من أحد  
ان قتم من حضرة عليه  
السلام (ثم انصرفوا) عن  
حضرة النبى عليه السلام  
مخافة الفضيحة (صرف الله  
قلوبهم)

انزل من القرآن (وماتوا  
وهم كافرون) محمد  
صلى الله عليه وسلم والقرآن  
فى السر (أولايرون)  
يعنى المنافقين (انهم يفتنون)  
يتلون باظهار مكرهم  
وخياشهم ويقال بنقض  
عهدهم (فى كل عام مرة

أو مرتين ثم لا يتوبون) من صنيعهم ونقض عهدهم (ولا هم يذكرون) يتظنون (واذا ما أنزلت سورة) (على)  
جبريل بسورة فيها عيب للمنافقين وكان يقرأ عليهم النبى صلى الله عليه وسلم (نظر) المنافقون (بعضهم الى بعض هل  
يراكم من أحد) من المخاصين (ثم انصرفوا) عن الصلاة والخطبة والحق والهدى (صرف الله قلوبهم) عن الحق والهدى

يحتمل الاخبار والدعاة **(بأنهم)** بسبب انهم **(قوم لا يفقهون)** اسوء فهمهم اولمدم تدبرهم **(لقد جاءكم رسول من انفسكم)** من جنسكم عربى مثلكم وقرى من انفسكم أى من اشرافكم **(عزيز عليه)** شديد شاق **(ماعنتم)** عنتكم ولقاؤكم المكروه

على فعلهم **(بأنهم قوم لا يفقهون)** يعنى لا يفقهون عن الله دينه ولا شياً فيه نفهم قوله سبحانه وتعالى **(لقد جاءكم رسول من انفسكم)** هذا خطاب للعرب يعنى لقد جاءكم ايها العرب رسول من انفسكم تعرفون نسبه وحسبه وانه من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الاوقدولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شئ من ولادة الجاهلية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكر البغوي باسناد الثلي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدنى من سفاح أهل الجاهلية شئ ما ولدنى الانكاح كنكاح أهل الاسلام قال قتادة جعله الله من انفسهم فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء فى تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الاوقدولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعنى من مضرها وربيمها ويمانها فاما ربعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان واليه تنسب قريش وهونهم وأما نسبه الى عرب اليمن وهم القحطانية فان أمتة لها نسب فى الانصار وان كانت من قريش والانصار أصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبا فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله **(لقد جاءكم رسول من انفسكم)** ترغيب العرب فى نصره والايمان به فانه تم شرفهم بشرفه وعزتهم بعزته وفخروهم بفخره وهو من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والامانة والسيانة والعفاف ومهارة النسب والاخلاق الحميدة وقرأ ابن عباس والزهرى من انفسكم بفتح الفاء ومعناه انه من اشرافكم وأفضلكم (خ) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بثت من خير قرون بنى آدم قرناً فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه (م) عن وائلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى مكانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم عن العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا يتذاكرون أحسابهم بينهم فقالوا مثلك كمثل نخلة فى كدنة من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلنى من خير فريقهم وخير الفريقين ثم غلب القبايل فجعلنى من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم فانا خيرهم نفساً وخبرهم بيتاً أخرجه الترمذى وقيل ان قوله سبحانه وتعالى **(لقد جاءكم رسول من انفسكم)** عام محمله على العموم أولى فيكون المعنى على هذا القول **(لقد جاءكم أيها الناس رسول من انفسكم)** يعنى من جنسكم شر مثلكم اذ لو كان من الملائكة لصفت قومي البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه ثم وقوله سبحانه وبما **(عزيز عليه ماعنتم)** أى شديد عليه عنتكم يعنى مكروهمكم . يل مشق

عن فهم القرآن (بأنهم) بسبب انهم (قوم لا يفقهون) لا يدبرون حتى يفقهوا (لقد جاءكم رسول) محمد عليه السلام (من انفسكم) من جنسكم ومن نسبكم عربى قرشى مثلكم (عزيز عليه ماعنتم) شديد عليه شاق لكونه بعضاً منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم الوقوع فى العذاب ويقال مالوا عن الحق والهدى فأمال الله قلوبهم عن ذلك الانصراف (بأنهم قوم لا يفقهون) أمر الله ولا يصدقونه (لقد جاءكم) يا أهل مكة (رسول من انفسكم) عربى هاشمى مثلكم (عزيز عليه) شديد عليه (ماعنتم) ما أعتم

(حريص عليكم) على ايمانكم (بالؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) لئلا يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان تولوا) فان اعرضوا {الجزء الحادي عشر} عن الايمان بك {٢٢٤} وناصبوك (قتل حسبي الله) فاستم

﴿حريص عليكم﴾ أي على ايمانكم وصلاح شأانكم ﴿بالؤمنين﴾ منكم ومن غيركم ﴿رؤف رحيم﴾ قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل ﴿فان تولوا﴾ عن الايمان بك ﴿قتل حسبي الله﴾ فانه يكفيك معرفتهم ويعينك عليهم ﴿لا اله الا هو﴾ كالدليل عليه ﴿عليه توكلت﴾ فلا ارجو ولا اخاف الا منه ﴿وهو رب العرش العظيم﴾ الملك العظيم او الجسم العظيم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرى العظيم بالرفع وعن ابن رضى الله تعالى عنه ان آخر ما نزل هاتان الآيتان هو من النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن على الآية آية وحرافا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما نزلتا على ومعهما سبعون الف صنف من الملائكة والله أعلم

﴿سورة يونس عليه الصلاة والسلام مكية وهي مائة وتسع آيات﴾ عاينه ضلائكم ﴿حريص عليكم﴾ يعنى حريص على ايمانكم واصلاح الخبر اليكم وقال قادة حريص على هدايتكم وان يهديكم الله ﴿بالؤمنين رؤف رحيم﴾ يعنى أنه صلى الله عليه وسلم رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين (ق) عن جابر بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ايس بعده نبي وقد سماه الله رؤفا رحيا قال الحسن بن الفضل لم يجمع الله سبحانه وتعالى لاحد من أنبيائه بين اسمين من أسمائه الا النبي صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفا رحيا وقال سبحانه وتعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿فان تولوا﴾ يعنى فان اعرضوا لآلام الكفار والمنافقين عن الايمان بالله ورسوله وناصبوك للصرب ﴿قتل حسبي الله﴾ يعنى يكفى الله وينصرني عليكم ﴿لا اله الا هو عليه توكلت﴾ يعنى لا اعلى غيره وبه وثقت ﴿وهو رب العرش العظيم﴾ انما خص سبحانه وتعالى العرش بالذكور لانه اعظم المخلوقات فدخل ما دونه في الذكر فيكون المعنى فهو رب العرش العظيم فادونا ويكون خص بالذكور تشريفا له كما يقال بت الله روى عن أبي بن كعب أنه قال هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة آخر القرآن نزولاه وفي رواية عنه قال أحدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر الآيتين والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام﴾ نزلت بمكة الان ثلاث آيات وهي قوله سبحانه وتعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك الى آخر الثلاث آيات قال ابن عباس وهذا قال قادة وفي رواية أخرى عن ابن عباس ان فهما من المدني قوله تعالى فمنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الا أنا قال قتادة هي مكة الآية روى عنه قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته والى عليها رحمة ربهم ﴿الآن﴾ الآية انان وثلاثون كلمة وثمة الآية وثمة اربعة وثلاثون

منهم من لا يؤمن بالله واليوم الآخر ومنهم من لا يؤمن بالله واليوم الآخر ومنهم من لا يؤمن بالله واليوم الآخر ومنهم من لا يؤمن بالله واليوم الآخر

بالله وفوض اليه أمورك فهو كمايك معرفتهم وناصرك عليهم (لا اله الا هو عليه توكلت) فوضت أمري اليه (وهو رب لعرش) هو أعظم خلق الله خالق مطاما لاهل السماء وقبلة للديار (العظيم) بالحرو قرى بالرفع على نعمت الرب جل وعزه عن أي آخرة نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية

(سورة يونس عليه الصلاة والسلام) مائة وتسع آيات مكية وكذا ما بعدها الى سورة النور

(حريص عليكم) على ايمانكم (بالؤمنين) بجمع المؤمنين (رؤف رحيم) فان تولوا (عن الايمان والتوبة) رماقت لهم (قتل حسبي الله) تقنى بالله (لا اله الا هو) لاحفظ ولا ناصر الا هو (عليه توكلت) ادخلت وثقت (وهو رب العرش) السرير (العظيم) الكبير هو من السورة التي يذكر فيها يونس عليه السلام وهي كما ذكرنا الآية واحدة عند رأس السورة من ثمان نيات

منهم من لا يؤمن بالله واليوم الآخر ومنهم من لا يؤمن بالله واليوم الآخر ومنهم من لا يؤمن بالله واليوم الآخر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الر﴾ فقصها ابن كثير ونافع وحفص وأمالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة عن الياء ﴿تلك﴾ آيات الكتاب الحكيم ﴿اشارة﴾ الى ما تضمنته السورة أو القرآن من الآي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتقائه على الحكم أولانه كلام حكيم أو محكم آياته لم ينسخ شيء منها ﴿أكان للناس عجباً﴾ استفهام أنكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ﴿أن أوحينا﴾ وقرئ بالرفع على أن الأمر بالعكس أو على أن كان تامة وإن أوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة على أنهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

● قوله عز وجل ﴿الر﴾ قال ابن عباس والضحاك معناه بالله أرى وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وقال به سعيد بن جبير وسلم بن عبد الله وقال قتادة أراسم من أسماء القرآن وقيل هي اسم السورة وقد تقدم الكلام في معنى الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما فيه كفاية ﴿تلك﴾ آيات الكتاب المراد من لفظ تلك الاشارة الى الآيات الموجودة في هذه السورة وبكون التقدير تلك الآيات هي آيات الكتاب وهو القرآن الذي أنزل الله اليك يا محمد وذلك أن الله عز وجل وعده أن ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يغيره الدهور وقيل إن لفظة تلك للاشارة الى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن والمعنى أن تلك الآيات هي آيات الكتاب الحكيم وفي قول آخر أن المراد بآيات الكتاب الكتب التي قبل القرآن حكاها الطبري عن قتادة وروى عن مجاهد أنها التوراة والانجيل فلي هذا القول يكون التقدير أن الآيات المذكورة في هذه السورة هي الآيات المذكورة في التوراة والانجيل والمراد من الآيات القصص المذكورة في هذه السورة وهذا وإن كان له وحده فهو ضعيف لأن التوراة والانجيل لم يجزها ذكر قريب حتى يشار إليهما وقيل المراد من الآيات حروف المعاني التي منها الر سميت آيات لأنها افتتاح السور وسر القرآن ﴿الحكيم﴾ يعني الحكم الحلال والحرام والحدود والاحكام فعيل بمعنى مفعول وقيل الحكم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل لأن القرآن حاكم يميز بين الحق والباطل وبفصل الحلال من الحرام وقيل حكيم بمعنى المحكوم فيه فعيل بمعنى مفعول قال الحسن حكم فيه بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وقيل أن الحكيم هو الذي بفعل الحكمة والصواب فن حيث انديل على الاحكام صار كأنه هو الحكيم في نفسه ● قوله سبحانه وتعالى مرأ كان للناس عجباً قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية أن الله عز وجل لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا أنكرت العرب ذلك ومن أنكر منهم قال الله أعظم من أن يكون له رسول بشر مثل محمد فقال سبحانه وتعالى أكان للناس عجباً إن أوحينا الى رجل منهم وقال سبحانه وتعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا آية والهمزة في أكان همزة استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجبا منه أن أوحينا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾  
(الر) ونحوه مال حزة  
وعلى أبو عمرو وهو تهديد  
للحروف على طريق التهديد  
(تلك آيات الكتاب)  
اشارة الى ما تضمنته السورة  
من الآيات والكتاب السورة  
(الحكيم) ذي الحكمة  
لاشتقائه عليه أو المحكم عن  
الكذب والافتراف والهمزة  
في (أكان للناس عجباً)  
لانكار التعجب والتعجب  
منه (أن أوحينا) اسم كان  
وعجبا خبره واللام في الناس  
متعلق بمحذوف هو صفة  
لعجبا فلما تقدم صار حالا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾  
وباسناده عن ابن عباس  
في قوله مالى (الر) بنول  
أما الله أرى ويقال قسم اسمه  
(تلك آيات الكتاب الحكيم)  
أن هذه السورة آيات القرآن  
الحكم بالحلال والحرام  
(أكان للناس) لاهل مكة  
(عجباً أن أوحينا) بأن

( إلى رجل منهم أن أنذر الناس ) بأن أؤمر أو هي مفسرة إذا لا يحيا فيه معنى القول ( وبشر الذين آمنوا أنهم ) بأن لهم ومعنى اللام في الناس أنهم جعلوا لهم المحبوبة فيجبون منه والذي يحبوا منه أن يوحى إلى بشر وأن يكون رجلا من أئمة رجالهم دون عظيم من عظمائهم { الجزء الحادي عشر } فقد كانوا ﴿ ٢٢٦ ﴾ نقولون العجب أن الله لم يجد

محوء انكارهم واستزاءهم ﴿ إلى رجل منهم ﴾ من افتاء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب وهو من فرط حاجتهم وقصور نظرهم على الأمور الساجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يتبرونه إلا في المال وخفة الحال أعون شيء في هذا الباب ولذلك كان أكثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقيل تصيبوا من أنه بث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الأنعام ﴿ أن أنذر الناس ﴾ أن هي المفسرة أو المخففة من الثقل فتكون في موقع مفعول أوحينا ﴿ وبشر الذين آمنوا ﴾ عم الإنذار إذ قلنا من أحد ليس فيه ما ينبغي أن ينذرنا وخصص البشارة بالمؤمنين إذ ليس للكفار ما يصح أن يبشروا به حقيقة ﴿ أن لهم ﴾ بأن لهم ﴿ قدم صدق عند ربهم ﴾ سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لأن السبق بها كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد وامتاحتها إلى الصدق تحققها واثنيت على أنهم

إلى رجل منهم ﴿ والعجب حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة وقيل العجب حالة تعتري الإنسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا أهل مكة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم منهم يعني من أهل مكة من قرئش برقوق نسب وسدقه وأمانته ﴿ أن أنذر الناس ﴾ يعني خوفهم بعقاب الله تعالى أن أصروا على الكفر والمخالفة والإنذار أخبار مع تخوف كما أن البشارة أخبار مع سرور وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وبشر الذين آمنوا أنهم قدم صدق عند ربهم ﴾ اختلف عبارات المفسرين وأهل اللغة في معنى قدم صدق فقال ابن عباس أجرا حسنا بما قدموا من أعمالهم وقال الضحاك ثواب صدق وقال مجاهد الأعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم وقال الحسن عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال سبقت لهم السعادة في الذكر الأول يعني في اللوح المحفوظ وقال زيد بن أسلم هو شفاعته محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم وأضيف القدم إلى الصدق وهو نعت كقوله مسجد الجامع وصلاة الأولى وحب الحصيد والفائدة في هذه الإضافة التثنية على زيادة الفضل ومدح القدم لأن كل شيء أضيف إلى الصدق فهو ممدوح ومثله في مقعد صدق ومدخل صدق وقال أبو عبيدة كل سابق في خير أو شرف هو عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الإسلام و قدم في الخير و لفلان عندي قدم صدق و قدم سوء قال حسان بن ثابت

لنا القدم الملائك وخلفاء لاولنا في طاعة الله تابع

رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب وإن يذكر لهم البعث وينذر بالتيارن وببشر بالجنسان وكل واحد من هذه الأمور ليس يجب لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشرا مثلهم وأرسال اليتيم أو الفقير ليس يجب أيضا لأن الله تعالى انما يختار للنبوة من جع أسبابها والفقير والتقدم في الدنيا ليس من أسبابها والشر للجزاء هو الحكمة العظمى فكيف تكون عجبا انما العجب والمكر في القول تعطيل الجزاء ( قدم صدق عند ربهم ) أى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ولما كان السبق والسبق بالقدم سميت المسعاة الجليلة والسابقة قلما كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد وباعلان صاحبها يوسع بها فقيل لفلان قدم في الخير وامتاحتها إلى صدق دلالة على زيادة فضل وأنه من السوابق العظيمة أو مقام

أوحينا ( إلى رجل منهم )

آدمي مثلهم ( أن أنذر الناس ) أن خوف أهل مكة بالقرآن ( وبشر الذين آمنوا أنهم قدم صدق ) ثواب خير ( وقال ) وقال

وقال إيمانهم في الدنيا قدمهم في الآخرة عند ربهم ويقال إنهم صدق يقال شفع صدق ( عند ربهم )

صدق اوسبق السعادة (قال الكافرون ان هذا) ﴿٢٢٧﴾ الكتاب (لنخبر { سورة يونس } مبن )

وعسى ومن قرأ الكتاب  
فهذا اشارة الى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وهو دليل  
عجزهم واعترافهم به وان  
كانوا كاذبين في تسميته سمرا  
( ان ربكم الله الذي خلق  
السموات والارض في ستة  
ايام ثم استوى على العرش )  
أى استولى فقد يقدر على  
عن المكان والمعبود عن الحدود  
( يدبر ) يقضى ويقدر على  
مقتضى الحكمة ( الامر )  
أى أمر الخلق كله وأمر  
ملكوت السموات والارض  
والعرش وما ذكر ما يدرك  
على عظمته وملكه من خلق  
السموات والارض والاستواء  
على العرش تبعا لهذه الجملة  
لزيادة الدلالة على العظمة  
وانه لا يخرج أمر من الأمور  
عن قضائه وتقديره وكذلك  
قوله ( مامن شفيع الامن بعد  
اذنه ) دليل على عزته وكبريائه  
قال الكافرون ( كفار مكة  
( ان هذا ) القرآن ( لسحر )  
كذب ( مبن ان ربكم  
الله الذي خلق السموات  
والارض في ستة أيام )  
من أيام أول الدنيا أول يوم  
يوم الاحد وآخر يوم  
يوم الجمعة طول كل يوم الف  
سنة ( ثم استوى على العرش )  
استقر ويقال امتلا به العرش  
( يدبر الامر ) أمر العباد  
ويقال ينظر في أمر العباد ويقال

انما ينالونها بصدق القول والنية ﴿ قال الكافرون ان هذا ﴾ يعنون الكتاب وما جاء به  
الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ لسحر مبن ﴾ وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر  
على ان الاشارة الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اعتراف بأنهم صادفوا  
من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة \* وقرئ ما هذا الاصح  
مبن ﴿ ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض ﴾ التى هى اصول الممكنات  
﴿ فى ستة ايام ﴾ ثم استوى على العرش يدبر الامر ﴿ يقدر امر الكائنات على ما اقتضته  
حكيمته وسقت به كلمته وبهوى ﴾ بتحريكه اسبابها ونزلها منه والتدبير النظر في ادبار  
الامور لنهى ﴿ محمودا لما قبله ﴾ مامن شفيع الامن بعد اذنه ﴿ تقرير لعظمته وعز جلاله

وقال الليث وأبو الهيثم القدم السابق والمعنى انه قد سبق لهم عند الله خير قال ذو الرمة  
وأنت اسرؤ من أهل بيت ذؤابة \* لهم قدم معروفة ومفاخر  
والسبب في اطلاق لفظا لقدم على هذه المعاني ان السعى والسبق لا يحصل الا بالقدم  
فسمى السبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وقال ذو الرمة  
لكم قدم لا ينكر الناس انها \* مع الحسب العادى طمت على البحر  
معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال آخر

صل لدى العرش واتخذ قدما \* تنجيك يوم العثار والزلل  
﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ قال الكافرون ان هذا لسحر مبن ﴿ وقرئ لساحر  
مبن وفيه حذف تقديره أكان للناس عجباً ان أوحينا الى رجل منهم فلما جاءهم  
بالوحي وأنذرهم قال الكافرون ان هذا لساحر يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما  
نسبوه الى السحر لما آتاهم بالمعجزات الباهرات التى لا يقدر أحد من البشر ان يحصل  
مثله ومن قرأ السحر فأنهم عتوا به القرآن المنزل عليه وانما نسبوه الى السحر لان فيه  
الاخبار بالبعث والنشور وكانوا ينكرون ذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان ربكم الله الذي  
خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴿ تقدم تفسير هذا في سورة  
الاعراف بما فيه كفاية ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ يدبر الامر ﴿ قال مجاهد يقضيه  
وحده وقيل معنى التدبير تنزيل الامور فى مراتبها وعلى أحكام عواقبها وقيل انه سبحانه وتعالى  
يقضى ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر فى ادبار الامور وعواقبها لا يدخل فى  
الوجود ما لا ينبغي وقيل معناه انه سبحانه وتعالى يدبر أحوال الخلق وأحوال ملكوت  
السموات والارض فلا يحدث حدث فى العالم العلوى ولا فى العالم السفلى الا بإرادته  
وتدبيره وقضائه وحكمته ﴿ مامن شفيع الامن بعد اذنه ﴾ يعنى لا يشفع عنده شافع يوم  
القيامة الامن بعد ان يأذن له فى الشفاعة لانه عالم بعصالح عباده وبموضع الصواب والحكمة  
فى تدبيرهم فلا يجوز لاحد ان يسأله ما ليس له به علم فاذا أذن له فى الشفاعة كان له ان يشفع  
فمن يأذن له فيه وفيه رد على كفار قريش فى قولهم ان الاصنام تشفع لهم عند الله يوم  
القيامة فاجاب الله سبحانه وتعالى انه لا يشفع أحد عنده الا باذنه لان له التصرف المطلق

بسم الملائكة بالوحي والتنزيل والمصيبة ( مامن شفيع ) مامن ملك مقرب ولا نبى مرسل يشفع لاحد ( الامن بعد اذنه ) الا باذن الله



(ذلكم) العظيم الموصوف بما وصف به (الله ربكم) وهو الذي يستحق العباد (فاعبدوه) وحدوه ولا تشركوا به بض  
خائف من انسان او ملك فضلا عن جاد لا يضر ولا ينفع (أفلاتنكرون) أفلاتنكرون فستدلون بوجود المصالح والمنافع  
على وجود المصلح النافع (اليه) { الجزء الحادي عشر } مرجعكم ﴿ ٢٢٨ ﴾ جميعا) حال أي لا ترجعون في العاقبة

ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم  
الله ﴿ أي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ﴾ ربكم ﴿ لا غيره  
اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك ﴾ فاعبدوه ﴿ وحدوه بالعبادة ﴾ أفلاتنكرون ﴿  
تشكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه ﴾ اليه  
مرجعكم جميعا ﴿ بالموت والنشور لالي غيره فاستعدوا للاقائه ﴾ (وعند الله) ﴿ مصدر  
مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعدم من الله ﴾ (حقا) ﴿ مصدر آخر مؤكدا لغيره  
وهو ما دل عليه وعند الله ﴾ انه يبدأ الخلق ثم يعيده ﴿ بعد بدئه واهلاكه ﴾ ليجزي  
الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ﴿ أي بعدله أو بعداتهم وقيامهم على العدل في  
امورهم أو بأعمالهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله  
﴿ والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ﴾ فان معناه  
ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم  
للبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو  
الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اقامة المؤمنين بما يليق باطقه وكرمه  
ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم

في جميع العالم ﴿ ذلكم الله ربكم ﴾ يعنى الذى خلق هذه الاشياء وود برها ووربكم وسيدكم لارب  
لكم سواء ﴿ فاعبدوه ﴾ أي فاجعلوا عبادتكم له لا غيره لانه المستحق للعبادة بما أنعم عليكم  
من النعم العظيمة ﴿ أفلاتنكرون ﴾ يعنى أفلاتتعظون وتعتبرون بهذه الدلائل والآيات  
التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ اليه مرجعكم جميعا ﴿  
يعنى الى ربكم الذى خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعا أيها الناس يوم القيامة والمرجع  
بمعنى الرجوع ﴿ وعند الله حقا ﴾ يعنى وعندكم الله ذلك وعندا حقا ﴿ انه يبدأ الخلق  
ثم يعيده ﴾ أي يحيمهم ابتداء ثم يعيتهم ثم يحيمهم وهذا معنى قول عباد الله قال يحيمهم ثم يعيتهم ثم يحيمهم  
وفي هذه الآية دليل على امكان الخسر والنشر والمعاد وحمة وقوعه ورد على منكرى  
البعث ووقعه لان القادر على خلق هذه الاجسام المؤلفة والاعضاء المركبة على غير  
مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفرقها بالموت والبلى فيركب تلك الاجزاء المتفرقة تركيا  
ثانيا ويخلق الانسان الاول مرة اخرى وكالم تمتع تعلق هذه النفس بالبدن في المرة الاولى  
لم تمتنع تماقها بالبدن مرة أخرى واذ اثبت القول بجهة المعاد والبعث بعد الموت كان  
المقصود منه ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصي وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ليجزي  
الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ﴾ يعنى بالعدل لا ينقص من أجورهم شيئا ﴿ والذين  
كفروا لهم شراب من حميم ﴾ هو ما خارق دانتى حره ﴿ وعذاب اليم بما كانوا يكفرون

الا اليه فاستعدوا للاقائه  
والرجوع أو المرجع مكان  
الرجوع (وعند الله) مصدر  
مؤكد لقوله اليه مرجعكم  
(حقا) مصدر مؤكد لقوله  
وعدائه (انه يبدأ الخلق  
ثم يعيده) استيفاف معناه  
التعليل لوجوب المرجع اليه  
(ليجزي الذين آمنوا وعملوا  
الصالحات) أي الحكمة  
بابتداء الخلق واعادته هو  
جزاء المكلفين على أعمالهم  
(بالقسط) بالعدل وهو  
منعلق يجزي أي يجزيهم  
بتسطه ويوفهم أجورهم  
أو يقسطهم أي بما أقسطوا  
وعسدا ولم يظلموا حين  
آمنوا اذ اذلوا ظلم ان الشرك  
الظلم عظيم وهذا أو جداة مقابلة  
هو له (والذين كفروا لهم  
شراب من حميم وعذاب  
اليم بما كانوا يكفرون)

(ذلكم الله ربكم) الذى يفعل  
ذلك غور ربكم (فاعبدوه)  
فوحده (أفلاتنكرون)  
أفلاتتعظون (اليه مرجعكم  
بدا موت) جميعا وعند الله  
حقا (صدقا كما نأ) انه

يبدأ الخلق) من المطفة (ثم يعيده) بعد الموت (ليجزي الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) فيما (هو)  
بينهم وبين ربهم (بالقسط) بالعدل الجنة (والذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لهم شراب من حميم) من  
ماء حار قد انتهى حره (وعذاب اليم) وجيع مخلص وجهه الى قلوبهم (بما كانوا يكفرون) بمحمد عليه السلام والقرآن

والآية كالتلخيص لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لاعادة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح أى لانه ويجوز ان يكون منصوبا أو مرفوعا بانصب وعبد الله أو بانصب حقا ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء ﴾ أى ذات ضياء وهو مصدر كقيام أو جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير مثاء بـهـمـزـتـين في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين ﴿ والقمر نورا ﴾ أى ذانورا أو سمي نورا للبالغة وهو اعم من الضوء كاهرفق وقيل ما بالذات ضوء وما بالمرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بمرض مقابلة الشمس والاكتساب منها ﴿ وقدره منازل ﴾ الضمير لكل واحد أى قدر مسير كل واحد منهما منازل أو قدره ذات منازل أو للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازلها واناطة احكام الشرع به ولذلك علمه بقوله ﴿ تعلموا عدد السنين والحساب ﴾

ولو وجه كلامي ( هو الذى جعل الشمس ضياء ) والياء فيه منقلبة عن واو ضواء لكسرة ما قبلها وقبلها قبل همزة لانها الحركة أجل ( والقمر نورا ) والضياء أقوى من النور فلذا جعله للشمس ( وقدره ) وقدر القمر أى وقدر مسيره ( منازل ) أو وقدره ذات منازل كقوله والقمر قدره ذات منازل ( تعلموا عدد السنين ) أى عدد السنين والشهور فاكثرت بالسنين لاشتغالها على الشهور ( والحساب ) وحساب الآجال والمواقيت المقطرة

( هو الذى جعل الشمس ضياء ) للعالمين بالنهار ( والقمر نورا ) لهم بالليل ( وقدره منازل ) جعل له منازل ( تعلموا عدد السنين والحساب ) حساب الشهور

هو الذى جعل الشمس ضياء ﴿ يعنى ذات ضياء ﴾ والقمر نورا ﴿ يعنى ذانورا واختلف العلماء أصحاب الكلام فى أن الشعاع الفائض من الشمس هل هو جسم أو عرض والحق أنه عرض وهو كيفية مخصوصة فالنور اسم لاصل هذه الكيفية والضوء اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية فلهذا خص الشمس بالضياء لانها أقوى وأكل من النور وخص القمر بالنور لانه أضعف من الضياء ولانها لو تساوى لم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على أن الضياء المختص بالشمس أكل وأقوى من النور المختص بالقمر ﴿ وقدره منازل ﴾ قيل الضمير فى وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمضى قدر لهما منازل أو قدر لسييرهما منازل لا يجاوزانها فى السير ولا يقصران عنها وإنما وحد الضمير فى وقدره للإيجاز وأكثرت بذكر أحدهما دون الآخر فهو كقوله سبحانه وتعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل الضمير فى وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير القمر فى المنازل أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك لان الشهور المتبعة فى الشرع مبنية على رؤية الاهلة والسنة المتبعة فى الشرع هى السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهى الشربين والبطين والثريا والدبران والهقمة والهنمة والذراع والنثرة والطرف والحبة والزبرة والصرفة والمواء والسماك والغفر والربابى والاكلل والقلب والتولة والنعام والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السمود وسعد الاخبية وفرغ الداو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت فهذه منازل القمر وهى مقسومة على اثني عشر برجاً وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والقرب والقوس والجدي والداو والحوت لكل برج منزلان وثلاث منزل ونزل القمر كل ليلة منزلاً منها الى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة ثم يستقر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين اختفى ليلة واحدة ﴿ تعلموا عدد السنين ﴾ بمعنى قدر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين وقت دخولها وانقضائها ﴿ والحساب ﴾ حساب الشهور والايام والساعات وتقصاتها وزايدتها

بالسنين والشهور (ما خلق الله ذلك) المذكور (الامتبسا) (بالحق) الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلق عبثاً (يفصل الآيات مكي وبصري وحفص وبالتون غيرهم) (لقوم يعلمون) فينتفعون بالتأمل فيها (ان في اختلاف الليل والنهار) في جبي كما واحد منهما خلف الآخر أو في اختلاف لونيهما (وما خلق الله في السموات والارض) من الخلاق (لآيات لقوم يتقون) خصهم بالذكر لانهم يحذرون { الجز ما لحادي عشر } الآخرة ﴿ ٢٣٠ ﴾ فيدعوهم الحذر الى النظر (ان الذين

لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه أصلاً ولا يخطر ببالهم لتفتتهم عن التفطن للحقائق اولاً يؤملون حسن لقاءنا كما يؤمله السعداء ولا يخافون سوء لقاءنا الذي يجب أن يخاف (ورموا بالحياة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي (واطمأنوا بها) وسكنوا فيها سكون من لا يزعم عنها فينوا شهيداً وأملوا بعيداً (والذين هم عن آياتنا غافلون) لا يفكرون فيها ولا وقع عليه لان خبران

الافاق من الاشهر والايام في معاملتكم وتصبر فاتكم ﴿ ما خلق الله ذلك الا بالحق ﴾ الامتبسا بالحق سراييا فيه مقتضى الحكمة البالغة ﴿ تفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ فالهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ﴿ ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض ﴾ من انواع الكائنات ﴿ لا آيات ﴾ على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته ﴿ لقوم يتقون ﴾ العواقب فانه يحملهم على التفكير والتدبر ﴿ ان الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالخصوصات عما وراءها ﴿ ورضوا بالحياة الدنيا ﴾ من الآخرة لتفتتهم عنها ﴿ واطمأنوا بها ﴾ وسكنوا اليها مقصرين همهم على لذاتها وزخارفها أو سكنوا فيها سكون من لا يزعم عنها ﴿ والذين هم عن آياتنا غافلون ﴾ لا يفكرون فيها لانهم اكهم فيما يضادها والسطف اما التباير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الدهول عن الآيات رأساً والانهالك في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم اصلاً واما التباير الفريقين والمراد بالاولين من افكر البعث ولم يرد الا بالحياة الدنيا وبالاخرين من الهام حب العاجل عن التأمل في الآجل والاعتداله

﴿ ما خلق الله ذلك الا بالحق ﴾ يعني الحق واظهار قدرته ودلائل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثاً ﴿ يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ يعني بين دلائل التوحيد بالبراهين القاطمة لقوم يستدلون بها على قدرة الله ووحدانيته ﴿ ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لا آيات لقوم يتقون ﴾ تقدم تفسير هذه الآية في نظائرها ﴿ ان الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ يعني لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم مكذبون بالثواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجو فلاناً بمعنى لا يخافه ومنه قوله سبحانه وتعالى ما لكم لا ترجون لله وقار ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي « اذا لسعة النحل لم يرج لسعها » أي لم يخفها والرجاء يكون بمعنى الطمع فيكون المعنى لا يطعمون في ثوابنا ﴿ ورضوا بالحياة الدنيا ﴾ يعني اختاروها وعما في طلبها فهم راضون بزينتها الدنيا وزخرفها ﴿ واطمأنوا بها ﴾ يعني وسكنوا اليها مطمئين فيها وهذه الطمأنينة التي حصلت في قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها أزلت عن قلوبهم الوجيل والخوف فاذا سمعوا الانذار والنخوف لم يصل ذلك الى قلوبهم ﴿ والذين هم عن آياتنا غافلون ﴾ قيل المراد بالآيات أدلة التوحيد وقال ابن عباس آياتنا يعني عن محمد

والايام (ما خلق الله ذلك الا بالحق) لبيان الحق والباطل (تفصل الآيات) يبين الآيات من القرآن لعلامات الوحدانية (لقوم يعلمون) يصدقون (ان في اختلاف الليل والنهار) في قلب الليل والنهار (واطمأنوا بها) وذهابها ومحييها (وما خلق الله في السموات) وقيا خلق الله من الشمس

والنور واليوم وغير ذلك (والارض) من الشجر والدواب والحيال والبحار وغير ذلك (لآيات) (صلى) لعلامات لوحداية الرب (لقوم يتقون) يطعمون (ان الذين لا يرجون لقاءنا) بالبعث بعد الموت ويقال لا يترون بالبعث بعد الموت (ورضوا بالحياة الدنيا اختاروا) ما في الحياة الدنيا على الآخرة (واطمأنوا بها) رضوا بها (والذين هم عن آياتنا) عن محمد عليه الصلاة والسلام والقرآن (غافلون) جاحدون بآكون لها

(أولئك ما وهم النار) فأولئك مبتدأ ثانٍ والناظر خبره والجملة خبر أولئك والباء في (بما كانوا يكسبون) يتعلق بـ **يَكْسِبُونَ** دل عليه الكلام وهو جوازوا ﴿٢٣١﴾ (إن الذين آمنوا {سورة يونس} وعملوا الصالحات يهديهم ربهم

بإيمانهم ) يسددهم بسبب  
إيمانهم للاستقامة على سلوكه  
الطريق السديد المؤدى الى  
الثواب ولذا جعل (تجربى  
من تحتهم الانهار ) بيانه  
وتفسيراً اذ التمسك بسبب  
السعادة كالوصول اليها و  
يهدى بهم فى الآخرة بنور  
إيمانهم الى طريق الجنة ومنه  
الحديث ان المؤمن اذا خرج  
من قبره صور له عمله فى صورة  
حسنة فيقول له أنا عملك  
فيكون له نورا ولانوار الى  
الجنة والكافر اذا خرج من  
قبره صور له عمله فى صورة  
سيئة فيقول له أنا عملك  
فيطلق بدق يدخله النار  
وهذا دليل على ان الايمان  
المجرد من حيث قال بإيمانهم  
ولم يرض اليه العمل الصالح  
( فى جنات النعيم ) متعلق  
بتجربى أحوال من الانهار  
( دعواهم فيها سبحانه )  
اللهم اى دعاؤهم لان الله  
نداء الله ومعناه اللهم انا نسبحك

(اولئك مأواهم مصيرهم  
( النار بما كانوا يكسبون )  
يقولون ويعملون في الشرك  
( ان الذين آمنوا ) بمحمد  
عليه السلام والقرآن  
( وعملوا الصالحات )

الطاعات فبإيمانهم وبين ربهم (يهدوهم) يدخلهم (ربهم) الجنة (بإيمانهم تجري من تحتهم) من تحت شجرهم ومساكنهم (الأنهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (في جنات النعيم دعواهم) قواهم (فيها) في الجنة إذا شتهوا شيئاً (سبحانك اللهم) فتأني لهم

﴿اولئك ما هم النار بما كانوا يكسبون﴾ بما اوجبوا عليه وعمر نوابه من المعاصي ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم﴾ بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة أو لادراك الحقائق كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أو لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل متطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتممة والرديف له ﴿تجري من تحته الانهار﴾ استئناف او خبر ثان أو حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله ﴿في جنات النعيم﴾ خبر أو حال أخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او يهدي ﴿دعواهم فيها﴾ اي دعاؤهم ﴿سبحانك اللهم﴾

صلى الله عليه وسلم والقرآن فافلسون أى مرضون ﴿ أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ يعنى من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ﴿ يعنى يهديهم ربهم الى الجنان ثوابا لهم بايمانهم وأعمالهم الصالحة وقال مجاهد يهديهم على الصراط الى الجنة يحمل لهم نورا يمشون به وقال قتادة بلضئان المؤمن اذا خرج من قبره يصور له عمله فى صورة حسنة فيقول له من أنت فيقول أنا عاكك فيكون له نور او قائد الى الجنة والكافر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانبارى يحوز أن يكون المعنى ان الله يزيدهم هداية بتخصائص ولطائف وبصائر ينور بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويحوز ان يكون المعنى ويثبتهم على الهداية وقيل معناه بايمانهم يهديهم ربهم لدينه أى بتصديقهم هداهم ﴿ تجرى من تحتهم الانهار ﴾ يعنى بين أيديهم ينظرون اليها من أعلى أسرتهم وقصورهم فهو كقوله سبحانه وتعالى قد جعل ربك تحتك سريانم يرد به انه تحتها وهى قاعدة عليه بل أراد بين يديها وقيل تجرى باهرهم ﴿ فى جنات النعيم ﴾ يعنى ذلك لهم فى جنات النعيم ﴿ دعواهم فيها ﴾ أى قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدماء أى دماؤهم فيها ﴿ سبحانه الله ﴾ وهى كلمة تزيده الله تعالى من كل سوء ونقيصة قال اهل التفسير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم فى الطعام فاذا أرادوا الطعام قالوا سبحانه الله فأتونهم فى الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل فى ميل على كل مائدة سبعون ألف صحيفة فى كل صحيفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام جدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تبارك وتعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانه اللههم اشتغال اهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل والثناء عليه بما هو أهله وفى هذا الذكر والحمد سرورهم وابتهاجهم وكال لذتهم ويدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتقلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتخبطون قالوا فما بال الطعام قال

الطاعات فَيُأَيِّدُهُمْ وَيُبَيِّنُ رَجَبَهُمْ (يَهْدِيهِمْ) يَدْخُلُهُمْ (رَجَبُهُمُ) الْجَنَّةَ (بِأَعْيَانِهِمْ) تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ (مِنْ تَحْتِهَا) أَنَّهُ ارْجِعْ وَالْمَاءَ وَالسَّلْ وَاللَّبَنَ (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) دَعَاؤُهُمْ قَوَائِمُ (فِيهَا) فِي الْجَنَّةِ إِنْ أَشْتَهَوْا

أي يدعون الله بقولهم سبحانك { الجزء الحادي عشر } اللهم تلهذا يذكره ﴿ ٢٣٢ ﴾ لاعبادته (وتحيتهم فيها سلام)

اللهم انما نسبحك تسبيحا ﴿ وتحيتهم ﴾ ما يحس به بعضهم بعضا وتحيية الملائكة ايهم ﴿ فيها سلام وآخر دعواهم ﴾ وآخردعائهم ﴿ ان الحمد لله رب العالمين ﴾ أي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعانوا عظمة الله وكبرياه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والقول باصناف الكرامات اوالله تعالى فحمدوه واشتوا عليه بصفات الاكرام وان هي مخففة من الثقلته وقد قرئ بها وينصب الحمد ﴿ ولو يجعل الله للناس الشر ﴾ ولو يسرعه اليهم ﴿ استجبالهم بالخير ﴾ وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعه اجابته لهم في الخير حتى كأن استجبالهم به تعجيل لهم أو بان المراد شر استجبلوه كقولهم فامطرنا علينا جارة من السماء وتقدير الكلام ولو يجعل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استجبلوه استجبالا كاستجبالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضى اليهم اجلهم ﴿ لا ميتوا واهلكوا ﴾ قرأ ابن عامر وبعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله

جشاه ورشح كرشع المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما لهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد أخرجه مسلم قوله جشاه أي يخرج ذلك الطعام جشاه وعرفاه وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ونحييتهم فيها سلام ﴾ يعني يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحييتهم الملائكة بالسلام وقيل تأتيتهم من عند ربهم بالسلام ﴿ وآخردعواهم ﴾ ان الحمد لله رب العالمين ﴿ قله ذكرنا ان جماعة من المفسرين حلوا التسبيح والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب المأكول والمشروب والهم اذا اشتوا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج أعلم الله ان أهل الجنة يتدنون بتعظيم الله وتزجيه ويحتمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم يقتحون كلامهم بالتسبيح ويحتمون به بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولو يجعل الله للناس الشر ﴾ يعني ولو يجعل الله للناس اجابة دعائهم في الشرع بالهم فيه مضرة ومكروه في نفس أو مال قال ابن عباس هذا في قول الرجل لاهله وولده عند الغضب لكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله وولده بما يكره أن يستجاب له فيه ﴿ استجبالهم بالخير ﴾ يعني كاستجبالهم بالخير وكما يحبون أن يجعل لهم اجابة دعائهم بالخير ﴿ لقضى اليهم اجلهم ﴾ يعني لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والنجيل تقديم الشيء قبل وقته والاستجبال طلب العجالة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قديدون على انفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة واعطاء السؤال يقولوا اجابهم الله اذ ادعوه بالشر الذي يستجلبون به استجبالهم بالخير لقضى اليهم اجلهم يعني لفرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل بفضله وكرمه يستجيب لاداعي الخير ولا يستجيب له في الشر وقيل ان هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر عايانا جارة من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يجعل الله للكافرين العذاب

يحيي بعضهم بعضا بالسلام أو هي تحية الملائكة ايهم وأضيف المصدر الى المفعول أو تحية الله لهم ( وآخر دعواهم ) وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ( ان الحمد لله رب العالمين ) أن يقولوا الحمد لله رب العالمين ان مخففة من الثقلته وأصله انه الحمد لله رب العالمين والضمير لل شأن قيل أول كلامهم التسبيح وآخره التحميد فيبتدئون بتعظيم الله وتزجيه ويحتمون بالشكر والثناء عليه ويتكلمون بينهما بما أرادوا ( ولو يجعل الله للناس الشر ) استجبالهم بالخير ( أصله ولو يجعل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استجبالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير ما را بسرعه اجابته لهم والمراد أهل مكة وقولهم فامطر علينا جارة من السماء أي وابعث لنا لهم الشر الذي دعوا به كأن يجعل لهم الخير ونحييتهم اليه ( لقضى اليهم اجلهم ) لا ميتوا وأهلكوا لقضى اليهم اجلهم شأى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل

الخدام عاشتوا (وتحيتهم فيها سلام يحيي بعضهم بعضا بالسلام ( وآخر دعواهم ) قولهم بعد الاكل والشرب ( ان الحمد لله رب العالمين

ولو يجعل الله للناس الشر ) دعاءهم بالشر ( استجبالهم بالخير ) كاستجبال دعائهم بالخير ( لقضى اليهم اجلهم ) لم اسكوا ( كما )

( فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم ) شركهم و ضلالهم ( يعمهون ) يترددون ووجه اتصاله بما قبله ان قوله ولو يحصل الله متضمن معنى نفي التحجيل كأنه قيل ولا نجعل لهم الشر ولا نقضى اليهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم أي فقهسهم ونقيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاماً للحمية عليهم ( واذامس الانسان ) أصابه والمراد به الكافر ( الضر دأنا ) أي دعا الله لازاته ( لجنبه ) في موضع الحال ﴿ ٢٢٣ ﴾ بدليل { سورة يونس } عطف الجانين أي ( أوقاعدا

أوقائماً ) عليه أي دأنا مضطجماً أوقائماً ذكراً هذه الاحوال ان الضرور لا يزال داعياً لا يفتر عن الداء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان مضطجماً عاجزاً عن النهوض أوقاعدا لا تقدر على القيام أوقائماً لا يطبق المشي ( فلما كشفنا عنه ضره ) أزلنا ما به ( مر كأن لم يدعنا الى ضره مسه ) أي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر و نسي حال الجهد أو مر عن موقف الابتال والضرع لا يرجع اليه كأنه لا عهد له به والاصل كأنه لم يدعنا فحذف وحذف ضمير الشأن ( كذلك ) مثل ذلك ( زين للمسرفين ) للمجاوزين الحد في الكفر زين الشيطان بوسوسته ( ما كانوا يعملون ) من الاعراض عن الذكر

( فنذر الذين لا يرجون لقاءنا ) لا يخافون البعث بعد الموت

تمالى \* وقرئ لقضينا ﴿ فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون ﴾ عطف على فعل محذوف دل عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نجعل ولا نقضى فنذرهم امهالاً لهم واستدراجاً ﴿ واذامس الانسان الضر دأنا ﴾ لازاته مخلفاً به ( لجنبه ) ملقاً للجنب أي مضطجماً ﴿ أوقاعدا أوقائماً ﴾ وقائمة الزديد تعميم الداء لجميع الاحوال أو لاصناف المضار ﴿ فلما كشفنا عنه ضره ﴾ مر ﴿ يعني مضى على طريقته واستمر على كفره أو مر عن موقف الداء لا يرجع اليه ﴾ كأن لم يدعنا ﴿ كأنه لم يدعنا فحذف وحذف ضمير الشأن كما قال ونحمر مشرق اللون \* كأن ثدياً حقان

﴿ الى ضرمه ﴾ الى كشف ضره ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك (الزين للمسرفين ما كانوا يعملون) من الانهماك

كما حصل لهم خسر الدنيا من المال والولد ليجعل قضاء آجالهم ولهلكوا جميعاً ويدل على صحة هذا القول قوله سبحانه وتعالى ﴿ فنذر الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ يعني فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت ﴿ في طغيانهم ﴾ يعني في تمردهم وعشورهم ﴿ يعمهون ﴾ يعني يترددون (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه فأما أنا بشر اغضب كما يغضب البشر فأما رجل من المسلمين سببته أولمته أو جلده فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذامس الانسان الضر ﴿ أي الشدة والجهد والمراد بالانسان في هذه الآية الكافر ﴾ دعا لجنبه ﴿ أي على جنبه مضطجماً ﴾ أوقاعدا أوقائماً ﴿ يريد جميع حالاته لان الانسان لا ينكف من احدي هذه الحالات الثلاث والمعنى ان الضرور لا يزال داعياً في جميع حالاته الى ان ينكشف ضره سواء كان مضطجماً أوقاعدا أوقائماً وقال الزجاج وجاز ان يكون المعنى اذامس الانسان الضر لجنبه أو مسه قاعدا أو مسه قائماً وهذا القول فيه بعد لان ذكر الداء الى هذه الاحوال أقرب من ذكر الضر ﴿ فلما كشفنا عنه ضره ﴾ يعني فلما أزلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعناه عنه ﴿ مر ﴾ يعني على طريقته الاولى قبل مس الضر ﴿ كأن لم يدعنا ﴾ فيه حذف تقديره كأنه لم يدعنا وأما أسقط الضمير على سبيل التخفيف ﴿ الى ضرمه ﴾ والمعنى انه استمر على حاله الاولى قل أن يسه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والفقر ﴿ كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴾ يعني مثل ما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله سبحانه وتعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف يشاء وقيل المزين هو الشيطان

( في طغيانهم ) في كفرهم وضلالهم ( يعمهون ) ( قا و خا ٣٠ ناك ) يعضون عمة لا يبصرون ( واذامس الانسان الضر ) اذا أصاب الكافر الشدة أو المرض وهو هشام بن المغيرة المخزومي ( دعا لجنبه ) مضطجماً ( أوقاعدا أوقائماً ) فلما كشفنا عنه ضره رفعتنا ما كان به من الشدة والبلاء ( مر ) استمر على ترك الداء ( كأن لم يدعنا الى ضره ) الى شدة ( مسه ) أصابه ( كذلك ) هكذا ( زين للمسرفين ) للمشركين ( ما كانوا يعملون ) في الشرك من الداء في الشدة وترك

واتباع الكفر ( وتقدأهلكننا القرون من قبلكم ) يا أهل مكة ( لما ظلموا ) أشركوا وهو ظرف لأهلكننا والواو في ( وجاءتهم رسلكم ) الحال أي ظلوا بالكذب { الجزء الحادي عشر } وقد جاءتهم ﴿ ٢٣٤ ﴾ رسلكم ( بالبينات ) بالمعجزات ( وما كانوا

في الشهوات والاعراض عن العبادات ﴿ وتقدأهلكننا القرون من قبلكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ لما ظلموا ﴾ حين ظلوا بالكذب واستمال القوى والجوارح لأعلى ما ينبغي ﴿ وجاءتهم رسلكم بالبينات ﴾ بالجميع الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضماء قد أو عطف على ظلوا ﴿ وما كانوا ليؤمنوا ﴾ وما استقام لهم ان يؤمنوا للفساد استمدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بأنهم يموتون على كفرهم واللام تأكيد التثنية ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الجزاء وهو أهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسول وأصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في إسمائهم ﴿ نجزي القوم المحرمين ﴾ نجزي كل محرم أو نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كل حرمة وانهم اعلام فيه ﴿ ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم ﴾ استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكناها استخلاف من يخير ﴿ لننظر كيف تعملون ﴾ أتملون خيرا أو شرا فاعمالكم

وذلك بأقدار الله إياه على ذلك والمسررف هو المجاوز الحد في كل شيء وإنما سمي الكافر مسرفا لانه ألتف نفسه وضيعها في عبادة الاصنام وأتلف ماله وضيعه في البهائم والسوايب وما كانوا يتفقونه على الاصنام وسدتها يعني خدامها وقال ابن جريج في قوله كذلك زين للمسررفين ما كانوا يعملون يعني من الدعاء عند المصيبة وترك الشكر عند الرخاء وقيل كازين لكم أعمالكم كذلك زين للمسررفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم وبيان مقصود الآية ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعماء والرخاء فاذا مسه الضرر قبل على الدعاء والتضرع في جميع حالاته مجتهدا في الدعاء طالبا من الله ازال التمازى به من المحنة والبلاء فاذا كشف الله ذلك عنه أحرص عن الشكر ورجع الى ما كان عليه أولا وهذه حالة النافل المضيف اليقين فأما المؤمن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابرا عند البلاء شاكر الله عند الرخاء والنعماء كثير التضرع والدعاء في جميع أوقات الراحة والرفاهية وههنا مقام أعلى من هذا وهو ان المؤمن اذا ابتلى ببلية أو نزل به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضيا بقضاء الله غيره مرض بالقاب عنه بل يكون شاكر الله عز وجل في جميع أحواله ويعلم العبد المؤمن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق حكيم في جمع افعاله وله التصرف في خلقه بما يشاء ويعلم انه ان أبقاه على تلك المحنة فهو عدل وان أزالها عنه فهو فضل ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم ﴾ يعني أهلكنا الامم الماضية من قبلكم يخوف بذلك كفار مكة ﴿ لما ظلموا ﴾ يعني لما أشركوا ﴿ وجاءتهم رسلكم بالبينات ﴾ يعني فكذبوهم ﴿ وما كانوا ليؤمنوا ﴾ يعني هذه الامم رسالهم ويصدقوهم عاجزا وابيه من عند الله ﴿ كذلك نجزي القوم المحرمين ﴾ يعني كما أهلكنا الامم الحالية لما كذبوا رسلكم كذلك نهلككم أي المشركون بتكذيبكم محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم ﴾ الخطاب لاهل مكة الذين أرسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم أيها الناس خلفاء في الأرض من بعد القرون الماضية الذين أهلكناهم ﴿ لننظر كيف تعملون ﴾ يعني خيرا أو شرا فنعاملكم على حسب أعمالكم

ليؤمنوا ) ان بقوا ولم يهلكوا لان الله علم منهم انهم يصرون على كفرهم وهو عطف على ظلوا أو اعتراض واللام لتأكيد التثنية يعني أن السبب في أهلاكهم تكذيبهم للرسول وعلم الله أنه لا فائدة في إسمائهم بعد ان أزموا المحنة بسبب الرسول ( كذلك ) مثل ذلك الجزاء يعني الأهلاك ( نجزي القوم المحرمين ) وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم ) الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أي استخلفناكم في الأرض بعد القرون التي أهلكناها ( لننظر كيف تعملون ) أي

الدعاء في الرخاء ( ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا ) حين كفروا ( وجاءتهم رسلكم بالبينات ) بالامر والنهي والعلامات ( وما كانوا ليؤمنوا ) يقول لم يؤمنوا بما كذبوا به يوم الميثاق ( كذلك ) هكذا ( نجزي القوم المحرمين ) المشركين بالهلاك ( ثم جعلناكم ) يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم

( خلائف ) استخلفناكم ( في الأرض من بعدهم ) من بعد هلاكهم ( لننظر كيف تعملون ) ماذا تعملون ( والنظر )



نظروا أعمالكم خيراً أو شراً فتعاملكم على ﴿ ٢٣٥ ﴾ حسب علمكم { سورة يونس } وكيف في حمل النصب

بتعملون لا بنظر لان معنى الاستفهام فيه يتبع أن تقدم عليه عامله والمعنى اثم بنظر منا فالظنوا كيف تعملون أ بالاعتبار بماضيكم أم الاغترار بما فيكم قال عليه السلام الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فانظر كيف تعملون ( واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ) حال ( قال الذين لا يرجون لقاءنا ) لما غلظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد لاهل الطغيان ( ائت بقرآن غير هذا ) ليس فيه ما يفيظنا من ذلك تنبك ( أو بده ) بأن تجعل مكان آية عذاب آية رجة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فأمر بأن يحجب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الاسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رجة وأن يسقط ذكر الآلهة بقوله ( قل ما يكون لي ) ما يحل لي ( أن أبدله من تلقاء نفسي )

من الخير ( واذا تتلى عليهم ) تقرأ على المستهزئين الوليد بن المغيرة وأصحابه ( آياتنا بينات ) بينات بالامر والنهي ( قال الذين لا يرجون لقاءنا ) لا يخافون البعث بعد الموت وهم مستهزئون ( ائت ) يا محمد ( بقرآن غير هذا أو بده ) غيره ( من تلقاء نفسي )

جعل آية الرجة آية العذاب وآية العذاب آية الرجة ( قل ) لهم يا محمد ( ما يكون لي ) ما يجوز لي ( أن أبدله ) أن أعيره ( من تلقاء نفسي )

على مقتضى أعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدة الدلالة على ان المعبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لاهى من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقع اخرى ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ يعنى المشركين ﴿ ائت بقرآن غير هذا ﴾ بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت أو ما نكرهه من معائب آلهتنا ﴿ أو بده ﴾ بأن تجعل مكان الآية المشقة على ذلك آية اخرى ولهم سألوا ذلك كي يسفهم اليه فيلزموه ﴿ قل ما يكون لي ﴾ ما يصح لي ﴿ ان أبدله من تلقاء نفسي ﴾ من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفاً وانما اكتفى بالجواب عن التبديل

والنظر هنا بمعنى العلم يريد تختبر أعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل أن يكون قال اهل المعاني معنى النظر هو طلب العلم وجزاء في وصف الله سبحانه وتعالى اظهارا للعدل لانه سبحانه وتعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليحاسبهم بحسبه كقوله تبارك وتعالى ليلوكم أيكم احسن عملاً ذكره الواحدي والرازي ( م ) عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واحذروا فتنة النساء أخرجه مسلم قوله فاتقوا الدنيا معناه احذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النساء ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ يعنى واذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتابنا الذى أنزلناه اليك يا محمد بينات يعنى واخبات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك ﴿ قال الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ يعنى قال هؤلاء المشركون الذين لا يخافون عذابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فانه لا يرجون ثواباً ولا يخاف عقاباً ﴿ ائت بقرآن غير هذا أو بده ﴾ قال قتادة قال ذلك مشركو مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز ابن حفص وعمر بن عبد الله بن أبي قيس العامري والماص بن عامر بن هشام قال هؤلاء للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد أن تؤمن بك فأت بقرآن غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيسها وان لم ينزل الله عليك فقل أنت من عند نفسك أو بده فاجعل مكان آية عذاب آية رجة ومكان حرام حلالا ومكان حلال حراما قال الامام فقهر الدين الرازي اعلم ان اقدام الكفار على هذا الالتماس يحتمل وجهين أحدهما انهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قولهم لو جئنا بقرآن غير هذا القرآن أو بده لآمنابك وغرضهم السخرية والاستهزاء الثاني أن يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كان كاذبا في قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله ائت بقرآن غير هذا أو بده يحتمل أن يأتي بقرآن آخر مع وجود هذا القرآن والتبديل لا يكون الا مع وجوده وهو ان يبدل بعض آياته بغيرها كما طلبوه ولما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسره الله أن يحبيهم بقوله ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد هؤلاء ﴿ ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ﴾ يعنى ان هذا الذى طلبتموه من التبديل ليس



من قبل نفسى ( ان اتبع الامايوحى الى ) لا اتبع الاوحى الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لان الذى آتيت به من عند الله لا من عندى قابله ( انى اخاف ان عصيت ربي ) بالتبديل من عند نفسى (عذاب يوم عظيم ) انى يوم القيامة واما الاتيان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم العجز عنه الا انهم كانوا لا يعترفون بالعجز ويقولون لو نشاء انلنا مثل هذا ولا يحفل أن يريدوا بقوله آت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحي لقوله انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وعرضهم { الجزء الحادى عشر } فى هذا الاقتراح ﴿ ٢٣٦ ﴾ الكيد اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن

لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر ﴿ ان اتبع الامايوحى الى ﴾ تبديل لما يكون فان المتبع لغيره فى امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للقض ينسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل فى الجواب وسماه عصيانا فقال ﴿ انى اخاف ان عصيت ربي ﴾ اى بالتبديل ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ وفيه اعلاء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح ﴿ قل لو شاء الله ﴾ غير ذلك ﴿ ماتلوتة عليكم ولا ادراكم به ﴾ ولا اعلمكم به على لسانى . وعن ابن كثير ولا ادراككم به بلام التأكيد اى لو شاء الله ماتلوتة عليكم ولا اعلمكم به على لسان غيوى والمعنى انه الحق الذى لا يحصى عنه لولم ارسل به لارسل به غيرى . وقرئ ولا ادراككم ولا ادراككم بالهمزة فيهما على لغة من نقاب الالف المبدلة من الياء همزة أو على انه من الدرء بمعنى الدفع اى ولا جعلتكم بنلاوته خصماء تدرونى بالجدال والمعنى ان الاسر بمشيئة الله تعالى لا بعشيتى حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله ﴿ فقد لبنت فيكم عمرا ﴾ مقدار عمر اربعين سنة ﴿ من قبله ﴾ من قبل القرآن لا تلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للمادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد علما ولم ينشأ

الى وما ينشأ الى ان غيره من قبل نفسى ولم اوصيه ﴿ ان اتبع الامايوحى الى ﴾ يعنى فيما امركم به أو انما لكم منه وما أخبركم الامايحرفى الله به وان الذى آتيتكم به هو من عند الله لا من عندى ﴿ انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ اى قل لهم يا محمد انى اخشى من الله ان خالفت امره أو غيرت احكام كتابه أو بدلته فمعصيته بذلك أن يعذبى بعذاب عظيم فى يوم تذهل كل سرضة عما رضيت ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ قل ﴾ اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله ﴿ لو شاء الله ماتلوتة عليكم ﴾ يعنى لو شاء الله لم ينزل على هذا القرآن ولم يأمرنى بقراءته عليكم ﴿ ولا ادراككم به ﴾ قال ابن عباس ولا ادراككم الله به ولا اعلمكم به ﴿ فقد لبنت فيكم عمرا من قبله ﴾ يعنى فقد مكثت فيكم قبل أن يوحى الى هذا القرآن مدة اربعين سنة لم آنكم بشئ ووجه هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبشه وعلوا أحواله وانه كان أميا لم يطالع كتابا ولا تعلم من أحد مدة عمره قبل الوحي وذلك اربعون سنة ثم بعد الاربعين

ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل القرآن مكانه آخر واما اقتراح التبديل فلاختيار الحلال وانه ان وجد منه تبديل قلنا أن يهلكه الله فينبوا منه أولا يهلكه فيسخرها منه فيجعلوا التبديل حجة عايه ونهيجها لاقتراءه على الله ( قل لو شاء الله ماتلوتة عليكم ) يعنى ان تلاوته ليست الا بعشيتة الله واطهاره أسرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل اى لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحاً بطلب كل كلام فصيح ويملو على كل منشور ومنظوم مشعوبا بعلوم الاصول والفروع والاخبار عن الغيوب التى لا يعلمها الا الله ( ولا ادراككم به ) ولا اعلمكم الله بالقرآن على لسانى ( فقد لبنت فيكم عمرا من قبله ) من قبل نزول القرآن اى قدأقت فيما بينكم اربعين

سنة ولم تعرفونى متعاطيا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت موصوفا بعبوسيان فتهمونى باختراعه ( جاءهم )

من قبل نفسى ( ان اتبع الامايوحى الى ) ما أقول وما أعل لا بما يوحى الى فى القرآن ( انى اخاف ) أعلم ( ان عصيت ربي ) فبدلته ان يكون على ( عذاب يوم عظيم ) شديد ( قل ) يا محمد ( لو شاء الله ) ان لا أكون رسولا ( ماتلوتة عليكم ) ما قرأت القرآن عليكم ( ولا ادراككم به ) يقول ولا اعلمكم به بالقرآن ( فقد لبنت ) مكثت ( فيكم عمرا ) اربعين سنة ( من قبله ) من قبل القرآن

قرضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذنت فصاحته فصاحة كل منطق وعلا عن كل منشور  
ومنظوم واحتوى على قواعد على الأصول والفروع وأحرب عن أقاصيص الأولين  
واحاديث الآخرين على ما هي عليه علم أنه معلم به من الله تعالى ﴿أفلاتعلمون﴾ أي أفلا  
تستملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه تعلموا أنه ليس إلا من الله ﴿فمن أظلم ممن

جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين وفيه من الأحكام  
والآداب ومكارم الأخلاق والفصاحة والبلاغة ما أعجز البلاء والفصحاء عن معارضته  
فكل من له عقل سليم وفهم ثاقب يعلم أن هذا لم يحصل إلا بوحي من الله تعالى لا من  
عند نفسه وهو قوله ﴿أفلاتعلمون﴾ يعني أن هذا القرآن من عند الله أوحاه إلى لا من  
قبل نفسي (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أنزل على رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وهو ابن أربعين سنة فكث ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ثم أمر بالمجورة فهاجر إلى المدينة  
فكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أقام بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية  
أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء  
سبع سنين ولا يرى شيئا وتنان سنين يوحى إليه وأقام بالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن خمس  
وستين سنة أخرجه في الصحيحين (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت توفي رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة أخرجه في الصحيحين (م) عن أنس رضي الله عنه قال  
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وهو ابن ثلاث  
وستين وعمر وهو ابن ثلاث وستين أخرجه مسلم (ق) عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن  
رضي الله عنه قال سمعت أنس بن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ربيعة من  
القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير أزهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم  
ليس بمحمد قطط ولا بسيط رجل أنزل عليه الوحي وهو ابن أربعين سنة فلبث بمكة  
عشر سنين ينزل عليه الوحي وبالمدينة عشرا وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس  
في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء أخرجه في الصحيحين \* قال الشيخ محيي الدين  
النووي ورد في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات أحدها أنه صلى الله عليه وسلم  
توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي  
أصحها وأشهرها رواها مسلم من حديث أنس وعائشة وابن عباس واتفق العلماء على  
أن أصحها ثلاث وستون سنة وتأولوا الباقي عليه فرواية ستين سنة اقتصر فيها على  
القيود وترك الكسر ورواية الخمس متأولة أيضا بأنها حصل فيها اشتباه قوله يسمع  
الصوت يعني صوت الهاتف من الملائكة ويرى الضوء يعني نور الملائكة أو نور آيات  
الله حتى رأى الملك بينه وشافهه بالوحي من الله عز وجل \* وقوله ليس بالابيض  
الامهق المراد به الشديد البياض كلون الجص وهو كونه المنظر وربما توهم الناظر أنه  
برص والمراد أنه كان أزهر اللون بين البياض والحمرة \* قوله عز وجل ﴿فمن أظلم ممن

(أفلاتعلمون) فتعلموا أنه  
ليس إلا من عند الله لا من  
مثلي وهذا جواب عما  
دسوه تحت قوله ألت بقرآن  
غير هذا من إضافة الافتراء  
إليه (فمن أظلم ممن

ولم أقل من هذا شيئا) أفلا  
تفعلون (أفليس لكم ذهن  
الإنسانية أنه ليس من تلقاء  
نفسه (فمن أظلم) اعنى واجرا  
على الله (عن

افترى على الله كذبا) يحتمل أن {الجزء الحادى عشر} يريد اقترافه ﴿٢٣٨﴾ المشركين على الله في أنه ذو شريك وذو ولد وذو

افترى على الله كذبا ﴿٢٣٨﴾ تقاديا بما صافوه اليه كناية أو تظليم للمشركين باقترافهم على الله تعالى في قولهم أنه لذو شريك وذو ولد ﴿٢٣٨﴾ أو كذب بآياته ﴿٢٣٨﴾ فكفروا بها ﴿٢٣٨﴾ أنه لا يفلح المجرمون ويبعدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ﴿٢٣٨﴾ لأنه جاد لا يقدر على نفع ولا ضرر والمعبود ينبغي أن يكون مثيبا ومعاقبا حتى يمود عبادة مجلب نفع أو دفع ضرر ﴿٢٣٨﴾ ويقولون هؤلاء ﴿٢٣٨﴾ الاوثان ﴿٢٣٨﴾ شفعاؤنا عند الله ﴿٢٣٨﴾ تشفع لنا فيما يهتنا من أمور الدنيا وفي الآخرة ان يكن بئس وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا أنه لا يضر ولا ينفع على توهم أنه ربما يشفع لهم عنده ﴿٢٣٨﴾ قل أننبئون الله ﴿٢٣٨﴾ أنخبرون ﴿٢٣٨﴾ بما لا يعلم ﴿٢٣٨﴾ وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتكريم بهم أو هؤلاء شفعاؤنا عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما في في السموات ولا في الارض ﴿٢٣٨﴾ حال من المائل المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون دون الله اما سمعوى واما ارضى ولا شئ من الموجودات فيهما الا

افترى على الله كذبا ﴿٢٣٨﴾ يعنى فزعم ان له شريكا وولدا والمعنى انى لم افتر على الله كذبا ولم أكذب عليه في قولى ان هذا القرآن من عند الله وأنتم قد افترتم على الله الكذب فزعمتم ان له شريكا وولدا والله تعالى منذ عن الشريك والولد وقيل معناه ان هذا القرآن لو لم يكن من عند الله لما كان أحدا في الدنيا أعظم على نفسه منى من حيث انى افترته على الله ولما كان هذا القرآن من عند الله أوحى الى وحيه الى وحيه ان يقال ليس أحدا في الدنيا أجهل ولا أعظم على نفسه منكم من حيث انكم أنكرتم أن يكون هذا القرآن من عند الله فقد كذبتم بآياته وهو قوله تعالى ﴿٢٣٨﴾ أو كذب بآياته ﴿٢٣٨﴾ يعنى جحد بكون القرآن من عند الله وأنكر دلائل التوحيد ﴿٢٣٨﴾ أنه لا يفلح المجرمون ﴿٢٣٨﴾ يعنى المشركين وهذا وعيد وتأكيده لما سبق ﴿٢٣٨﴾ ويبعدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ﴿٢٣٨﴾ يعنى ويبعد هؤلاء المشركون الاصنام التى لا تضرهم ان عصوها وتركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع وان العبادة أعظم أنواع العظم فلا تليق الا بعن يضر وينفع ويحيى ويميت وهذه الاصنام جاد وحجارة لا تضر ولا تنفع ﴿٢٣٨﴾ ويقولون هؤلاء ﴿٢٣٨﴾ يعنى الاصنام التى يعبدها ﴿٢٣٨﴾ شفعاؤنا عند الله ﴿٢٣٨﴾ قال أهل المعاني توهموا ان عبادتها أشد في تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا السائب أهل أن نعبد الله ولكن نشغل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شافعة لنا عند الله ومنه قوله سبحانه وتعالى اخبارا عنهم ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي هذه الشفاعة قولان أحدهما انهم يزعمون أنها تشفع لهم في الآخرة قال ابن جرير عن ابن عباس والثاني انها تشفع لهم في الدنيا في اصلاح معاشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يستقدون بعثا بعد الموت ﴿٢٣٨﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿٢٣٨﴾ أننبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ﴿٢٣٨﴾ يعنى أنخبرون الله ان له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا في السموات ولا في الارض وهذا على طريق الالزام والمقصود نفي علم الله بذلك الشفع وأنه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا

يكون تقاديا بما صافوه اليه من الافتراء (أو كذب بآياته) بالقرآن فيديان ان الكاذب على الله والمكذب بآياته في الكفر سواء (أنه لا يفلح المجرمون ويبعدون من دون الله مالا يضرهم) ان تركوا عبادتها (ولا ينفعهم) ان عبدوها (ويقولون هؤلاء) أى الاصنام (شفعاؤنا عند الله) أى في أمور الدنيا وميشتمل لانهم كانوا لا يقرون بالبث وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من عوت أو يوم القيامة ان يكن بئس ونشور (قل أننبئون الله بما لا يعلم) أنخبرونه بكونهم شفعا عنده وهو انباء باليس معلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو عالم بجميع المعلومات لم يكن شيا وقوله (في السموات ولا في الارض) تأكيده لفيه لان ما لم يوجد (افترى) اختلق (على الله كذبا) أو كذب بآياته (بمحمد عليه السلام والقرآن) (أنه لا يفلح) لا ينجوا ولا بأمن (المجرمون) المشركون من عذاب الله (ويبعدون) كفار مكة (من دون الله مالا يضرهم) ان لم يبدوا في الدنيا ولا في الآخرة (ولا ينفعهم) ان عبدوا في الدنيا ولا في الآخرة (ويقولون هؤلاء) يعنون الاوثان (شفعاؤنا) يشفعون لنا (عند الله قل)

لهم يا محمد (أننبئون الله) أنخبرون الله (بما لا يعلم) ان ليس (في السموات ولا في الارض) الذي ينفع أو يضر (لعله)

فيهما فهو معدوم (سبحانه وتعالى ﴿٢٣٩﴾ عما يشركون) نزه { سورة يونس } ذاته عن ان يكون له شريك وبإلقاء

حزة وعلى وما موصولة  
أو مصدرية أي عن الشركاء  
الذين تشركونهم به أو عن  
أشراكهم (وما كان الناس  
الأمّة واحدة) حنفاء  
متفقين على ملّة واحدة من  
غير أن يختلفوا بينهم وذلك  
في عهد آدم عليه السلام إلى  
أن قتل قابيل هابيل أو بعد  
الطوفان حين لم يذّر الله من  
الكافرين دياراً (فاختلفوا)  
فصاروا مللاً (ولولا كلمة  
سبقت من ربك) وهو  
تأخير الحكم بينهم إلى يوم  
القيامة (لنقضى بينهم)  
عاجلاً (فيما فيه يختلفون)  
فيما اختلفوا فيه وليميز  
الحق من المبطل وسبق  
كله لحكمة وهي أن  
هذه الدار دار تكليف  
وتلك الدار دار ثواب

غيره (سبحانه) نزه نفسه  
عن الولد والشريك  
(وتعالى) ارتفع وتبرأ (عما  
يشركون) به من الأوثان  
(وما كان الناس) في زمان  
إبراهيم ويقال في زمان  
نوح (الأمّة واحدة)  
أي ملّة واحدة ملّة الكفر  
فبمث الله النبيين مبشرين  
ومنذرين (فاختلفوا)  
فصاروا مؤمنين وكافرين  
(ولولا كلمة) بتأخير

وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق أن يشرك به ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ عن  
أشراكهم وعن الشركاء الذين يشركونهم به • وقرأ حزة والكسائي هنا وفي الموضعين  
في أول النحل والروم بإلقاء ﴿وما كان الناس الأمّة واحدة﴾ موجودين على الفطرة  
أو متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل أو بعد  
الطوفان أو على الضلال في فترة من الرسل ﴿فاختلفوا﴾ باتباع الهوى والباطل  
أو بعبث الرسل عليهم الصلاة والسلام فتحتم طائفة وأصرت أخرى ﴿ولولا كلمة سبقت  
من ربك﴾ بتأخير الحكم بينهم أو العذاب الفاصل بينهم إلى يوم القيامة فإنه يوم الفصل  
والجزاء ﴿لنقضى بينهم﴾ عاجلاً ﴿فيما فيه يختلفون﴾ بإهلاك المبطل وإبقاء الحق

لعلمه الله وحيث لم يكن معلوماً لله وجب أن لا يكون موجوداً ومثل هذا مشهور  
في العرف فإن الإنسان إذا أراد أن يثبّت في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني  
مقصوده أنه ما حصل ذلك الشيء منه قط ولا وقع ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾  
نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الشركاء والاضداد والانداد وتعالى أن يكون له شريك  
في السموات والأرض ولا يعلمه • قوله سبحانه وتعالى ﴿وما كان الناس الأمّة واحدة  
فاختلفوا﴾ يعني تفرقوا إلى مؤمن وكافر يعني كانوا جميعاً على الدين الحق وهودين  
الاسلام ويدل على ذلك أن آدم عليه السلام وذريته كانوا على دين الاسلام إلى أن  
قتل قابيل هابيل ثم اختلفوا وقبل بقوا على ذلك إلى زمن نوح عليه السلام ثم  
اختلفوا فبعث الله نوحاً وقبل أنهم كانوا على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه  
من السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك وقبل كانوا على دين الاسلام من عهد إبراهيم الخليل  
عليه السلام إلى أن غيره عمربون حتى فلى هذا القول يكون المراد من الناس في قوله  
وما كان الناس الأمّة واحدة العرب خاصة وقبل كان الناس أمّة واحدة يعني في الكفر  
وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى في سورة  
البقرة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقديره أنه لا مطمع في أن يصير الناس على  
دين واحد فأنهم كانوا أولاً على الكفر وانما أسلم بعضهم فيه تسليّة للنبي صلى الله  
عليه وسلم وقبل كان الناس أمّة واحدة وليس في الآية ما يدل على أي دين كانوا  
من إيمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج وقبل معناه أنهم كانوا في أول الخلق  
على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا في الأديان واليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم  
كل مولود يولد على الفطرة فإبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه والمراد بالفطرة  
في الحديث فطرة الاسلام • قوله سبحانه وتعالى ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ يعني  
أنه سبحانه وتعالى جعل لكل أمّة أجلاً ونقضى بذلك في سابق الأزل قال الكلبي هي  
أمهال هذه الأمّة وأنه لا يهلكهم بالعذاب ﴿لنقضى بينهم﴾ يعني بنزول العذاب  
وتجليل العقوبة للمكذّبين وكان ذلك فصلاً بينهم ﴿فيما فيه يختلفون﴾ وقال الحسن  
ولولا كلمة سبقت من ربك يعني مضت في حكمة الله أنه لا يقضى عليهم فيما اختلفوا

لعذاب عن هذه الأمّة (سبقت من ربك) وجبت من ربك (لنقضى بينهم) لهلكوا (فيما فيه) في الدين (يختلفون) يخالفون

وعقاب (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) أي آية من الآيات التي اقترحوها (قل إنما الغيب لله) أي هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بالصرف عن أنزال { الجزء الحادي عشر } الآيات ٢٤٠ ﴿ المقترحة لاغير ﴾ فانتظروا ﴿ نزول ما

﴿ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ أي من الآيات التي اقترحوها ﴿ قل إنما الغيب لله ﴾ هو المختص بعلمه فاعلمه يعلم في أنزال الآيات المقترحة مفسد تصرف عن أنزالها ﴿ فانتظروا ﴾ لنزول ما اقترحوه ﴿ إني معكم من المنتظرين ﴾ لما يفعل الله بكم بمجموعكم ما نزل عليه من الآيات العظام واقترحكم غيره ﴿ وإذا أذقنا الناس رجعة ﴾ حصة وسعة ﴿ من بعد ضراء مستهم ﴾ كقحط ومرض ﴿ إذا لهم مكر في آياتنا ﴾ بالطمع فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط أهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا

فيه بالثواب والعقاب دون يوم القيامة لقضى بينهم في الدنيا فادخل المؤمنين الجنة بإيمانهم وأدخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل فجعل مواعدهم يوم القيامة وقيل سبق من الله أنه لا يؤخذ أحدا إلا بعد إقامة الحجة عليه وقيل الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رجتي سبقت غضي ولو لارجته لجعل لهم العقوبة في الدنيا ولكن أخرهم برجته الى يوم القيامة ثم يقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعني في الدنيا ﴿ ويقولون ﴾ يعني كفار مكة ﴿ لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ يعني هلا نزل على محمد ما اقترحه عليه من الآيات ﴿ فقل ﴾ أي فقل لهم يا محمد ﴿ إنما الغيب لله ﴾ يعني ان الذي سألتموه هو من الغيب وإنما الغيب لله لا يعلم أحد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم أحد متى نزول الآية الا هو ﴿ فانتظروا ﴾ يعني نزولها ﴿ إني معكم من المنتظرين ﴾ وقيل معناه فانتظروا قضاء الله ببتنا باظهار الحق على المبطل إني معكم من المنتظرين ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وإذا أذقنا الناس رجعة ﴾ يعني رخاء ولعمة ﴿ من بعد ضراء مستهم ﴾ يعني من بعد شدة وبلاء وضيق في العيش أصابهم والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله سبحانه وتعالى حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله سبحانه وتعالى رحمهم فأنزل عليهم المطر الكثير حتى أخصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضر فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى الفساد والكفر والمكر وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ إذا لهم مكر في آياتنا ﴾ قال مجاهد أي تكذيب واستهزاء وقال مقاتل بن حيان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا ويدل على صحة هذا القول ما روى عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب أخرجاه في الصحيحين قوله على أثر سماء كانت من الليل أي مطر كان قد وقع في الليل وسمى المطر سماء لانه يقطر

اقترحوه ﴿ إني معكم من المنتظرين ﴾ لما قبل الله بكم لعنادكم وجعودكم الآيات ﴿ وإذا أذقنا الناس ﴾ أهل مكة ﴿ رجعة ﴾ خصبا وسعة ﴿ من بعد ضراء مستهم ﴾ يعني القحط والجوع ﴿ إذا لهم مكر في آياتنا ﴾ أي مكروا بآياتنا بدفعها وانكارها روى انه تعالى سلط القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطمنون في آيات الله ويسادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه فاذا الأولى للشرط والثانية جوابها وهي للمفاجأة وهو كقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون أي وان تصبهم سيئة قنطوا واذا أذقنا الناس رجعة مكروا والمكر اخفاء الكيد وطية من الجارية المحمورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم ﴿ ويقولون ﴾ يعني كفار مكة ﴿ لولا أنزل عليه ﴾ هلا أنزل على محمد عليه السلام ﴿ آية ﴾ علامة ﴿ من ربه ﴾ على ما يقول ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ إنما الغيب ﴾

بتزول الآية ﴿ لله فانتظروا ﴾ هلاكي ﴿ إني معكم من المنتظرين ﴾ لهلاككم ﴿ وإذا أذقنا الناس ﴾ أعطينا الكفار ﴿ رجعة ﴾ ﴿ من ﴾ نعمة ﴿ من بعد ضراء ﴾ شدة ﴿ مستهم ﴾ أصابهم ﴿ إذا لهم مكر ﴾ تكذيب ﴿ في آياتنا ﴾ بمحمد عليه السلام والقرآن

دلت على ذلك كأنه قال وأعاد  
رجلهم من بعد ضراء  
فاجؤا وقوع المكر منهم  
وسارعوا إليه قبل أن  
يسلوا رؤسهم من حس  
الضراء ( أن رسلنا ) يعني  
الحفظة ( يكتبون ما  
تذكرون ) اعلام بأن ما  
تظنون خافيا لا يخفى على  
الله وهو متقن منكم وبالياء  
سهل ( هو الذي يسيركم  
في البر والبحر ) يحملكم  
قادرين على قطع المسافات  
بالأرجل والدواب  
والفلك الجارية في البحار  
أو يخلق فيكم السبرينترك  
شأن ( حتى إذا كنتم في  
الفلك ) أي السفن  
( وجرين ) أي السفن  
( هم ) بمن فيها رجوع من  
الخطاب إلى التوبة للمبالغة  
( برح طيبة ) لينة المبوب  
لا عاصفة ولا ضيقة

( قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا )  
أشد عقوبة أهلهم الله  
يوم بدر ( أن رسلنا ) الحفظة  
( يكتبون ما تذكرون )  
ما تقولون من الكذب  
وتعملون من المعاصي  
( هو الذي يسيركم ) يحفظكم  
إذا سافرتكم ( في البر ) على  
الدواب ( والبحر ) وفي  
البحر في السفن ( حتى إذا

قدحون في آيات الله ويكتبون رسوله ﴿ قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ﴾ مذكركم قد دبر عقابكم  
قبل أن تدبروا كيدهم وأعادل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا  
لأذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج أو الجزاء على المكر  
﴿ أن رسلنا يكتبون ما تذكرون ﴾ تحقيق الانتقام وتنبه على أن مادبروا في اخفائه  
لم يخب على الحفظة فضلا أن يخفى على الله تعالى وعن يعقوب يذكرون بالياء ليوافق  
ما قبله ﴿ هو الذي يسيركم ﴾ يحملكم على السبر ويعتكم منه ﴿ في البر والبحر ﴾ حتى إذا  
كنتم في الفلك ﴿ في السفن ﴾ وجرين بهم ﴿ بمن فيها عدل عن الخطاب إلى التوبة  
للمبالغة كأنه يذكره لندمهم ليتجهب من حالهم وينكر عابهم ﴿ برح طيبة ﴾ لينة

من السماء والآنواء عند العرب هي منازل القمر إذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا  
يعتقدون في الجاهلية أنه لا بد عند ذلك من وجود مطر أو ريح كما يزعم المنجمون  
أيضا فمن العرب من يجعل ذلك التأثير للأطالع لأنه تأمى ظهر وطلع ومنهم من ينسبه  
للنار فنفى النبي عليه السلام صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده إذا اعتقد أن النجم  
فاعل ذلك التأثير وأما من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة وأما من أسند ذلك إلى  
العادة التي يجوز أنخرامها فقد ذكره قوم وجرمه قوم ومنهم من تأول الكفر بكفر  
لعنة الله والله أعلم وسمى تكذيبهم بآيات الله مكرًا لأن المكر عبارة عن صرف الشيء  
عن وجهه الطاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكة يمتثلون في دفع آيات الله بكل  
ما يقدرون عليه من المناسد ﴿ قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ﴾ أي قل لهم يا محمد الله أجعل  
عقوبة وأشد أخذًا وأقدر على الجزاء وإن عذابه في هلاككم أسرع اليكم مما يأتى  
منكم في دفع الحق ولما قالوا نسمة الله بالمكر قابل مكرهم بمكر أشد منه وهو أمهالهم  
إلى يوم القيامة ﴿ أن رسلنا يكتبون ما تذكرون ﴾ يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون  
ويحفظون عليهم الأعمال القبيحة السيئة إلى يوم القيامة حتى يقتضوها بها ويجزون  
على مكرهم ﴿ قوله تعالى ﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر ﴾ يعني هو الله الذي يسيركم  
يعني يحكمكم في البر على ظهور الدواب وفي البحر على الفلك وقبل معناه هو الله الهادي  
لكم في السبر في البر والبحر طلبا للمعاش أو هو المهدي لكم أسباب السبر في البر  
والبحر ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك ﴾ يعني السفن ولفظة الفلك تطلق على الواحد والجمع  
وتقديرهما مختلفان فإن أريد بها الواحد كان كبناء قفل وإن أريد بها الجمع كان كبناء  
أسد والمراد بها هنا الجمع لقوله تعالى ﴿ وجرين بهم ﴾ يعني وجرت السفن بركاها  
فان قات ما قاتل صرف الكلام عن الخطاب إلى التوبة عن صاحب الكساف  
المقصود منه المبالغة كأنه يذكر لهم حالهم ليجهب منها ويستدعي منهم من بدأ الانكار  
والتمجيد وتالي غيره أن مخاطبة الله لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بمنزلة  
الخطب عن الغائب وكل من أقام الغائب مقام المخاطب حسن منه أن يردده إلى الغائب وقبل  
أن لا يغتات في الكلام من المسند إلى الحضور وبالكس من فصيح كلام العرب ﴿ برح طيبة ﴾

كنتم في الفلك ) ركبتهم في السفن ( قات و خا ٣١ لث ) ( وجرين بهم ) جرت السفن بأهاها ( برح طيبة ) لينة ساكنة

(وفرحوابها) بتلك الريح لئلا واستقامتها (جاءتها) أي الفلك أو الريح الطيبة أي تلقيا (ريح حاصف) ذات عصف أي شديدة الهبوب (وجاءهم الموج) هو { الجزء الحادي عشر } ما على ٢٤٢ الماء (من كل مكان) من البحر أو من

الهبوب (وفرحوابها) بتلك الريح (جاءتها) جواب لاذا والضمير للفلك أو الريح الطيبة بمعنى تلقيا (ريح حاصف) ذات عصف شديدة الهبوب (وجاءهم الموج من كل مكان) يعني الموج منه (وظنوا أنهم أحيط بهم) أهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كن أحاط به العدو (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير إشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بذلك اشتغال لان دماهم من لوازم ظنهم (لئن أنجيتنا من هذه ل نكون من الشاكرين) على إرادة القول أو مفعول دعوا لانه من جملة القول (فلما أنجاهم) أجابة لدعاهم (إذاهم ينغون في الأرض) فاجأوا الفساد فيها وسارعوا إلى ما كانوا عليه (بغير الحق) مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة وأحراق زروعهم وقلع أشجارهم

يعنى وجرت السفن بريح طيبة ساكنة (وفرحوابها) يعنى وفرح رحبان تلك الفلك بتلك الريح الطيبة لان الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل له النفع التام والمسرّة العظيمة بذلك (جاءتها ريح حاصف) قيل ان الضمير في جاءتها يرجع إلى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ريح حاصف شديدة فأقبلتها وقيل الضمير في جاءتها يرجع إلى الفلك يعنى جاءت الفلك ريح حاصف يقال ريح حاصف وحاصفة ومعنى عصفت الريح اشتدت وأصل العصف السرعة وانما قال حاصف لانه أراد به ذات عصف أو لاجل ان لفظ الريح قديما ذكر (وجاءهم الموج من كل مكان) يعنى وجاء ركبان السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلا من غوارب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه (وظنوا أنهم أحيط بهم) يعنى وظنوا ان الهلاك قد أحاط بهم وأحاطوا وقيل المراد من الطن اليقين أي وأيقنوا انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه (دعوا الله مخلصين له الدين) يعنى أنهم أخلصوا في الدعاء لله عز وجل ولم يدعوا أحدا سواه من آلهتهم وقل في معنى هذا الاخلاص العلم والحقيق لا خلاص الايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة أنه لا نعيم من جمع الشدائد أو الالاء الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وضروبلاء أخلصوا لله الدعاء (لئن أنجيتنا) أي قائلين لئن أنجيتنا ياربنا (من هذه) يعنى من هذه الشدائد التي نحن فيها وهي الريح الحاصفة والأمواج الشديدة (لنكونن من الشاكرين) يعنى من الشاكرين لك على انعامك علينا بخلاصنا مما نحن فيه من هذه الشدة (فلما أنجاهم) يعنى فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا أنهم أحيط بهم من الشدة التي كانوا فيها (إذاهم ينغون في الأرض بغير الحق) يعنى أنهم أخلفوا الله ما وعدوه وبنوا في الأرض قبيحا وزوا فيها إلى غير ما أمر الله به من الكفر والعمل بالمعاصي على ظهرها وأصل النبي

جميع أمكنة الموج (وظنوا أنهم أحيط بهم) أهلكوا جعل أحاطة العدو بالحى مثلا في الإهلاك (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير إشراك به لانهم لا يدعون حينئذ معه غيره يقولون (لئن أنجيتنا من هذه) الأحوال أو من هذه الريح (لنكونن من الشاكرين) لنعمتك مؤمنين بك ممتسكين بطاعتك ولم يجعل الكون في الفلك غاية للتسبر في البحر ولكن مضمون الجملة الشرطة الواقعة بعده حتى بما في حيزها كأنه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكانت كيت وكيت من مجيئ الريح الحاصف وتراكم الأمواج والظن والهلاك والدعاء بالإنجاء وجواب اذا جاءتها ودعوا بدل من ظنوا لان دماهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به (فلما أنجاهم) اذاهم ينغون في الأرض (بغير الحق) بغير الحق

(وفرحوابها) أعجب الملاحون بالريح الساكنة (حاصف) أي السفن (ريح حاصف) حاصف شديد (وجاءهم الموج) ركبهم الموج (من كل مكان) ناحية (وظنوا) علوا وأيقنوا (أنهم

أحيط بهم) أهلكوا (دعوا الله مخلصين له الدين) مفردين له بالدعاء (لئن أنجيتنا من هذه) الريح والشد (لنكونن) مجاورة (من الشاكرين) من المؤمنين المطيعين (فلما أنجاهم) من الريح والفرق (إذاهم ينغون) يتطاولون (في الأرض بغير الحق)

باطلا أى مبطلين (يا أيها الناس انما بئكم على أنفسكم) أى ظلمكم يرجع اليكم كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها (متاع الحياة الدنيا) حفص أى تتمتعون متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر بئكم على أنه خبر بئكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبئى عليهم ﴿٢٤٣﴾ ومنه انما بئكم سورة يونس على امثالكم أو هو خبر

ومتاع خبر بعد خبر أو متاع خبر مبتدأ مضمر أى هو متاع الحياة الدنيا وفى الحديث أسرع الخير ثوبا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البنى والبنين الفاجرة وروى ثنان يجعلهما الله فى الدنيا البنى وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لوبنى جبل على جبل لذلك الباغي وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البنى والنكث والمكر قال الله تعالى انما بئكم على أنفسكم ولا يحيق المكر السبى الا بأهله ومن نكث فاعما ينكث على نفسه (ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) فنصبركم به ونجازيكم عليه (انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء من السحاب فاختلط به بالماء نبات الارض) أى فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (عما يأكل الناس والانعام) بالحق (يا أيها الناس) يا أهل مكة (انما بئكم)

فانها انفسا بحق ﴿٢٤٣﴾ يا أيها الناس انما بئكم على أنفسكم ﴿٢٤٣﴾ فان وباله عليكم أو انه على امثالكم وابتداء جنسكم ﴿٢٤٣﴾ متاع الحياة الدنيا ﴿٢٤٣﴾ منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعته على أنه خبر بئكم وعلى أنفسكم صلته أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر بئكم ونصب حفص على أنه مصدر مؤكدا أى تتمتعون متاع الحياة الدنيا أو مقول البنى لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بئكم متاع الحياة الدنيا محذورا أو ضلالا أو مفعولا فعل دل عليه البنى وعلى أنفسكم خبره ﴿٢٤٣﴾ ثم الينا مرجعكم ﴿٢٤٣﴾ فى القيامة ﴿٢٤٣﴾ فننبئكم بما كنتم تعملون ﴿٢٤٣﴾ بالجزاء عليه ﴿٢٤٣﴾ انما مثل الحياة الدنيا ﴿٢٤٣﴾ حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها ﴿٢٤٣﴾ كما انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض ﴿٢٤٣﴾ فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا ﴿٢٤٣﴾ عما يأكل الناس والانعام ﴿٢٤٣﴾

مجاوزه الحد قال صاحب المقررات البنى على ضربين أحدهما مجود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثانى مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل أو الى الشبهة قال صاحب الكشف فان قلت مامضى قوله بغير الحق والبنى لا يكون بحق قلت بلى قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة ﴿٢٤٣﴾ يا أيها الناس انما بئكم على أنفسكم ﴿٢٤٣﴾ يعنى ان وبال بئكم راجع عليكم ﴿٢٤٣﴾ متاع الحياة الدنيا ﴿٢٤٣﴾ قيل هو كلام مبتدأ والمعنى ان بئى بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصح لزيد الاخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا أيها الناس انما بئكم على أنفسكم لا يتهى ان بئى بعضكم على بعض الا بما قليلة وهى مدة حياتكم مع قصرها فى سرعة انقضائها والبنى من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لوبنى جبل على جبل لذلك الباغي وقد نظم بعضهم هذا المعنى شعرا وكان المأمون يقتل به فقال يا صاحب البنى ان البنى مصرعة فارجع فخير مقال المرء أعدله فلوبنى جبل يوما على جبل لا نذك منه أعاليه وأسفله

وقوله سبحانه وتعالى ﴿٢٤٣﴾ ثم الينا مرجعكم ﴿٢٤٣﴾ يعنى يوم القيامة ﴿٢٤٣﴾ أى فنصبركم ﴿٢٤٣﴾ بما كنتم تعملون ﴿٢٤٣﴾ يعنى فى الدنيا من البنى والمعاصى فنجازيكم عليها ﴿٢٤٣﴾ قوله عز وجل ﴿٢٤٣﴾ انما مثل الحياة الدنيا ﴿٢٤٣﴾ يعنى فى فنائها وزوالها ﴿٢٤٣﴾ كما انزلناه من السماء ﴿٢٤٣﴾ يعنى المطر ﴿٢٤٣﴾ فاختلط به ﴿٢٤٣﴾ أى بالمطر ﴿٢٤٣﴾ نبات الارض ﴿٢٤٣﴾ قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون ﴿٢٤٣﴾ عما يأكل الناس ﴿٢٤٣﴾ يعنى من الحبوب والثمار ﴿٢٤٣﴾ والانعام ﴿٢٤٣﴾ يعنى وعما يأكل الانعام من الحشيش ونحوه

ظلمكم وتطاولكم فيما بينكم (على أنفسكم) جنايته (متاع الحياة الدنيا) منافع الدنيا تقضى ولا تبقى (ثم الينا مرجعكم) بعد الموت (فننبئكم) فنخبركم (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخير والشر (انما مثل الحياة الدنيا) فى بقائها وفنائها (كما انزلناه من السماء) يعنى المطر (فاختلط به نبات الارض) اختلط بنبات الارض (بأما كل الناس) الحبوب والثمار (والانعام) العكوش



يسحق الحشيش (حق) الجزء الحادي عشر ( إذا أخذت ٢٤٤ الأرض زخرفها ) زيتها بالثياب

واختلاف ألوانه (وازينت) وتزينت به وهو أصله وأدغمت التاء في الراء وهو كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفها على القليل بالمروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاصكتسها وتزينت بغيرها من ألوان الزين (وطن أهائها) أهل الأرض (أناها أقادرون عليها) متكونون من منفعتها يحصلون لقرتها رافعون لثلبها (أناها أسرنا) عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أن منهم واستيقام انه قلسم (ليلا أونهارا فحعلناها) فجعلنا زرعها (حصيدا) شيئا بما يحصد من الزرع في قطعه واستنصاه (كأن لم تنف) كأن لم تنف زرعها أي لم يلبث حذف المضاعف في هذه المواضع لا بد منه ليستقيم المعنى (بالاس) هو مثل في الوقت القريب كأنه قيل كأن

من البسات والحشيش (حق) إذا أخذت الأرض زخرفها (وازينت) بالأحمر والأصفر والأخضر (وطن أهائها) المزارعون (أهم أقادرون عليها) على علائها (أناها أسرنا) عذابنا (ليلا أونهارا) كأنما داست

من الزروع والبقول والحشيش (حق) إذا أخذت الأرض زخرفها (حسنها) وبجنتها (وازينت) تزينت بأصناف النبات والشكالها وألوانها المختلفة كمروس أخذت من ألوان الثياب ولين وتزينت بها وتزينت أصله تزينت قدغم وقد قرى على الأصل وازينت على إهات من غير ألال كغيات والمغى صارت ذات زينة وأزبات كلباضت (وطن أهائها) أهم أقادرون عليها (متكونون من حصدها ورفع غلتها) أناها أسرنا (ضرب زرعها بما يحصد) ليلا أونهارا فجعلناها (فجعلنا زرعها) حصيدا شيئا بما يحصد من أصله (كأن لم تنف) كأن لم تنف زرعها أي لم تلبث وانحذف عذوق في الموضعين المباهمة ونرى باليه على الأصل (بالاس) فما قبله وهو مل في الوقت القريب والمثل به مضمون المسألة وهو زول خضرة الدات بخاة

(حق) إذا أخذت الأرض زخرفها (بني حسننا ونضارتها) انضارتها وأظهرت ألوان زهرها من أحمر وأصفر وغير ذلك من الزهور (وازينت) أي وتزينت على وطن أهائها (بني أهل تلك الأرض) أنهم أقادرون عليها (بني على جدادها وقطافها وحصادها ردا لكثامة إلى الأرض والمراد النبات اذ كان مفهوما لرددها إلى البررة والغلة وفل إلى الرنة أناها أسرنا) أي نضوتنا بهلاكها (ليلا أونهارا) يعني في الليل أو النهار (فجعلناها حصيدا) يعني عسودة مقطوعة (كأن لم تنف بالاس) يعني كأن لم تكن تلك الأشجار والنبات والزروع نابتة قائمة على ظهر الأرض وأصله من نفي فلان بالمكان إذا أقام به وهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى للمتشبهين بالدنيا الراغبين في زهرتها وحسها وذلك انه تعالى لما قال يا أيها الناس انما فكم على أنفسكم ما ع الحياة الدنيا أتمعه بهذا المل لمن في الأرض ويجوز فيها وكر الدنيا وأعرض عن الآخرة لأن البات في أول روزه من الأرض ومداً خروجك يكون صاعفا فاذا نزل عليه المطر واخطابه قوى وحسن واكتفى كمال الروق والزينة وهو المراد من قوله حق إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الذي وجعت الأرض آخذة زخرفها على الشبيه بالمروس إذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حرة وخضرة وصفرة وبيض ولائلك ان الأرض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاؤه في الانفاع بها وبما فيها ثم ان الله سبحانه وتعالى أرسل على هذه الأرض صاعقة أو ردا أو رجا فجعلها حصيدا كان لم يكن من قبل قلادة ان المتشبهات بالدنيا أيه أمر الله وعذابه أعقل ما يكون روجه المل ان طاب هذه الحيا لدنيا التي نفع بها المرء كما ان دز هذا الدات الذي لما عظم الرحاء في الاسراع به وضع اليأس منه ولان المملك الدنيا اذا نال منها بغيته أتاه الموت بقعة فسانه ما هو فيه من نعم الدنيا ولذاها وقيل يحتمل أن يكون ضرب هذا المل لمن سكر المعاد والبث بعد الموت وذلك لان الررع اذا

القم في حناتها فافسد زروع الزراعين (فجعلناها حصيدا) كحصيد الصب (كأن لم تنف بالاس) ما يمكن (انتهى)

لم تكن آنفا (كذلك تفصل الآيات لقوم يتفكرون) فينتفعون بضرب الامثال وهذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرورها  
تقضيها وانقراض نعمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه عطشا ما بعد ما التفت وكاف وزين الارض بخضرته  
وريفه والتشبيه على حكمة التشبيه ان الحياة صفوها شبيته او كدرها شبيته كما ان صفو الماء في اعالى الاناء قلد الم تر ان العمر كاس  
سلافة فاوله صفوا آخره كدره وحقيقته تزين جثة الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط التراب على اختلاف التلوين  
فالطينة الطيبة تنبت نباتين الالس ورياحين ﴿٢٤٥﴾ الروح وزهرة الزهد ﴿سورة يونس﴾ وكروم الكرم وحبوب  
الحب وحدائق الحقيقة

وشقائق الطريقة والطينة  
تخرج خلاف الخلق وتعام  
الائم وشوك الذرك وشيع  
السم وحطب العطب والناع  
اللب ثم يدوه معاده كما  
عين للحرث - معاده هزيلة  
الحياة مفترا كما يهيج  
البات مصفرا غيب جسد  
في الرمس كما لم تكن بالاس  
الى ان يعود ربيع البعث  
وموعد العرض والبعث  
وذلك حال الدنيا كالماء  
ينقع قاسله ويهلك كثيره  
ولا يدمن ترك ما زاد كالا بد  
من أخذ الراد وأخذ المال  
لا يحاو من زلة كان خائض  
الماء لا نجو من بله وجهه  
واساكه تاف صاحبها  
واهلكه فادون الصاب  
بصضاح ماء يجاوز بلا  
احتماء والصاب كنه حائل  
بين المحتار والحوار الى  
انفاز لا يمكن الا بقطرة  
وهي الركة وعارثها بذل  
الصلاة فتخت اختات  
القطرة غرقته أمواج القضاير

وذهابه عطشا ما كان حضا والتفت وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظلوا  
انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب ﴿كذلك  
نفعل الا بانه لقوم يتفكرون﴾ فالهم المتفكرون به ﴿والله يدعوا الى دار السلام﴾  
دار السلامة من القضاير ولا مة اودار الله ومخبر هذا الاسم لانه على  
ذلك اودار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ﴿ويهدى من يشاء﴾  
بالتوفيق ﴿الى صراط مستقيم﴾

انتمى وسكامل في الحسن الى الغاية القصوى آتته آمة قنف بالكلية نعم ان الله سبحانه  
وتعالى قادر على اعادته كما كان أول مرة فغضب الله سبحانه وتعالى هذا المثل ليدل  
على ان من قدر على اعادة ذلك النبات بعد التفت كان قادرا على اعادة الاموات احياء  
في الآخرة ليجازيهم على اعمالهم فينبط الطائع ويماقب العاصي ﴿كذلك تفصل  
الآيات لقوم يتفكرون﴾ معنى كما يتناكم مثل الحياة الدنيا وعرفناكم حكمها كذلك  
نبين سبحانه وأدلتنا من شكر واعتبر لكون ذلك سببا موجبا لروول الشك والشبهة  
مر القلوب ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿والله يدعوا الى دار السلام﴾ لما ذكر الله  
زمره الحياة الدنيا وانها فانية زائلة لاحاله دما الى داره دار السلام قال قادة الله هو السلام  
وداره الجنة في هذا السلام اسم من أسماء الله عز وجل ومعناه انه سبحانه وتعالى سلم من  
جميع النقائص والعيوب والافاء والتغير وقيل انه سبحانه وتعالى لم يوصف بالسلام لان الخلق سلوا  
من ظلم وقيل انه تعالى يوصف بالسلام بمعنى السلام أي لا يقدر على محايص العاجزين  
من المكروه والآفات الا هو وقيل دار السلام اسم للجنة وهو جمع سلامة والمعنى ان من دخلها  
فد سلم من جميع آفات كالموت والمرض والعناء والحزن والغم والهم والكد وقيل  
سمت الجنة دار السلام لان الله سبحانه وتعالى يسلم على أهلها أو تسلم الملائكة عليهم  
قيل ان من كمال رجاء الله وجوده وكرمه على عباده ان دعاه الى جنته التي هي  
دار السلام وفيه دال على ان فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب  
بشر لان العظيم لا يدعوا الى عظيم ولا وصف الاعظما ويد وصف الله سبحانه وتعالى  
الحمة في آيات كثيرة من كتابه ﴿ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم﴾ معنى والله

المفتطرة وعن هذا قال عليه السلام الركة فطرة الاسلام وكذا المال ساعد الا وفادون الاتحاد كما ان الماء يجمع في الوهاد  
دون العباد وكذلك المال لا يجمع الا بكدا البخل كما ان الماء لا يجمع الا بسداسل لم ينفذ وياب ولا يبقى كالماء في الكف (والله  
يدعوا الى دار السلام) هي الجنة اضافها الى اسم تعظيما لها والسلام السلامة لان أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لغشوا السلام  
بنهم وسلم الملائكة عليهم الا قلاسلاما (ويهدى من يشاء) (الى صراط مستقيم) الى

بالامر (كذلك) هكذا (تفصل الآيات) نبين القرآن في فناء الدنيا (لقوم يتفكرون) في مر الدنيا والآخرة (والله  
يدعوا) الخلق بالتوحيد (الى دار السلام) والسلام هو الله والجنة داره (ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) دين قائم برضاء

وهو طريقها وذلك الاسلام والتدبر بلباس التقوى وفي تميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصير على الضلالة لم ير الله رشده ﴿ للذين احسنوا الحسنى ﴾ المثوبة الحسنى ﴿ وزيادة ﴾ وما يزيد على اثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل

يهدى من يشاء من خلقه الى صراطه المستقيم وهو دين الاسلام عم بالدعوة أولا اظهارا للجنة وخص بالدعوة ثانيا استغناء عن الخلق واظهارا للقدره فحصلت المغايرة بين الدعوتين (خ) عن جابر قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم مثالا فاضربوا له مثالا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مائدة وبعت داعيا فن اجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المائدة فقالوا أولوها بفقهها فان العين نائمة والقلب يقظان فقال بعضهم الدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس وفي رواية خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى رأيت في المنام كان جبريل عليه السلام عند رأسى وميكائيل عند رجلى يقول احدهما لصاحبه اضرب له مثالا وعن النواس ابن سعيان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثالا صراطا مستقيما على كنفى الصراط داران لهما أبواب مفتحة على ابواب ستور وداع يدعو على رأس الصراط وداع يدعو فوقه والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم والابواب التى على كنفى الصراط حدود الله فلا يقع أحد فى حدود الله حتى يكشف الستر والذي يدعو من فوقه واعظ ربه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ﴿ قوله عز وجل ﴾ للذين أحسنوا الحسنى ﴿ قال ابن عباس للذين شهدوا أن لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين أحسنوا عبادة الله فى الدنيا من خلقه وأطاعوه فيما أمرهم به ونهاهم عنه الحسنى قال ابن الانبارى الحسنى فى الآفة تأبث الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الحلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين أحسنوا المثوبة الحسنى ﴿ وزيادة ﴾ اختلف المفسرون فى معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على اقوال القول الاول ان الحسنى هى الجنة والزيادة هى النظر الى وجه الله الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق وحذيفة رابو موسى الاشعري وعبادة بن صامت رضى الله عنهم وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقالى السدى ويدل على صحة هذا القول المنقول والمقول أما المنقول فما روى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض أزديكم بقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيأ أحب اليهم

الاسلام أو طريق السنة فالدعوة عامة على لسان رسول الله بالدلالة والهداية خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والعناية والمعنى يدعو المباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون ( للذين أحسنوا ) آمنوا بالله ورسوله ( الحسنى ) المثوبة الحسنى وهى الجنة ( وزيادة ) رؤية الرب عز وجل كذا عن أبي بكر وحذيفة وابن عباس وأبى موسى الاشعري وعبادة ابن الصامت رضى الله عنهم وفى بعض التفاسير أجمع المفسرون على ان الزيادة النظر الى الله تعالى وعن صهيب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض أزديكم بقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيأ أحب اليهم

حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة  
من النظر الى ربه تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الآية للذي أحسنوا  
الحسنى وزيادة أخرجه مسلم وروى الطبري بسنده عن كعب بن عجرة عن النبي  
صلى الله عليه وسلم في قوله للذي أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الله  
الكريم وعن أبي بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله سبحانه  
وتعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله  
الكريم وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر  
الى وجه الله وعن أبي موسى الأشعري قال اذا كان يوم القيامة يث الله الى اهل  
الجنة متاديا ينادي هل أنجزكم الله ما وعدكم به فينظرون الى ما أعد الله لهم من  
الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه  
الرحمن تبارك وتعالى وفي رواية رفعها أبو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ان الله يبعث يوم القيامة وذكره بمناه وعنه عبد الرحمن بن أبي ليلى قال اذا دخل  
أهل الجنة الجنة قال الله لهم هل بقي من حقكم شيء لم تعطوه قال فيجيبون لهم عن  
وجل قال فيصغر عندهم كل شيء أعطوه ثم قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال  
الحسنى الجنة والزيادة هي النظر الى وجه ربه فهذه الاخبار والآثار قد دلت على  
أن المراد بهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تبارك وتعالى وأما المقول فنقول ان  
الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرفت الى المعهود السابق  
وهو الجنة في قوله سبحانه وتعالى والله يدعوا الى دار السلام ثبت بهذا ان المراد  
من لفظة الحسنى هو الجنة واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الزيادة أمرا  
منافيا لكل ما في الجنة من النعيم والالزم التكرار واذا كان كذلك وجب حل هذه  
الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى وما يؤكد ذلك قوله سبحانه وتعالى وجوه يومئذ  
ناصرة الى ربها ناظرة فاثبت لاهل الجنة أمرين أحدهما النظرة وهو حسن الوجوه  
وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى وجه الله سبحانه وتعالى وآيات القرآن بفسر  
بعضها بعضا فوجب حل الحسنى على الجنة ونيحها وحل الزيادة على رؤية الله تبارك  
وتعالى وقالت المعتزلة لا يجوز حل هذه الزيادة على الرؤية لان الدلائل العقلية دلت على  
ان رؤية الله سبحانه وتعالى متممة ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيدي عليه  
ورؤية الله ليست من جنس نعيم الجنة ولان الاخبار التي تقدمت توجب التشبيه  
ولان جماعة من المفسرين جعلوا هذه الزيادة على غير الرؤية فأتى ما قلتم أجاب  
أصحابنا عن هذه الاعتراضات بان الدلائل العقلية قد دلت على إمكان وقوع رؤية الله تعالى  
في الآخرة واذا لم يوجد في العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الاحاديث الصحيحة  
بإثبات الرؤية وجب المصير اليها واجراؤها على ظواهرها من غير تشديد ولا احاطة  
وجوب عن قولهم ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المزدعل عليه ان الزيادة اذا كان

وجوهنا ألم تدخلنا الجنة  
وتنجنا من النار قال فبرفع  
الحجاب فينظرون الى الله  
تعالى فأعطوا شيئا أحب  
اليهم من النظر الى ربه ثم  
تلا للذين أحسنوا الحسنى  
وزيادة والعجب من صاحب  
الكشاف انه ذكر هذا  
الحديث لا بهذه العبارة وقال  
انه حديث مدفوع مع انه  
مرفوع قد أورده صاحب  
المصابيح في الصحاح وقيل  
الزيادة المحبة في قلوب العباد  
وقيل الزيادة مغفرة من الله  
ورضوان

ويقال الزيادة في الثواب

من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة وازيادة هي الاعاء ﴿ ولا يرهق وجوههم ﴾ لا يشاها ﴿ قتر ﴾ غيرة فيها سواد ﴿ ولا ذلة ﴾ هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار أو لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال ﴿ أولئك أصحاب الجنة ﴾ هم فيها خالدون ﴿ ما عيون لا زوال فيها ولا انقراض ﴾ نعمها بخلاف الدنيا وزخارفها ﴿ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ﴾ عطف على قوله للذين أحسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجيرة عمرو والذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها أى ان يجازى سيئة بسنة مثلهما لا يزداد عابها ومثله على ان الزيادة هي الفضل أو النضييب أو كما قال النشيت وجوههم أو أولئك أصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة بمبدأ خبره محذوف أى فجزاء بمقدار معين كانت الزيادة من جنة وإذا لم يكن بمقدار معين وجب أن تكون الزيادة مخالفة له فالمدكور في الآية لفظ الحسنى وهي الجنة ونعيمها غير مقدر بقدر معين فوجب ان الزيادة عليها تكون شيئا مغايرا لنعيم الجنة وذلك المغاير هو الرؤية وأجيب عن قولهم وذن جماعة من المفسرين حاولوا الزيادة على غير الرؤية بأنه معارض قول جماعة من المفسرين بان الزيادة هي الرؤية والمثبت مقدم على التاني والله أعلم ﴿ القول الثاني في معنى هذه الآية ماروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال الزيادة غرة فمن لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب ﴿ القول الثالث ان الحسنى واحدة الحسنات والزيادة النعيم الى تمام العشرة والى سبعمائة قال ابن عباس هو مثل قوله سبحانه وتعالى ولدينا مزيد يقول يجوز بهم بعملهم وزيدهم من نفسه فإعادة كان الحسن يقول الزيادة الحسنة بغير ما لها الى سبعمائة ضعف ﴿ قول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان قاله مجاهد ﴿ لقول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هي الجنة والزيادة ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم ﴿ وم القامة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا يرهق وجوههم ﴾ يعنى ولا يلهي وجوههم الجنة ﴿ قتر ﴾ أى كآبة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجوه ﴿ ولا ذلة ﴾ يعنى ولا هوان قال ابن أبي لى هذا بعد نظرهم الى ربه تبارك وتعالى ﴿ أولئك أصحاب الجنة ﴾ هم فيها خالدون ﴿ يعنى ان هؤلاء الذين وصفت صفهم هم أصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقببون لا يخرجون منها أبدا ﴿ وله سبحانه وتعالى ﴿ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ﴾ اعلم ان الله لما شرح الله سبحانه وتعالى أحوال المحسنين وما اعدلهم من الكرامة شرح في هذه الآية حال من أقدم الى السيئات والمراد بهم الكفار فقال سبحانه وتعالى والذين كسبوا السيئات يعنى والذين عملوا السيئات والمراد هم الكفار والمعاصي جزاء سيئة بمثلها يعنى فلهم جزاء السيئة التى عملوها ما عملوا من القات والمنعرد من هذا النص ﴿ قوله ﴿ بين الحساب والسيئات لان الحسنات يضاهى بها السيئات من الواحدة الى العشرة الى السبع مائة الى أضعاف كثيرة وذلك تنضاد منه وكرما وأما قوله ﴿ أنه يجازى عابها بما عملوا ﴾

( ولا يرهق وجوههم )  
ولا يفتى وجوههم ( قتر )  
غرة فيها سواد ( ولا ذلة )  
ولا أثر هوان والمعنى  
ولا يرهقهم ما يرهق أهل  
النار ( أولئك أصحاب  
الجنة هم فيها خالدون  
والذين كسبوا ) عطف  
للذين أحسنوا أى وللذين  
كسبوا ( السيئات ) فون  
الشرك ( جزاء سيئة بمثلها )  
الباء زائدة كقوله وجزاء  
سيئة سيئة مثلهما أو القدر  
جزاء سيئة مغفرة مثلهما  
( ولا يرهق ) لا يلهي  
( وجوههم ) سواد ولا  
كسوف ( ولا ذلة ) ولا كآبة  
( أولئك أصحاب الجنة )  
أهل الجنة ( هم فيها خالدون  
والذين كسبوا السيئات )  
الشرك بالله ( جزاء سيئة  
بمثلها ) بقول قصاص الشرك  
بالله النار

(وترهقهم ذلة) ذل وهو ان (مالهم من الله) من عقابه (من عاصم) أى لا يصعبهم أحد من مخطئه وعقابه (كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلماً) أى جعل عليها غطاء من سواد الليل أى هم سود الوجوه وقطعا جمع قطعة وهو مقول أن أغشيت قطعا مكي وعلى من قوله بقطع ﴿ ٢٤٩ ﴾ من الليل وعلى هذه { سورة يونس } القراءة مظلمة ماسة قطع

وعلى الاول حال من الليل والعامل فيه أغشيت لان من الليل صفة لقطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة أو معنى القعل فى من الليل (أولئك أصحاب النار) فيها خالدون ويوم نحشروهم (أى الكفار وغيرهم (جيعا) حال (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أى الزموا مكانكم لا يبرحوا حتى تنظروا وما يفعل بكم (أنتم) أكسبه الضمير فى مكانكم لصد مسد قوله الزموا (وشركاؤكم) عطى عليه (فزلبنا بينهم) وفرقنا (بينهم) وقطعنا أقرانهم راوصل التى كانت بينهم فى الدنيا (وقال شركاؤهم) من عبدوه من دون الله من أولى القتل أو الاصلام ينطقها الله عز وجل (ما كنتم إيانا تعبدون)

(وترهقهم ذلة) تملوهم كآبة وكسوف (مالهم من الله) من عذاب الله (من

سيرة بمثلها واقع أو مثلها على زيادة الباء وتقدير مقدر بمثلها (وترهقهم ذلة) فرى بالياء (مالهم من الله من عاصم) ما من أحد يصعبهم من مخطئ الله أو من جهة الله ومن عنده كما يكون للؤمنين (كأنما أغشيت) غطيت (وجوههم قطعا من الليل مظلماً) لقرط سوادها وظلمتها ومظلمها من الليل والعامل فيها أغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة أو معنى القعل فى من الليل وقرأ ابن كثير والكسائى ويعقوب قلما بالسكون فملى هذا يصح ان يكون مظلمة صفة له أو حال منه (أولئك أصحاب النار) فيها خالدون ﴿ بما يخرج من الوعيدة والجواب ان الآية فى الكفار لا اشتغال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين أحسنوا يقول أصحاب الكبرة من اهل القبلة لا يذنبوا لهم قسيمة ﴿ ويوم نحشروهم جميعا ﴾ يعنى الفريقين جميعا ﴿ ثم نقول للذين أشركوا مكانكم ﴾ الزموا مكانكم حتى تنظروا وما يفعل بكم ﴿ أنتم ﴾ ما كيد للضمير المستقل اليه من عامله ﴿ وشركاؤكم ﴾ عطى عليه وقرئ بالصب على المفعول معه ﴿ فزلبنا بينهم ﴾ ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم ﴿ وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون ﴾

عدلا منه سبحانه وتعالى ﴿ وترهقهم ذلة ﴾ قال ابن عباس يشاهم ذل وشدة وقيل يشاهم ذل وهو ان له قاب الله ايامهم ﴿ مالهم من الله من عاصم ﴾ يعنى مالهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذا نزل بهم ﴿ كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلماً ﴾ يعنى كأنما ألبست وجوههم سوادا من الليل المظلم ﴿ أولئك أصحاب النار ﴾ فيها خالدون ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ويوم نحشروهم جميعا ﴾ الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى ويوم نجتمع الحلائق جميعا لموقعة الحساب وهو يوم القيامة ﴿ ثم نقول للذين أشركوا مكانكم ﴾ أى الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تستلوا وفى هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين ﴿ أنتم وشركاؤكم ﴾ يعنى أنتم أيها المشركون والاصنام التى كنتم تعبدونها من دون الله ﴿ فزلبنا بينهم ﴾ يعنى وفرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم واتقطع ما كان بينهم من النواصل فى الدنيا فان قلت قوله سبحانه وتعالى فزلبنا بينهم جاء على لفظ الماضى بمسد قوله ثم نقول للذين أشركوا وهو منتظر فى المستقبل فاوجهه قلت السبب فيه ان الذى حكم الله فيه بانه سيكون صار كالكان الآن ﴿ قوله تعالى ﴿ وقال شركاؤهم ﴾ يعنى الاصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من أموالهم أولانه سبحانه وتعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء فى هذا الخطاب ﴿ ما كنتم إيانا تعبدون ﴾ نرى المعبودون من العابدين فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الاصنام

عاصم) من مانع (كأنما) من الحزن (أعيت) (قا و خا ٣٢ لث) ألبست (وجوههم قطعا من الليل) من السواد (مظلماً أولئك أصحاب النار) أهل النار (هم فيها خالدون) دائمون (ديوم نحشروهم) الكفار وأهلهم (جميعا ثم نقول للذين أشركوا) إلهة الارث (مكاكم) تفقوا (أنتم وشركاؤكم) آلهمكم (فزلبنا) فرما (بينهم) وبين آلهم فقال الكافرون أمرنا هؤلاء ان نعبدكم من دونك (وقال شركاؤهم) آلهمهم رداعلهم (ما كنتم إيانا تعبدون) بأمرنا فقالوا بلى أمرنا

انما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم ان تتخذوا لله أندادا فاطعموهم وهو قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم الى قوله بل كانوا { الجزء الحادى عشر } يعبدون الجبن ﴿ ٢٥٠ ﴾ ( فكفى بالله شهيدا بينا وبينكم )

بجاز عن برائة ما عبدوه من عبادتهم فالهم انما عبدوا في الحقيقة أهوامهم لانها الآمرة بالاشراك لاما شر كوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافهم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين ﴿ فكفى بالله شهيدا بينا وبينكم ﴾ فانه العالم بكنهه الحال ﴿ ان كنا عن عبادتكم لنافلين ﴾ ان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة ﴿ هنالك ﴾ في ذلك المقام ﴿ تبلوا كل نفس ما اسلفت ﴾ تختبر ما قدمت من عمل فتعابن نفسه وضره • وقرأ جزء والكسائي تتلوان من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلاوة تتبع علمه افيقودها الى الجنة او الى النار وقرئ تبلوا بالنون ونصب كل وابداك مامنه والمعنى تختبرها اي تفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف بسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به تصيب بالبلاء اي بالعذاب كل نفس ماضية بسبب ما اسلفت من الشر فتكون ماضية بنزع الخافض ﴿ وردوا الى الله ﴾ الى جزائه اياهم ما اسلفوا ﴿ مولا هم الحق ﴾ ربهم ومتولى امرهم على الحقيقة لاما اتخذوه

وهي جاد لاروح فيها ولا عقل لها فأت يحتمل ان الله سبحانه وتعالى خلق لها في ذلك اليوم من الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام • فان قلت اذا احياهم الله في ذلك اليوم فهل يفهم اويقيم • قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله في شيء من أفعاله وأحوال القيامة غير معلومة الا ما دل عليه الدليل من كتاب أو سنة • فان قلت ان الاصنام قد أنكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها • قلت قد تقدمت هذه المسئلة وجوابها في تفسير سورة الانعام ونقول هنا قال مجاهد تكون في يوم القيامة ساعة تكون فيها شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نقل ولا نعلم انكم تعبدونها فيقولون والله اياكم كنا نعبد فتقول لهم الآلهة ﴿ فكفى بالله شهيدا بينا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لنافلين ﴾ والمعنى قد علم الله وكفى به شهيدا انا ما علمنا انكم كنتم تعبدونها وما كنا عن عبادتكم ايانا من دون الله الا خافلين ما نشر بذلك أما قوله سبحانه وتعالى ﴿ هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت ﴾ فهو كالتمهيد للآية المتقدمة والمعنى في ذلك المقام أو ذلك الموقف أو ذلك الوقت على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على الزمان وفي قوله تبلوا قرأت قرئ بشاءين ولها معنيان أحدهما انه من تلاه اذا تبعه أي تتبع كل نفس ما أسلفت لان العمل هو الذي يهدي النفس الى الثواب أو العقاب الثاني أن يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرأ صحيفة عملها من خير أو شر وقرئ تبلوا بالتاء المثناة والباء الموحدة ومعناه تختبر وتعلم والباء الاختيار ومعناه اختبارها ما أسلفت يعني أنه ان قدم خيرا أو شرا قدم عليه وجوزي به ﴿ وردوا الى الله مولا هم الحق ﴾ الرد عبارة عن صرف الشيء الى الموضع الذي جاء منه والمعنى وردوا الى ما يظهر لهم من الله الذي هو مالكهم ومتولى أمرهم • فان قلت قد قال الله سبحانه

أي كفى بالله شهيدا وهو تميز (ان كنا عن عبادتكم لنافلين) ان مخففة من المثقلة واللام فارقة بينها وبين النافية (هنالك) في ذلك المكان أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تبلوا كل نفس) تختبر وتذوق (ما أسلفت) من العمل فتعرف كيف هو أفيج أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود وقال الزجاج تسلم كل نفس ما قدمت تتلو حجة وعلى أي تتبع ما أسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة أو النار أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر كذا عن الاخفش (وردوا الى الله مولا هم الحق) ربهم في ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة أو الذي يتولى حسابهم وثوابهم العادل

بعبادتكم فقالت الآلهة (كفى بالله شهيدا بينا وبينكم ان كنا) قد كننا (عن عبادتكم) ايانا (لنافلين) لجاهلين لم نعلم من ذلك شيئا (هنالك) عند ذلك (تبلوا) تعلم وان قرأت بالتاء يقول

تقرأ (كل نفس ما أسلفت) ما علمت من خير أو شر (وردوا الى الله مولا هم الحق) الهم الحق (وتعالى)

الذى لا يظلم أحدا (وخل عنهم ما كانوا يفترون) وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء لله أو بطل عنهم ما كانوا يخلقون من الكذب وشفاعاة الآلهة (قل من يرزقكم من السماء بالمطر (والارض) بالنبات (أم من يملك السمع والابصار) من يستطيع خلقهما وتسييرهما على الخد الذي سوا عليه من الفطرة الحسنة أو من يحميها من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيها أدنى شيء (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) أى الحيوان والقرع والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة ﴿٢٥١﴾ والحب والكافر {سورة يونس} والجاهل وعكسها (ومن

يدبر الامر) ومن على تدبير أسرار العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص (فسيقولون الله) فسيجيبونك عند سؤالك ان القادر هذه هو الله (فقل أفلا تتقون) الشرك في العبودية اذا اعترفتم بالروية (فذلكم الله) أى من هذه قدرته هو الله (ربكم الحق) الثابت ربوبته ثباتا لا ريب فيه

(وخل عنهم) بطل عنهم واشتغل عنهم (ما كانوا يفترون) يبدون بالكذب (قل) يا محمد لكفار أهل مكة (من يرزقكم من السماء بالمطر (والارض) بالنبات والثمار (أم من يملك السمع والابصار) يقول من يقدر أن يخلق السمع والابصار (ومن يخرج الحى من الميت من يقدر ان يخرج الحى من الميت يعنى النسيمة والدواب من النطفة ويقال الطير من البيضة

مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح أو المصدر المؤكد ﴿وخل عنهم﴾ وضاع عنهم ﴿ما كانوا يفترون﴾ من ان آلهتهم تشفع لهم أو ما كانوا يدعون لها آلهة ﴿قل من يرزقكم من السماء والارض﴾ أى منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد أرضية أو من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف أى من اهل السماء والارض ﴿أم من يملك السمع والابصار﴾ أم من يستطيع خلقهما وتسييرهما أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انقضاءهما من أدنى شيء ﴿ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى﴾ ومن يحيى ويميت أو من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ﴿ومن يدبر الامر﴾ ومن على تدبير اسرار العالم وهو تعميم بعد تخصيص ﴿فسيقولون الله﴾ اذ لا يقدر من المكابرة والعناد في ذلك لقرط وضوحه ﴿فقل أفلا تتقون﴾ انفسكم عقابه بأشراككم إياه ما لا يشاركه فى شيء من ذلك ﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾ أى المتولى

وتعالى فى آية أخرى وأن الكافرين لا مولى لهم فا الفرق عقلت المولى فى اللغة يطلق على المالك ويطلق على الناصر فعنى المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين الآيتين ﴿وخل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يعنى وبطل وذهب ما كانوا يكذبون فيه فى الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا قوله عز وجل ﴿قل من يرزقكم من السماء والارض﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء يعنى المطر والارض يعنى النبات ﴿أم من يملك السمع والابصار﴾ يعنى ومن أعطاكم هذه الحواس التى تسمعون بها وتبصرون بها ﴿ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى﴾ يعنى انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة وهى ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحى ويخرج البيضة الميتة من الطائر الحى وقيل معناه انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والقول الاول أقرب الى الحقيقة ﴿ومن يدبر الامر﴾ يعنى ان مدبر أسرار السموات وما فيها ومدبر أسرار الارض وما فيها هو الله تعالى وذلك قوله ﴿فسيقولون الله﴾ يعنى أنهم يعترفون أن قاعل هذه الاشياء هو الله واذا كانوا يقولون بذلك ﴿فقل﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿أفلا تتقون﴾ يعنى ألا تخافون عقابه حيث تبدون هذه الاصنام التى لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء من هذه الامور ﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾ يعنى فذلكم الذى

ويقال السنبلة من الحب (ويخرج الميت من الحى) النطفة من النسيمة والدواب ويقال البيضة من الطير ويقال الحبة من السنبلة (ومن يدبر الامر) من يقدر أن يدبر أسرار البعاد وينظر فى أسرار العباد ويبعث الملائكة بالوحى والتنزيل والمصيبة (فسيقولون الله فقل) يا محمد (أفلا تتقون) تطيعون الله (فذلكم الله ربكم) فالذى يفعل ذلك هو ربكم (الحق) هو الحق وعبادته



لمن حقق النظر (فإذا بعد الحق الا الضلال) أي لا واسطة بين الحق والضلال فن تخطى الحق وقع في الضلال (فأني تصرفون) عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك (كذلك) مثل ذلك الحق (حققت كلمت ربك) كلمات شامى ومدنى أى كالحق وثبت أن الحق بعد الضلال أو كالحق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حققت كلمة ربك (على الذين فسقوا) تمردوا في كفرهم وخرجوا الى { الجزء الحادى عشر } الحد الاقصى ﴿ ٢٥٢ ﴾ فيه (أنهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة

لهذه الامور المسهق للعبادة هو ربكم الثالث ربوبيته لانه الذى اشأكم واحياكم ورزقكم ودمر اموركهم ﴿ فإذا بعد الحق الا الضلال ﴾ استفهام انكار أى ليس بعد الحق الا الضلال فن تخطى الحق الذى هو عبادة الله تعالى ونع في الضلال ﴿ فاني تصرفون ﴾ عن الحق الى الضلال ﴿ كذلك حققت كلمت ربك ﴾ أى حققت الربوبية لله وان اساق بعد الضلال أو أنهم مصروفون عن الحق كذلك حققت كلمة الله وحكمه ﴿ على الذين فسقوا ﴾ تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح ﴿ انهم لا يؤمنون ﴾ بدل من الكلمة او تعاميل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب ﴿ قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾ جعل الاعادة كالابداء في الالتزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها وذلك امر الرسول عليه الصلاة والسلام بان ينوب عنهم في الجواب فقال ﴿ قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾ لان لجاحهم لا يبدعهم ان يعترفوا بها ﴿ فاني تؤفكون ﴾ تصرفون عن قصد السبيل ﴿ قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق ﴾ ينصب الصحيح وارسل الرسل عليهم الصلاة والسلام والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يهدى الى تضمنه معنى الانهاء يهدى باللام للدلالة على

يفعل هذه الاشياء ويقدر عاها هو الله ربكم اساق الذى يستحق العبادة لاهذه الاصنام ﴿ فإذا بعد الحق الا الضلال ﴾ يعنى اذا ثبت بهذه البراهين الواضحة ولدلائل القطعية ان الله هو الحق وجب أن يكون ماسواه صلا لا وباملا ﴿ فاني تصرفون ﴾ يعنى اذا عرفتم هذا الامر الظاهر الواضح وكيف تستغيثون الصدول عن الحق الى الضلال الباطل ﴿ كذلك ﴾ أى كما ثبت أنه ليس بعد الحق الا الضلال ﴿ حققت ﴾ أى وجبت ﴿ كلمت ربك ﴾ فى الازل ﴿ على الذين فسقوا ﴾ انهم لا يؤمنون ﴿ قبل المراد بكلمة الله قضاؤه عليهم فى الوجود المحفوظ انهم لا يؤمنون وقضاؤه لا يرد ولا يدافع ﴿ قل هل من شركائكم ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم يعنى هذه الاصنام التى تزعمون انها آلهة ﴿ رببدأ اساق ﴾ يعنى من يقدر على ان ينفى الحق على غير مثال سبق ﴿ ثم مده ﴾ أى ثم يعيده بعد الموت كهيئته أول مرة وهذا السؤال استفهام انكار ﴿ قل ﴾ أى قل أنت يا محمد ﴿ لله يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾ يعنى ان الله هو القادر على ابتداء الخلق واعادته ﴿ فاني يؤفكون ﴾ يعنى فاني تصرفون عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من أحوالهم كيف تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد ﴿ هل من شركائكم من يهدي الى الحق ﴾ يعنى هل من هذه الاصنام من يقدر على أن يرشد الى الحق فإذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك

أى حق عليهم استغناء الايمان او حق عليهم كلمة الله أن اعانهم غير كائن أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون لئيل أى لانهم لا يؤمنون (قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده) انما ذكر ثم يعيده وهم غير مقربين بالاعادة لانه لظهور برهانها جعل أمرا مسلما على ان قيم من يقرر بالاعادة أو يحتمل اعادة غير البشر كما عادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات (قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده) أمر نبيه بان ينوب عنهم فى الجواب يعنى أنهم لا تدعهم مكارتهم أن ينطوا بكلمة الحق فتسلكهم عنهم (فاني تؤفكون) فكيف تصرفون عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) يرشد

الحق ( فإذا بعد الحق الا الضلال ) فإذا بعد الحق الا الضلال (فاني تصرفون) من اين تكذبون على الله (كذلك)

هكذا (حققت) وجبت (كلمت ربك) بالعذاب (على الذين فسقوا) كفروا (انهم لا يؤمنون) فى علم الله (قل) (هل) لهم يا محمد (هل من شركائكم) من آلهتكم (من يبدؤ الخلق) من النطفة ويحمل فيه الروح (ثم يعيده) بعد الموت يوم القيامة فان أجابوك والاف (قل الله يبدؤ الخلق) من النطفة (ثم يعيده) ثم يحييه يوم القيامة (فاني تؤفكون) فن اين تكذبون ويقال انظر يا محمد كيف يصرفون بالكذب (قل) لهم يا محمد (هل من شركائكم) من آلهتكم (من يهدى الى الحق) والهدى

اليه ( قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي ) يقال هداى للحق والى الحق فجمع بين اللتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شربى بمعنى اشترى ومنه قراءة حمزة و على أمن لا يهدى بمعنى يهتدى لا يهدى بفتح الياء والهاء وتشديد الدال مكى وشامى وورش باسماء ﴿ ٢٥٣ ﴾ الهاء قطعة { سورة يونس } أبو عمرو وبكسر الهمزة وفتح

الياء فاصم غير يحيى والاصل يهتدى وهو قراءة عبدالله فادغمت التاء فى الدال وفتحت الهمزة بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وبكسر الياء والهاء وتشديد الدال يحيى لا يتباع ما بعدها وبسكون الهمزة وتشديد الدال مدنى غير ورش والمعنى أن الله وحده هو الذى يهدى للحق بماركب فى المكلفين من العقول واعطاهم من التمكن للنظر فى الأدلة التى نصبها لهم وبما وفقهم وألهمهم ووفقهم على الشرائع بارسال الرسل فهل من شركاءكم الذين جعلتم أئاداداً لله أحد يهدى الى الحق مثل هداية الله ثم قال أفمن يهدى الى الحق أحق بالاتباع أم الذى لا يهدى أى لا يهتدى بنفسه أو لا يهدى غيره إلا أن يهديه الله وقيل معناه أم من لا يهتدى من الأوئان الى مكان فينتقل اليه إلا أن يهدى إلا أن ينقل أو لا يهتدى ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حالة الى أن يجعله حياً ناطقاً فيهديه (فألكم كيف

ان المنتهى غاية الهداية والهمم تنوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما استند الى الله ﴿ قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدى إلا أن يهدي ﴾ أم الذى لا يهتدى إلا أن يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى أو لا يهدى غيره إلا أن يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير ورش عن نافع وابن ماص يهدى بفتح الهمزة وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتحت الهمزة بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وروى أبو بكر يهدى باتباع الياء الهمزة وقرأ أبو عمرو بالأدغام المجردة ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ إلا أن يهدى للبيانة ﴿ فألكم كيف تحكمون ﴾ بما يقتضى صريح العقل بطلانه ﴿ وما يتبع أكثرهم ﴾

﴿ قل ﴾ أى قل لهم أنت يا محمد ﴿ الله يهدي للحق ﴾ يعنى أن الله هو الذى يرشد الى الحق لا غيره ﴿ أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدى إلا أن يهدى ﴾ يعنى أن الله هو الذى يهدى الى الحق فهو أحق بالاتباع لهذه الاصنام التى لا يهدى إلا أن تهدى . فان قلت الاصنام جاد لا تتصور هدايتها ولا أن تهدى فكيف قال إلا أن يهدى . قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال وجوهاً الاولى أن معنى الهداية فى حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى أنها لا تنتقل من مكان الى مكان آخر إلا أن تحمل وتنقل فبين سبحانه وتعالى بهذا عجز الاصنام الوجه الثانى أن ذكر الهداية فى حق الاصنام على وجه المجاز وذلك أن المشركين لما اتخذوا الاصنام آلهة وأزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عن يسمع ويعقل ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل أن يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدى الى الحق رؤساء الكفر والضلالة فالله سبحانه وتعالى هدى الخلق الى الدين بما ظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته وأما رؤساء الكفر والضلالة فانهم لا يقدر على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله الى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهديته أولى من اتباع غيره ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ فألكم كيف تحكمون ﴾ قال الزجاج فألكم كلام تام كأنه قيل لهم أى شئ لكم فى عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعنى على أى حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجوارحين تزعمون ان مع الله شركاء وقيل معناه بثبوت حكمتهم اذ جعلتم الله شركاء من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية ﴿ وما يتبع أكثرهم ﴾

تحكمون) بالباطل حيث تزعمون أنهم أئاداد الله (وما يتبع أكثرهم) فى قولهم للاصنام انها آلهة وأنها شفعاء عند الله والمراد فان اجابوك والا (قل الله يهدي للحق) والهدى (أفمن يهدي الى الحق) والهدى (أحق ان يتبع) أن يسجد ويطاع (أم من لا يهدى) الى الحق والهدى (الا ان يهدى) يحمل فيذهب به حيث يشاء (فألكم كيف تحكمون) بأش ما تقضون به لانفسكم (وما يتبع) يعبد (أكثرهم)

بغير دليل وهو اقتداؤهم بإسلافهم ظناً منهم انهم مصيبون ( ان الظن لا ينفى من الحق ) وهو العلم ( شيئاً ) فى موضع المصدر أى اعتناء ( ان الله عليم بما يفعلون ) من اتباع الظن وترك الحق ( وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ) أى اقتراء من دون الله والمعنى وما صح وما استقام أن يكون مثله فى علو أمره واعجازة مفترى ( ولكن ) كان ( تصديق الذى بين يديه ) وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة ( وتفصيل الكتاب ) وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من

آلهة ( الاظنا ) الا بالظن ( ان الظن ) عبادتهم بالظن ( لا ينفى من الحق ) من عذاب الله ( شيئاً ان الله عليم بما يفعلون ) فى الشرك من عبادة الاوثان وغير ذلك ( وما كان هذا القرآن ) الذى يقرأ عليكم محمد صلى الله عليه وسلم ( أن يفترى ) ان يخلق ( من دون الله ) ولكن تصديق الذى بين يديه ( موافق التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونسبه ) وتفصيل الكتاب ( تبيان القرآن بالحلال والحرام والامر

فما يتقدرون { الاظنا } مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع أو من ينتمى منهم الى تمييز ونظرو لا يرضى بالتقليد الصرف { ان الظن لا ينفى من الحق } من العلم والاعتقاد الحق { شيئاً } من الاغناء ويجوز ان يكون مفعول به ومن الحق حالاً منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز { ان الله عليم بما يفعلون } وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان { وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله } اقتراء من الخلق { ولكن تصديق الذى بين يديه } مطابقاً لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذباً كيف وهو لكونه معجزاً دولها عيار عليها شاهد على صحتها ونصيبه بأنه خبر لكان مقدر أو علة لفعل محذوف تقديره ولكن انزله الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقديره ولكن هو تصديق { وتفصيل الكتاب } وتفصيل ما حقق وأثبت من العقائد والشرائع

الاظنا { يعنى وما يتبع } كثرة هؤلاء المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم فى شك منه ورغبة وقيل المراد بالاكثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن فى دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر الرؤساء { ان الظن لا ينفى من الحق شيئاً } يعنى ان الشك لا ينفى عن اليقين شيئاً ولا يقوم مقامه وقيل فى الآية ان قولهم ان الاصنام آلهة وانما تشفع لهم ظن منهم لم يرد به كتاب ولا رسول يعنى انها لا تدفع عنهم من عذاب الله شيئاً { ان الله عليم بما يفعلون } يعنى من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين { قوله تعالى } وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله { يعنى وما كان ينبئ لهذا القرآن ان يخلق ويفعل لان معنى الاقتراء الاختلاق والمعنى ليس وصف القرآن وصف شئ يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى هو الذى يأتي به البشر وذلك ان كفار مكة زعموا أن محمداً صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الاقتعال والاختلاق فأخبر الله عز وجل ان هذا القرآن وحى أنزله الله عليه وانه مبرأ عن الاقتراء والكذب وانه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى ثم ذكر سبحانه وتعالى ما يؤكد هذا بقوله { ولكن تصديق الذى بين يديه } يعنى ولكن الله أنزل هذا القرآن مصدقاً لما قبله من الكتب التى أنزلها على أنبيائه كالتوراة والانجيل وتقرر بهذا ان محمداً صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يحقق باحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن العظيم المجز وفيه أخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة قبله ولو لم يكن كذلك لقد حوا فيه اعداؤه اهل الكتاب له ولما لم يقصد فيه أحد من أهل الكتاب علم بذلك ان ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما فى التوراة والانجيل مع القطع بأنه ما علم ما فيها فثبت بذلك انه وحى من الله أنزله عليه وانه مصدق لما بين يديه وانه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل فى معنى قوله ولكن تصديق الذى بين يديه يعنى من أخبار الغيوب الآتية فانها جاءت على وفق ما أخبر { وتفصيل الكتاب } يعنى وتبيين ما فى الكتاب من الحلال والحرام والفرائض

قوله كتاب الله عليكم (لاريب فيه من ﴿ ٢٥٥ ﴾ رب العالمين) {سورة يونس} داخل في حيز الاستدراك

كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا لمتنفاعه الرب كاشا من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لاريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لاريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لاشك فيه كريم (أم يقولون افتراء) بل يقولون اختلقه (قل) ان كان الاسر كاذبون (فأتوا) أنتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) أي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم فأنتم مثل في العربية (وادعوا من استطعتم من دون الله) أي (ادعوا من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين) انه افتراء (بل كذبوا) عالم يحيطوا بعلمه

واللهي (لاريب فيه) لاشك فيه (من رب العالمين) من سيد العالمين (أم يقولون) بل يقولون كفار مكة (افتراء) اختلق محمد صلى الله عليه وسلم القرآن من تلقاء نفسه (قل) لهم يا محمد (فأتوا بسورة مثله) مثله سورة القرآن (وادعوا من استطعتم) استعينوا على ذلك من عبدتم

﴿لاريب فيه﴾ متفيا عنه الرب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز أن يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استئنافا ﴿من رب العالمين﴾ خبر آخر تقديره كأننا من رب العالمين أو متعلق بتصديق أو بتفصيل ولاريب فيه اعتراض أو بالفعل المعلق بهما ويجوز أن يكون حالا من الكتاب أو من التضمين في فيه ومساق الآية بعدم المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب أتباعه والبرهان عليه ﴿أم يقولون﴾ بل يقولون ﴿افتراء﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الهزيمة فيه الانكار ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾ في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فأنكم مثل في العربية والفصاحة واشد تمر في النظم والمبارة ﴿وادعوا من استطعتم﴾ ومع ذلك فاستعينوا بمن أمكنكم ان تستعينوا به ﴿من دون الله﴾ سوى الله فانه وحده قادر على ذلك ﴿ان كنتم صادقين﴾ انه اختلقه ﴿بل كذبوا﴾ بل سارعوا الى التكذيب ﴿بالم يحيطوا بعلمه﴾ بالقرآن اول سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالمع بشأنه أو بما جهلوه ولم يحيطوا به علمان ذكر البعث والجزاء وسائر

والاحكام ﴿لاريب فيه من رب العالمين﴾ يعني ان هذا القرآن لاشك فيه انه من رب العالمين وانه ليس مفترى على الله وانه لا يقدر أحد من البشر على الاتيان بمثله وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿أم يقولون افتراء﴾ يعني أم يقول هؤلاء المشركون افترى محمد هذا القرآن واختلقه من قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل أم يعني الواو أي ويقولون افتراء ﴿قل﴾ أي قل لهم يا محمد ان كان الاسر كاذبون ﴿فأتوا بسورة مثله﴾ يعني بسورة شبيهة به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فأنتم عرب مثل في الفصاحة والبلاغة ﴿فان قلت قال الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة فأتوا بسورة من مثله وقال سبحانه وتعالى هنا فأتوا بسورة مثله فافادة ذلك وما الفرق بينهما﴾ قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم أميا لم يقرأ ولم يكتب وأتى بهذا القرآن العظيم كان معجزا في نفسه فقل لهم فأتوا بسورة من مثله يعني ما انسان أي مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم الكتابة والقراءة وأما قوله سبحانه وتعالى فأتوا بسورة مثله أي فأتوا بسورة تساوي سور القرآن في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله فأتوا بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها معجزة فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله ﴿وادعوا من استطعتم من دون الله﴾ يعني وادعوا للاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه ﴿ان كنتم صادقين﴾ يعني في قولكم ان محمدا افتراء ثم قال تعالى ﴿بل كذبوا﴾ عالم يحيطوا بعلمه يعني القرآن أي كذبوا عالم يعلمه قال عطاء يريد انه ليس خلق يحيط بجميع علوم القرآن وقيل معناه بل كذبوا بما في القرآن من ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب وغيرها عالم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا يتكبرون ذلك كله وقيل انهم لما سموا ما في القرآن من القصص وأخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوا قبل ذلك أنكروها لجهلهم فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله بل كذبوا عالم يحيطوا بعلمه لان القرآن العظيم مشتمل

(من دون الله ان كنتم صادقين) ان محمدا عليه السلام يختلفه من تلقاء نفسه (بل كذبوا) عالم يحيطوا بعلمه (بالم يدرك)

ولما يأتيهم تأويله (بل سارعوا إلى الكذب بالقرآن في بدية السماع قبل أن يفقهوه ويحسبوا كتمان سره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لقرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى التوقع في ولما يأتيهم تأويله أنهم كذبوا به على البدية قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليد الملا بآء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع إلى الكذب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه وأعجازه لما كرر عليهم التحدى وجربوا قواهم في المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا (كذلك) مثل ذلك الكذب (كذب الذين من قبلهم) يعني كفار الأمم الماضية كذبوا رسلكم قبل النظر في معجزاتهم وقبل تدبرها عنادا وتقليدا للآباء ويحوز أن يكون معنى ولما { الجزء الحادي عشر } يأتيهم تأويله ولم ﴿ ٢٥٦ ﴾ يأتيهم بتأويل مافيه من الاخبار

بالتوب أي عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعني أنه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة مافيه من الاخبار بالتوب ففسر عوا إلى الكذب به قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل أن يجربوا أخباره بالغيثات وصدقه وكذبه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به) بالتوب أو بالقرآن أي يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند بالكذب (ومنهم من لا يؤمن به) لا يصدق به ويشك فيه أو يكون للاستقبال أي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر (وربك أعلم بالمفسدين بالمعاندین

على علوم كثيرة لا يقدر أحد على استيعابها وتحصيلها ﴿ ولما يأتيهم تأويله ﴾ يعني أنهم كذبوا به ولم يأتيهم بعد بيان ما يؤل إليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في القرآن به من العقوبة والمعنى أنهم لم يعلموا ما يؤل إليه عاقبة أمرهم وقيل معناه أنهم لم يعلموا تنزيلا ولا علموا تأويله فكذبوا به وذلك لأنهم جهلوا القرآن وعلمه وعلم تأويله ﴿ كذلك كذب الذين من قبلهم ﴾ يعني كما كذب هؤلاء بالقرآن كذلك كذب الأمم الماضية أنبياءهم فيما وعدوهم به ﴿ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من ظلم من الأمم كذلك تكون عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسمية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل أن يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر أيها الإنسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر أن تفعل مثل فعله ﴿ قوله عز وجل ﴾ ومنهم من يؤمن به ﴿ يعني ومن قومك يا محمد من سيؤمن بالقرآن ﴾ ومنهم من لا يؤمن به ﴿ لعلم الله السابق في أنه لا يؤمن ﴾ وربك أعلم بالمفسدين ﴿ يعني الذين لا يؤمنون ﴾ وان كذبوك ﴿

( يعني )

أو المصيرين (وان كذبوك) وان تموا على تكذيبك

علمهم (ولما يأتيهم) لم يأتيهم (تأويله) عاقبة ما وعدهم في القرآن (كذلك) كما كذبك قومك بالكتب والرسل (كذب الذين من قبلهم) بالكتب والرسل (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) كيف صار آخر أمر الممركين المكذبين بالكتب والرسل من عبادة الله شيئا ويقال وهذا تعزية من الله جل وعز لنبيه صلى الله عليه وسلم كي يصبر على أذاهم (ومنهم) من اليهود (من يؤمن به) بمحمد عليه الصلاة والسلام والقرآن قبل موته (ومنهم) من اليهود (من لا يؤمن به) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويموت على الكفر (وربك أعلم بالمفسدين) باليهود عن يؤمن وعن لا يؤمن ويقال نزلات هذه الآية في المشركين (وان كذبوك

ويثبت من اجابته (فقل لي على) جزاء على (ولكم عليكم) جزاء اعمالكم (انتم بريئون مما عمل وانا بريء مما تعملون) فقل مؤاخذه بعمله (ومنهم من يستمعون اليك) ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلت الشرائع ولكنهم لا يسمعون ولا يقبلون فهم كالصم (أفأنت تسمع الصم ولو {سورة يونس} كانوا لا يسمعون) أنطمع

أنك تقدر على سماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل بماقرس واستدل اذا وقع في صماخه دوى الصوت فاذا اجتمع سلب العقل والسمع مقدم الامر (ومنهم من خنط اليك) ومنهم ناس ينظرون اليك وما ينو أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقو (أفأنت تهدي

العمى ولو كانوا لا يبصرون) أنحسب أنك تقدر على هداية

العمى ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعى الذى له فى قلبه بصيرة قد محدس وأما العمى مع الحق فجهل البلاء يعنى انهم فى اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصائر

يا محمد قومك بما تقول لهم (فقل لي على) ودينى (ولكم عليكم) ودينكم أنتم ريثون مما عمل (وأدين) وأنا بريء مما تعملون (وتدينون) ومنهم من اليهود (من يستمعون

وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة) فقل لي على (ولكم عليكم) فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لى جزاء على (ولكم عليكم) حقا كان او باطلا (انتم بريئون مما عمل وانا بريء مما تعملون) لا تؤاخذون بعملى ولا تؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخليه سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف (ومنهم من يستمعون اليك) اذا قرأت القرآن وعلت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذى لا يسمع اصلا (أفأنت تسمع الصم) تقدر على سماعهم ولو كانوا لا يسمعون (ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم فى تدبره وعقولهم لما كانت مؤونة بمحنة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفان عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناقى (ومنهم من ينظر اليك) يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقونك (أفأنت تهدي العمى) تقدر على هدايتهم (ولو كانوا لا يبصرون) وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك البصيرة ولذلك يحسب الاعى المستبصر وينطقن لما لا يدركه البصير الاحق والآية كالتحليل للاسرى بالتبرى

يعنى وان كذبت قومك يا محمد (فقل) أى فقل لهم (لي على) يعنى الطاعة وجزاء ثوابها (ولكم عليكم) سقى الشرك وجزاء عقابه (انتم بريئون مما عمل وانا بريء مما تعملون) قيل المراد منه الزجر والرجوع وقال مقاتل والكلبى هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الامام فخرالدين الرازى وهو سيدلان شرط النسخ أن يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الآية اختصاص كل واحد بافعاله وثمرات أعماله من الثواب والعقاب وآية القتال مارفعت شيأ من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا قوله سبحانه وتعالى (ومنهم) يعنى ومن هؤلاء المشركين (من يستمعون اليك) يعنى باسماهم الظاهرة ولا ينفهم ذلك لشدة بغضهم وعداوتهم لك (أفأنت تسمع الصم) يعنى كما أنك لا تقدر على سماع الصم فكذلك لا تقدر على سماع من أصم الله سمع قلبه (ولو كانوا لا يسمعون) يعنى ان الله سبحانه وتعالى صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقههم لذلك فهم بمنزلة الجاهل اذا لم ينتفعوا بما لم يسموا وهم أيضا كالصم الذين لا يسمعون شيأ ولا يفهمونه لعدم التوفيق (ومنهم من ينظر اليك) يعنى بابصارهم الظاهرة (أفأنت تهدي العمى) يريدعى القلوب (ولو كانوا لا يبصرون) لان الله أعى بصائر قلوبهم فلا يبصرون شيأ من الهدى وفى هذا تسلية من الله عز وجل لنبه على الله عليه ولم يقول الله عز وجل أنك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر أن تهدي من سلبته البصر ولا تقدر أن توفق للايمان من حكمت عليه أن لا يؤمن

البيت) الى كلامك وحديثك ويقال من مشرك (قا و خا ٣٣ لث) العرب من يستمع الى كلامك وحديثك (أفأنت تسمع) يا محمد (الصم) من كانه أصم (ولو كانوا لا يسمعون) ومع ذلك لا يريدون أن يعاقبوا (ومنهم) من اليهود ويقال من المشركين (من ينظر اليك أفأنت تهدي) يرشد الى الهدى (العمى) من كانه أعمى (ولو كانوا لا يبصرون) ومع ذلك لا يريدون أن يبصروا

(ان الله لا يظلم الناس شيئا) الحزب السادس عشر ١ ولكن الناس انفسهم يظلمون ﴿٤٥٨﴾ ولكن الناس انفسهم يظلمون ﴿٤٥٨﴾ ولكن الناس انفسهم يظلمون ﴿٤٥٨﴾

والاعراض عنهم ﴿٤٥٨﴾ ان الله لا يظلم الناس شيئا ﴿٤٥٨﴾ بسلب حواسهم وعقولهم ﴿٤٥٨﴾ ولكن  
الناس انفسهم يظلمون ﴿٤٥٨﴾ باسادهما وتقوت منافعهما عليهم وفيه دليل على ان المبدأ كسبا  
وانه ليس بمسلوب الاختيار الكلية كازعت المجهرة ويجوز ان يكون وعيد الله بمحقان  
ما يحق بهم يوم القيامة من المذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف  
اسبابه ﴿٤٥٨﴾ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار ﴿٤٥٨﴾ يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا  
أوفي القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال أي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث  
الا ساعة أو سفة ليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قوله اول مصدر محذوف أي  
حشروا كأن لم يلبثوا قبله ﴿٤٥٨﴾ يتعارفون بينهم ﴿٤٥٨﴾ يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتعارفوا الا  
قليلا وهذا هو ما نشره ثم ينقطع التعارف لشدة الاسر عليهم وهي حال اخرى مقدرة  
أو بيان لقوله كأن لم يلبثوا أو متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم  
﴿٤٥٨﴾ قد خسر الذين كذبوا بقاء الله ﴿٤٥٨﴾ للشهادة على خسارتهم والتعجب منه ويجوز ان  
﴿٤٥٨﴾ ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون قال العلماء لما حكم الله  
عز وجل على اهل الشقاوة بالشقاوة لقضائه وقدره السابق فهم أخبر في هذه الآية  
أن تقدير الشقاوة عليهم ما كان ظلما منه لانه يتصرف في ملكه كيف يشاء والخلق  
كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظلما وانما قال ولكن الناس انفسهم  
يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم  
﴿٤٥٨﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿٤٥٨﴾ ويوم نحشرهم ﴿٤٥٨﴾ يعني واذا ذكر يا محمد يوم نجتمع هؤلاء  
المشركين لموقف الحساب واصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم من مكانهم ﴿٤٥٨﴾ كأن  
لم يلبثوا الا ساعة من النهار ﴿٤٥٨﴾ يعني كأنهم لم يلبثوا في الدنيا الا قدر ساعة من النهار  
وقيل معناه كأنهم لم يلبثوا في قبورهم الا قدر ساعة من النهار والوجد الاول أولى لان حاله  
المؤمن والكافر سواء في عدم المعرفة بمقدار لبثهم في القبور الى وقت الحشر فحين  
جله على أمر مختص بحال الكافر وهوانهم لما لم ينقموا باعمارهم في الدنيا استقلوها  
والمؤمن لما انتفع بعمره في الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم  
في الدنيا انهم لما ضيعوا اعمارهم في طاب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة  
الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا احوال يوم  
القيامة وطال عليهم ذلك استقلوا مدة مقامهم في الدنيا لان مقامهم في الدنيا في جنب  
مقامهم في الآخرة قليل جدا ﴿٤٥٨﴾ يتعارفون بينهم ﴿٤٥٨﴾ يعرف بعضهم بعضا اذا خرجوا  
من قبورهم كما كانوا يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم اذا عاينوا احوال يوم  
القيامة وفي بعض الآثار ان الانسان يوم القيامة يعرف من يحبه ولا يقدر أن يكلمه  
هبة وخشية وميل ان احوال يوم القيامة مختلفة ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا  
وفي بعضها ذكر بعضهم بعضا لهول ما يرون في ذلك اليوم قد خسر الذين كذبوا  
ببقاء الله ﴿٤٥٨﴾ حتى أن من باع آخرته بالآية الدنيا الفانية قد خسر لانه آثر الفاني على

لم يظلمهم بسلب الله  
الاستدلال ولكنهم ظلموا  
انفسهم بترك الاستدلال  
حيث عبدوا بجاد اوهم  
أحياء (ويوم نحشرهم)  
وبالاء حفص (كأن لم يلبثوا  
الا ساعة من النهار)  
استقصروا مدة لبثهم في الدنيا  
أوفي قبورهم لهول ما يرون  
(يتعارفون بينهم) يعرف  
بعضهم بعضا كأنهم لم يتعارفوا  
الا قليلا وذلك عند  
خروجهم من القبور ثم  
ينقطع التعارف بينهم لشدة  
الاسر عليهم كأن لم يلبثوا  
حال من هم أي يحشرهم  
مشبهين بمن لم يلبثوا الا ساعة  
وكأن مخففة من الثقيلة واسمها  
محذوف أي كأنهم يتعارفون  
بينهم حال بعد حال  
أو مستأنف على تقديرهم  
يتعارفون بينهم (قد خسر  
الذين كذبوا بقاء الله) على  
ارادة القول أي يتعارفون  
الحق والهدى (ان الله  
لا يظلم الناس شيئا) لانقص  
من حسناتهم ولا يزيد على  
سيئاتهم (ولكن الناس انفسهم  
يظلمون) بالكفر والشرك  
والماضي (ويوم نحشرهم)  
يعني اليهود والنصارى  
والمشركين (كأن لم يلبثوا)  
في القبور (الا ساعة من النهار)  
يتعارفون بينهم (يعرف بعضهم  
بعضا في بعض المواطن  
ولا يعرف بعضهم بعضا في بعض المواطن (قد خسر) غبن (الذين كذبوا بقاء الله) بالبعث بعد الموت بذهاب (الباقى)



ينهم قتلين ذلك أو هو شهادة من الله على خسارتهم والمعنى أنهم وضوا في تجارتهم ويسمهم بالإيمان بالكفر (وما كانوا مهتدين) نجارة عارفين ما هو استئناف فيه معنى (٢٥٩) التجب كأنه قيل ما (سورة يونس) أخسرهم (وأما نرينك

بعض الذي نعدهم) من العذاب (أو تنوفيك) قبل عذابهم (فاليأس جمعهم) جواب تنوفيك وجواب نرينك محذوف أي وأما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذلك أو تنوفيك قبل أن نريك فمن نريك في الآخرة (ثم الله شهيد على ما يفعلون) ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب كأنه قيل ثم الله معاقب على ما يفعلون وقيل ثم هنا معنى الواو (ولكل أمة رسول) يبعث إليهم ليتهم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحق (فإذا جاء رسولهم) بالبينات فكذبوه ولم يسمعه (مضى بينهم) إلى مكذبيه (بالقسط) بالعدل فأنجى الرسول وعذب المكذبين (ولكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب إليه وتدعى به) فإذا جاء رسولهم الموقبل يشهد عليهم بالكفر والإيمان قضى بينهم بالقسط (وهم لا يظلمون) لا يعذب الدنيا والآخرة (وما كانوا مهتدين) من الكفر والضلالة (وأما نرينك) يا محمد (بعض الذي نعدهم) من العذاب (أو تنوفيك) قبل أن نريك يا محمد ما نعدهم من العذاب (فاليأس جمعهم)

دكون حالا من الضمير في نعد فو على إرادة القول (وما كانوا مهتدين) لطرق ستمان ما مضوا من المعاور في تجسس المدارف فاستكسبوا بها جهالات أدت بهم إلى الردى والعذاب الدائم (وأما نرينك) نبصرك (بعض الذي نعدهم) من العذاب في حياتك كما أراه يوم بدر (أو تنوفيك) قبل أن نريك (فاليأس جمعهم) فنريك في الآخرة وهو جواب تنوفيك وجواب نرينك محذوف مثل فذلك (ثم الله شهيد على ما يفعلون) مجاز عليه ذكر الشهادة وأراد تبيينها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع ثم أو مؤد شهادته على أقوالهم يوم القيامة (ولكل أمة) من الأمم الماضية (رسول) يبعث إليهم ليدعوهم إلى الحق (فإذا جاء رسولهم) بالبينات فكذبوه (قضى بينهم) بين الرسول ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فأنجى الرسول وأهلك المكذبتين (وهم لا يظلمون) وقيل معناه لكل أمة يوم القيامة رسول تنسب إليه فإذا جاء الباقي (وما كانوا مهتدين) يعني إلى ما يسلمهم ويخرجهم من هذا الخسار (وأما نرينك) يعني يا محمد (بعض الذي نعدهم) يعني ما نعدهم به من العذاب في الدنيا فذلك (أو تنوفيك) قبل أن نريك ذلك الوعد في الدنيا فأنك ستراه في الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (فاليأس جمعهم) يعني في الآخرة وفيه دليل على أن الله يرى رسوله صلى الله عليه وسلم أنواعا من عذاب الكافرين وذلة وخزيهم في حال حياته في الدنيا وقد أراه ذلك يوم بدر وغيره من الأيام وسيره ما أعدلهم من العذاب في الآخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم (ثم الله شهيد على ما يفعلون) فيه وعيد وتهديد لهم معنى أنه سبحانه وتعالى شاهد على أعمالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة (قوله عز وجل) (ولكل أمة رسول) لما بين الله عز وجل حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين حال الأنبياء مع أممهم كذلك فقال تعالى (ولكل أمة يبعث الله رسولا) وقد خلت وتقدمت قبلكم رسول يعني مبعوثا إليهم يدعوهم إلى الله وإلى طاعته والإيمان به (فإذا جاء رسولهم) في هذا الكلام اختصار تقديره فإذا جاءهم رسولهم وبلغهم ما أرسل به إليهم فكذبوه قوم وصدقه آخرون (قضى بينهم بالقسط) معنى حكم بينهم بالعدل وفي وقت هذا القضاء والحكم بينهم قولان أحدهما أنه في الدنيا وذلك أن الله سبحانه وتعالى أرسل إلى كل أمة رسولا لئبلغ الرسالة وإقامة الحجة وإزالة العذر فإذا كذبوا رسولهم وخالفوا أمر الله قضى بينهم وبين رسولهم في الدنيا فيهلك الكافرين وينجي المسلمين والمؤمنين ويكون ذلك عدلا لا ظلما لأن قبل مجي الرسول لا يكون ثواب ولا عقاب القول الثاني أن وقت القضاء في الآخرة وذلك أن الله إذا جمع الأمم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المؤمنين والكافر والطائع والمعاصي نجى ما أرسل لتشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة في إظهار العدل وهو قوله تعالى (وهم لا يظلمون) معنى من حزاء أعمالهم شأ ولكن

بعد الموت (ثم الله شهيد على ما يفعلون) من الخير والشر (واكل أمة) لكل أهل دين (رسول) يدعوهم إلى الله وإلى دينه (فإذا جاءهم) (رسولهم) فكذبوا (مضى بينهم) وبين الرسول (بالقسط) بالعدل بهلاك القوم ونجاة الرسول (وهم لا يظلمون) لا ينقص



أحد بغير ذنبه ولما قل وأما ترى أنك بعض الذي نعدهم أي من العذاب استجلبوا لما وعدوا من العذاب نزل (ويقولون متى هذا الوعد) أي وعد العذاب (إن كنتم صادقين) أن العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبي والمؤمنين (قل) يا محمد (لا أملك لنفسي ضرا) من مرض أو فقر (ولا نفعا) من هذا وغنى والسبب (إلا ما شاء الله) استثناء منقطع أي ولكن ما شاء الله من ذلك كأن فكيف أملك لكم {الجزء الحادي عشر} الضر وجلب العذاب ٢٦٠ ﴿ لكل أمدا أجل إذا جاء أجلكم فلا

رسولهم الموصف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان قضى بينهم بأنحاء المؤمنين وعقاب الكفار لقوله وحي بالبين والشهادة وقضى بينهم ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ استبعاد الله واستهزائه ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ خطاب منهم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين ﴿ قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا ﴾ فكيف أملك لكم فاستجلب في جلب العذاب إليكم ﴿ إلا ما شاء الله ﴾ إن أملككم أو لو لكن ما شاء الله من ذلك كأن ﴿ لكل أمدا أجل ﴾ مضروب لهلاكهم ﴿ إذا جاء أجلكم فلا يأتئونكم ساعة ولا يستقدمون ﴾ لا يأتئون ولا يقدمون فلا تستجلبوا فسمعون وقتكم ونجوز وعدكم ﴿ قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله الذي تستجلبون به ﴾ بيانا بوقت بيئات واشتغال بالنوم ﴿ أو نهارا ﴾ حين كنتم مشغولين بطالب ما شكم ﴿ ماذا يستجلب منه المجرمون ﴾ أي شيء من العذاب يستجلبون وكله مكروه لا بلائهم الاستجبال وهو متعلق

بجازي كل أحد على قدر عمله وقيل معناه أنهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم ﴿ ويقولون ﴾ بقى هؤلاء الكفار ﴿ متى هذا الوعد ﴾ يعني الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وإنما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ يعني فيما تعدونا به وإنما قالوا بلفظ الجمع لأن كل أمة قالت لرسولها كذلك أو يكون المعنى إن كنتم صادقين أنت وأتباعك يا محمد أو ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم ﴿ قل ﴾ أي قل لهم يا محمد ﴿ لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا ﴾ يعني لا أملك لنفسي دفع ضرا وجلب نفع ولا أقدر على ذلك ﴿ إلا ما شاء الله ﴾ يعني أن أقدر عليه أو أملكه والمعنى إن أزال العذاب على الأعداء وأظهر النصر للأولياء وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه إلا الله فتعين الوقت إلى الله سبحانه وتعالى بحسب مشيئته ثم إذا حضر ذلك الوقت الذي وقته الله لحدوث هذه الأشياء فإنه يحدث لا محالة وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ لكل أمة أجل ﴾ أي مدة مضروبة ووقت معين ﴿ إذا جاء أجلكم ﴾ يعني إذا انقضت مدة أعمارهم ﴿ فلا يأتئونكم ساعة ولا يستقدمون ﴾ يعني لا يأتئون عن ذلك الأجل الذي أجل لهم ولا يستقدمونه ﴿ قل ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك ﴿ أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بيانا ﴾ يعني ليلا يقال بات بفعل كذا إذا فعله بالليل والسبب فيه أن الإنسان في الليل لا يكون إلا في البيت غالباً فجعل الله هذه اللفظة كناية عن الليل ﴿ أو نهارا ﴾ يعني في النهار ﴿ إذا يستجلب منه المجرمون ﴾ يعني ما الذي يستجلبون من نزول العذاب وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى أنهم كانوا يستجلبون نزول العذاب كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله اللهم إن كان هذا هو الحق من

يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) لكل أمة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح فإذا جاء وقت عذابهم لا يستقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستجلبوا (قل) أرأيتم إن أتاكم عذاب الله الذي تستجلبونه (بيانا) نصب على الظرف أي وقت بيئات وهو الليل وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون (أو نهارا) وأنتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب (ماذا يستجلب منه المجرمون) أي من العذاب والمعنى أن العذاب كله مكروه موجب للنفور فأي شيء تستجلبون

من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم (ويقولون) وقال كل أهل دين لرسولهم (متى هذا الوعد) الذي تعدنا (إن كنتم صادقين) إن كنت من الصادقين (قل) لهم يا محمد (لا أملك) لا أقدر (لنفسى ضرا) دفع الضر (ولا نفعا) ولا جبر النفع (إلا ما شاء الله) من الضر والنفع (لكل أمة) لكل أهل دين (أجل)

مهلة ووقت (إذا جاء أجلكم) وقت هلاكهم (فلا يأتئونكم ساعة) قدر ساعة بمد الأجل (عندك) (ولا يستقدمون) قبل الأجل (قل) يا محمد لأهل مكة (أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بيانا) ليلا (أو نهارا) كيف تصنعون (ماذا يستجلب) بماذا يستجلب (منه) من عذاب الله (المجرمون) المشركون قالوا تؤمن قل لهم يا محمد

نه وليس شيء منه يوجب الاستعمال والاستفهام في ماذا يتعلق بأرايتم لأن المعنى أخبروني ماذا يستعمل منه المحرمون وجوابه  
 لشرط محذوف وهو تندموا على الاستعمال أو ترموا الخطأ فيه ولم يقل ماذا يستعملون منه لأنه أرادت الدلالة على موجب  
 ذلك الاستعمال وهو الاجرام أو ماذا يستعمل منه المحرمون جواب الشرط نحو ان أتيتك ماذا تطعمني ثم  
 تعلق الجملة بأرايتم أو (أثم اذا ما وقع) ﴿٢٦١﴾ العذاب { سورة يونس } (أنتم به) جواب الشرط

وماذا يستعمل منه المحرمون  
 اعراض والمعنى ان أرايتكم  
 عذابه أنتم به بدوقوعه  
 حين لا تنفعكم الايمان  
 ودخول حرف الاستفهام  
 على ثم كدخوله على الواو  
 والقام في أمر أهل القرى  
 أو أمر أهل القرى (الآن)  
 على إرادة القول أي قبل  
 لهم اذا آمنوا بدوقوع العذاب  
 الآن أنتم (وقد كنتم به  
 تستعملون) أي بالعذاب  
 تكذبا واستهزاء الآن  
 محذوف لهزمة التي بد  
 اللام واللام حركة على اللام  
 نافع (ثم قيل للذين ظلموا)  
 عطف على دل المضمر من  
 الآن (ذوقوا عذاب  
 الخلد) أي الدوام (هل  
 تجزون الا عما كنتم تكسبون)  
 من الشرك والكذب  
 (ويستنبئونك) يستنبئونك  
 فيقولون (أحق هو)  
 وهو استفهام على جها  
 لانكار والاستهزاء والضمير  
 للعذاب الموعود (قل يا محمد  
 أي وربي) نعم والله (انه  
 لحق) ان العذاب كائن

بأرايتم لانه بمعنى أخبروني والمحرمون موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي  
 ان يفزعوا من مجيئ الوعيد لان يستعملوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على  
 الاستعمال أو ترموا خطأ ويجوز ان يكون الجواب ماذا أقولك ان أتيتك ماذا تطعمني  
 وتكون الجملة متعلقة بأرايتم أو بقوله (أثم اذا ما وقع أنتم به) بمعنى ان أرايتكم عذابه أنتم  
 به بدوقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعمل اعراض ودخول حرف الاستفهام  
 على ثم لانذار التأخير ﴿الآن﴾ على إرادة القول أي قيل لهم اذا آمنوا بدوقوع  
 العذاب الآن أنتم به وعن نافع الاربعاء محذوف الهزمة والقاء حركتها على اللام ﴿وقد  
 كنتم به تستعملون﴾ تكذبا واستهزاء ﴿ثم قيل للذين ظلموا﴾ عطف على قيل المقدر  
 ﴿ذوقوا عذاب الخلد﴾ المؤلم على الدوام ﴿هل تجزون الا بما كنتم تكسبون﴾ من  
 الكفر والمعاصي ﴿ويستنبئونك﴾ ويستنبئونك ﴿أحق هو﴾ أحق ما تقول من الوعد  
 أو ادعاء النبوة بقوله بجذام باطل تزل به قاله حي بن اخطب لما قدم مكة والظاهر ان  
 الاستفهام فيه على أصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان  
 فيه تعريضا بأنه باطل وأحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في  
 موضع النصب يستنبئونك ﴿قل أي وربي انه لحق﴾ ان العذاب لكائن أو ادعيه ثابت وقيل  
 كلا الضميرين للقرآن أي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواو في التصديق  
 عندك فامطر علينا جارة من السماء أو اثنا بعذاب أليم فاجابهم الله سبحانه وتعالى بقوله  
 ماذا يستعمل منه المحرمون يعني أي شيء يعلم المحرمون ما يطلبون ويستعملون كما يقول  
 الرجل لغيره وقد فعل فلما قبيحا ماذا جنيت على نفسك ﴿أثم اذا ما وقع﴾ يعني اذا  
 ما نزل العذاب ووقع ﴿أنتم به﴾ يعني أنتم بالله وقت نزول العذاب وهو وقت  
 اليأس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام  
 على ثم لاويغ والتقرع ﴿الآن﴾ فيه اخبار تقديره يقال لهم الآن تؤمنون أي  
 حين وقع العذاب ﴿قد كنتم به تستعملون﴾ يعني تكذبا واستهزاء ﴿ثم قيل للذين  
 ظلموا﴾ يعني ظلموا أنفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله ﴿ذوقوا عذاب الخلد﴾  
 هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ﴿يعني في الدنيا من الاعمال﴾ قوله سبحانه وتعالى  
 ﴿ويستنبئونك أحق هو﴾ يعني ويستنبئونك يا محمد أحق ما تمدنانه من نزول العذاب  
 وقيام الساعة ﴿قل أي وربي﴾ أي قل لهم يا محمد نعم وربي ﴿انه لحق﴾ يعني ان الذي

أثم اذا ما وقع) يقول اذا ما أنزل عليكم العذاب (أنتم به) قالوا نعم قل لهم يا محمد بقاء لكم (الآن) تؤنوا بالعذاب  
 (وقد كنتم به) بالعذاب (تستعملون) قبل هذا الاستهزاء (ثم قيل للذين ظلموا) أشركوا (ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون)  
 في الآخرة (الابعا كنتم تكسبون) تقولون وتعملون في الدنيا (ويستنبئونك) يستنبئونك يا محمد (أحق هو) يعني  
 العذاب والقرآن (قل أي وربي) نعم وربي (انه لحق) صدق

١٠٠ محالة (و أنتم محجزين) بفائتين العذاب وهو لا حق بكم لمحالة (ولو أن لكل نفس ظلمت) كفرت وأشركت وهو  
 محال من أي ولو أن لكل نفس ظلمة (ما في الأرض) في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها (لأقتدت به) لجعلته فدية لها يقال  
 هذا فافندي و يقال اقتداء (الجزء الحادي عشر) أيضا بمعنى فداء ﴿٢٦٢﴾ (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب)

يقال أي والله ولا يقال أي وحده ﴿وما أنتم محجزين﴾ بفائتين العذاب ﴿ولو أن لكل  
 نفس ظلمت﴾ بالشرك أو التعدي على الغير ﴿ما في الأرض﴾ من خزائنها وأموالها  
 ﴿لأقتدت به﴾ لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم اقتداء بمعنى فداء ﴿وأسروا  
 الندامة لما رأوا العذاب﴾ لأنهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من مظاعة الأمر وهو فلم  
 يقدروا أن ينطقوا وقيل أسروا الندامة اخلصوها لا راخفاء ها أخلصها أولاه يقال  
 سر الشيء لحالته من حيث أنها تخفي ويضن بها وقيل أظهر وهما من قولهم سر الشيء وأسر  
 إذا أظهره ﴿وقضى بينهم بالقسط﴾ وهم لا يظلمون ﴿ليس تكريرا﴾ لأن الأول قضاء بين  
 الأنبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك أو الحكومة بين الظالمين والمظلومين  
 والضمير أنما يتدولهم لدلالة الظلم عليهم ﴿ألا أن الله ما في السموات والأرض﴾ تقرير  
 لقدرته تعالى على الآثابة والعقاب ﴿ألا أن وعد الله حق﴾ ما وعده من الثواب  
 والعقاب كأن لا خلف فيه ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ لأنهم لا يعلمون لقصور عقولهم

أعدكم به حق لا شك فيه ﴿وما أنتم محجزين﴾ يعني بفائتين من العذاب لأن من عجز  
 عن شيء فقد فاته ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت﴾ يعني أشركت ﴿ما في الأرض﴾  
 يعني من شيء ﴿لأقتدت به﴾ يعني يوم القيامة والاقتداء بمعنى البذل لما ينبغي به  
 من العذاب إلا أنه لا ينفعه الفداء ولا يقبل منه ﴿وأسروا الندامة﴾ يعني يوم  
 القيامة وأما جاء بلفظ الماضي والقيامة من الأمور المستقبلية لأن أحوال يوم القيامة  
 لما كانت واجبة الوقوع حمل الله مستقبلها كالماضي والأسرار يكون بمعنى الاخفاء  
 وبمعنى الاظهار فهو من الاضداد فلهذا اختلفوا في قوله وأسروا الندامة فقال أبو  
 عبيدة معناه وأظهروا الندامة لأن ذلك اليوم ليس يوم تصبر وتصنع وقيل معناه  
 أخفوا يعني أخفي الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا من ملامتهم أيهم وتيهرهم  
 لهم ﴿لما رأوا العذاب﴾ سفي حين عاينوا العذاب وأبصروه ﴿وقضى بينهم  
 بالقسط﴾ يعني وحكم بينهم بالعدل قبل بين المؤمن والكافر وقيل بين الرؤساء  
 والاتباع وقبل بين الكفار لاحتمال أن بعضهم قد ظلم بعضا وبقي خذ المظلوم من الظالم  
 وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿وهم لا يظلمون﴾ يعني في الحكم أيهم وليهم بالانحرف  
 من عذاب المظلوم وشدد في عذاب الظالم ﴿ألا أن الله ما في السموات والأرض﴾  
 يعني أن كل شيء في السموات والأرض لله ملك له لا يشركه فيه غيره فليس له شيء  
 شيء يقتدي به من عذاب الله يوم القيامة لأن الأشياء كلها لله وهو أيضا ملك له  
 فكيف يقتدي من هو مملوك لغيره بشيء لا يمكنه ﴿ألا أن وعد الله حق﴾ يعني ما وعده  
 الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطائع وعقاب العاصي حق  
 لا شك فيه ﴿واكثرهم لا يعلمون﴾

وأظهروا ما من قولهم أسر  
 الشيء إذا أظهره أو  
 أخفوها عجزا عن النطق  
 لشدة الأمر فاسر من  
 الاضداد (وقضى بينهم  
 بالقسط) بين الظالمين  
 والمظلومين دل على ذلك  
 ذكر الظلم (وهم لا يظلمون)  
 ثم اتبع ذلك الاعلام  
 بالله الملك كله بقوله (ألا  
 أن الله ما في السموات  
 والأرض) فكيف يقبل  
 الفداء وأنه المتيب المعاقب  
 وما وعده من الثواب أو  
 العقاب فهو حق لقوله  
 (ألا أن وعد الله) بالثواب  
 أو بالعقاب (حق) كأن  
 ولكن أكثرهم لا يعلمون  
 كأن يعني العذاب (وما أنتم  
 محجزين) بفائتين من عذاب  
 الله (ولو أن لكل نفس  
 ظلمت) أشركت بالله  
 (ما في الأرض) لا عدت به  
 لفادت به نفسها من عذاب  
 الله (وأسروا الندامة)  
 أخفوا الندامة الرؤساء  
 من السفلة (لما رأوا العذاب)  
 حين رأوا العذاب (وقضى  
 بينهم) وبين السفلة (بالقسط)  
 بالعدل (وهم لا يظلمون)

لا ينقص من حسناتهم شيء ولا يزداد على سيئاتهم (أ أن ما في السموات والأرض من الخلق) يعني  
 والعجائب (ألا أن وعد الله حق) كأن البعث بعد الموت (راكن أكثرهم لا يعلمون)

هو يحيى ويميت ﴿ ٢٦٣ ﴾ على الاحياء ﴿ سورة يونس ﴾ والامامة لا يقدر عليها

غيره (واليه ترجعون) والى  
حسابه وجزائه المرجع  
فيخاف ويرجى (يا ايها الناس  
قد جاءكم موعظة من ربكم)  
أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه  
القوائد من موعظة وتنبية  
على التوحيد والموعظة التي  
تدعو الى كل سرعوت  
وتزجر عن كل سرعوت  
فان القرآن من الاواسر  
والشواهي داع الى كل  
سرعوت واجر عن كل  
سرعوت اذ لا سر يقتضي  
حسن المأمور فيكون  
سرعوتاً وهو قضي انتهى  
عن ضده وهو فبع وعلى هذا  
في الهى (ونفاه ما  
في الصدور) أي مدوكم  
من العقائد الفاسدة (وهي)  
من الصلاة (ورجة  
للمؤمنين) لمن أمر به منكم  
(قل) يا محمد (فضل الله  
وبرجته فذلك خير  
لا يصدفون) (هو يحيى)  
للبحث (وعدت) في الدماء  
(الترجوت) الموت  
(يا ايها الناس) يا اهل مكة  
(قد جاءكم موعظة) نهي  
(س تكلم) بما أنتم فيه او شفاء  
بيان (لما في الصدور) من  
العمى (وهدي) من الصلاة  
(ورجة) من العذاب  
(للمؤمنين قل) يا محمد لا يحاط

الاظهار من الحياة الدنيا ﴿ هو يحيى ويميت ﴾ و الدماء هو يقدر عليهما في العقي  
لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما ابداً ﴿ واليه  
ترجعون ﴾ بالموت أو النشور ﴿ يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في  
الصدور وهدي ورجة للمؤمنين ﴾ أي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الشفة  
عن محاسن الاعمال ومقاصحها والمرغبة في الحسن والزاجرة عن المقام والحكمة النظرية  
التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدي الى الحق واليقين ورجة  
للمؤمنين حيث انزل عليهم فقبولاً من غلبة الضلال الى نور الايمان وتبدلت  
مقاعد من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتكبير فيها للتعظيم ﴿ قل بفضل  
الله وبرجته ﴾ بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله ﴿ فبذلك فليفرحوا ﴾ فان  
بغنى حقيقة ذلك ﴿ هو يحيى ويميت ﴾ يعني الذي يملك ما في السموات والارض قادر  
على الاحياء والامامة لا يمتد عليه شيء مما أراد ﴿ واليه ترجعون ﴾ يعني بعد الموت للجزاء  
﴿ قوله عز وجل ﴾ يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم ﴿ قيل اراد بالناس قريشا  
وقيل هو على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبري قد جاءكم موعظة من ربكم يعني قرآن  
والموعظة جرم مقترن بقصوم وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة  
ما يدعوا الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقرآن داع الى كل خير وصلاح هذا  
الطريق ﴿ وشفاء لما في الصدور ﴾ يعني ان القرآن ذو شفاء لما في القلوب من داء  
الجهل وذلك لان داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن وأمراض القلب هي  
الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقرآن منزل لهذه الامراض  
كلها لان فيه الوعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير  
فهو الدواء والشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع  
القلب وعلامه وهو أعز موضع في بدن الانسان لمكان القلب فيه ﴿ وهدي ﴾ يعني  
وهو هدي من الصلاة ﴿ ورجة للمؤمنين ﴾ يعني ونعمة على المؤمنين لانهم هم الذين  
اتصفوا بالقرآن دور غيرهم ﴿ قل بفضل الله وبرجته ﴾ الباء في بفضل الله متفقة  
بضمير استغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءكم موعظة من ربكم  
والفضل هنا بمعنى الاتصال ويكون معنى الآية على هذا يا ايها الناس قد جاءكم  
موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهو القرآن بافضل الله عليكم ورجته بكم  
وارادته الخير لكم ﴿ ثم قال سبحانه وتعالى ﴾ فبذلك فليفرحوا ﴿ أشار بذلك  
الى القرآن لان المراد بالموعظة والشفاء القرآن فنزل اللفظ وأشار الى المعنى وقيل  
فذلك فليفرحوا إشارة الى معنى الفصل والرجة والمعنى فبذلك التطول والانعام  
فليفرحوا قال الواحدي لقاء في قوله تعالى فليفرحوا زائدة كقول الشاعر فاذا  
هلكت بعد ذلك فاحزني \* فافاء في قوله فاحزني رائدة وقال صاحب الكشاف  
في مع لا ينفصل الله ورجته فليفرحوا من ذلك فليفرحوا انكر بل لا أكيد

(بفضل الله) لقرآن الذي أكرمكم به (وبرجته) الاسلام الذي وفقكم به (فبذلك) بالقرآن والاسلام (فليفرحوا

أصل الكلام لله تبارك وتعالى وبرحمته فليفرحوا بذلك فليفرحوا بالكرامات التي كيدوا بها القوم والرجة بالفرح دون ما عداهما من فوائد { الجزء الحادي عشر } الدنيا فحذف ٢٦٤ أحد القملين لدلالة المذكور عليه والفا

سم الإشارة بمنزلة لضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليمتنوا أو فليفرحوا بذلك فليفرحوا وقائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الأجل وإيجاب اختصاص الفضل والرجة بالفرح أو بفضل دل عليه قد جاءكم وذلك إشارة إلى مصدره أي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشئ فبمها فليفرحوا أو للربط عاقلها والدلالة على أن مجيئها لكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقولها وإذا هلكت فمئذ ذلك فاجزعي وعن يعقوب

فلتفرحوا بالنعم على الأصل المرفوض وقدروى مرفوعا ونؤمنه أنه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها إلى الزوال قريب وهم نعم بذلك وقرأ أن عامر يجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما يجمعونه أيها المخاطبون قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجاء الرزق منزلا لأنه مقدر في السماء يحصل بأسباب منها وما في موضع الصب ما نزل أرأيتم فانه بمعنى أخبروني ولكم دل على أن المراد منه ما حل ولذلك ويخ على التبعيض فقال فليجمعتم منه حراما وحلالا مثل هذه الأنعام وحرم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا

والقريب وإيجاب اختصاص الفضل والرجة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد القملين لدلالة المذكور عليه والفاء داخله لمعنى الشرط فكأنه قيل إن فرحوا بشئ فليمتنوا بها بالفرح فانه لا مفرح به أحق منها والفرح لذة في القلب بادر إلى المحبوب والمشتهي يقال فرحت بكذا إذا أدركت المأول ولذلك أكثر ما يستعمل الفرحة في اللذات البدنية الدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى الآية لفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته أي ما آتاهم الله من المواعظ وشفاء الصدور وتلج اليقين بالأمان وسكون النفس إليه هو خير مما يجمعون يعني من متاع الدنيا ولذاتها القانية هذا مذهب أهل المعاني في هذه الآية وأما مذهب المفسرين فغير هذا فان ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وقال أبو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزينته في قلوبنا وقل فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته السنن فعل هذا الباء في فضل الله تتعلق بمحذوف يفسره ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله ورحمته قل أي قل يا محمد لكفار مكة أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق يعني من زرع وضرع وغيرهما وعبر عما في الأرض بالانزال لان جميع ما في الأرض من خير رزق فانما هو من بركات السماء فليجمعتم منه يعني من ذلك الرزق حراما وحلالا يعني ما حرموه على أنفسهم في الجاهلية من الحرث والانتقام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى قال الضحاك وهو قوله سبحانه وتعالى وجعلوا لله ما ذرا من الحرث والانتقام سبياً قل آله أذن لكم يعني قل لهم يا محمد آله أذن لكم في هذا التحريم والتحليل

داخله لمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشئ فليمتنوا بها بالفرح أو بفضل الله ورحمته فليمتنوا فبذلك فليفرحوا وهما كتاب الله والاسلام في الحديث من هداه الله للاسلام وعلمه القرآن ثم شكك الفساق بكتب الله الفقر بين عينه إلى يوم يلقاه وقرأ الآية (هو خير مما يجمعون) وبإتشاء شامى فافرحوا يعقوب (قل أرأيتم) أخبروني (ما أنزل الله لكم من رزق) ما منسوب ما نزل أو بأرأيتم أي أخبروني (فليجمعتم منه حراما وحلالا) فليجمعتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وبرائنا اقتران نخرج من الأرض ولكن لما سيطرت أسبابها بالسماء نحو المطر الذي به تمت الأرض النسات والشمس التي بها التضخم ونعم الثمار أصيب أنزلها إلى السماء (قل الله) أذن لكم متعلق بأرأيتم وقيل تكرر للتوكيد والمعنى هو خير (يعني القرآن والاسلام) مما يجمعون مما يجمعونه الهوى والمشركون من الأموال (قل) يا محمد

لاهل كما (أرأيتم ما أنزل الله لكم) خلق الله لكم (من زرع وضرع) من حرث واعم (فليجمعتم منه) فليجمعتم (ما حرموا) على النساء مفسرنا معنى منفعة البحيرة والسائبة والحام (وحلالا) للرجال (قل) لهم يا محمد (الله أذن لكم) أمر ربكم بذلك

أخبروني الله أذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تعملون ذلك بإذنه (أم على الله تفترون) أم أنتم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه أو الهمة للانكار وأم منقطعة بمعنى بل أنتم تقولون على الله تقريراً للاعتراض والآية زاجرة عن التجوز فيما يستل من الأحكام وباعثة على وجوب الاحتياط ﴿٢٦٥﴾ فيه وأن ﴿سورة يونس﴾ لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان

وأيقان والا فهو مقتر على الديان (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب)

ينسبون ذلك إليه (يوم القيمة)

منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه أي شيء ظن

المفتريين في ذلك اليوم ما يصنع بهم وهو يوم الجزاء

بالإحسان والإساءة وهو وعيد عظيم حيث أجمع أمره

(إن الله لذو فضل على الناس) حيث أنعم عليهم

بالمقيل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام

(ولكن أكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة ولا يتبعون ما

هدوا إليه (وماتكون في شأن) مانافذة والخطاب

لنبي صلى الله عليه وسلم

والشأن الأمر (وماتلوا منه) من التنزيل كانه قيل

وماتلوا من التنزيل (من قرآن) لأن كل جزء منه

قرآن والاضمار قبل الذكر

تفصيلاً له أو من الله عز وجل

(أم على الله) بل على الله

(تفترون) تختلقون الكذب

(وما ظن الذين يفترون)

يختلقون (على الله الكذب)

ماذا يفعل بهم (يوم القيمة إن الله لذو فضل)

(قا و خا ٣٤ لث) من (على الناس) بتأخير العذاب (ولكن أكثرهم

لا يشكرون) بذلك ولا يؤمنون (وماتكون) يا محمد (في شأن) في أمر (وماتلوا) عليهم (منه من قرآن) سورة

﴿أم على الله تفترون﴾ في نسبة ذلك إليه ويجوز أن تكون المنفصلة متصلة بآيتهم وقيل مكرر للتأكيد وإن يكون الاستفهام للانكار وأم منقطعة ومعنى الهمة فيها تقرير لا افتراءهم على الله ﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب﴾ أي شيء ظنهم ﴿يوم القيمة﴾ أي يحسبون أن لا يجاوزوا عليهم وهو منصوب بالظن ويدل عليه أنه قرئ بلفظ الماضي لأنه كأن وفي إيهام الوعيد تهديد عظيم ﴿أن الله لذو فضل على الناس﴾ حيث أنعم عليهم بالمقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ هذه النعمة ﴿وماتكون في شأن﴾ ولا تكون في أمر واسله الهمة من شأن شأنه إذا قصدت قصده والضمير في ﴿وماتلوا منه﴾ له لأن تلاوة القرآن معظم شأن الرسول عليه الصلاة والسلام أولان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من أجله ومفعول تملو ﴿من قرآن﴾ على أن من تبعية أو مزيدة لتأكيد النفي والقرآن

﴿أم على الله تفترون﴾ يعني بل أنتم كاذبون على الله في ادعائكم أن الله أمرنا بهذا ﴿وما ظن الذي يفترون على الله الكذب يوم القيمة﴾ يعني إذا لقوه يوم القيامة يحسبون أنه لا يؤاخذهم ولا يجازيهم على أعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتفريع والوعيد العظيم لمن يفتري على الله الكذب ﴿أن الله لذو فضل على الناس﴾ يعني ببعثة الرسل وانزال الكتب لبيان الحلال والحرام ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ يعني لا يشكرون الله على ذلك الفضل والإحسان ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ و ماتكون في شأن و ماتلوا منه من قرآن ﴿الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والشأن الخطب والحال والأسر الذي يتفق ويصلح ولا يقال إلا فيما ينظم من الأحوال والأمور واجمع الشؤون تقول العرب ما شأن فلان أي ما حاله والشأن اسم إذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدراً إذا كان معناه القصد والذي في هذه الآية يجوز أن يكون المراد به الاسم قال ابن عباس معناه و ماتكون يا محمد في شأن يريد من أعمال البر وقال الحسن في شأن من شؤون الدنيا وحوادثك ويجوز أن يكون المراد منه القصد يعني قصد الشيء و ماتلوا منه من قرآن اختلفوا في الضمير في منه إلى ماذا يعود فقيل يعود إلى الشأن إذ تلاوة القرآن شأن من شؤون رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم شأنه فعلى هذا يكون داخل تحت قوله تعالى و ماتكون في شأن إلا أنه سبحانه وتعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته وقيل أنه راجع إلى القرآن لأنه قد تقدم ذكره في قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فإذا يكون المعنى و ماتلوا من القرآن من قرآن يعني من سورة ومضى منه لأن لفظ القرآن يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير في منه راجع إلى الله والمعنى و ماتلوا من الله من قرآن نازل عليك

ماذا يفعل بهم (يوم القيمة إن الله لذو فضل) (قا و خا ٣٤ لث) من (على الناس) بتأخير العذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) بذلك ولا يؤمنون (وماتكون) يا محمد (في شأن) في أمر (وماتلوا) عليهم (منه من قرآن) سورة

( ولا تعملون ) أنتم جميعاً ( من عمل ) أى عمل ( الا كنا عليكم شهوداً ) شاهدين رقباء نحصى عليكم ( اذ تفيضون فيه ) تخوضون من أفاض في الامر { الجزء الحادى عشر } اذا اندفع فيه ﴿ ٢٦٦ ﴾ ( وما يعزب عن ربك )

واضماره قبل الذكركم بيانه تفخيم له وأولته ﴿ ولا تعملون من عمل ﴾ تعميم الخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير ﴿ الا كنا عليكم شهوداً ﴾ رقباء مطلعين عليه ﴿ اذ تفيضون فيه ﴾ تخوضون فيه وتندفون ﴿ وما يعزب عن ربك ﴾ ولا يسعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاء هنا وفي سبأ ﴿ من مثقال ذرة ﴾ موازن غلة صغيرة أو هباء ﴿ في الارض ولا في السماء ﴾ أى في الوجود والامكان فان العسامة لا تعرف بمكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمها ﴿ ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ﴾ كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغراسها وفي كتاب خبرها وقرأ حجة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل القم بدل الكسر لامتناع الصرف أو على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعاً والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ ﴿ ألا ان أولياء الله ﴾ الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة ﴿ لا خوف عليهم ﴾

﴿ وما قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولا تعملون من عمل ﴿ فانه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأتته داخلون فيه وسرادون به لان من المعلوم أنه اذا خطب رئيس قوم وكبيرهم كان القوم داخلين في ذلك الخطاب وبذل عليه قوله سبحانه وتعالى ولا تعملون من عمل على صيغة الجمع فدل على أنهم داخلون في الخطابين الاولين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ الا كنا عليكم شهوداً ﴿ يعنى شاهدين لأعمالكم وذلك لان الله سبحانه وتعالى شاهد على كل شئ وعالم بكل شئ لانه لا يحدث ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود من احوال العباد وأعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في علمه وهو شاهد عليه ﴿ اذ تفيضون فيه ﴾ يعنى أن الله سبحانه وتعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون في ذلك العمل والافاضة الدخول في العمل على جهة الانتصاب اليه والانيساط فيه وقال ابن الانبارى معناه اذ تدفون فيه وتبسطون في ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج تنشرون فيه يقال أفاض القوم في الحديث اذا انتشروا فيه ﴿ وما يعزب عن ربك ﴾ يعنى وما يسعد ويغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شئ لانه عالم به وشاهد عليه وأصل المزوب البعد يقال منه كلام عازب اذا كان بعيد المطلب ﴿ من مثقال ذرة ﴾ يعنى وزن ذرة والمثقال الوزن والذرة الفعلة الصغيرة الجراء وهى خفيفة الوزن جداً ﴿ في الارض ولا في السماء ﴾ فان قلت لم قدم ذكر الارض على السماء هنا وقدم ذكر السماء على الارض في سورة سبأ وما فائدة ذلك قلت كان حق السماء أن يقدم على الارض كما في سورة سبأ الا أنه تعالى لما ذكر في هذا الآية شهادته على أهل الارض وأحوالهم وأعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السماء في هذا الموضع لهذه الفائدة ﴿ ولا اصغر من ذلك ﴾ يعنى من الذرة ﴿ ولا أكبر ﴾ يعنى منها ﴿ الا في كتاب مبين ﴾ يعنى في اللوح المحفوظ ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم

وما يسعد وما يغيب بكسر الزاء على حيث كان ( من ) مثقال ذرة ( وزن غلة صغيرة ) في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا أكبر ( رفعها حجة على الابتداء والخبر ) ( الا في كتاب مبين ) يعنى اللوح المحفوظ ونصيبها غيره على لنى الجنس وقدمت الارض على السماء هنا وفي سبأ قدمت السموات لان العطف بالواو وحكمه حكم التثنية ( ألا ان أولياء الله ) هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة او هم الذين تولي الله هداهم بالبرهان الذى آتاهم فتولوا القيام بحقه والرحمة خلقه أو هم المتحابون في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتساطونها أو هم المؤمنون المتقون بدليل الآية الثانية ( لا خوف عليهم )

أولاً ( ولا تعملون من عمل ) نخباً وشر ( الا كنا عليكم ) وعلى أسركم وتلاوتكم وعلمكم ( شهوداً ) عالماً ( اذ تفيضون ) تخوضون ( فيه ) في القرآن بالكذب ( وما يعزب ) ما يغيب ( عن ربك ) من مثقال ذرة ( وزن غلة الجبراء من أعمال العباد ) ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ( لا أخب من ذلك ) ولا أكبر ( ولا أثقل )

( الا في كتاب مبين ) مكتوب في اللوح المحفوظ ( ألا ان أولياء الله ) المؤمنين ( لا خوف عليهم ) فيما ( ولا )

من لحوق مكروه **﴿ ولا هم يحزنون ﴾** لفوات مأمول والآية كمجمل قسره قوله  
 ولا هم يحزنون **﴿** اعلمنا نحتاج أولاً في تفسير هذه الآية أن نبين من يستحق اسم الولاية  
 ومن هو الولي فنقول اختلف العلماء فيمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس في هذه  
 الآية هم الذين يذكروا الله لرؤيتهم وروى الطبري بسنده عن سعيد بن جبير مرسلاً  
 قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله فقال هم الذين إذا ذكر الله  
 وقال ابن زيد هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا بالتقوى وقال قوم هم  
 المتحابون في الله ويبدل على ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم ان من عباد الله لا فاساماهم بأبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء  
 يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا في الله على  
 غير ارحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لملى نور  
 لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية ألا ان أولياء  
 الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أخرجه أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول  
 صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم  
 أظلمهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي أخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم  
 النبيون والشهداء أخرجه الزمذني وروى البخوي بسنده عن أبي مالك الاشعري  
 قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عبيد ليسوا بأبياء ولا شهداء يغبطهم  
 النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفي ناحية القوم اعرابي  
 فجيأ على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرأيت في وجه  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل  
 شتى لم يكن بينهم ارحام يتواصلون بها ولا دنيا يتبادلون بها يتحابون بروح الله يجعل  
 الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفرح الناس ولا يفرحون  
 ويخاف الناس ولا يخافون ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك  
 وتعالى ان أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكرى واذكر بذكرهم هكذا ذكره  
 البخوي بغير سند وروى الطبري بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله لعلنا  
 نجيب قال هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر  
 من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ ألا ان أولياء الله  
 لا خوف عليهم ولا هم يحزنون القبطه نوع من الحسد الا أن الحسد مذموم والقبطه  
 محموده والفرق بين الحسد والقبطه ان الحسد يتقوى زوال ماعلى المحسود من النعمة  
 ونحوها والقبطه هي أن يتقوى الغابط مثل تلك النعمة التي هي على المقبوط من غير زوال  
 عنه وقال أبو بكر الاصم أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق  
 العبودية لله والدعوة اليه وأصل الولي من الولاء وهو القرب والانصرة فولى الله هو

اذا خاف الناس ( ولا هم  
 يحزنون ) اذا حزن الناس  
 يستقبلهم من العذاب ( ولا  
 هم يحزنون ) على ما خلفوا  
 من خلفهم ثم بين من هم  
 فقال



﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليم آياه ﴿ لهم ﴾ البشرى في الحياة الدنيا ﴿ وهو ما بشر به المتقين ﴾ في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وما يرهم من الرؤيا الصالحة وما يسمع لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزاع ﴿ وفي الآخرة ﴾ بتلقى الملائكة آياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه

الذى يتقرب الى الله بكل ما افترض عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب في معرفة نور جلال الله فان رأى رأى دلائل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله وان لطق لطق بالثناء على الله وان تحرك تحرك في طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقربه الى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة أولياء الله واذا كان البعد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى الذين آمنوا وقال المتكلمون ولى الله من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة على وفق ماوردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وهو أن الايمان مبني على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو أن يتقى البعد كل ما نهى الله عنه وقوله سبحانه وتعالى لا خوف عليهم يعنى في الآخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعنى على شئ فاتهم من نعم الدنيا ولذاتها قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم انما يحصل لهم في الآخرة لان الدنيا لا تخلو من هم وغم وأتكاد وحزن قال بعض المارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله واذا كان البعد بهذه الصالحة فلا يخاف من شئ ولا يحزن على شئ لان مقام الولاية والمعرفة منه من أن يخاف أو يحزن ﴿ واما قوله سبحانه وتعالى ﴾ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿ فقد تقدم تفسيره وانه صفة لا أولياء الله ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿ اختلقوا في هذه البشرى فروى عن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له أخرجه الترمذى وله عن رجل من اهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا قال مأسأتى عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وقال مأسأتى عنها أحد غيرك منذ أنزلت هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له قال الترمذى حديث حسن (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدى من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة لفظ البخارى وسلم اذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة والرؤيا ثلاث الرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلماء ووجه هذا القول انا اذا جلنا قوله تبارك وتعالى لهم البشرى على الرؤيا الصالحة الصادقة فظاهر هذا النص يقتضى ان لا تحمل هذه الحالة الا لهم

( الذين آمنوا ) منصوب  
بضمير أصنى أولاته صفة  
لاولياء أو مرفوع على انه  
خبر مبتدأ محذوف  
أى هم الذين آمنوا ( وكانوا  
يتقون ) الشرك والمعاصى  
( لهم البشرى في الحياة  
الدنيا ) ما بشر الله به المؤمنين  
المتقين في غير موضع من  
كتابه وعن النبى صلى الله  
عليه وسلم هى الرؤيا الصالحة  
يرها المسلم أو ترى له وعنه  
عليه السلام ذهبت النبوة  
وبقيت المبشرات والرؤيا  
الصالحة جزء من ستة وأربعين  
جزءا من النبوة وهذا لان  
مدة الوحى ثلاث وعشرون  
سنة وكان في ستة أشهر منها  
يؤمر في النوم بالانذار وستة  
أشهر من ثلاث وعشرين  
سنة جزء من ستة وأربعين  
جزءا أو هى حجة الناس له  
والله كره الحسن أولهم  
البشرى عند النزاع بان يرى  
مكانه في الجنة ( وفي الآخرة )

( الذين آمنوا ) بمحمد  
صلى الله عليه وسلم  
والقرآن ( وكانوا يتقون )  
الكفر والشرك والقوا حش  
( لهم البشرى في الحياة  
الدنيا ) بالرؤيا الصالحة  
برؤيا أو ترى لهم ( وفي  
الآخرة ) بالجنة

لهم وعمل الذين آمنوا النصب أو الرفع على المدح أو على وصف الأولياء أو على الابتداء وخبره لهم البشرى ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ أى لا تغيير لأقواله ولا اخلاف لمواعيده ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين ﴿ هو الفوز العظيم ﴾

وذلك لان ولى الله هو الذى يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى في قلبه غير ذكر الله ومعرفته ومن المعلوم ان معرفة الله في القلب لا تصيد الحق والصدق فاذا رأى الولى رؤيا أو رؤيت له كانت تلك الرؤيا بشرى من الله عز وجل لهذا الولى قال الخطابي في هذه الاحاديث تأكيد لاسم الرؤيا وتحقيق منزلتها وانما كانت جزءاً من أجزاء النبوة في حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء عليهم السلام يوحى اليهم في منامهم كما يوحى اليهم في اليقظة قال الخطابي قال بعض العلماء معنى الحديث ان الرؤيا تأتي على موافقة النبوة لانهما جزء من النبوة وقال الخطابي وغيره في معنى قوله الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة أقام النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ثلاثاً وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك بستة أشهر يرى في المنام الوحي فهمي جزء من ستة وأربعين جزءاً وقيل ان المنام لعل أن يكون فيه اخبار بنيب وهو أحد مراتب النبوة وهو يسرى جانب النبوة لانه لا يجوز أن يبعث الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبياً يشرع الشرائع ويبين الاحكام ولا يخبر بنيب أبداً فاذا وقع لاحد في المنام الاخبار بنيب يكون هذا القدر جزءاً من النبوة لانه نبى واذا وقع ذلك لاحد في المنام يكون صدقاً والله أعلم وقيل في تفسير الآية ان المراد بالبشرى في الحياة الدنيا هي الشاء الحسن وفي الآخرة الجنة ويدل على ذلك ما روى عن أبي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرايت الرجل يعمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن أخرجه مسلم قال الشيخ محي الدين النووي قال العلماء معنى هذه البشرى المجعلة له بالخير وهي دليل للبشرى المؤخر له في الآخرة بقوله بشرى اكتم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار وهذه البشرى المجعلة دليل على رضا الله عنه ومحبة له وتحييه الى الخلق كما قال ثم موضع له القبول في الارض هذا كله اذا حده الناس من غير تعرض منه لمجدهم والافاتعرض مذموم قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عز وجل استثار قلبه وامتلأ نورا فيفيض من ذلك النور الذى في قلبه على وجهه فتظهر عليه آثار الحشوع والخشوع فيصعبه الناس ويثنون عليه فتلك عاجل بشرى بحسبه الله له ورضوانه عليه وقال الزهرى وقادة في تفسير البشرى هي نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون وقال عطاء عن ابن عباس البشرى في الدنيا عند الموت تأتيمهم الملائكة بالبشارة وفي الآخرة بعد خروج نفس المؤمن بمرجها الى الله تعالى ويشرح برضوان الله تعالى وقال الحسن هي ما بشر الله به المؤمنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه ويدل عليه قوله تعالى ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ يعنى لا خلف لوعده الله الذى وعده أولياءه وأهل طاعته في كتابه وعلى السنة رسله ولا تغيير لذلك الوعد ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ يعنى ما وعدهم به في الآخر

هي الجنة (لا تبديل لكلمات الله) لا تغيير لأقواله ولا اخلاف لمواعيده (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين (هو الفوز العظيم) وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب انه يقع بعد الاعتراض كلام كقول فلان ينطق بالحق والحق أبليج وتسكت

( لا تبديل لكلمات الله ) بالجنة ( ذلك ) البشرى ( هو الفوز العظيم ) النجاة الوافر فازوا بالجنة وما فيها ونجوا من النار وما فيها

( ولا يحزنك قولهم ) تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدمير هلاكك وإبطال أسرك ( ان العزة ) استئناف بمعنى التعليل  
 قيل مالى لأحزن فقيل { الجزء الحادى عشر } ان العزة ( الله ) ﴿ ٢٧٠ ﴾ ان الغلبة والقهر في ملكه لا يـ

هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع  
 بعده كلام متصل بعاقبه ﴿ ولا يحزنك قولهم ﴾ اشرألكم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ  
 نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ﴿ ان العزة لله جميعا ﴾ استئناف بمعنى التعليل  
 ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تنالهم لان الغلبة لله جميعا  
 لا يملك غيره شيئاً منها فهو قهرهم وينصرهم عليهم ﴿ هو السميع ﴾ لا قوالهم ﴿ العليم ﴾  
 بعزماهم فيكافهم عليها ﴿ ألا ان الله من في السموات ومن في الارض ﴾ من الملائكة  
 والنفلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف المكنات عبيدا لا يصلح احدهم للربوبية قالوا  
 يعقل منها حق ان لا يكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله ﴿ وما يتبع الذين يدعون من  
 دون الله شركاء ﴾ أى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مقولاً  
 يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ﴿ ان يتبعون الا الظن ﴾ أى ما يتبعون يقينا

﴿ ولا يحزنك قولهم ﴾ يقول الله لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك يا محمد قول هؤلاء  
 المشركين لك ولا يمشك تخوفهم اياك ﴿ ان العزة لله جميعا ﴾ يعنى ان القهر والغلبة والقدره لله  
 جميعا هو المنفرد بها دون غيره وهو ناصرهم عليهم والمنتم لك منهم وقال سعيد بن المسيب ان العزة  
 لله جميعا فيعز من يشاء وهذا كما قال سبحانه وتعالى في آية أخرى والله العزة ورسوله وللمؤمنين  
 ولا منافاة بين الآيتين فان عزة الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المؤمنين باعزان الله أيامهم  
 فثبت بذلك ان العزة لله جميعا وهو الذى يعز من يشاء وبذلك من يشاء وقيل ان المشركين كانوا  
 يتنزون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فأخبر الله سبحانه وتعالى ان جميع ذلك  
 لله وفي ملكه فهو قادر على أن يسلبهم جميع ذلك وبذلك بعد العز ﴿ هو السميع ﴾ لا قوالكم  
 ودعائكم ﴿ العليم ﴾ بجميع أحوالكم لا تخفى عليه خافية ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ألا  
 ان الله من في السموات ومن في الارض ﴿ ألا كلمة تنبيه معناه انه لا ملك لاحد في السموات  
 ولا في الارض الا الله عز وجل فهو مالك من في السموات ومن في الارض فان قلت قال سبحانه  
 وتعالى في الآية التي قبل هذه ألا ان الله ما في السموات بلفظة ما وقال سبحانه وتعالى في هذه الآية  
 بلفظة من فافادته ذلك قلت ان لفظة ما تدل على لا ما يعقل ولفظة من تدل على من يعقل فجميع  
 الآيتين يدل على أن الله عز وجل مالك جميع من في السموات ومن في الارض من العقلاء وغيرهم  
 وهم عبيده وفي ملكه وقيل ان لفظة من لمن يعقل فيكون المراد بمن في السموات الملائكة العقلاء  
 ومن في الارض الانس والجن وهم العقلاء ايضا وانما خصهم بالذكر لشرفهم واذا كان هؤلاء  
 العقلاء المميزون في ملكه وتحت قدرته فالجمادات بطريق الاولى أن يكونوا في ملكه اذا ثبت  
 هذا فكون الاصنام التي يعبدوا المشركون أيضا في ملكه وتحت قبضته وقدرته ويكون ذلك قدسها  
 في جعل الاصنام شركاء لله معبودة دونه ﴿ وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ﴾ لفظه  
 ما استقهم معناه أى شئ يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء والمقصود بتبج فعلهم يعنى أنهم  
 ليسوا على شئ لانهم يعبدونها على انها شركاء لله تشفع لهم وليس الامر على ما يظنون  
 وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ان يتبعون الا الظن ﴾ يعنى ان فعلهم ذلك ظن منهم أنها تشفع

أحد شيئاً منهما لاهم ولا  
 غيرهم فهو يتلهم وينصر  
 عليهم كتب الله لأغلب أنا  
 ورسلنا انما لتصر رسلنا  
 أوبد يتنزل كل عزيز فهو  
 يملك ودينك وأهلك  
 والوقت لازم على قولهم  
 لئلا يصير ان العزة مقول  
 الكفار ( جميعا ) حاله ( هو  
 السميع ) لا يقولون ( العليم )  
 بما يدبرون ويعز من عليه  
 وهو مكافهم بذلك ( ألا  
 ان الله من في السموات ومن  
 في الارض ) يعنى العقلاء  
 وهم الملائكة والنفلان  
 وخصهم ليؤذن ان هؤلاء  
 اذا كانوا اله في ملكته ولا  
 يصلح أحد منهم للربوبية  
 ولان يكون شريكاً فيها  
 فأوراءهم بما لا يعقل أحق  
 أن لا يكون له ندا وشريكا  
 ( وما يتبع الذين يدعون  
 من دون الله شركاء ) ما  
 نافية أى وما يتبعون حقيقة  
 الشركاء وان كانوا يسمونها  
 شركاء لان شركة الله في  
 الربوبية محال ( ان يتبعون  
 الا الظن ) الاظنهم انهم

( ولا يحزنك ) يا محمد ( قولهم )  
 تكذيبهم اياك ( ان العزة )  
 والقدره والمنعة ( لله جميعا )  
 بهلاكهم ( هو السميع ) لمقاتهم

( العليم ) بفعلهم وعقوبتهم ( ألا ان الله من في السموات ومن في الارض ) من الخلق يحولهم كيف يشاء ( وما يتبع ) يعبد ( لهم )  
 ( الذين يدعون ) يعبدون ( من دون الله شركاء ) آلهة من الاولئان ( ان يتبعون ) ما يعبدون ( الا الظن ) بالالظن بغير

شركاء الله ( وان هم الايخرسون ) يحزرون ويقدررون أن يكونوا شركاء تقديرا باطلا أو استفهامية أى وأى شئ يتبعون وشركاء على هذا نصب يبدعون وعلى الاول يتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقصر على أحدهما للدلالة والمحدوف مفعول يدعون أو موصولة معطوفة على من كانه قيل والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أى وله شركاؤهم ثم نبه على ﴿ ٢٧١ ﴾ عظيم قدرته وشمول { سورة يونس } نعمته على عباده بقوله

( هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ) أى جعل لكم الليل مظلما لتستريحوا فيه من تعب التردد في النهار ( والنهار مبصرا ) مضيا لتبصروا فيه مطالب أرزاقكم ومكاسبكم ( أن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ) سماع مذكر مقتر ( قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه ) تنزيه له عن اتخاذ الولد وتجب من كلمتهم الحق ( هو الغنى ) غلة لتزنيه فان الولد لانه انما يطلب الولد ضعيف ليتقوى به أو فقير ليستعين به أو ذليل ليتشرف به ولكل أمانة الحاجة فمن كان غنيا غير محتاج كان الولد عنه منغيا ولان الولد بعض الوالد فيستدعى أن يكون مركبا وكل مركب ممكن وكل ممكن محتاج الى الغيرة كان حادثا فاستحال القديم أن يكون له ولد ( له ما في السموات وما في الارض ) ملكوا لا تجتمع النبوة معه ( ان عندكم

وانما يتبعون ظنهم انهم شركاء ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة يتبع أو موصولة معطوفة على من • وقرئ تدعون بالثناء الخطابية والمعنى أى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبين أى انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فالكم لا يتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يتبعون الى ربهم الوسيلة فيكون الزام بعبادته وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم ﴿ وان هم الايخرسون ﴾ يكذبون فيما ينسبون الى الله أو يحزرون ويقدررون انهم شركاء تقديرا باطلا ﴿ هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ﴾ تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بما يبدلهم على قدره باستحقاق العادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب ﴿ ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ سماع تدبر واعتبار ﴿ قالوا اتخذ الله ولدا ﴾ أى بناء سبحانه ﴿ تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الايمن يتصور له الولد وتجب من كلمتهم الحق ﴾ هو الغنى ﴿ غلة لتزنيه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة ﴾ له ما في السموات وما في الارض ﴿ تقرير لثبوت ان عندكم

لهم وانما تقر بهم الى الله وذلك ظن منهم لاحقيقة له ﴿ وان هم الايخرسون ﴾ يعنى ان هم الايكذبون ﴿ قوله عز وجل ﴾ هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ﴿ يعنى هو الله ربكم الذى خلق لكم الليل راحة لتسكنوا فيه ولينزل التسب والكلال بالسكون فيه واصل السكون الثبوت بمد الحركة والنهار مبصرا وجعل النهار مضيا لتدوا فيه لحوائجكم وأسباب معاشكم وأضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس النهار بما يبصر ولكن لما كان مفهوما من كلام العرب معناه خاطبهم بلقنهم وما يفهمونه قال جرير • لقد كنت ايام غيلان في سرى • ونمت وما ليل لطفى بنائم • فاضاف النوم الى الليل ووصفه به وانما عفى نفسه وان لم يكن ناعما ولا بيرة وهذا من باب نقل الاسم من المسبب الى السبب قال قطرب تقول العرب اعظم الليل وابصر النهار بمعنى صار ذا ظلمة وذاتضاء • قوله تعالى ﴿ ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ يعنى يسمعون سمع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذى خلق هذه الاشياء كلها هو الاله المعبود المنفرد بالوحدانية في الوجود ﴿ قالوا ﴾ يعنى المشركين ﴿ اتخذ الله ولدا ﴾ يعنى به قولهم الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾ نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد ﴿ هو الغنى ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى هو الغنى عن جميع خلقه فكيف يابق بحال له اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد من هو محتاج اليه والله تعالى هو الغنى المطلق وجميع الاشياء محتاجة اليه وهو غنى عنها ﴿ له ما في السموات وما في الارض ﴾ يعنى انه مالك ما في السموات وما في الارض وكلهم عبيده وفي قبضته وتصرفه هو محضهم وخالقهم ولما نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع فقال سبحانه وتعالى ﴿ ان عندكم

يقين ( وان هم ) ما هم يعنى الرؤساء ( الايخرسون ) يكذبون للسفلة ( هو الذى ) أى الهكم هو الذى ( جعل لكم ) خلق لكم ( الليل لتسكنوا فيه ) لتستقروا فيه ( والنهار مبصرا ) مضيا لالذهاب والجمي ( ان في ذلك ) فيما ذكرت ( لآيات ) لبراهين ( لقوم يسمعون ) مواعظ القرآن ويطيعون ( قالوا ) كفار مكة ( اتخذ الله ولدا ) من الملائكة لاننا ( سبحانه ) نزه نفسه عن الولد والشريك ( هو الغنى ) ( له ما في السموات وما في الارض ) من الخلق والجنائب ( ان عندكم )

من سلطان بهذا ) ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا لسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موزكانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان ولما نفي عنهم البرهان جعلهم غير طالمين فقال ( أقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله في الجزم الحادى عشر { الكذب } ٢٧٢ ) باضافة الولد اليه ( لا يفلحون ) لا ينجون

من سلطان بهذا ) نفي لمعارض ما أقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان أو نعت له أو يستدكم كأنه قيل ان عندكم في هذا من سلطان ) أقولون على الله ما لا تعلمون ) توبيخ وتقرير على اختلاقهم وجعلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان المقادير لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ ) قل ان الذين يفترون على الله الكذب ) بالتخاذ الولد واضافة الشريك اليه ) لا يفلحون ) لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة ) متاع في الدنيا ) خبر مبتدأ محذوف أى اقترأهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر أو حياتهم أو قلبهم متاع أو مبتدأ خبره محذوف أى لهم تمتع في الدنيا ) ثم الناسرجهم ) بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ) ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ) بسبب كفرهم ) وإتل عليهم نبأ نوح ) خبره مع قومه

من سلطان بهذا ) يعنى انه لاحجة عندكم على هذا القول البتة ثم بالغ في الانكار عليهم بقوله تعالى ) أقولون على الله ما لا تعلمون ) يعنى أقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقة وصحته وتضيفون اليه ما لا تجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان ) قل ان الذين يفترون على الله الكذب ) أى قل يا محمد لهؤلاء الذين يختلقون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويزعجون ان له ولدا ) لا يفلحون ) يعنى لا يسمعون وان اغتروا بطول السلامة والبقاء في النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز بطلوبه بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف تام يعنى قوله لا يفلحون ثم ابتداء فقال تعالى ) متاع في الدنيا ) وفيه اشارة تقديره لهم متاع في الدنيا يتمتعون به مدة أعمارهم وانقضاء أجالهم في الدنيا وهى أيام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم في العذاب وهو قوله سبحانه وتعالى ) ثم الناسرجهم ) يعنى بعد الموت ) ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ) يعنى ذلك العذاب بسبب ما كانوا يحجدون في الدنيا من نعمة الله عليهم وبصفون بما يلبق بجلاله ) قوله سبحانه وتعالى ) وإتل عليهم نبأ نوح ) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والمنادى شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة بمن سلف من الانبياء وتسلية له ليخفف عليه ما يلقى من اذى قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سببا يخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح أول الامم هلاكا واعظمهم كفرا وجسودا ذكر الله قصتهم وأنه أهلهم بالفرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال سبحانه وتعالى وتل عليهم نبأ نوح يعنى واقرأ على قومك يا محمد خبر قوم نوح

من النار ولا يفوزون بالجنة ( متاع في الدنيا ) أى اقترأهم هذا منفعة قليلة في الدنيا حيث يقيمون به رياستهم في الكفر و مناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ( ثم الناسرجهم ) ثم نذيقهم العذاب الشديد ( الخلد ) بما كانوا يكفرون ( بكفرهم وإتل عليهم ) واقرأ عليهم ( نبأ نوح ) خبره مع قومه والوقف عليه لازم اذ لو وصل نصار اذ ظفرا لقوله وإتل بل التقدير واذكر

ما عندكم ( من سلطان ) من كتاب ولا حجة ( بهذا ) بما تقولون على الله من الكذب ( أقولون على الله ) بل تقولون على الله ( ما لا تعلمون ) ذلك من الكذب ( قل ) يا محمد ( ان الذين يفترون ) يختلقون ( على الله الكذب ) لا يفلحون ( لا ينجون من عذاب الله ) ولا يأمنون ( متاع في الدنيا ) يعيشون في الدنيا قليلا ( ثم الناسرجهم ) بسد الموت ( ثم نذيقهم العذاب الشديد )

الشديد ( الغليظ ) بما كانوا يكفرون ) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويكذبون على الله ( وإتل عليهم ) اقرأ ( اذ ) عليهم ( نبأ ) خبر ( نوح ) بالقرآن

اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم وثقل كقوله وانها لكيرة الاعلى الخاشعين (مقاي) مكاني من نفسه كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان اى خاف ﴿ ٢٧٣ ﴾ ربه اوقاي ومكثي سورة يونس بين اظهركم آلف سنة لا

خسبن عاما اومقاي (وتذكيري بآيات الله)

لالهم كانوا اذا وعظوا الجاعا

قاموا على أرجلهم يعظونهم

ليكون مكانهم بينا وكلامهم

مسموعا (فلى الله توكلت)

اى فوضت امرى اليه

(فاجعوا امركم) من اجع

الامر اذ انواه وعزم عليه

(وشركاءكم) الواو يعنى

مع اى فاجعوا امركم مع

شركاءكم (ثم لا يكن امركم

عليكم غمة) اى غما عليكم

وهما والغم والغمة كالكره

والكرية املتبسافى خفية

والغمة السترة من غم اذا

ستره ومنه الحدث لا غة

فى فرائض الله اى لا تتر

ولكن يحاهر بها والمعنى

ولا يكن قصدكم الى هلاكى

مستورا عايتكم ولكن مكشوقا

مشهورا بحج هرونى به (ثم

اقضوا الى) ذلك الامر

الذى تريدون فى اى ادوا

الى ما عوق عدكم من

هالكى كايضى الرجل

غريمه او اصنعوا ما مكنكم

(ولا تنظرون) ولا تعملون

(اذ قال لقومه يا قوم ان كان

كبر عليكم) عظم عليكم

(مقاي) طول مقاي ومكثي

(وتذكيري) وتذكيري اياكم

(بآيات الله) من عذاب الله

اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق ﴿ مقاي ﴾ نفسى كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامى بينكم مدة مديدة اوقاي على الدعوة ﴿ وتذكيري ﴾ اياكم ﴿ بآيات الله فلى الله توكلت ﴾ وثقت به ﴿ فاجعوا امركم ﴾ فاعز موا عليه ﴿ وشركاءكم ﴾ اى مع شركاءكم ونؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكده الفصل وقيل انه معطوف على امركم بخذف المضاف اى وامر شركاءكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم والاجتماع على قصده والسعى فى اهلاكه على اى وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ﴿ ثم لا يكن امركم ﴾ فى قصدى ﴿ عليكم غمة ﴾ مستورا واجملوه ظاهرا مكشوقا من غم اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقاي وتذكيري ﴿ ثم اقضوا ﴾ ادوا ﴿ الى ﴾ ذلك الامر الذى تريدون بي • وقرئ ثم اقضوا الى بالقاء اى انتهوا الى بشركم ابرزوا الى من افضى اذا خرج الى الفضاء ﴿ ولا تنظرون ﴾ ولا تعملون

اذ قال لقومه يا قوم ﴿ وهم بنو قاييل ﴾ ان كان كبر ﴿ عليكم مقاي ﴾ يعنى فيكم ﴿ وتذكيري بآيات الله ﴾ يعنى ووعظى اياكم بآيات الله وقيل معناه ان كان ثقل وشق عليكم طول مقاي فيكم وذلك انه عليه الصلاة والسلام اقام فيهم آلف سنة الاخسين عا ما يدعوهم الى الله تعالى ويذكرهم بآيات الله وهو قوله وتذكيري بآيات الله يعنى ووعظى بآيات الله وحججه وبيانه فزمتهم على قتل وطردى ﴿ فلى الله توكلت ﴾ يعنى فهو حسبي وثقتى ﴿ فاجعوا امركم ﴾ يعنى فاحكموا امركم واعزموا عليه قال القراء الاجماع الاعداد والمزعة على الامر وقال ابن الانبارى المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لا تدعوا من امركم شيئا الا احضرتهم ﴿ وشركاءكم ﴾ يعنى وادعوا شركاءكم يعنى آلهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم وتعينكم على مطلوبكم وانما حشهم على الاستعانة بالاصنام بناء على مذهبهم واعتقادهم انها تضر وتنفع مع اعتقادهم انها جاد لا تضر ولا تنفع فهو كالتبكيك والتوبيخ لهم ﴿ ثم لا يكن امركم عليكم غمة ﴾ يعنى لا يكن امركم عليكم خفيا ميسا ولكن ليكن امركم ظاهرا مكشوقا من قولهم غم الهلال فهو مغموم اذا خفي والنبس على الناس ﴿ ثم اقضوا ﴾ ثم امضوا ﴿ الى ﴾ عافى انفسكم من مكروه وما توعدوني به من قتل وطرد وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى وقيل معناه ثم اقضوا ما اثم قاضون ﴿ ولا تنظرون ﴾ اى ولا تؤخروني ولا تعملوني بعد اعلامكم اياى ما اثم عليه وهذا الكلام من نوح عليه السلام على طريق التعجيز لهم اخبر الله عز وجل عن نوح عليه السلام انه كان قد بلغ الثابة فى التوكل على الله وانه كان وثقا بنصره اياه غير خائف من كيدهم علما منه بانهم وآلهتهم ليس لهم نفع ولا ضرر وان

﴿ فلى الله توكلت ﴾ وثقت وفوضت (قا و خا ٣٥ لث) امرى الى الله (فاجعوا امركم) فاجتمعوا على قول واحد (وشركاءكم) سعيوا آلهتكم (ثم لا يكن امركم عليكم غمة) لا تلبسوا امركم وقولكم على انفسكم (ثم اقضوا الى) امضوا الى (ولا تنظرون) ولا تتركون

( فان توليتهم ) فان أعرضتم عن تكديري ونصحي ( فاسألتكم من أجر ) فواجب التولي أو فاسألتكم من أجر ففانني ذلك بتوليكم ( ان أجرى الاعلى الله ) وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة أي ما نصحتكم الله لا تعرض من أغراض الدنيا وفيه دلالة على منع أخذ الأجر على تعليم القرآن والعلم الدين ( وأمرت ان أكون من المسلمين ) من المستسلمين لا وأمره ونواهيته ان أجرى بالفتح مدني وشاع وأبو عمرو وحفص ( فكذبوه ) فداموا على تكذيبه ( فنجيناه ) من الغرق ( ومن معه في الفلك وجملناهم ) { الجزء الحادي عشر : خلائف } ٢٧٤ ﴿ يخلفون الهالكين بالفرق في السفينة ( واغرقا

الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ) هو تنظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له ( ثم بعثنا من بعده ) من بعده من بعده ( رسالتي قومهم ) أي هودا وصالحا وبرايم ولوطا وشعيا ( فجاؤهم بالبينات ) بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم ( فآمنوا ) فآمنوا على

( فان توليتهم ) عن الايمان بما جئتكم به ( فاسألتكم ) على الايمان ( من أجر ) من اجل ( ان أجرى ) ما ثابني بما دعوتكم الى الايمان ( الاعلى الله ) وأمرت ان أكون من المسلمين مع المسلمين على دينهم ( فكذبوه ) يعني نوحا بما آناه ( فنجيناه ) من الفرق ( ومن معه )

﴿ فان توليتهم ﴾ أعرضتم عن تكديري ﴿ فاسألتكم من أجر ﴾ بوجوب توليتكم لثقله عليكم وإتمامكم إلى لاجله أو يفوتني لتوليكم ﴿ وان أجرى ﴾ ما ثابني على الدعوة والتذكير ﴿ الاعلى الله ﴾ لا تعلق لكم بيقيني به أنتم أو توليتهم ﴿ وأمرت ان أكون من المسلمين ﴾ المتقادين لحكمه لا أخالف أمره ولا أرجو غيره ﴿ فكذبوه ﴾ فاصروا على تكذيبه بعد ما ألزمهم الحجة وبين ان توليتهم ليس الاعتناء بهم ونعرتهم لاجرم حقت عليهم كلمة العذاب ﴿ فنجيناه ﴾ من الفرق ﴿ ومن معه في الفلك ﴾ وكانوا ثمانين ﴿ وجملناهم خلائف ﴾ من الهالكين به ﴿ واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ﴾ بالطوفان ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ تنظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتسلية له ﴿ ثم بعثنا ﴾ أرسلنا ﴿ من بعده ﴾ من بعده نوح ﴿ رسالتي قومهم ﴾ كل رسول إلى قومه ﴿ فجاؤهم بالبينات ﴾ بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم ﴿ فآمنوا ﴾ فاستقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيتهم

مكرهم لا يصل اليه ﴿ فان توليتهم ﴾ يعني فان أعرضتم عن قولي وقبول نصحي ﴿ فاسألتكم من أجر ﴾ يعني من اجل وعوض على تبليغ الرسالة فاذا لم يأخذ على تبليغ الدعوة الى الله شيئا كان أقوى تأثيرا في النفس ﴿ ان أجرى الاعلى الله ﴾ أي ما ثابني وجزائي على تبليغ الرسالة الاعلى الله ﴿ وأمرت ان أكون من المسلمين ﴾ يعني اني أمرت بدين الاسلام وأنا ماض فيه غير تارك له سواء قبلتموه أم لم تقبلوه وقيل معناه وأمرت ان أكون من المستسلمين لاسرائيل ولكل مكروه يصل الى منكم لاجل هذه الدعوة ﴿ فكذبوه ﴾ يعني فكذبوا نوحا عليه السلام ﴿ فنجيناه ﴾ ومن معه في الفلك يعني في السفينة ﴿ وجملناهم خلائف ﴾ يعني وجملنا الذين نجيناهم معه في الفلك سكان الارض بعد الهالكين ﴿ واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ أي فانظر يا محمد أو يا أيها الانسان كيف كان آخر أمر من أنذرهم الرسل فلم يؤمنوا ولم يقبلوا ذلك ﴿ ثم بعثنا من بعده ﴾ يعني من بعده نوح ﴿ رسلا الى قومهم ﴾ لم يسم هنا من كان بعد نوح من الرسل وقد كان بعد نوح هود وصالح وغيرهما من الرسل ﴿ فجاؤهم بالبينات ﴾ يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي تدل على صدقهم ﴿ فآمنوا ﴾ فآمنوا

من المؤمنين ( في الفلك ) في السفينة ( وجملناهم خلائف ) خلفاء وسكان الارض ( واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ) بكتابتنا ورسولنا نوح ( فانظر ) يا محمد ( كيف كان عاقبة المنذرين ) كيف صار آخر أمر الذين أنذرهم الرسل فلم يؤمنوا ( ثم بعثنا من بعده ) من بعد هلاك قوم نوح ( رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات ) بالأمور والنور والعلامات ( فآمنوا ) ليصدقوا



الكفر بعد البغي (عما كذبوا به من قبل) من قبل عيبتهم يريدانهم كانوا قبل بشقة الرسل لاهل جاهلية مكذبين بالحق فاقول قبح فصل بين حالتهم بعد بشة الرسل وقبلها كأن لم يبعث اليهم أحد (كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع نحتم (على قلوب المعتدين) المجاوزين الحد في التكذيب (ثم بشتا من بعدهم) من بعد الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها وأظلم الكبر ﴿٢٧٥﴾ أن يتهاون {سورة يونس} السيد برسالة ربهم بعد

بينها ويتعظموا عن قبولها (وكانوا قوما مجرمين) كفار اذوى آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترأوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا (فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله) قالوا (لحبهم الشهوات) (ان هذا سحر مبين) وهم يعلمون أن الحق أبدي شيء من السحر (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) هو انكار ومقولهم محذوف أى هذا ثم استأنف انكار سحر آخر فقال (أسحر هذا) خبر ومبتدأ (ولا يفلح الساحرون) أى

(عما كذبوا به من قبل) من قبل يوم الميثاق (كذلك) هكذا (نطبع) نحتم (على قلوب المعتدين) من الحلال والحرام (ثم بشتا من بعدهم) من بعد هؤلاء الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه) رؤسائه (بآياتنا) بكتابتنا ويقال بآياتنا التسع اليد والمصا والطوفان

في الكفر وخذلان الله أيهم ﴿عما كذبوا به من قبل﴾ أى بسبب تمودهم تكذيب الحق وتمرهم عليه قبل بشة الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾ بخذلانهم لانهما كم في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدره الله تعالى وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ﴿ثم بشتا من بعدهم﴾ من بعده هؤلاء الرسل ﴿موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا﴾ بالآيات التسع ﴿فاستكبروا﴾ عن اتباعهما وكانوا قوما مجرمين ﴿متأدين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترأوا على ردها﴾ فلما جاءهم الحق من عندنا ﴿وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيلة للشك﴾ قالوا ﴿من فرط تمردهم﴾ ان هذا لسحرمين ﴿ظاهرا نه سحر وفائق في فنه واضع فيما بين اخوانه﴾ قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم ﴿انه لسحر فمحذف المحكى المقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون﴾ اسحر هذا ﴿لانهم يتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكى مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى أتقولون للحق أئسيو نه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فنى يذكركم فيستغنى عن المفعول ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر

عما كذبوا به من قبل ﴿يعنى ان أولئك الاقوام والامم التى جاءتهم الرسل جروا على مناج قوم نوح في التكذيب ولم يزجرهم ما جاءتهم به الرسل ولم يرجعوا عما هم فيه من الكفر والتكذيب﴾ كذلك نطبع على قلوب المعتدين ﴿يعنى مثل اغرا فقا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا كذلك نحتم على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم في التكذيب﴾ قوله عز وجل ﴿ثم بشتا من بعدهم﴾ يعنى من بعد الرسل ﴿موسى وهرون الى فرعون وملئه﴾ يعنى أشراف قومه ﴿بآياتنا فاستكبروا﴾ يعنى عن الايمان بما جاء به موسى وهارون وكانوا قوما مجرمين ﴿يعنى مستكسبين للآثم﴾ فلما جاءهم الحق من عندنا ﴿يعنى فلما جاء فرعون وقومه الحق الذى جاء به موسى من عند الله﴾ قالوا ان هذا السحرمين ﴿يعنى ان هذا الذى جاء به موسى سحر مبين يعرفه كل أحد﴾ قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ﴿فيه حذف تقديره أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر أسحر هذا فمحذف السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال أسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار يعنى انه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله فقال ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ يعنى حاصل

والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص من الثمرات ويقال الطمس (فاستكبروا) عن الايمان بالكتاب والرسول والآيات (وكانوا قوما مجرمين) مشركين (فلما جاءهم الحق من عندنا) الكتاب والرسول والآيات (قالوا ان هذا) الذى جاء به موسى (سحرمين) كذب بين وان قرأت بالالف أرادوا به موسى ساحرا كذابا (قال) لهم (موسى أتقولون للحق) الكتاب والرسول والآيات (لما جاءكم) حين جاءكم (أسحر هذا ولا يفلح) لانهم ولا يأمن (الساحرون) من عذاب الله



لا يسحر أو من غام قولهم ان جعل اسحر هذا عكيا كأنهم قالوا أجنبنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يقطع الساحرون ﴿ قالوا أجنبنا لثقتنا ﴾ لتصرفنا والثقت والقتل اخوان ﴿ عما وجدنا عليه آباءنا ﴾ من عبادة الاصنام ﴿ وتكون لكما الكبرياء في الارض ﴾ الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبرياء والتكبر على الناس باستتباعهم ﴿ وما نحن لكما بمؤمنين ﴾ بمصدقين فيما جنتا به ﴿ وقال فرعون ائتوني بكل ساحر ﴾ وقرأ جزء والكسائي بكل سحر ﴿ عليم ﴾ حاذق فيه ﴿ فلما جاء السحرة قال لهم موسى اانتم ملقون فلما اتوا قال موسى ما جئتم به السحر ﴾ أي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا ﴿ وقرأ ابو عمرو السحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والاسحر بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر أو مبتدأ خبره محذوف أي السحر هو ويجوز ان ينصب ما قبل يفسره ما بعده تقديره أي شيء انتم ﴿ ان الله سيطلع ﴾ سيحققه أو سيظهر بطلانه ﴿ ان الله لا يصلح على المفسدين ﴾ لا يثبت ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتوغيه لاحقيقة له ﴿ ويحق الله الحق ﴾ ويثبت بكلماته ﴿ باواسر وقضاه ﴾ وقرئ بكلمته ﴿ ولو اكره المجرمون ﴾ ذلك ﴿ فلما آمن موسى ﴾ في مبدأ امره

لا يثبت له بل يدسه (ويحق الله الحق) ويثبت (بكلماته) بأوامره وقضائيه أو يظهر الإسلام بعدائه بالنصرة (ولو كره الجرمون) ذلك (فأأمن بأوسى) في أول أمره

( قالوا ) لموسى ( أجبنا  
لتلفتنا ) لتصرفنا ( عما  
وجدنا عليه آباءنا ) من عبادة  
الآوثان ( وتكون لكما  
الكبرياء ) الملك والساطان  
( فى الأرض ) فى الأرض  
مصر ( وما نحن لكما  
عمومين ) بصدقين ( وقال  
فرعون أتونى بكل ساحر  
عليه ) حاذق ( فلما جاء السحرة  
قال لهم موسى أقفوا ما أنتم

ملقون) من العصي والخيال ( فلما ألقوا ) عصيهم وحبالهم (قال لهم) (موسى ما جئتم به) ما طرحتم ( السحر ) ( الاذنية ) هو السحر (ان الله سيضلعه) سيهلكه ( ان الله لا يصلح ) لا يرخصى ( على المفسدين ) الساحرين ( ويحق الله ) يظهر الله لديه ( الحق بكلماته ) بتحقيقه (ولو كره الجرمون ) وان كره المشركون ان يكون ذلك ( فآمن ) فاصدق (اوسى) عما جاءه

(الاذرية من قومه على خوف ﴿ ٢٧٧ ﴾ من فرعون) الاطائفة من { سورة يونس } ذراري بني اسرائيل كما قيل

الأولاد من أولاد قوما  
وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه  
خوفا من فرعون وأجابته  
طائفة من أبنائهم مع الخوف  
أو الضمير في قومه لفرعون  
والذرية مؤمن آل فرعون  
وآسية امرأته وخازنه  
وما شطه والضمير في  
(و ملثهم) يرجع الى  
فرعون بمعنى آل فرعون  
كما يقال ربيعة ومضر  
أولاده ذوا أصحاب يأخرونها  
لهما والذرية أي على خوف  
من فرعون وخوف من  
أشراف بني اسرائيل  
لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم  
خوفا من فرعون عليهم  
وعلى أنفسهم دليله قوله  
(أن يقتلهم) يريد أن يذبحهم  
فرعون (وان فرعون لعال  
في الارض) لغالب فيها  
قاهر (وانه لمن المسرفين)  
في الظلم والفساد وفي الكبر  
والتعدي بآدائه الربوبية

(الاذرية من قومه) من قوم

فرعون كان آباؤهم من القبط  
وامهاتهم من بني اسرائيل  
فآمنوا بموسى (على خوف  
من فرعون وملثهم) رؤسائهم  
(أن يقتلهم) أن يقتلهم (وان  
فرعون لعال) لمخالفة

(في الارض) لهد بن موسى (وانه لمن المسرفين) المشركين

﴿ الاذرية من قومه ﴾ الأولاد من أولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه  
خوفا من فرعون الاطائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة  
من شبانهم آمنوا به أو مؤمن آل فرعون وأمرأته آسية وخازنه وزوجته وما شطه  
﴿ على خوف من فرعون وملثهم ﴾ أي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما  
هو المعتاد في ضمير الظلماء أو على أن المراد بفرعون الله كما يقال ربيعة ومضر والذرية  
أول القوم ﴿ ان يقتلهم ﴾ ان يذبحهم فرعون وهو يدل منه أو مفعول خوف وافراده بالضمير  
للدلالة على أن الخوف من الملائكة كان بسببه ﴿ وان فرعون لعال في الارض ﴾ لغالب فيها  
﴿ وانه لمن المسرفين ﴾ في الكبر والتعدي ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء

الاذرية من قومه ﴿ لما ذكر الله عز وجل ما أتى به موسى عليه السلام من  
المعجزات العظيمة الباهرة أخبر الله سبحانه وتعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما آمن لموسى  
الاذرية من قومه وانما ذكر الله عز وجل هذا تسليية لنبية محمد صلى الله عليه  
وسلم لانه كان كثير الاهتمام باليمان قومه وكان يقيم بسبب امرائهم عن الايمان به  
واستمرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله سبحانه وتعالى ان له اسوة بالانبياء عليهم  
الصلاة والسلام لان الذي جاء به موسى عليه السلام من المعجزات كان امرا عظيما  
ومع ذلك فما آمن معه الاذرية والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس  
الذرية القليل وقيل المراد به التصغير وقلة العدد واختلفوا في هاء الكناية في قومه فقليل  
انها راجعة الى موسى وأراد بهم قوم موسى وهم بنو اسرائيل الذين كانوا معه بمصر  
من اولاده قال مجاهد هم أولاد يعقوب الذين أرسل اليهم موسى هلك الآباء وبقي  
الابناء وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما أمر بقتل أبناء بني  
اسرائيل كانت المرأة في بني اسرائيل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا عليه من  
القتل فنشوا بين القبط فلما كان اليوم الذي غلب موسى فيه السحرة آمنوا به وقال  
ابن عباس ذرية من قومه يعني من بني اسرائيل وقيل انها راجعة الى فرعون يعني  
لاذرية من قوم فرعون روى عطية عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا  
انهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه وامرأة خازنه وما شطه قال القراء سموا  
ذرية لان آباءهم كانوا من القبط من آل فرعون وامهاتهم من بني اسرائيل فكان الرجل  
يتبع أمه وأخواله في الايمان وذلك كما يقال لاولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن  
الابناء لان امهاتهم من غير جنس الآباء ﴿ على خوف من فرعون وملثهم ﴾ الملائكة  
الاشراف فلي هذا يكون معنى الآية على خوف من فرعون ومن أشرافهم وهم  
ملائكة الذرية لانه كان آباؤهم من القبط وامهاتهم من بني اسرائيل وقيل أراد بالملائكة ملائكة  
فرعون وانما قال سبحانه وتعالى وملثهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التفضيل له  
﴿ ان يقتلهم ﴾ أي يصرفهم ويصددهم عن الايمان وانما قال ان يقتلهم ولم يقل ان يقتلهم  
لان قوم فرعون كانوا على امراده وتابعين لامرأته ﴿ وان فرعون لعال في الارض ﴾ يعني  
انه لغالب قهار متكبر فيها ﴿ وانه لمن المسرفين ﴾ يعني من المجاوزين الحد لانه كان

(وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله) صدقتم به وبآياته (له عليه توكلوا) قاله اسندوا أمركم في العصمة من فرعون (ان كنتم مسلمين) شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله أي يجعلوه هاله سالمة خالصة لاحظ للشيطان في الان التوكل لا يكون مع التخليد (فقالوا على الله توكلنا) {الجزء الحادى عشر} انما قالوا ذلك ﴿٢٧٨﴾ لان القوم كانوا مخلصين لاجرم ا

﴿وقال موسى﴾ لما رأى تخوف المؤمنين به ﴿يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا﴾ فتقوا به واعقدوا عليه ﴿ان كنتم مسلمين﴾ مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تليق الحكم بمرطين فان للمخلق بالايان وجوب التوكل فانه مقتضى له والمشرط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع الخليط ولغيره ان دماك زيد فاجبه ان قدرت ﴿فقالوا على الله توكلنا﴾ لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ﴿ربنا لا نجعلنا فتنه﴾ موضع فتنه ﴿للقوم الظالمين﴾ أي لا تسلطهم علينا فيقتلونا ﴿ونحنابرحتك من القوم الكافرين﴾ من كيدهم ومن شؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدماء تنبيه على ان الداعي ينبغي لمان يتوكل اولاً ليحيا دعوته ﴿واوحينا الى موسى وأخيه ان تبوأ﴾ أي اتخذامائة ﴿لقومكما بمصر بيوتا﴾ يسكنون فيها أو يرجون اليها للعبادة ﴿واجعلوا﴾ اتما وقومكما ﴿بيوتكم﴾ تلك البيوت ﴿قبة﴾ مصل وقيل مساجد متوجهة نحو

الله قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه فمن أراد ان يصلح للتوكل على ربه فعليه برفض الخليط الى الاخلاص (ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين) موضع فتنه لهم أي عذاب يذبوننا أو يقتلونا عن ديننا أي يضلونا والقاتن المضل عن الحق (ونحنابرحتك من القوم الكافرين) أي من تعذيبهم وتسخيرهم (واوحينا الى موسى وأخيه ان تبوأ لقومكما بمصر بيوتا) تبوأ المكان اتخذ مباءة كقوله توطئه اذا اتخذ وطناً والمعنى اجعلوا بمصر بيوتا من بيوتهم مباءة لقومكما ومرجوا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه (واجعلوا بيوتكم قبة) أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا (وقال موسى يا قوم ان كنتم

عبدا فادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبني اسرائيل ﴿وقال موسى﴾ يعنى لقومه ﴿يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا﴾ يعنى فبه فتقوا ولا امره فسلموا فانه ناصر أوليائه ومهلك أعدائه ﴿ان كنتم مسلمين﴾ يعنى ان كنتم مستسلمين لامر الله قيل انما أعيد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم آمنتم بالله لارادة ان كنتم موصوفين بالايان القلبي وبالاسلام الظاهري ودلت الآية على ان التوكل على الله والتفويض لامر الله من كمال الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لاعلى غيره ﴿فقالوا﴾ يعنى قال قوم موسى مجيبين له ﴿على الله توكلنا﴾ يعنى عليه اعتدنا لاعلى غيره ثم دعوا ربه فقالوا ﴿ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين﴾ يعنى لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بذنوبهم فيظنوا اننا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وكفرا وقال مجاهد لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما عذبوا ويظنوا أنهم خير منافقفتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا فيقتلونا ﴿ونحنابرحتك من القوم الكافرين﴾ يعنى وخلصنا برحتك من أيدي قوم فرعون الكافرين لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الاعمال الشاقة ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿واوحينا الى موسى وأخيه﴾ هارون ﴿ان تبوأ لقومكما بمصر بيوتا﴾ يعنى اتخذوا لقومكما بمصر بيوتا للصلاة فيها يقال تبوأ فلان نفسه بيتا اذا اتخذ مباءة أى وطناً والمعنى اجعلوا بمصر لقومكما بيوتا ترجعون اليها للصلاة والعبادة ﴿واجعلوا بيوتكم قبة﴾ اختلف أهل التفسير في معنى هذا البيوت والقبلة فهم من قال أراد بالبيوت المساجد التي يصل فيها وفسروا القبلة بالجانب الذي يستقبل في الصلاة فلي هذا يكون معنى

آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) اذ كنتم مسلمين (فقالوا على الله توكلنا ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين) المشركين أي (الكلا لا تسلطهم علينا فيظنون انهم على الحق ونحن على الباطل) (ونحنابرحتك من القوم الكافرين) من فرعون وقومه (واوحينا الى موسى وأخيه) هارون (ان اتخذوا لقومكما بمصر بيوتا) مساجد في جوف البيت (واجعلوا بيوتكم) مساجدكم (قبة) نحو القبة

القبلة يعني الكعبة وكان موسى صلى الله عليه وسلم يصلي اليها ﴿واقموا الصلوة﴾ فيها امرهم بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم ﴿وبشر المؤمنين﴾ بالنصرة في الدنيا والجنة في المقي والنعائي الضمير والاول لان التبول للقوم اتخاذ المباد بما يتعاطاه رؤس القوم يتشاورهم جمع لان جبل البيوت مساجد والصلوة بما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة ﴿وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملته زينة﴾ ما يترين به من الملابس والمراكب ونحوهما ﴿واموالا في الحياة الدنيا﴾

الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا في هذه القبلة وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها الا انه قد نقل عن ابن عباس انه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهارون وهو قول مجاهد ايضا قال ابن عباس قالت بنو اسرائيل لموسى لا نستطيع ان نظهر صلاتنا مع القراعة فاذن الله لهم ان يصلوا في بيوتهم وأن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل أراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أى مقابلة يعنى يقابل بعضها بعضا وقيل معناه واجعلوا في بيوتكم قبلة تصلون اليها فان قلت انه سبحانه وتعالى خص موسى وهارون بالخطاب في أول الآية بقوله سبحانه وتعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما ثم انه عم بهذا الخطاب فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه قلت انه سبحانه وتعالى أمر موسى وهارون بان يتبوأ لقومهما بيوتا للعبادة وذلك بما يخص به الانبياء فخصا بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة عم بالخطاب الجميع فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة ﴿واقموا الصلوة﴾ يعنى في بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن آمن معه من بنى اسرائيل من فرعون وقومه اذا صلوا في الكنائس والبيع الجامعة أن يؤذوهم فامرهم الله سبحانه وتعالى أن يصلوا في بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا في الكنائس الجامعة وكانت ظاهرة فلما أرسل موسى أمر فرعون بتعريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فامروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما أرسل موسى وهارون وأظهرهما على فرعون أمرهم باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل لهم بصونهم من شرهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿وبشر المؤمنين﴾ يعنى بانه لا يصل اليهم مكروه ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملته زينة واموالا في الحياة الدنيا ﴿لما أتى موسى عليه السلام بالمجرات الباهرات ورأى أن القوم مصريون على الكفر والعناد والانكار لما جاء به أخذ في الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أولا سبب اقدامه على الجرائم التي كانت سبب اصراره على ما يوجب الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها لاجرم ان موسى لما أخذ في الدعاء قدم هذه المقالة فقال ربنا انك آتيت

في أول الامر مأمورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك في أول الاسلام بمكة (واقموا الصلوة) في بيوتكم حتى تأمنوا (وبشر المؤمنين) يا موسى تلى الخطاب أولا ثم جمع ثم وحد آخر الان اختيار مواضع العبادة بما يفوض الى الانبياء ثم جمع لان اتخاذ المساجد والصلوة فيها واجب على الجمهور وخص موسى عليه السلام بالبشارة تعظيما له واللبش بها (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملته زينة) هو ما يترين به من لباس أرحلى أو فرش أو أثاث أو غير ذلك (واموالا) أى نقدا ونعما ومنفعة (في الحياة الدنيا)

(واقموا الصلوة) أمموا الصلوات الخمس (وبشر المؤمنين) بالنصرة والنجاة والجنة (وقال موسى ربنا) يا ربنا (انك آتيت) أعطيت (فرعون وملته) رؤسائه (زينة) زهرة (واموالا) كثيرة (في الحياة الدنيا)

ربنا ليضلوا عن سبيلك ) ليضلوا الناس عن طاعتك كوفي ولا وقف على الدنيا لان قوله ليضلوا متعلق بآيت ربنا تكرار الاول للالطاح في التضرع { الجزء الحادي عشر } قال الشيخ ﴿ ٢٨٠ ﴾ أبو منصور رحمه الله اذا علم منهم انهم

واتوا من المال ﴿ ربنا ليضلوا عن سبيلك ﴾ دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لمن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوا سبيل الضلال فكأنهم اوتوا ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيداً وتثبيتاً على ان المقصود عرض ضلالاتهم وكفرانهم مقدمة لقوله ﴿ ربنا اطمس على اموالهم ﴾ أى اهلكها والطمس المحق وقريء واطمس بالضم ﴿ واشدد على قلوبهم ﴾ أى واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان ﴿ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ﴾ جواب للدعاء

فرعون وملاء زينة وأموالاً في الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس والدواب والغلمان وأثاث البيت الفاخر والاشياء الجميلة والمال ما زاد على هذه الاشياء من الصامت ونحوه ثم قال تبارك وتعالى ﴿ ربنا ليضلوا عن سبيلك ﴾ اختلفوا في هذه اللام فقال القراء هي لام كي فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الاموال سبباً لضلالهم لانهم بطروا وطفنوا في الارض واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش انما هي لما يؤول اليه الامر والمعنى انك آتيت فرعون وملاء زينة في الحياة الدنيا فضلوا فعلى هذا هي لام الطاقبة يعنى فكان طاقبتهم الضلال وقال ابن الانباري هي لام الدعاء وهي لام مكسورة تجزم المستقبل ويقشع بها الكلام فيكون المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك ﴿ ربنا اطمس على اموالهم ﴾ الطمس ازالة اثر الشيء بالحو و معنى اطمس على اموالهم ازل صورها وحياتها وقال مجاهد اهلكها وقال أكثر المفسرين امسحها وغيرها عن هيثم قال قتادة بلغنا ان اموالهم وحرثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب القرظي صارت صورهم حجارة وكان الرجل مع أهله في فراشه فصارا حجرين والمرأة قائمة تحبز فصارت حجرا وهذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعا على اموالهم ولم يدع على انفسهم بالمسح وقال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا واثلاثا وقيل ان عمر بن عبد العزيز دعا بخريطة فيها شيء من بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة منقوشة والحوزة مشقوقة وهي حجارة وقال السدي مسح الله اموالهم حجارة النخل والتمر والدقيق والاطعمة وهذا الطمس هو أحد الآيات التسع التي أوتيا موسى عليه السلام ﴿ واشدد على قلوبهم ﴾ يعنى اربط على قلوبهم واطبع عليها واقسها حتى لا تلتين ولا تنشرح للايمان ومعنى الشد على القلوب الاستيقاظ منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدي وهذا دليل على ان الله سبحانه وتعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما جسر موسى عليه السلام على هذا السؤال ﴿ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ﴾ يعنى الفرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه قال موسى قبل ان يأتي فرعون ربنا اشتد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له دعاءه فقال بين فرعون وبين الايمان

يضلون الناس عن سبيله آتاهم ما آتاهم ليضلوا عن سبيله وهو كقوله انما نعمل لهم ليزدادوا انما فتكون الآية حجة على المعتزلة (ربنا اطمس على اموالهم) أى اهلكها واذهب آثارها لانهم يستعينون بنعمتك على معصيتك والطمس المحو والهلاك قيل صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهياتها منقوشة وقيل وسائر اموالهم كذلك (واشدد على قلوبهم) اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية (فلا يؤمنوا) جواب الدعاء الذى هو اشدد (حتى يروا العذاب الاليم) الى ان يروا العذاب اليم وكان كذلك فانهم لم يؤمنوا الى الفرق وكان ذلك ايمان يأس فلم يقبل وانما دعا عليهم بهذا لما أيس من ايمانهم وعلم بالوحي انهم لا يؤمنون فاما قبل ان يعلم فانهم لا يؤمنون فلا يسع له أن يدعو بهذا الدعاء لانه أرسل اليهم لدعوتهم الى الايمان وهو يدل على ان الدعاء على القبر بالموت على الكفر لا يكون كفرا

ربنا) يا ربنا (ليضلوا) بذلك عبادك (عن سبيلك) عن دينك وطاعتك (ربنا

اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم) واحفظ قلوبهم (فلا يؤمنوا) فلن يؤمنوا (حتى يروا العذاب الاليم) (حتى)

(قال قضا جيت دعوتكما) قيل كان موسى عليه السلام يدعو هارون يؤمن فثبت ان التامين دعاء فكان اخفاؤه <sup>اولا</sup> <sup>والثاني</sup> ن دعاء كما مستجاب وما طلبنا كائن ولكن ﴿ ٢٨١ ﴾ في وقته { سورة يونس } ( فاستقيما ) فابتنا على

ما اتنا عليه من الدعوة والتبليغ (ولا تبعان سبيل الذين لا يعلمون) ولا تبعان طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق الاجابة وحكمة الاهمال فقد كان بين الدعاء والاجابة اربعون سنة ولا تبعان بتخفيف النون وكسرهما لا لقضاء الساكنين تشبيها بنون الثانية شامى وخطاء بعضهم لان النون الخفيفة واجبة السكون وقيل هو اخبار عما يكونان عليه وليس بنى أو هو حال وتقديره فاستقيما عبر متبعين (وجاوزنا بنى اسرائيل البحر) هو دليل لنا على خلق الافعال (فاتبعهم فرعون وجنوده) فلحقهم يقل تبعته حتى أتبعته (بنيا) تطولا (وعدوا) ظلما وانتصبا على الحال

الفرق ( قال ) الله لموسى وهارون ( قد أجيت دعوتكما فاستقيما ) على الايمان والطاعة لله وتبليغ الرسالة ( ولا تبعان سبيل ) دين ( الذين لا يعلمون ) توحيد الله ولا يصدقونه يعنى فرعون وقومه ( وجاوزنا بنى اسرائيل ) عبرنا ( البحر )

أودعاه بلفظ النهى أو عطف على ليسلوا وما بينهما دعاء مستترض ﴿ قال قد أجيت دعوتكما ﴾ يعنى موسى وهارون عليهما السلام لانه كان يؤمن ﴿ فاستقيما ﴾ فابتنا على ما اتنا عليه من الدعوة والزمام الحجة ولا تستجلا فان ما طلبنا كائن ولكن في وقته روى انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ﴿ ولا تبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ طريق الجهلة في الاستجلا أو عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله وعن ابن ماسر برواية ابن ذكوان ولا تبعان بالنون الخفيفة وكسرهما لا لقضاء الساكنين ولا تبعان من تبع ولا تبعان ايضا ﴿ وجاوزنا بنى اسرائيل البحر ﴾ أى جاوزناهم فى البحر حتى بلغوا الشط حافطين لهم « وقرى جوزنا وهو من فعل المارد فى لقا على كضعف وضاعف ﴿ فاتبعهم ﴾ فادركهم يقال تبعته حتى أتبعته ﴿ فرعون وجنوده بنيا وعدوا ﴾ باغين وعادين أولبني

حتى أدركه الفرق فلم ينفذه الايمان قال بعض العلماء انما دعا عليهم موسى بهذا الدعاء لما علم ان سابق قضاء الله وقدره فيهم اتم لا يؤمنون وذلك ان الله سبحانه وتعالى كتب عليهم في الازل انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم ﴿ قال ﴾ الله عز وجل لموسى وهارون ﴿ قد أجيت دعوتكما ﴾ انما نسب الدعاء اليهما وان الداعي هو موسى وحده لان هارون عليه السلام كان يؤمن والتامين دعاء لانه طلب وسؤال أيضا ومنه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى فى الدعاء فلذلك قال تعالى قد أجيت دعوتكما ﴿ فاستقيما ﴾ يعنى على تبليغ الرسالة وامضيا لامرئ الى أن يأتيهم العذاب ﴿ ولا تبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ يعنى ولا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدى فان وعدى لا خلف فيه ووعدى نازل بفرعون وقومه فلا تستجلا قيل كان بين دعاء موسى عليه السلام وبين الاجابة اربعون سنة قال امام فخر الدين الرازى واعلم ان هذا النهى لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهارون كما أن قوله ان أشركت ليحطن علك لا يدل على صدور الشرك منه ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وجاوزنا بنى اسرائيل البحر) أى وقطعنا بنى اسرائيل البحر وعبرناهم اياه حتى جاوزوه وعبروه ﴿ فاتبعهم فرعون وجنوده ﴾ يعنى لحقهم وأدركهم ﴿ بنيا وعدوا ﴾ أى ظلما وعدوانا وقيل البنى طلب الاستعلاء بغير حق والعدو الظلم وقيل بنيا فى القول وعدوا فى الفعل قال أهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى من مصر وهم سقاة ألب وذلك انه لما أحاب الله دعاء موسى وهارون امرهما بالخروج بنى اسرائيل من مصر فى الوقت الذى أمرهما أن يخرجوا فيه بهم ويسرلهم أسباب الخروج وكان فرعون ظاملا عنهم فلما سمع بخروجهم ومفارقتهم مملكته خرج بمجنوده فى طلبهم فلما أدركهم قارأ لموسى أين الخواص فخرج البحر أمامنا وفرعون وراءنا وقد كنا نلقى من فرعون البلاد العظيم ناوحى الله سبحانه وتعالى الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق

فاتبعهم فرعون وجنوده ( فذهب خافهم ) ( قا و خا ٣٦ لث ) فرعون وجوعه ( بنيا ) فى المقالة ( وعدوا ) أرادوا قتلهم

أو على المنقول له ( حتى إذا أدركه الفرق ) ولا وقف عليه لأن ( قال آمنت ) جواب إذا ( أنه ) حجة وهي على الاستئناف  
 بل من آمنت وبالفتح الجزاء الحادي عشر { غيره ما على حذف } ٢٨٢ ﴿ الباء التي هي صلة الإيمان ( لا إله

والعدو وقرئ وعدوا ﴿ حتى إذا أدركه الفرق ﴾ لحقه ﴿ قال آمنت أنه ﴾ أي  
 بأنه ﴿ لا إله الا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ وقرأ جزء والكسائي أنه  
 بالكسر على إضمار القول أو الاستئناف بدلا وتفسيرا لا آمنت فتكذب عن الإيمان  
 أو أن القبول وبالغ فيه حين لا يقبل ﴿ الآن ﴾ أتؤمن الآن وعدايت من نفسك  
 ولم يبق لك اختيار ﴿ وقد عصيت قبل ﴾ قبل ذلك مدة هرك ﴿ وكنت من المفسدين ﴾  
 الضالين المضلين عن الإيمان

كالطود العظيم وكشف الله عن وجه الأرض وأيس لهم البحر فطعمهم فرعون وكان  
 على حصان آدم وكان معه في عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه سوى  
 سائر الألوان وكان مقدمهم جبريل وكان على فرس أبيض وديق وميكائيل يسوقهم  
 حتى لا يشذ منهم أحد فلما خرج آخر بني إسرائيل من البحر دنا جبريل بفرسه فلما  
 وجد الحصان ربح الانثى لم يملك فرعون من أمره شيئا فترد البحر وتباعد جنوده  
 حتى إذا اكتملوا جميعا في البحر وهم أولهم بالخروج التطم البحر عليهم فلما أدرك  
 فرعون الفرق أتى بكلمة الاخلاص ظنانه انها تنجيه من الهلاك وهو قوله تعالى  
 ﴿ حتى إذا أدركه الفرق قال ﴾ يعني فرعون ﴿ آمنت أنه لا إله الا الذي آمنت به  
 بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ قال ابن عباس لم يقبل الله إيمانه عند نزول العذاب  
 به وقد كان في مهل قال العلماء إيمانه غير مقبول وذلك أن الإيمان والتوبة عند معاينة  
 الملائكة والعذاب غير مقبولين ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا  
 بأسنا وقيل انه قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم  
 يكن قصده بها الاقرار بوحداية الله تعالى والاعتراف له بالربوبية لا جرم لم ينفعه  
 ما قال في ذلك الوقت وقيل ان فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق  
 سبحانه وتعالى فلهذا قال آمنت أنه لا إله الا الذي آمنت به بنو إسرائيل فلم ينفعه  
 ذلك لحصول الشك في إيمانه ولما رجع فرعون الى الإيمان والتوبة حين أغلق بابهما  
 بحضور الموت ومعاينة الملائكة قيل له ﴿ الآن ﴾ وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴿  
 يعني الآن تنوب وقد أضعت التوبة في وقتها وآثرت دنياك الفانية على الآخرة  
 الباقية والمخاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل الملائكة وقيل ان القائل  
 لذلك هو الله تعالى عرف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد في الأرض ويدل  
 على هذا القول قوله سبحانه وتعالى فالיום نحيك بيدنك والقول الاول أشهر  
 وبعضه ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أغرق الله  
 فرعون قال آمنت أنه لا إله الا الذي آمنت به بنو إسرائيل قال جبريل يا محمد قلوا  
 رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحة أخرجه الترمذي

الا الذي آمنت به بنو  
 إسرائيل وأنا من المسلمين  
 وفيه دليل على ان الإيمان  
 والاسلام واحد حيث  
 قال آمنت ثم قال وأنا من  
 المسلمين كرر فرعون المعنى  
 الواحد ثلاث مرات في  
 ثلاث عبارات حرصا  
 على القبول ثم لم يقبل منه  
 حيث أخطأ وقتها وكانت  
 المرة الواحدة تكفي في  
 حالة الاختيار ( الآن )  
 أتؤمن بالساعة في وقت  
 الاضطراب حين أدركك  
 الفرق وأيست من نفسك  
 قيل قال ذلك حين ألجئه  
 الفرق والعامل فيه أتؤمن  
 ( وقد عصيت قبل وكنت  
 من المفسدين ) من الضالين  
 المضلين عن الإيمان روى  
 ان جبريل عليه السلام أتاه  
 بفتيا ما قول الأمير في عبد  
 لرجل نشأ في ماله ونعمته  
 فكفر نعمته وجمده حقه  
 وادعى السيادة دونه فكتب  
 فيه يقول أبو العباس الوليد  
 ابن مصعب جزاء العبد  
 الخارج على سيده الكافر  
 نعماءه أن يفرق في البحر  
 قلما ألجئه الفرق ناوله  
 جبريل عليه السلام  
 خطه فرقه

( حتى إذا أدركه ) ألجئه

( الفرق قال آمنت أنه لا إله الا الذي آمنت به بنو إسرائيل ) موسى وأصحابه ( وأنا من المسلمين ) مع المسلمين ( وقال )

على دينهم فقال له جبريل ( الآن ) أن تؤمن بعد الفرق ( وقد عصيت ) كفرت بالله ( قبل ) أي من قبل الفرق ( وكنت من المفسدين )  
 في أرض مصر بالقتل والشرك والدناء الى غير عبادة الله

وقال حديث حسن • وفي رواية أخرى عنه عن عدي بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر أن جبريل عليه السلام جعل يدس في فرعون الطين خشية أن يقول لا إله إلا الله فيرجه الله أو خشية أن يرجه الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

﴿ فصل في الكلام على هذا الحديث لأنه في الظاهر مشكل ﴾

### ﴿ فيحتاج الى بيان وايضاح ﴾

فنقول قد ورد هذا الحديث على طريقين مختلفين عن ابن عباس في الطريق الاول عن ابن زيد بن جده عن وهو وان كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فإنه كان شيخاً نبيلاً صدوقاً ولكنه كان سيئ الحفظ ويغلط وقد احتمل الناس حديثه وانما يخشى من حديثه اذا لم يتابع عليه أو خالفه فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث لان في الطريق الآخر شعبة عن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد على شرط البخاري ورواه أيضاً شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة قد أخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فانما يخاف منه ما انفرد به أو خولف فيه وكلاهما منتف فقد علم بهذا ان لهذا الحديث أصلاً وان رواه ثقات ليس فيهم متهم وان كان فيهم من هوسى الحفظ فقد تابعه عليه غيره فان قلت ففي الحديث الثاني شك في رفعه لانه قال فيه ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت ليس بشك في رفعه انما هو جزم بان أحد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطاء بن السائب وعدي بن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه أحدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث وهو قوله من حال البحر أي من طين البحر كما في الرواية الاخرى

### ﴿ فصل ﴾

ووجه اشكاله ما اعترض به الامام فخر الدين الرازي في تفسيره فقال هل يصح أن جبريل أخذ عملاً فنه بالطين لئلا يتوب غضباً عليه والجواب الاقرب أنه لا يصح لان في تلك الحالة اما ان يقال التكليف هل كان ثابتاً أم لا فان كان ثابتاً لا يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يبينه على التوبة وعلى كل طاعة وان كان التكليف زائلاً عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة وأيضاً لو منعه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر وأيضاً فكيف يليق بجلال الله ان يأمر جبريل بان يمنعه من الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا يأمر الله فهذا يبطله قول جبريل وما ننزل الا بأمر ربك فهذا وجه الاشكال الذي أورده الامام على هذا الحديث في كلام أكثر من هذه والجواب عن هذا الاعتراض ان الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد وأما قول الامام ان التكليف هل كان ثابتاً في تلك الحالة أم لا فان كان ثابتاً لم يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة فان هذا القول لا يستقيم على اصل



المثبتين للقادر القائلين بخلق الافعال لله وان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهذا قول أهل السنة المثبتين للقادر قائلين يقولون ان الله يحول بين الكافر والايمان ويدل على ذلك قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وقوله تعالى وقالوا قلوا بنا قلب بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة فاشهد الله سبحانه وتعالى انه قلب أفئدتهم مثل تركهم الايمان به أول مرة وهكذا فعل بفرعون منعه من الايمان عند الموت جزاء على تركه الايمان او لا قدس الطين في فم فرعون من جنس الطين وانتم على القلب ومنع الايمان وصون الكافر عنه وذلك جزاء على كفره السابق وهذا قول طائفة من المثبتين للقادر القائلين بخلق الافعال لله ومن المنكرين خلق الافعال من اعترف أيضا ان الله سبحانه وتعالى يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق فيصن منعا ان يصله ويطيع على قلبه ويعتبه من الايمان فاما قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فانها من هذا الباب فان غاية ما يقال في ان الله سبحانه وتعالى منع فرعون من الايمان وحال ينده ويده عقوبة له على كفره السابق ورده للايمان لما جاءه وأما قبل جبريل من دس الطين في فيه فانما قبل ذلك بأمر الله لا من تلقاء نفسه فاما قول الامام لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه أن يمنعه عليها وعلى كل طائفة هذا اذا كان تكليف جبريل كتكليفنا يجب عليه ما يجب علينا وأما اذا كان جبريل انما يفعل ما أمره الله به والله سبحانه وتعالى هو الذي منع فرعون من الايمان وجبريل منفذ لأمر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة وكيف يجب عليه اطاعة من لم يمنعه الله بل قد حكم عليه وأخبر عنه أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الا لم حين لا ينفعه الايمان وقد يقال ان جبريل عليه السلام اما أن يتصرف بأمر الله فلا يفعل الا ما أمر الله به واما ان يفعل ما يشاء من تلقاء نفسه لا بأمر الله وعلى هذين التقديرين فلا يجب عليه اطاعة فرعون على التسوية ولا يحرم عليه منعه منها لانه انما يجب عليه فعل ما أمر به ويحرم عليه فعل ما نهى عنه والله سبحانه وتعالى لم يخبر انه أمره باطاعة فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملائكة مكلفين كتكليفنا وقوله وان كان التكليف زائلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة \* فجوابه أن يقال ان الناس في تعليل أفعال الله قولين أحدهما أن أفعاله لا تطل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السؤال أصلا وقد زال الاشكال والقول الثاني ان أفعاله تبارك وتعالى لها غاية بحسب المصالح لاجلها فاعمالها وكذا أوامره ونواهيها لها غاية محبوبة لاجلها أوامرها ونهي عنها وعلى هذا التقدير قد يقال لما قال فرعون آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وقد علم جبريل انه من حقت عليه كلمة العذاب وان ايمانه لا ينفعه دس الطين في فيه لتحقيق ما يبتغى للموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة له وانه وان كان قالها في وقت لا ينفعه فدس الطين في فيه تحقيقا لهذا المنع والقائلة فيه تعجيل ما قد قضى عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث لا يبقى للرجة فيه منفذ ولا يبقى من عمره زمن يتسع للايمان فان موسى عليه السلام لما دأربه بان فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الا لم والايمان عند رؤية العذاب غير نافع أجاب الله دعاءه فلما قال فرعون تلك الكلمة عند ماينة الفرق استجلب جبريل قدس الطين

( قالوم نحيك ) نلقىك  
 بنجوة من الارض قوما  
 الماء الى الساحل كأنه نور  
 ( بيدتك ) في موضع الحال  
 أي في الحال التي لاروح فيك  
 وانما أنت بدن أو بيدتك  
 كاملا سويا لم يقص منه  
 شيء ولم يتغيرا وعرياً نالت  
 الابدان من غير لباس أو  
 بدرك وكانت له درع من  
 ذهب يرف بها قرأ أبو حنيفة  
 رضي الله عنه بأبدانك وهو  
 مثل قولهم هو بأجرأمة أي  
 بيدتك كله وأما بأجزائه  
 أو بدرك لانه ظاهر  
 بينها ( لتكون لمن خلفك  
 آية ) لمن وراءك من الناس  
 علامة وهم بنو اسرائيل  
 وكان في أنفسهم ان فرعون  
 أعظم شأنا من ان يفرق وقيل  
 أخبرهم موسى بهلاكه  
 فلم يصدقوه فلقاه الله على  
 الساحل حتى ما ينوه وقيل  
 لمن خلفك لمن يأتي بعدك  
 من القرون ومعنى كونه آية  
 أن يظهر للناس عبوديته وانما  
 كان يدعيه من الربوبية محال  
 ( قالوم نحيك بيدتك )  
 نلقىك على النجاة بدرك  
 ( لتكون ) لكي تكون  
 ( لمن خلفك ) من الكفار  
 ( آية ) عبرة لكي لا يقتدوا  
 بعقالتك ويعلموا

( قالوم نحيك ) نلقىك عما وقع فيه قومك من قهر البحر ونجيتك طافيا أو تلقىك على  
 نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل . وقرأ يعقوب نحيك من انجي . وقرئ نحيك  
 بالحاء أي تلقىك بناحية الساحل . بيدتك في موضع الحال أي بيدتك عارية عن  
 الروح أو كاملا سويا أو عرياً من غير لباس أو بدرك وكانت له درع من ذهب يرف  
 بها وقرئ بأبدانك أي بأجزاء البدن كلها كقولهم هو بأجرأمة أو بدرك كأنه كان مظاهرا  
 بينها . لتكون لمن خلفك آية . لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم

في فيه لباس من الحياة ولا تنفعه تلك الكلمة وتحقق اجابة الدعوة التي وعد الله موسى  
 بقوله قد أجيت دعوتكما فيكون سعي جبريل في تكميل ما سبق في حكم الله أنه يفعل فيكون  
 سعي جبريل في سرناة الله سبحانه وتعالى منفذا لما أمر به وقدره وقضاء على فرعون وأما  
 قوله لومنع من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر فجبوا به ما تقدم  
 من ان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وجبريل انما يتصرف بأمر الله ولا يفضل الا ما  
 أمره الله به واذا كان جبريل قد فعل ما أمره الله به ونفذه فانما رضى بالامر لا بالامر به  
 فأى كفر يكون هنا وأيضا فان الرضا بالكفر انما يكون كفرا في حقنا لاننا مأمورون بأمره  
 بحسب الامكان فاذا أقررنا الكافر على كفره ورسينا به كان كفرا في حقنا لما قلنا ما أمرنا به  
 وأما من ليس مأمورا كما مرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل يفعل ما يأمر به ربه فانه اذا قلنا  
 أمر به لم يكن راضيا بالكفر ولا يكون كفرا في حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل لما  
 دس الطين في في فرعون كان ساخطا لكفره غير راض به والله سبحانه وتعالى خالق أفعال  
 العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر فقاية أمر جبريل مع فرعون أن يكون منفذا لقضاء  
 الله وقدره في فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بجلال الله ان  
 يأمر جبريل بان ينع من الايمان فجبوا به ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما  
 يفعل وأما قوله وان قيل ان جبريل انما فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله فجبوا به انه انما  
 فعل ذلك بأمر الله منفذا لأمر الله والله أعلم بمراده وأسرار كتابه قوله سبحانه وتعالى  
 ( قالوم نحيك بيدتك ) أي تلقىك على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع قال اهل  
 التفسير لما أغرق الله سبحانه وتعالى فرعون وقومه وأخبر موسى قومه بهلاك فرعون  
 وقومه فقالت بنو اسرائيل مامات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل في  
 قلوبهم من الرعب لاجله فأمر الله عز وجل البحر فألقى فرعون على الساحل أحجر قصيرا  
 كأنه ثور فرآه بنو اسرائيل فرفوه فن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا ومعنى قوله  
 بيدتك يعني تلقىك وأنت جسد لاروح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزاء  
 كأنه قيل له نحيك ولكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل أراد بالبدن الدرع  
 وكان لفرعون درع من ذهب مرصع بالجواهر يعرف به فلما رآه في درعه ذلك عرفوه  
 ( لتكون لمن خلفك آية ) معنى عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت  
 أبدا فأنظر الله لهم حتى يشاهدوه وهو ميت لتزول الشبهة من قلوبهم ويعتبروا به لانه كان

من عظمتته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بفرقه الى ان ما ينوهم مطروحا على عمرهم من الساحل أولم يأتى بعدك من القرون اذا سمعوا ما لك اسرك ممن شاهدك عبدة وثكالا عن الطغيان أو حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشأن وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرى لمن خلقت أى خلقتك آية كسائر الآيات فان اقراده إليك باللقاء الى الساحل دليل على انه تعبد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة فى امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور ﴿ وان كثيرا من الناس عن آياتنا لناقلون ﴾ لا يتفكرون فيها ولا يتدبرونها ﴿ ولقد بوأنا ﴾ انزلنا ﴿ بنى اسرائيل مبوأ صدق ﴾ منزلا صالحا مرصيا وهو الشام ومصر ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ من اللذائذ ﴿ فاختلفوا ﴾ حتى جاءهم العلم ﴿ فاختلفوا فى امر دينهم الامن بعدما قرؤا التوراة وعلموا احكامها أو فى امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الامن بعدما علموا صدقه بنموته وتطاهروا بمجيزاته ﴿ ان ربك

فى غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة والدلة ملقى على الارض لا يباه أحد ﴾ وان كثيرا من الناس عن آياتنا لناقلون ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق ﴿ يعنى أسكنناهم مكان صدق وأنزلناهم منزل صدق بعد خروجه من البحر وغرق عدوهم فرعون والمعنى أنزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان مادة الرب اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشئ اذا كان كاملا صالحا لا بد ان يصدق الظن فيه وفى المراد بالمكان الذى بوؤا قولان أحدهما انه مصر فيكون المراد ان الله أورث بنى اسرائيل جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثانى انه أرض الشام والقدس والاردن لانها يلاذ الخصب والخير والبركة ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ يعنى تلك المنافع والخيرات التى رزقهم الله تعالى ﴿ فاختلفوا حتى جاءهم العلم ﴾ يعنى فاختلف هؤلاء الذين فعلناهم هذا الفعل من بنى اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به طامنين وذلك انهم كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به بحججهم على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبدة الله بن سلام وأصحابه وكفر به بعضهم بنى وحسدوا فعلى هذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فاختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذى كانوا يملونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سمى علما لانه سبب العلم وتسمية السبب بالمسبب مجاز مشهور وفى كون القرآن سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بعصية محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونمته ويفترون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه بغياد وحسدا واشار اليه بالبقاء الرياسة لهم فآمن به طائفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثانى أن اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القرآن فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم آمن به طائفة وكفر به آخرون ﴿ وقوله تعالى ﴾ ان ربك

( يعنى )

وانه مع ما كان عليه من عظم الملك ألبأه الى ما ترون لعصيانته ربه فآلظن بغيره ﴿ وان كثيرا من الناس عن آياتنا لناقلون ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق ﴾ منزلا صالحا مرصيا وهو مصر والشام ﴿ ورزقناهم من الطيبات فاختلفوا ﴾ حتى جاءهم العلم أى التوراة وهم اختلفوا فى تأويلها كما اختلف أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى تأويل الآيات من القرآن أو المراد العلم بمحمد عليه السلام واختلاف بنى اسرائيل وهم أهل الكتاب اختلفوا فى صفته انه هو أم ليس هو بعدما جاءهم العلم انه هو ( ان ربك

انك لست بآله ) وان كثيرا من الناس ( يعنى الكفار ) عن آياتنا عن كتابنا ورسولنا ( لناقلون ) لجاحدون ( ولقد بوأنا ) أنزلنا ( بنى اسرائيل مبوأ صدق ) أرضا كريمة أردن وفلسطين ( ورزقناهم من الطيبات ) المن والسلوى والغنائم ( فاختلفوا ) اليهود والنصارى فى محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ( حتى جاءهم العلم ) البيان ما فى كتابهم فى محمد عليه السلام بنمته وصفته ( ان ربك )

يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ﴿ ٢٨٧ ﴾ في الحق من ﴿ سورة يونس ﴾ المبطل ويجزى كلا جزاءه (فان

كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك) لما قدم ذكر بني اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناهم أراد أن يؤكد عليهم بصحة القرآن وبصحة نبوته صلى الله عليه وسلم وبأنه بالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فمرنا وتقدروا وسيل من خالجه شبهة أن يسارع الى حلها بالرجوع الى قوانين الدين وأدلة او بمباحثة العلماء فسل علماء أهل الكتاب فانهم من الا حاطة بصحة ما أنزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الاحبار بالروح في العلم بصحة ما أنزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه

يا محمد (يقضى بينهم) بين اليهود والنصارى (يوم القيمة فيما كانوا فيه) في الدين (يختلفون) يا محمد (في شك مما أنزلنا إليك) مما أنزلنا جبريل به يعني القرآن فاسأل الذين يقرؤون الكتاب

﴿ يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ فميز الحق عن المبطل بالاجزاء والاحكام ﴿ فان كنت في شك مما أنزلنا إليك ﴾ من القصص على سبيل الفرض والتقدير ﴿ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ﴾ فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما ألقينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق يسنى يا محمد ﴿ يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ يسنى من أسرك وأمر نبوتك في الدنيا فيدخل من آمن بك الجنة ومن كفر بك وجهه نبوتك النار قوله سبحانه وتعالى ﴿ فان كنت في شك مما أنزلنا إليك ﴾ الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال التقيض عند الانسان لوجود أمارتين أولهما الامارة والشك ضرب من الجهل وهو أخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شك فاذا قيل فلان شك في هذا الامر فعناء توقع فيه حتى يتبين له فيه الصواب أو خلافه وظاهر هذا الخطاب في قوله فان كنت في شك أنه للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان كنت يا محمد في شك مما أنزلنا اليك يسنى من حقيقة ما أخبرناك به وأنزلناه يعني القرآن ﴿ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ﴾ يعني علماء اهل الكتاب يخبروك أنك مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وأنت نبى يعرفونك بصفتك عندهم وقد توجه ههنا سؤال واعتراض وهو ان يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أنزل عليه أو في نبوته حتى يسأل اهل الكتاب عن ذلك واذا كان شاكاً في نبوة نفسه كان غيره أولى بالشك منه قلت الجواب عن هذا السؤال والاعتراض ما قاله القاضى عياض في كتابه الشفاء فانه أورد هذا السؤال ثم قال احذر ثبوت الله قالك أن يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحى اليه فانه من البشر فقل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جللة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصرى وحكى عن قتادة انه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا تم كلام القاضى عياض رحمه الله ثم اختلفوا في معنى الآية ومن المخاطب بهذا الخطاب على قولين أحدهما ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد به غيره فهو كقوله نحن أشركت لعجبطن عمك ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرك فثبت ان المراد به غيره ومن أمثلة العرب « اياك اعنى واسمى يا جاره » فعلى هذا يكون معنى الآية قل يا محمد يا أيها الانسان الشاك ان كنت في شك مما أنزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل الذين يقرؤون الكتاب يخبروك بصحة هذا التأويل قوله تعالى في آخر هذه السورة قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من دى الآية قين ان المذكور في هذه الآية على سبيل الرمز هو المذكور في تلك الآية على سبيل التصريح وأيضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكاً في نبوته لكان غيراً أولى بالشك في نبوته وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل

يعنى التوراة (من قبلك) عبد الله بن سلام وأصحابه فلم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن بذلك شاكاً انما أراد الله بناقال له قومه

لما فيها أو وصف أهل كتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما نزل اليه أو تهيج الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادة كنيته لا مكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا أشك ولا أسأل وقيل الخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به أمته أو لكل من يسمع أي أن كنت أيها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا إليك وفيه تهيج على أن كل من خالفته شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم ﴿ لقد جاءك الحق من ربك ﴾ واضحا لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ بالترزل عما لك عليه من الجزم واليقين ﴿ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين ﴾ ايضا من باب التهيج والتثيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين

ان الله سبحانه وتعالى علم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فيكون المراد بهذا التهيج فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام يقول لأشك يا رب ولا أسأل أهل الكتاب بل أكتفي بما أنزله على من الدلائل الظاهرة وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فان كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء وهذا وجه حسن لكن فيه بعد وهو أن يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا في هذا الخطاب كان الاعتراض موجودا والسؤال وارد وقيل ان لفظة ان في قوله فان كنت في شك للنفي ومعناه وما أنت في شك بما أنزلنا إليك حتى تسأل فلا تسأل ولئن سألت لأزددت يقيناه والنقول الثاني ان هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله عليه وسلم البتة ووجه هذا القول ان الناس كانوا في زمنه على ثلاث فرق فرقة مصدقون وبه مؤمنون وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون في أمره الشاكون فيه فخطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال تمجد وتعالى فان كنت أيها الانسان في شك بما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما وحد الله الضمير في قوله فان كنت وهو يريد الجمع لانه خطاب لجنس الانسان كما في قوله تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم لم يرد في الآية انسانا بعينه بل أراد الجمع واختلفوا في السؤال عنه في قوله تعالى فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من أهل التفسير هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كمبداء بن سلام وأصحابه لانهم هو الموثوق بأخبارهم وقيل المراد كل أهل الكتاب سواء مؤمنون وكافرون لان المقصود من هذا السؤال الاخبار بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه مكتوب عندهم صقته ونعته فاذا أخبروا بذلك فقد حصل المقصود والاول أصح وقال الضمك يعني أهل التقوى وأهل الايمان من أهل الكتاب ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ لقد جاءك الحق من ربك ﴾ هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بأنك رسول الله حقا وان أهل الكتاب يعلمون صحة ذلك ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ يعني من الشاكين في صحة ما أنزلنا إليك ﴿ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله ﴾ يعني بدلائله وبراهينه الواضحة ﴿ فتكونن من الخاسرين ﴾ يعني الذين خسروا أنفسهم واعلم ان هذا كله

( لقد جاءك الحق من ربك ) أي ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللائحة ان ما أمرك هو الحق الذي لا مجال فيه للشك ( فلا تكونن من الممترين ) الشاكين ولا وقف عليه للمطع ( ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين ) أي

( لقد جاءك ) يا محمد الحق من ربك ( يعني جبريل بالقرآن من ربك فيه خبر الاولين ) فلا تكونن من الممترين ( الشاكين ) ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله ورسوله ( فتكونن من الخاسرين ) من المنبوذين بنفسك

فأبنت ودم على ما كنت عليه من اعتناء امرئ عنت والتعذيب بإيات الله أو هو على طريقه السميع والالهاب ~~منهم~~  
 فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام  
 عند نزوله لأشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق أو خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أي وإن كنتم في شك  
 مما أنزلنا إليكم كقوله وأنزلنا إليكم نورا مينا أو الخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب إذا عزا أخوك فنهى  
 أو أن للنبي أي فما كنت في شك فسل أي ولا تأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد إبراهيم عليه السلام  
 بمعاينة أحياء الموتى فان قلت انما ﴿ ٢٨٩ ﴾ يجيء أن للنبي { سورة يونس } إذا كان بعده الا كقوله

﴿ أن الذين حققت عليهم ﴾ ثبتت عليهم ﴿ كلمت ربك ﴾ بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون  
 في العذاب ﴿ لا يؤمنون ﴾ إذ لا يكذب كلامه ولا ينقض قضاؤه ﴿ ولوجاءتهم ﴾  
 كل آية ﴿ فان السبب الاسلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى به موقود ﴾ ﴿ حتى يروا ﴾  
 العذاب الاليم ﴿ وحينئذ لا ينفعهم كالا ينفع فرعون ﴾ ﴿ فلو لا كانت قرية آمنت ﴾ ﴿  
 فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم يؤخر اليها  
 كما أخر فرعون ﴾ فنفعها ايمانها ﴿ بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها ﴾ الا قوم  
 يونس ﴿ لكن قوم يونس عليه السلام ﴾ ﴿ لما آمنوا ﴾ ﴿ اول مارأوا أماراة العذاب  
 ولم يؤخروه الى حلوله ﴾ كشفنا عنهم عذاب الحزى في الحياة الدنيا ﴿ ويجوز

على ما تقدم من أن ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ممن عنده  
 شك وارتباب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بإيات الله  
 ثبت بهذا ان المراد به غيره والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ أن الذين حققت عليهم ﴾  
 يعني وجبت عليهم ﴿ كلمت ربك ﴾ يعني حكم ربك وهو قوله سبحانه وتعالى خلقت  
 هؤلاء للار ولا أبالي وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ما قدره عليهم  
 وقضاء في الازل ﴿ لا يؤمنون ولوجاءتهم كل آية ﴾ فانهم لا يؤمنون بها ﴿ حتى يروا ﴾  
 العذاب الاليم ﴿ فحينئذ لا ينفعهم الايمان لان الله سبحانه وتعالى قد حكم عليهم وصرفهم  
 عن الايمان فلا ينفعهم شيء ﴾ ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ فلو لا ﴾ يعني فهلا ﴿ كانت ﴾  
 قرية ﴿ وقيل معناه لما كانت قرية وقيل لم تكن قرية لان في الاستفهام معنى الحجة  
 والمراد هل كانت قرية ﴿ آمنت ﴾ يعني عند معاينة العذاب ﴿ فنفعها ايمانها ﴾ يعني  
 في حال اليأس ﴿ الا قوم يونس ﴾ هذا استثناء منقطع يعني لكن قوم يونس فانهم  
 آمنوا فنفعهم ايمانهم في ذلك الوقت وهو قوله ﴿ لما آمنوا ﴾ يعني لما أخلصوا الايمان  
 ﴿ كشفنا عنهم عذاب الحزى في الحياة الدنيا

أن أخذ مجتفه (فنفهها إيمانها) بأن تقبل الله (قا و خا ٣٧ لث) إيمانها منها بوقوعه في وقت الاختيار (الا قوم يونس)  
 استثناء منقطع أي ولكن قوم يونس أو متصل والجملة في معنى النبي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى المهلكة الا قوم  
 يونس وانصابه على أصل الاستثناء (لما آمنوا) كشفنا عنهم عذاب الحزى في الحياة الدنيا

(أن الذين حققت) وجبت (عليهم كلمت ربك) بالعذاب (لا و ر) في علم الآت (واو ح) هم تل أبذ) طابوا سك غلا و نموا (حتى  
 يروا العذاب الاليم) يوم بدر يوم أحد يوم حزا . (لو لا كانت) (تربة آمنت) هل تربة آمنت عند نزول العذاب  
 (فنفهها إيمانها) بقول لم ينفع إيمانهم عند نزول العذاب (الا قوم يونس) شع إيمانهم (لما آمنوا) سين أنرا (كشفنا) مرة (لهم عذاب  
 الحزى) الشديد (في الحياة الدنيا

ان تكون الجملة في معنى النفي تضمن حرف التخييض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهلها كما أنه قال ما آمن اهل قرية من القرى الماصية ففهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرقع على البدل **و** ومتعناهم الى حين **ك** الى آجالهم روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى ثلاثين وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اظامت السماء غيما سودا داخنا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فابتغوا صدقه

ومتعناهم الى حين **ك** يعني الى وقت انقضاء آجالهم واختلفوا في قوم يونس هل رأوا العذاب عيانا أم لا فقال بعضهم رأوا دليل العذاب فآمنوا وقال الاكثرون انهم رأوا العذاب عيانا بديل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون الا بعد الوقوع أو اذا قرب وقوعه

ذكر القصة في ذلك على ما ذكره عبدالله بن مسعود وسعيد

ابن جبير ووهب وغيرهم

قالوا ان قوم يونس كانوا بقرية نينوى من أرض الموصل وكانوا اهل كفر وشرك فارسل الله سبحانه وتعالى اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فابوا عليه فقبل له اخبرهم ان العذاب مصيبتهم الى ثلاث فاصبرهم بذلك فقالوا انالم نجرب عليه كذبا قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشئ وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصيبتكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا تنشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم قال ابن عباس ان العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشف الله عنهم ذلك وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشى قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر وقال وهب فامت السماء غيما أسودا هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس عليه السلام فلم يجدوه فخذف الله سبحانه وتعالى في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحراء بأنفسهم ولبسوا الدواب ولبسوا المسوح وأظهروا الاسلام والتوبة وفرقوا بين كل والدته وولدها من الناس والدواب فمن البعض الى البعض فمن الاولاد الى الامهات والامهات الى الاولاد وعلت الاصوات وعجوا جميعا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا آمنا بما جاء به يونس وتابوا الى الله واخلصوا النية فرجهم بهم فاستجاب دعاهم وكشف عنهم ما نزل بهم من العذاب بعدما أظلمهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل ليأتى الى الحمر وقد وضع أساس بنيانه عليه فيقلعه فبرده وروى الطبري بسنده عن أبي الجبل خيلا قال لما غشى قوم يونس العذاب شوال الى شيخ من بقة علمائهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فأتى قولوا يا حي حين لا حي يا حي حي الموتى ويا حي لا اله الا أنت فقالوا لها فكشف

ومتعناهم الى حين ) الى آجالهم روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض موصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما قدسوا خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح كلهم وعجبوا أربعين ليلة وبرزوا الى الصيد بأنفسهم ولبسوا وصياتهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان والدواب وأولادها فمن بعضهم الى بعض وأظهروا الايمان والتوبة فرجهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقطع الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيرده وقل خرجوا لما نزل بهم العذاب الى شيخ من بقة علمائهم فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي حي الموتى ويا حي لا اله الا أنت فقالوا لها فكشف الله عنهم وعن الفضيل قدس الله روحه قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افضل بنا ما أنت أهله ولا تقبل بنا ما نحن أهله ومتعناهم الى حين ) تركناهم بلا عذاب الى حين الموت

(ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم) ﴿٢٩١﴾ على وجه { سورة يونس } الاحاطة والشعول (جميعا)

مجتبئين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه أخبر عن كمال قدرته ونفوذه مشيئة انه لو شاء لآمن من في الارض كلهم ولكنه شاء ان يؤمن به من علم منه اختيار الايمان به وشاء الكفر عن علم انه يختار الكفر ولا يؤمن به وقول المعتزلة المراد بالمشيئة مشيئة القدر والالهاء أي لو خلق فيهم الايمان جبرا لآمنوا لكن قد شاء ان يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا دليله (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) أي ليس اليك مشيئة الاكراه والجبر في الايمان انما ذلك الى فاسد لان الايمان فعل العبد وفعله ما يحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار وتأويله عندنا ان الله تعالى لطفوا أعطاهم لآمنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم انهم لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق والاستفهام في أمأنت بمعنى النفي أي لا أعلم أنت يا محمد أن تكرههم على الايمان لانه يكون بالتصديق والاقرار ولا يمكن الاكراه على التصديق (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله

قلبوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فخن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والصبح واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله تعالى فرجعهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجملة ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم﴾ بحيث لا يشذ منهم احد ﴿وجيما﴾ مجتبيين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدسية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجبين فان من شاء ايمانه يؤمن لاحالة والتقيد بمشيئة الاجزاء خلاف الظاهر ﴿أفأنت تكره الناس﴾ بما لم يشأ الله منهم ﴿حتى يكونوا مؤمنين﴾ وترتيب الاكراه على المشيئة بالغاء وايلائها حرف الاستفهام للارتداد وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة متحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله ﴿وما كان لنفس أن تؤمن﴾ بالله ﴿الا باذن الله﴾ الا بإرادته والطفانه

وقال الفضيل بن عياض انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله قال وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيئا فهيل له ارجع الى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدوني كذبا او كان من كذب ولا بينة له قتل فانصرف عنهم فاصابا فالتقى الموت واستأى القصة في سورة واصافات ان شاء الله تعالى فان قلت كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعدما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين آمن ولم يقبل توبته قلت أحباب العلماء عن هذا اجوبة ما أحدها ان ذلك كان خاصا بقوم يونس والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الجواب الثاني ان فرعون ما آمن الا بعد ما باشر العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وقوم يونس دنا منهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمرضى يخاف الموت ويرجو العافية الجواب الثالث ان الله عز وجل علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون فانه ما صدق في ايمانه ولا أخلص لم يقبل منه ايمانه والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جيما﴾ يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء ربك يا محمد لآمن بك وصدقك من في الارض كلهم جيما ولكن لم يشأ ان يصدقك ويؤمن بك الا من سبقت له السعادة في الازل قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص ان يؤمن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله عز وجل انه لا يؤمن به الا من سبقت له من الله السعادة في الذكر الاول ولم يضل الا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الاول وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان حريصا على ايمانهم كلهم فاخبره الله انه لا يؤمن به الا من سبقت له العتبة الازلية فلا تنعب نفسك على ايمانهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ يعني ليس ايمانهم اليك حتى تكرههم عليه أو تحرص عليه انما ايمان المؤمن واضلال الكافر بمشيتنا وقضائنا وقد رنا ليس ذلك لاحد سوانا ﴿وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله﴾ يعني وما كان ينبغي لنفس خلقها الله تعالى أن

(ولو شاء ربك) يا محمد

(لآمن من في الارض كلهم)

(جميعا) جميع الكفار (أفأنت تكره الناس) يحجر الناس (حتى يكونوا مؤمنين) وما كان لنفس (كافرة) (أن تؤمن) بالله (الا باذن الله)



عشيته أو بقضائه أو بتوفيقه أو تسهيله أو بعله ( ويجعل الرجس ) أى ألبس ألبس أو السخط أو الشيطان أى ويسلط الشيطان (على الذين لا يعقلون) لا يتفهمون { الجزء الحادى عشر } بقولهم ويجعل حمل ٢٩٢ جاد ويحيى (قل انظروا) طرا استدلال

وتوفيقه فلا تجهد نفسك فى هداها فانه الى الله ﴿ ويجعل الرجس ﴾ العذاب أو الخذلان فانه سيده وقرى بالراء وقرأ ابوبكر ويجعل بالنون ﴿ على الذين لا يعقلون ﴾ لا يستعملون عقولهم بالنظر فى الحسب والآيات أو لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله ﴿ قل انظروا ﴾ أى تفكروا ﴿ ما ذا فى السموات والارض ﴾ من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وما ذا ان جعلت استفهامية علق انظروا عن العمل ﴿ وما تنفى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ فى علم الله وحكمه وما نافية أو استفهامية فى موضع النصب ﴿ فهل ينظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبهم ﴾ مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يتحققون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها ﴿ قل فانظروا انى مسكم من المنتظرين ﴾ لذلك أو فانظروا هلاكى انى مسكم من المنتظرين هلاككم ﴿ ثم نبهى رسلنا

واعتبار ( ماذا فى السموات والارض ) من الآيات والمبذ باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار ( وما تنفى الآيات ) ما نافية ( والنذر ) والرسائل المنذرون أو الانذارات ( عن قوم لا يؤمنون ) لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون ( فهل ينظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم ) يعنى وهاهنا الله فيهم كما قال أبام العرب لوقائعها ( قل فانظروا انى مسكم من المنتظرين ثم نبهى رسلا ) معافوف على كلام محذوف يدل عليه الامثلة أمام الذين خلوا من قبلهم كأنه قل خلك الامم ثم نبهى رسلنا على حكاية

تؤمن وتصديق الا بقضاء الله لها بالايمان فان هدايتها الى الله وهو الهادى المفضل وقال ابن عباس معنى باذن الله بإمر الله وقال عطاء بعشيثة الله ﴿ قوله تعالى ﴾ ويجعل ﴿ الرجس ﴾ يعنى العذاب وقال ابن عباس يعنى السخط ﴿ على الذين لا يعقلون ﴾ يعنى لا يفهمون عن الله أمره ونهيه ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل انظروا ﴿ أى قل يا محمد أهؤلاء المشركين الذين يسألونك الآيات انظروا يعنى انظروا باقوا بكم نظرا اعتبارا وفكرا وتدبرا ﴿ ما ذا فى السموات والارض ﴾ يعنى ماذا خالق الله فى السموات والارض من الآيات الدالة على وحدانيته فى السموات السمس والقمر وهما دليلان على النهار والليل والنجوم سخرها طاعة وغاربه وانزال المطر من السماء وفى الارض الجبال والبحار والمعادن والانهار والاشجار والنبات كل ذلك آية دالة على وحدانية الله تعالى وانه خالقها كما قال الشاعر وفى كل مائة آية تدل انه واحد

بارادة الله وتوفيقه ( ويجعل الرجس ) بتول الكذب ( على الذين ) فى لوب الذين ( لا يعقلون ) توسيد استنزات هذه الآية فى شأن أب طالب حرص النبي صلى الله عليه وسلم على ايمانه ولم يرد الله أن يؤمن ( قل ) لهم يا محمد ( انظروا ماذا فى السموات ) من الشمس والقمر والنجوم والارض

﴿ وما تنفى الآيات والنذر ﴾ يعنى الرسل ﴿ عن قوم لا يؤمنون ﴾ وهذا فى حق أمة من علم الله انهم لا يؤمنون لما سبق ام و الازل من السقاء ﴿ فهل ينظرون ﴾ يعنى يعنى مشركى ما ﴿ الا ان أبام الذين خلوا من قبهم ﴾ يعنى من مضى من قبهم من الامم السافرة المكذبة للرسل ناسا وعدة يعنى وقع الله فى قوم نوح وعاد وثمود والعرب سمي العذاب أيا ما والنعم أيا ما كغوله تعالى وذكرهم بايام الله والمعنى فهل ينظرون هؤلاء المشركون من قومك يا محمد الا يوما يمايئون فيه العذاب مثل ما حاما بالامم السالفة المكذبة أهلكتهم جيا فان كانوا ينظرون ذلك العذاب ﴿ قل فانظروا ﴾ يعنى بل ايام يا محمد فانظروا العذاب ﴿ انى مسكم من المنتظرين ﴾ يعنى هلاككم قال الربيع بن أنس خوفا من عذابه ونقمته ثم أخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم أنبى الله رسله والذين آمنوا بهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى ﴿ ثم نبهى رسلنا

هذه الارض من الشجر وادوار الجبال والبحار كلها آية لكم ثم قال ( وما تنفى الآيات والنذر ) الرسل ( عن قوم ) ( لا يؤمنون ) فى علم الله ( فهل ينظرون ) ( الا مثل ايام الذين خلوا ) عذاب الذين مضوا ( من قبلهم ) من الكفار ( قل يا محمد ) انظروا ( انى مسكم من المنتظرين ) انى يهلككم وبهلاكم ( ثم نبهى رسلنا

الاحوال الماضية (والذين آمنوا) ومن ﴿٢٩٣﴾ آمن معهم ﴿سورة نولس﴾ (كذلك حقا علينا نبئى

المؤمنين) أى مثل ذلك الانجاء نبئى المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض أى وحق ذلك علينا حقا نبئى بالتخفيف على وحقق (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (ان كنتم فى شك من دىنى) وصحته وسداده فهذا دىنى فاستمعوا وصفته وصف دينه فقال (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) أى الاصنام (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) يمنكم وصفه بالتوفى لبرهم انه الحقيقى بان يخاف ويتقرب ويبعدون ما لا تقدر على شئ (وأمرت أن أكون من المؤمنين) أى مان أكون بمعنى ان الله أمرنى بذلك بما ركب فى من العقل وبما أوحى الى

والذين آمنوا) بالرسول بعد هلاك قومهم (كذلك) هكذا (خفا) واجبا علينا نبئى المؤمنين) مع الرسول (قل) يا محمد (يا أيها الناس) يا أهل مكة (ان كنتم فى شك من دىنى) الاسلام (فلا أعبد الذين تعبدون) تدعون (من دون الله) من الاوثان (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) يقبض أرواحكم ثم يحكمكم بعد ان يميتكم (وأمرت أن أكون من المؤمنين)

والذين آمنوا ﴿عظم على محذوف دل عليه الامثلة الذين خلوا كما نه قيل نهلك الامم ثم نبئى رسلنا ومن آمنهم على حكاية الحال الماضية﴾ كذلك حقا علينا نبئى المؤمنين ﴿كذلك الانجاء أو انجاء كذلك نبئى محمد عليه الصلاة والسلام وصعبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونعصبه بصله المقدر وقيل بدل من كذلك وهو قرأ حفص والكسائى نبئى المؤمنين مخففا ﴿قل يا أيها الناس﴾ خطاب لاهل مكة ﴿ان كنتم فى شك من دىنى﴾ وصحته ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم﴾ فهذا خلاصة دىنى اعتقادا وعملا فاعرضوه على العقل والصرف والنظر وافيهما بين الانصاف تعلموا صحتها وهوانى لا أعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن أعبد خالقكم الذى هو يوجدهم ويتوفاكم وانما خص التوفى بالذكر للتهديد ﴿وأمرت ان أكون من المؤمنين﴾ بمادل عليه العقل ونطق به الوحي حذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرود مع ان وان وان يكون من غيره كقوله

والذين آمنوا ﴿يعنى من العذاب والهلاك كذلك﴾ حقا علينا نبئى المؤمنين ﴿بغنى كما أجبنا رسلنا والذين آمنوا منهم من الهلاك كذلك تهيك يا محمد والذين آمنوا معك وعدوك من الهلاك والعذاب﴾ قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب لان تخليص الرسول والمؤمنين من العذاب واجب وأجيب عن هذا بأنه حق واجب من حيث الوعد والحكم لانه واجب بسبب الاستحقاق لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالفه شئاً ﴿قل يا أيها الناس﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اى قل يا محمد اهؤلاء الذين أرسلتك اليهم فشكوا فى أمرى ولم يؤمنوا بك ﴿ان كنتم فى شك من دىنى﴾ يعنى الذى أَدْعُوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم فى أمرى صلى الله عليه وسلم لما رأى الآيات التى كانت تطهر على يدانى صلى الله عليه وسلم فحصل له الاضطراب والشك فقال ان كنتم فى شك من دىنى الذى أَدْعُوكم اليه فلا ينفى لكم أن تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وأنتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكون فيه وانما ينفى لكم أن تشكوا فى عبادتكم لهذه الاصنام التى لا أصل لها البتة فان أسررتهم على ما أنتم عليه ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله﴾ يعنى هذه الاوثان وانما واجب تقديم هذا النبى لان العباداة هى غاية التعظيم للمعبود فلا يليق لا خسر الاشياء وهى الحجارة التى لا تنفع لمن عبدها ولا تضر لمن تركها ولكن يليق العبادة لمن بيده المع والضر وهو قادر على الامانة والاحياء وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم﴾ والحكمة فى وصف الله سبحانه وتعالى فى هذا المقام به انه الصفة أن المراد ان الذى يستحق العبادة فاعبده أنا وأنتم هو الذى خلقكم أولا ولم تكونوا شئاً ثم عيكم فأنبأكم بحكمكم بعد الموت فأنبأكم بذكر الوفاة تنبيه على الباقى وقيل لما كان الموت أشد الاشياء على النفس ذكر فى هذا المقام ليكون أقوى فى الزجر والردع وقيل انهم لما استحلوا بطلب العذاب أجابهم بقوله ولكن أعبد الله الذى هو قادر على احلاككم ونصرى عليكم ﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾ يعنى وأمرنى ربى أن أكون من المصدقين بما جاء من عنده قيل لما ذكر العبادة وهى من أعمال الجوارح

ثم يحكمكم بعد ان يميتكم (وأمرت أن أكون من المؤمنين)

في كتابه (وان أقم وجهك للدين) أي وأوحى الى أن أقم ليشاكل قوله أمرت أي استقم مقبلا بوجهك على ما أمرك الله وأستقم اليه : لا تلتفت يمينا ولا شمالا {الجزء الحادي عشر} (حنيفا) حال ﴿٢٩٤﴾ من الدين والوجه (ولا تكونن من

المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك) ان دعوتك (ولا يضرك) ان خذلته (فان فعلت) فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكفى عنه بالفعل ايحازا (فانك اذا من الظالمين) اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبة الهداء ﴿وان يحسبك الله بضر﴾ وان يصيبك به ﴿فلا كاشف له﴾ يدفعه ﴿الاهو﴾ الا الله ﴿وان يردك بخير فلا راد﴾ فلا دافع ﴿لفضله﴾ الذي ارادك به وله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما سهم بالاقصد الاول ووضع الفضل موضع الصير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لاستحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده ﴿يصيب به﴾ بالخير ﴿من يشاء من عباده

اتبعها بذكر الايمان لانه من اعمال القلوب ﴿وان أقم وجهك للدين حنيفا﴾ الواو في قوله وان أقم واو عطف معناه وأمرت ان أقيم وجهي يعني أقم نفسك على دين الاسلام حنيفا في مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين آخر وقيل معناه أقم علك على الدين الحنفي وقيل أراد بقوله وان أقم وجهك للدين صرف نفسه بكيته الى طلب الدين الحنفي غير مائل عنه ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ يعني ولا تكونن من يشرك في عبادة به غيره فيهلك وقيل ان انتهى عن عبادة الاوثان قد تقدم في الآية المتقدمة فوجب حل هذا انتهى على معنى زائد وهو ان من عرف الله عز وجل وعرف جميع أسمائه وصفاته وانه المستحق للعبادة لا غيره فلا ينبغي له أن ياتفت الى غيره بالكلية وهذا هو الذي تسميه أصحاب القلوب بالشرك الحقي ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك﴾ يعني ان عبادة ودعوتك ﴿ولا يضرك﴾ يعني ان تركت عبادة ﴿فان فعلت﴾ يعني ما نهيتك عنه فعدت غيري أو طلبت الفسح ودفع الضر من غيري ﴿فانك اذا من الظالمين﴾ يعني لنفسك لانك وضعت العبادة في غير موضعها وهذا الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيئا لانه فيكون المعنى ولا تدع أما الانسان من دون الله ما لا ينفعك الآية ﴿قوله تعالى﴾ ﴿وان يحسبك الله بضر﴾ يعني وان يصيبك الله بشدة وبلاء ﴿فلا كاشف له﴾ يعني لذلك الضر الذي أنزله بك ﴿الاهو﴾ يعني لا غيره ﴿وان يردك بخير﴾ يعني بسعة ورخاء ﴿فلا راد لفضله﴾ يعني فلا دافع لرزقه ﴿يصيب به﴾ يعني بكل واحد من الضر والخير ﴿من يشاء من عباده﴾ قيل انه سبحانه وتعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على نفع ولا ضر بين تعالى

المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك) ان دعوتك (ولا يضرك) ان خذلته (فان فعلت) فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكفى عنه بالفعل ايحازا (فانك اذا من الظالمين) اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبة الهداء ﴿وان يحسبك الله بضر﴾ وان يصيبك به ﴿فلا كاشف له﴾ يدفعه ﴿الاهو﴾ الا الله ﴿وان يردك بخير فلا راد﴾ فلا دافع ﴿لفضله﴾ الذي ارادك به وله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما سهم بالاقصد الاول ووضع الفضل موضع الصير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لاستحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده ﴿يصيب به﴾ بالخير ﴿من يشاء من عباده

لنفسك (وان يحسبك) يصيبك (الله بضر) بشدة وأمرت كرهه (فلا كاشف له) فلا راد للضر (الاهو) انه (وان يردك) يصيبك (بخير) بنعمة وأمرت سر به (فلا راد لفضله) لا مانع لمعطيته (يصيب به) يخص بالفضل (من يشاء من عباده) من

الا عليه (وهو الغفور) المكفر بالبلاء (الرحيم) المظفي بالمطاء اتبع النبي عن عبادة الاوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر وان الله هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجناد الذي لا شعور به وكذا أرادك بخير لم يرد أحد ما يريدك من الفضل والاحسان فكيف بالاثان وهو الحقيق اذ بان توجهه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان أرادني الله بضر هل من كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل من ممسكات رحمته وانما ذكر المس في أحدهما والارادة في الآخر كانه ﴿ ٢٩٥ ﴾ أراد ان يذكر { سورة يونس } الا من ارادة والاصابة

في كل واحد من الضر والخير وانه لا اراد لما يريد منهما ولا عزيل لما يصيب به منهما فلو جز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في أحدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (قد جاءكم الحق) القرآن أو الرسول (من ربكم فمن اهتدى) اختار الهدى واتبع الحق (فانما يهتدى لنفسه) فانه نفع باختياره الانفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) ومن أثر الضلال فاضر الانفسه ودل اللام وعلى على معنى النفع والضرر (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ موكل الى أمركم انما أنا بشير ونذير (واتبع ما يوحى اليك واصبر) على تكذيبهم وايدائهم (حق يحكم الله)

وهو الغفور الرحيم ﴿ فمعرضوا لرحمة بالطاعة ولا تياسوا من غفرانه بالمصيبة ﴾ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ﴿ رسوله والقرآن ولم يبق لكم عذر ﴾ فمن اهتدى ﴿ بالايمن والاتباع ﴾ فانما يهتدى لنفسه ﴿ لان نفعه لها ﴾ ومن ضل ﴿ بالكفر ﴾ فانما يضل عليها ﴿ لان وبال الضلال عليها ﴾ وما أنا عليكم بوكيل ﴿ بحفيظ موكل الى أمركم وانما أنا بشير ونذير ﴾ واتبع ما يوحى اليك ﴿ بالامثال والتبليغ ﴾ واصبر ﴿ على دعوتهم وتحمل اذيتهم ﴾ ﴿ حق يحكم الله ﴾ بالنصرة أو بالامر بالقتال ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لا ملاحه على السراير اطلعه على الظواهر ﴿ عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

انه هو القادر على ذلك كله وان جميع الكائنات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه لانه هو القادر على كل شيء وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى ختم الآية بقوله ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ وفي الآية لطيفة أخرى وهي ان الله سبحانه وتعالى رجح جانب الخير على جانب الشر وذلك أنه تعالى لما ذكر اساس الضربين انه لا يكشف له الا هو وذلك يدل على انه سبحانه وتعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء من التثني اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا اراد لفضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر أحد على ردها لانه هو الذي يفيض جميع الخيرات على عباده وعنده بقوله وهو الغفور يعني السائر لدنوب عباده الرحيم يعني بهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ﴿ يعني القرآن والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله عز وجل ﴿ فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ﴾ لان نفع ذلك يرجع اليه ﴿ ومن ضل فانما يضل عليها ﴾ أي على نفسه لان وباله راجع اليه فمن حكم الله له بالاهتداء في الازل انتفع ومن حكم عليه بالضلال ضل ولم ينفع بشيء أبدا ﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴾ يعني وأما أنا عليكم بحفيظ أحفظ عليكم أعمالكم قال ابن عباس هذه الآية منسوخة بآية السيف ﴿ واتبع ما يوحى اليك ﴾ يعني الامر الذي يوحى الله اليك يا محمد ﴿ واصبر ﴾ يعني على أذى من خالفك من كفار مكة وهم قومك ﴿ حق يحكم الله ﴾ يعني ينصرك عليهم باظهار دينك ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ يعني انه سبحانه وتعالى حكم بنصر نبيه

لك بالنصرة عليهم والقلبة (وهو خير الحاكمين) لانه المطلع على السرائر فلا يحتاج الى بينة وشهود

كان أهلا لذلك (وهو الغفور) المتجاوز لمن تاب (الرحيم) لمسات على التوبة (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (قد جاءكم الحق) الكتاب والرسول (من ربكم فمن اهتدى) بالكتاب والرسول (فانما يهتدى لنفسه) يعني ثوابه (ومن ضل) كفر بالكتاب والرسول (فانما يضل عليها) يعني عاصيا حانية ذلك (وما أنا عليكم بوكيل) بكفيل نسخها آية القتال (واتبع) يا محمد (ما يوحى اليك) ما يؤسر لك في القرآن من تبليغ الرسالة (واصبر) على ذلك (حق يحكم الله) بينكم وبينهم يقتلهم وهاكهم يوم بدر (وهو خير الحاكمين)

﴿سورة هود عليه السلام﴾ { الجزء الحادى عشر } مكية وهى ﴿ ٢٩٦ ﴾ مائة وثلاث وعشرون آية ﴿

من قرأ سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق يونس وكذب به  
ويعدد من فرق مع فرعون

﴿ سورة هود عليه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ أركان ﴾ مبتدا وخبر أو كتاب خبر مبتدا محذوف ﴿ أحكت آياته ﴾ لظمت  
لظما محكما لا يصريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى أو مست من الفساد والتسعين  
المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ أو أحكت بالحجج والدلائل أو جعلت حكمة مقول  
من حكم بالضم إذا صار حكما لأنها مشقة على أمهات الحكم النظرية والعملية  
﴿ ثم فصلت ﴾ بالفرائد من العقائد والأحكام والمواعظ والأخبار أو يجعلها سورا

واطهار دينه ويقتل المشركين وأخذ الجزية من أهل الكتاب وفيها ذلهم وصغارهم  
والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام ﴾

وهى مكية فى قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقشادة  
وفى رواية عن ابن عباس أنها مكية غير آية وهى قوله سبحانه وتعالى وأقم الصلوة  
طريق النهار وعن قتادة نحوه وقال مقاتل هى مكية الا قوله سبحانه وتعالى فلعلك  
تارك بعض ما يوحى اليك وقوله أولئك يؤمنون به وقوله سبحانه وتعالى ان الحسنان  
بذهبن السيئات وهى مائة وثلاث وعشرون آية وألف وستمائة كلمة وتسعة آلاف  
وخمسمائة وسبعة وستون حرفا عن ابن عباس قال قال أبو بكر نارسول الله قد شئت  
قال شيتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا النجم كورت أخرجه  
الترمذى وقال حدث حسن غريب وفى رواية غيره قال قلت نارسول الله عمل  
اليك الشيب قال شيتنى هود وأخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل أهلك  
حدث الفاشية قال بعض العلماء سب شيبه صلى الله عليه وسلم من هذه السور  
المذكورة فى الحديث لما فيها من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله  
أعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل ﴾ الركب أحكت آياته ﴿ قال ابن عباس لم ينسخها كتاب  
كما نحت هى الكتب والشرائع ﴿ ثم فصلت ﴾ يعنى دست وقال الحسن أحكت  
آية بالاسم والهى وفصلت بالثواب والعقاب وفى رواية عنه بالعكس قال أحكت  
بالواب والقاب وفصلت بالاسم والهى وقال سادة أحكمه بالآلة من الباطل ثم فصلها  
بالاسم من حلاله وحرامه وطاعته ومعصية فيها وقيل أحكمه بالله فليس فيها

( تناقض )

( ثم فصلت ) دست

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾  
( أركان ) أى هذا كتاب

فهو خبر مبتدا محذوف  
( أحكت آياته ) صفة له أى  
قطعت نظما وصينا محكما لا  
يقع فيه نقض ولا خلل  
كالبناء المحكم ( ثم فصلت )  
كما تفصل التلاذيب والفرائد  
من دلائل التوحيد والأحكام  
والمواعظ والفصوص  
أوجلت فصولا سورة  
سورة وآية آية أو مرقت  
فى النزول ولم تنزل جلة  
أو فصل فيها ما يحتاج اليه  
العباد أى بين وخلص وليس  
معنى ثم التراسى فى الوقت  
ولكن فى الحال

أقوى الحاكين بهلاكهم  
ونصرهم

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها  
هود وهى كلها مكية آياتها  
مائة وعشرون كلمة ألف  
وستمائة وخمسة وعشرون  
حرفا ألف  
وسمائة وخمسة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

باسم الله عن ابن عباس فى  
قوله تعالى ( أركان ) يقول  
أمانة أى آية وآية القسم  
أقسم ( ك ) أى آية  
كتاب منها الرار ( آيات )  
آياته ( بالحداد ) الحرام  
والأمر والهى فلم تنسخ

أولاً لا يزال نجماً أو فصل فيها ونخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت أي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وتم لتفاوت في الحكم أول التراخي في الاخبار ﴿ من لدن حكيم خبير ﴾ صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبراً وصلة لأحكمت أو فصلت وهو تقرير لأحكامها وتفصيلها على الكل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي ﴿ ان لا تعبدوا الا الله ﴾ لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاماً مبتدأ للاغراء على التوحيد أو الامر بالتبني عن عبادة الغير كأنه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموا أو اتركوا ما تركا ﴿ اتى لكم منه ﴾ من الله ﴿ نذير وبشير ﴾ بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد ﴿ وان استغفروا ربكم ﴾ عطف على ان لا تعبدوا ﴿ ثم توبوا اليه ﴾ ثم توبوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المرض عن طريق الحق لا بد له من الرجوع وقيل استغفروا

تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت آياته نظماً رصيناً محكماً بحيث لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم الذي ليس فيه خلل ثم فصلت آياته سورة وقيل ان آيات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد وأحوال القيامة وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار عن المقييات وقال مجاهد فصلت بمعنى فسرت وثم في قوله ثم فصلت ليست هي للتراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل ما قال قلت كيف عم الآيات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه آيات محكمات قلت ان الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به هناك فعمى الاحكام العام هنا انه لا يتطرق الى آياته التناقض والفساد كاحكام البناء فان هذا الكتاب نسخ جميع الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه آيات محكمات ان بعض آياته منسوخة نسخها بآيات منه أيضاً لم ينسخها غيره وقيل أحكمت آياته أي معظم آياته محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فاجرى الكل على البعض لان الحكم للعالم واجراء الكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول أكلت طعام زيد واعا أكلت بعضه وقوله تعالى ﴿ من لدن حكيم ﴾ يعني أحكمت آيات الكتاب من عند حكيم في جميع أمهاله ﴿ خبير ﴾ يعني ما حوال عباده وما يصلحهم ﴿ الا تعبدوا الا الله ﴾ هذا مقبول له مع انه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الابداد والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى والى عبادته والدخول في دين الاسلام ﴿ اتى لكم منه ﴾ أي قل لهم يا محمد اتى لكم من عند الله ﴿ نذير ﴾ ينذركم عقابه ان تبت على كفركم ولم ترحوا عنه ﴿ وبشير ﴾ يعني وأبشر بالثواب الجزيل لمن آمن بالله ورسوله وأطاع وأخلص العمل لله وحده ﴿ وان استغفروا ربكم ﴾ ثم توبوا اليه ﴿ اختلفوا في سان الفرق بين هذين المرتبتين فقيل معناه اطلوا من ربكم المغفرة

(من لدن حكيم خبير) صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبراً أو صلة لأحكمت أو فصلت وهو تقرير لأحكامها وتفصيلها على الكل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي ﴿ ان لا تعبدوا الا الله ﴾ لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لا تعبدوا الا الله أو أمركم أن لا تعبدوا الا الله ( اتى لكم منه نذير وبشير ) أي من الله ( وان استغفروا ربكم ) أي أمركم بالتوحيد والاستغفار ( ثم توبوا اليه ) أي استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة (من لدن) من عند (حكيم) حاكم أمران لا يعبد غيره (خبير) عن عباده عن لا يعبد (الا تعبدوا) بان لا توحّدوا ( الا الله اتى لكم منه ) من الله ( نذير ) من النار ( وبشير ) الجنة ( وأن استغفروا ربكم ) ارجعوا ( ثم توبوا اليه ) قبلوا اليه بالتوبة والاخلاص

من اشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم تفاوت ما بين الاسمين  
﴿ يتحكم متاعا حسنا ﴾ يشكم في امن ودعة ﴿ الى اجل مسمى ﴾ هو آخر اعماركم  
المقدرة اولاهلككم بذات الاستئصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة  
بالاعمال لكنها مسماة بالامانة الى كل احد فلا تنير ﴿ ويؤت كل ذي فضل فضله ﴾  
ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا وفي الآخرة وهو وعد للوحد الثائب  
بخير الدارين ﴿ وان تولوا ﴾ وان تنولوا

لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب الفقر وهو السر والتوبة الرجوع  
عما كان فيه من شرك أو معصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على  
التوبة وقيل منه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال  
القراء ثم ما بمعنى الواو لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما للتأكيد  
﴿ يتحكم متاعا حسنا ﴾ يعني انكم اذا فعلتم ما أمرتم به من الاستغفار والتوبة  
وأخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا وأسباب الرزق ما تعيشون به  
في أمن وسعة وخير قال بعضهم المتاع الحسن هو الرضا بالميسور والصبر على المقدور  
﴿ الى اجل مسمى ﴾ يعني يتحكم متاعا حسنا الى حين الموت ووقت انقضاء آجالكم  
فان قلت قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقد يضيق على الرجل  
في بعض أوقاته حتى لا يجد ما ينقذه على نفسه وحياله فكيف الجمع بين هذا وبين  
قوله سبحانه وتعالى يتحكم متاعا حسنا الى اجل مسمى قلت أما قوله صلى الله عليه  
وسلم الدنيا سجن المؤمن فهو بالنسبة الى ما عد الله له في الآخرة من الثواب الجزيل  
والنعم المقيم فانه في سجن في الدنيا حتى يفضى الى ذلك المدله وأما كون الدنيا جنة  
الكافر فهو بالنسبة الى ما أعد الله له في الآخرة من العذاب الاليم الدائم الذي لا ينقطع  
فهو في الدنيا في جنة حتى يفضى الى ما أعد الله له في الآخرة وأما ما يضيق على  
الرجل المؤمن في بعض الاوقات فانما ذلك لرفع الدرجات وتكفير السيئات وبيان  
الصو عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن في جميع أحواله في عيشة حسنة لان راض  
عن الله في جميع أحواله ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ويؤت كل ذي فضل فضله ﴿ أى  
ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة قال أبو العالية من كثرت  
طاعاته في الدنيا زادت حسناته ودرجاته في الجنة لان الدرجات تكون على قدر  
الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته  
على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أهل الاعراف ثم  
يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة  
كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقتله عشر حسنات  
وان لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته العشر واحدة وبقيت له جمع حسنات  
ثم يقول ابن مسعود هلك من غلبت آحاده اعشاره وقيل معنى الآية من عمل لله وفقه  
الله في المستقبل اطاعته ﴿ وان تولوا ﴾ يعني وان أعرضوا عما جئتم به من الهدى

( يتحكم متاعا حسنا ) يطول  
تفكم في الدنيا بمتاع حسنة  
مرضية من عيشة واسعة  
ونعمة متتابعة ( الى أجل  
مسمى ) الى أن يتوفاكم  
( ويؤت كل ذي فضل فضله )  
ويعط في الآخرة كل من  
كان له فضل في العمل وزيادة  
فيه جزاء فضله لا يخفى منه شيئا  
( وان تولوا ) وان تنولوا

( يتحكم متاعا ) يعشكم عيشا  
( حسنا ) بلا عذاب ( الى أجل  
مسمى ) الى وقت معلوم يعني  
الموت ( ويؤت ) ويعط  
( كل ذي فضل ) في الاسلام  
( مصله ) ثوابه في الآخرة  
( وان تولوا ) عن الاعمال

(فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة (إلى الله مرجعكم) رجوعكم (وهو على كل شيء قدير) فكل من قادرا على اعادةكم (ألا انهم يثنون صدورهم) يزورون عن الحق ويخرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدرة ومن ازور عنه ﴿٢٩٩﴾ وانحرف ﴿سورة هود﴾ ثنى عنه صدره وطوى عنه

كشحه (ليستخفوا منه) ليطلبوا الحفاء من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنون على ازوارهم (الآحين يستغشون ثيابهم) يتغطون بها أي يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستقاع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم (يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي لا تقاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على نذيرهم صدورهم واستغشاهم ثيابهم وتفاقمهم غير نافع عنده قبل نزلت في المارقين

والنوبة (فاني أخاف عليكم) أعلم ان تكون عليكم (عذاب يوم كبر) عظيم (إلى الله مرجعكم) بعد الموت (وهو على كل شيء) من الثواب والعقاب (قدير) أي (ألا انهم يثنون صدورهم) يريدون ان لا يطلع الله على صدورهم (يعلم ما يسرون وما يعلنون)

﴿فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ يوم القيامة وقبل يوم الشدايد وقد استلوا بالقسط حتى اكملوا الجيف وقرئ ﴿وان تولوا من ولي﴾ إلى الله مرجعكم ﴿رجوعكم﴾ في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير ﴿فيقدر على تدميرهم﴾ اشد عذاب فكانه تقرر اكبر اليوم ﴿ألا انهم يثنون صدورهم﴾ يثنوها عن الحق ويخرفون عنه ويغطفونها على الفكر وعداوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو يولون ظهورهم وقرئ يثنوني بالياء والثاء من اثنوني وهو بناء المبالغة ويثنون واصله يثنون من الثن وهو الكلاء الضعيف اراد به منع قلوبهم أو مطاوعة صدورهم للثني وتثني من اثنان كلبا يرض بالهمزة وتثنوي ﴿ليستخفوا منه﴾ من الله سرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قبل انهازلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كيف يعلم وقيل نزلت في المارقين وفيه نظر اذا لآية مكية والنفاق حدث بالمدينة ﴿الآحين يستغشون ثيابهم﴾ الآحين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم ﴿يعلم ما يسرون﴾ في قلوبهم ﴿وما يعلنون﴾ بافواههم يستوى في علم سرهم وعلمهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهره

﴿فاني أخاف عليكم﴾ أي قل لهم يا محمد اني أخاف عليكم ﴿عذاب يوم كبير﴾ يعني عذاب النار في الآخرة ﴿إلى الله مرجعكم﴾ يعني في الآخرة فيثيب المحسن على احسانه ويماقب المسيء على اساءته ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ يعني من اصال الرزق اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الآخرة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ألا انهم يثنون صدورهم ﴿قال ابن عباس﴾ نزلت في اخنس بن شريق وكان رجلا حلوا الكلام حلوا المظروك كان يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب ويتطوى بقلبه على ما بكرة فزلت ألا انهم يثنون صدورهم يعني يخفون ما في صدورهم من الشك والخفاء والعداوة من ثبت الثوب اذا طويته وقال عبدالله بن شداد بن الهاد نزلت في بعض المارقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأ طأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يخفون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله تعالى ولا ذكره وفيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستاره ويخفي ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وهل السدي يثنون صدورهم أي يعمنون بقلوبهم من قولهم ثبتت عثائي ﴿ليستخفوا منه﴾ يعني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عز وجل ان استطاعوا ﴿الآحين يستغشون ثيابهم﴾ يعني يغطفون رؤسهم بثيابهم ﴿يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾

صدورهم) يضمرون في قلوبهم بغض محمد صلى الله عليه وسلم وعداوة (ليستخفوا منه) ليستروا من محمد صلى الله عليه وسلم بنفسه وعداوة باظهار المحبة له والمحالة معه (الآحين يستغشون ثيابهم) يغطفون رؤسهم بثيابهم (يعلم ما يسرون) فيما بينهم وما يضمرون في قلوبهم (وما يعلنون) من القتال والحفاء ويقال من المحبة والمحالة



﴿ انه علم بنات الصدور ﴾ بالاسرار ذات الصدور أو بالقلوب واحوالها

انه علم بنات الصدور ﴿ ومعنى الآية على ما قاله الازهرى ان الذين أشعروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم في كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما أخرجه البخارى في أفرادہ عن محمد بن عياض بن جعفر الخزومي انه سمع ابن عباس يقرأ ألا انهم يثنون صدورهم قال فسأله عنها فقال كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا الى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزل ذلك فيهم

(انه علم بنات الصدور)  
بما فيها

(انه علم بنات الصدور) بما  
في القلوب من الخير والشر





( وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ) تفضلا لا وجوبا ( ويعلم مستقرها ) مكانه من الارض ومسكنه ( ومستودعها ) حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة ( كل في كتاب مبين ) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح ! يعنى ذكرها مكتوب فيه مبين ( وهو الذي خلق السموات والارض ) وما بينهما ( في ستة )

( وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ) الا الله قائم برزقها ( ويعلم مستقرها ) حيث تأوى بالليل ( ومستودعها ) حيث تموت فتدفن ( كل ) أى رزق كل دابة واجلها وأثرها ( في كتاب مبين ) مكتوب في اللوح المحفوظ مبين معلوم مقدور ذلك عليها ( وهو الذي ) والهكم هو الذي ( خلق السموات والارض في ستة )

أيام ﴿ أي خلقهما وما فيهما كما سريانه في الاشراف أو ما في جهتي العلو والسفل  
وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات  
﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لانه كان موضوعا على

أيام وكان عرشه على الماء ﴿ يعني قبل خلق السموات والارض قال كعب خلق الله يا قوتة  
خضراء ثم نظر اليها بالهيئة فصارت ماء يرتد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع  
العرش على الماء وقال ضمرة ان الله سبحانه وتعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات  
والارض وخلق القلم فكتب به ما خلق وما هو خالق وما هو كائن من خلقه الى يوم القيامة  
ثم ان ذلك الكتاب سجد الله ومجده ألف عام قبل أن يخلق شيئا من خلقه وقال سعيد بن جبير  
سئل ابن عباس عن قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء على أي شيء كان الماء  
قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش كان قبل أن يخلق الله السموات  
والارض ثم قبض الله قبضة من صفاء الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخان ثم قضاهن سبع سموات  
في يومين ثم أخذ سبحانه وتعالى طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض  
منها ثم خلق الاقوات في يومين والسموات في يومين والارض في يومين ثم فرغ آخر  
الخلق في اليوم السابع قال بعض العلماء وفي خلق جميع الاشياء وجعلها على الماء ما يدل  
على كمال القدرة لان البناء الضعيف اذا لم يكن له أساس على أرض صلبة لم يثبت  
فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الماء فهذا يدل  
على كمال قدرة الله تعالى (خ) عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله  
عليه وسلم وعقلت نأقي بالباب فأتى ناس من بني تميم فقالوا اقبلوا البشري يا بني تميم  
فقالوا بشرتنا فاعلمنا مرتين فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال  
اقبلوا البشري يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم فأتوا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا جئنا  
لنتفق في الدين ولنسألك عن أول هذا الامر ما كان قال كان الله سبحانه وتعالى  
ولم يكن معه شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب  
في الذكر كل شيء ثم أتاه رجل فقال يا عمران ادرك ما فتك فقد ذهبت فانطلقت  
اطلما فاذا السراب يقطع دونها وأيم الله لو ددت أنها ذهبت ولم أقم ﴿ عن أبي رزين  
العقيلي رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أين كان رسا قبل أن يخلق خلقه قال كان في عاء ما فوقه  
هواء وما تحته هواء وخلق عرشه على الماء أخرجه الترمذي وقال قال أجد يريد  
بالعماء أنه ليس معه شيء قال أبو بكر البيهقي في كتاب الاسماء والصفات له قوله صلى  
الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شيء قبله يعني لا الماء ولا العرش ولا غيرهما وقوله  
وكان عرشه على الماء يعني وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في الذكر كل  
شيء وقوله في عاء وجدته في كتاب عماء مقيدا بالمد فان كان في الاصل ممدودا فعناء  
سحاب رقيق ويريد بقوله في عاء أي فوق سحاب مدبراله وطاليا عليه كما قال سبحانه  
وتعالى أنتم من في السماء يعني من فوق السماء وقال تعالى لا صلبنكم في جذوع النخل

أيام) من الاحد الى  
الجمعة تلعيا للتأني (وكان  
عرشه على الماء) أي فوقه  
يعني ما كان تحته خلق  
قبل خلق السموات  
والارض الا الماء وفيه دليل  
على ان العرش والماء كانا  
مخلوقين قبل خلق السموات  
والارض قيل بدأ بخلق  
ياقوتة خضراء فنظر اليها  
بالهيئة فصارت ماء ثم  
خلق ريحا فاقر الماء على  
متنه ثم وضع عرشه على  
الماء وفي وقوف العرش  
على الماء أعظم اعتبار لاهل  
الافكار

أيام) من أيام أول الدنيا  
طول كل يوم ألف سنة  
أول يوم منها يوم الاحد  
وأخر يوم منها يوم الجمعة  
(وكان عرشه) قبل ان خلق  
السموات والارض  
(على الماء) وكان الله قبل  
العرش والماء

متن الماء واستدل به على إمكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرض من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ﴿ ليلوكم ايكم احسن عملا ﴾ متعلق بخلق أى خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبلى لأحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومما شكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تطبيق قول البلوى لمافيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختيار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبيل للتحريض على احسن المحاسن والتفضيل على الترقى دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم على القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكل علما وعملا ﴿ ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ﴾

يعنى على جذوعها وقوله مافوقه هواء أى مافوق السحاب هواء وكذلك قوله وماتحته هواء أى ماتحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك المعنى مقصور والمعنى اذا كان مقصورا فغناه لاشئ ثابت لانه مما عي عن الخلق لكونه غير شئ فكأنه قال في جوابه كان قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شئ غيره ثم قال مافوقه هواء وماتحته هواء أى ليس فوق المعنى الذى هو لاشئ موجود هواء ولا تحت هواء لان ذلك اذا كان غير شئ فليس يثبت له هواء بوجه والله أعلم وقال الهروي صاحب الغريرين قال بعض أهل العلم معناه أين كان عرش ربنا فحذف المضاف اختصارا كقوله واسأل القرية ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء هذا آخر كلام الیهى وقال ابن الاثير العماء في اللغة السحاب الرقيق وقيل الكثيف وقيل هو الضباب ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره أين كان عرش ربنا فحذف ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكى عن بعضهم في المعنى المقصور انه قال هو كل امر لا يدركه الفطن وقال الازهرى قال أبو عبيد انما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المفعول عنهم والا فلا ندري كيف كان ذلك العماء قال الازهرى فمعنى تؤمن به ولا تكيف صفته (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وفي رواية فرغ الله من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والارض وكان عرشه على الماء بخمسين ألف سنة وقوله فرغ يريد اتمام خلق المقادير لأنه كان مشغولا ففرغ منه لان الله سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن فانما أمر اذا أراد شأنا أن يقول له كن فيكون ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ليلوكم ﴿ يعنى ليختبركم وهو أعلم بكم منكم ﴾ ايكم احسن عملا ﴿ يعنى بطاعة الله وأورع عن محارم الله ﴾ ولئن قلت ﴿ يعنى ولئن قلت يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك ﴾ انكم مبعوثون من بعد الموت ﴿ يعنى

( ليلوكم ) أى خلق السموات والارض وما بينهما للممتحن فيهما ولم يخلق هذه الاشياء لانفسها ( ايكم احسن عملا ) أكثر شكرا وعنه عليه السلام احسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله فمن شكر وأطاع أتابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليلوكم أى ليفعل بكم ما يفعل المبلى لأحوالكم كيف تعملون ( ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت )

( ليلوكم ) ليختبركم بين الحياة والموت ( ايكم احسن عملا ) أخلص عملا ( ولئن قلت ) لاهل مكة ( انكم مبعوثون ) مبعوثون ( من بعد الموت )

ليقولن الذين كفروا أن هذا الاسحر مبين (أشار بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبحث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره ساحر حجة وعلى يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل (واثن آخرنا عنهم العذاب) عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر (الى أمة) الى جماعة من الاوقات (معدودة) معلومة أو قلائل والمعنى الى حين معلوم (ليقولن ما يحبسهم) ما يمنعه من النزول استجلالا له على وجه التكذيب والاستهزاء (ألا يوم يأتيهم) لعذاب (ليس) العذاب (مصرفوا عنهم) ويوم منصوب ﴿ ٣٠٥ ﴾ بمصرفوا في سورة هود في أي ليس العذاب مصرفوا عنهم يوم يأتيهم (وحاق بهم) وأحاط بهم (ما كانوا به يستهزئون) العذاب الذي كانوا به يستجولون واستهزؤن موضع يستهزؤن موضع يستجولون لان استجبالهم كان استهزاء (ولئن أذقنا الانسان) هو الجنس (منا رجة) نعمة من جهة وأمن وجدة واللام في اثن ابوطئة القسم (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم (انديؤس) شديد اليأس من أن يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوقة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسام لقضائه (كفور) عظيم الكفران لاسلبه من القلب في نعمة

ليقولن الذين كفروا أن هذا الاسحر مبين أي ما البعث أو القول به أو القرآن المنضم لذكره الاسحر في الخديعة والبطلان وقرا حجة والكسائي الاسحر على ان الاشارة الى القائل وقري انكم بالقبح على تضمين قلت معنى ذكرت أو ان تكون ان بمعنى على أي ولئن قلت عليكم مبعوثون بمعنى توقموا بعثكم ولا يتوابعوا انكاره لعدوه من قبيل ما لاحقيقة له مسائلة في انكاره ﴿ ولئن اخرنا عنهم العذاب ﴾ الموعود ﴿ الى امة معدودة ﴾ الى جماعة من الاوقات قليلة ﴿ يقولن ﴾ استهزاء ﴿ ما يحبسهم ﴾ ما يمنعه من الوقوع ﴿ ألا يوم يأتيهم ﴾ كيوم بدر ﴿ ليس مصرفوا عنهم ﴾ ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها ﴿ وحاق بهم ﴾ واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ﴿ ما كانوا به يستهزؤن ﴾ أي العذاب الذي كانوا به يستجولون فوضع يستهزؤن موضع يستجولون لان استجبالهم كان استهزاء ﴿ ولئن أذقنا الانسان منارحة ﴾ ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجدلتهما ﴿ ثم نزعناها منه ﴾ ثم سلبنا تلك النعمة منه ﴿ انديؤس ﴾ قطع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به ﴿ كفور ﴾ مبالغ في كفران ما سامله

للحساب والجزاء ﴿ يقولن الذين كفروا أن هذا الاسحر مبين ﴾ يعنون القرآن ﴿ ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ﴾ يعنى الى أجل محدود وأصل الامة في اللغة الجماعة من الناس فكأنه قال سبحانه وتعالى الى انقراض أمة ومجيء أمة أخرى ﴿ يقولن ما يحبسهم ﴾ يعنى أي شيء يحبس العذاب واتا يقولون ذلك استجبالا بالعذاب واستهزاء يعنون انه ليس بشئ قال الله عز وجل ﴿ ألا يوم يأتيهم ﴾ يعنى العذاب ﴿ ليس مصرفوا عنهم ﴾ أي لا يصرفه عنهم شيء ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ يعنى ونزل بهم وبال استهزؤهم بعد فوله سبحانه وتعالى ﴿ ولئن أذقنا الانسان منارحة ﴾ من رخاء وسعة في رزق والعيش وبسطنا عليه من الدنيا ﴿ ثم نزعناها منه ﴾ ثم سلبناه ذلك كله وأصابته المصائب باجتاحته وذهبت من انديؤس كفور يعنى يظل قانطا من رجة الله آيسا من كل خير كفور أي جهور نعمتنا عابدا ولا قابل الشكر لربه قال بعضهم يا ابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من أن

ليقولن الذين كفروا أن هذا الاسحر مبين (أشار بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبحث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره ساحر حجة وعلى يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل (واثن آخرنا عنهم العذاب) عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر (الى أمة) الى جماعة من الاوقات (معدودة) معلومة أو قلائل والمعنى الى حين معلوم (ليقولن ما يحبسهم) ما يمنعه من النزول استجلالا له على وجه التكذيب والاستهزاء (ألا يوم يأتيهم) لعذاب (ليس) العذاب (مصرفوا عنهم) ويوم منصوب ﴿ ٣٠٥ ﴾ بمصرفوا في سورة هود في أي ليس العذاب مصرفوا عنهم يوم يأتيهم (وحاق بهم) وأحاط بهم (ما كانوا به يستهزئون) العذاب الذي كانوا به يستجولون واستهزؤن موضع يستهزؤن موضع يستجولون لان استجبالهم كان استهزاء (ولئن أذقنا الانسان) هو الجنس (منا رجة) نعمة من جهة وأمن وجدة واللام في اثن ابوطئة القسم (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم (انديؤس) شديد اليأس من أن يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوقة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسام لقضائه (كفور) عظيم الكفران لاسلبه من القلب في نعمة

العذاب الى امة معدودة) الى وقت معلوم (تا و سا ٣٩ لث) يه س (الاول) أهل كذا (ما يحبسهم) عناغه الاستهزاء يا (ألا يوم يأتيهم) العذاب (ليس مصرفوا عنهم) لا يسرف عنهم العذاب (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) عذاب ما كانوا به يستهزؤن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ولئن أذقنا الانسان) يعنى الكافر (منارحة) نعمة (ثم نزعناها منه) أخذناها منه (انديؤس) يصير آيس شيء واقط شيء من رجة الله (كفور) كافر بنعمة الله

العذاب الى امة معدودة) الى وقت معلوم (تا و سا ٣٩ لث) يه س (الاول) أهل كذا (ما يحبسهم) عناغه الاستهزاء يا (ألا يوم يأتيهم) العذاب (ليس مصرفوا عنهم) لا يسرف عنهم العذاب (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) عذاب ما كانوا به يستهزؤن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ولئن أذقنا الانسان) يعنى الكافر (منارحة) نعمة (ثم نزعناها منه) أخذناها منه (انديؤس) يصير آيس شيء واقط شيء من رجة الله (كفور) كافر بنعمة الله

العذاب الى امة معدودة) الى وقت معلوم (تا و سا ٣٩ لث) يه س (الاول) أهل كذا (ما يحبسهم) عناغه الاستهزاء يا (ألا يوم يأتيهم) العذاب (ليس مصرفوا عنهم) لا يسرف عنهم العذاب (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) عذاب ما كانوا به يستهزؤن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ولئن أذقنا الانسان) يعنى الكافر (منارحة) نعمة (ثم نزعناها منه) أخذناها منه (انديؤس) يصير آيس شيء واقط شيء من رجة الله (كفور) كافر بنعمة الله

الله نساءه ( وثمن أذقناه نساء بمدخراته مسته ) وسما عليه النعمة بعد الفقر الذي ناله ( ليقولن ذهب السيآت عني ) أي المصائب التي ساءتني ( أنه لفرح ) أي بطر ( فخور ) على الناس بما أذاقه الله من نساءه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر ( إلا الذين صبروا ) في الجنة ( والجزاء ) ( الجزء الثاني عشر ) ( وعملوا الصالحات ) ﴿ ٣٠٦ ﴾ وشكروا في النعمة والرخاء

من النعمة ﴿ وثمن أذقناه نساء بمدخراته مسته ﴾ كعصمة بدسقم وغنى بمدعدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ﴿ ليقولن ذهب السيآت عني ﴾ أي المصائب التي ساءتني ﴿ أنه لفرح ﴾ بطر بالنعم مفتر بها ﴿ فخور ﴾ على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقوقها وفي لفظ الأذقة والسبب عليه أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمغن كالأنموذج لما يجده في الآخرة وأنه يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء لأن الذوق إدراك الطعم والمس مبدأ الوصول ﴿ إلا الذين صبروا ﴾ على الضراء أعداء بالله تعالى واستسلاما لقضائه ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ شكرا لآلئه سابقها ولاحقها ﴿ أولئك لهم مغفرة ﴾ لذنوبهم ﴿ وأجر كبير ﴾ أقله الجنة والاستثناء من الإنسان لأن المراد به الجنس فإذا كان محلي باللام أفاد الاستعراق ومن حمله على الكفار لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعاً ﴿ فلهذا تارك بعض ما يوحى إليك ﴾ ترك تبليغ بعض ما يوحى إليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزاءهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو إليه وقوعه لجواز أن يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل من الخيانة في الوحي والتقبة في التبليغ مانعا ﴿ وضائق به صدرك ﴾ وطارض لك

وسمة وماقية فاشكرها ولا تنجدها فإن نزعتك عنك فيبقى لك أن تصبر ولا تياس من رحمة الله فانه المواد على عباده بالخير وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وثمن أذقناه نساء بمدخراته مسته ﴾ يعني وثمن نحن أنسنا على الإنسان وبسطنا عليه من العيش ﴿ ليقولن ﴾ يعني الذي أصابه الخير والسمة ﴿ ذهب السيآت عني ﴾ يعني ذهب الشدائد والعسر والضيق وانما قال ذلك خفة بالله عز وجل وجراة عليه لانه لم يصف الأشياء كلها إلى الله وانما أضافها إلى العوائد فلهذا ذمه الله تعالى فقال ﴿ أنه لفرح فخور ﴾ أي أنه أشربطر والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المراد والمشتهى والفخر هو التناول على الناس بشديد المناب وذلك منهى عنه ﴿ ثم استننى فقال تبارك وتعالى ﴾ إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات ﴿ قال اقراء هذا السنداء مقطوع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة شكروا واعياها ﴿ أولئك ﴾ يعني من هذه صفتهم ﴿ لهم مغفرة ﴾ يعني لذنوبهم ﴿ وأجر كبير ﴾ يعني الجنة ﴿ قوله عز وجل ﴾ فلهذا تارك بعض ما يوحى إليك ﴿ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلهذا يا محمد تارك بعض ما يوحى إليك ربك أن تبليغه إلى من أمرك أن نبليغ ذلك إليه ﴿ وضائق به صدرك ﴾ يعني ويضيق صدرك بما يوحى إليك فلا تبليغه إياهم وذلك أن كفار مكة قالوا أنت بقرآن غير هذا ليس فيه سب ألهتافهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يترك ذكر آلهتهم

( أولئك لهم مغفرة ) لذنوبهم ( وأجر كبير ) يعني الجنة كانوا يقتربون عليه آيات فمثالا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة كافيه كافي في رشادهم ومن اقتراحتهم لولا أنزل عليه كنزاً وجاه معه ملك وكانوا لا يستدنون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقى اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فهمجه لاداء الرسالة وطرح البالاة بردهم واستهزأهم واقتراحتهم بقوله ( فلهذا تارك بعض ما يوحى إليك ) أي لما ترك أن تلقية اليهم وتبليغه إياهم مخافة ردهم لهوتها وهم ( وضائق به صدرك ) بأن تتلوه عليهم ولم يقل ضيق ليدل على أنه ضيق طارض غير ثابت لانه عليه السلام كان أفسح الناس صدرا ولانه أشكل تارك

لا يشكر ( وثمن أذقناه ) أصبناه يعني الكافر ( نساء ) بمدخراته مسته ( شدة ) أصابته ( ليقولن ) يعني

الكافر ( ذهب السيآت ) الشدة ( عني أنه لفرح ) بطر ( فخور ) بنعمة الله غير شاكر ( إلا ) محمد صلى الله ( ظاهرا ) عليه وسلم وأصحابه ( الذين صبروا ) على الأيمان ( وعملوا الصالحات ) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم فانهم لا يفعلون ذلك ولكن يصبرون بالشدة ويشكرون بالنعمة ( أولئك لهم مغفرة ) لذنوبهم في الدنيا ( وأجر كبير ) ثواب عظيم في الجنة ( فلهذا ) يا محمد ( تارك بعض ما يوحى إليك ) أمرك في القرآن من تبليغ الرسالة وسب آلهتهم وعيها ( وضائق به ) بما أمرت ( صدرك ) قلبك

احيانا ضيق صدرك بان تتلوهم عليهم مخافة ﴿ ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ﴾ ينفقه في الاستتباع كالمملوك ﴿ اوجاء معه ملك ﴾ يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا ﴿ انما انت نذير ﴾ ليس عليك الا الانذار بما اوحى اليك ولا عليك ردوا

ظاهرا فانزل الله عز وجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعني من ذكر آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية وأجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به لا خطأ ولا عدا ولا سهوا ولا غلطا والله صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما انزل الله عليه الى أمته ولم يكتف منه شيئا وأجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي والانذار ولا يترك بعض ما أوحى اليه لقول احدلان تجوز ذلك يؤدي الى الشك في أداء الشرائع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من ارسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد قامت فائدة الرسالة والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد بقوله تعالى فالعلك تارك بعض ما يوحى اليك شيئا آخر سوى ما ذكره المفسرون وللعلماء في ذلك أجوبة ما أحدها قال ابن الانباري قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا مما يوحى اليه اشفاقا من موجدته أحد وغضبه ولكن الله تعالى أكد على رسوله صلى الله عليه وسلم متابعة الابلاغ من الله سبحانه وتعالى كما قال يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية والثاني ان هذا من حثه سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وتحريضه على أداء ما أنزله اليه والله سبحانه وتعالى من وراء ذلك في عصيته بما يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا يستهزؤن بالقرآن ويضحكون منه ويتهاونون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويستهزؤن به فامر الله سبحانه وتعالى ببايغ ما أوحى اليه وان لا يلتفت الى استهزائهم وان تحمل هذا الضرر أهون من كتم شيء من الوحي والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفي الفعل والترك مشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان الضرر في باب الترك أعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله سبحانه وتعالى مع علمه بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا من الوحي هيجمه لاداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزائهم وردهم الى قبول قوله بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك أي لعلك تترك ان تاقية اليهم مخافة ردهم واستهزائهم به وضائق به صدرك أي بان تتلوهم عليهم ﴿ ان يقولوا ﴾ يعني مخافة ان يقولوا ﴿ لولا انزل عليه كنز ﴾ يعني يستغنى به وينفقه ﴿ اوجاء معه ملك ﴾ يعني يشهد بصدقه وقائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أمية الخزومي والمعنى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا في قولك بأنك رسول الله الذي تصفه بالقدرة على كل شيء وانت عزيز عنده مع انك فقير فها انزل عليك ما تستغنى به أنت وأصحابك وهلا أنزل عليك ملكا يشهدك بالرسالة فتزول الشبهة في أمرك فأخبر الله عز وجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله عز وجل ﴿ انما انت نذير ﴾ تنذر بالمقاب

( ان يقولوا ) مخافة ان يقولوا ( لولا أنزل عليه كنز اوجاء معه ملك ) هلا أنزل عليه ما اقترحنا من الكنز لننقده والملائكة لنصدقه ولم أنزل عليه ما لا تريد ولا تقترحه ( انما انت نذير ) أي ليس عليك الا أن تنذرهم بما أوحى اليك ونبأهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ان ردوا وتهاونوا

( ان يقولوا ) بان يقولوا كفار امكة ( لولا أنزل ) هلا أنزل ( عليه ) على محمد ( كنز ) مال من السماء فيعيش به ( أو جاء معه ملك ) يشهد له ( انما انت ) يا محمد ( نذير ) رسول



(والله على كل شيء وكيل) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل أمرك اليه وعليك بتأنيح الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفهمهم واستهزائهم (أم يقولون) أم مقطعة (أفترأه) الضمير لما يوحى اليك { الجزء الثاني عشر } (قل فأتوا) ٣٠٨ بشرسور) تحداهم أولا بشرسور

أو اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك ﴿ والله على كل شيء وكيل ﴾ فتوكل عليه فإنه علم بحالهم وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم ﴿ أم يقولون أفترأه ﴾ أم مقطعة وألهاه لما يوحى ﴿ قل فأتوا بشرسور مثله ﴾ في البيان وحسن النظم تحداهم أولا بشرسور ثم لما عجزوا عن سبيل الأمر عليهم وتحداهم سورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد ﴿ مفتريات ﴾ مختلقات من عند أنفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فأنكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما أقدر عليه بل أنتم اقدر لعلكم القصص والاشعار وتمودكم القريض والظلم ﴿ وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾ الى المعاونة على المعارضة ﴿ أو كنتم صادقين ﴾ ان مفترى ﴿ فان لم يستجيبوا لكم ﴾ باتيان مادعوتهم اليه

لمن خالفك وعصى أمرك وتبشر بالثواب لمن أطاعك وآمن بك وصدقك ﴿ والله على كل شيء وكيل ﴾ يعني انه سبحانه وتعالى حافظ يحفظ أقوالهم وأفعالهم فجازهم عليها يوم القامة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ أم يقولون أفترأه ﴾ يعني بل يقول كفار مكة اختلقه يعني ما أوحى اليه من القرآن ﴿ قل ﴾ أي قل لهم يا محمد ﴿ فأتوا بشرسور مثله مفتريات ﴾ لما قالوا له اعزيت هذا القرآن واخترته من عند نفسك وليس هو من عند الله تحداهم وأرخی لهم الانان وادعاهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه وسلم هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الى شيء وان الامر كما قالهم وأنتم عرب مثلي من أهل الفصاحة وفرسان البلاغة وأصحاب الاسان فأتوا أنتم بكلام مثل هذا الكلام الذي جشتم به مختلق من عند أنفسكم فانكم تقدرون على مثل ما أقدر عليه من الكلام فلهذا قال سبحانه وتعالى ﴿ فأتوا بشرسور مثله مفتريات ﴾ في مقابلة قولهم افترأه فان قلت قد تحداهم بأن أتوا بسورة مثله فلم يقدر واعي ذلك وعجزوا عنه وكيف قال فأتوا بشرسور مثله مفتريات ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن العسرة أعجزه قلت قد قال بعضهم ان سورة هود نزلت قبل سورة يونس وأنه تحداهم أولا بشرسور فلما عجزوا تحداهم بسورة يونس وأنكر المبرد هذا القول وقال ان سورة يونس نزلت أولا قال ومعنى قوله في سورة يونس فأتوا بسورة مثله يعني مثله في الاخبار عن الامم الحسام والوعيد والوعيد وقرله سورة هود فأتوا بعشر سور مثله يعني مجرد الفصاحة والبلاغة من غير خبر عن غيب ولا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد فلما تحداهم بهذا الكلام أمرهم بالسر لادعاهم ﴿ وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾ حق سينوكم الى ذات ربكم ان كنتم صادقين يعني في قولكم انه مفترى من فان لم يستجيبوا لكم اعلم انه لما ستمت الآية المتقدمة على أسرين وخطابين أحدهما أمر وخطاب للشيء صلى الله عليه وسلم رحو قوله سبحانه وتعالى قل فأتوا بشرسور مثله مفتريات والثاني أمر وخطاب للكفار وهو

واحدة كما يقول المخارفي في الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر بمحوما اكتب فاذا تبين له العجز عن ذلك قال قد اقتصرت منك على سطر واحد ( مثله ) في الحسن وايزاله و معنى مثله أمثاله ذهابا الى عمالة كل واحدة منها ( مفتريات ) صفة لعشر سور لما قالوا افترت القرآن واخترته من عند نفسك وليس من عند الله أرخى مهم العنان وقال ه و أني اختلقته من عند نفسي فأتوا أنتم أحسا كلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأتهم عرب فصحاء على ( وادعوا من استطعتم من دون الله ) الى المعاونة على المعارضة ( ان كنتم صادقين ) انه فرى ( فان لم يستجيبوا لكم

مخوف ( رآه على كل شيء ) من مقالهم وعذابهم ( وكل ) كميل وصال سويد ( أم يقولون ) بل يقولون كفار مكة ( أفترأه ) اخلق محمد القرآن من مائة نفسه فأتانا به ( بل ) لهم يا محمد ( فأتوا بشرسور له )

مثل سور القرآن ل سورة النمر آء وآل والنساء والمائدة والاعراف والافات والروم ( قوله ) وهود ( مفتريات ) مختلقات من كلامكم ( وادعوا من استطعتم ) استمعوا من مبسدم ( من دون الله ان كنتم صادقين ) ان محمد صلى الله عليه وسلم يخالفه من كلامه من لا الله ( فان لم يستجيبوا لكم ) لم يحك الظلم

فاعلموا انما انزل بعلم الله (وان لا اله الا هو) أى أنزل متبسبا بالاعلم الا الله من نظم معجز الخلق واخبار بشيوع لاسيول لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله ﴿٣٠٩﴾ وحده وان توحده واجب {سورة هود} والاشراك به عظيم

وانما جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله فل لان الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يحدثونهم اولان الخطاب للمشركين والضمير في فان لم يستجيبوا لمن استطعتم أى فان لم يستجب لكم من تدعون من دون الله الى المظاهرة على الممارسة لعلمهم بالعجز عند فاعلموا انما أنزل بعلم الله أى ما ذكره أو بامر (فهل أنتم مسلمون) متبعون للاسلام بهذه الحجة القاطعة ومن حمل الخطاب للمسلمين فساء فاثبوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقيناً على أنه منزل من عند الله وعلى التوحيد فهل أنتم مسلمون مخلصون (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) من كان يريد اليهم أعمالهم فيها

(فاعلموا) يا مشرك الكفار (أأنزل) جبريل بالقراءة (بسم الله) وأمره (وأن لا اله الا هو) فهل أنتم مسلمون (مقرون بمحمد عليه السلام) والقرآن (من كان يريد

وجع الضمير اما لتعظيم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أولان المؤمنين كانوا ايضا تصدونهم وكان امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم متساو لالهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبية على ان التصدى مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله ﴿فاعلموا انما انزل بعلم الله﴾ متبسبا بالاعلم الا الله ولا يقدر عليه سواه ﴿وان لا اله الا هو﴾ واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر على كل ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم وتخصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقطاع من ان يحيرهم من بأس الله آلهتهم ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطايا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لكم لمن استطعتم أى فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد صرفتم من انفسكم القصور عن الممارسة فاعلموا انه نظم ليعلم الا الله وانه منزل من عنده وان مادام لكم اليه من التوحيد حق فهل أنتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبية على قيام الموجب وزوال العذر ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ باحسانه وبره ﴿نوف اليهم أعمالهم فيها﴾

قوله تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله ثم أتبعه بقوله تبارك وتعالى فان لم يستجيبوا لكم احوط ان يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا في الممارسة لعجزهم عنها واحتمل أن يكون المراد أن من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار في الممارسة فلهذا السبب اختلف المفسرون في معنى الآية على قولين أحدهما انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كانوا يحدون الكفار بالممارسة ليتبين عجزهم فلما عجزوا عن الممارسة قال الله سبحانه وتعالى لبيد والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم فيما دعوتهم اليه من الممارسة وعجزوا عنه ﴿فاعلموا انما انزل بعلم الله﴾ يعنى فاثبوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقيناً وثباتاً لانهم كانوا عاقلين بانه منزل من عند الله وقل الخطاب في قوله فان لم يستجيبوا الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره ناظراً لجمع تعظيمه صلى الله عليه وسلم لم يزلوا على قولهم سبحانه وتعالى فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك انه سبحانه وتعالى لما قال في الآية المتقدم وادعوا من استطعتم من دون الله قال الله عز وجل في هذه الآية فان لم يستجيبوا لكم أيها الكفار ولم يعينواكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وانه ليس معنى على انه لم يزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿وان لا اله الا هو﴾ الذى انزل القرآن هو الله الذى لا اله الا هو ولا من تدعون من دونه ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ وهى الاسرار أسلموا أو أحصوا الله العبادات وارجعوا الى الله خطاب مع المؤمنين كان معنى قوله فهل أنتم مسلمون الرعب أى دو موعلى ما أنتم عليه من الاسلام ﴿وله عز وجل﴾ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها وهى عمله الذى يحمله من أعمال البر رلت في كل من عمل عملاً يتنى به غير الله عز وجل ﴿نوف اليهم أعمالهم فيها﴾ وهى

الحياة الدنيا) بعلمه الذى افترض الله عليه (وزينتها) زهرتها (نوف اليهم أعمالهم) نوفر اليهم ثواب أعمالهم (فيها) في الدنيا

نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرى يوف بالياء أي يوف الله ويوف على البناء للقول ونوف بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقولهم

وان اتاه خليل يوم مسغبة • يقول لاقاب مالي ولا حرم

وهم فيها لا يجنون \* لا ينقصون شيئا من اجورهم والآية في اهل الرياء وقبل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم \* اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار \* مطلقا في مقابلة ما علوا لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار المزائم السيئة \* وحبط ما صنعوا فيها \* لانهم لم يبق لهم ثواب في الآخرة أولم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله تعالى والصحة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا \* وباطل \* في نفسه \* ما كانوا يحملون \* لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجنتين علقا لقلبهاء وقرى باطلا على انه مقول

أعمالهم التي علوها لطلب الدنيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى يوسع عليهم في الرزق ويدفع عنهم المكارة في الدنيا ونحو ذلك \* وهم فيها لا يجنون \* يعني انهم لا ينقصون من اجور أعمالهم التي علوها لطلب الدنيا بل يعطون اجور أعمالهم كاملة موفرة \* أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها \* يعني وبطل ما علوا في الدنيا من أعمال البر \* وباطل ما كانوا يحملون \* لانه لغير الله واختلاف المفسرون في المعنى بهذه الآية فروى قتادة عن أنس أنها في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل عالا صالحا في غير تقوى يعني من أهل الشرك أعطى على ذلك أجر في الدنيا وهو ان يصل رجلا أو يعطى سائلا أو يرحم مضطرا أو نحو هذا من أعمال البر فيجعل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع عليه في المعيشة والرزق ويقر عينه فيما خوله ويدفع عنه المكارة في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وعوقوله أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار الآية وهذه حالة الناصر في الآخرة وقبل نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بتزويدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم التماس لانهم كانوا لارجون نواب الآخرة فيل ان حل الآمة على العموم أولى فيسدرج الكافر والموافق الذي هذه صفته والمؤمن الذي يأتي بالطاعات وأعمال البر على وجه الرياء والسمعة قال مجاهد في هذه الآية هم أهل الرياء وهذا القول مشكل لان قوله سبحانه وتعالى أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لا يليق بحال المؤمن الا اذا قلنا ان تلك الاعمال الفاسدة والافعال الباطلة لما كانت لغير الله استحق فاعلمها الوعيد الشديد وهو عذاب النار ويدل على هذا ما روى عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عالا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه أخرجه مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل عالا لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار أخرجه البرهان عن أنس عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل عالا مما يتقنى

وهم فيها لا يجنون (نوصل اليهم أجور أعمالهم رافية كاملة من غير نجس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وهم الكفار أو المنافقون) أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها (يرحبط في الآخرة ما صنعوا وصنعهم أي لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما أرادوا به الدنيا وقد و في اليهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يحملون) أي كان علمهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لغرض صحيح والعمل الباطل لا ثواب له

(وهم فيها) في الدنيا (لا يجنون) لا ينقص من ثواب اعمالهم (أولئك الذين) عملوا لغير الله (ليس لهم في الآخرة الا النار) وحبط ما صنعوا فيها (رد عليهم ما علوا في الدنيا من الحبرات (وباطل ما كانوا يحملون) ولا يبايون في الآخرة عا كانوا يحملون في الدنيا من الحبرات لانهم علوا لغير الله

يملون وما لباهمية أوفى معنى المصدر كقولهم

ولا خارحا من في زور كلام

ويطل على القمل به أفن كان على بينة من ربه ﴿ برهان من الله ببله على الحق والصواب فيأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين همهم وامكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره أفن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكمهم كل مؤمن غفلن وقيل المراد به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مؤمنوا أهل الكتاب ﴿ ويتلوه ﴾ ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل ﴿ شاهدته ﴾ شاهد من الله شاهد بصحته وهو القرآن

به وجه الله لا يتعلم الا يصيبه غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ربحها أخرجه أبو داود ﴿ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمودوا بالله من حب الحزن قالوا يا رسول الله وما حب الحزن قال وادفى جهنم تنوذ منه جهنم كل يوم ألف مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المراءون بأعمالهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ﴿ قال البغوي وروينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء أخرجه بغير سند وهو الرياء هو ان يظهر الانسان الاعمال الصالحة ليحمده الناس عليها أو ليتقدوا فيه الصلاح أو ليقتصدوه بالعطاء فهذا العمل هو الذي لغير الله لمود بالله من الخذلان قال البغوي وقيل هذا في الكفار يعني قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها أما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وارادته الآخرة غالبة فيجازي بحسناته في الدنيا ويتاب عليها في الآخرة وروينا عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويمجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطمع بحسناته في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا أخرجه البغوي بغير سند ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ أفن كان على بينة من ربه ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المقدمة الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر في هذه الآية من كان يريد بعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة فقال سبحانه وتعالى أفن كان على بينة من ربه أي كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس اهم في الآخرة الا الثار وانما حذف هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام عليه وقيل معناه أفن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمن هو في ضلالة وكفروا المراد بالبينة الدين الذي أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينة اليقين يعني أنه على يقين من ربه أنه على الحق ﴿ ويتلوه ﴾ شاهد منه ﴿ يعني ويتبعه من شهدله بصدق واختلوا في الشاهد من هو فقال ابن عباس عاتمة وارايم ومحامد وعكرمة والضحاة وأكبر المفسرين انه جبريل عليه السلام يريد جبريل يبع النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده ومسدده ويقويه وقال الحسن وعقادة ولسان النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن محمد بن الحنفية قال ثاب لابي ان على ان أي

(أفن كان على بينة من ربه)  
أمن كان يريد الحياة الدنيا  
كمن كان على بينة من ربه أي  
لا يعقبونهم في المنزلة ولا  
يقاربونهم يعني ان بين  
الفريقين تبائسا وأراد  
بهم من آمن من اليهود كعبد  
الله بن سلام وغيره كان  
على بينة من ربه أي على  
برهان من الله وبيان ان  
دين الاسلام حق وهو دليل  
العقل (ويتلوه) ويتبع ذلك  
البرهان (شاهد) شاهد  
بصحته وهو القرآن (منه)  
من الله أو من القرآن فقد  
مر ذكره آنفا

(أفن كان على بينة من ربه)  
على بيان نزل من ربه يعني  
القرآن (ويتلوه) يقرأ  
عليه القرآن (شاهدنا)  
من الله يعني جبريل

﴿ ومن قبله ﴾ ومن قبل القرآن ﴿ كتاب موسى ﴾ يعني التوراة قائما ايضا تلاوه في التصديق أو اليقنة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل أو لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على ان الضمير له أو من التلاوة والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن أو لليقنة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرى كتابا بالنصب عطفًا على الضمير في يتلوه أي يتلو القرآن شاهد من كان على بينة دالة على أنه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل يقرأ من قبل القرآن التوراة ﴿ اماما ﴾ كتابا مؤتمنه في الدين ﴿ ورحة ﴾ على المنزل عليهم لانه الوصلة الى القوز بخير الدارين ﴿ أولئك ﴾ اشارة الى من كان على بينة ﴿ يؤمنون به ﴾ بالقرآن ﴿ ومن يكفر به من الاحزاب ﴾ من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول طالب رضى الله عنه أنت التالى قال وماتنى بالتالى قلت قوله سبحانه وتعالى ويتلوه شاهد منه قال وددت انى هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان اللسان لما كان يعرب عما في الجنان ويظهره جعل كاشاهد له لان اللسان هو آلة الفصل والبيان وبديلى القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النى صلى الله عليه وسلم وبسده وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القرآن لان اعجازه وبلاغته وحسن نظمه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنوته ولانه اعظم مجزانه الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن على وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان من نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصرة علم أنه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله قال على بن أبى طالب ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الآتة والآيتان فقال له رجل وأنت أى آية نزلت فيك فقال على ما قرأ الآتة الى في هود وبنائه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد على بن أبى طالب وقوله منه يعنى من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد تشرىف هذا الشاهد وهو على لائسائه بالنبي صلى الله عليه وسلم رقيب تلاوه شاهد منه يعنى الاجمل وهو اخبر الفراء والمسنى ان الاجمل يتلو القرآن في التصديق بنوة محمد صلى الله عليه وسلم والا امر بالاعيان به وان كان قد نزل قبل القرآن ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ ومن قبله ﴾ يعنى ومن قبل نزول القرآن وارسل محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ كتاب موسى ﴾ يعنى التوراة ﴿ اماما ورحة ﴾ يعنى انه كان اماما لهم يرجعون اليه في أمور الدين والاحكام والشرائع وكونه رحة لانه الهادى من الضلال وذلك سب حصول الرحمة بقوله تعالى ﴿ أولئك ﴾ يؤمنون به ﴿ يعنى اذ الذين رخصهم الله بانهم على بينة من ربهم هم المسلمون بنوه أولئك يؤمنون به يعنى بحمد صلى الله عليه وسلم وقول اراد الذين أسلموا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه يؤمنون بكفره بك يعنى بحمد صلى الله عليه وسلم يؤمنون بالاحزاب ﴿ يعنى من جميع الكفار وأصحاب الادل

( ومن قبله ) ومن قبل القرآن ( كتاب موسى ) وهو التوراة أى ويتا وذلك الراهان أيضا من قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام ( اماما ) كتابا مؤتمنه في الدين قدوة فيه ( ورحة ) عظيمة على المنزل اليهم وهما حالان ( أولئك ) أى من كان على بينة ( يؤمنون به ) بالقرآن ( ومن يكفر به ) بالقرآن ( من الاحزاب ) من اهل مكة ومن ضاههم من المتحيزين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

( ومن قبله ) من قبل القرآن ( كتاب موسى ) توراة موسى قرأ عليه جبريل ( اماما ) يقتدى به ( ورحة ) من آمن به ( أولئك ) من آمن بكتاب موسى ( يؤمنون به ) بحمد عليه السلام والقرآن وهو عبد الله من سلام وأصحابه ( ومن يكفره ) بحمد عليه السلام ( من الاحزاب ) من جميع الكفار

ومورده (فلاتك في سرية)  
شك (منه) من القرآن أو من  
الموعد (انه الحق من ربك  
ولكن أكثر الناس  
لا يؤمنون ومن أظلم ممن  
افتري على الله كذباً أولئك  
يعرضون على ربهم)  
يحبسون في الموقف وتعرض  
أعمالهم (ويقول  
الشهاد هؤلاء الذين كذبوا  
على ربهم) ويشهد عليهم  
الشهاد من الملائكة  
والنبيين بانهم الكذابون  
على الله بأنه اتخذ ولداً  
وشريكاً (اللعنة الله على  
الظالمين) الكاذبين على  
ربهم والشهاد جمع شاهد  
كأصحاب وصاحب وأشهد  
كشريف وأسراف

( قالار موعده مصيره )

(فلاتك) يا محمد (في سرية)

في شك (منه) من مصير من كفر  
بالقرآن (انه الحق من ربك)  
أن مصير من كفر بالقرآن  
الباري يقال فلاتك في سرية  
في شك منه من القرآن انه  
الحق من ربك نزل به جبريل  
(واكن أكثر الناس أهل  
مكة) لا يؤمنون ومن أظلم  
أعق وأجراً (من افتري)  
اخلاق (على الله كذباً  
أولئك يعرضون على ربهم)  
ساقون إلى ربهم (ويتول  
الشهاد) الملائكة والأنبياء  
(دعواهم) الكفار (الذين  
كذبوا على ربهم) (اللعنة الله على السامين)

الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ قالار موعده ﴾ يردها لآعالة ﴿ فلاتك ﴾ في سرية  
منه ﴿ من الموعد أو القرآن ﴾ وقرى سرية بالضم وهما الشك ﴿ انه الحق من ربك ﴾  
ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴿ لقلة نظرهم واختلاف فكرهم ﴾ ومن أظلم ممن افتري  
على الله كذباً ﴿ كأن استداليه مالم ينزله أو نفي عنه ما أنزله ﴾ أولئك يعرضون  
على ربهم ﴿ في الموقف ﴾ بان يحبسوا وتعرض أعمالهم ﴿ ويقولون الاشهاد ﴾ من الملائكة  
والنبيين ومن جوارحهم وهو جمع شاهد كأصحاب أو شهيد كأشراف جمع شريف  
﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ﴾ اللعنة الله على الظالمين ﴿ تبول عظم مما يحق بهم ﴾

المختلفة قد دخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان وغيرهم والاحزاب  
الفرق الذين تحزبوا وتجمعا على مخالفة الانبياء ﴿ قالار موعده ﴾ يعني في الآخرة  
﴿ روى البغوي بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ والذي  
نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الامة ولا يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن  
بالي الذي أرسلت به الا كان من أصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بغى حديث عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه في كتاب الله عز  
وجل حتى بلغني هذا الحديث لا يسمع بي أحد من هذه الامة الحديث قال سعيد  
فقات أين هذا في كتاب الله حتى أتيت على هذه الآية ومن قبله كتاب موسى الى  
قوله سبحانه وتعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالتار موعده قال فلاحزاب أهل  
الملل كلها ﴿ ثم قال سبحانه وتعالى ﴾ فلاتك في سرية منه انه الحق من ربك ﴿ فيه  
قولان أحدهما ان معناه فلاتك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القرآن نازلاً  
من عند الله فعلى هذا القول يكون متلفاً بما قبله من قوله تعالى أم يقولون افتراء والقول  
الثاني أنه راجع الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالتار موعده يعني فلاتك في شك  
من ان التار موعده من كفر من الاحزاب والخطاب في قوله فلاتك في سرية للنبي صلى  
الله عليه وسلم والمراد به غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وبعض هذا  
القول ساق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ يعني  
لا يصدقون بما أوحى اليك أو من ان موعده الكفار النار ﴿ قوله عز وجل ﴾ ومن  
أظلم ممن افتري على الله كذباً ﴿ يعني أى الناس أشد تمدياً بمن اخلاق على الله كذباً  
مكذب عليه وزعم ان له شريكاً أو ولداً وفي الآية دليل على أن الكذب على الله من أعظم  
أنواع الظلم لان قوله تعالى ومن أظلم ممن اهزى على الله كذباً ورد في معرض المبالغة  
﴿ وأولئك ﴾ يعني المقربين على الله الكذب ﴿ يعرضون على ربهم ﴾ يعني يوم القيامة  
فيسألهم عن أعمالهم في الدنيا ﴿ ويقولون الاشهاد ﴾ يعني الملائكة الذين يحضون أعمال  
بنى آدم لله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء ورسل وبه قال الضر رادة  
الاشهاد الخلق كلهم ﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ﴾ حتى في الدنيا وهذه النصيحة  
كروا في الآخرة لكل من كذب على الله نوا لاللعنة الله على الظالمين ﴿ في يتول الله ﴾

( فا و خا ٤٠ لث )

(الذين يصدون عن سبيل الله) يصرفون الناس عن دينه (ويصفونها عوجا) يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يصفون أهلها أن يوجوا بالارتداد { الجزء الثاني عشر } (وهم بالآخرة) ٣١٤ (هم كفرون) هم الثانية التأكيدهم كفروهم

حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويصفونها عوجا ويصفونها بالاعوجاج أو يصفون أهلها أن يوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كفرون والحال أنهم كفرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض أي ما كانوا معجزين في الدنيا أن يعاقبهم في الدنيا وما كان لهم من دون الله من أولياء يعتمونهم من العقاب ولكنه أخر عقابهم إلى هذا اليوم ليكون أشد وأدوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويسقوب يضعب بالشدد ما كانوا يستطيعون السمع لتسامهم من الحق ويغضهم له وما كانوا يبصرون لتسامهم عن آيات الله وكأنه الملة في مضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من أولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب

ذلك يوم القيامة فيلعنهم ويطردهم من رحته (ق) عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر بطوف بالبيت اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كتفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا كذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترنا عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسنة وفي رواية ثم تطوى صحيفة حسنة وأما الكفار والمناققون فيقول الاشهاد وفي رواية فينادي بهم على رؤس الاشهاد من الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين قوله سبحانه وتعالى الذين يصدون عن سبيل الله هذه الآية متصلة بما قبلها والمعنى ألا لعنة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعني يعتمون الناس من الدخول في دين الله الذي هو دين الاسلام ويصفونها عوجا يعني يطلبون القاء الشبهات في قلوب الناس وتعويج الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام وهم بالآخرة هم كفرون يعني وهم مع صدهم عن سبيل الله يحجدون البعث بدمالموت وينكرونه أولئك يعني من هذه صفتهم لم يكونوا معجزين في الأرض قال ابن عباس يعني سابقين وقيل هاربن وقيل قاتلين في الأرض والمعنى أنهم لا يجزؤون الله إذا أرادهم بالعذاب والانتقام منهم ولكنهم في قبضته وملاكه لا يقدرون على الامتناع منه إذا طلبهم وما كان لهم من دون الله من أولياء يعني وما كان لهؤلاء المشركين من أنصار يعتمونهم من دون الله إذا أرادهم سوا أو عذابا يضاعف لهم العذاب يعني في الآخرة يزداد عذابهم بسبب صدهم عن سبيل الله واتكاهم البعث بدمالموت لم يكونوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون كما قاله قتادة صموا عن سماع الحق ولا سمعوا خيرا فينغصون به ولا يبصرون خيرا فأخذون به وتاب ابن عباس أخراجه سبحانه وتعالى

بالآخرة واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا) أي ما كانوا (معجزين في الأرض) معجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم الوأراد عقابهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) من يتولاهم فينصرهم منه ويعتمونهم من عقابه ولكنه أراد انظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب لانهم أضلوا الناس عن دين الله يضعب مكي وشامي (ما كانوا يستطيعون السمع) أي استماع الحق (وما كانوا يبصرون) الحق

المشركين (الذين يصدون) يصرفون (عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته (ويصفونها عوجا) يطابونها زيفا ويقال غيرا (وهم بالآخرة) بالبعث بعد الموت (هم كفرون) جاحدون (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض) فاعين من عذاب الله (وما كان لهم من دون الله من عذاب الله (من أولياء) تحفظهم (يضاعف لهم العذاب) يعني الرؤساء (ما كانوا يستطيعون السمع)

الاستماع إلى كلام محمد صلى الله عليه وسلم من نفسه ويقال وما كانوا يستطيعون السمع الاستماع إلى كلام محمد السلام (وما كانوا يبصرون) إلى محمد عليه السلام من نفسه ويقال وما كانوا يبصرون محمدا صلى الله عليه وسلم (الله)

( أولئك الذين خسروا أنفسهم ) حيث اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله ( ومنزل منهم ) وبطل عنهم وطاع ما اشتروه وهو ( ما كانوا يفترون ) من الآلهة وشفاعتها ( لاجرم أنهم في الآخرة هم الخسرون ) بالإصدا والصود وفي لاجرم أقوال أحدهما ان لارد لكلام سابق ﴿ ٣١٥ ﴾ أي ليس { سورة هود } الاسم كما زعموا ومعنى

جرم كسب وفاعله مضمّر وانهم في الآخرة في محل التنبص والتقدير كسب قولهم خسراهم في الآخرة وثانيها أن لاجرم كلتان ركبنا فصار معناها حقا وأن في موضع رفع بانه فاعل لحق أي حق خسراهم وثالثها ان معناه لامحالة ( ان الذي آمنوا وعملوا الصالحات واختبوا الى ربهم ) واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الحب وهو الارض المطمئنة ( أولئك أصحاب الجنة )

من يفضله ( أولئك ) الرسامه ( الذين خسروا أنفسهم ) غبنوا أنفسهم وأهاليهم ومنزلهم وخدمهم في الجنة وورثه غيرهم من المؤمنين ( ومنزل عنهم ) بطل واشتغل عنهم بأنفسهم ( ما كانوا يفترون ) يصدون من دون الله بالكذب ( لاجرم ) حقا ( أنهم في الآخرة هم الخسرون ) المقبون بذهاب الجنة

اعتراض ﴿ أولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى ﴿ ومنزل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ من الآلهة وشفاعتها أو خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق منهم سوى الحسرة والندامة ﴿ لاجرم أنهم في الآخرة هم الخسرون ﴾ لا احدا بين وأكثر خسرا فانهم ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واختبوا الى ربهم ﴾ اطمأنوا اليه وخشعوا له من الحب وهو الارض المطمئنة ﴿ أولئك أصحاب الجنة فيها خالدون ﴾ دائمون ﴿ مثل الفريقين ﴾ الكافر والمؤمن ﴿ كالأعمى والأصم والبصير والسميع ﴾ يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالأعمى لتصاميه

انه أحال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهي طاعته وما كانوا يبصرون وأما في الآخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة أبصارهم ﴿ أولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ بمعنى ان هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ﴿ ومنزل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ يعني وبطل كذبهم وأعمالهم وفربتهم على الله وادعائهم ان الملائكة والاصنام تشفع لهم ﴿ لاجرم ﴾ يعني حقا وقال الفراء لامحالة ﴿ أنهم في الآخرة هم الخسرون ﴾ لانهم باعوا منازلهم في الجنة واشتروا عوضها منازل في النار وهذا هو الخسران المبين ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واختبوا الى ربهم ﴿ لما ذكر الله عز وجل أحوال الكفار في الدنيا وخسرانهم في الآخرة أتبعه بذكر أحوال المؤمنين في الدنيا وربحهم في الآخرة والاختبات في اللغة هو الخشوع والخضوع وطمأينة القلب ولفظ الاختبات ينمى بالى وباللام فاذا قلت أختبت فلان الى كذا فمناه اطمأن اليه واذا قلت أختبته فعناه خشع وخضع له فقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جمع أعمال الجوارح وقوله وأختبوا اشارة الى أعمال القلوب وهي الخضوع والخشوع لله عز وجل يعني ان هذه الأعمال الصالحة لا تنفع في الآخرة الا بجمعول أعمال القلب وهي الخضوع والخشوع فاذا فسرنا الاختبات بالطمأينة كان معنى الكلام أنهم يأتون بالأعمال الصالحة مطمئين الى صدق وعدالة الله بالواب والجزاء على تلك الأعمال أو يكونون مطمئين الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فسرنا الاختبات بالخشوع والخضوع كان معناه أنهم يأتون بالأعمال الصالحة خائفين وجلين أن لا تكون مقبولة وهو الخضوع والخشوع ﴿ أولئك ﴾ يعني الذين هذه صفتهم ﴿ أصحاب الجنة ﴾ فيها خالدون ﴿ أخبر عن حالهم في الآخرة بأنهم من أهل الجنة التي لا تقطع لتعيمها ولا زوال ﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى

ومانيها ( ان الذين آمنوا ) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ( وعملوا الصالحات ) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ( واختبوا الى ربهم ) اخلصوا اليه وخضعوا اليه وخشعوا من ربهم ( أولئك أصحاب الجنة ) هم في الآخرة ( مقبون ) مثل الفريقين ( الكافر والمؤمن ) من ( كالأعمى والأصم ) يقول مثل الكافر كالأعمى لا يبصر الحق والهدى وكالأصم لا يسمع الحق والهدى ( والبصير والسميع )



شبه فريق الكافرين بالاغبي والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع (هل يستويان) يعني الفريقين (مثلا) تشبيها وهو نه على التميز (أفلاتنكرون) فتنتفون {الجزء الثاني عشر} بضرب ﴿ ٣١٦ ﴾ المثل (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه

عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتأييه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالصدق فيكون كل واحد منهما مشبهاً بشين باعتبار وصفين أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والاصم والمؤمن بالجامع بين صديهما والماعطف لطف الصفة على الصفة كقوله الصالح فالغائب فالآيب

وهذا من باب اللف والطباق ﴿هل يستويان﴾ هل يستوي الفريقان ﴿مثلا﴾ أي تشبيها أو صفة أو حالا ﴿أفلاتنكرون﴾ بضرب الامثال والتأمل فيها ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه اني لكم﴾ باني لكم وقرأ نافع وطاصم وابن عامر وحزة بالكسر على ارادة القول ﴿نذير مبين﴾ ايبن لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ﴿ان لا تعبدوا الا الله﴾ بدل من اني لكم أو مقبول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير ﴿أو اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم﴾ مؤلم وهو في الحقيقة صفة المذهب لكن وصف به العذاب وزمانه على طريق جد جده ونهاره صائم للمبالغة ﴿فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا﴾

أحوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الهدى والحق ومن الصم عن سماعه وذكر أحوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانتقاد للطاعة ضرب لهم مثلا فقال تبارك وتعالى مثل الفريقين يعني فريق المؤمنين وفريق الكافرين كالاغبي وهو الذي لا يهتدي لرشده والاصم وهو الذي لا يسمع شيئا ألبنة والبصير وهو الذي يبصر الاشياء على ماهيتها والسميع وهو الذي يسمع الاصوات ويحيط الداعي فتل المؤمنين كمثل الذي يسمع ويبصر وهو الكامل في نفسه ومثل الكافر كمثل الذي لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص في نفسه ﴿هل يستويان مثلا﴾ قال الفراء لم يقل هل يستويون لان الاغبي والاصم في حيز كأنهما واحد وهما من وصف الكافر والبصير والسميع في حيز كأنهما واحد وهما من وصف المؤمن ﴿أفلاتنكرون﴾ يعني فتعطلون ﴿قوله عز وجل﴾ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ﴿يعني﴾ أن نوحا عليه السلام قال لقومه حين أرسله الله اليهم اني لكم ايها القوم نذير مبين يعني بين النذارة أخوف بالعقاب من خالف أمر الله وعبد غيره وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿أن لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم﴾ يعني مؤلم موجع قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره ألفا وخسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقبل وهو ابن خسين سنة وفيل وهو ابن مائتين وخسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخسين سنة فكان عمره ألفا وأربعمائة وخسين سنة ﴿فقال الملا الذين كفروا من قومه﴾ يعني الاشراف والرؤساء من قوم نوح ﴿ما نراك﴾ يا نوح ﴿ولا بشرا مثنا﴾ يعني

اني لكم نذير مبين) أي باني والمعنى أرسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وبكسر الالف شامى ونافع وطاصم وحزة على ارادة القول (أن لا تعبدوا الا الله) أن مفسرة متعاقبة بأرسلنا أو بنذير (أي أخاف عليكم عذاب يوم اليم) وصف اليوم باليم من الاستناد المجازي لوقوع الالم فيه (فقال الملا الذين كفروا من قومه) يريد الاشراف لانهم غلظن القلوب هينة والجلال أهبة أولانهم ملؤا بالاحلام والآراء الصائبة (ما نراك الا بشرا مثنا) أرادوا انه كان ينبغي أن يكون ملكا يقول ومثل المؤمن كمثل البصير يبصر الحق والهدى وكالسميع يسمع الحق والهدى (هل يستويان مثلا) في المثل يقول هل يستوي الكافر مع المؤمن في الطاعة والثواب (أفلاتنكرون) أفلاتنظرون يا أمثال القرآن فتؤمنوا (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه) فلما جاءهم قال لهم (اني لكم) من الله (نذير) رسول غفوف (مبين) بليغة تعلمونها

( أن لا تعبدوا ) ان لا توحدا ( الا الله اني اخاف عليكم ) اعلم بان يكون عليكم ان اؤمنوا ( عذاب يوم ) آدميا ( آليم ) وجيع وهو الفرق (فقال الملا) الرؤساء (الذين كفروا من قومه) من قوم نوح (ما نراك) يا نوح (لا بشرا) آدميا (مثنا)

أوملكا (ومنازك أتبعك إلا الذين هم أراذلنا) أخسأؤنا جمع الأراذل (بأدى) وبالهزمة أبو عمرو (الرأي) وبغير همز أبو عمرو أي أتبعوك ظاهر الرأي وأول الرأي من بدايدوا إذا ظهر أو بدأ يبدأ إذا فعل الشيء أولا وانتصابه على الظرف أصله موقت حدوث ظاهر رأيهم وأول رأيهم لحذف ﴿٣١٧﴾ ذلك وأقيم المضاف {سورة هود} إليه مقاسمه أرادوا أن

أتباعهم لك شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر ولوتفكروا ما أتبعوك وإنما استرذلو المؤمنين لمقرهم وتأخرهم في الأسباب الدنيوية لأنهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الاظهارا من الحياة الدنيا فكان الاشراف عندهم من له جاء ومال كما ترى أكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليها كرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم أن التقدم في الدنيا لا يقرب أحدا من الله وإنما يبعده ولا يرضه بل يرضه (وما نرى لكم علينا من فضل) في مال ورأي عنوا نوحا وأتباعه (بل نظنكم كاذبين) أي نوحا في الدعوة ومتبعيه في الإجابة والتصديق يعني نواظمهم على الدعوة والإجابة تسييا للرئاسة (قال يا قوم أرايتم) أخبروني (أن كنت على بينة) برهان (من ربي) وشاهد منه يشهد بصحة دعواي (وآتاني رجة من عنده) يعني النبوة (فسميت عليكم) أي ومنازك أتبعك (آمن بك) (الإلا الذين هم أراذلنا)

لا حزمة لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة ومنازك أتبعك إلا الذين هم أراذلنا أخسأؤنا جمع أراذل فإنه بالقلب صار مثل الاسم كالأكبأ وأراذل جمع رذل (بأدى الرأي) ظاهر الرأي من غير تعمق من البدأ وأول الرأي من البدأ والياء مبدلة من الهزمة لا تكسار ما قبلها وقرأ أبو عمرو وبالهزمة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف أي وقت حدوث بأدى الرأي والعامل فيه أتبعك وإنما استرذلوهم لذلك وللفقرهم فانهم لم يعلموا الاظهارا من الحياة الدنيا كان لاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها أراذل وما نرى لكم ﴿﴾ لك ولتبعيك ﴿﴾ علينا من فضل ﴿﴾ يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة ﴿﴾ بل نظنكم كاذبين ﴿﴾ أياك في دعوى النبوة وإياهم في دعوى العلم بصدقك فقلب الخطاب على الغائبين ﴿﴾ قال يا قوم أرايتم ﴿﴾ أخبروني ﴿﴾ أن كنت على بينة من ربي ﴿﴾ جئتكم بصحة دعواي ﴿﴾ وآتاني رجة من عنده ﴿﴾ بإتاء البينة أو النبوة ﴿﴾ فسميت عليكم ﴿﴾ فحفظت عليكم فلم تهدمكم

آدميا مثلنا لأفضل لك علينا لأن التفاوت الحاصل بين آحاد البشر يمتنع اشتباهه إلى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم وإنما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لأن من حق الرسول أن يباشر الأمة بالدعوة إلى الله تعالى بإقامة الدليل والبرهان على ذلك ويظهر المجزة الدالة على صدقه ولا يتأتى ذلك إلا من آحاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته وأرسله إلى عباده ﴿﴾ ثم قال سبحانه وتعالى أخبرا عن قوم نوح ﴿﴾ ومنازك أتبعك إلا الذين هم أراذلنا ﴿﴾ يعني سفلتنا وأراذل الدون من كل شيء قيل هم الحاكمة والأساكفة وأصحاب الصنائع الخسيسة وإنما قالوا ذلك جهلا منهم أيضا لأن الرفعة في الدين ومتابعة الرسول لا تكون بالشرف ولا بالمال والمناسب العالية بل للفقراء الخاملين وهم أتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنائعهم إذا حسنت سيرتهم في الدين ﴿﴾ بأدى الرأي ﴿﴾ يعني أنهم أتبعوك في أول الرأي من غير تثبت وتفكر في أمرك ولوتفكروا ما أتبعوك وفيل معناه ظاهر الرأي يعني هم أتبعوك ظاهرا من غير أن يتفكروا باطنا ﴿﴾ وما نرى لكم علينا من فضل ﴿﴾ معنى بالمال والشرف والجاه وهذا القول أيضا جهل منهم لأن الفضيلة المعتبرة عند الله بالإيمان والطاعة لا بالشرف والرئاسة ﴿﴾ بل نظنكم كاذبين ﴿﴾ قيل الخطاب لنوح ومن آمن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع للواحد على سبيل التعظيم ﴿﴾ قال ﴿﴾ يعني نوحا ﴿﴾ يا قوم أرايتم أن كنت على بينة من ربي ﴿﴾ يعني على بيان وبقين من ربي بالذي أنذرتكم به ﴿﴾ وآتاني رجة من عنده ﴿﴾ يعني هديا ومعرفة ونبوة ﴿﴾ فسميت عليكم ﴿﴾

سفلتنا وضعفنا (بأدى الرأي) ظاهر الرأي الضيف ويقال سوء رأيهم حلهم على ذلك (وما نرى لكم علينا من فضل) بما تقولون تأكلون وتشربون كما تأكل وتشرب (بل نظنكم كاذبين) بما تقولون (قال) نوح (يا قوم أرايتم أن كنت) يقولاني (على بينة من ربي) على بيان نزل من ربي (وآتاني رجة من عنده) أكرمني بالنبوة والاسلام (فسميت) التبتت وان قرأت فسميت يقول البست (عليكم)

خفيت فميت جزء على وحقق أى أخفيت أى فميت تخليكم اليمة فلم تهكم كالوعى على القوم دليلهم فى المفازة بشير هاد وحقيقته أن الحجة كاجلت بصيرة ومبصرة حملت عياء لان الاعى لا يهدى ولا يهدى غيره ( أنلزمكموها ) أى الرحمة ( وأنتم لها كارهون ) لا تريدونها والواو دخلت هنا تامة للميم وعن أبى عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الاخسة خفيفة فظن الراوى سكونا وهو لحن لان الحركة لاعرابية لا يسوغ طرحها الا فى ضرورة الشعر ( ولا قوم لا أسئلكم عليه ) على { الجزء الثانى عشر } تبليغ الرسالة ﴿ ٣١٨ ﴾ لانه مدلول قوله انى لكم نذير

وتوحيد الضمير لان اليمة فى نفسها هى الرحمة أولان خلفاءها يوجب خفاء النبوة وعلى تقدير فميت بمداليمة وحذفها للاختصار أولانه لكل واحدة منهما وقرأ جزء والكسائى وحقق فميت أى أخفيت وقرئ فمها على ان الفعل لله ﴿ أنلزمكموها ﴾ أنلزمكم على الاهنداء بها ﴿ وأنتم لها كارهون ﴾ لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقد اعرف منهما جازى الثانى اتصل والوصل ﴿ ويا قوم لا أسألكم عليه ﴾ على التبليغ وهو وان لم يذكر فعلوم مما ذكر ﴿ مالا ﴾ جملا هو ان اجزى الاعلى الله ﴿ فانه المأمول منه ﴾ وما انا بطارد الذين آمنوا ﴿ جواب لهم حين سألوا طردهم ﴾ انهم ملاقوار بهم ﴿ فيصاحمون طردهم عنده أو انهم ملاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ﴾ ولكنى أراكم قوما تجهلون ﴿ بلقاء ربكم أو باقذارهم أو فى التماس طردهم أو تسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ﴾ ويا قوم من ينصرنى من الله ﴿ يدفع انتقامه ﴾ ان طردهم ﴿ وهم تلك الصفة والمثابة ﴾ أفلا تذكرون ﴿ لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ﴾ ولا أقول لكم عدى خزائن الله ﴿ خزائن رزقه وامواله حتى جسدتم

( مالا ) أجرا ينقل عليكم ان أدبتم أو على ان أيتم ( ان أجري ) مدنى وشاى وأبو عمرو وحقق ( الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا ) جواب لهم حين سألوا طردهم ليؤمنوا به أشقة من المجالسة معه ( انهم ملاقوار هم ) فيشكون اليه ان طردهم ( ولكنى أراكم قوما تجهلون ) تسفهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل أو يجهلون لقاء ربكم أو انهم عدى منكم ( ولا قوم من ينصرنى من الله ) من يمتنع من انتقامه ( ان طردهم أفلا تذكرون ) تعظون ( ولا أقول لكم عدى خزائن الله ) قادى فضلا عليكم بالحق حتى يجحدوا فضلى بقولكم وما ترى اكم علينا من

يعنى خفيت وألبست عليكم ﴿ أنلزمكموها ﴾ الهاء عائدة على الرحمة والمعنى أنلزمكم أيها القوم قبول الرحمة يعنى ان لا تفقدوا أن نلزمكم ذلك من عند أنفسنا ﴿ وأنتم لها كارهون ﴾ وهذا استفهام معناه الانكار أى لا أقدر على ذلك والذى أقدر عليه أن أدعوكم الى الله وليس لى أن أضطرركم الى ذلك قال قتادة والله لو استطاع نبي الله لا نلزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك ﴿ ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ﴾ يعنى لا أسألكم ولا أطلب منكم على تبليغ الرسالة جملا ﴿ ان أجري الاعلى الله وما انا بطارد الذين آمنوا ﴾ وذلك انهم طلبوا من نوح أن يطردهم الذين آمنوا وهم الارذلون في زعمهم فقال ما يجوز لى ذلك لانهم يستقدون ﴿ انهم ملاقوار بهم ﴾ ملا طردهم ﴿ ولكنى أراكم قوما تجهلون ﴾ يعنى عظمة الله ووحدايته وربوبيته وقيل معناه انكم تجهلون ان هؤلاء المؤمنين خير منكم ﴿ ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردهم ﴾ يعنى من يمتنع من عذاب الله ان طردهم عنى لانهم مؤمنون مخلصون ﴿ أفلا تذكرون ﴾ يعنى فتستظنون ﴿ ولا أقول لكم عدى خزائن الله ﴾ هذا عطف على قوله لا أسألكم عايله مالا والمعنى لا أسألكم عليه مالا لا أقول اكم عدى خزائن

بوقى ودنى ( أنلزمكموها ) انلهمكموها وقرءكموها

( وأنتم لها كارهون ) جاحدون ( ويا قوم لا أسئلكم عليه ) على التوحيد ( مالا ) جملا ( ان أجري ) ما واپى ( الله ) ( الاعلى الله ) وما انا بطارد الذين آمنوا يقولكم ( انهم ملاقوا ) معاينو ( ربهم ) فيصاحمون عنده ( ولكنى أراكم قوما تجهلون أمرا ته ) ( ويا قوم من ينصرنى ) من يعنى ( من الله ) ( ان طردهم ) يقولكم ( أفلا تذكرون ) أفلا تستظنون بما أقول لكم مؤمنوا ( ولا أقول اكم عدى خزائن الله ) مقتاع خزائن الله

نزل ( ولا أعلم الغيب ) حتى أطلع على ﴿ ٣١٩ ﴾ ما في نفوس { سورة هود } أتباعي وخمائر قلوبهم

وهو مطوف على عندي  
خزائن أي لأقول عندي  
خزائن الله ولا أقول أنا  
أعلم الغيب ( ولا أقول  
إني ملك ) حتى تقولوا  
لي ما أنت إلا بشري  
مثلنا ( ولا أقول للذين  
تزدري أعينكم ) ولا  
أحكم على من استذلهم  
من المؤمنين لقرهم ( لن  
يؤتيهم الله خيرا ) في الدنيا  
والآخرة لهوانهم  
عليه . مساعدة لكم  
ونزولا على هواكم ( الله  
أعلم بما في أنفسهم ) من  
صدق الاعتقاد وأنا  
على قبول ظاهر أفرارهم  
إذا أطلع على خفي أسرارهم  
( إني إذا لمن الظالمين )  
ان قلت شيئا من ذلك  
والأزدراء اتصال من ذري  
عليه إذا عابه وأصله تزدري  
في الرزق ( ولا أعلم الغيب )  
مق نزول العذاب وما غاب  
عني ( ولا أقول إني ملك )  
من أسماء ( ولا أقول للذين  
تزدري أعينكم ) لا تأخذهم  
أعينكم يقول يحتقرون في  
أعينكم ( لن يؤتيهم الله خيرا )  
لن أكرمهم الله بمعدتي  
الإيمان ( الله أعلم بما في أنفسهم )  
بما في قلوبهم من التصديقات  
( إني إذا ) ان طردتهم  
( لمن الظالمين ) الضارين بنفسي

فضل ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ عطف على عندي خزائن الله أي ولا أقول لكم ما أعلم الغيب حتى  
تكذبوني استعبادا أو حتى أعلم ان هؤلاء اتبعوني مائة الرأي من غير بصيرة ولا عقد قلب  
وعلى الثاني يجوز عطفه على أقول ﴿ ولا أقول إني ملك ﴾ حتى تقولوا ما أنت إلا بشر مثلنا  
﴿ ولا أقول للذين تزدري أعينكم ﴾ ولا أقول في شأن من استذلهم لقرهم ﴿ لن يؤتيهم الله  
خيرا ﴾ فان ما عاهد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا ﴿ الله أعلم بما في أنفسهم إني  
إذا لمن الظالمين ﴾ ان قلت شيئا من ذلك والأزدراء به اتصال من ذري عليه إذا عابه قلبت ناؤه  
دالات الجانس الزاء في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتثنية على انهم استذلهم  
بادي الرؤية من غير رؤية وبما عاينوا من رثالة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم

الله يعني التي لا يشبهها شيء فادعوك الى اتباعي عليها أعطيتكم منها وقال ابن الأنباري الخزائن  
هنا عن غيوب الله وما هو متطوع عن الخلق وأنا واجب أن يكون هذا جوابا من نوح عليه  
السلام لهم لانهم قالوا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وادعوا أن المؤمنين  
انما اتبعوه في ظاهر ما يرى منهم وهم في الحقيقة غير متبعين له فقال بحسبهم ولا أقول لكم  
عندي خزائن الله التي لا يعلم منها ما ينطوي عليه عباده وما يظهر منه الا هو وانما قيل للغيوب  
خزائن لعمومها من الناس واستتارها عنهم والقول الاول أولى ليحصل الفرق بين قوله  
ولا أقول لكم عندي خزائن الله وبين قوله ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ يعني ولا أدعي علم ما يغيب  
عني مما سره في نفوسهم فسيبلى قبول اعانهم في الظاهر ولا يعلم ما في ضمائرهم الا الله  
﴿ ولا أقول إني ملك ﴾ وهذا جواب لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا أي لا ادعي اني من الملائكة  
بل أنا بشر مثلكم ادعوك الى الله وأبلقكم ما أرسات به اليكم

### فصل

استدل بعضهم بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الأنبياء قال لان نوحا عليه الصلاة والسلام  
قال ولا أقول إني ملك لان الانسان اذا قال أنا لا ادعي كذا وكذا لا يحسن الا اذا كان ذلك الشيء  
أشرف وأفضل من أحوال ذلك القائل فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب أن  
يكون الملك أفضل منه والجواب ان نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة في مقابلة قوالهم  
ما نراك الا بشرا مثلنا كان في ظنهم أن الرسل لا يكونون من البشر انما يكونون من الملائكة  
فعلمهم ان هذا ظن باطل وان الرسل الى البشر انما يكونون من البشر فلهذا قال سبحانه وتعالى  
ولا أقول إني ملك ولم يرد ان درجة الملائكة أفضل من درجة الأنبياء والله أعلم  
به وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا أقول للذين تزدري أعينكم ﴾ يعني تحتقر وتستصغر  
أعينكم يعني المؤمنين وذلك لما قالوا أنهم أراذلنا من الرذالة وهى الحسنة ﴿ لن يؤتيهم الله خيرا  
إني يومئذ وسدانة واعانا وأجرا ﴾ الله أعلم بما في أنفسهم يعني من الخير والشر  
﴿ إني إذا لمن الظالمين ﴾ في إرسلهم مكدما لظاهرهم ومعدلا لباطنهم حتى أنى ان فساد  
عذنا كون قد ظلمتهم وأما ما ذكرناه فأنما ان انطادن

فابدلت الثناء دالا ( قالوا يا نوح قد جادلتنا ) خاصمتنا ( فاكثرت جدالتنا فأتانا عاتدنا ) من المذاب ( ان كنت من الصادقين ) في وعيدك ( قال انا يا نبيكم به الله ان شاء ) أي ليس الايمان بالعذاب الى انما هو الى من كفرتم به ( وما أنتم بمعجزين ) أي لم تقدروا على الهرب منه ( ولا ينفعكم نصي ) هو اعلام موضع التي لیتی والرشد لیتی ولكني اني نصي مدني وأومروا ( ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم ) أي يضلكم وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثاني مقدما في الحكم لما عرف تقديره ( الجزء الثاني عشر ) ان كان الله يريد ﴿ ٣٢٠ ﴾ أن يغويكم لا ينفعكم نصي أن أردت

أن أنصح لكم وهو دليل بين لنا في ارادة المصاصي ( هو ربكم ) فيتصرف فيكم على قضية ارادته ( واليه ترجعون ) فيجازيكم على أعمالكم ( أم يقولون اقتراء ) بل أيقولون اقتراء ( قل ان اقتريته فعلی اجرائی ) أي ان صحت أني اقتريته فعلی عقوبة اجرائی أي اقترائی يقال أجرم الرجل اذا أذنب ( وأنا بري ) أي ولم يثبت ذلك وأنا بري منه ومعنى ( مما تجرمون )

( قالوا يا نوح قد جادلتنا ) خاصمتنا ودعوتنا الى دين غير دين آتانا ( فاكثرت جدالتنا ) خصوصتنا ودعانا ( فأتانا عاتدنا ) من المذاب ( ان كنت من الصادقين ) انه بآيتنا ( قال ) نوح ( انا يا نبيكم به الله ) يقول يا نبيكم الله بعد انكم ( ان شاء ) فبعدكم ( وما أنتم بمعجزين ) بنائين من عذاب الله ( ولا

وكالاتهم ) قالوا يا نوح قد جادلتنا ( خاصمتنا ) فاكثرت جدالتنا ( فأتانا عاتدنا ) من المذاب ( ان كنت من الصادقين ) في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا ( قال انا يا نبيكم به الله ان شاء ) عاجلا أو آجلا ( وما أنتم بمعجزين ) بدفع المذاب أو الهرب منه ( ولا ينفعكم نصي ) ان أردت ان أنصح لكم ( شرط ) دليل جواب والجملة دليل جواب قوله ( ان كان الله يريد أن يغويكم ) وتقدير الكلام ان كان الله يريد أن يغويكم فان أردت ان أنصح لكم لا ينفعكم نصي ولذلك تقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كنت زيدا فدخلت ثم قلت لم تطاق وهو جواب لما وهما من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم اربها لكم من غوى الفصل غوى اذا بشم فهلك ( هو ربكم ) خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته ( واليه ترجعون ) فيما زيك على أعمالكم ( أم يقولون اقتراء قل ان اقتريته فعلی اجرائی ) وبالله وقرأ اجرائی على الجمع ( وأنا بري ) مما تجرمون ( من اجرامكم في اسناد

( قالوا يا نوح قد جادلتنا ) يعني خاصمتنا ( فاكثرت جدالتنا ) يعني خصوصتنا ( فأتانا عاتدنا ) يعني من المذاب ( ان كنت من الصادقين ) يعني في دعواك انك رسول من الله البنا ( قال انا يا نبيكم به الله ان شاء ) يعني قال نوح لقومه حين استجلبوه بانزال العذاب ان ذلك ليس الى انما هو الى الله يتقدم على من يشاء ان اراد انزال العذاب بكم ( وما أنتم بمعجزين ) يعني وما أنتم بفائزين ان اراد الله نزول المذاب بكم ( ولا ينفعكم نصي ) ان أردت أن أنصح لكم ( يعني ولا ينفعكم انذارى وتحذيرى اياكم عقوبته ونزول العذاب بكم ) ان كان الله يريد أن يغويكم ( يعني يضلكم وقيل يهلككم وهذا معنى وليس بفسير لان الاغواء يؤدي الى الهلاك ) هو ربكم ( يعني انه سبحانه وتعالى هو عذابكم فلا تقدرون على الخروج من سلطانه ) واليه ترجعون ( يعني في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم ) أم يقولون اقتراء ( أي اختلقه وجاء به من عند نفسه والضمير يعود الى الوحي الذي جاءهم به ) قل ان اقتريته ( أي اختلقته ) فعلی اجرائی ( أي اثم اجرائی ) والاجرام اقتراف السيئة واكتسابها يقال جرم وأجرم بمعنى أنه اكتسب الذنب واقتله ( وأنا بري ) مما تجرمون ( يعني من الكفر والكذب وأكثرت المفسرين

بفسحكم نصي ) دعائى وتحذيرى اياكم من عذاب الله ( ان أردت ان أنصح لكم ) أحذرکم من عذاب الله ( على ) وأدعوك الى التوحيد ( ان كان الله ) قد كان الله ( يريد أن يغويكم ) ان يضلكم عن الهدى ( هو ربكم ) أولى بكم منى ( واليه ترجعون ) بما الموت نبيزكم بالاعمال ( أم يقولون ) بل يقولون قوم نوح ( اقتراء ) اختلق نوح بما آتاه من تلقاء نفسه ( قل ) لهم يا نوح ( ان اقتريته ) اختلقته من تلقاء نفسى ( فعلی اجرائی ) آثامى ( وأنا بري ) مما تجرمون ( تأمنون ويقال

من اجرامكم في اسناد الافتراء الى فلاوجه لامراضكم ومساد انكم (واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) انما من ايمانهم وانه غير متوقع وفيه دليل على أن الايمان حكم النجدة كأنه قال ان الذي آمن يؤمن في حادث الوقت وعلى ذلك تخرج ﴿ ٣٢١ ﴾ الزيادة طائفي ذكرت { سورة هود } في الايمان بالقرآن (فلا

الافتراء الى ﴿ واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا يتبس بما كانوا يفعلون ﴾ يتبس بما كانوا يفعلون ﴿ فلا تحزن حزنا بائسا ﴾ فلا تحزن حزنا بائسا مسكين والابتاس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا تحزن بما فعاوه من تكذيبك وايدائك فقد حان وقت الانتقام من أعدائك (واصنع الفلك باعيننا) ﴿ متبسا باعيننا عبر بكثرة الالتباس الذي يحفظه الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التثليل ﴾ ﴿ ووحينا ﴾ اليك كيف تصنعها ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا ﴾ ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدعاع العذاب عنهم ﴿ انهم مفرقون ﴾ محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفهم

على أن هذا من محاوره نوح قومه فهي من قصة نوح عليه السلام وقال مقاتل أم يقولون يعني المشركين من كفار مكة افتراء يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الآية معترضة في قصة نوح ﴿ ثم رجع الى القصة فقال سبحانه وتعالى ﴿ واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ﴾ قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلقونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون انه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوه الى الله وروى ان شيئا منهم جاء متكئا على عصاه ومعه انه فقال يا بني لا يترك هذا الشيخ الخنون فقال يا أبت أمتكني من العصا فاخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شجبه شجرة منكورة فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ﴿ فلا يتبس ﴾ يعني فلا تحزن عليهم فاني مهلكهم ﴿ بما كانوا يفعلون ﴾ يعني بسبب كفرهم وأفعالهم فحينئذ دعا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وحكي محمد بن اسحق عن عبد الله بن عمر الليثي انه بلغه انه كانوا يبسطون نوحا فيخنقونه حتى يموت عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حتى تماموا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء وهو ينتظر الحيل بعد الحيل فلا يأتي قرن الا كان أحمس من الذي قبله ولقد كان يأتي القرن الآخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنوننا فلا يقبأون من شيئا فشكا نوح الى الله عز وجل فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا والآيات حتى بلغ رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه ﴿ واصنع الفلك ﴾ يعني السفينة والفلك انما يطلق على الواحد والجمع ﴿ باعيننا ﴾ قال ابن عباس عبر أي منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا ﴿ ووحينا ﴾ يعني بأمرنا ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا ﴾ انهم مفرقون ﴿ يعني بالطوفان والمعنى ولا تخاطبني في امهال الكفار فاني قد حكمت باغراقهم وقيل ولا تخاطبني في ابنك كنعان واسرائيل واعلم فانهما هالكان من القوم رقل ان جبريل أتى نوحا فقال له ان ربك بأمرك أن تسمع الفلك فقال كيف أسأله ما وليت نجارا

(قد آمن فلا يتبس) فلا تحزن بما لا كرم (بما كانوا) (تا و خا ١ ث) (بناون) كفهم (واصنع الفلك) (خذ) (البحر السفينة) (باعيننا) بنظرنا (ووحينا) بأمرنا (ولا تخاطبني) لا تراجعني (م الذين ظلموا) في نجاة الدين كفروا (انهم مفرقون) بالطوفان

﴿ويصنع الفلك﴾ حكاية حل ماضية ﴿وكما سر عليه ملا من قومه سخر وامن﴾ استهزؤا به لعملة السفينة فنه كان يماها في بركة بعيدة من الماء أو ان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صبرت نجارا بعدما كنت نبيا ﴿قل ان تسخروا منا فانا نضرمكم كما تسخرون﴾ اذا اخذكم القرق في لدنبا والخرق في الآخرة وقل المراد بالسخرية الاستهزاء فقال ان ركب يقول اصنع ولك باعيننا فاخذ القردوم وجعل يخر ولا يخطي فصنعها مثل سؤج الطير وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ويصنع الفلك﴾ يعني كما أمره الله سبحانه وتعالى قل أهل السير لما أمر الله سبحانه وتعالى الى نوحا بعمل السفينة أقل على عاها ولها عن قومه وجعل يقطع الحشب ويضرب الحديد ويهي القار وكل ما يحتاج اليه في عمل الفلك وجعل قومه يعرون به وهو في عمله فيسخرن منه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة وأعظم الله أرحام النساء فلا يولد لهم ولده قال البغوي وزعم أهل التوراة ان الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج وان يطليه بالقار من داخله وخارجه وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب وان يجعله ثلاث طباق سفلى ووسطى وعليا وأن يجعل فيه كوى فصنع نوح كما أمره الله سبحانه وتعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما اتخذ نوح السفينة في سنين وكان طواها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فجعل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والاهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى وجعل معه ما يحتاج اليه من الزاد وغيره قال قتادة وكان يماها في هر منها وروى عن الحسن انه كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع والقول الاول أشهر وهو ان طولها ثلاثمائة ذراع وقال زيد بن اسلم مكث نوح مائة سنة يغرس الاشجار ويقطعها ومائة سنة يصنع الفلك وقال كعب الاحبار عمل نوح عليه السلام السفينة في ثلاثين سنة وروى انها ثلاثة أطباق الطبقة السفلى للدواب والوحوش والطبقة الوسطى للاناس والطبقة العليا للطيور فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله سبحانه وتعالى الى نوح عليه السلام ان اغرز ذنب الفيل فتمزق فوقه ماء خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير موقع منه الفأر فاقبلوا على الروث فاكلوه فلما امسد الفأر في السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها أوحى الله سبحانه وتعالى اليه أن اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من مخفره سنور وسنورة وهي القطة والقط فاقبلا على الفأر فاكلاه ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ وكما سر عليه ملا من قومه ﴿أي جماعة من قومه﴾ سخر وامنه ﴿يعني استهزؤا به وذلك انهم قالوا ان هذا الذي كان يزعم انه نبي قد صار نجارا وقيل قالوا يا نوح ماذا تصنع قل اصنع يتايمش على الماء فضحكوا منه﴾ قال ﴿يعني نوحا لقومه﴾ ﴿ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون﴾ يعني ان تستهزلونا في صنعنا فانا نستحقكم لنعرضكم لما يوجب سخط الله وذهابه عما نزلت السخرية لاليق عصب

الفلك) حكاية حال ماضية (وكما سر عليه ملا من قومه سخر وامنه) من عمله السفينة وكان يماها في بركة في أبعد موضع من الماء فكانوا يتضاخكون منه ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا (قال ابن تسخروا منا فانا نسخر منكم) عند رؤية الهلاك (كما تسخرون) متاعذ رؤية الفلك روى ان نوحا عابه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج في ستين وكان طولها ثلاثمائة ذراع أو ألفا ومائتي ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطواها في السماء ثلاثين ذراعا وجعل لها ثلاثة بطون فجعل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والاهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب نوح ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وجعل معه جسد آدم عليه السلام وجعله حاجزا (ويصنع الفلك) اخذ في علاج السفينة (وكما سر عليه ملا) وساء (من قومه سخر وامنه) هزؤا به بمجالته السفينة قال ان تسخروا منا اليوم فانا نسخر منكم (بعد اليوم كما تسخرون) اليوم منا

تعلون من بآتيه عذاب يخزيه ﴿ يعنى به ايامهم وبالعذاب الفرق ﴾ ويحمل عليه ﴿ ويحمل أو يحمل عليه حلول الدين الذى لا انفكاك عنه ﴾ عذاب مقيم ﴿ دائم وهو عذاب النار ﴾ حتى اذا جاء امرنا ﴿ غاية لقوله وبصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه أوحى الى التور يبدأ بعدها الكلام ﴾ وفار التور ﴿ نبع الماء منه وارفع كالقدر تقور والتور تنور الحزن انتهى منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدنا أوفى الهند أوبسين وردة من ارض الجزيرة وقيل البوة فكيف قال فوح عليه السلام ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون ﴿ قلت انما سمى هذا الفعل تسخر على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كافي قوله سبحانه وتعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى انما يرى غيب تسخرتكم بنا اذا نزل بكم العذاب وهو قوله تعالى ﴿ فسوف تعلمون ﴾ يعنى فسوف تعلمون ﴿ من بآتيه ﴾ يعنى اينما بآتيه نحن أو أنتم ﴿ عذاب يخزيه ﴾ يعنى يهينه ﴿ ويحمل عليه عذاب مقيم ﴾ يعنى في الآخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وهو الفرق والمراد بالعذاب الثانى عذاب الآخرة وهو عذاب النار الذى لا انقطاع له ﴿ قوله عز وجل ﴾ حتى اذا جاء أمرنا وفار التور ﴿ يعنى وغى والقور التليان وفارت القدر اذا غلت والتور فارسى معرب لا تعرف له العرب اسما غير هذا فذلك جاء في القرآن بهذا اللفظ فخطوطا بجا يعرفون وقيل ان لفظ التور جاء هكذا بكل لفظ عربى وعجمى وقيل ان لفظ التور أصله أعجمى فتكلمت به العرب فصار عربيا مثل الديباج ونحوه واختافوا في المراد بهذا التور فقال عكرمة والزهرى هروجا الارض بذلك انه قيل لروح عليه السلام اذا رأيت الماء قد ناز على وجه الارض فاركب السفينة فعلى هذا يكون قد جعل فوران التور علامة لوح على هذا الامر العظيم وقال على عار التور أى لأمع الله نور الصبح ونور الصبح بخروج النار من التور وقال الحسن ومجاهد والشعبي ان النار هو الذى يخز فيه وهو قول أكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا وهذا الاول أصح لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حله على الحقيقة أولى ولفظ التور حقيقة في اسم الموضع الذى يخبز فيه فوجب حمل اللفظ عليه مما لقات الالام والدم في لفظ التور للمهود ليس هنا معهود سابق عند السامع فوجب حله على غيره وهو حدة الامر والمعنى اذا رأيت الماء يشتد نبوعه ويقوى فاجب بنفسك ومن مكنت لمك لا يبعد أن يكون ذلك التور معلوما عند نوح عليه السلام قال الحسن كل تنورا من حجارة وكانت حواء تخبز فيه ثم صار الى نوح وقيل له اذا رأيت الماء يعور من لنور فاركب أنت وأصحابك واختلفوا في موضع التور فقال مجاهد نبع الماء من النور فعلمت به امرأه فاخبرته وكان ذلك في ناحية الكوفة وكان الشعبي يحارب بالله ما طار التور الا من ناحية الكوفة قال الشعبي اتخذوا السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التور على عين الداخل مما على باب كندة وكان فوران التور علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك التور تنور آدم وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس انه كان بالهند

(فسوف تعلمون من بآتيه عذاب يخزيه) بذله وبذلكه (ويحمل عليه) يجب عليه (عذاب مقيم) دائم في الآخرة (حتى اذا جاء امرنا) وقت عذابنا (وفار التور) وبقال

وقت عذابنا (وفار التور) نبع الماء من التور وبقال



الارض ( قلنا اجل فيها )  
في السفينة ( من كل زوجين  
اثنين ) تفسيره في سورة  
المؤمنين ( وأهلك الامن  
سبق عليه القول ) عطف  
على اثنين وكذا ( ومن آمن )  
أى واحل أهلك والمؤمنين  
من غيرهم واستثنى من أهله  
من سبق عليه القول أنه من اهل

النار وما سبق عليه القول  
بذلك الا لئلا يمتنع  
الكفر بتقديره وارادته  
جل خالق العباد عن أن يقع  
في الكون خلاف ما أراد  
( وما آمن معه الا قليل )  
قال عليه السلام كانوا ثمانية  
نوح وأهله وبنوه الثلاثة  
ونسائهم وقيل كانوا  
عشرة خمسة رجال وخمس  
نساء وقيل كانوا اثنين  
وسبعين رجلا ونساء  
وأولاد نوح سام وحام  
ويافت ونسائهم فالجبع  
ثمانية وسبعون نصفهم  
رجال ونصفهم نساء

طلع الفجر ( قلنا اجل فيها )  
في السفينة ( من كل زوجين )  
من كل صنفين ( اثنين )  
ذكر وأنثى ( وأهلك الامن  
سبق عليه ) وجب عليه  
( القول ) بالمذاب ( ومن  
آمن ) معك أيضا اجل  
معك في السفينة ( وما آمن  
معه الا قليل ) ثمانون انسانا

التنور وجه الارض أو اشرف موضع فيها ﴿ قلنا اجل فيها ﴾ في السفينة ﴿ من كل ﴾  
من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها ﴿ زوجين اثنين ﴾ ذكر وأنثى هذا على  
قراءة حفص والباقيون اضافوا على معنى اجل اثنين من كل زوجين أى من كل صنف  
ذكر وصنف أنثى ﴿ وأهلك ﴾ عطف على زوجين أو اثنين واما اراد امرأته وبنوه  
ونسائهم ﴿ الامن سبق عليه القول ﴾ بأنه من المفرقين يريدانه كتمان وامه واعلة  
قائمه ما كانا كافرين ﴿ ومن آمن ﴾ والمؤمنين من غيرهم ﴿ وما آمن معه الا قليل ﴾  
قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافت ونسائهم  
واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روى انه عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة

قال والقوران الفليان ﴿ قلنا اجل فيها ﴾ يعنى قلنا لنوح اجل في السفينة ﴿ من كل ﴾  
زوجين اثنين ﴿ الزوجان كل اثنين لا يستغنى احدهما عن الآخر كالدكر والانثى  
يقال لكل واحد منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكر وأنثى فحشر الله  
سبحانه وتعالى اليه الحيوان من الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيديه  
في كل جنس منها فيقع الذكرك في يده والانثى في يده اليسرى فيجعلهما في السفينة  
﴿ وأهلك ﴾ أى واحل أهلك ولدك وحيالك ﴿ الامن سبق عليه القول ﴾ يعنى  
بالهلاك وأراد به امرأته واعلة وولده كتمان ﴿ ومن آمن ﴾ يعنى واحل معك  
من آمن من قومك ﴿ وما آمن معه الا قليل ﴾ اختلفوا في عدد من حل نوح معه في السفينة  
فقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح  
وامرأته وثلاثة بنين له وهم سام وحام ويافت ونسائهم وقال الاعشى كانوا سبعة  
نوحا وبنيه وثلاث كنان له وقال محمد بن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح  
وبنوه سام وحام ويافت وستة نفر آمنوا بنوح وأزواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا  
اثنين وسبعين نفرا رجلا وامرأة وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان في السفينة ثمانون  
رجلا أحدهم جرهم قال الطبري والصواب من القول في ذلك ان يقال كما قال الله  
عز وجل وما آمن معه الا قليل فوصفهم الله سبحانه وتعالى بالقلة ولم يحدد عددا بمقدار  
فلا ينبغي أن يجاوز في ذلك حد الله سبحانه وتعالى اذ لم يرد ذلك في كتاب ولا خبر  
صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حل نوح معه جسد آدم عليه السلام  
فجعله معترضا بين الرجال والنساء ومعدنوحا جميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن  
عباس رضى الله عنهما أول ما حل نوح الدرة وآخر ما حل الحمار فلما أراد أن يدخل  
الحمار أدخل صدره فعلق ابايس بن نبيه فلم تنقل رجلاه وجعل نوح يقول له ويحرك أدخل  
فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان الشيطان معك كلمة رب على لسانه  
فلما قالها نوح خلى سبيل الحمار فدخل الحمار ودخل الشيطان معه فقال له نوح ماذا  
أدخلك على ياعد والله قال ألم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عني يا عدو الله  
قال لابد من أن تحملني معك فكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البخاري

(وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها) بسم الله متصل باركبوا حالا من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله واقتلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها المالن ﴿٣٢٥﴾ المجري والمرسى {سورة هود} للوقت واما لانهما مصدران

كالاجراء والارساء حذف منها الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ويجوز أن يكون بسم الله مجريها ومرساها جملة برأسها غير متعلقة بما قبلها وهي مبتدأ وخبر يعني ان نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بان مجراها ومرساها نذكر اسم الله أي بسم الله اجراؤها

وارساؤها وكان اذا أراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا أراد ان ترسوقال بسم الله فرست مجريها بفتح الميم وكسر الراء من جرى اما مصدر أو وقت جزء وعلى وحفص وبضم الميم وكسر الراء أبو عمرو والباقون بضم الميم وقمع الراء (ان ربي لففور) لمن آمن منهم (رحيم) حيث خلصهم (وهي تجري بهم) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم أي السفينة تجري وهم فيها (في موج كالجبال) يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتر وتمررة

(وقال) لهم (اركبوا

في سنتين من الساج وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعل لها ثلاثة بطون تحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير ﴿٣٢٦﴾ وقال اركبوا فيها ﴿٣٢٧﴾ أي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالركوب في الارض ﴿٣٢٨﴾ بسم الله مجريها ومرساها ﴿٣٢٩﴾ متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله أو قتلتين بسم الله وقت اجرائها وارسائها أو مكانهما على ان المجري والمرسى للوقت أو المكان أو المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصايهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما بسم الله على ان المراد بهما المصدر أو جملة من مبتدأ وخبر أي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر أو صلة والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضية لاتعلق لها بما قبلها أو حال مقدرة من الواو أو الهاء وروى انه كان اذا أراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا أراد ان ترسوقال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقصدا كقوله

الى الحول ثم اسم السلام عليكما

وقرأ جزء والكسائي وطاسم براوية حفص مجريها بالفتح من جرى وقرئ مرسيها ايضا من رسا وكلاهما محتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ﴿٣٣٠﴾ ان ربي لففور رحيم ﴿٣٣١﴾ أي لولا منفردته لفرط انكم ورجت اياكم لما تجاوزكم ﴿٣٣٢﴾ وهي تجري بهم ﴿٣٣٣﴾ متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها ﴿٣٣٤﴾ في موج كالجبال ﴿٣٣٥﴾

وقال الامام فخر الدين الرازي وأما الذي يروى ان ابليس دخل السفينة فبيد لانه من الجن وهو جسم ناري أو هو أفي فكيف يفر من الفرق وايضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه قال البغوي وروى عن بعضهم ان الحية والقرب أنبا نوحا عليه السلام فقالا اجلنا معك فقال انكما سبب البلاء فلا جاكما فقالا اجلنا فحسن نضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك فن قرأ حين يخاف مضرتما سلاما على نوح في العالمين لم تضرا وقال الحسن لم يحمل نوح معه في السفينة الاما لدويبيض وأما ما سوى ذلك مما يتوله من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيئا ﴿٣٣٦﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿٣٣٧﴾ وقال اركبوا فيها ﴿٣٣٨﴾ يعني وقال نوح لمن جل معه اركبوا في السفينة ﴿٣٣٩﴾ بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لففور رحيم ﴿٣٤٠﴾ يعني بسم الله اجراؤها وارسائها وقال الضحاك كان نوح اذا أراد ان تجري السفينة قال بسم الله فجري ركان اذا أراد ان ترسو يعني تفق قال بسم الله فترسو أي تفق وهذا تلميح من الله لانه من أراد أمرا فلا ينبغي له أن يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه رقت الشروع حتى يكون ذلك سببا للنجاح والفلاح في سائر الامور ﴿٣٤١﴾ وهي تجري بهم في موج كالجبال ﴿٣٤٢﴾ الموج ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الريح شبهه سبحانه وتعالى بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء

فيها (في السفينة) (بسم الله مجريها) حيث تجري (ومرساها) حيث تحبس وان قرأت مجريها ومرسيها يقول الله مجريها حيث شاء ومرسيها حيث شاء (ان ربي لففور) متجاوز (رحيم) لمن تاب (وهي تجري بهم) إياها (في موج) في غمر الماء (كالجبال) كجبل عظيم

وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة في خلاله وبذلك موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها (ونادى نوح ابنه) كنعان وقيل يام والجمهور على انه ابنه الصلي وقيل كان ابن امراءه (وكان في معزل) عن أبيه وعن السفينة مقفل من عزله (الجزء الثاني عشر) عنه اذا غناه ٣٢٦ وأبعدا وفي معزل عن دين أبيه (يا بني)

في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بتابت والمشهور انه علاشوا من الجبال خمسة عشر ذراعا وان صعد فقل ذلك قبل التطبيق (ونادى نوح ابنه) كنعان وقرى ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامراءه وكان ربيده وقيل كان لغيره شدة لقوله تعالى ففجأتناهما وهو خطأ اذا لانياء عليهم السلام عصمت من ذلك والمراد بالحياة الحياتة في الدين وقرى ابنه على الدبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف (وكان في معزل) عزله فيه نفسه عن أبيه وعن دينه مقفل للمكان من عزله عنه اذا أبده (يا بني اركب معنا) في السفينة والجمهور كسروا الياء بدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقب عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قبل وعاصم فانه قنع ههنا اقتصارا على القنع من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختافت الرواية عنه في سائر المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما (ولا تكن مع الكافرين) في الدين والانزال (قال سآوى الى جبل يعصمى من الماء) ان يفرقى (قال لعاصم اليوم من امراء الله الامن رحم) الا الراحم وهو الله تعالى او الامكان من رجهم الله وهو المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم مستصم من جبل ونحوه يصم الثلاثية المستصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لعاصم بمعنى اذا عصمت كقوله تعالى في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع أى لكن

بالسير أرسل الله المطر أربعين يوما ولبلة وخرج الماء من الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ففجأتنا أبواب السماء بغيا ممر وفجرتنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر بقى صار الماء نصفين نصفًا من السماء ونصفًا من الارض وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى أغرق كل شئ وروى انه لما كثرت المياه في السكك خافت أم صى على ولدها من الفرق وكانت تحبه جبا شديد افخرجت به الى الجبل حتى بلغت نائه فلجعتها الماء فارتفعت حتى بلغت نيشه فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء الى رقبته ارفقت الصى بيديها حتى ذهب بها الماء فأغرقتهما فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبي (ونادى نوح ابنه) يعنى كنعان وكان كافرا (وكان في معزل) يعنى عن نوح لم يركب معه (يا بني اركب معنا) يعنى في السفينة (ولا تكن مع الكافرين) يعنى فتباك معهم (قال) يعنى قال كنعان (سآوى) يعنى سآجى وأصير (الى جبل يعصمى) يعنى يعنى (من الماء) قال (بني قال له نوح) لعاصم (يعنى لأمنا من) اليوم من أمر الله (يعنى من عذابه) الامن رحم (يعنى الامن رجه الله فينجيه من الفرق

بقنع الياء ماصم اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة من قولك يا بني اغيرة بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة (اركب معنا) في السفينة أى اسلم واركب (ولا تكن مع الكافرين قال سآوى) ألبا (الى جبل يعصمى من الماء) يعنى من الفرق (قال لعاصم اليوم من امراء الله الامن رحم) الا الراحم وهو الله تعالى أو لعاصم اليوم من الطوفان الامن رحم الله أى الامكان من رجم الله من المؤمنين وذلك انه لما جعل الجبل ماصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم مستصم قط من جبل ونحوه سوى مستصم واحد وهو مكان من رجهم الله ونجاهم من السفينة أو هو استثناء منقطع كأنه قل ولكن من رجه الله فهو

في ارتفاع (ونادى نوح) دنانوح (ابنه) كنعان (وكان في معزل) في ناحية من السفينة ويقال في ناحية الجبل (يا بني اركب معنا) ان معنا بالله الا الله (ولا تكن مع الكافرين) على دينهم ففرق بالطوفان (قال سآوى).

سأذهب (الى جبل يعصمى) يعنى (من الماء) من الفرق (قال) نوح (لعاصم اليوم) لأمنا من اليوم (من) (و حال) أمر الله (من عذاب الله الفرق) الامن رحم الله

المسحور كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن (وحال بينهما الموج) بين ابنه والجبل أو بين نوح وابنه (فكان من المفرقين) فصار أو كان في علم الله (وقيل يا أرض ابني ماءك) انشئ وتشري والبلع النشف (ويا سماء اقلني) امسكي (وغض الماء) نقص من غاضه اذا نقصه وهو لازم ومتعد (وقضى الامر) وانجز ما وعد الله نوحا من اهلاك قومه (واستوت) واستقرت السفينة بعد ان طافت الارض كلها ستة أشهر (على الجودي) وهو جبل بالموصل (وقيل بعدا لاقوم الظالمين) أي صحف لاقوم نوح الذين غرقوا يقال بعدا بعدا اذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ولذلك خص بداء السوء والنظر في هذه الآية من أربع جهات من جهة علم اليان وهو النظر فيما فيها من الحجاز والاسمارة والكناية وما يتصل بها فنقول ان الله تعالى لما أراد ان يبين معنى أردنا ان نرد ما الفجر من الارض الى بطنها فارد وان نقطع طوقان ﴿ ٣٢٧ ﴾ السماء ﴿ سورة هود ﴾ فانقطع وان لفيض الماء

النازل من السماء ففيض التازل من السماء ففيض وان تقضى أمر نوح وهو انجاز ما كنا وعدناه من اغراق قومه فقضى وان نسوى السفينة على الجودي استوت وأبقينا الظلمة غرقى في الكلام على تشبيه المراد بالامور الذي لا يتأتى منه لكمال هيئته العصبان وتشبيه تكون المراد بالامر الحزم النافذ في تكون المقصود تصورا لا قدره العظيم وأن السموات والارض متقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير متمعة لارادته فيها تقيرا وتبديلا كنه اعقلاء يميزون قد عرفوه حق معرفته واحاطوا علما بوجود الانقياد لامره والاذعان

من رحمة الله بعباده ﴿ وحال بينهما الموج ﴾ بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل ﴿ فكان من المفرقين ﴾ فصار من المهلكين بالماء ﴿ وقيل يا أرض ابني ماءك ويا سماء اقلني ﴾ نوديا بما نادى به اولو العلم وأمرنا بما يؤمر به تميلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من أليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك ﴿ وغض الماء ﴾ نقص ﴿ وقضى الامر ﴾ وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين ﴿ واستوت ﴾ واستقرت السفينة ﴿ على الجودي ﴾ جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روى انه ركب السفينة ماسر رجب ونزل عنها ماسر المحرم فصام ذلك اليوم وصار ذلك سنة ﴿ وقيل بعدا لاقوم الظالمين ﴾ هلاكهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بداء السوء والآية

﴿ وحال بينهما الموج ﴾ كان من المفرقين ﴿ يعني كنعان ﴾ وقيل ﴿ يعني بعد ما انتهى الطوفان وأغرق الله قوم نوح ﴾ يا أرض ابني ماءك ﴿ أي اشريه مني ويا سماء اقلني ﴾ أي امسكي ﴿ وغض الماء ﴾ أي نقص ونضب يقال غاض الماء اذا نقص وذهب ﴿ وقضى الامر ﴾ يعني وفرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح ﴿ واستوت ﴾ بنى واستقرت السفينة ﴿ على الجودي ﴾ وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿ وقيل بعدا ﴾ يعني هلاكاً ﴿ للقوم الظالمين ﴾ قال العلماء بالسير لما استقرت السفينة بعث نوح الغراب لباتيه بنجر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فمشت الحمامة فصاحت بورق زيتون في منقارها ولطخت رجليا بالطين

لحكمه وتحتم ذلك المحمود عليهم في تحصيل مراده ثم نرى على تشبيه هذا انظم الكلام فقال عز وجل وقيل على سبيل الحجاز عن الارادة الواقع سببها قول القائل وجعل قرينة الحجاز الخطاب للحماد هو يا أرض ويا سماء ثم قال مخاطبا لهما يا أرض ويا سماء على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار افور الماء في الارض للبع الذي هو اعمال الجاذب في المطر والشمس بينهما وهو الذهاب الى مقر خفي

من المزمعين (وحال بينهما) بين كنعان وزبحر ريتل يكان والجبل وينال بين كنعان والسفينة (الموج) انكبه (فكان) فصار (من المفرقين) بالانفصال (وقيل يا أرض ابني ماءك) انشئ ماءك (يا سماء اقلني) احبيني ماءك (وغض) نقص (الماء وقضى الامر) وفرغ من ذلك (واستوت) استقرت (على الجودي) وهو جبل بنصيبين في أرض موصل (وقيل بعدا) سمحاً من رجة الله (للقوم الظالمين) المشركين قوم نوح

ثم استعار الماء للغذاء تشبيهاً بالغذاء لتقوى الأرض بالماء في النباتات كتحوى الآكل بالطعام ثم قال مائه بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز لا اتصال الماء بالأرض كاتصال الملك بالمالك ثم اختار لا احتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشب بينهما في عدم التأني ثم قال وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا ولم يصرح عن فاض الماء ولا عن قضى الامر وسوى السفينة وقال بعدا كالم يصرح بقائل يأرض ويأسماء سلوكا في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكون مكون قاهر وان فاعلها واحد لا يشارك في فعله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا أرض ابلى مائه ويأسماء أقلى ولا أن يكون الفاعل والقاضى والمسوى غيره ثم حتم الكلام بالترريض تشبهاً لسالكى مسلكهم في تكذيب الرسل ظلما لانفسهم اظهارا لمكان السخط وأن ذلك العذاب الشديد ما كان الا لظلمهم ومن جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها وذلك انه اختير يادون اخواتها لكونها أكثر استعمالا ولدلالة على بدال المناهى الذى يستدعيه مقام اظهار العظمة والمكوت وابداء العزة والجبروت وهو تبسيد المنادى المؤذن بالهوان به ولم يقل يا أرضى لزيادة الهوان اذا الاضافة تستدعى القرب ولم يقل يا أرضها الأرض للاختصار واختير لفظ الأرض والسما لكونهما أخف وادور واخير ابلى على ابتلى لكونه أخصر وللتجانس بينه وبين { الجزء الثانى عشر } أقلى ٣٢٨ وقيل أقلى ولم يقل عن المطر

في غاية الفصاحة لفحمة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الإيجاز الحالى عن الإخلال وإيراد الأخبار على البناء للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل وأنه متعين في نفسه مستغنى عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال

فلم نوح ان الماء قد ذهب فدعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يألب البيوت وطوق الحمامة بالخضرة التى فى عنقها ودعاه بالامان فن ثم تألب البيوت وروى أن نوحا عليه السلام ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة اشهر ومرت بالبيت الحرام قد رفعه الله من الترق وبقى موضعه فطافت السفينة به سبعا وأودع الحجر الاسود جبل أبى قيس وهبط نوح ومن معه فى السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح عليه السلام وأمر جميع من معه بصيامه شكرا لله تعالى وبنوا

وكذا لم يقل يا أرض ابلى ماءك فبليت ويأسماء أقلى فأقامت اختصارا واختير غيض على غيض وقيل الماء دون أن يقول ماء الطوفان والامر ولم يقل أمر نوح وقومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك ولم يقل وسوت على

الجودى أى أقرت على نحو قيل وغيض اعتبارا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة فى قوله وهى تجرى بهم إرادة ( قرية ) للمطابقة ثم قيل بعدا للقوم ولم يقل ليعدا ليعدا لطلب التأكيد مع الاختصار هذا من حيث النظر الى تركيب الكلم وأما من حيث النظر الى ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء على الامر فقيل يا أرض ابلى ويأسماء أقلى ولم يقل أبلى يا أرض وأقامى يا اسماء جريا على مقتضى الكلام فحين كان مأمورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الامر الوارد عقبيه فى نفس المنادى تصدأ بذلك لمعنى الرشيع ثم قدم أمر الأرض على أمر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها ثم أتبع وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء وأخذ بحجتها ثم ذكر ما هو المقصود وهو قوله وقضى الامر أى أنجز الموعد من اهلاك الكفرة وأنجاء نوح ومن معه فى الفلك وعلى هذا فاعتبره ومن جهة الفصاحة المعنوية وهى كاترى نظم المعانى لطيف وتأدية لها ملخصة مينة لاتعتمد بمثل الفكر فى طلب المراد ولا التواء يشك الطريق الى المراد ومن جهة الفصاحة اللفظية فالفاظيا على ما ترى عربية مستعملة سليمة عن التناثر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسلة على الاسلات كل منها كالماء فى السلاسة وكالاسل فى الخلابة رتالسيم فى الرقة ومن ثم أطبق المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الايمان بمثل هذه الآيات والله درسا للتزول لا يتأمل العالم آية من آياته الا ادرك لطائف لاتسع الحصر ولا تظان الآيات مقصورة على المذكور قلل المتروك أكثر من المسطور

لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ﴿ ونادى نوح ربه ﴾ واراد نداءه بدليل عطف قوله ﴿ فقال رب ان ابني من اهلي ﴾ فانه النداء ﴿ وان وعدك الحق ﴾ وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فاحاله اوفاله لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه ﴿ وانت احكم الحاكمين ﴾ لانك اعلمهم واعدلهم اولئك اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع ﴿ قال يانوح انه ليس من اهلك ﴾ لقطع الولاية بين المؤمنين والكافر

قرية بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين قهى اول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينج أحد من الكفار من الترق غير عوج بن عنق وكان الماء يصل الى جرفته وسبب نجاة من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج لاجل السفينة فلم يمكنه نقله فعمله عوج بن عنق من الشام الى نوح فنجاه الله من الترق لذلك • فان قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يلبثوا الحلم من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم • قلت ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل أعقم أرحام نساءهم اربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوى لانه يرد عليه اغراق جميع الدواب والهوام والطيور وغير ذلك من الحيوان ويرد على ذلك أيضا اهلاك اطفال الامم الكافرة مع آباؤهم غير قوم نوح والجواب الشافي عن هذا كله ان الله سبحانه وتعالى متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عما يفعل وهم يستلون • قوله عز وجل ﴿ ونادى نوح ربه ﴾ أى دعاه وسأله ﴿ فقال رب ان ابني من اهلي ﴾ يعنى وقد وعدتني أن تنجينى وأهلي ﴿ وان وعدك الحق ﴾ يعنى الصدق الذى لا خلف فيه ﴿ وانت احكم الحاكمين ﴾ يعنى انك حكمت لقوم بالنجاة وحكمت على قوم بالهلاك ﴿ قال ﴾ يعنى قال الله تعالى ﴿ يانوح انه ﴾ يعنى هذا الابن الذى سألتني نجاة من اهلك من اهلك • اخلف علماء التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح لصابه أم لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حدث من غير نوح ولم يعلم به فلذلك قال انه ليس من اهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امرأة نوح وكان يملكه نوح ولذلك قال من اهلي ولم يقل منى وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبيرة والضحاك رضى الله عنهم وأكثر المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة هذا نقل الجمهور لما صح عن ابن عباس انه قال ما بنت امرأة نوح قط ولا ن الله سبحانه وتعالى نص ديا بقره سبحانه وتعالى ونادى نوح انه وزح صلى الله عليه وسلم أيضا نص عليه بقوله يابى اركب معنا وهذا نص فى الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر من خالفه لانه استبعد أن يكون ولد نبي كافرا وهذا خطأ ممن قال لا الله سبحانه

(ونادى نوح ربه فقال رب) نداؤه ربه دعاؤه وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده فى تهيئة أهله (ان ابني من اهلي) أى بعض أهلي لانه كان ابنه من صلبه وكان ربياله فهو وبعض أهله (وان وعدك الحق) وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذى لا شك فى انجازه والوفاء به وقد وعدتني أن تنجينى أهلي فإبأن ولدي (وأنت احكم الحاكمين) أى اعلم الحكام وأعدلهم اذ لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غرق فى الجهل والجور من منة لدى الحكومة فى زمانك قد قلبت اقضى القضاة ومنه احكم الحاكمين فاعبر واستعبر (قال يانوح انه ليس من اهلك) ثم علل لانتفاء كونه من اهله بقوله

(ونادى نوح) دعاه ربه (فقال رب) بارب (ان ابني) كنعان (من اهلي) الذى وعدت أن تنجيه (وان وعدك الحق) الصدق (وأنت احكم) أعدل (الحاكمين) وعدتني نجاتي ونجاة أهلي (قال) الله (يانوح انه ليس من اهلك) أى وعدتني أن أنجيه

( انه عمل غير صالح ) وفيه ايدان بان قرابة الدين فاصرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك وان كان حبشيا او كنت قرشيا الصيغة ومن لم يكن على دينك وان { الجزء الثاني عشر } كان أمس أقاربك ﴿ ٣٣٠ ﴾ رجافهوا أبعد بعيد منك

وأشار اليه بقوله ﴿ انه عمل غير صالح ﴾ فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فيجعل ذاته ذات العمل للبالغة كقول الخنساء تصف ناقه ترتع ما غفلت حتى اذا ذكرت \* فأنما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحاً بالناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه \* وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل غير صالح عمل غير صالح ﴿ فلا تستلن ما ليس لك به علم ﴾ ما لا تعلم أسواب هوأم ليس بصواب وانما سمي نداؤه سؤالاً لضمين ذكر الوعد بنجاة اهله

وتعالى خلق خلقه فريق في الجنة وهم المؤمنون وفريق في السير وهم الكفار والله سبحانه وتعالى يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبياء وغيرهم فان الله سبحانه وتعالى اخرج قابيل من صلب آدم عليه السلام وهو نبي وكان قابيل كافراً وأخرج ابراهيم من صلب آزر وهونى وكان آزر كافراً فكذلك اخرج كنعان وهو كافراً من صلب نوح وهونى فهو المتصرف في خلقه كيف يشاء \* فان قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسأل له النجاة مع قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا \* قلت قد ذكر بعضهم أن نوحاً عليه الصلاة والسلام لم يعلم بكون ابنه كان كافراً فلذلك ناداه وعلى تقدير أنه يعلم كفره انما جله على ان ناداه رقة الابوة ولعله اذا رأى تلك الاحوال أن يسلم فينجيه الله بذلك من الفرق فأجاباه الله عز وجل بقوله انه ليس من أهلك يعنى أنه ليس من أهل دينك لان أهل الرجل من يجمعه واياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراها وما حكمت الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الاحكام بين المسلم والكافر قال الله سبحانه وتعالى لنوح انه ليس من أهلك ﴿ انه عمل غير صالح ﴾ قرأ الكسائي ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير يفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه أنه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ الباقر من القراء عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التثنية وغير يضم الراء ومعناه ان سؤالك اياي ان أنجي من الفرق عمل غير صالح لان طلب نجاة الكافر بعد ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال سبحانه وتعالى انه عمل غير صالح ويجوز أن يعود الضمير في انه على ابن نوح أيضاً ويكون التقدير على هذه القراءة ان ابنك ذو عمل او صاحب عمل غير صالح فحذف المضاف كما قالت الخنساء \* فأنما هي اقبال وادبار \* قال الواحدى وهذا قول أبي اسحق يعنى الزجاج وأبي بكر بن الانبارى وأبي على الفارسي قال أبو على ويجوز أن يكون ابن نوح عمل غير صالح فحذفت نفسه ذلك العمل لكثرة ذلك منه كما قال الشاعر زهير والعلم فلان اذا كثرت منه فعل هذا لاحذف ﴿ فلا تستلن ما ليس لك به علم ﴾ وذلك ان نوحاً عليه السلام سأل ربه انجاء ولده من الفرق وهو من كمال شفقة الوالد

وجعلت ذاته عملاً غير صالح مباينة في ذمه كقولها \* فأنما هي اقبال وادبار \* أو التقدير انه ذو عمل وفيه اشعار بأنه انما أنجى من أنجي من أهله لصلاتهم لا لانهم أهله وهذا لما اتفق عند الصالح لم تنفعه أبوة عمل غير صالح على قال الشيخ أبو منصور رحمه الله كان عند نوح عليه السلام ان ابنه كان على دينه لانه كان يشافق والا لا يحتل أن يقول ابنى من أهلى ويسأله نجاته وقد سبق منه النهى عن سؤال مثله بقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فكان يسأله على الظاهر الذي عنده كما كان اهل الفسق يظهرن الموافقة لينا عليه السلام ويضرون الحلاف له ولم يعلم بذلك حتى أطلعه الله عليه وقوله ليس من أهلك أى من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة في السر والظاهر ( فلا تستلن ) اجترأ بالكسرة عن الياء كوى تسأني بصرى تسأني مدني تسألني شامي فحذف

الياء واجترأ بالكسرة واننون نون التأكيد تسألني مكي ( ما ليس لك به علم ) يجوز مستث. ( على )

( انه عمل ) في الشرك ( غير صالح ) غير مرضى وان قرأت انه عمل غير صالح يقول دعاؤك اياي بنجاة غير مرضى ( فلا تستلن ) نجاة ( ما ليس لك به علم ) أنه أهل النجاة

( انى أعظك أن تكون من الجاهلين ) هو كما ترى رسولنا بقوله فلا تكون من الجاهلين ( قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم ) أى من أن أطلب منك في المستقبل ما لا أعلم لي بصحة تأه بإبادتك واتعاظا بموعظتك ( والاتفقلى )

ما فرط منى ( وترجى ) بالصحة عن العود الى مثله ( أكن من الخاسرين قيل يأنوح اهبط بسلام منا ) بتهيئة منا أو بسلامة من الفرق

( انى أعظك ) أنهاك ( ان تكون ) أن لا تكون ( من الجاهلين ) بسؤالك اياى ما لم تعلم ( قال ) نوح ( رب ) يارب ( انى أعوذ بك ) امتنع بك ( أن أسألك ) نجاة ( ما ليس لي به علم ) أنه أهل للنجاة ( والا تفقرلى ) يقول ان لم تفقرلى يعنى ان لم تجاوز عنى ( وترجى ) ولا ترجى فتعذبنى ( أكن من الخاسرين ) بالقوبة ( قيل يأنوح اهبط ) انزل من السفينة ( بسلام منا ) بسلامة منا

استبحازه فى شأن ولده أو استفسار المانع للانجاز فى حقه وانما سماء جهلا ووجرعته بقوله ﴿ انى أعظك ان تكون من الجاهلين ﴾ لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشقه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسروا النون على اصله تستلقى فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياه ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع برواية رويس اثباتها فى الاصل ﴿ قال رب انى أعوذ بك ان أسألك ﴾ فيما يستقبل ﴿ ما ليس لي به علم ﴾ مالا علم لي بصحته ﴿ والاتفقلى ﴾ وان لم تفقرلى ما فرط منى من السؤال ﴿ وترجى ﴾ بالتوبة والفضل على ﴿ أكن من الخاسرين ﴾ اعمالا ﴿ قيل يأنوح اهبط بسلام منا ﴾ انزل من السفينة مسلما من المكارة من جهتنا أو مسامعك

على ولده وهو لا يعلم ان ذلك محذور لاصرار ولده على الكفر فنهاه الله سبحانه وتعالى عن مثل هذه المسئلة وأعلمه أن ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسألنى ما ليس لك به علم يجوز مسئلته ﴿ انى أعظك ﴾ يعنى أنهاك ﴿ أن تكون من الجاهلين ﴾ يعنى لمثل هذا السؤال ﴿ قال ﴾ يعنى قال نوح ﴿ رب انى أعوذ بك ﴾ يعنى ألتجأ اليك وأعذر اليك ﴿ ان أسألك ما ليس لي به علم ﴾ يعنى انك أنت علام الغيوب وانما لا أعلم ما غاب عني فاعذر اليك من مسئلتى ما ليس لي به علم ﴿ والاتفقلى ﴾ يعنى جهلى واقداى على سؤال ما ليس لي به علم ﴿ وترجى ﴾ يعنى برجتك التى وسعت كل شئ ﴿ أكن من الخاسرين ﴾

### فصل

وقد استدله هذه الآيات من لا يرى عصمة الانبياء ويانه ان قوله انه عمل غير صالح المراد منه السؤال وهو محذور فلقد انهاء عنه بقوله فلا تسألنى ما ليس لك به علم وقوله سبحانه وتعالى انى أعظك أن تكون من الجاهلين يدل على ان ذلك السؤال كان جهلا فقيه زجروا تهديدا وطلب المغفرة والرجة له يدل على صدور الذنب منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بأن ينجيهم وأهله فأخذ نوح ظاهر اللفظ وأنبأ التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك وعد الله سبحانه وتعالى فاقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سؤاله ما ليس له به علم وبين له انه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذى هو غير صالح وأعلمه الله سبحانه وتعالى انه مفرق مع الذين ظلموا وانه عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من اقدامه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك فلتجأ الى ربه عز وجل وخشع له وعاذبه وسأله المغفرة والرجة لان حسنات الارار سيأت المقربين وليس فى الآيات ما يقتضى صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تأويله واقدامه على سؤاله ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ قيل يأنوح اهبط أى انزل من السفينة أو من الجبل الى الارض ﴿ بسلام منا ﴾



( وبركات عليك ) هي البركات التي هي في حقه بذرة ذريته واتباعه فقد جعل الله في الآيات من ذريته واحة الدين في القرون الباقية من نسلك وعلى أم من معك ) من الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جحاط أو قيل لهم أم لان الام تشبه منهم أو ابتداء النسيان أي على أم ناشئة من معك وهي الام الى آخر الدهر وهو الوجه ( وأم ) رفع بالابتداء ( ستمتعهم ) في الدنيا بالسعة في الرزق والخفض في العيش صفة والخبر محذوف تقديره ومن معك أم ستمتعهم وانما حذف لان من معك يدل عليه ( ثم عسى مناعذاب أليم ) أي في الآخرة والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى أم مؤمنين ينشؤون من معك ومن معك أم متقنون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام أيا الانبياء وخلق بعد الطوفان منه ومن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة { الجزء الثاني عشر } وفيما بعده ﴿ ٢٣٢ ﴾ من المتاع والعذاب كل كافر ( تلك )

اشارة الى قصة نوح عليه السلام وعملها الرفع على الابتداء والجل بعدها وهي ( من أنباء القيب نوحيا اليك ما كنت تعلم أنت ولا قومك ) أخبار أي تلك القصة بعض أنباء القيب موحة اليك مجهولة عندك وعند قومك ( من قبل هذا ) الوقت أو من

﴿ وبركات عليك ﴾ ومبارك عليك أو زيادات في نسلك حتى تصير آدمائيا \* وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهو الخير النائي ﴿ وعلى أم من معك ﴾ وعلى ام هم الذين معك سموا أما نحن بهم أو تشعب الام منهم أو على ام ناشئة من معك والمراد بهم المؤمنون لقوله ﴿ وأم ستمتعهم ﴾ أي ومن معك ام ستمتعهم في الدنيا ﴿ ثم عسى مناعذاب أليم ﴾ في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام والعذاب ما نزل بهم ﴿ تلك ﴾ اشارة الى قصة نوح عليه السلام وعملها الرفع بالابتداء وخبرها ﴿ من أنباء القيب ﴾ أي بعضها ﴿ نوحيا اليك ﴾ خبر نان والضمير لها أي موحة اليك أو حال من الانباء وهو الخبر ومن أنباء متعلق به أو حال من الهاء ﴿ ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ﴾

( وبركات ) سعادات ( عليك وعلى أم ) جاعة ( عن معك ) في السفينة من أهل السعادة ( وأم ) جاعة في أصلابهم ( ستمتعهم ) ستمتعهم بعد خروجهم من أصلاب آبائهم ( ثم عسى ) يصيبهم ( مناعذاب أليم ) وجمع بعدما كفروا وهم أهل الشقاوة قال ابن عباس رضى الله عنهما أوحى الله الى

بامن وسلامة ﴿ منا وبركات عليك ﴾ البركة هي ثبوت الخير ونفاؤه وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا ان الله سبحانه وتعالى جعل ذريته الباقين الى يوم القيامة فكل العالم من ذرية أولاده الثلاثة ولم يقب من كان معه في السفينة غيرهم ﴿ وعلى أم من معك ﴾ يعني وعلى ذرية أم من كانوا معك في السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون نجي من بعدك من ذرية أولادك وهم المؤمنون قال محمد بن كعب القرظي دخل في هذا كل مؤمن الى يوم القيامة ﴿ وأم ستمتعهم ﴾ هذا ابتداء كلام أي وأم كافرة يحدون بمدك ستمتعهم يعني في الدنيا الى منتهى آجالهم ﴿ ثم عسى مناعذاب أليم ﴾ يعني في الآخرة ﴿ من أنباء القيب ﴾ هذا خطاب لاني صلى الله عليه وسلم يعني ان هذه القصة التي أخبرناك يا محمد من قصة نوح وخبر قومه من أنباء القيب يعني من أخبار القيب ﴿ نوحيا اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ﴾ يعني من فل نزول القرآن عليك فان قلت ان قصة نوح كانت شهيرة معروفة

نوح عليه السلام وهو ابن أربعمائة وثمانين سنة ودعا قومه مائة وعشرين سنة وركب في السفينة وهو ابن ( في ) ستائة سنة وعاش بعد ما ركب في السفينة ثلاثمائة وخمسين سنة وبقى في السنة تسعة أشهر وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع بذراعها وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكان لها مائة أبواب بعضها أسفل من بعض جل في الباب الأسفل السباع والبهائم وجل في الباب الأوسط الوحوش والبهائم وجل في الباب الأعلى بنى آدم وكانوا ثمانين انسانا ربيعون رجلا وأربعون امرأة وكان بين الرجال والنساء جسداً آدم صلات الله عليه وكان معه ثلاثة بنين سام وحام ويافت ( تلك ) هذه ( من أنباء القيب ) من أخبار الغائب عنك ( نوحيا اليك ) نرسل جبريل اليك يا محمد بأخبار الام الماضية ( ما كنت تعلمها ) يعني أخبار الام ( أنت ولا قومك من قبل هذا ) القرآن

قبل ان يحاث اليك واخبارك بها ( فاصبر ) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولكن كذبك فهو ما كان لنوح ولقومه ( ان العاقبة ) في الفوز والنصر والتلبة ( للمتقين ) عن الشرك ( والى عاد أخاهم ) واحدا منهم وانتصابه للمطاف على أرسلنا نوحا وأرسلنا ﴿ ٣٣٣ ﴾ الى عاد أخاهم ( هودا ) عطف ( سورة هود ) بيان ( قال يا قوم اعبدوا

الله ) وحدوه ( مالكم من اله غيره ) بالرفع نافع صفة على محل الجار والمجرور وبالجر على على اللفظ ( ان اثم الامفقتون ) تفقرون على الله الكذب يتخذكم الاوثان له شركاء ( يا قوم لا أسئلكم عليه أجرا ان أجرى الاعلى الذى فطرنى ) ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يحضنها الاحسم المطامع وما دام يتوهم شئ منها لم تنفع ولم تنفع ( أفلاتعقلون ) اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شئ أننى للهمة من ذلك ( ويا قوم استغفروا ربكم ) آمنوا به ( ثم توبوا اليه ) من عبادة غيره

( فاصبر ) يا محمد على أذا هم وتكذيبهم اليك ( ان العاقبة ) آخر الامر بالنصرة والجنة ( للمتقين ) الكفروا والشرك

خبر آخر أى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ان يحاث اليك أو حال من الهاء في نوحها أو الكاف في اليك أى جاهلا أنت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم تعلمها اذ لم يخاطب غيرهم والهم مع كثرتهم لما لم يسمعوها فكيف بواحد منهم ﴿ فاصبر ﴾ على مشاق الرسالة وأذى القوم كما صبر نوح عليه السلام ﴿ ان العاقبة ﴾ في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز ﴿ للمتقين ﴾ عن الشرك والمعاصي ﴿ والى عاد أخاهم هودا ﴾ عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان ﴿ قال يا قوم اعبدوا الله ﴾ وحده ﴿ مالكم من اله غيره ﴾ وقرئ بالجر جلا على المجرور وحده ﴿ ان اثم الامفقتون ﴾ على الله يتخذ الاوثان شركاء وجعلها شفعا ﴿ يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى الاعلى الذى فطرنى ﴾ خاطب كل رسول به قومه ازاحة للهمة وتحميضا للنصيحة فانها لا تنفع مادامت مشوبة بالمطامع ﴿ أفلاتعقلون ﴾ أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا الحق من المبطل والصواب من الخطأ ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ﴾ ثم توبوا اليه ﴿ اطلبوا منفرة الله بالايمان ﴾ ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرى من الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة

في العالم فكيف قال ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا قلت يحتمل ان يكون كانوا يملونها بمجلة فتزل القرآن بتفصيلها ويانها وجواب آخر وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان أميا لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك كانت أمته فصمم قوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل نزول القرآن بها ﴿ فاصبر ﴾ يا محمد على أذى شركى قومك كما صبر نوح على أذى قومه ﴿ ان العاقبة ﴾ أى النصر والظفر على الاعداء والفوز بالسعادة الاخرية ﴿ للمتقين ﴾ يعنى للمؤمنين ﴿ قوله عز وجل ﴾ والى عاد ﴿ يعنى وأرسلنا الى عاد ﴾ أخاهم هودا ﴿ يعنى أخاهم في النسب لافى الدين ﴾ قال يا قوم اعبدوا الله ﴿ يعنى وحدوا الله ولا تشركوا معه شئاً فى العبادة ﴾ مالكم من اله غيره ﴿ يعنى انه تعالى هو الهكم لا هذه الاصنام التى تعبدونها فانها حجارة لا تفصر ولا تنفع ﴿ ان اثم الامفقتون ﴾ يعنى ما اثم الا كاذبون فى عبادتكم غيره ﴿ يا قوم لا أسئلكم عليه ﴾ يعنى على تبليغ الرسالة ﴿ أجرى ﴾ يعنى جعلنا آخذكم منكم ﴿ ان أجرى ﴾ يعنى ما ثوابى ﴿ الاعلى الذى فطرنى ﴾ يعنى خلقتى فانه هو الذى يرزق فى الدنيا ويبيئ فى الآخرة ﴿ أفلاتعقلون ﴾ يعنى فتعطلون ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ﴾ أى آمنوا به والاستغفار هنا بمعنى الايمان لانه هو المطلوب أولا ﴿ ثم توبوا اليه ﴾ يعنى من شرككم وعبادتكم غيره ومن ساءب ذنوبكم

والفواحش ( والى عاد ) وأرسلنا الى عاد ( أخاهم ) نبيهم ( هودا ) قال يا قوم اعبدوا الله ( وحدوا الله ) ( مالكم من اله غيره ) غير الذى أسركم أن تؤمنوا به ( ان اثم ) ما اثم بعبادة الاوثان ( الامفقتون ) كاذبون على الله لم يأسركم بعبادتها ( يا قوم لا أسئلكم عليه ) على التوحيد ( أجرى ) جلا ( ان أجرى ) ما ثوابى ( الاعلى الذى فطرنى ) خلقتى ( أفلاتعقلون ) أفلا تصدقون أفليس اكم ذهن الانسانية ( ويا قوم استغفروا ربكم ) وحدوا ربكم ( ثم توبوا اليه ) اقبلوا اليه بالتوبة والاخلاص

( يرسل السماء ) أى المطر عليكم مدرارا ) حال أى كثرة الدور ( ويزدكم قوة الى قوتكم ) انما قصد استقامتهم الى الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا أصحاب زروع وبساتين فكانوا أحوج شئ الى الماء وكانوا مدلين بما أوثروا من شدة البطش والقوة وقيل أراد القوة بالمال أو على النكاح وقيل حسب هذه القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والاولاد على الايمان والاستغفار وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه وفد على مساوية فلما خرج قال له بعض جهانه انى رجل ذومال ولا يولدلى علمنى شئاً لعل الله يرزقنى ولدا فقال الحسن عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار { الجزء الثانى عشر } حتى رجا استغفر ﴿ ٣٣٤ ﴾ فى يوم واحد سبعمائة مرة فولد له

عشرين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سأتهم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمدكم بأموال وبنين ( ولا تتولوا ) ولا تعرضوا عني وما أدعوك اليه ( مجرمين ) مصرين على اجرامكم وآثامكم ( قالوا يا هود ما جئنا ببينة ) كذب منهم وجحد كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوات آياته الحصر ( وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك ) هو حال من الضمير فى تاركى آلهتنا كانه قيل وما تترك آلهتنا صادرين عن قولك ( وما نحن لك بمؤمنين ) وما نصح من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما يدعوه اليه اقناطاله من الاجابة ( ان نقول الاعتراك

فما عنده ﴿ يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ كثرا لدر ﴿ ويزدكم قوة الى قوتكم ﴾ ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا أصحاب زروع وعمارات وقيل حسب الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ﴿ ولا تتولوا ﴾ ولا تعرضوا عما ادعوك اليه ﴿ مجرمين ﴾ مصرين على اجرامكم ﴿ قالوا يا هود ما جئنا ببينة ﴾ بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المجزات ﴿ وما نحن بتاركى الهتنا ﴾ بتاركى عبادتهم ﴿ عن قولك ﴾ صادرين عن قولك حال من الضمير فى تاركى ﴿ وما نحن لك بمؤمنين ﴾ اقناطاله من الاجابة والتصديق ﴿ ان نقول الاعتراك ﴾ ما نقول الا قولنا اعتراك أى اصابك من هراء يعرفه اذا اصابه ﴿ بعض آلهتنا بسوء ﴾ بمنحون لسبك اياها وسدك عنها ومن ذلك تهذى وتشكم بالخرفات والجملة مقول القول ولا لقولان الاستثناء مفرغ

﴿ يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ يعنى ينزل المطر عليكم متابعاً مرة بعد مرة فى أوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت خصبة كثيرة الخير والنعم فأمسك الله عنهم المطر مدة ثلاث سنين فاجدبت بلادهم وقطعت بسبب كفرهم فاخبرهم هود عليه السلام انهم ان آمنوا بالله وصدقوا أرسل الله اليهم المطر فأجابهم بلادهم كما كانت أول مرة ﴿ ويزدكم قوة الى قوتكم ﴾ يعنى شدة مع شدتكم وقيل معناه انكم ان آمنتم بقولكم بالاموال والاولاد وذلك انه سبحانه وتعالى أعقم أرحام نسائهم فلم تلد فقال لهم هود عليه السلام ان آمنتم أرسل الله المطر فتزدادون مالا ويبدأ أرحام الامهات الى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل تزدادون قوة فى الدين الى قرعة الابدان ﴿ ولا تتولوا مجرمين ﴾ عني ولا تعرضوا عن قبول قولى ونصيحى حال كونكم مشركين ﴿ قالوا يا هود ما جئنا ببينة ﴾ أى يبرهان وجهة واضحة على صحة ما نقول ﴿ وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك ﴾ يعنى وما تترك عبادة آلهتنا لاجل قولك ﴿ وما نحن لك بمؤمنين ﴾ يعنى بمصدقين ﴿ ان نقول الاعتراك ﴾ بعض آلهتنا بسوء ﴿ عني أنك يا هود لست تمنعنا ما تمنعنا طاه

بعض آلهتنا بسوء ) ان حرف نفي فنفي جميع القول الا قولاً واحداً وهو قولهم اعتراك اصابك بعض آلهتنا بسوء ( من ) بمنحون وخيل وتقديره ما نقول قوله الالهة المقالة أى قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء

( يرسل السماء عليكم مدرار ) مطر اءادريرا كلما احتاجون اليه ( ويزدكم قوة الى قوتكم ) شدة الى شدتكم بالمال والبنين ( ولا تتولوا ) عن الايمان والتوبة ( مجرمين ) مشركين بالله ( قالوا يا هود ما جئنا ببينة ) بيان ما نقول ( وما نحن بتاركى آلهتنا ) عبادة آلهتنا ( عن قولك ) بقولك ( وما نحن لك بمؤمنين ) بمصدقين بالرسالة ( ان نقول ) ما نقول فيه نهاك ( الاعتراك ) يصيبك ( بعض آلهتنا بسوء ) بخيل لانك تستهوا

( قال انى أشهد الله واشهدوا انى برى مما تشركون من دونه ) أى من اشراككم آلهة من دونه والمعنى انى أشهد الله انى برى مما تشركون واشهدوا انى برى من ذلك وجى به على لفظ الاسر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يس الثرى بينه وبينه اشهد على انى لأحبك مكمابه واستهانة ﴿ ٣٣٥ ﴾ بحاله { سورة هود } ( فكيدونى جيما ) أنتم

وآلهتكم (ثم لا تنظرون) لا تعملون فانى لأبلى بكم و بكيديكم ولا أخاف معرفتكم وان تساوتن على وكيف تضرنى آلهتكم وماهى الا جاد لا يضر ولا ينفع وكيف تنقسم منى اذا قلت منها وصدت عن عبادتها بان تخلى وتذهب بقلى (انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) أى مالكتها ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بالناسية غشيل ان ذلك (ان ربى على صراط مستقيم

﴿ قال انى أشهد الله واشهدوا انى برى مما تشركون من دونه فكيدونى جيما ثم لا تنظرون ﴾ اجاب به عن مقالاتهم الحقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه من اضرارهم تأكيدا لذلك وثبثا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد فى اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة لان آلهتهم التى هى جاد لا تضر ولا تنفع لا تمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقتة بالله وتبسطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله ﴿ انى توكلت على الله ربى وربكم ﴾ تقريراً له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضرولى فانى متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بى ما لم يرده ولا تقدرولى على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ﴿ ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ﴾ أى الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ﴿ ان ربى على صراط مستقيم ﴾ أى انه على الحق والعدل لا يضيع عنده

من مخالفتنا وسب آلهتنا الآن بعض آلهتنا أصابك بخجل وجنون لانك سبيتهم فانتقموا منك بذلك ولا تحمل أسرك الا على هذا ﴿ قال ﴾ يعنى قال هود عجيبا لهم ﴿ انى أشهد الله ﴾ يعنى على نفسى ﴿ واشهدوا ﴾ يعنى واشهدوا أنتم ايضا على ﴿ انى برى مما تشركون من دونه ﴾ يعنى هذه الاصنام التى كانوا يعبدونها ﴿ فكيدونى جيما ﴾ يعنى احتالوا فى كيدي وضرى أنتم واصنامكم التى تعتقدون انها تضر وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع ﴿ ثم لا تنظرون ﴾ يعنى ثم لا تعملون وهذا فيه مجزة عظيمة لهود عليه السلام وذلك انه كان وحيدا فى قومه فاقال لهم هذه المقالة ولم يهيبهم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت الا لثقتة بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله تعالى ﴿ انى توكلت على الله ربى وربكم ﴾ يعنى انه فوض أمره الى الله واعتمد عليه ﴿ ما من دابة ﴾ يعنى تدب على الارض ويدخل فى هذا جميع بنى آدم والحیوان لانهم يدبون على الارض ﴿ الا هو آخذ بناصيتها ﴾ يعنى انه تعالى هو مالكتها والقادر عليها وهو يقهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته والناسية مقدم الرأس وسوى الشعر الذى عليه ناصية للمجاورة قيل انما خص الناصية بالذكور لان العرب تستعمل ذلك كثيرا فى كلامهم فاذا وصفوا انسانا بالذلة مع غيره يقولون فامة فلان بيد فلان وكانوا اذا سروا أسيرا وأرادوا اطلاقه جزوا ناصيته لينوا عليه ريمقدوا بذلك فخر اعليد فغاطبهم الله سبحانه وتعالى بما يعرفون من كلامهم ﴿ ان ربى على صراط مستقيم ﴾ يعنى ان ربى وان كان قادرا وأنتم فى قمت كالمعد

على الله ( فوضت أمرى اليه ) ربى خاتى ورزقى ( وربكم ) خالككم رزاقكم ( ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ) يعنىها ويحييها ويقال فى قبضته يفعل ما يشاء ( ان ربى على صراط مستقيم )



كما قال سبحانه في الأرض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصفا أحوالهم فقال (جمعدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لأنهم إذا عصوا رسلهم فقد عصوا جميع رسل الله ﴿٣٣٧﴾ لا نفرق بين { سورة هود } أحد من رسله ( واتبوا

أمر كل جبار عنيد ) يريد رؤسائهم ودمائهم إلى تكذيب الرسل لأنهم الذين يجبرون الناس على الأمور ويساندون ربه ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم ( واتبوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة ) أي جعلت اللعنة تأبئة لهم في الدارين تكبهم في العذاب ( إلا أن عادا كفروا ربهم ) جمعدوا وكفروا لعنه أو كفروا به فحذف الجار ( ألا بعدا لعاد ) دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على أنهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وإنما كرر ألا وأعاد ذكرهم تعظيما لأمرهم وحثا على الاعتبار بحالهم ( قوم هود ) عطف ببيان لعاد وفائدة تمييزهم عن عاد الثانية عادارم والإيحاء إلى أن استحقاقهم للعذاب بما جرى بينهم وبين هود ( وإلى هود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غيره

القبيلة أولان الإشارة إلى قبورهم وآثارهم ) جمعدوا بآيات ربهم ) كفروا بها ( وعصوا رسله ) لأنهم عصوا رسلهم ومن عصى رسولا فكأنما عصى الكل لأنهم أسروا بطاعة كل رسول ( واتبوا أمر كل جبار عنيد ) يعني كبارهم الطاغين وعينهم عند عدا وغنوا وعند الأطنى والمعنى عصوا من دعاهم إلى الأيمان وما نهيهم وأطاعوا من دعاهم إلى الكفر وما يرد بهم ( واتبوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة ) أي جعلت اللعنة تأبئة لهم في الدارين تكبهم في العذاب ( إلا أن عادا كفروا ربهم ) جمعدوا وكفروا لعنه أو كفروا به فحذف الجار ( ألا بعدا لعاد ) دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على أنهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وإنما كرر ألا وأعاد ذكرهم تعظيما لأمرهم وحثا على الاعتبار بحالهم ( قوم هود ) عطف ببيان لعاد وفائدة تمييزهم عن عاد الثانية عادارم والإيحاء إلى أن استحقاقهم للعذاب بما جرى بينهم وبين هود ( وإلى هود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غيره

جمعدوا بآيات ربهم وعصوا رسله ) لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد رده إلى القبيلة وفيه إشارة إلى قبورهم وآثارهم كما أنه قال سيروا في الأرض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم بقوله تعالى جمعدوا بآيات ربهم يعني المجزئات التي أتى بها هود عليه السلام وعصوا رسله يعني هودا وحده وإنما أتى به بلفظ الجمع إما للتعظيم أو لأن من كذب برسول فقد كذب كل الرسل ( واتبوا أمر كل جبار عنيد ) يعني أن السفلة منهم أتبعوا الرؤساء والمراد من الجبار الرفيع في نفسه المتفرد على الله والعنيد المماندة الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه ( واتبوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة ) يعني أن أردفوا لعنة تتبعهم وتلقهم وتنصرف معهم واللغة الطرد والابعاد من رحمة الله ( ويوم القيمة ) يعني وفي يوم القيامة أيضا تتبعهم اللعنة كاتبعهم في الدنيا ثم ذكر سبحانه وتعالى السبب الذي استحقوا به هذه اللعنة فقال سبحانه وتعالى ( إلا أن عادا كفروا ربهم ) أي كفروا ربهم ( ألا بعدا لعاد ) يعني هلاكهم وقيل بعدا عن الرحمة فإن قلت اللعنة معناها الإبعاد والهلاك فالقائدة في قوله إلا بعدا لعاد لأن الثاني هو الأول بيته قلت القائدة فيه أن التكرار ببارتين مختلفتين يدل على نهاية التأكيدهم كانوا مستحقين له ( قوم هود ) عطف ببيان لعاد فان قلت هذا البيان حاصل مفهوم فالقائدة في قوله قوم هود قلت أن عادا كانوا قبيلتين عاد الأولى القديمة التي هم قوم هود وعاد الثانية وهم أرم ذات العماد وهم العماليق فأتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه وجواب آخر وهو أن المبالغة في التنصيص تدل على تقوية التأكيد بقوله عز وجل ( وإلى هود أخاهم صالحا ) يعني وأرسلنا إلى هود وهم سكان الحضر أخاهم صالحا يعني في النسب لاقى الدين ( وقال يا قوم اعبدوا الله ) أي وحدوا الله وخسوه بالعبادة ( ما لكم من الله غيره ) يعني هو الله المستحق للعبادة لا هذه الأصنام ثم ذكر سبحانه وتعالى

جمعدوا بآيات ربهم )  
التي أتاهم بها هود ( وعصوا  
رسله ) بالتوحيد  
( واتبوا أمر كل جبار )  
قول كل قتال على الغضب  
( عنيد ) معرض عن الله  
( واتبوا في هذه الدنيا لعنة )  
أهلكوا في الدنيا بالرخ  
( ويوم القيمة ) لهم لعنة

أخرى وهي النار ( إلا أن عادا كفروا ربهم ) ( ق و غا ٤٣ ل ) حمدا برؤسائهم ( ألا بعدا لعاد ) قوم هود من رحمة الله ( وإلى هود ) وأرسلنا إلى هود ( أخاهم ) نبيهم ( صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ) وحدوا الله ( ما لكم من الله غيره ) غير الذي أمركم أن تؤمنوا به

هو أنشأكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو وانشأوهم منها خلق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم واستعمركم فيها وجعلكم عمارها وأراد منكم عمارتها واستعمركم من السمري أطال أعماركم فيها وكانت أعمارهم من ثلاثمائة الى ألف وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع مائة منهم من الظلم فسأل نوح من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تدميرهم فأوحى الله اليه انهم عمروا بلادى فغاش فيها عبادى (ما يتفقرو) عاد ألوا مفقرته بالاعان (ثم توبوا اليه ان ربي قريب) {الجزء الثانى عشر} دافى الرحمة ﴿ ٣٣٨ ﴾ (حبيب) لمن دعاه قالوا يا صالح قد كنت

فينا (فينا بيتنا) مرجوا قبل هذا) لسياد والمشاورة في الامور وكنا نرجوان تدخل في ديننا وتوافقنا على مانحن عليه (أهنا أن نعبد ما بعد آباؤنا) حكاية حال ماضية (واننا لفي شك مما تدعونا اليه) من التوحيد (مرتب) موقع في الرتبة من أرابه اذا أوتعه في الرتبة وهي قلق النفس وانسواء الظمائية (قال باقوم أرأيتم ان كنت على بنية من ربي وآتاني منه درجة) نبوة اتى بحرف الشك مع انه على يقين انه على بنية لان خطابه للباحدين فكأنه لفسدوا اتى على بنية من ربي واتى نوح على الحقيقة وانظروا ان تابتمكم وعصيت ربي في أرامه (فمن ينصرونه) (١١)

رأى أنشأكم من الارض خلقكم من آدم وادم من الارض (واستعمركم بها) عرکم في الارض وجعلكم سكانها (ما عرهم) فوحدوه

هو أنشأكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطع التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها عرکم فيها واستبقاكم من العمر أو اقدركم على عمارتها وامرکم بها وقيل هو من السمري بمعنى اعرکم فيها دياركم ويربها منكم بعد انصرام اعماركم أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمرکم ثم ترونها لتبرککم (ما تنفقرو) ثم توبوا اليه ان ربي قريب الرحمة (حبيب) لداير مواتوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فذك من غائل الرشده والساد ان نكون لنا سيذا أو مستشارا في الامور أران توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجائنا عنك (أهنا ان نعبد ما بعد آباؤنا) على حكمة الحال الماضية (واننا لفي شك مما تدعونا اليه) من التوحيد والتبري من الانان (مرتب) موقع في الرتبة من أرابه او ذى رتبة على الاسناد المجازى من أراب في الامر (قال باقوم ارأيتم ان كنت على بنية من ربي) بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين ﴿وآتاني منه رحمة﴾ نبوة ﴿فمن ينصرونى من الله﴾ فمن عصى من عذابه

الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته فقال تعالى ﴿هو أنشأكم من الارض﴾ يعنى انه هو ابتداء خلقكم من الارض وذلك أنهم من بنى آدم وادم خلق من الارض واستعمركم فيها يعنى وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك أطال أعماركم فيها حتى كان الواحد منهم سبش ثلاثمائة سنة الى ألف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد اعرکم من السمري أى جعلها لكم ماعشتم ﴿فاستغفروه﴾ يعنى من ذنوبكم ﴿ثم توبوا اليه﴾ يعنى من الشرك ﴿ان ربي قريب﴾ يعنى من المؤمنين ﴿حبيب﴾ لدعائهم ﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا﴾ يعنى قبل هذا القول الذى جئت به والمعنى انا كنا نرجوان تكون فينا سيذا لانه من قبياتهم وكان بين ضيقهم ويغى فقرهم وقيل مناه انا كنا نطمع أن تعود الى ديننا فلما ظهر دعاهم الى الله وعاب الاصنام اندطع رجائهم منه ﴿أهنا ان نعبد ما بعد آباؤنا﴾ يعنى الآلهة وانما لفي شك مما تدعونا اليه يعنى من عبادة الله ﴿مرتب﴾ يعنى انا مرتابون في قولك من أرابه اذا أوقفه في الرتبة وهي قلق النفس ووقعها في التهمة ﴿قال﴾ يعنى قال صالح جميعا اقوموه ﴿باقوم﴾ أرأيتم ان كنت على بنية من ربي يعنى على يقين وبرهان ﴿تأني﴾ ﴿فمن ينصرونى﴾ الله أى من يعصى من عذاب الله

(١١) اي حيدر الزيد ولا خلد (ربي قريب) لا اجاب (حبيب) لمن رجع (ارنا صالح) ان مددت نيدا جارا رجوا (يا ديننا) اقل ار تأمرنا بدين عردين آنا (أهنا ان نعبد ما بعد آباؤنا) بن الاوان (واننا لفي شك مما تدعونا اليه) نديك (مرتب) لدا والشك (بال باقوم) أرأيتم ان كنت على بنية من ربي على بيان نزل من ربي (وآتاني منه درجة) أكرمى بالنبوة والاسلام (فمن ينصرونى) يعنى (من) عذاب (الله)

يعتق من عذاب الله (ان عصيته) في تبليغ رسالته ومنكم عن عبادة الاوثان (فازيدوني) يقولكم انما ان لم يبدأ بأمرنا (فترحموا) فبستكم اباي ، لحسا أو يسبق انكم الى الحذر ان (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى القمل ولكم مصق بآية الاية مقدس لا يلو بأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال ﴿ ٣٣٩ ﴾ (فذروها تأكل في ارض الله) أي ليس عليكم رزقها مع أن لكم نفسها (ولا تمسوها بسوء) عقرها ونحر (فياخذكم عذاب قريب) عاجل (فقروها) يوم الاربعاء (فقال) صالح (تمسوا) استتموا بالعيش (في داركم) و بالداركم رسمى البلاد الديار لانه يار فيها أي تصرف أو في دار الدنيا (ثلاثة أيام) ثم تهلكون فهلكوا يوم السبت (ذلك وعد غير مكذوب) أي غير مكذوب فيه فأتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله

ويوم شهدنا سايما وطامرا

أو غير مكذوب على الجواز وكأن الواعد قال له أفبك فان وفي به مسدودا لا كذبه أو وعد غير كذب على انه مصدر كالجلود والمفعول ﴿ فلما جاء امرنا ﴾

﴿ ان عصيته ﴾ يعني ان خالفت أمره ﴿ فاذيدوني غير تخسير ﴾ قال ابن عباس معناه غير بصارة في خسارتكم وقال الحسن بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى يقول فاذيدوني غير تخسير وانما المعنى فاذيدوني فاقولون الانسبى الى الخسارة ﴿ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية ﴾ وذلك ان قومه طلبوا أن يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك أشاروا اليها فدعا الله عز وجل فخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشرة ثم ولدت فصيلا يشبهها وقوله ناقة الله اضافة تشريف كبيت الله وعبد الله فكانت هذه الناقة لهم آية ومعجزة دالة على صدق صالح عليه السلام ﴿ فذروها تأكل ﴾ يعني من العشب والنبات ﴿ في ارض الله ﴾ يعني فليس عليكم مؤنتها ﴿ ولا تمسوها بسوء ﴾ يعني بقر ﴿ فياخذكم ﴾ يعني ان قتلتموها ﴿ عذاب قريب ﴾ يعني في الدنيا ﴿ فمقرروها ﴾ يعني فخالقوا أمرهم فمقرروها ﴿ فمقال ﴾ يعني فقال لهم صالح ﴿ فتمسوا ﴾ يعني عيشوا ﴿ في داركم ﴾ أي في بلدكم ﴿ ثلاثة أيام ﴾ يعني ثم تهلكون ﴿ ذلك ﴾ يعني العذاب الذي أوعدهم به بعد ثلاثة أيام ﴿ وعد غير مكذوب ﴾ أي هو غير كذب روى انه قال انهم أنكم العذاب من ثلاثة أيام فتصبحون في اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني حمرة وفي اليوم الثالث مسودة فكان كما قال وأنهم العذاب في اليوم الرابع وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ فلما جاء أمرنا ﴾ يعني العذاب

بقر (فياخذكم عذاب قريب) بعد ثلاثة أيام (فمقرروها) قتلوها قتلها فدار بن سائب ومصدق بن زهر وقسموا إليها على ألب وخمسة دار (فقال) لهم صالح بعد قتلهم لها (تمسوا) عيشوا (في داركم) في مدينتكم (ثلاثة أيام) ثم تأتيكم العذاب اليوم الرابع فالوايا صالح ما علامة العذاب قال ان تصبحوا اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وتصبحوا اليوم الثاني ووجوهكم حمرة وتصبحوا اليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم تأتيكم العذاب اليوم الرابع (ذلك) العذاب (وعد غير مكذوب) غير مردود (فلما جاء أمرنا) عذابنا

عليكم رزقها مع أن لكم نفسها (ولا تمسوها بسوء) عقرها ونحر (فياخذكم عذاب قريب) عاجل (فقروها) يوم الاربعاء (فقال) صالح (تمسوا) استتموا بالعيش (في داركم) و بالداركم رسمى البلاد الديار لانه يار فيها أي تصرف أو في دار الدنيا (ثلاثة أيام) ثم تهلكون فهلكوا يوم السبت (ذلك وعد غير مكذوب) أي غير مكذوب فيه فأتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله



أو عذابنا (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برجة منا) قال الشيخ رحمه الله هذا يدل على أن من نجى انجى برجة الله تعالى لا بعمله كما قال عليه السلام لا يدخل أحد الجنة الا برجة الله (ومن خزي يومئذ) بإضافة الخزي الى اليوم وانجرار اليوم بالاضافة و يفهم مدنى وعلى لانه مضاف الى اذ هو موق وظروف الزمان اذا أضيفت الى الاسماء المهمة والافعال الماضية بنيت واكتسبت البناء { الجزء الثاني عشر } من المضاف اليه ﴿ ٣٤٠ ﴾ كقوله على حين ما ثبت المشيب

على الصبا والوال للعطف  
وتقديره ونجيتهم من  
خزي يومئذ أى من ذله  
وفضيخته ولاخزي أعظم  
من خزي من كان هلاكه  
نضب الله وانتقامه وجاز  
أن يرديهم يوم القيامة  
كما فسر العذاب القليظ  
بذباب الآخرة (ان ربك  
هو القوى) القادر على  
تحيية أوليائه (العزیز)  
القاب باهلاك أعدائه  
(وأخذ الذين ظلموا الصيحة)  
أى صيحة جبريل عليه  
السلام (فأصجوا في ديارهم)  
منزلهم (جائين) ميتين  
(كان لم يظنوا فيها) لم يظنوا  
فيها (ألا ان عمودا كفروا  
رهم) عمود حرة وحفص  
(ألا بعد الثمود) على فالصرف  
لذهاب الى الحى أو الابل  
الأكبر ومنه لا حريف  
والثابت بمعنى القليلة  
(ولقد حادت رسلنا) جبريل  
وميكائيل واسرافيل  
أو جبريل مع أحد عشر

نجينا صالحا والذين آمنوا معه برجة منا ومن خزي يومئذ أى ونجيتهم من  
خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلهم وفضيختهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ بالفتح  
على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفى الخارج فى قوله من عذاب يومئذ ان  
ربك هو القوى العزيز القادر على كل شئ والغالب دليه وأخذ الذين ظلموا الصيحة  
فأصجوا فى ديارهم جائين قد سبق تفسير ذلك فى سورة الاحراف ﴿ كان لم يظنوا فيها  
ألا ان عمودا كفروا رهم ﴾ نونه انوكر ههنا وفى الهم والاكسافى فى جبع القرآن  
وابن كثير ونافع وابن عباس وابوعمر فى قوله ﴿ ألا بعد الثمود ﴾ ذهابا الى الحى  
أو الابل الأكبر ولقد حادت رسلنا ابراهيم يعنى الملائكة قيل كانوا ثمانية وقيل ثلاثة  
جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام ﴿ بالبشرى ﴾ بشارة الولد وقبل بهلاك

﴿ نجينا صالحا والذين آمنوا معه برجة منا ﴾ أى بنعمة ما بان هديناهم الى الايمان فامنوا  
﴿ ومن خزي يومئذ ﴾ يعنى ونجيتهم من عذاب يومئذ يعنى خزي لان فيه خزي الكافرين  
﴿ ان ربك ﴾ انطاب لاني صلى الله عليه وسلم يعنى ان ربك يا محمد ﴿ هو القوى ﴾  
يعنى هو القادر على انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين ﴿ العزيز ﴾ يعنى القاهر الذى  
لا يئله شئ ثم أخبر عن عذاب قوم صالح فقال سبحانه وتعالى ﴿ وأخذ الذين ظلموا ﴾  
يعنى أنقسم بالكفر ﴿ الصيحة ﴾ وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا  
جميعا وقبل اتم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ فى الارض فطمت  
قلوبهم فى صدورهم فأتوا جميعا ﴿ فاصجوا فى ديارهم جائين ﴾ يعنى صرعى هلكى ﴿ كان لم  
يظنوا فيها ﴾ يعنى كان لم يقيموا فى تلك الديار ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال غيب  
بالمكان اذا أتبه وأقت به ﴿ ألا ان عمودا كفروا رهم ألا بعد الثمود ﴾ وهذه القصص  
قد تقدمت مستوفاة فى تفسير سورة الاحراف ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد حادت رسلنا  
ابراهيم بالبشرى أراد بالرسلى الملائكة واختلوا فى عددهم فقال ابن عباس  
وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وقل الضحاك كانوا تسعة وقل مقاتل  
كانوا اثني عشر ملكا وقل محمد بن كعب القرظى كان جبريل ومعه سبعة أملاك  
وقال السدى كانوا أحد عشر ملكا على صور القامان الحسان الوجوه وقول ابن  
عباس هو الاولى لان أنل الجع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيحمل على الاقل وما بعده  
غير مقطوع به بالبشرى يعنى بالبشارة بأسحق ويعقوب وقبل باهلاك قوم لوط

( قالوا )

ملكاً ( ابراهيم بالبشرى ) هى البشارة بالولد أو بهلاك

نجينا صالحا والذين آمنوا معه برجة) بنعمة (من ومن خزي يومئذ) من عذاب يومئذ (ان ربك هو القوى) حجة أوليائه (العزیز)  
بنعمة أعدائه (وأخذ الذين ظلموا) أسركوا (الصيحة) العذاب (فأصجوا فى ديارهم) مساكنتهم (جائين) ميتين لا يتحركون فى أى  
صاروا رمادا (كان لم يظنوا فيها) كان لم يكونوا فى الارض قط (ألا ان عمودا) قوم صالح (كفروا رهم) كفروا برهم (ألا بعد الثمود)  
قوم صالح من رجة الله (ولقد حادت رسلنا) جبريل ومن معه من الملائكة اثنا عشر ملكا (ابراهيم) الى ابراهيم (البشرى) بالبشارة

قوم لوط والاول اظهر (قلوا سلاما) سلمنا عليك سلاما (قل سلام) امركم سلام سلم حزة وعلى بمعنى السلام (فألبث أن جاء بهجلاً) فألبث في الهجي بدبل عجل فيه ﴿٣٤١﴾ أو فالت حبيته { سورة هود } والجل ولد البقرة وكان

مال ابراهيم البقر (حنيد)  
مشوى بالحجارة المحماة  
(فأرأى أيديهم لاتصل  
اليه نكرهم) نكروا أنكر  
بمعنى وكانت طاعتهم أنه  
أذا مس من بطرقهم طعامهم  
أمئوه والاخافوه والظاهر  
أنه أحسن بانهم ملائكة  
ونكرهم لانه تخوف أن  
يكون نزولهم لاسرائل نكره  
الله عليه أول تعذيب قومه  
دليله قوله (وأوجس منهم  
خيفة) أي أضمر منهم خوفاً  
(قالوا لانخف انا أرسلنا  
الى قوم لوط) بالمذاب  
وانما قال هذا لمن هرفهم  
ولم يعرف فيهم أرسلوا  
وانما قالوا لانخف لانهم  
رأوا أثر الخوف والتهير  
في وجهه (واسرائل قاعة)  
وراما الستر تسع محاورهم  
أو على رؤسهم تخدمهم  
(فضحكت) سرور ايزوال  
له بالولد (قالوا سلاما)  
سلموا على ابراهيم حين  
دخلوا عليه (قال سلام) رد  
عليهم السلام وان قرأت سلم  
يقول اسرى سلم من السلامة  
(فألبث مكث ابراهيم) ان  
جاء بهجلاً (سمين) حنيد  
مشوى فوضعه بين أيديهم  
(فأرأى أيديهم لاتصل اليه)  
الى طعامه لانهم لم يحتاجوا

قوم لوط ﴿٣٤١﴾ قالوا سلاما ﴿٣٤١﴾ سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا  
سلاما ﴿٣٤١﴾ قل سلام ﴿٣٤١﴾ أي امركم سلام أو جوابي سلام أو وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن  
من نحيتهم وقرأ حزة والكسائي سلم وكذلك في الداريات وهما لثان كحرم و حرام  
وقيل المراد به الصلح ﴿٣٤١﴾ فألبث ان جاء بهجلاً حنيد ﴿٣٤١﴾ فما ابطأ عييته به أو فاطأ  
في الهجي به أو فاطأ أخر عنه والجاري ان مقدر أو محذوف والحنيد المشوى بالرفص وقيل  
الذي يقطرو دمه من حنذت الفرس اذا هزقته بالجلال لقوله بهجلاً سمين ﴿٣٤١﴾ فلأرأى  
أيديهم لاتصل اليه ﴿٣٤١﴾ لا يعدون اليه أيديهم ﴿٣٤١﴾ نكرهم وأوجس منهم خيفة ﴿٣٤١﴾ أنكر  
ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكروا أنكر واستنكر بمعنى والايحاس الادراك  
وقيل الاضمار ﴿٣٤١﴾ قالوا ﴿٣٤١﴾ لعلنا احسوا منه أثر الخوف ﴿٣٤١﴾ لانخف انا أرسلنا الى قوم لوط ﴿٣٤١﴾  
انما ملائكة مرسله اليهم بالعذاب وانما سلم عند اليه أيدينا لاننا لا نأكل ﴿٣٤١﴾ واسرائل قاعة ﴿٣٤١﴾  
وراما الستر تسع محاورهم أو على رؤسهم للخدمة ﴿٣٤١﴾ فضحكت ﴿٣٤١﴾ سرورا بيزوال الخيفة

﴿٣٤١﴾ قلوا سلاما ﴿٣٤١﴾ يعني ان الملائكة سلموا لسلاما ﴿٣٤١﴾ قال ﴿٣٤١﴾ يعني لهم ابراهيم ﴿٣٤١﴾ سلاما  
أي عليكم أو امركم سلام ﴿٣٤١﴾ فألبث أن جاء بهجلاً حنيد ﴿٣٤١﴾ يعني مشوياً والحنوذ  
هو المشوى على الحجارة المحماة في حفرة من الارض وهو من فعل أهل البادية وكان  
سمينا يسيل منه الودك قال قتادة كان طامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل مكث  
ابراهيم عليه السلام جس عشرة ليلة لم يأنه ضيف فاقم لذلك وكان يحب الضيف  
ولايأكل الا معه فلما جاءت الملائكة رأى أضيافاً لم ير مثله قط فجعل قراهم وجاءهم  
بهجلاً مشوياً ﴿٣٤١﴾ فلأرأى أيديهم ﴿٣٤١﴾ يعني أيدي الاضياف ﴿٣٤١﴾ لاتصل اليه ﴿٣٤١﴾ يعني  
الى بهجلاً المشوى ﴿٣٤١﴾ نكرهم ﴿٣٤١﴾ يعني أنكرهم وأنكر حالهم وانما أنكر حالهم لامتناعهم  
من الطعام ﴿٣٤١﴾ وأوجس منهم خيفة ﴿٣٤١﴾ يعني ووقع في قلبه خوف منهم والوجس هو  
رعب القلب وانما خاف ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم لانه كان ينزل ناحية من  
الناس فخاف ان ينزلوا به مكروها لامتناعهم من طعامه ولم يعرف أنهم ملائكة وقيل  
ان ابراهيم عرف انهم ملائكة وانما خاف أن يكونوا نزولاً بعذاب قومه فخاف من  
ذلك والاقرب ان ابراهيم عليه السلام لم يعرف انهم ملائكة في اول الامر ويدل  
على صحة هذا أنه عليه السلام قدم اليهم الطعام ولوعرف أنهم ملائكة لما قدمه  
اليهم لعله ان الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولانه خافهم ولو عرف أنهم ملائكة  
لما خافهم فلما رأت الملائكة خوف ابراهيم عليه السلام ﴿٣٤١﴾ قالوا لانخف ﴿٣٤١﴾ يا ابراهيم  
﴿٣٤١﴾ ملائكة الله ﴿٣٤١﴾ أرسلنا الى قوم لوط واسرائل ﴿٣٤١﴾ يعني سارة زوجة ابراهيم  
وهي ابنة هاران بن ناحور أو هي ابنة عم ابراهيم ﴿٣٤١﴾ قاعة ﴿٣٤١﴾ يعني من وراء الستر  
تسمع كلامهم وقيل كانت قاعة في خدمة الرسل وابراهيم حالس معهم ﴿٣٤١﴾ فضحكت ﴿٣٤١﴾

الى طعام (نكرهم) أنكرهم ذلك (وأوجس منهم خيفة) أوقع في نفسه خوفاً منهم وظن انهم لصوص حيث لم يأكلوا من طعامه فلما علموا  
خوفه (قالوا لانخف) منا يا ابراهيم (اننا أرسلنا الى قوم لوط) لنهلكهم (واسرائل) سارة (قاعة) بالخدمة (فضحكت) تعجبت من خوف

أوبهالك أهل الفساد أوبإصابة رأيها قالها كانت تقول لابراهيم اخم اليك لوطا فاني  
اعلم ان المذاب يتزل بهؤلاء القوم وقيل فضمكت لحاضت قال  
وعهدى بلى ضاحكا في لبابة \* ولم تعد حقا ثديها ان تحملما  
ومنه ضمكت السمرة اذا سال صمغها \* وقرى \* بفتح

أصل الضحك ان يسط الوجه من سرور يحصل للنفس ولظهور الاسنان عنده سميت  
مقدمات الاسنان الضواحك ويستعمل في السرور المجرد وفي التعجب المجرد أيضا  
والعلماء في تفسير هذا الضحك قولان أحدهما أنه الضحك المعروف وعليه أكثر  
المفسرين ثم اختلفوا في سبب هذا الضحك فقال السدي لما قرب ابراهيم الطعام  
الى أضيافه فلم يأكلوا خاف ابراهيم منهم فقال ألا تأكلون فقالوا انا لأننا كل  
طعاما الا نحن قال فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمده  
على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل وقال حق لهذا أن يتخذ ربه خيلا فلما رأى  
ابراهيم وسارة ايديهم لاتصل اليه ضمكت سارة وقالت يا عجبا لاضافنا نخدعهم  
بانفسنا تكرمه لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضمكت من غفلة قوم لوط  
وقرب المذاب منه وقال مقاتل والكلبي ضمكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو  
فيما بين خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضمكت من زوال الخوف عنها وعن ابراهيم  
وذلك انما خافت لحوفه فحين قالوا لانحف ضمكت سرورا وقيل ضمكت سرورا  
بالبشارة وقال ابن عباس ووهب ضمكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها  
وسن زوجها فلى هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره فبشرنا بما سبق  
فضمكت بمعنى تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لابراهيم اخم اليك ابن أخيك لوطا  
قال العذاب نازل بقومه فلما جاءت الرسل وبشرت بهذا بهم سرت سارة بذلك  
وضمكت لموافقة ما ظنت القول الثاني في معنى قوله فضمكت قال عكرمة ومجاهد  
أى حاضت في الوقت وأنكر بعض أهل اللغة ذلك قال الراغب وقول من قال حاضت  
ليس ذلك تفسيرا لقوله فضمكت كما تصوره بعض المفسرين فقال ضمكت بمعنى  
حاضت وانما ذكر ذلك تنصيحا لحالها فان جعل ذلك أمارة لما بشرت به فحيضها  
في الوقت لتعلم أن حملها ليس بمسكر لان المرأة مادامت تحبض فانها تحمل وقال الفراء  
ضمكت بمعنى حاضت لم نسمه من ثقة وقال الزجاج لبس بشئ ضمكت بمعنى حاضت  
وقال ابن الانباري قد أنكر الفراء وأبو عبيدة أن يكون ضمكت بمعنى حاضت وقد  
عرفه غيرهم وأنشد

تضمك الضبع لقتلى هذيل \* وترى الذئب بها يستل

قال أراد أنها تحيض فرحا وقال الليث في هذه الآية فضمكت أى طمشت وحكى  
الازهرى عن بعضهم في قوله فضمكت أى حاضت قال ويقال أصله من ضحك  
الطلعة اذا انشقت قال وقال الاخطل فيه بمعنى الحيض

( تضحك )

الخيفة أو بهلاك أهل  
الخبائث أو من غفلة قوم  
لوط مع قرب المذاب  
أو فحاضت  
ابراهيم من اضيافه

( فبشرناها باسمحق )

وخصت بالبشارة لان  
النساء أعظم سرورا بالولد  
من الرجال ولانه لم يكن  
لها ولد وكان لابراهيم ولد  
وهو اسمعيل ( ومن وراء  
اسحق ) ومن بعده ( يعقوب )  
بالنصب شامى وحجرة  
وحقص بفعل مضردل  
عليه فبشرناها اي فبشرناها  
باسحق ووهبنا لها يعقوب من  
وراء اسحق وبالرمع غيرهم  
على الابتداء والظرف قبله  
خبر كما تقول في الدار زيد  
( قالت ياويلتا ) الا ان مبدلة

من ياء الاضافة وقرأ الحسن  
ياويلتى بآلاء على الاصل  
( ألدوانا عجوز ) ابنة  
تسعين سنة ( وهذا بعل  
شيئا ) ابن مائة وعشرين  
سنة هذا مبتدأ وبعل خبر  
وشيئا حال والعامل معنى  
الاشارة التى دلت عليه  
ذا أو معنى التنبيه الذى دل

( فبشرناها باسمحق ومن  
وراء اسحق يعقوب )  
ولد الولد فضحكت فصاحت  
مقدم ومؤخر ( قالت  
ياويلتى ألدوانا عجوز )  
بنت ثمان وتسعين سنة  
للجوز الكبيرة ولد كبير  
هذا ( وهذا بعل ) زوجى  
ابراهيم ( شيئا ) ابن تسع  
وتسعين سنة

الحاء ﴿ فبشرناها باسمحق ومن وراء اسحق يعقوب ﴾ نصبه ابن مامر وحجرة وحقص  
يفعل يصره مادل عليه الكلام وتقديره ووهبناها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه  
معطوف على موضع باسمحق أو على لفظ اسحق وقمته للجرفاته غير منصرف ورد للفصل  
بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ وخبره الظرف  
أى ويعقوب مولود من بعده وقيل وراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى  
هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء  
ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كهيبي ويحتمل  
وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسمياه وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد  
للبشرية يكون منها لانها كانت عقيمة حريصة على الولد ﴿ قالت ياويلتا ﴾ يا عجب  
واصله في الشر فاطلق على كل امر فظيع وقرئ بآلاء على الاصل ﴿ ألد وانا عجوز ﴾  
ابنة تسعين أو تسع وتسعين ﴿ وهذا بعل ﴾ زوجى واصله القائم بالامر ﴿ شيئا ﴾  
ابن مائة أو مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ  
بالرفع على انه خبر محذوف أى هو شيخ أو خبر بعد خبر أو هو اخبر وبعل بدل

تضحك الضبع من دماء سليم ﴿ اذ رأتها على الخراب تمور  
وقال في المحكم ضحكت المرأة حاضت وبه فسر بعضهم قوله سبحانه وتعالى فضحكت  
فبشرناها باسمحق وضحكت الارنب ضحكا يعنى حاضت حيضا قال

وضحك الارانب فوق الصفا ﴿ كمثل دم الخوف يوم القا  
يعنى الحيض فيما زعم بعضهم وأجاب عن هذا من أن تكرأن يكون الضحك بمعنى الحيض  
قل كان ابن دريد يقول من شاهد الضبع عند كشرها علم انها تحيض وانما أراد  
الشاعر تكشرا لا كل اللحوم وهذا سهو منه لانه جعل كشرها حيضا وقيل معناه  
انها تستبشر بالقتل فهز بعضها على بعض فيجعل هزها ضحكا وقيل لانها تسرحم  
فيجعل سرورها ضحكا فان قلت أى القولين أصح فى معنى الضحك قالت ان الله عز وجل حكى  
عنها انها ضحكت وكلا القولين محتمل فى معنى الضحك فالتة أعلم أى ذلك كان ﴿ وقوله سبحانه  
تعالى فبشرناها باسمحق ومن وراء اسحق يعقوب ﴾ يعنى ومن بعد اسحق يعقوب وهو ولد  
الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى ولد ولدها فلما بشرت بالولد صكت وجهها  
أى ضربت وجهها وهو من صنيع النساء ومادتهن وانما فعلت ذلك تعجبا ﴿ قالت  
ياويلتا ﴾ نداء تديبة وأصلها ياويلتاه وهى كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب  
منه مثل ما سمعناه ﴿ ألد أنا عجوز ﴾ ركزت بنت تسعين سنة فى قوله ابن ابي عمير  
وقال شيبه كانت بنت تسع وتسعين سنة ثم رزها على كرى زى رابول  
هو المسنلى على غيره ولما كان زوج المرأة مستليا عياها ناء رها سنى جاد  
لذلك ﴿ شيئا ﴾ وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين فى قول محمد بن اسحق

عليه هذا (ان هذا لشيء عجيب) أن يولد ولد من مريم وهو استبعاد من حيث العادة (قالوا أنجبين من أسرا الله) قدرته وحكمته  
واعلم أنكرت الملائكة تعجبها لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادة فكان عليها أن تتوقر ولا  
يزدهيها ما يزدعي أسائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة وإن تسبح الله وتعجبه مكان التعجب وإلى ذلك أشارت الملائكة  
حيث قالوا (رحمة الله وبركاته { الجزء الثاني عشر } عليكم أهل البيت) ﴿ ٣٤٤ ﴾ أرادوا ان هذه وأمثالها مما يكرمكم

به رب العزة ويخصكم بالانعام  
 به يا اهل بيت النبوة فليست  
 بمكان عجيب وهو كلام  
 مستأنف علل به انكار  
 التعجب كأنه قيل اياك  
 والتعجب لان أمثال هذه  
 الرحمة والبركة متكاثرة من  
 الله عليكم وقيل الرحمة النبوة  
 والبركات الاسباط من بني  
 اسرائيل لان الانبياء منهم  
 وكلهم من ولد ابراهيم وأهل  
 البيت نصب على النداء أو  
 على الاختصاص (انه جيد)  
 محمود بتجليل التعم (جيد)  
 ظاهر الكرم بتأجيل النعم  
 (فلما ذهب عن ابراهيم الروح)  
 الفزع وهو ما اوجس  
 من الخيفة حين ذكر أضيفه  
 (وجاءته البشري) بالولد  
 (مجادلنا في قوم لوط) أى  
 لما اطمأن قلبه بعد الحوف  
 وعلى سرور ايسبب البشري  
 فزع للمجادلة وجواب لما  
 محذوف تقديره أفضل مجادلنا  
 أو مجادلنا جواب لما وانما  
 جى به مضارع الحكاية الحال  
 والمعنى مجادل رسلنا ومجادلته  
 اياهم انهم قالوا اننا لم نكو أهل

﴿ان هذا الشئ معجيب﴾ يعنى الولد من هرمين وهو استحباب من حيث المادة دون القدرة  
ولذلك ﴿قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت﴾ منكرين عليها  
فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم  
والكرامات ليس يبدع ولا حقيق بان يستغربه قائل فضلا عن نشأت وشابت في  
ملاحظة الآيات واهل البيت نسب على المدح أو النداء لقصد التخصيص كقولهم  
اللهم اغفر لنايتها العصابة ﴿انه جيد﴾ فاعل ما يستوجب به الحمد ﴿عجيد﴾  
كثير الخير والاحسان ﴿فلما ذهب عن ابراهيم الروح﴾ اى ما وجس من الخيفة واطمان  
قلبه برفاقهم ﴿وجاءته البشرى﴾ بدت الروح ﴿يجادلنا في قوم لوط﴾ يجادل رسلنا  
في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية  
الحال اولانه في سياق الجواب بمعنى الماضى كجواب لو اودليل جوابه المحذوف مثل

وقال مجاهد مائة سنة وكان بين الولادة والبشارة سنة ﴿ ان هذا شئ عجب ﴾  
لم تنكر قدرة الله سبحانه وتعالى وانما تعجبت من كون الشيخ الكبير والجهوز الكبيرة  
يولد لهما ﴿ قالوا ﴾ يعنى قالت الملائكة لسارة ﴿ انجبين من امر الله ﴾ معناه  
لا تعجبين من ذلك فان الله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ فاذا اراد شئاً كان سريعاً  
﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴾ يعنى بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على  
معنى الدعاء من الملائكة لهم باخير والبركة وفيه دليل على أن أزواج الرجل من أهل  
بيته ﴿ انه جيد ﴾ يعنى هو المحمود الذى يحمده على أفعاله كلها وهو المستحق  
لان يحمده فى السراء والضراء والشدة والرخاء فهو محمود على كل حال ﴿ مجيد ﴾  
ومعناه المتبع الذى لا يرام وقال الخطابي المجيد الواسع الكرم واسل المجد فى كلامهم  
السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخياً كريماً واسع العطاء وقيل الماجد هو  
ذو الشرف والكرم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ فلما ذهب عن ابراهيم الرؤى ﴿ يعنى  
الفرع والحواف الذى حصل له عند امتناع الملائكة من الاكل ﴾ وجاءته البشرى ﴿  
يعنى زال عنه الخوف بسبب البشرى التى جاءت به وهى البشارة بالولد ﴾ بمجادلنا  
فيه اخيار تقديره أخذ بمجادلنا أو جعل بمجادلنا ونخاصنا وقيل معناه يكلمنا ويسألنا  
﴿ فى قوم لوط ﴾ لان العبد لا يقدر أن يخاصم ربه وقال جهور المفسرين معناه  
بمجادل رسلنا فى قوم لوط وكانت مجادلة ابراهيم مع الملائكة ان قال لهم أرأيتم

[illegible]

(ان ابراهيم لحليم) غير مجبول على كل من أساء اليه أو كثيرا الاحتمال من آذاه الصفوح عن عصاه (أواه) كثير التأوه من خوف الله (منيب) تأيب راجع الى الله وهذه ﴿ ٣٤٥ ﴾ الصفات دالة { سورة هود } على رقة القلب والرافة

والرحمة فينب ان ذلك محاجله على المجادلة فيهم رجلا ان أن يرفع عنهم العذاب ويعملوا لهم يحذثون التوبة كاحله على الاستغفار لا يسه قحالت الملائكة (يا ابراهيم أعرض عن هذا) الجدل وان كانت الرحمة ديدك (انه قد جاء أمر ربك) قضاؤه وحكمه (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) لا يرد بجدال وغير ذلك عذاب مرتفع باسم الفاعل وهو آتيهم تقديره وانهم بآتيهم ثم خرجوا من عند ابراهيم متوجهين نحو قوم لوط وكان بين قرية ابراهيم وقوم لوط أربعة فراسخ (ولما جاءت رسلنا لوطا) لما أنه ورأى حياتهم وجالهم (سئ بهم) أحزن لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبت قومده وأن يحجز عن مقاسمتهم ومداقتهم (وضاق بهم ذرا) تميز أي وضاق بمكانهم صدره

(ان ابراهيم لحليم) عن الجهل (أواه) رحيم (منيب) تيار الى الله (يا ابراهيم) أعرض عن هذا) عن جدال هذا (انه قد جاء أمر ربك)

اجترأ على خطبنا أو شرع في جدالنا أو متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ أو قبل مجادلنا (ان ابراهيم لحليم) غير مجبول على الانتقام من مني اليه ﴿ أواه ﴾ كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس ﴿ منيب ﴾ راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترجمه ﴿ يا ابراهيم ﴾ على ارادة القول أي قالت الملائكة يا ابراهيم ﴿ اعرض عن هذا ﴾ الجدل ﴿ انه قد جاء أمر ربك ﴾ قدره بمقتضى قضائه الا زلي بمذابهم وهو اعلم بحالهم ﴿ وانهم آتيهم عذاب غير مردود ﴾ مصروف بجدال ولادعاء ولا غير ذلك ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطا سئ بهم ﴾ ساءه محبتهم لانهم جاؤهم في صورة غلمان فظن انهم انس فخاف عليهم ان يقصدهم قومهم فيعجز عن مداقتهم ﴿ وضاق بهم ذرا ﴾ وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الاقباض

لو كان في مدائن قوم لوط نجسون رجلا من المؤمنين أهل كونها قالوا لاقال فاربعون قالوا لاقال فثلاثون قالوا لاقال فزال كذلك حتى بلغ خمسة قالوا لاقال رأيتم لو كان فيها رجل واحد مسلم أهل كونها قالوا لاقال ابراهيم فان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لنجسناه وأهلها الاسراءه كانت من النابرين وقيل انما طلب ابراهيم تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون أو يرجعون عما هم فيه من الكفر والمعاصي قال ابن جرير كان في قرى قوم لوط أربعة آلاف مقاتل ﴿ ان ابراهيم لحليم أواه منيب ﴾ تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك قالت الملائكة لابراهيم ﴿ يا ابراهيم أعرض عن هذا ﴾ يعني أعرض عن هذا المقال وارك هذا الجدل ﴿ انه قد جاء أمر ربك ﴾ يعني ان ربك قد حكم بمذابهم فهو نازل بهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وانهم آتيهم عذاب غير مردود ﴾ يعني ان العذاب الذي نزل بهم غير مصروف ولا مدفوع عنهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولما جاءت رسدا لوطا ﴿ يعني هؤلاء الملائكة الذين كانوا عند ابراهيم وكانوا على صورة غلمان مردحسان الوجوه ﴾ سئ بهم ﴿ يعني أحزن لوط بحبيسهم اليه وساء ظنه بقومه ﴾ وضاق بهم ذرا ﴿ قال الازهرى الذرع موضع موضع الطاقة والاعل فيه البذر يذرع بيديه في سيره ذرا على قدر سعة خطوه فاذا جل عليه أكثر من طوره ضاق ذرعه من ذلك وضعف ومدعته فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة والمعنى وضاق بهم ذرا اذ لم يجد من المكروه في ذلك الاسر غامسا وقال غيره معناه ضاق بهم قلبا وصدرا ولا يعرف أصله الا أن يقال ان الذرع كناية عن الوسع والعرب تقول ليس هذا في يدى يبنون ليس هذا في وسعى لان الذراع من اليد وينال ضاق ذرا بكذا اذا وقع في مكره لا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما رأى حاله وجوه وطيب روائهم أشفق عليهم وانشأ يقول ﴿ ان يتيسر لي منهم بكاء ﴾

عذاب لابراهيم لاقال قوم لوط (وانهم آتيهم) (تأوه غامض) (أواه) (رحيم) (منيب) (يا ابراهيم) (أعرض عن هذا) عن جدال هذا (انه قد جاء أمر ربك) (يا ابراهيم) (أعرض عن هذا) عن جدال هذا (انه قد جاء أمر ربك) (يا ابراهيم) (أعرض عن هذا) عن جدال هذا (انه قد جاء أمر ربك)

(وقال هذا يوم عَصِيب) شديد روى ان الله تعالى قال لهم لا تهلِكوا هم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معه منطلقا بهم الى منزله قال لهم أما { الجزء الثاني عشر } بانكم ٣٤٦ أمر هذه القرية قالوا وما أمره

قال أشهد بالله أنها لشرقية في الارض علا قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها (وحاء قومهم يهرعون اليه) يهرعون كأنما يدفعون دفعا (ومن قبل كانوا يعملون السيئات) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى سرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا بهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء (قال يا قوم هؤلاء بناتي) فتزوجوهن أراد أن يضيافه بناته وذلك غابة الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائز في ذلك الوقت كاجاز في الابتداء في هذه الامة فتد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدا مطاعا فاراد لوط أن يزوجهما ابتداء

صدم قومهم (وقيل) نسبه (هذا يوم عَصِيب) شديد على (وجاءه قومهم) يوم لوط

للحجز عن مدافعة المكروه والاحتياط فيه وقال هذا يوم عَصِيب شديد من عصبه اذا شدة وجاءه قومهم يهرعون اليه يهرعون اليه كأنهم يدفعون دفعا للطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فقرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا بهرعون لها مجاهرين ذلك يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن اضيافه كرم او حية والمخى هؤلاء بناتي تزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهن لخبثهم وعدم كفائهم لالحرمات المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ أو مبالة في تناسي خبث ما يروونه حتى ان ذلك اهن منه واظهار التدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نسائهم فان كل نبي ابواته من حيث

أو فاحشة وعلم الله سبحانه الى المدافعة عنهم وقال يعني لوطا هذا يوم عَصِيب أي شديد كأنه قد عصب به الشر والبلاء أي شديده مأخوذ من الصابة التي تشد بها الرأس قال قتادة والسدى خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فأتوا لوطا نصف النهار وهو يعمل في أرضه وقيل انه كان يخطب وقد قال الله سبحانه وتعالى للملائكة لا تهلِكوا هم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم أما بانكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله أنها لشرقية في الارض علا يقول ذلك أربع مرات ففضوا معه حتى دخلوا منزله وقيل انه لما حل الحطب ومعه الملائكة مر على جماعة من قومهم فتنازعوا فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة فر على جماعة أخرى فتنازعوا فقال مثله ثم مر على جماعة أخرى ففعلوا ذلك وقال لوط مثل ما قال أولا حتى قال ذلك أربع مرات وكلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا وقيل ان الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بجيئتهم الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته الحيثه فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط ولا أحسن منهم وجاءه قومهم يهرعون اليه قال ابن عباس وقنادة يهرعون اليه وقال مجاهد يهرعون وقال الحسن بن مثنى بين مشين وقال شمر هو بين الهرولة والحب والجز ومن قبل يعني ومن قبل مجيئ الرسل اليهم قيل ومن قبل مجيئهم الى لوط كانوا يعملون السيئات يعني الفحلات الحيثه والفاحشة القبيحة وهي اتيان الرجال في أدبارهم قال يعني قال لوط لقومه حين قصدوا اضيافه وظنوا انهم غلمان من بني آدم يا قوم هؤلاء بناتي يعني أزواجكم ايهاهن وق اضيافه بناته قيل انه كان في ذلك الوقت وفي تلك الشرمة باح تزويج المرأة المسلمة بالكافر وقال الحسن بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد و... يد بن جبير أراد بناته نساء قومهم وأضيافهم الى نفسه لان كل نبي أبواته ودو كالأولاد لهم وهذا

(يهرعون اليه) يهرعون الى داره ويهرولون هرولة (ودن غيل) أي وبن غيل بن جبريل (كانوا يعملون) (القول) السيئات) عملهم الحيث (قال) لهم لوط (يا قوم هؤلاء بناتي) ويقال بنات قومي

(من أظهر لكم) أحل هؤلاء مبتداً وبنائي عطف بياناً ومن فصل وأظهر خبراً مبتداً أو بنائي خبراً ومن أظهر خبراً  
وخبر (فاتقوا الله) إشارته عليهم (ولا) ﴿٣٤٧﴾ (تخزون) {سورة هود} ولا تخزون ولا تقصصوني من الغزى

أو ولا تخجلوني من الخزية  
وهي الحياة وبالياء أبو  
عرو في الوصل (في ضيق)  
في حق ضيق فانه اذا  
خزي ضيق الرجل أو  
جازه فقد خزي الرجل  
وذلك من عراقة الكرم  
واصل المروءة (أليس منكم  
رجل رشيد) أي رجل  
واحد يهتدي الى طريق  
الحق وفصل الجليل والكف  
عن السوء (قالوا لقد علمت  
ما لنا في بناتك من حق)  
حاجة لان تكاح الاناث  
أمر خارج عن مذهبنا  
فذهبنا اتیان الذکران  
(وانك تعلم ما نريد) عنوا  
اتیان الذکور ومالهم فيه  
من الشهوة (قال لو أنى  
بكم قوة أو آوى الى ركن  
شديد) جواب لو محذوف  
أى لفعلت بكم ولصنعت  
والمعنى لو قويت عليكم

(من أظهر لكم) أنا أزوجه  
(فاتقوا الله) فآخشوا الله  
في الحرام (ولا تخزون في  
ضيق) لا تقصصوني في أضياف  
(أليس منكم رجل رشيد)  
يدلهم على الصواب ويأمرهم  
بالمعروف وينهاهم عن  
المنكر (قالوا لقد علمت)

الشفقة والتربية وفي حذف ابن مسعود وأزواجه أمهاتهم وهو اب لهم ﴿من أظهر  
لكم﴾ انظمت فعلاً أو اقل فحشا كقولك الميثه اطيب من المنسوب واحل منه وقرئ  
أظهر بالنصب على الحال على ان من خبر بناتي كقولك هذا اخي هو لا فصل فانه لا يقع  
بين الحال وصاحبها ﴿فاتقوا الله﴾ بترك القوا حش أو بإشارة من عليهم ﴿ولا تخزون﴾  
ولا تقصصوني من الغزى أو ولا تخجلوني من الخزية بمعنى الحياء ﴿في ضيق﴾ في  
شأنهم فان اخزاهم ضيق الرجل اخزاه ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ يهتدى الى الحق  
ويرعوى عن القبيح ﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ من حاجة ﴿وانك  
تعلم ما نريد﴾ وهو اتیان الذکران ﴿قال لو انى بكم قوة﴾ لو قويت بنفسى على  
دفعكم ﴿أو آوى الى ركن شديد﴾ الى قوى اتنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته  
وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله اخي لوطاً كان بأوى الى ركن شديد وقرئ

القول هو الصحيح وأشبه بالصواب ان شاء الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كانتا  
اثنتين وليست بكافيتين للجماعة وليس من المروءة أن يرض الرجل بناته على أعدائه ليزوجهن  
ايامهم فكيف يليق ذلك بمنصب الانبياء أن يرضوا بناتهم على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط على  
سبيل الدفع لقومه لا على سبيل التحقيق وفي قوله ﴿من أظهر لكم﴾ سؤال وهو أن يقال ان  
قوله من أظهر لكم من اب أهل التفضيل فيقتضى أن يكون الذي يطلبونه من الرجال  
بظاهراً ومعلوم أنه محرم فاسد نجس لا طهارة فيه البتة فكيف قال من أظهر لكم  
والجواب عن هذا السؤال ان هذا جار مجرى قوله أذلك خير نزل أم شجرة الزقوم  
ومعلوم أن شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم أحد  
أعل هبل قال الله أعلى وأجل اذ لا مائلة بين الله عز وجل والصنم وانما هو كلام  
خرج مخرج المقابلة ولهذا نظائر كثيرة ﴿وقوله﴾ ﴿فاتقوا الله﴾ يعنى خافوه  
وراقبوه واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والفسيان ﴿ولا تخزون في ضيق﴾ يعنى  
ولا تسوؤنى في أضيافى ولا تقصصونى معهم ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ أى صالح سديد  
عاقل وقال عكرمة رجل يقول لا اله الا الله وقال محمد بن اسحق رجل يأمر بالمعروف  
وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا القمل القبيح ﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من  
حق﴾ يعنى ليس لنا بهن حاجة ولانا فيهن شهوة وتيل معناه ليست بناتك  
لنا بازواج ولا مستحبات نكاحهن وقبل معناه ما لنا في بناتك من حاجة لانك دعوتنا  
الى نكاحهن بشرط الايمان ولا نريد ذلك ﴿وانك تعلم ما نريد﴾ يعنى من اتیان  
الرجال في أديارهم فند ذلك ﴿قال لوط عليه السلام﴾ ﴿لو أنى بكم قوة﴾ أى  
لو أنى أقدر أن أتقوى عليكم ﴿أو آوى الى ركن شديد﴾ يعنى أو أنضم الى عشيرة  
يتمونى منكم وجواب لو محذوف تقديره أو وجدت قوة لقواتكم أو وجدت عشيرة

بالوط (ما لنا في بناتك من حق) من حاجة (وانك تعلم ما نريد) يمتون عليهم الحيث (قال) لوط في نفسه لو أنى بكم  
قوة (بالبدن والولد) (أو آوى) أقدر أن أرجع (الى ركن شديد) الى عشيرة كثيرة لمنعت نفسى منكم فلما علم



بنفسى أو أوى الى قوى أستند اليه وأتمتع به فيصينى منكم فشبه القوى العزيز بالركن من الجبل فى شدته ومنته روى أنه أخاؤه  
بأيه حين جاؤا وجعل { الجزء الثانى عشر } يرادهم ما حكى ﴿ ٣٤٨ ﴾ الله عنه ويحادلهم فتسوروا الجدا

أو أوى بالنصب على اضمحار أن كأنه قال لو أن لى بكم قوة أو أوى وبجواب لو محذوف  
تقديره لدفعتم روى أنه أخلق بأيه دون أضيافه وأخذ يحادلهم من وراء الباب  
فتسوروا الجدار فلارأت الملائكة ما على لوط من الكرب ﴿ قالوا يا لوط أنا رسل ربك ﴾  
لن يصلوا اليك ﴿ لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا وإياهم فخلوهم  
أن يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم  
فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط سحرة ﴿ فاسر باهلك ﴾ بالقطع من الاسراء  
﴿ وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع فى القرآن من السرى ﴾ بقطع من الليل ﴿  
بطائفة منه ﴾ ولا يلتفت منكم أحد ﴿ ولا يتخلف أولنا ينظر الى ورائه والنهى فى اللفظ  
لاحد فى المعنى لا لوط ﴾ الاسراء أنك ﴿ استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه أنه قرئ

لانضمت اليهم قال أبو هريرة ما بعث الله نبياً بعده الا فى منمة من عشرته (ق) عن أبي  
هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان يأوى الى  
ركن شديد ولوليت فى السجن ما لبث يوسف ثم أتانى الداعى لاجبته قال الشيخ  
محيى الدين النروى رحمه الله المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه أشد  
الاركان وأقواها وأمنها ومعنى الحديث أن لوطا عليه السلام لما خاف على أضيافه  
ولم تكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين شاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فطلب ذلك  
عاليه فقال فى تلك الحال لو أن لى بكم قوة فى الدفع بنفسى أو أوى الى عشيرة تمنع  
لمنعتكم وقصد لوط اظهار العذر عند أضيافه وأنه لو استطاع لدفع المكروه عنهم  
ومعنى باقى الحديث فيما يتعلق بيوسف عليه السلام يأتي فى موضعه من سورة يوسف  
أن شاء الله تعالى قال ابن عباس وأهل التفسير أخلق لوط بأيه والملائكة معه فى الدار  
وجعل يتأظر قومه ويتأشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون سور الدار فلما رأت  
الملائكة ما لى لوط بسبيهم ﴿ قالوا يا لوط ﴾ ركنك شديد ﴿ أنا رسل ربك لن يصلوا  
اليك ﴾ يعنى بمكروه ففتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل  
عليه السلام ربه عز وجل فى عقوبتهم فاذن له فتحول الى صورته التى يكون فيها  
وتنسر جناحيه وعليه وشاح من درمنظوم وهو براق الثياب أجلى الجبين ورأسه  
حبيك مثل المرجان كأنه كالثلج بيضاء وقدماه الى الخصرة فضرب بجناحيه وجوسهم  
فطمس أعينهم وأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا  
وهم يقولون النجاء النجاء فى بيت لوط أسهر قوم فى الارض قد سحرنا وجعلوا  
يقولون يا لوط كما أنت حتى تصبح وترى اتاق منا غدا يوءدونه بذلك ﴿ فاسر  
باهلك ﴾ يعنى بيتك ﴿ بقطع من الليل ﴾ قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك  
منته من الليل وقال قتادة بددضى أوله وقيل أنه السحر الاول ﴿ ولا يلتفت منكم  
أحد ﴾ ولا يلتفت منكم أحد الى ورائه ولا ينظر الى خلفه ﴿ الاسراء أنك ﴾ فانها

فلما رأت الملائكة ما لى  
لوط من الكرب (قالوا  
يا لوط) أن ركنك شديد  
(أنا رسل ربك) ففتح  
الباب ودعنا وإياهم ففتح  
الباب فدخلوا فاستأذن  
جبريل عليه السلام ربه  
فى عقوبتهم فاذن له فضرب  
بجناحه وجوههم فطمس  
أعينهم فأعماهم كما قال الله  
تعالى فطمسنا أعينهم  
فصاروا لا يعرفون الطريق  
فخرجوا وهم يتسولون  
النجاء النجاء فان بيت لوط  
قوما سحرة (لن يصلوا  
اليك) جلالة موضحة لى  
قبها لانهم اذا كانوا رسل  
الله لم يصاروا اليه ولم  
يقدروا على ضرره (فاسر)  
بالوصل مجازى من سرى  
(باهلك بقطع من الليل)  
طائفة منه أن نفسه (ولا  
يلتفت منكم أحد) بقلبه  
الى ما خلفه أو لا ينظر  
الى ما وراءه أو لا يتخلف  
منكم أحد (الاسراء أنك)

جبريل والملائكة خوف  
لوط من تهديد قومه (قالوا  
يا لوط أنا رسل ربك لن  
يصلوا اليك) باليد ونحن  
نهلكهم (فاسر بأهلك)  
فسر بأهلك يقال أدلج بهم  
(بقطع من الليل) فاسر

من الليل آخر الليل عند السحر (ولا يلتفت منكم) لا يلتفت منكم (أحد الاسراء أنك) وأعلة المناقصة (من )

مستثنى من فاسر بأهلك وبالرفع مكى وأبو عمرو على البدل من أحد وفي آخر إجماع أهل روايتان روى أنه أخرجهما منهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحدا لهي فلما سمعت ﴿٣٤٩﴾ هذة المذاب { سورة هود } التفتت وقالت يا قوماء فادركها

جر فقتلها وروى أنه أمر بان يخلعها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسرعها واختلاف القراءتين واختلاف الروايتين (أنه مصيبا ما أصابهم) أى ان الامر وروى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا (ان موعدهم الصبح) فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها) جعل جبريل عليه السلام جناحه في أسفلها أى أسفل قراها ثم رفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصباح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم وذلك قوله (وأمرنا عليها حجارة من سجيل) هى كلمة معربة من سكيل بدليل قوله

(أنه مصيبها) سيصيبها  
(ما أصابهم) ما يصيبهم  
من العذاب (ان موعدهم)  
بالهلاك (الصبح) عند  
الصباح قال لوط الآن  
يا جبريل قال جبريل يا لوط  
(أليس الصبح بقريب)  
لأنه رأى ولم ير لوط (فلما  
جاء أمرنا) عذابنا هلاكهم  
(جعلنا عاليها سافلها) قلنا

فاسر بأهلك بقطع من الليل الامر أنك وهذا آتيا يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الورا في الذهب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابى عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حل القراءتين على الروايتين في أنه خلفها مع قومها أو أخرجهما فلما سمعت صوت المذاب التفتت وقالت يا قوماء فادركها جر فقتلها لان القواطع لا يصح حلها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله ولا يلتفت مثله في قوله تعالى ما ضلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الاصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيهما عنه استحصالا ولذلك علله على طريقة الاستثناء بقوله ﴿أنه مصيبها ما أصابهم﴾ ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ﴿ان موعدهم الصبح﴾ كأنه علة الامر بالاسراء ﴿أليس الصبح بقريب﴾ جواب لاستعجال لوط واستبطائه المذاب ﴿فلما جاء أمرنا﴾ عذابنا أو أمرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسياعنه بقوله ﴿جعلنا عاليها سافلها﴾ فانه جواب لما كان حقه جعلوا عاليها الملائكة المأمورون به فاستند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روى ان جبريل عليه الصلاة والسلام ادخل جناحه تحت مداشهم ورفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصباح الديكة ثم قلبها عليهم ﴿وامطرنا عليها﴾ على المدن أو على شذاذها ﴿حجارة من سجيل﴾ من طين متعبر لقوله حجارة من طين واصله سكيل فحرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله وأدر عطيته

من الملتفات قبلك مع من هلك من قومها وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿أنه مصيبها ما أصابهم﴾ فقال لوط متى يكون هذا العذاب قالوا ﴿ان موعدهم الصبح﴾ قال لوط انه بعيد أريد أسرع من ذلك فقالوا له ﴿أليس الصبح بقريب﴾ فلما خرج لوط من قريته أخذ أهله معه وأمرهم أن لا يلتفت منهم أحد فقبلوا منه الامراته فانها لما سمعت هذة العذاب وهو نازل بهم التفتت وصاحت واقوماء فاخذتها حجارة فاهلكتها معهم ﴿فلما جاء أمرنا﴾ يعنى أمرنا بالمذاب ﴿جعلنا عاليها سافلها﴾ وذلك ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت قرى قوم لوط وهى خمس مدائن أكبرها سدوم وهى المؤتفكات المذكورة في سورة براءة ويقال كان فيها أربعمائة ألف وقيل أربعة آلاف ألأب فرفع جبريل المدائن كلها حتى سمع أهل السماء صباح الديكة ونباح الكلاب لم يكفأ لهم انه لم ينتبه لهم نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها ﴿وامطرنا عليها﴾ يعنى على شذاذها ومن كان خارجا عنها من مسافريها وقيل بعدما قلبها أمطر عليهم ﴿حجارة من سجيل﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه سكيل فافرسى معرب لان العرب اذا تكلمت بشئ من الفارسى صار لغة للعرب ولا يضاف الى الفارسى مثل قوله سندس واستبرق ونحو ذلك فكل هذه الفاظ فاسية تكلمت بها العرب واستعملتها في الفاظهم فصارت عربية قال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله

وجعلنا أسفلها أعلاها وأعلاها أسفلها (وامطرنا عليها) على شذاذها ومسافريها (حجارة من سجيل) من سجيل وحل مثل الآجرويقا

حجارة من طين (منضود) { الجزء الثاني عشر } نعت السجيل ﴿ ٣٥٠ ﴾ أي متابع أو مجموع معد للذاب (مسومة)

والمتى من مثل الشيء المرسل أو من مثل العطية في الادرار أو من السجيل أي مما كتب الله أن يعذبهم به وقيل أصله من سجين أي من جهنم فابدلته نونه لآما ﴿ منضود ﴾ نضد معدا لعذابهم أو نضد في الارسل يتابع بعضه بعضا كقطار الامطار أو نضد بعضه على بعض وألصق به ﴿ مسومة ﴾ معلة للذاب وقيل معلة بياض وجرة أو بسيا تتنيزه عن حجارة الارض أو باسم من يرى بها ﴿ عندربك ﴾ في خزانته ﴿ وماهى من الظالمين ببيد ﴾ فانهم يظلمهم حقيق بأن يعطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلاة والسلام أنه سأل جبريل عليه السلام فقال يعني ظلمي أمك ما من ظالم منهم الا هو يعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى أي هي قريبة من ظلمي مكة يعرون بها في أسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر أو المكان ﴿ والى مدين اخاهم شعيا ﴾ أراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام أو اهل مدين وهو يلدنائه فسمى باسمه ﴿ قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴾ امرهم

في موضع آخر حجارة من طين وقال مجاهد اولها حجر وآخرها طين وقال الحسن أصل الحجارة طين فشدت وقال الضحاك يعني الآجر وقيل السجيل اسم سماء الدنيا وقيل هو جبل في سماء الدنيا ﴿ منضود ﴾ قال ابن عباس متابع يتبع بعضها بعضا مفعول من النضد وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض ﴿ مسومة عندربك ﴾ صفة للحجارة يعني معلة قال ابن جريج عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حجر على هيئة الجزع وقال الحسن والسدى كانت مخنومة عليها أمثال الخواتيم وقبل كان مكتوبا عابا أي على كل حجر اسم صاحبه الذي يرى به ﴿ وماهى ﴾ يعني تلك الحجارة ﴿ من الظالمين ﴾ يعني مشركي مكة ﴿ ببيد ﴾ قال قتادة وعكرمة يعني ظلمي هذه الامة والله ما أجاز الله منها ظالما بعده وفي بعض الآثار ما من ظالم الا وهو يعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذاذ قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فوجد الحجر معاقا في السماء أربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فاهلكه ﴿ قوله عز وجل ﴾ والى مدين ﴿ يعني وأرسلنا الى مدين ﴾ أخاهم شعيا ﴿ مدين اسم لابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسم القبيلة من أولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدين ابن ابراهيم فعلى هذا يكون التفسير وأرسلنا الى أهل مدين فحذف المضاف للدلالة الكلام عليه ﴿ قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غيره ﴾ يعني وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره كانت عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤن بالاهم فالاهم ولما كانت الدعوة الى توحيد الله وعبادته أهم الاشياء قال شيب اعبدوا الله ما لكم من الله غيره ثم بعد الدعوة الى التوحيد شرح قيامهم فيه ولما كان المناد من أهل مدين البنفس في الكيل والوزن دعاهم الى ترك هذه المادة القيحة وهي تطفيف الكيل والوزن فقال ﴿ ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴾ انقص في الكيل والوزن على وجهين أحدهما

نعت الحجارة أي معلة للذاب  
قيل مكتوب على كل واحد  
اسم من يرى به (عندربك)  
في خزانته أو في حكمه  
(وماهى من الظالمين ببيد)  
بشيء ببيد وفيه وعيد  
لاهل مكة فان جبريل  
عليه السلام قال لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم يعني  
ظلمي أمك ما من ظالم منهم  
الا هو يعرض حجر يسقط  
عليه من ساعة الى ساعة  
أو الضمير للقرى أي هي  
قريبة من ظلمي مكة يعرون  
بها في مساربهم (والى  
مدين أخاهم شعيا) هو  
اسم مدينتهم أو اسم جدهم  
مدين بن ابراهيم أي  
وأرسلنا شعيا الى ساكني  
مدين أو الى بني مدين (قال  
يا قوم اعبدوا الله ما لكم  
من الله غيره ولا تنقصوا  
المكيال) أي المكيال  
بالمكيال (والميزان)

من سماء الدنيا (منضود)  
متابع بعضها على أربعض  
(مسومة) مخططة بالسواد  
الحمرة والياض ويقال مكتوب  
عليها اسم من هلك بها (عند  
ربك) من عند ربك يا محمد تأتي  
تلك الحجارة (وماهى)  
يعني الحجارة (من الظالمين  
ببيد) لم تخطهم بل أصابهم

ويقال ماهى من ظلمي أمك ببيد من تسمى بهم أي شعياهم (والى مدين) وأرسلنا الى مدين (أخاهم) أيهم (شعيا قال) (ان)  
يا قوم اعبدوا الله (ما لكم من الله غيره) غير الذي أمركم أن تؤمنوا به (ولا تنقصوا المكيال والميزان) أي حقوق الناس

والموزون بالميزان ( انى أراكم بخير ) ﴿ ٣٥١ ﴾ بثروة وسعة { سورة هود } تفنيكم عن التطفيف

أورأراكم بشعة من الله  
حقها أن تقابل بغير ما تشعلون  
( وانى أخاف عليكم عذاب  
يوم محيط ) مهلك من قوله  
وأحيط بثمره وأصله  
من احاطة العدو والمراد  
عذاب الاستئصال في الدنيا  
أو عذاب الآخرة ( ويقوم  
أوفوا المكيال والميزان )  
أنموهما ( بالقسط ) بالعدل  
أولاً عن عين القبيح الذى  
كانواعله من نقص المكيال  
والميزان ثم ورد الامر  
بالإيفاء الذى هو حسن  
في القول لزيادة الترفيع  
فيه وجى به مقيداً بالقسط  
أى ليكن الإيفاء على وجه  
العدل والتسوية من غير  
زيادة ولا نقصان ( ولا  
تبخسوا الناس أشياءهم )  
البخس النقص فكانوا  
ينقصون من أثمان ما  
يشترون من الاشياء فنهوا  
بالكيل والوزون ( انى  
أراكم بخير ) بسة ومال  
ورخص السعر ( وانى  
أخاف عليكم ) ان لم تؤدوا به  
ولم توفوا بالكيل والوزن  
( عذاب يوم محيط ) يحيط بكم  
ولا ينفلت منكم أحد من  
القيط والجدوبة وغير  
ذلك ( ويقوم أوفوا المكيال  
والميزان ) أى أعوا الكيل

بالتوحيد اولافانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المتنافي للعدل الخلل بحكمة  
التماوض ﴿ انى أراكم بخير ﴾ بسة تفنيكم من البخس أو بنة حقها ان تفضلوا على  
الناس شكراً عليها لان تنقصوا - فقومهم أو بسة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة  
علة النهى ﴿ وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط ﴾ لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب  
مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال وتوصيف  
اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه ﴿ ويقوم أوفوا المكيال والميزان ﴾  
صرح بالامر بالإيفاء بعد النهى عن منه مبالغة وتنبها على انه لا يكفيهم الكف عن تعدد  
التطفيف بل يلزمهم السى في الإيفاء ولو زيادة لا يتأتى دونها ﴿ بالقسط ﴾ بالعدل  
والتسوية من غير زيادة ولا نقصان فان الزيادة إيفاء وهو مندوب غير مأوربه وقد  
يكون محظوراً ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ تعميم بعدم تخصيص فانهام من ان يكون  
ان يكون الاستنفاص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصاً والوجه الآخر هو استيفاء  
الكيل والوزن لانفسهم زائداً عن حقهم فيكون نقصاً في مال الغير وكلا الوجهين  
مذموم فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴿ انى أراكم  
بخير ﴾ قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة  
فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحصول النعمة ان لم يتوبوا ولم يؤمنوا  
وهو قوله ﴿ وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط ﴾ يعنى يحيط بكم فيها لكم  
جمعاً وهو عذاب الاستئصال في الدنيا أو حذرهم عذاب الآخرة ومنه قوله سبحانه  
وتعالى وان جهنم لحيطة للكافرين ﴿ ويقوم أوفوا المكيال والميزان ﴾ أى أنموهما  
ولا تطففوا فيهما ﴿ بالقسط ﴾ أى بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل  
المكيال ﴿ ولا تبخسوا الناس ﴾ أى ولا تنقصوا الناس ﴿ أشياءهم ﴾ معنى أموالهم فان  
قلت وقد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة أوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان  
ثم قال أوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم قال ولا تبخسوا الناس أشياءهم وهذا عين  
ما تقدم فالقاعدة في هذا التكرار قلت ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو  
تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتج في المنع منه الى المبالغة في التأكيده والتكرار  
يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكيده فلذلك كرر ذلك ليتوى الزجر والمنع من ذلك الفعل  
ولان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهى عن التنقص وقوله أوفوا المكيال والميزان أمر  
بإيفاء العدل وهذا غير الاول ومعارفه ، ولقد قل ان يقول النهى ضد الامر فالتكرار لازم  
على هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قد يجوز ان ينهى عن النقص ولا بإيفاء الكيل  
والوزن فانما جمع بينهما فهو كقولك صل رجليك ولا تقطعها فتريدها بالذمة الامر والنهي  
وأما قوله نأيا ولا تبخسوا الناس أشياءهم فليس بذكر رأياً محلاً ، سبحانه وتعالى  
النهى عن التقصص والامر بإيفاء الحق في الكيل والوزن عم الحكم في جميع الاسماء أى بحسب  
إيفاء الحق فيها فيدخل في الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فذكر في الآية التكرار

والميزان) أى أعوا الكيل والوزن (بالقسط) بالعدل (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) لا تنقصوا حقوق الناس

عن ذلك ( ولا تمسوا في الارض مفسدين ) العث والمبشأشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السيل ويجوز أن يجعل  
 الجنس والتطيف عثا منهم في الارض ( بقيت الله ) ما يبقى لكم من الحلال بعد التزهد عما هو حرام عليكم ( خير لكم  
 ان كنتم مؤمنين ) بشرط ان تؤمنوا ببقية الله خير للكفرة أيضا لانهم يسلطون معهم من تبعه الجنس والتطيف الا ان فائدتها  
 تظهر مع الايمان من حصول { الجزء الثاني عشر } الثواب مع النجاة ﴿ ٣٥٢ ﴾ من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانفاس

في المقدار أو في غيره وكذا قوله ﴿ ولا تمسوا في الارض مفسدين ﴾ فان الشويم تنقيص  
 الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالجنس المكس كاخذ العشور من المعاملات  
 والعتو السرقة وقطع الطريق والغارة وقائلة الحال اخراج ما يقصده اصلاح كافله  
 الحضر عليه السلام وقيل معناه ولا تمسوا في الارض مفسدين امر دينكم ومعالج آخرتكم  
 ﴿ بقيت الله ﴾ ما بقاء الله لكم من الحلال بعد التزهد عما هو حرام عليكم ﴿ خير لكم ﴾ مما  
 يجمعون بالتطيف ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ بشرط ان تؤمنوا فان خيرتها باستتباع  
 الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان أو ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية  
 الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ بقية الله بالثاء وهي تقواه التي تكف عن  
 المعاصي ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ احفظكم عن القبايح أو احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم  
 عليها وانما أنا صم مبلغ وقد اعذرت حين انذرت أو لست بحافظ عليكم نعم الله لولم  
 تتركوا سوء صنيعكم ﴿ قالوا يا شبيب اصلواتك تأمرك ان تترك ما يعبد آباؤنا ﴾ من الاصنام  
 اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والاشعار بان مثله لا  
 بدعوا اليه داع عقل واعاد ماك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان شعب  
 كثير الصلاة فلذلك جعوا وخصوا الصلوة بالذكر وقرأ أجزاء الكسائي وحفص على الافراد  
 والمعنى اصلواتك تأمرك بتكليف ان تترك الخذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره  
 ﴿ أو ان تفعل في اموالنا ما نشاء ﴾ عطف على ما أي وان تترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ  
 بالثاء فيهما على ان العطف على ان تترك وهو جواب انتهى عن التطفيف والامر بالايفاء

والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا تمسوا في الارض مفسدين ﴾ يعني بتقصي الكل  
 والوزن ومنع الناس حقوقهم ﴿ بقيت الله خير لكم ﴾ قال ابن عباس يعني ما بقي الله لكم  
 من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه بالتطيف وقال مجاهد بقية الله  
 يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعني ما بقاء الله لكم من الثواب في الآخرة خير لكم مما  
 يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ يعني مصدقين بما قلت لكم و  
 امرتكم به ونهيتكم عنه ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ يعني احفظ اعمالكم قال بعضهم انما قال لهم  
 شبيب ذلك لانه لم يؤمر بقتالهم ﴿ قالوا يا شبيب اصلواتك تأمرك ان تترك ما يعبد آباؤنا ﴾  
 يعني من الاصنام ﴿ أو ان تفعل في اموالنا ما نشاء ﴾ يعني من الزيادة والنقصان قال ابن عباس  
 كان شعب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل انهم كانوا يعمرون بديرونه يصلي فيستهزؤن

صاحبها في غرات  
 الكفر وفي ذلك تعظيم  
 للايمان وتنبيه على جلالة  
 شأنه أو المراد ان كنتم  
 مصدقين لي فيما أقول لكم  
 وأنصح به اليكم ( وما أنا  
 عليكم بحفيظ ) لنحمد عليكم  
 فاحفظوا ما يترك الجنس ( قالوا  
 يا شبيب اصلواتك ) وبالوحد  
 كوفي غير أبي بكر ( تأمرك  
 أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن  
 تفعل في اموالنا ما نشاء )  
 كان شبيب عايد السلام كثير  
 الصلوات وكان قومه يقولون  
 له ما تستفيد بهذا فكان يقول  
 انها تأمر بالحسن وتنهى  
 عن القبائح فقالوا له على وجه  
 الاستهزاء اصلواتك تأمرك  
 أن تأمرنا بترك عبادة ما كان  
 يعبد آباؤنا أو أن تترك  
 التبسط في اموالنا ما نشاء  
 من ايفاء وتقص وجازا  
 تكون الصلوات امره مجازا  
 كما سماها الله تعالى ناعية مجازا  
 بالكيل والوزن ( ولا تمسوا  
 في الارض مفسدين )  
 لا تمسوا في الارض الفساد

وبعبادة الارواح ردداه الناس اليها وبنحس الكيل والوزن ( بقيت الله ) ثواب الله على وفاء الكيل والوزن ( به )  
 ( خيراكم ) ويقال ما يبقى الله لكم من الحلال خير لكم مما بنحسون بالكيل والوزن ( ان كنتم مؤمنين ) مصدقين بما أقول لكم  
 ( وما أنا عليكم بحفيظ ) بكنيل احفظكم لانه لم يكن مأمورا بقتالهم ( قالوا يا شبيب اصلواتك ) كثرة صلواتك ( تأمرك  
 أن تترك ما يعبد آباؤنا ) من الاوثان ( أو أن تفعل ) لا تفعل ( في اموالنا ما نشاء ) من الجنس في الكيل والوزن

(أنك لانت الحليم الرشيد) أي السفيه الضال ﴿٣٥٣﴾ وهذه تسمية { سورة هود } على القلب استهزاء أولئك

حليم رشيد عندنا ولست  
تقبل بنا ما يقتضيه حالك  
(قال يا قوم أرايتم ان كنت على  
بينة من ربي ورزقي منه )  
من لدنه ( رزقا حسنا )  
يعني النبوة والرسالة أو  
ملا حلالا من غير نجس  
وتطقيف وجواب أرايتم  
عذوف أي اخبروني ان  
كنت على جهة واضحة من  
ربي وكنت نيا على الحقيقة  
أيصح لي أن لا أسركم بترك  
عبادة الاوثان والكف  
عن المعاصي والانياس  
لا يمشون الا لذلك يقال خالفني  
فلان لي كذا اذا قصده  
وأنت مول عنه وخالفني عنه  
اذا ولي عنه وأنت قاصده  
ويلقاك الرجل صادرا عن الماء  
فتسأله عن صاحبه فيقول  
خالفني الى الماء يريدانه قد  
ذهب اليه واردا وأنا  
ذاهب عنه صادرا ومنه  
قوله (وما أريد أن أخالفكم  
الى ما أنتم عليه ) يعني أن  
أسبقكم الى شهواتكم

(أنك لانت الحليم الرشيد)  
السفيه الضال استهزاء به  
(قال يا قوم أرايتم ان كنت)  
يقول أي (على بينة من ربي)  
على بيان نزل من ربي  
(ورزقي منه رزقا حسنا)  
أكرمني بالنبوة والاسلام  
وأعطاني ملا حلالا (وما

وقيل كان ينههم عن تقطيع الدراهم والدنانير فأرادوا به ذلك ﴿أنك لانت الحليم الرشيد﴾  
تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك أو عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بأنه موسوم  
بالحم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك ﴿قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة  
من ربي﴾ إشارة الى ما آناه الله من العلم والنبوة ﴿ورزقي منه رزقا حسنا﴾ إشارة  
الى ما آناه الله من المال الحلال وجواب الشرط عذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا  
الانعام الجامع للسادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في أمره  
ونيه وهو اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء والضمير في  
منه لله أي من عنده وباعثه بلا كد مني في تحصيله ﴿وما أريد ان أخالفكم الى ما أنتم عليه﴾  
عنه أي وما أريد ان آتي ما أنتم عليه لاستبدبه دونكم فلو كان صوابا لا أثره ولم  
اعرض عنه فضلا عن ان انهي عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصده وهو مول عنه

به ويقولون هذه المقالة وقال الاعشى أقرأئك لان الصلاة تطلق على القراءة والدعاء وقبل  
المراد بالصلاة هنا الدين يعني أدينك بأمرك أن تترك ما يبدأ بأوأ أن تفعل في أمواتنا ماشاء  
وذلك انهم كانوا ينقصون الدراهم والدنانير فكان شيعب عايد السلام ينههم عن ذلك  
ويخبرهم انه محرم عليهم واذا ذكر الصلاة لالهان من أعظم شعائر الدين ﴿أنك لانت الحليم  
الرشيد﴾ قال ابن عباس أرادوا السفيه الغاوي لان العرب قد تصف الشيء بضده فيقولون  
للدغ سليم وللغلاة المهلكة مفارقة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء  
والسخرية وقيل معناه أنك لانت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بايه من الصحة ومعناه  
أنك يا شيعب فينا حليم رشيد فلا يحمد بك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم ﴿قال﴾ يعني  
قال لهم شيعب ﴿يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي﴾ يعني على بصيرة وهداية وبيان  
﴿ورزقي منه رزقا حسنا﴾ يعني حلالا قليل كان شيعب كثير المال الحلال والنعمة وقيل الرزق  
الحسن ما آناه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة وجواب ان الشرطية عذوف تقديره  
أرايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقي المال الحلال والهداية والمعرفة والنبوة فهل يسعني  
مع هذه النعمة أن اخون في وحيه وأن أخالف أمره وأتبع الضلال أو أنجس الناس اشياءهم  
وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا لك لانت الحليم الرشيد والمعنى  
فكيف باقى بالحليم الرشيد أن يخالف أمر ربه وله عايد نعم كثيرة وقوله ﴿وما أريد أن  
أخالفكم الى ما أنتم عليه﴾ قال صاحب الكشاف يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت  
مول عنه وخالفني عنه اذا ولي عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن  
صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريدانه قد ذهب اليه واردا وما ذاهب عنه صادرا ومنه قوله  
وما أريد أن أخالفكم الى ما أنتم عليه أي أن أسبقكم الى شقوتكم التي نهيتم عن الاستدوا  
دونكم قال الامام فخر الدين الرازي وتحقيق الكلا فماد انقوم اعترفوا في جوابه حليم  
رشيد وذلك يدل على كمال العقل وكال العقل يعمل صاحب على اختيار الطريق الا صوب  
الاصح فكانه عليه السلام قال لهم لما اعترفتم بكمال عتلي فاعبوا أن الذي اخترته انذني هو

أريد ان أخالفكم الى ما أنتم عليه (قا وخاء ع لث) يقول ما يريد ان افضل ما أنتم عليه من النجس في الكيل والوزن

التي نهيتكم عنها لاستبد بها  
دونكم ( ان أريد الا  
الاصلاح ) ما أريد الا أن  
أصلحكم بموعظتي  
ونصيحتي وأمرى بالمعروف  
ونهي عن المنكر ( ما استطعت )  
ظرف أي مدة استطاعت  
للاصلاح وما مدت تمكنا  
منه لا آلفيه جهدا  
( وما توفيق الا الله ) وما  
كوني موثقا لاصابة الحق  
فيما آتي وأزر الا بموته  
وتأييده ( عليه توكلت )  
اعتمدت ( واليه أنيب )  
أرجع في السراء والضراء  
جرم مثل كب في تعديه  
الى مفعول واحد والى  
مفعولين ومنه قوله ( ويا قوم  
لا يجرمنكم شقاق أن  
يصيبكم ) أي لا يكسبكم  
خلاف اصابة العذاب  
( مثل ما أصاب قوم نوح  
أو قوم هود أو قوم صالح  
( ان أريد ) ما أريد ( الا  
الاصلاح ) العدل بالكيل  
والوزن ( ما استطعت وما  
توفيق ) بوفاء الكيل والوزن  
( الا بالله ) من الله ( عليه  
توكلت ) فوضت أمري  
اليه ( واليه أنيب ) اقبل  
( ويا قوم لا يجرمنكم )  
لا يجرمنكم ( شقاق ) ينضى  
وعداوتي حتى لا تؤمنوا  
ولا توفوا بالكيل والوزن  
( أن يصيبكم ) ينصيبكم  
( مثل ما أصاب قوم نوح )

وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ﴿ ان أريد الا الاصلاح ما استطعت ﴾ ما أريد الا ان  
أصلحكم بأمرى بالمعروف ونهي عن المنكر ما مدت استطاعت الاصلاح فلو وجدت  
الاصلاح فيما أتتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو  
التنبه على ان العاقل يجب ان يراعى في كل ما يأتيه ويذر احد حقوق ثلاثة اهمها  
واعلاها حق الله تعالى واثانيها حق النفس واثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضى ان أمركم  
بما أمرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقمة موقع الظرف وقيل خبرية بدل  
من الاصلاح أي المقدار الذي استطعته أو اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما  
توفيق الا بالله ﴿ وما توفيق لا صابة الحق والصواب الا بهدائه ومعاونته ﴾ عليه  
توكلت ﴿ فانه القادر المتكبر من كل شيء وما عدا ما جز في حد ذاته بل معدوم ساقط  
عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ  
﴿ واليه أنيب ﴾ اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا فيد الحصر بتقديم الصلة على الله  
وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتيه ويذر من الله تعالى والاستعانة  
بهدى مجامع امره والاقبال عليه بشرائره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم  
وعدم المبالاة بمعادتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم ﴾  
لا يكسبكم ﴿ شقاق ﴾ معاداتي ﴿ ان يصيبكم ﴾ مثل ما أصاب قوم نوح ﴿ من الفرق  
﴿ أو قوم هود ﴾ من الریح ﴿ أو قوم صالح ﴾ من الرجفة وان بصلتها ثانی مفعولى

أصوب الطرق وأصلحها وهو الدعوة الى توحيد الله وترك البغس والتقصان فأنا مواظب  
عليها غير تارك لها فاعلموا أن هذه الطريقة خير الطرق وأشرفها لا ما أنتم عليه وقل الزجاج  
معناه أني لست أهماكم عن شيء وأدخل فيه أنا اختار لكم ما أختار لنفسى وقال ابن الانباري  
بين ان الذي يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله وترك البغس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه  
ولا ينطوى الا عليه فكان هذا محض النصيحة لهم ﴿ ان أريد ﴾ يعني ما أريد فيما أمركم به وانهاكم  
عنه ﴿ الا الاصلاح ﴾ يعني فيما ينهي وينكم ﴿ ما استطعت ﴾ يعني ما استطعت الا الاصلاح  
وهو الابلاغ والانذار فقط ولا أستطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فانه يهدي  
من يشاء ويضل من يشاء ﴿ وما توفيق الا بالله ﴾ التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة  
على العبد ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى فلذلك قال تعالى وما توفيق الا بالله ﴿ عليه توكلت ﴾  
يعني على الله اعتمدت في جميع أموري ﴿ واليه أنيب ﴾ يعني واليه أرجع فيما ينزل  
من التواب وقيل اليه أرجع في معادى روى ان رسوالله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر  
شيئا قال ذلك خطيب الانبياء لحسن مراجعته وقومه ﴿ وقوله تعالى ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم  
شقاق ﴾ أي لا يجرمنكم خلافا وعداوتي ﴿ أن يصيبكم ﴾ يعني عذاب العاجلة على كفركم  
وأفعالكم الحبيثة ﴿ مثل ما أصاب قوم نوح ﴾ يعني الفرق ﴿ أو قوم هود ﴾ يعني الریح التي  
أهلكتم ﴿ أو قوم صالح ﴾ يعني ما أصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا

يعني عذاب قوم نوح من الفرق والموفان ( أو قوم هود ) الهلاك بالريح ( أو قوم صالح ) الصيحة ( وما )



الهاكين منكم أو في المكان  
فنازلهم قريبة منكم أو فيا  
يستحق به الهلاك وهو

الكفر والمساوي وسوى  
في قريب وبعيد وقيل  
وكثير بين المذكر والمؤنث  
لورودها على زنة المصادر  
التي هي السهل والتهيق  
ونحوهما (واستغفروا ربكم  
ثم توبوا إليه ان ربي رحيم)

يفر لاهل الجفاه من المؤمنين  
(ودود) يحب أهل الوفاء  
من الصالحين (قالوا يا شعيب  
ما نفقه كثيرا مما تقول) أي  
لانفهم صحة ما تقول والا  
فكيف لا يفهم كلامه وهو  
خطيب الانبياء (وانا  
لنراك فينا ضعيفا) لاقوة  
لك ولا عز فيما ينتفلا تقدر  
على الامتناع من ان أردنا  
بك مكروها (ولولا رهطك  
لرجناك) ولولا عشيرتك  
لقتلناك بالرجم وهو شر قتلة  
وكان رهطه من أهل ملتهم

(وماقوم لوط) ما خبر قوم لوط  
(منكم بيمينه) قد بلغكم  
ما أصابهم (واستغفروا ربكم)  
وحدوا ربكم (ثم توبوا  
إليه) اقبلوا إليه بالتوبة  
والاخلاص (ان ربي رحيم)  
بعباده المؤمنين (ودود)  
متودد اليهم بالمغفرة والثواب  
ويقال محب لهم ويحبهم  
إلى الخلق ويقال محب  
اليهم طاعته (قالوا يا شعيب

جرم فانه يمدى الى واحد الى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجر منكم بالضم وهو منقول من  
التمدى الى مقول والاول افسح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل  
بالضم لاضافته الى المبني كقوله

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت « حامة في غصون ذات اوقال  
﴿ وماقوم لوط منكم بيمينه ﴾ زمانا أو مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم  
أوليسوا بيمين منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما أصابهم وافراد البعيد لان المراد  
وما أهلاكم أو وما هم بشئ بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها  
على زنة المصادر كالسهل والتهيق ﴿ واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه ﴾ عاانتم عليه  
﴿ ان ربي رحيم ﴾ عظيم الرحمة للتائبين ﴿ ودود ﴾ فاعل بهم من اللطف والاحسان  
ما يفعل البالغ المودة من يوده وهو وعد على التوبة بمد الوعيد على الاصرار ﴿ قالوا يا شعيب  
ما نفقه ﴾ ما نفهم ﴿ كثيرا مما تقول ﴾ كوجوب التوحيد وحرمة البنس وما ذكرت  
دليلا عليهما وذلك لقصور عقولهم وعدم تفكيرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه أو لانهم  
لم يلقوا إليه اذ هانهم لشدة نفرتهم عنه ﴿ وانالتراك فينا ضعيفا ﴾ لاقوتك ففتح منان  
اردنا بك سوا أو مهينا لا عز لك وقيل اعنى بلفظ جبر وهو مع عدم مناسبه يرده التقييد  
بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعنى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين  
﴿ ولولا رهطك ﴾ قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لظوف من شوكتهم فان  
الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة ﴿ لرجناك ﴾ لقتلناك برى الاجار أو باصحب

﴿ وماقوم لوط منكم بيمينه ﴾ وذلك انهم كانوا حديثي عهد بهلاكهم وقيل مناه وما ديار قوم  
لوط منكم بيمين وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم ﴿ واستغفروا  
ربكم ﴾ يعنى من عبادة الاصنام ﴿ ثم توبوا إليه ﴾ يعنى من البنس والنقصان في الكيل  
والوزن ﴿ ان ربي رحيم ﴾ يعنى بعباده اذا تابوا واستغفروا ﴿ ودود ﴾ قال ابن عباس الودود  
المحب لعباده المؤمنين فهو من قولهم وددت الرجل أو دة اذا أحببته وقيل يحتمل أن يكون  
ودود فعول بمعنى مفعول ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه  
اليهم وقال الخليلي هو الواد لاهل طاعت أى الراضى عنهم باعمالهم والحسن اليهم لاجلها والمادح  
لهم بها وقال ابو سليمان الخطابي وقد يكون معناه من تودد الى خلقه ﴿ قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا  
مما تقول ﴾ يعنى ما نفهم ما ندعونا ليد وذلك ان الله سبحانه وتعالى ختم على قلوبهم فصارت لا تسمى  
ولانفهم ما ينفعها وان كانوا فى الظاهر يسمعون ويفهمون ﴿ وانالتراك فينا ضعيفا ﴾ قال  
ابن عباس وقادة كان اعنى قال الزجاج ويقال ان جبر كانوا يسمعون المكفيع ضعيفا وقال  
الحسن وأبو روق ومقاتل يعنى ذليلا قال أبو روق ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا اعنى  
ولا نبيابه زمانة وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف  
وقيل هو الذى يتمذر عليه المنع عن نفسه ويدل على صحة هذا القول ما جده وهو قوله  
﴿ ولولا رهطك ﴾ يعنى جاعتك وعشيرتك قيل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل  
الى السبعة ﴿ لرجناك ﴾

ما نفقه) ما لعقل (كثيرا مما تقول) مما تأمرنا (وانالتراك فينا ضعيفا) ضريرا بصرا (ولولا رهطك) قومك (لرجناك) لقتلناك



فلذلك أظهروا الميل إليهم والاكرام لهم (وما أنت علينا بعزير) أى لا تمز علينا ولا تكرم حتى تكرمك من القتل وثرعتك عن الرجم وانما يمز علينا رهطك لانهم من أهل ديننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لافي الفعل كانه قيل وما أنت علينا بعزير بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك (قال) في جوابهم (يا قوم ارهطى أعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح { الجزء الثاني عشر } هذا الجواب ﴿ ٣٥٦ ﴾ وانما قال ارهطى أعز عليكم من الله

وجه ﴿ وما أنت علينا بعزير ﴾ فقمنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفية المحجوج يقابل المحجوج والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لافي ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايدائه عزة قوميه ولذلك ﴿ قال يا قوم ارهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ﴾ وجعلتموه كالمسئى المنبوذ وراء الظهر باشر اكتم به والا هانة برسوله فلا يتقون على الله ويتقون على رهطى وهو يحتمل الانتكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهرياً منسوب الى الظهر والكسر من تعبيرات النسب ﴿ ان ربي بما تعملون محيط ﴾ فلا يخفى عليه شئ منها فيجازى عليها ويا قوم اعلموا على مكانتكم انى مامل سوف تعلمون

يعنى لقتلاك بالحجارة والرجم بالحجارة أسوأ القتلات وشرها وقيل معناه لشتتناك وأغلظنا لك القول ﴿ وما أنت علينا بعزير ﴾ يعنى بكرم وقيل بتمتع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله انهم بنوا لشعيب عليه السلام انه لا حرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم يسموه الكلام الفليظ الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وولتهم ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة أجابهم بقوله ﴿ قال يا قوم ارهطى أعز عليكم من الله ﴾ يعنى أهيب عندكم من الله وأمنع حتى تركتم قتلى لمكان رهطى عندكم فالاولى ان تحفظوني في الله ولاجل الله لا رهطى لان الله أعز وأعظم ﴿ واتخذتموه وراءكم ظهريا ﴾ يعنى ونبتذتم أسرا لله وراء ظهوركم وتركتموه كالشئ الملقى الذى لا يفت اليه ﴿ ان ربي بما تعملون محيط ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى عالم باحوالكم جميعا لا يخفى عليه مناشئ فيجازيكم بها يوم القيامة ﴿ ويا قوم اعلموا على مكانتكم ﴾ يعنى على تؤدتكم وتمكنكم من أعمالكم وقيل المكانة الحالة والمعنى اعلموا حال كونكم موصوفين ببنية المكنة والقدرة من الشر ﴿ انى عامل ﴾ يعنى ما أقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الامر في قوله اعلموا فيه وعيد وتهديد عظيم ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿ سوف تعلمون ﴾ أينما الجاني على نفسه الخطي في فعله فان قلت أى فرق بين ادخال الفاء ونزعها في قوله سوف تعلمون قلت ادخال الفاء في قوله سوف تعلمون وصل ظاهر بحرف موضوع لا وصل ونزعها في قوله سوف تعلمون وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال قد دركاهم قالوا فما يكون اذا علمنا نحن على مكانتنا وعلمت أنت فقال سوف تعلمون يعنى عاقبة ذلك فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف

والكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه لان تماولهم به وهو بنى الله تهاون بالله وحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطاً عز عليهم من الله ألا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (واتخذتموه وراءكم ظهرياً) ونسيتوه وجعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تعبيرات النسب كقواهم في النسبة الى الامس امسى (ان ربي بما تعملون محيط) قد احاط باعمالكم علماً فلا يخفى عليه شئ منها (ويا قوم اعلموا على مكانتكم) هى بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو مصدر من مكن مكانة فهو مكين اذا تمكن من الشئ يعنى اعلموا قارين على جهتكم التى أنتم عليها من الشرك والشنآن لى أو اعلموا متمكنين من عداوتى

مطبقين لها (انى عامل) على حسب ما يؤتى الله من النصره والتأييد ويمكننى (سوف تعلمون) (للتفنن)

(وما أنت علينا بعزير) كريم (قال يا قوم ارهطى) قويمى (أعز عليكم من الله) من كتابه ودينه ويقال عقوبة رهطى اشد عايكم من عقوبة الله (واتخذتموه) نبذتموه (وراءكم ظهرياً) خلف ظهركم ماجئت به من الكتاب (ان ربي بما تعملون) بقوبة ما تعملون (محيط) عالم (ويا قوم اعلموا على مكانتكم) على دينكم في منازلكم بلاكى (انى عامل) بلاككم (سوف تعلمون)

من يأتيه عذاب يخزيه (ومن هو كاذب) من استهامية مطلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه أي يفضحه وأينا هو كاذب أو موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشق الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب في زعمكم ودعواكم وادخال الفاء في سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل ونزعها وصل تقديرى بالاستثناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فإذا يكون إذا علمنا نحن على مكانتنا وعلمت أنت فقال سوف تعلمون والاثنيان بالوجهين للتفنن في البلاغة وأبلغهما ﴿٣٥٧﴾ الاستثناف {سورة هود} (وارتقبوا) وانتظروا

من يأتيه عذاب يخزيه ﴿سبق مثله في سورة الانعام والفاء في سوف تعلمون ثمه للتصریح بان الاصرار والتكثیر فيهم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فاذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل﴾ ومن هو كاذب ﴿عطف على من يأتيه لانه قسم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لاهم لما وعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المذبذبة والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم﴾ (وارتقبوا) وانتظروا ما اقول لكم ﴿ان معكم رقيب﴾ متظرفيل بمعنى الرقيب كالصريم أو المراقب كالشيد أو المرتقب كالرفيع ﴿ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برجة منا أو اخذت الدين ظلما الصيحة﴾ صاحبهم جبريل صيحة فلهلكوا وانما ذكره بالوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بقاء السبيبة ﴿واخذت الذين ظلموا الصيحة﴾ قيل صاحب بهم جبريل عليه السلام فلهلكوا ﴿فاصبحوا في ديارهم جائعين﴾ متين واصل الجثوم الزوم في المكان ﴿كان لم يغنوا فيها﴾ كأن لم يقيموا فيها

للتفنن في البلاغة كاهو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستثناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه والمعنى سوف تعلمون ﴿من يأتيه عذاب يخزيه﴾ يعني بسبب عمله السيئ أو أينا الشق الذي يأتيه عذاب يخزيه ﴿ومن هو كاذب﴾ يعني فيما يادعيه ﴿وارتقبوا﴾ يعني وانتظروا والعاقبة وما يؤل اليه أمرى وأمركم ﴿ان معكم رقيب﴾ أي متظفر والرقيب بمعنى المراقب ﴿ولما جاء امرنا﴾ يعني بعذابهم واهلاكهم ﴿نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برجة منا﴾ يعني بفضل منابذ هدياتهم للايمان ووقفناهم للطاعة ﴿واخذت الذين ظلموا﴾ يعني ظلما أنفسهم بالشرك والبصس ﴿الصيحة﴾ وذلك ان جبريل عليه السلام صاحب بهم صيحة فخرجت أرواحهم وماتوا جميعا وقيل أنهم صيحة واحدة من السماء فاتوا جميعا ﴿فاصبحوا في ديارهم جائعين﴾ يعني متين وهو استعارة من قولهم جثم الطير اذا قعد ولطأ بالارض ﴿كان لم يغنوا فيها﴾ يعني كأن في ديارهم جائعين (الجاثم اللازم لمكانه لا يريم يعني ان جبريل صاحب بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بقة (كان لم يغنوا فيها) كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين

من يأتيه (الي من يأتيه عذاب يخزيه) يذله ويهلكه (ومن هو كاذب) على الله (وارتقبوا) انتظروا والمالكي (ان معكم رقيب) متظرف لهلاككم (ولما جاء امرنا) عذابنا (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برجة منا) بنعمة منا (واخذت الذين ظلموا) أشركوا يعني قوم شعيب (الصيحة) بالعذاب (فاصبحوا في ديارهم) فصاروا في مساكنهم (جائعين) متين رمادا (كان لم يغنوا فيها) كأن لم يكونوا في الارض

متردد بين (الأبد المدين) البعد معنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشدا لا ترى الى قوله (كما بعدت ثمود) وقرئ كما بعدت والمعنى في البتائين واحد وهو تقيس القرب الا انهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كافر قوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعدوا وعد (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) المراد به العصا لانها ابهرها (الى فرعون وملته فاتبوا) أى (الجزء الثاني عشر) الملائكة (أمر فرعون) ٣٥٨ وما أمر فرعون برشيد) هو تجهيل

لنبييه حيث تابعوه على أسره وهو ضلال مبين وذلك انه ادعى الألوهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان ومثله بمنزل عن الألوهية وفيه انهم تابوا الآيات والسلطان المبين وعلوا ان مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في أسره رشد قط والمراد بأمسه بصالح جيد العاقبة ويكون قوله (يقدم قومه يوم القيمة) أى يتقدمهم وهم على عقبه تفسيرا له وايضا حا أى كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرضى كما استعمل النبي في كل ما ينم ويقال قدمه بمعنى تقدمه (فاوردهم النار) ادخلهم وجيء بلفظ الماضي لان الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكانه فل

لنبييه حيث تابعوه على أسره وهو ضلال مبين وذلك انه ادعى الألوهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان ومثله بمنزل عن الألوهية وفيه انهم تابوا الآيات والسلطان المبين وعلوا ان مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في أسره رشد قط والمراد بأمسه بصالح جيد العاقبة ويكون قوله (يقدم قومه يوم القيمة) أى يتقدمهم وهم على عقبه تفسيرا له وايضا حا أى كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرضى كما استعمل النبي في كل ما ينم ويقال قدمه بمعنى تقدمه (فاوردهم النار) ادخلهم وجيء بلفظ الماضي لان الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكانه فل

لم يبقوا بديارهم مدة من الدهر مأخوذ من قولهم غنى بالمكان اذا أقام فيه مستغنياه عن غيره (الأعدا) أى هلاكا (لمدين كما بعدت ثمود) قال ابن عباس لم تعذب أمتان قط بمذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فاخذتهم الصيحة من فوقهم قوله عز وجل (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) بمعنى نحنجنا والبراهين التي اعطيناه الدالة على صدقه ونبوته (وسلطان مبين) أى ومجزة باهرة ظاهرة دالة على صدقه ايضا قال بعض المفسرين المحققين سميت الحجبة سلطانا لان صاحب الحجبة يقهر من لاجة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحجبة وسمى السلطان سلطانا لانه جهة الله في الارض (الى فرعون وملته) أى اتباعه وأشراف قومه (فاتبعوا أمر فرعون) أى ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بما جاءه به موسى (وما أمر فرعون برشيد) أى وما طرئ فرعون وما هو عليه سديد ولا حيد العاقبة ولا يدعو الى خير (يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار) أى كما تقدم قومه فادخلهم البحر في الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة

شعيب من رجة الله (كما بعدت ثمود) قوم صالح من رجة الله وكان عذاب قوم صالح وقوم شعيب (فيدخلهم) سواء كلاهما كان الصيحة بالمذاب اسماهم حرشيد قوم صالح اتاهم من تحت ارجلهم العذاب وقوم شعيب اتاهم من فوق رؤسهم العذاب (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) جهة بينة والآيات هي جهة بينة (الى فرعون وملته) رؤسائه (فاتبعوا أمر فرعون) وتركوا قول موسى (وما أمر فرعون) قول فرعون (برشيد) بصواب (يقدم قومه) عدم ويقود قومه (يوم القيمة فاوردهم النار)

يقدمهم فيوردهم النار لا محالة يعني كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ( وبش  
 الورد ) المورد ( المورد ) الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قال بش  
 الورد المورد الذي وردوه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش والنار ضده ( واتبعوا في هذه ) أي الدنيا ( لعنة ويوم  
 القيمة ) أي ياتون في الدنيا ويلعنون ﴿ ٣٥٩ ﴾ في الآخرة ( بش ) { سورة هود } الرغد المرفود ) رفدهم

أي بش العون المعان أو  
 بش العطاء المعطى ( ذلك )  
 مبتدأ ( من أنباء القرى )  
 خبر ( نقصه عليك ) خبر  
 بسد خبر أي ذلك النبأ  
 بعض أنباء القرى المهلكة  
 مقصوص عليك ( منها )  
 من القرى ( قائم وحصيد )  
 أي بعضها باق وبعضها  
 عاق الاثر كالزرع القائم  
 على ساقه والذي حصد  
 والجملة منأنفة لاعمل لها  
 من الاعراب ( وما ظلمهم )  
 باهلا كنا اياهم ( ولكن  
 ظلموا أنفسهم ) بارتكاب

فأدخلهم النار ( وبش الورد  
 المورد ) بش المدخل  
 فرعون وبش المدخل قومه  
 ويقال بش الداخل فرعون  
 وبش المدخل قومه ويقال  
 بش الداخل فرعون وقومه  
 وبش المدخل النار  
 ( واتبعوا في هذه لعنة )  
 اهلكوا في هذه الدنيا لفرق  
 ( ويوم القيمة ) لهم لعنة  
 أخرى وهي النار ( بش  
 الرغد المرفود ) يقول بش  
 الفرق ورفده النار ويقال

اتبعوا مورداً قال ﴿ وبش الورد المورد ﴾ أي بش المورد الذي وردوه فانه يراد  
 لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد الآية كالدليل على قوله وما اسرفعون  
 برشيد فان من هذه عاقبته لم يكن في امره رشد أو تفسيره على ان المراد بالرشد  
 ما يكون مأمون العاقبة جيدها ﴿ واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة ﴾ أي  
 يلعنون في الدنيا والآخرة ﴿ بش الرغد المرفود ﴾ بش العون المعان أو العطاء المعطى  
 واصل الرغد ما يضاف الى غيره ليعمد والمقصود بالذم محذوف أي رفدهم وهو اللعنة  
 في الدارين ﴿ ذلك ﴾ أي ذلك البأ ﴿ من أنباء القرى ﴾ المهلكة ﴿ نقصه عليك ﴾  
 مقصوص عليك ﴿ منها قائم ﴾ من تلك القرى باق كالزرع القائم ﴿ وحصيد ﴾ ومنها  
 عاق الاثر كالزرع المحصود والجملة متأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس يصح  
 اذلا واو ولا ضمير ﴿ وما ظلمناهم ﴾ باهلا كنا اياهم ﴿ ولكن ظلموا أنفسهم ﴾ بان

فدخلهم النار ويدخل هو أمامهم والمعنى كما كان قدوتهم في الضلال والكفر في الدنيا  
 فكذلك هو قدوتهم واما في النار ﴿ وبش الورد المورد ﴾ يعني وبش المدخل  
 المدخل فيدوقيل شبه الله تعالى فرعون في تقدمه على قومه الى النار عن يتقدم على الوارد  
 الى الماء وشبه اتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محجودا عند الواردين لانه يكسر  
 العطش قال في حق فرعون واتباعه فاوردهم النار وبش الورد المورد لان الاصل فيه  
 قصد الماء واستعمل في ورود النار على سبيل القفظة ﴿ واتبعوا في هذه ﴾ يعني في هذه  
 الدنيا ﴿ لعنة ﴾ يعني طردا وبدا عن الرحمة ﴿ ويوم القيمة ﴾ يعني واتبعوا لعنة أخرى  
 يوم القيامة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا ﴿ بش الرغد المرفود ﴾ يعني بش العون  
 المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للجنة في الآخرة وقيل معناه بش العطاء المعطى وذلك  
 انه ترادف عليهم لعتان لعنة في الدنيا واحدة في الآخرة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾  
 ﴿ ذلك من أنباء القرى ﴾ يعني من أخبار أهل القرى وهم الأمم السالفة والقرون الماضية  
 ﴿ نقصه عليك ﴾ يعني تخبرك به يا محمد لتخبر قومك أخبارهم لعلمهم يعتبرون بهم فيرجعوا  
 عن كفرهم أو ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب ﴿ منها ﴾ يعني من القرى التي أهلكنا  
 أهلها ﴿ قائم وحصيد ﴾ يعني منها عامر ومنها خراب وقيل منها قائم يعني الشيطان تغبر  
 سقوف ومنها ما قد سعى أمره بالكلية شبه الله تعالى بالزراع الذي يعضه قائم على ساقه  
 وبعضه قد حصد وذهب أمره والحصيد معنى المحصود من وما ظلمناهم ﴿ معنى بالعذاب  
 والهلاك ﴾ ولكن ظلموا أنفسهم ﴿ معنى بالكفر والمعاصي

بش العون وبش المعان ( ذلك ) الذي ذكرت ( من أنباء القرى ) في الدنيا من أخبار قرى الماضية ( نقصه عليك ) نزل  
 عليك جبريل بأخبارها ( منها قائم ) ينظر اليها قباداها ( وحصيد ) منها ما قد خرب وهلك أهلها ( وما ظلمهم ) باهلا كهم  
 ( ولكن ظلموا أنفسهم ) بالكفر والشرك وعبادة الاوثان

ما به أهلكوا ( فاغنت عنهم آلهتهم ) فاقدرت أن ترد عنهم بأس الله ( التي يدعون ) يبدون وهي حكاية بحال ماضية ( من دون ) من شيء ( لما جاء أمر ربك ) عذابه ولما منصوب بما أغنت ( وما زادهم ) غير تنيب ( تخسير يقال تب اذا خسرو تنبيه غيره ) أوة في الخسران يعني وما أخذتهم { الجزء الثاني عشر } عبادة غير الله ﴿ ٣٦٠ ﴾ شيأ بل اهلكتم ( وكذلك )

عن ضو هاله يارتكاب ما يوجب ﴿ فاغنت عنهم ﴾ فافتقتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم بل ضررتهم ﴿ آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك ﴾ حين جاءهم عذابه ونقمته ﴿ وما زادهم غير تنيب ﴾ هلاكاً وتخسير ﴿ وكذلك ﴾ ومثل ذلك الاخذ ﴿ اخذ ربك ﴾ وقرى اخذ ربك بالفعل فعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر ﴿ اذا اخذ القرى ﴾ اي اهلها وقرى اذ لان المعنى على المضى ﴿ وهي ظالمة ﴾ حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وقادتها الاشعار بانهم اخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه وغيره من وخامة العاقبة ﴿ ان اخذه اليم شديد ﴾ وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير ﴿ ان في ذلك ﴾ أي فيما نزل بالامم الهالكة أو فيما قصده الله من قصصهم ﴿ لآية ﴾ لعبرة ﴿ لمن خاف عذاب الآخرة ﴾ يعتبر به عظة لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الآخرة أو ينزجر به عن موجباته لعلمه بانه من اله مختار يذهب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لالذنوب المهلكين بها ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه ﴿ يوم مجموع له الناس ﴾ أي يجمع له الناس والغير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة

﴿ فاغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك ﴾ يعني بعذابهم أي لم تنفعهم أصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب ﴿ وما زادهم غير تنيب ﴾ يعني غير تخسير وقل غير تدمير ﴿ وكذلك أخذ ربك ﴾ يعني وهكذا أخذ ربك ﴿ اذا أخذ القرى ﴾ وهي ظالمة ﴿ الضمير في وهي ما تدعى القرى والمراد أهلها ﴾ ان أخذهم لم شديد ﴿ ( ق ) ﴾ عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد فالآية الكريمة والحديث دليل على ان من أقدم على ظلم فانه يجب أن يتدارك ذلك بالتوبة والانابة ورد الحقوق الى أهلها ان كان الظلم للغير فلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الآية حكمها مخصص بظلمى الامم الماضية بل هو عام في كل ظالم وبمضده الحدث والله اعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان في ذلك لآية ﴿ يعني ما ذكر من عذب الامم الخالية واهلاكهم لعبرة وموعظة ﴿ لمن خاف عذاب الآخرة ﴾ يعني ان اهلاك أولئك عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من كان يخشى الله ويخاف عذابه في الآخرة لانه اذا نظر ما أحل الله باولئك الكفار في الدنيا من أليم عذابه وعظيم عقابه وهو كالانموذج مما أعداهم في الآخرة اعتبر به فيكون زيادة في خوفه وخشيته من الله ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس ﴾ يعني يوم القيامة

الكاف الرفع أي ومثل ذلك الاخذ ( أخذ ربك اذا أخذ القرى ) أي أهلها ( وهي ظالمة ) حال من القرى ( ان أخذه أليم شديد ) مؤلم شديد صعب على المأخوذ وهذا تحذير لكل قرية ظالمة من كفار مكة وغيره فاعلى كل ظالم ان يبادر التوبة ولا يفترب بالامهال ( ان في ذلك ) فمما قص الله من قصص الامم الهالكة ( لآية ) لعبرة ( لمن خاف عذاب الآخرة ) أي اعتقد صحته ووجوده ( ذلك ) اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه ( يوم مجموع له الناس ) وهو مرفوع بمجموع كابر فعمله اذا قلت

( فاغنت عنهم آلهتهم التي يدعون ) يبدون ( من دون الله ) من عذاب الله من شيء ( لما جاء أمر ربك ) حين جاء عذاب ربك ( وما زادهم ) غير تنيب ( غير تنيب ) غير تخسير ( وكذلك اخذ ربك ) اخذ عذاب ربك ( القرى ) عذب أهل القرى ( وهي ظالمة ) شركه كافر

( ان أخذه ) عذابه ( أليم ) وجميع ( شديدان ) في ذلك ( فيما ذكرت لك ) ( لآية ) لعبرة ( لمن خاف عذاب ) ( تجميع ) ( الآخرة ) فلا يقتدى بهم ( ذلك ) يوم القيامة ( يوم مجموع له الناس ) يجمع فيه

الى الناس والهم لا يتفكرون منه مجمعون للحساب والثواب والعقاب ( وذلك يوم مشهود ) أى مشهود فيه فالتسع في الطرف  
باجرائه مجرى المقول به أى شهد ﴿ ٣٦١ ﴾ في الخلائق الموقف { سورة هود } لا يثبت عنه أحد ( وما تأخره )

أى اليوم المذكور ( الا  
لأجل معدود ) الاجل  
يطلق على مدة التأجيل كلها  
وعلى منتهاها والعدا  
هو المدة لا غايةها ومنتهاها  
فمضى قوله وما تأخره الا لتمام  
مدة معدودة بحذف المضاف  
أوما تأخر هذا اليوم الا  
لتنتهى المدة التى ضرتها  
لبقاء الدنيا ( يوم بات )  
وبالياء مكى واقفه أبو عمرو  
ونافع وعلى فى الوصل  
واثبت الياء هو الاصل  
اذلاعة توجب حذفها  
وحذف الياء والاجزاء  
عنها بالكسرة كثير فى لغة  
هذيل وتظهر ما كنا نبغ  
وقال مات ضمير يرجع  
الى قوله يوم مجموع له الناس  
لا اليوم المضاف الى يات  
ويوم منصوب باذكر أو  
بقوله ( لا تكلم ) أى لا تكلم  
( نفس الاباذنه ) أى لا شفيع  
أحد الا باذن الله من الذى  
يشفع عنده الاباذنه ( فثم )  
الصيغة لاهل الموقف لئلا  
لا تكلم تنس عليه وقدم  
ذكر الناس فى قوله مجموع  
له الناس ( شقى ) معذب  
( وسعيد )

﴿ وذلك يوم مشهود ﴾ أى مشهود فيه اهل السموات والارضين والتسع فيه باجراء الطرف  
مجرى المقول به كقوله

فى عجل من نواصى الناس مشهود

اى كن شاهداً ولو جعل اليوم مشهوداً فى نفسه لبطل القرض من تعظيم اليوم وتمييزه  
فان اسائر لا يام كذلك ﴿ وما تأخره ﴾ أى اليوم ﴿ الا لأجل معدود ﴾ الا لتمام مدة  
معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود  
﴿ يوم يأتى ﴾ أى الجزاء أو اليوم لقوله ان تأتيتهم الساعة على ان يوم بمعنى حين أو الله  
عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيتهم الله ونحوه \* وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة يأت  
محذوف الياء اجزاء عما بالكسرة ﴿ لا تكلم نفس ﴾ لا تكلم بما ينفع وينهى من جواب  
أو شفاعاة وهو الاسبب للطرف ويحتمل نصبه اكتفاء بضممار اذكر أو بالانتهاء المحذوف  
﴿ الاباذنه ﴾ الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فى موقف  
وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيه تذرون فى موقف آخر أو المأذون فيه هى  
الجوابات الحق والمنوع عنه هى الاعذار الباطلة ﴿ فثم شقى ﴾ وجبت له النار  
بمقتضى الوعيد ﴿ وسعيد ﴾ وجبت له الجنة بموجب الوعد والتحذير لاهل الموقف

تجمع فيه الخلائق من الاولين والآخرين للحساب والوقوف بين يدى رب العالمين  
﴿ وذلك يوم مشهود ﴾ يعنى يشهده اهل السماء وأهل الارض ﴿ وما تأخره الا لأجل  
معدود ﴾ يعنى وما تأخر ذلك اليوم وهو يوم القيامة الا الى وقت معلوم معدود  
وذلك الوقت لا يعلمه أحد الا الله تعالى ﴿ يوم مات ﴾ يعنى ذلك اليوم ﴿ لا تكلم  
نفس الاباذنه ﴾ قيل ان جمع الخلائق يسكتون فى ذلك اليوم فلا يتكلم أحد فيه  
الا باذن الله تعالى \* قال ملت كيف وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله سبحانه وتعالى  
يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها وقوله اخبارا عن محاجة الكفار والله ربنا ما كما  
مشركين والاخبار أيضا تدل على الكلام فى ذلك اليوم \* قلت يوم القيامة يوم طويل  
وله احوال مخلفة وفيه احوال عظيمة فى بمن احوال لا يصدرون على الكلام  
لشدة الاحوال وفى بعض الاحوال يؤذن لهم فى الكلام ولا يكلمون وفى بعضها تحذف  
عنهم تلك الاحوال فيحتاجون ويجادلون وينكرون وتبيل المراد من قوله لا تكلم  
نفس الاباذنه الشفاعاة يعنى لا تشفع تنس نفس شيئاً الا أن اذن الله لها فى الشفاعاة  
﴿ فثم ﴾ يعنى فن اهل الموقف ﴿ شقى وسعيد ﴾ الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هى  
معاونة الامور الالهية للانسان ومساعدته على فعل الخير والصالح وتسره لهام  
السعادة على ضربين سعادة دنيوية وسعادة اخروية وهى السعادة القصوى لان  
نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين أشد شقاوة دنيوية وشقاوة اخروية

الاولون والآخرون ( وذلك  
يوم مشهود ) يشهد اهل السماء

وأهل الارض ( وما تأخره ) أى ذلك اليوم ( لا تكلم  
نفس) لا تشفع نفس صالحة لأحد ( الاباذنه ) بأمره ( فثم ) من الناس يومئذ ( شقى ) لا تكتب عليه الشقاوة ( وسعيد ) قد كُتِبَ له السعادة

أى ومنهم سعادى منعم (فأما الذين { الجزء الثانى عشر } شقوا فى النار ﴿ ٣٦٢ ﴾ لهم فيها زفير) هو اول نحيق الحما

(وشهيق) هو آخر ما وهما  
اخراج النفس ورده والجلجلة  
فى موضع الحال والعامل  
فيها الاستقرار الذى فى النار  
(خالدين فيها) حال مقدرة (ما  
دامت السموات والارض)  
فى موضع النصب أى مدة  
دوام السموات والارض  
والمراد سموات الآخرة  
وأرضها وهى دائمة مخلوقة  
للأبد والدليل على ان لها  
سموات وأرضا قوله يوم  
تبدل الارض غير الارض  
والسموات وقيل مادام فوق  
وتحت ولانه لا بد لاهل  
الآخرة مما يقلهم ويظلمهم  
اما اسماء أو عرش وكل ما  
أظلك فهو سماء أو هو عبارة  
عن التأيد ونفى الانقطاع  
كقول العرب ملاح كوكب  
وغير ذلك من كلمات

(فأما الذين شقوا) كتب  
عظيم الشقاوة (فى النار لهم  
فبها زفير) صوت كزفير  
الحمار فى صدره وهو أول  
ما ينهق (وشهيق) كشهيق  
الحمار فى حلقه وهو آخر ما  
يفرغ من نحيقه (خالدين  
فيها) دائمين فى النار  
(مادامت السموات  
والارض) كدوام السموات  
والارض منذ

وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس أول الناس ﴿ فأما الذين شقوا فى  
النار لهم فيها زفير وشهيق ﴾ الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما فى اول  
النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم ونهم وتشبيه حالهم بمن استولت  
الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه أو تشبيه صراخهم بأصوات الجحيم وقرئ شقوا  
بالضم ﴿ خالدين فيها مادامت السموات والارض ﴾ ليس لارتباط دوامهم فى النار  
بدوامهما فان النصوص دالة على تأييد دوامهم وانقطاع دوامهما بل للتعبير عن التأيد  
والمبالغة بما كانت العرب يبرون به عنه على سيل التثليل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا  
من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولان دوامهما دوامه الا من قيل المفهوم  
لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد

وهى الشقاوة القصوى لان نهايتها النار فالشقي من سبقت له الشقاوة فى الازل والسعيد  
من سبقت له السعادة فى الازل (ق) عن على بن أبى طالب قال كنا فى جنازة فى بقيع  
الفرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمعد وقعدنا حوله ومعه مخضرة فنكس  
وجعل يتكت بمخضرته ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده  
من النار فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال اعلموا فكل ميسر لما خلق  
له أما من كان من أهل السعادة فسيصير لمثل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة  
فسيصير لمثل أهل الشقاوة ثم قرأ فاما من أعطى واتق وصدق بالحسنى فسنيسره  
لليسرى الآية بقيع الفرقد هو مقبرة أهل المدينة الشريفة ومدفونهم والمخضرة  
كالسوط والمسا ونحو ذلك مما يسكنه بيده الانسان والتكت بالنون والتاء المثناة من  
فوق ضرب الثنى بتلك المخضرة أو باليد ونحو ذلك حتى يؤثر فيه واستدل بعض  
العلماء بهذه الآية وهذا الحديث على ان أهل الموقف قيمان شقي وسعيد لأثالث لهما  
وظاهر الآية والحديث يدل على ذلك لكن بقى قسم آخر مسكوت عنه وهو من استوت  
حسناته وسيئاته وهم أصحاب الاعراف فى قول والاطفال والجنان الذين لا حسنات  
لهم ولا سيئات فهؤلاء مسكوت عنهم فهم تحت مشيئة الله عز وجل يوم القيامة  
يحكم فيهم بما يشاء وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل على نفي القسم الثالث  
﴿ فأما الذين شقوا فى النار لهم فيها ﴾ أى فى النار من العذاب والهوان ﴿ زفير  
وشهيق ﴾ أصل الزفير ترديد النفس فى الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق  
رد النفس الى الصدر أو الزفير مده واخراجه من الصدر وقال ابن عباس الزفير  
الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال الضمك ومقاتل الزفير أول  
صوت الحمار والشهيق آخره اذا رده الى صدره وقال أبو العالية الزفير فى الحلق  
والشهيق فى الجوف ﴿ خالدين فيها ﴾ يعنى لا يمتن فى النار ﴿ مادامت السموات  
والارض ﴾ قال الضمك يعنى مادامت سموات الجنة والنار وأرضهما ولا بد لاهل  
الجنة وأهل النار من سماء تظلمهم وأرض تقاهم فكل ما علاك فاظلك فهو سماء وكل

هو استثناء من الخلود في عذاب النار وذلك لان أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يذبون بالزهرير وأنواع من العذاب سوى عذاب النار أو ماشاء بمعنى من شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجنة من أهلك من أهلك المستنون من أهل الجنة أيضا لمفارقة أياها بكونهم في النار أياها فهو لا علم بشقاوة من يدخل النار على التأييد ولا سعدوا سعادة من لا تمسه النار وهو مروى عن ابن عباس والضحاك وقادة رضي الله عنهم

خلقت الى ان تقضى (الاما شاه ربك) وقد شاء ربك أن يخلدوا في النار ويقال يخلد من كتب عليه الشقاوة مادامت السموات والارض وبنو آدم الا ماشاء ربك أن يحوله من الشقاوة الى السعادة بقوله يحول الله ما يشاء وينبت ويقال يكونون دائمين في النار مادامت السموات والارض سماء النار وأرض النار الاماشاء ربك أن يخرجهم من أهل التوحيد من كانت شقاوته بذنب دون الكفر فيدخله الجنة بإيمانه خالعا

سموات الآخرة وأرضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان أهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فاعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يحدى له التشديد (الاماشاء ربك) استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهو المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة أيام عذابهم فان التأييد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بإيمانهم ولا يقال فعل هذا لم يكن قوله ففهم شقى وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان تكون صفة كل قسم متقية عن قسمه لان ذلك الشرط من حيث التقسيم لا انفصال حقيقي أو مانع من الجمع وههنا المراد ان أهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الأمرين في شخص باعتبارين أو لان أهل النار ينقلون منها الى الزهرير وغيره من العذاب أحيانا وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والقوز برضوان الله ولقائه أو من أصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضى ان يكونوا في النار حين يأتي اليوم أو مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقبل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الاهمنا بمعنى سوى كقولك على ألف الا الاقان القديمان والمعنى سوى ماشاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والارض

ما استقر عليه قدمك فهو أرض وقال أهل المعاني هذه عبارة عن التأييد وذلك على عادة العرب فانهم يقولون لا آتيك مادامت السموات والارض وما اختلف الليل والنهار يريدون بذلك التأييد وقوله سبحانه وتعالى (الاماشاء ربك) اختلف العلماء في معنى هذين الاثنائين فقال ابن عباس والضحاك الاستثناء الاول المذكور في أهل الشقاء يرجع الى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس لان الذين أخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناءهم الله تعالى من الاشقياء ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يخرج قوما من النار بالشقاوة فيدخلهم الجنة وفي رواية ان الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة أخرجه البخاري ومسلم عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار قوم بعد ما مسهم منها سقم فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجنة الجهنميين وفي رواية ليصين أقواما سقم من النار بذنوب أصابوها عقوبة لهم ثم يدخلهم الله الجنة بفضلهم ويرجته فيقال لهم الجنة الجهنميون (خ) عن عمران بن حصين رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشقاوة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة اسمون الجنة الجهنميين وأما الاستثناء الثاني المذكور في أهل السعادة فيرجع الى مدة لبث هؤلاء في النار قبل



(ان ربك فعال لما يريد) بالشي والسعيد ( واما الذين سعدوا ) سعدوا جزوة وعلى وحقق سعد لازم وسعد بسعد مشه  
(ففي الجنة خالدون فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك) هو استثناء من الخلود في نعيم الجنة وذلك أن له  
سوى الجنة ما هو أكبر { الجزء الثاني عشر } منها هو رؤية الله ﴿ ٣٦٤ ﴾ تعالى ورضوانه أو منتهى الامن

شاء أن يعذبه بقدر ذنبه  
قبل أن يدخله الجنة وعن  
أبي هريرة رضي الله عنه  
عن النبي صلى الله عليه وسلم  
انه قال الاستثناء في الآيتين  
لاهل الجنة ومعناه ما ذكرنا  
أنه لا يكون للمسلم العاصي  
الذي دخل النار خلود  
في النار حيث يخرج منها  
ولا يكون له أيضا خلود  
في الجنة لانه لم يدخل  
الجنة ابتداء والمعتزلة لما  
لم يروا خروج الناصب  
من النار ردوا الاحاديث  
المروية في هذا الباب وكفى  
بها غامضا (عطاء غير مجذوذ)  
غير مقطوع ولكنه تمتد الى  
غير نهاية كقوله لهم أجر

﴿ ان ربك فعال لما يريد ﴾ من غير اعتراض ﴿ واما الذين سعدوا ﴾ في الجنة خالدون  
فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴿ غير مقطوع وهو تصريح  
دخولهم الجنة فملى هذا القول يكون معنى الآية فاما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير  
وشهيق خالدون فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك أن يخرجهم منها فيدخلهم  
الجنة ﴿ ان ربك فعال لما يريد ﴾ واما الذين سعدوا في الجنة خالدون فيها مادامت السموات  
والارض الا ما شاء ربك ﴿ أن يدخله النار ولا ثم يخرجهم منها فيدخله الجنة فحصل  
هذا القول ان الاستثنائي يرجع كل واحد منهما الى قوم مخصوصين هم في الحقيقة  
سعداء أصابوا ذنوبا استوجبوا بها عقوبة بسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة لان  
اجماع الامة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها أبدا وقيل ان الاستثنائي يرجعان الى الفريقين  
السعداء والاشقياء وهو مدة تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ وهو ما بين  
الموت الى البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار  
فيكون المعنى خالدون في الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل معناه الا ما شاء ربك سوى  
ما شاء ربك فيكون المعنى خالدون فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك من  
الزيادة على ذلك وهو كقولك لفلان على ألف الا ألفين أى سوى ألفين وقيل الا  
يعنى الواو يعنى وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار وخلود هؤلاء في الجنة فهو  
كقوله تعبد وتعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا أى والذين ظلموا  
وقيل معناه ولو شاء ربك لأخرجهم منها ولكنه لم يشأ لانه حكم لهم بالخلود فيها  
قال القرطبي هذا استثناء استثناء الله ولا يفعله كقوله والله لا ضربتك الا أن أرى غير ذلك  
وعزيمه أن يضربه فهذه الأقوال في معنى الاستثناء ترجع الى الفريقين والصحيح هو  
القول الاول ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ان ربك فعال لما يريد يعنى من اخراج  
من أراد من النار وادخالهم الجنة فهذا على الاجمال في حال الفريقين فاما على التفصيل  
فقوله الا ما شاء ربك في جانب الاشقياء يرجع الى الزفير والشهيق وتقريره ان يفيد  
حصول الزفير والشهيق مع خلود لانه اذا دخل الاستثناء عليه وجب أن يحصل  
فيه هذا المجموع والاستثناء في جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة يعنى الا ما شاء  
ربك من الزيادة لهم من التعميم بعد الخلود وقيل ان الاستثناء الاول في جانب  
الاشقياء معناه الا ما شاء ربك من أن يخرجهم من حر النار الى البرد والمهزبر وفي جانب  
السعداء معناه الا ما شاء ربك أن يرفع بعضهم الى منازل أعلى منازل الجنان ودرجاتها والقول  
الاول هو المختار ويدل على خلود أهل الجنة في الجنة ان الامة مجمعة على ان من دخل الجنة لا يخرج  
منها بل هو خالد فيها ﴿ وقوله سبحانه وتعالى في جانب السعداء ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾

(ان ربك فعال لما يريد) كما  
يريد ( واما الذين سعدوا )  
كتب لهم السعادة (ففي الجنة  
خالدون فيها) دائماً في الجنة  
( مادامت السموات  
والارض ) كدوام السموات  
والارض منذ خلقنا  
( الا ما شاء ربك ) وقد شاء  
ربك أن يحوله من السعادة  
الى الشقاوة لقوله يحو الله  
ما يشاء من السعادة الى  
الشقاوة ويبت ويترك  
ويقال يكونون في الجنة

دائمين مادامت السموات والارض سماء الجنة وأرض الجنة الا ما شاء ربك أن يعذبه في النار قبل أن يدخله ( يعنى )  
الجنة ثم يخرجهم من النار ويدخله الجنة فيكون بذلك دائماً في الجنة ( عطاء ) ثواباً لهم ( غير مجذوذ ) غير منقوص وغير مقطوع

خير ممنون وهو نصب على المصدر أى أعطوا عطاء قيل كفرت الجهنمية ب أربع آيات عطاء غير مجذوزاً كلها دأثم وما عند الله لا مقطوعة ولا ممنوعة لما قص الله قصص عبدة الاوثان وذكر ما أحل بهم من نعمة وما أعد لهم من عذابه قال ( فلذلك في سرية بما يبد هؤلاء ) أى فلذلك بعد ﴿ ٣٦٥ ﴾ ما أنزل عليك { سورة هود } من هذه القصص في سوء عاقبة

عبادتهم لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعدا لهم ثم قال ( ما يبدون الا كما يبد آباؤهم من قبل ) يريد أن حالهم في الشرك مثل حال آباؤهم وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسيئز لن بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهى عن المربة وما في مما وكما مصدرية أو موصولة أى من عبادتهم وعبادتهم أو مما يبدون من الاوثان ومثل ما يبدون منها ( وانا لموفوهم نصيبهم ) حظهم من العذاب كما وفيها آياه هم انصاء هم ( غير منقوص ) حال من نصيبهم أى كاملاً ( ولقد آتينا موسى الكتاب ) التوراة ( فاختلف فيه ) آمن به قوم وكفروه قوم كما اختلف في القرآن وهو تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ( ولولا كلمة سبقت من ربك ) انه

( فلذلك في سرية ) في شك ( بما يبد هؤلاء ) أهل مكة ( ما يبدون الا كما يبد آباؤهم من قبل ) من قبلهم وهلكوا على ذلك ( وانا لموفوهم نصيبهم ) عقوبتهم

بان الثوب لا ينقطع ونفيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولا جله فرق بين الثواب والعقاب في التأيد . وقرأ جزء والكسائي وحقق سعدوا على البناء للمفول من سعد الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد أى أعطوا عطاء أو الحال من الجنة ﴿ فلذلك في سرية ﴾ شك بعدما نزل عليك من مآل امر الناس ﴿ بما يبد هؤلاء ﴾ من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم أو من حال ما يبدونه في انه يضر ولا ينفع ﴿ ما يبدون الا كما يبد آباؤهم من قبل ﴾ استئناف معناه تعليل النهى عن المربة أى هم وآباؤهم سواء في الشرك أى ما يبدون عبادة الا كعبادة آباؤهم أو ما يبدون شيئاً الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق آباؤهم من ذلك فسيحقتهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضى التماثل في المسببات ومعنى كما يبد كما كان يبد فحذف لدلالة قبل عليه ﴿ وانا لموفوهم نصيبهم ﴾ حظهم من العذاب كما يآئهم أو من الرزق فيكون عذرا لتأخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجب ﴿ غير منقوص ﴾ حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيه حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازاً ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ﴾ فآمن به قوم وكفروه قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ يعنى كلمة

يعنى غير مقطوع قال ابن زيد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بالذى يشاء لاهل الجنة فقال تعالى عطاء غير مجذوز ولم يخبرنا بالذى يشاء لاهل النار وروى عن ابن مسعود أنه قال يا أيها الذين آمنين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً وعن أبي هريرة نحوه وهذا ان صح عن ابن مسعود وأبي هريرة فيحملون عند أهل السنة على اخلاء ما كن المؤمنين الذين استحقوا النار من النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع الموحدين وخلود الكفار فيها ويكون محمولا على اخراج الكفار من حر النار الى برد الزمهرير ليزدادوا عذاباً فوق عذابهم والله اعلم بجه قوله سبحانه وتعالى ﴿ فلذلك في سرية بما يبد هؤلاء ﴾ يعنى فلذلك في شك يا محمد في هذه الاصنام التى يبدوها هؤلاء الكفار فانه لا تضر ولا تنفع ﴿ ما يبدون الا كما يبد آباؤهم من قبل ﴾ يعنى انه ليس لهم في عبادة هذه الاصنام مستند الا أنهم رأوا آباؤهم يبدونها فبدوها مثلهم ﴿ وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ﴾ يعنى وانا مع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق الذى قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل أن يكون المراد من توفية نصيبهم يعنى من العذاب الذى قدر لهم في الآخرة كاملاً موفراً غير ناقص ﴿ قوله عز وجل ﴾ وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص فيه ﴾ يعنى في الكتاب فنهم مصدق به ومكذب به كما فعل قومك يا محمد بالقرآن ففيه تساية للنى صلى الله عليه وسلم ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾

( غير منقوص ) ويقال نزلت هذه الآية وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص في القدرية ( ولقد آتينا ) اعطينا ( موسى الكتاب ) يعنى التوراة ( فاختلف فيه ) فى كتاب موسى آمن به بعض وكفروه بعض ( ولولا كلمة سبقت ) وجبت ( من ربك ) بتأخير العذاب عن

لا يماجلهم بالذاب (لقد قضى بينهم) بين قوم موسى أو قومك بالذاب المستأصل (وانهم لفي شك منه) من القرآن أو من العذاب (سريب) من أرباب الرجل إذا كان ذارية على الاسناد المجازي (وان كلا) التوین عوض عن المضاف اليه يعني وان كلهم أي وان جميع المختلفين فيه وان مشددة (لما) مخففة بصرى وعلى ما سنبه جى \* بمالفصل بها بين لام ان ولام (ليوفينهم) وهو جواب قسم محذوف واللام في الما موطئة للقسم والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم (ربك أعمالهم) أي جزاء أعمالهم من ايمان وجحود وحسن وقبح بمكس الاولى أبو بكر مخففتان مكى ونافع على افعال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل ولان ان تشبه { الجزء الثاني عشر } الفعل والفعل ٣٦٦ يصل قبل الحذف وبعده نحو لم يكن

الاظهار الى يوم القيامة ﴿ لقضى بينهم ﴾ بانزال ما يستحقه المبطل لتمييزه عن الحق ﴿ وانهم ﴾ وان كفار قومك ﴿ لفي شك منه ﴾ من القرآن ﴿ سريب ﴾ موقع للريبة ﴿ وان كلا ﴾ وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتوین بدل من المضاف اليه \* وقرأ ابن كثير ونافع وابوبكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل ﴿ لما ليوفينهم ربك أعمالهم ﴾ اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد أو بالمعكس وما سنبه للفصل بينهما \* وقرأ ابن عاصم وعاصم وحزرة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما قبلت التوین ميلا لادغام فاجتمعت ثلاث ميات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم وقرئ ﴿ لما بالتوین اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ ﴿ به ﴾ انه بما يعملون خبير ﴿ فلا يفتوت عنده شيء ﴾ منه وان خفي ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين

يعنى بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لكان الذي يستحقونه من تعجيل العقوبة في الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله تبارك وتعالى ﴿ لقضى بينهم ﴾ يعنى لمذبوا في الحال وفرغ من عذابهم واحلاكهم ﴿ وانهم لفي شك منه ﴾ يعنى من القرآن ونزوله عليك يا محمد ﴿ سريب ﴾ يعنى انهم قد وقصوا في الربيب والتهمة ﴿ وان كلا ﴾ يعنى من الفريقين المختلفين المصدق والمكذب ﴿ لما ليوفينهم ربك أعمالهم ﴾ اللام لام القسم تقديره والله لتوفينهم جزاء أعمالهم في القيامة فيجازى المصدق على تصديقه الجنة ويجازى المكذب على تكذيبه النار ﴿ انه بما يعملون خبير ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده وان دقت فقيه وعد للمحسنين المصدقين وفيه وعيد وتهديد للمكذبين الكافرين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ فاستقم كما أمرت ﴿ الخطاب فيه لاني صلى الله عليه وسلم يعنى فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كما أمرك ربك والامر في فاستقم للتأكيد لان

ولم يك فكذا المشبه به مشددة تان غيرهم وهو مشكل وأحسن ما قيل فيه انه من لممت الشيء جعته لما ثم وقف فصار لما ثم أجرى الوصل مجرى الوقف وجاز ان يكون مثل الدعوى والثوى وما فيه ألف التانيث من المصادر وقرأ الزهري وان كلا بالتوین كقوله اكلا لما وهو يؤيد ما ذكرنا والمعنى وان كلا ملومين أي مجموعين كأنه قيل وان كلا جميعا كقوله فوجد الملائكة كلهم أجمعون وقال صاحب الإيجاز لما فيه معنى الظرف وقد دخل في الكلام اختصارا كأنه قيل وان كلا بما بشوا ليوفينهم ربك أعمالهم وقال الكسائي ليس لي بتشديد لما علم (انه بما يعملون خبير فاستقم كما أمرت)

( النى )

استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها غير عادل

أمتك (لقد قضى بينهم) لفرغ من هلاكهم ولجاء هم العذاب (وانهم لفي شك منه سريب) ظاهر الشك (وان كلا) كلا الفريقين (لما ليوفينهم) يقول يوفى بهم (ربك أعمالهم) ثواب أعمالهم بالحسن حسنا وبالسبي سيئا (انه بما يعملون) من الخير والشر والثواب والعقاب (خير فاستقم) على طاعة الله (كما أمرت) في القرآن

عنها (ومن تاب معك) معطوف على المستتر في استقم وجاز للفصل يعني فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع الى الله مخلصا (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عن حدود الله ﴿٣٦٧﴾ (انديما { سورة هود } تملون بصير) فهو مجازيكم

فاتقوه قبل ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كانت أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيعتي هود (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) ولا تعلقوا قال الشيخ رحمه الله هذا خطاب لا يتبع الكفرة أي لا تركنوا الى القادة والكبراء في ظلمهم وفيما يدعوكم اليه (فتمسك النار) وقيل الركون اليهم الرضا بكفرهم وقال قتادة ولا تطغوا بالمشركين وعن الموفق انه صلى خلف الامام فلما قرأ هذه الآية غشي عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فبين ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لائين ولا تطغوا ولا تركنوا وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء أبغض الى الله من عالم يزور حاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا الظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه واتد مثل سفيان عن ظالم أشرف (ومن تاب معك) من الكفر

والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما نزل والقيام بوظائف العبادات من غير تقريط وافراط مفوت لحقوق ونحوها وهي في غاية السر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيعتي سورة هود ﴿ومن تاب معك﴾ أي ومن تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بتفصيل لقيام الفاصل مقامه ﴿ولا تطغوا﴾ ولا تخرجوا عما حد لكم ﴿انديما تملون بصير﴾ فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التسليل للأسر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بخو قياس واستحسان ﴿ولا تركنوا الى الذين ظلموا﴾ ولا تعلقوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتربى بزيهم وتعتيم ذكرهم ﴿فتمسك النار﴾ بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فاطنك بالركون الى الظالمين أي الموسومين بالظلم ثم الميل اليهم كل الميل ثم بالظلم

النبي صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقائم قم حتى آتيك أي دم على ما أنت عليه من القيام حتى آتيك ﴿ومن تاب معك﴾ يعني ومن آمن معك من أمرك فليستقيوا أيضا على دين الله والعمل بطاعته قال عمر بن الخطاب الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ منه روغان الثعلب (م) عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قول لا أسأل عنه احدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم ﴿ولا تطغوا﴾ يعني ولا تجاوزوا أمرى الى غير ولا تصوني وقيل معناه ولا تغفلوا في الدين فتجاوزوا ما أمرتكم عنه ﴿انديما تملون بصير﴾ يعني انه سبحانه وتعالى ظلم باعمالكم لا يخفى عليه شيء منها قال ابن عباس ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أشد عليه من هذه الآية ولذلك قال شيعتي هود وأخواتها (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر وان يشاء الدين أحد الاغلبه فسددوا وقاربوا وأبسروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة وقوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر وأراد به التسهيل في الدين وترك التشدد فان هذا الدين مع يسره وسهولته قوى فقلن يغالب وان يقاوى فسددوا أي اقصدوا السداد من الامور وهو الصواب وقاربوا أي اطلبوا المقاربة وهي القصد الذي لا غلوف فيه ولا تفسير والغدوة الرواح بكرة والروحة الرجوع عشيا والمراد منه اعملوا أطراف النهار وقتا وقتا والدلجة سير الليل والمراد منه اعملوا بالنهار واعملوا بالليل أيضا وقوله شيء من الدلجة اشارة الى تقيله ﴿وقوله تعالى﴾ ولا تركنوا الى الذين ظلموا ﴿قال ابن عباس﴾ ولا تعلقوا والركون هو المحبة والميل بالقلب وقال أبو الصالية لا ترضوا باعمالهم وقال السدي لا تداخروا الشائنة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل معناه ولا تمسكوا الى الذين ظلموا ﴿فتمسك النار﴾

الشرك أينما ظلمتكم معك (ولا تملوا) لا تكفروا ولا تعصوا بما أن من الحلال والحرام (انديما تملون) من ما أبى الشر (بصير ولا تركنوا) لا تعلقوا (الى الذين ظلموا) أنفسهم بالكفر والشرك والمعاصي (فتمسك) فتصيبكم (النار) كاتصيهم

نفسه والانهماك فيمولل الآية ابلغ ما يتصور في التهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالليل الى احد طرفي افراط وتفریط فانه ظلم على نفسه وغيره بل ظلم في نفسه وقري تركنوا فتمسك النار بكسر التاء على لغة تميم وتركوا على البناء للمفول من اركنه ومالككم من دون الله من اولياءكم من انصار ينعون العذاب عنكم والواو للصلال ثم لانصرونكم أي ثم لانصر كم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقى عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم اتج ذلك انهم لانصرون اصلا وواقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه

فتمسيكم النار بجرها ومالككم من دون الله من اولياءكم يعني أعوانا وأنصارا ينعونكم من عذابه ثم لانصرونكم يعني ثم لا تجدونكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله فدا في القيامة ففيه وعيد لمن ركن الى الظلمة أو رضى ما عملهم أو أحجم فكيف حال الظلمة في انفسهم نحو ذل الله من الظلم قوله عز وجل وواقم الصلوة طرفي النهار سبب نزول هذه الآية ما رواه الترمذي عن أبي اليسر قال أتتني امرأة تبتاع تمر افقت ان في البيت تمر اهو أطيب منه فدخلت معي البيت فاهويت اليها فقبلتها فايتت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فلم أصبر فايتت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فلم أصبر فايتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال أخلفت غازيا في سبيل الله في أهله يمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن أسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من أهل النار قال وأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وطويلا حتى أوحى الله اليه وواقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل الى قوله ذلك ذكرى للذاكرين قال أبو اليسر فانتبه فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحابه يا رسول الله ألهذا خاصة أم للناس عامة قال بل للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وأبو اليسر هو كعب بن عمرو (ق) عن عبد الله ابن مسعود ان رجلا أصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت وواقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية فقال الرجل يا رسول الله ألى هذه الآية قال لمن عمل بها من أمتي وفي رواية فقال رجل من القوم يابى الله هذه خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أرايت رجلا لني امرأة وليس بينهما معرفة فليس يأبى الرجل الى امرأته شيئا الا قد أتى هو اليها الا انه لم يجامعها قال فانزل الله عز وجل وواقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فاسره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ وبصلي فان معاذ نزلت يا رسول الله أعمى له خاصة أم للمؤمنين عامة قتال بل للمؤمنين عامة أخرجه الترمذي وقال هذا حديث

على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء قبل لا تقبل له يموت قال دعه يموت (وما لكم من دون الله من أولياء) حال من قوله فتمسك النار أي فتمسك النار وأنتم على هذه الحالة ومعناه ومالككم من دون الله من أولياء يقدر على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لانصرون) ثم لانصركم هو لانه حكم بتعذيبكم ومعنى ثم الاستبعاد أي العصاة من الله مستبعدة (واقم الصلوة طرفي النهار) غدوة وعشية

( ومالككم من دون الله ) من عذاب الله (من اولياء) من اقرباء تحفظكم من عذاب الله (ثم لانصرون) لا تعتصون بمباراد بكم (واقم الصلوة) اتم الصلاة (طرفي النهار) صلاة الغداة والظهر ويقال صلاة الغداة والظهر والمصر

مضاف اليه ﴿ وزلفا من الليل ﴾ وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قرب به وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح لانها اقرب الصلاة من اول النهار وصلاة العشيية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء «وقرى» زلفا بضمين وضمة وسكون كبسر ويسر في بسرة وزلني بمعنى زلفة كقربى وقربة ﴿ ان الحسنات يذهبن السيئات ﴾ يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجنب الكبار وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله تعالى

ليس بمتمصل لان عبدالرحمن بن أبي ليل لم يسمع من معاذ ما التفسير فقله سبحانه وتعالى وأقم الصلوة طرفي النهار يعني صلاة الغداة والعشي وقال مجاهد طرفي النهار يعني صلاة الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل يعني صلاة المغرب والعشاء وقال مقاتل صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعني صلاة العشاء وقال الحسن طرفي النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقال ابن عباس طرفي النهار الغداة والعشي يعني صلاة الصبح والمغرب قال الامام فخر الدين الرازي كثرت المذاهب في تفسير طرفي النهار والاشهر أن الصلاة التي في طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لان أحد طرفي النهار هو طلوع الشمس والثاني هو غروبها فالطرف الاول هو صلاة الفجر والطرف الثاني لا يجوز أن يكون صلاة المغرب لانها داخله تحت قوله تعالى وزلفا من الليل فوجب حل الطرف الثاني على صلاة العصر ﴿ وزلفا من الليل ﴾ يعني واقم الصلاة في زلف من الليل وهي ساعاتها واحدهما زلفة وأصل الزلفة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشاء ﴿ ان الحسنات يذهبن السيئات ﴾ يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرنها (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن «زاد في رواية ما لم تفش الكبار» وزاد في رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبار (ق) عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يحو الله بها الخطايا (خ) عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما سبق من الدرر قال العلماء الصغائر من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحات مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من أعمال البر وأما الكبار من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح وانها ثلاث شرائط الضرط الاول الافلاع عن الذنب بالكلية، الثاني الندم على ما فعل، الثالث العزم المأم أن لا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط محت التوبة وكانت مقبولة نساء الله الى وقال مجاهد في تفسير الحسنات انها قول حسان الله والحمد لله ولا اله الا الله

(وزلفا من الليل) وساعات من الليل جمع زلفة وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قرب به وصلاة الغداة الفجر وصلاة العشيية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الطرفين لانهما مضافان الى الوقت كقولك أفت عندك جميع النهار وأيته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ان الحسنات يذهبن السيئات ان الصلوات الخمس يذهبن الذنوب وفي الحديث ان الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب أو الطاعات قال عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها أو سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر

(وزلفا من الليل) دخول الليل صلاة المغرب والعشاء (ان الحسنات) الصلوات الخمس (يذهبن السيئات) يكفرن السيئات دون الكبار ويقال سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر

(ذلك) إشارة إلى فاستقم فابعدوا القرآن (ذكرى للذاكرين) عظة للمتغطين نزلت في عرب بن غزيرة الانصاري يافع التمر قال لاسرأة في البيت تمرا جود فدخلت فقبلها فندم فجاءه حاكيا با كيف نزلت فقال عليه السلام هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هي كفارة ألك قليل أله خاصة بل للناس عامة (واصبر) على امثال ما أسررت به والانتفاء عما نويت عنه فلا يتم شيء منه الا به (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) جاء بما هو مشتق على جميع الاوصاف والنواهي من قوله فاستقم الى قوله فاصبر وغير ذلك من الحسات (فلولا كان من القرون { الجزء الثاني عشر { من قبلكم } ٣٧٠ ﴿ فلولا كان وهو موضوع للتخصيص

عليه وسلم فقال اني قد اصبت من امرأة غير اني لم آت بها فزلت ﴿ ذلك ﴿ إشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن ﴿ ذكرى للذاكرين ﴿ عظة للمتغطين ﴿ واصبر ﴿ على الطاعات وعن المعاصي ﴿ فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴿ عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلاة والصبر احسان واعاء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص ﴿ فلولا كان ﴿ فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ﴿ من الرأي والمقل أو أولو فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبق افضل ما يخرج منه ويقل فلان من بقية القوم أي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية أي ذوا بقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاء يبقيه اذ اراقبه ﴿ ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا عن انجيئنا منهم ﴿ لكن قليلا منهم انجيئنا لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من التقي اللازم للتخصيص

وتخصص بالفعل (أولوا بقية) أولو فضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبق ما يخرج من أجوده وأفضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقاء (ينهون عن الفساد في الارض) عجب محمد عليه السلام وأمنه ان لم يكن في الامم التي ذكر الله اهلها لهم في هذه السورة جماعة من أولى القل والدين بنون غيرهم عن الكفر والمعاصي (الا قليلا عن انجيئنا منهم) استثناء منقطع أي ولكن قليلا عن انجيئنا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في من انجيئنا لبيان التبعيض لان النجاة للناهي وحدهم بدليل

أكبر والقول الاول أصح انها الصلوات الحسن وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في احدى الروايتين عنه وكعب القرظي والضحاك وجهوا المفسرين ﴿ ذلك ﴿ إشارة الى ما تقدم ذكره من الاستقامة والتوبة وقيل هو إشارة الى القرآن ﴿ ذكرى للذاكرين ﴿ يعني عظة للمؤمنين المطيعين ﴿ واصبر ﴿ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واصبر يا محمد على أذى قومك وما تلقاه منهم وقيل معناه واصبر على الصلاة ﴿ فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴿ بنى أعمالهم قال ابن عباس يعني المسلمين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ فلولا كان من القرون ﴿ يعني فلولا كان من القرون التي أهلكناهم ﴿ من قبلكم ﴿ يعني يا أمة محمد ﴿ أولوا بقية ﴿ يعني أولو تميز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه أولو بقية من خير يقال فلان على بنية من الخير اذا كان على خصلة محمودة ﴿ ينهون عن الفساد في الارض ﴿ يعني يقومون بالنهي عن الفساد في الارض والآية للتقريع والتوبيخ يعني لم يكن فيهم من فيه خير نهي عن الفساد في الارض فلذلك اهلكناهم ﴿ الا قليلا ﴿ هذا استثناء منقطع معناه لكن قليلا ﴿ وعن انجيئنا منهم ﴿ يعني من آمن من الامم الماضية وهم اتباع الانبياء كانوا ينهون عن الفساد في الارض

( وابع )

قوله انجيئنا الذين نهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا

(ذلك ذكرى للذاكرين) عظة للمتغطين نزلت في سأن رجل عار يقال له ابو اليسر بن عمر (واصبر) يا محمد على ما أسررت وعلى أذاهم (فان الله لا يضيع) لا يهلك (أجر المحسنين) ثواب المؤمنين المحسنين بالقول والفعل (فلولا كان من القرون) يقول لم يكن من القرون الماضية (من قبلكم أولوا بقية) من المؤمنين (ينهون عن الفساد في الارض) عن الكفر والنسرك وعبادة الاوثان وسائر المعاصي (الا قليلا عن انجيئنا منهم) من المؤمنين

(واتبع الذين ظلموا) أى التاركون للنهى عن المنكر وهو عطف على مضمرة أى الاقليين من أنبيائنا منهم نوحا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شيوخهم فهو عطف على نوحا (ما ترفوا فيه) أى اتبعوا ما عرفوا فيه التعم والترفع من حب الرئاسة والذروة وطلب أسباب العيش والنهى ورفضوا الأمر ﴿ ٣٧١ ﴾ بالمعروف والنهى { سورة هود } عن المنكر وينذوه وراء

ظهورهم (وكانوا مجرمين) اعتراض وحكم عليهم بأنهم قوم مجرمون (وما كان ربك ليهلك القرى) اللام لتأكيد النفي (بظلم) حال من الفاعل أى لا يصح أن يهلك الله القرى ظالما لها (وأهلها) قوم (مصلحون) تنزيها لآلته عن الظلم وقيل الظلم الشرك أى لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون في المعاملات فيما بينهم لا يضمنون إلى شركهم فسادا آخر (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) أى متفقين على الإيمان والطاعات عن الاختيار ولكن لم يشأ ذلك وقالت المعتزلة هي مشيئة قسرو ذلك رافع للابتلاء فلا يجوز (ولا يزالون مختلفين) في الكفر والإيمان أى ولكن شاء أن يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار (واتبع الذين ظلموا) اشتغل الذين أشركوا (ما ترفوا فيه) بما نعموا فيه في الدنيا من المال (وكانوا

﴿ واتبع الذين ظلموا ما ترفوا فيه ﴾ أى ما انعموا فيه من الشهوات واهتوا بتحصيل أسبابها وأعرضوا عما وراء ذلك ﴿ وكانوا مجرمين ﴾ كافرين كأنه أراد أن يبين ما كان السبب لاستئصال الأمم السالفة وهو فساد الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهى عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع معطوف على مضمرة دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع أو اعتراض وقري واتبع أى واتبعوا جزاء ما ترفوا فنكون الواو للحال ويجوز أن يفسر به المشهورة وبمضده تقدم الانجاء ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم ﴾ بشرك ﴿ وأهلها مصلحون ﴾ فيما بينهم لا يضمنون إلى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لقرط رجليه ومساحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تراجم الحقوق حقوق المباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ﴾ مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على أن الأمر غير الإرادة وأنه تعالى لم يرد الإيمان من كل أحد وإن ما اراده يجب وقوعه ﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾ بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تمكاد

﴿ واتبع الذين ظلموا ما ترفوا فيه ﴾ يعنى واتبع الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي ما انعموا فيه والذرف التعم والمعنى أنهم اتبعوا ما تعودوا به من التعم وابتدأوا بالذات على الآخرة ونعيمها ﴿ وكانوا مجرمين ﴾ يعنى كافرين ﴿ وما كان ربك ﴾ يعنى وما كان ربك يا محمد ﴿ ليهلك القرى بظلم ﴾ يعنى لا يهلككم بظلم منه ﴿ وأهلها مصلحون ﴾ يعنى في أعمالهم ولكن يهلككم بكفرهم وركوبهم السيئات وقيل في معنى الآية وما كان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم إذا كانوا مصلحين يعنى يعامل بعضهم بعضا بالصلاح والساداد والمراد من الهلاك عذاب الاستئصال في الدنيا أما عذاب الآخرة فهو لازم لهم ولهذا قال بعض الفقهاء أن حقوق الله مبناه على المسامحة والمساهلة وحقوق المباد مبناه على التضيق والتشديد ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ﴿ يعنى كلهم على دين واحد وشريعة واحدة ﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾ يعنى على أديان شتى ما بين يهودى ونصرانى ومجوسى ومشرك مسلم وكل أهل دين من هذه الأديان قد اختلفوا في دينهم أيضا اختلافا كثيرا لا ينضبط عنه أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرق اليهود على إحدى وسبعين فرقة وأثنى وسبعين والنصارى مثل ذلك وستتفرق أممى على ثلاث وسبعين فرقة أخرجه أبو داود والترمذى بنحوه عن معاوية رضى الله عنه قال قام فيا رسول

مجرمين) مشركين (وما كان ربك ليهلك) أهل (القرى بظلم) منهم (وأهلها مصلحون) فيما من يأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ويقال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه وأهلها مصلحون مقيمون على الطاعة مستسكون بها (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) لجمعهم على ملة واحدة ملة الاسلام (ولا يزالون) ولكن لا يزالون (مختلفين) في الدين والباطل



ذلك (الامن رسم ربك) { الجزء الثاني عشر } الاناس اعصمهم ٣٧٢ الله عن الاختلاف فاتفقوا على.

تجدانين يتفقان مطلقا (الامن رسم ربك) الاناس اهداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه (ولذلك خلقهم) ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة أو اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرسم (وتمت كلمة ربك) وعيده أو قوله للملائكة (لأملأن جهنم من الجنة والناس) أى من عصائهما (أجسين) أو منهما أجسين لامن أحدهما (وكلا) وكل نبأ (نقص عليك من أنباء الرسل) نخبرك به (ما ثبت به فؤادك) بيان لكل أو بدل منه وفائدة التثنية هلى المقصود من الاختصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على أداء الرسالة واحتمال اذى الكفار أو مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع

الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا أن من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفرق على ثلاث وسبعين اثنان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة أخرجه أبو داود وقال الخطابي قوله صلى الله عليه وسلم وستفرق أمتى فيه دلالة على أن هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين أذ جعلهم من أمته وقال غير المراد بهذه الفرق اهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا وظهر وابعد كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من اهل البدع والاهواء والمراد بالواحدة هى فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله (وقوله سبحانه وتعالى (الا من رسم ربك) يعنى لكن من رسم ربك فمن عليه بالهداية والتوفيق الى الحق وهداه الى الدين القويم والصراط المستقيم فهم لا يختلفون (ولذلك خلقهم) قال الحسن وعطاء وللإختلاف خلقهم قال أشهب سألت مالك بن أنس عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والرحمة خلقهم يعنى الذين يرجمهم وقال الثراء خلق أهل الرحمة للرحمة وخلق أهل الاختلاف للاختلاف وقيل خلق الله عز وجل أهل الرحمة للرحمة لئلا يختلفوا وخلق أهل العذاب لان يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فحاصل الآية ان الله خلق أهل الباطل وجميعهم مختلفين وخلق أهل الحق وجميعهم متفقين فصمم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالرحمة وهم أهل الاتفاق ومصيرهم الى الجنة ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تبارك وتعالى (وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجسين) وهذا صريح بان الله سبحانه وتعالى خلق أقواما للجنة والرحمة فهداهم ووقفهم لأعمال أهل الجنة وخلق أقواما للاضلاله والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية (وقوله سبحانه وتعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع أنبيائهم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك ما يحد من أنباء الرسل

الحق غير مختلفين فيه (ولذلك خلقهم) أى ولما هم عليه من الاختلاف فصدنا خلقهم للذى علم أنهم يصيرون اليه من اختلاف أو اتفاق ولم يخالفهم لغير الذى علم أنهم يصيرون اليه كذا فى شرح التأويلات (وتمت كلمة ربك) وهى قوله للملائكة (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجسين) لعله بكثرة من يختار الباطل (وكلا) التوین فيه عوض من المضاف اليه كأنه قيل وكل نبأ وهو منصوب بقوله (نقص عليك) وقوله (من أنباء الرسل) بيان لكل وقوله (ما نثبت به فؤادك) يدل من كلا

(الامن رسم) عصم (ربك) من الباطل والاديان الخلقه وهم المؤمنون (ولذلك خلقهم) للرحمة خلق أهل الرحمة وللإختلاف خلق أهل الاختلاف (وتمت كلمة ربك) وجب قول ربك (لأملأن جهنم من الجنة والناس) من كفار الجن والانس (أجسين وكلا نقص عليك) كما بينت لك (من أنباء الرسل) من أخبار

(وجاءك في هذه الحق) أى في هذه السورة أوفى هذه الأنباء المقتضية ما هو حق (وموعظة وذكرى للمؤمنين) ومعنى تثبيت قواده زيادة يقينه لان تكاثر الأدلة أثبت للقلب (وقل للذين لا يؤمنون) من أهل مكة وغيرهم (اعملوا على مكانتكم) على حالكم وجهتكم ﴿٣٧٣﴾ التى أنتم { سورة هود } عليها (أنا عاملون) على مكانتنا (وانظروا) بنا الدوائر (أنا منتظرون)

أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله تعالى من النقم النازلة بأشباهكم (ولله غيب السموات والارض) لا تخفى عليه خافية مما يحرى فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم (والله يرجع الأمر كله) فلا بد أن يرجع إليه أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم يرجع نافع وحفص (فاعبد وتوكل عليه) فانه كافيك وكافلك (وماربك) يناقل عما يعملون (وبالتاء مدنى وشامى وحفص أى أنت وهم على تغليب الخطاب قبل خاتمة التوراة

(وجاءك في هذه) السورة (الحق) خبر الحق (وموعظة) من الماصى (وذكرى) عظة للمؤمنين (وقل للذين لا يؤمنون) بالله وباليوم الآخر وبالسلاكة وبالكتب وبالنبين (اعملوا على مكانتكم) على دينكم فى منازلكم بهلاكى (أنا عاملون) فى هلاككم (وانظروا) هاكى (أنا منتظرون) هلاككم (ولله غيب السموات

الاقتصاص نقص عليك ما ثبت به قوادك من انباء الرسل ﴿وجاءك في هذه﴾ السورة أو الانباء المقتضية عليك ﴿الحق﴾ ما هو حق ﴿وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ اشارة الى سائر قواده العامة ﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم﴾ على حالكم ﴿أنا عاملون﴾ على حالنا ﴿وانظروا﴾ بنا الدوائر ﴿أنا منتظرون﴾ ان ينزل بكم نحو ما نزل على أمثالكم ﴿ولله غيب السموات والارض﴾ خاصة لا يخفى عليه خافية عما فيهما ﴿والله يرجع الأمر كله﴾ فيرجع لا محالة أمرهم وأمرك إليه ﴿وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء للمفعول﴾ فاعبده وتوكل عليه ﴿فانه كافيك وفى تقديم الأمر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد﴾ وماربك يناقل عما يعملون ﴿أنت وهم فيمازى كلا ما يستحقه﴾ قرأ نافع وابن

يسى من أخبار الرسل وما جرى لهم مع قومهم ما ثبت به قوادك ببنى ما تقوى به قلبك لتصبر على اذى قومك وتنامى بالرسول الذين خلوا من قبلك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه وأمكنه الصبر عليه ﴿وجاءك﴾ يا محمد ﴿فى هذه الحق﴾ اختلفوا فى هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل معناه وجاءك فى هذه الدنيا الحق وفيه بسد لانه لم يجر للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليها وقيل فى هذه الآية وقيل فى هذه السورة وهو الاقرب وهو قول الاكثرين فان قلت قد جاء الحق فى سور القرآن فلم خص هذه السورة بالذكر قلت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر ان لا يكون قد جاء الحق فى غيرها من السور بل القرآن كله حق وصدق وانما خصها بالذكر لثبوتها لهما ﴿وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ أى وهذه السورة موعظة يتعظ بها المؤمنون اذا تذكروا أحوال الامم الماضية وما نزل بهم ﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم﴾ فيه وعيد وتهديد ببنى اعمالوا ما أنتم عاملون فستعملون عاقبة ذلك العمل فهو كقولهم اعلموا ما شئتم ﴿أنا عاملون﴾ ببنى ما أمرنا به ربنا ﴿وانظروا﴾ ببنى ما يهدمكم به الشيطان ﴿أنا منتظرون﴾ ببنى ما يحل بكم من نعمة الله وعذابه اما فى الدنيا واما فى الآخرة ﴿ولله غيب السموات والارض﴾ ببنى يعلم ما غاب عن البعاد فيهما ببنى ان علمه سبحانه وتعالى نافذ فى جميع الاشياء خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء ﴿والله يرجع الأمر كله﴾ ببنى الى الله يرجع أمر الخلق كلهم فى الدنيا والآخرة ﴿فاعبد﴾ ببنى ان من كان كذلك كان مستحقا للعبادة لا غيره فاعبد ولا تشغل بعبادة غيره ﴿وتوكل عليه﴾ ببنى ونق به فى جميع أمورك فانه يكفيك من ماربك يناقل عما يعملون ﴿قال أهل التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم والمعنى انه سبحانه وتعالى يحفظ على البعاد أعمالهم لا يخفى عليه منها

(والارض) ما غاب عن البعاد (والله يرجع الأمر) الى الله يرجع أمر البعاد (كله) فى الآخرة (فاعبد) (وتوكل عابده) ثقب به (وماربك يناقل عما يعملون) من

هذه الآية وفي الحديث من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى ﴿سورة يوسف علي السلام وهي مائة وأحدى { الجزء الثاني عشر } عشرة آية ﴿ ٣٧٤ ﴾ شامى واثناعشرة مكي ﴿

حاصر وحقق بالثناء هنا وفي آخر النمل ﴿ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى ﴿ سورة يوسف عليه السلام مكية وآيها مائة وأحدى عشر ﴿

﴿ قيل الاثنت آيات من اولها ﴿

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿

الرتك آيات الكتاب المبين ﴿ تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب أى تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز أو الواضحة معانيها أو المبينة لمن تدبرها انها من عند الله أو لليهود ما سألوا اذ روى ان علماءهم قالوا لكبراه المشركين سلوا محمدا عليه السلام لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت نبي فيجزي المحسن باحسنه والمسيء باسائه قال كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة سورة هود والله أعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿

وهي مكية باجماعهم وهي مائة وأحدى عشرة آية وألف وستمئة كلمة وسبعة آلاف ومائة وستة وستون حرفا قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى وفي سبب نزولها قولان أحدهما روى عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال لما أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاء عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثنا فانزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى أرتك آيات الكتاب المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص القول الثاني رواه الضحاك عن ابن عباس قال سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فانزل الله عز وجل أرتك آيات الكتاب المبين الآيات الكريمة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿

﴿ قوله عز وجل ﴿ أرتك ﴿ تقدم تفسيره في أول سورة يونس عليه الصلاة والسلام ﴿ تلك ﴿ اشارة الى آيات هذه السورة أى تلك الآيات التي أنزلت اليك في هذه السورة المسماة بالرحمة ﴿ آيات الكتاب المبين ﴿ وهو القرآن أى البين حاله وحرامه وحدوده وأحكامه وقال قتادة مبن بينه الله بركته وهده ورشده فهذا من بان أى ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من أبان بمعنى أظهر وقيل انه مبين فيه قصص الاولين وشرح أحوال المتقدمين

﴿ قوله تعالى (الر) يقول أنا الله ارى ما تقولون وما تعملون وان ما يقرأ عليكم محمد صلى الله عليه وسلم هو كلامي (انا) ويقال قسم اسم به (تلك آيات الكتاب المبين) ان هذه السورة آيات القرآن المبين الحلال والحرام والامر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ (أرتك آيات الكتاب المبين) تلك اشارة الى آيات هذه السورة والكتاب المبين السورة أى تلك الآيات التي أنزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التي لا تشبه على العرب معانيها فنزلها بلسانهم أو قدأبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام فقد روى ان علماء اليهود قالوا للمشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة

الماضي ويقال بتارك عقوبة ما تعملون كما لم يغفل .

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها يوسف وهي كاهها مكية آياتها مائة وأحدى عشرة وكلها ألف وسبعمئة وست وسبعون وحرفها سبعة آلاف ومائة وست وتسعون ﴿

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وبإسناده عن ابن عباس في

وسف عليه السلام (انا أنزلناه ﴿ ٣٧٥ ﴾ قرآنا عربيا) أي { سورة يوسف } أنزلنا هذا الكتاب الذي

فيه قصة يوسف عليه السلام في حال كونه قرآنا عربيا وسعى بعض القرآن قرآنا لأنه اسم جنس يقع على كله وبعضه (لعلكم تعقلون) لكي تفهموا معانيه ولوجعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (نحن نقص عليك أحسن القصص) نبين لك أحسن البيان والقصص الذي يأتي بالقصة على حقيقتها عن الزجاج وقيل القصص يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا فيكون فعلا بمعنى مفعول كأنقض والحسب فعلى الاول معناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بما أوحينا إليك هذا القرآن) أي بإيحائنا إليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه والمخصوص محذوف لأن والهي (انا أنزلناه قرآنا عربيا) يقول انا أنزلنا جبريل بالقرآن على محمد على مجرى لغة العربية (لعلكم تعقلون) لكي تفهموا ما رتب به وما نهيتهم عنه (نحن نقص عليك) نبين لك (أحسن القصص) أحسن الخبر من

﴿ انا أنزلناه ﴾ أي الكتاب ﴿ قرآنا عربيا ﴾ سمي البعض قرآنا لأنه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا أو حال لأنه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له أو حال من الضمير فيه أو حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ علة لانزاله بهذه الصفة أي أنزلناه مجموعا أو مقروا بلفظكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم فقلوا ان اقتصاسه كذلك بمن لم يتم القصص مجز لا يتصور الا بالإيجاء ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ أحسن الاقتصاص لأنه اقتص على ابدع الاساليب أو أحسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعمل بمعنى مفعول كأنقض والسلب واشتقاقه من قص أثره إذا تبعه ﴿ بما أوحينا ﴾ أي بإيحائنا ﴿ إليك هذا القرآن ﴾ يعني

﴿ انا أنزلناه ﴾ يعني هذا الكتاب ﴿ قرآنا عربيا ﴾ أي أنزلناه بلفظكم لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه وقيل لما قالت اليهود لمشركي مكة ساوا محمد صلى الله عليه وسلم عن امر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبرانية فانزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية لتفهمها العرب وعرفوا معانيها والتقدير انا أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه عربيا فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القرآن على بعضه لأنه اسم جنس يقع على الكل والبعض واختلف العلماء هل يمكن أن يقال في القرآن شيء بغير العربية فقال أبو عبيدة من زعم أن في القرآن لسانا غير العربية فقد قال بغير الحق وأعظم على الله القول وأحجج بهذه الآية انا أنزلناه قرآنا عربيا وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة أن فيه من غير لسان العربية مثل سجيل والمشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح المختار لأن هؤلاء أعلم من أبي عبيدة بلسان العرب وكلا القولين صواب ان شاء الله تعالى ووجه الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على ألسنتهم صارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية في الاصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت اليهم وصارت لهم لغة فظهر بهذا البيان صحة القولين وأمكن الجمع بينهما ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ يعني تفهمون أي بالعرب لأنه نازل بلفظكم ﴿ قوله تعالى ﴾ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴿ الام ل في معنى القصص اتباع الخبر ببعضه بعضا والقصص هو الذي يأتي بالخبر على وجهه وأصله في اللغة من قص الاثر اذا تبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا والمعنى نحن نبين لك يا محمد أخبار الامم السالفة والقرون الماضية أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والقوائد التي تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والممالك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من القوائد المذكورة في هذه السورة الشريفة تال خالد بن ممدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكهما أهل الجنة في الجنة وذلك عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الاستراح اليها - وقوله تعالى ﴿ بما أوحينا إليك ﴾ يعني بإيحائنا إليك يا محمد ﴿ هذا القرآن

أخبار يوسف واخوته (بما أوحينا إليك) بالذي أوحينا إليك جبريل به (هذا القرآن) في هذا القرآن

بما أوحينا إليك هذا القرآن فمن عنه والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة وأعجب أسلوب فانك لا اقتصاصه في كتب الاولين مقاربا لاقتصاصه في القرآن وان أريد الاقتصاص المقصود فمعناه نحن نقص عليك احسن ماية من الاحاديث وأما كان احسن لما تضمن من العبر والحكم والنجائب التي ليست في غيره والظاهر انه أحسن ما يقتص في بابك يا فلان أعلم الناس أي في فنه والجزء الثاني عشر اشتقاق القصص من قص ٣٧٦ أثره اذا تبعه لان الذي يقتص الحد

يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا (وان كنت من قبله) الضمير يرجع الى ما أوحينا (لمن الغافلين) هذه من مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية يعني وان الشأن والحديث كنت من قول ايجاشا اليك من الجاهلين به (اذ قال) بدل استمال من احسن القصص لان الوقت مستقل على القصص أو التقدير اذكر اذ قال (يوسف) اسم عبراني لا عربي اذ لو كان عربيا لانصرف غلوه عن سبب آخر سوى التعريف (لايه) يعقوب (بأبت) ابت شامى وهى تاء التانيث عوضت عن ياء الاضافة لتناسبهما لان كل واحدة منهما ازاءة في آخر الاسم ولهذا قلت هاء في الوقف وحاز الحاق تاء التانيث بالذكر كافي رجل ربعة وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة ومن قنع التاء فقد حذف الالف من يأتوا استبقى الفحة قلبها كما فعل من حذف الياء في

السورة ويجوز ان يحمل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر (وان كنت من قبله لمن الغافلين) عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرر سمك قطوهو تحليل المكونه موحى وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة (اذ قال يوسف) يدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدلا لاشتغال أو منصوب باختيار اذكر يوسف عبرى ولو كان عربيا لصرّف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لاعلى انه مضارع بنى للمفعول أو الفاعل من آسف لار المشهورة شهدت بهجته (لايه) يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وعنده عليه الصلاة والسلام ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (يا ابت) اصله يابى فموضع عن الياء تاء التانيث لتناسيهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وقبحها ابن مامر في كل القرآن لانها حركة اصلها أولانه كان يأتا فحذف الالف وبقي الفحة وانما حاز بابا ولم يجز ابا بى لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب (انى رأيت) من الرؤيا لامن الرؤية لقوله لا تقتصص رؤياك وقوله هذا تأويل رؤياي من قبل (احد عشر كوكبا والشمس والقمر) روى

وان كنت (أى وقد كنت) من قبله (يعنى من قبل وحيها اليك) لمن الغافلين (يعنى عن هذه القصة وما فيها من العجائب قال سعد بن أبى وقاص أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم فما قالوا يا رسول الله لو حدثتنا ما نزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا ما نزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص فقالوا يا رسول الله لو ذكرتنا ما نزل الله عز وجل ألم يأت الذين آمنوا أن تخنم قلوبهم لذكر الله عز وجل (اذ قال يوسف لايه) أى اذكر يا محمد لقومك قول يوسف لايه يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعليهم أجسين (خ) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ويوسف اسم عبرى ولذلك لا يجزى فيه الصرّف وقيل هو عربى سئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف أشد الحزن والاسف العبد واجتمع في يوسف مسمى به (يا ابت) انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر

يا غلام (انى رأيت) من الرؤيا لامن الرؤية (أحد عشر كوكبا) أسماؤها بيان النبى عليه السلام جرمان ولدان (رأيتهم) والطارق واس وعودان والقليل والمصحح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكنفين (والشمس والقمر) سما أبواه وأبوه وخاته

(وان كنت) وعد كنت (من قبله) من قبل نزول جبريل عليك بالقرآن (لمن الغافلين) عن خبر يوسف واخوته (اذ قال) قد تال (يوسف لايه يا ابت انى رأيت) في منام النهار (أحد عشر كوكبا) نزلن من أما كهن وسجدين لى سجدة التحية وهم اخوته أحد عشر اخا (والشمس والقمر)

والكواكب اخوته قبل الواو بمعنى مع أى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر واجريت مجرى العقلاء في ( رايهم )  
ساجدين ) لانه وصفها بما هو المختص بالعقلاء ﴿ ٣٧٧ ﴾ وهو السجود { سورة يوسف } وكررت الرؤيا لان الاول

تتعلق بالذات والثانية  
بالحال أو الثانية كلام مستأنف

على تقدير سؤال وقع جوابا

له كأن أباه قال له كيف

رأيتهما فقال رأيتهما لي

ساجدين أى متواضعين

وهو حاله وكان ابن ثقي

عشرة سنة يومئذ وكان بين

رؤيا يوسف ومصيرا خوته

اليه أربعون سنة أو ثمانون

( قال ياقى ) بالفتح حيث

كان حفص ( لا تفحص

( رؤياك ) هى بمعنى الرؤية الا

انها مخنصة بما كان منها في

المسام دون اليقظة و فرق

بينهما بمجرى التأنيث كافي

القربة والقربى ( على

اخوتك فيكيدوا لك ) جواب

النهي أى ان قصصها عليهم

كادوك عرف يعقوب عليه

السلام ان الله يصطفيه

للبوة وينعم عليه بشرف

الدارين فحقاق عليه حسد

الاخوة وانما لم يقل فيكيدوك

كما قال فيكيدونى لانه ضمن

معنى فعل يتعدى باللام

ليفيد معنى فعل الكيد مع

امادة معنى الفعل المضمن

فيكون أكد وأبلغ في

التعويص وذلك نحو فيمتالوا

لك ألا ترى الى تأكيد

المصدر وهو ( كيدا

عن جابر رضى الله عنه ان هو ديا جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن  
النجوم التي رآهم يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك  
فهل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذئال وقابس وعمودان والفليق والمصبح  
والضروح والفرغ ووثاب وذوالكتفين وآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء  
وسجدن له فقال اليهودى أى والله انها لاسماؤها ﴿ رأيتهن لي ساجدين ﴾ استأنف  
ليان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرر وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم  
﴿ قال ياقى ﴾ تصغير ابن صغره للشفقة أو لصغر السن لانه كان ابن اثني عشرة سنة \* وقرأ  
حفص هنا في الصفات بفتح الياء ﴿ لا تفحص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ﴾  
فيمتالوا لا هلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه

رأيتهن لي ساجدين ﴿ معناه قال أهل التفسير رأى يوسف في منامه كأن أحد عشر كوكبا  
نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة  
القدر وكان النجوم في الأول اخوته وكانوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كاستضاء بالنجوم  
والشمس أبوه والقمر أمه في قول قتادة وقال السدي القمر خاله لان أمه راحيل كانت قد  
ماتت وقال قتادة وابن جريج القمر أبوه والشمس أمه لان الشمس مؤنة والقمر مذكر وكان  
يوسف عليه الصلاة والسلام ابن اثني عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين وأراد  
بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت أسرهم وقيل أراد به حقيقة السجود لانه كان في ذلك  
الزمان الحجة فيما بينهم السجود \* فان قلت ان الكواكب جاد لا تعقل فكيف عمر عنها بكناية  
من يعقل في قوله رأيتهن ولم يقل رأيتهن أو قوله ساجدين ولم يقل ساجدات \* قالت لما أخبر عنها  
بشعل من يعقل وهو السجود كنى عنها بكناية من يعقل فهو كقوله يا أيها النمل ادخاوا مساكنكم  
وقيل ان الفلاسفة والمجسمين يزعمون أن الكواكب أحياء نواطق حساسة فيجوز أن يبر  
عنها بكناية من يعقل وهذا القول ليس بشئ \* والاول أصح \* فان قلت قد قال اني رأيت أحد عشر  
كوكبا والشمس والقمر ثم أعاد لفظ الرؤيا ما يقال رأيتهن ساجدين فافائدة هذا التكرار  
\* قلت معنى الرؤيا الاولى رأى اجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنى الرؤيا الثانية انه  
أخبر بسجودها له وقال بعضهم معناه انه لما قال اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر  
فيل له وكيف رأيته قال رأيتهن لي ساجدين وانما أمر الشمس والقمر بالذكر وان كانا  
من جملة الكواكب للدلالة على فضلها وسرفهما على سائر الكواكب قال أهل الصير  
ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان شديدا لحب ليوسف عليه الصلاة والسلام فحسده  
اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان تأويلها ان  
اخوته وأبوه يخضعون له فلماذا لم يقل ﴿ يعقوب ﴾ ياقى لا تفحص رؤياك على اخوتك \*  
يعنى لا تخدعهم رؤياك فانهم يعرفون تأويلها ﴿ فيكيدوا لك كيدا ﴾ أى فيمتالوا

أيهم لي ساجدين ) قول رأيت الشمس والقمر ( نا و ح ٤٨ لث ) رأيت الشمس والقمر ساجدين ساجدين وهما أبواه  
احل ويعقوب ( قال ) يعقوب ليوسف في السر ( ياقى ) اذا رأيت رؤيا مدحها ( لا تفحص ) لا تخبر ( ر - ا - ع )  
اخوتك ( لاخوتك فيكيدوا لك كيدا ) فيمتالوا لك حيلة يكون بها لك

على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيتهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم  
ففرق بينهما بحرفي التأنيث كالتقربة والقربى وهى انطباع الصورة المتحدرة من افاق  
التخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها التماثلاتكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما  
من التناسب عند فراغها من تدبير البدن اذنى فراغ فتصور بما فيها مما يلقى بها من المعانى  
الحاصلة هناك ثم ان التخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فتربطها الى الحس المشترك فتصير  
مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكمالية  
والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والاحتاجت اليه وانما عدى كاد باللام وهو متمد  
بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تأكيداً لذلك اكد بالمصدر وعله بقوله ﴿ ان الشيطان  
للانسان عدو مبين ﴾ ظاهر المداوة كالفعل بآدم عليه السلام وحواء فلا يالو جهداً فى

فى اهلاك فامر به بكتمان رؤياه عن اخوته لان رؤيا الانبياء وحى وحق واللام فى فيكيدوا  
لك كيدا تأكيداً للصلة كقولك نعتك ونعتك لك وشكرتك وشكرتك لك ﴿ ان الشيطان  
للانسان عدو مبين ﴾ يعنى انه بين المداوة لان عداوته قد عدهم ان اقدموا على الكيد كان  
ذلك مضافاً الى تزوين الشيطان ووسوسته (ق) عن ابي قتادة رضى الله عنه قال كنت ارى  
الرؤيا تمرضنى حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا  
السوء من الشيطان فاذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا رأى أحدكم  
ما يكره فليقل عن يساره ثلاثاً وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها فانها لن تضره  
(خ) عن ابي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانها من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا رأى  
غير ذلك مما يكره فاعاها من الشيطان فليستعذ بالله من الشيطان ومن شرها ولا يذكرها  
لاحد فانها لن تضره (م) عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
اذا رأى أحدكم الرؤيا يكرها فليصق عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثاً  
وليتحول عن جنبه الذى كان عليه ﴿ عن ابي رزين العقيلي رضى الله عنه قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من اربعة ﴿ وفى رواية جزء من ستة واربعين جزءاً من  
النبوة وهى على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا حدث بها سقطت قل وأحسبه قال ولا يحدث  
بها الا ليلياً أو حياً أخرجه الترمذى ولا يداود نحوه قال الشيخ محي الدين النووى قال  
المازرى مذهب أهل السنة فى حقيقة الرؤيا ان الله تعالى يخلق فى قلب النائم اعتقادات كما يخلقها  
فى قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يمتنع نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه  
الاعتقادات فكأنه جعلها علماء على أمور أخر يجعلها فى نافي الحلال والجميع خالق الله تعالى  
ولكن يخاف الرؤيا والاعتقادات التى يجعلها علماء على ما يسر غير حضرة الشيطان  
فاذا خلق ما هو علم على ما يضر يكون بحضرة الشيطان فينسب الى الشيطان مجازاً وان  
كان لا قبل له فى الحقيقة فهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من  
الشيطان لا على أن الشيطان يفعل شيئاً والرؤيا اسم للمحبوب والحلم اسم للمكروه وقال

ان الشيطان للانسان عدو  
مبين ( ظاهر المداوة  
فيحملهم على الحسد والكيد  
( ان الشيطان للانسان )  
لبنى آدم (عدو مبين) ظاهر  
المداوة يحملهم على الحسد

(وكذلك) ومثل ذلك الاجتناء الذي دلت عليه رؤياك (يحتيك ربك) بصطفيك والاجتناء الاصطفاء افعال من حيث  
 "كفى" اذا حصلت لنفسك وجيت الماء ﴿ ٣٧٩ ﴾ في الخوض { سورة يوسف } بجته (ويملك) كلام مبتدأ

غير داخل في حكم التشبيه  
 كأنه قيل وهو يملك (من  
 تأويل الاحاديث) أي  
 تأويل الرؤيا وتأويلها  
 عبارتها وتفسيرها وكان  
 يوسف أعبر الناس للرؤيا  
 أو تأويل أحاديث الانبياء  
 وكتب الله وهو اسم جمع  
 للحديث وليس بجمع  
 أحدوثه (وتم نعمته عليك  
 وعلى آل يعقوب) بأن  
 وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة  
 الآخرة أي جعلهم أنبياء  
 في الدنيا وملوكا وتلقاهم  
 عنها إلى الدرجات العلى  
 في الجنة وآل يعقوب أهله  
 وهم نسله وغيرهم وأصل  
 آل أهل بدليل تصديره على  
 أهيل الا انه لا يستعمل الا  
 فحين له خطر يقال آل  
 النى وآل الملك ولا يقال  
 آل الحجام ولكن أهله وانما  
 علم يعقوب ان يوسف يكون  
 نبيا واخوته أنبياء استدلالا  
 بضوء الكواكب فلذا قال  
 وعلى آل يعقوب (كما  
 أتمها على أبويك من قبل)  
 أراد الجد وأبا الجد (ابراهيم  
 واسحق) عطف بيان  
 لأبويك

(وكذلك) هكذا  
 (يحتيك) بصطفيك (ربك)

تسويلهم وإثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد ﴿ وكذلك ﴾ أي وكما اجتنبك لمثل  
 هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكان نفس ﴿ يحتيك ربك ﴾ للنبوة والملك أو  
 لامور عظام والاجتناء من حيث الشيء اذا حصلت لنفسك ﴿ ويملك ﴾ كلام مبتدأ  
 خارج عن التشبيه كأنه قيل وهو يملك ﴿ من تأويل الاحاديث ﴾ من تعبير الرؤيا لانه  
 احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس أو الشيطان ان كانت كاذبة أو من تأويل  
 غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كما باطل اسم  
 جمع للباطل ﴿ وتم نعمته عليك ﴾ بالنبوة أو بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة  
 ﴿ وعلى آل يعقوب ﴾ يريد به سائر بنيهم ولعله استدلل على نبوتهم بضوء الكواكب  
 أو نسله ﴿ كما أتمها على أبويك ﴾ بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى  
 اسحق بإنقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم ﴿ من قبل ﴾ أي من قبلك أو من قبل هذا  
 الوقت ﴿ ابراهيم واسحق ﴾ عطف بيان لأبويك

غيره اضافة الرؤيا المحبوبة الى الله تعالى اضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة وان  
 كانتا جميعا من خلق الله وتديره وارادته ولا فعل للشيطان فيها ولكنه يحضر المكروهة  
 ويرفضها فيستحب اذا رأى الرجل في منامه ما يحب أن يحدث به من يحب واذا رأى ما يكره فلا  
 يحدث به وليتعد ذنبه من الشيطان الرجيم ومن شره او ليتقل ثلثا ولا يتحول الى جنبه الآخر  
 فانها لانضره فان الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة سببا  
 لوقاية المال وغيره من البلاء والله أعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ وكذلك يحتيك ربك ﴿ يعنى  
 يقول يعقوب ويوسف عليه الصلاة والسلام أي وكما رفع منزلك بهذه الرؤيا  
 الشريفة العظيمة كذلك يحتيك ربك يعنى بصطفيك ربك واجتناء الله تعالى العبد  
 تخصيصه إياه بفيض الهى تحصل له منه أنواع الكرامات بلاسى من العبد وذلك  
 مختص بالانبياء أو بعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين ﴿ ويملك  
 من تأويل الاحاديث ﴾ يعنى به تعبير الرؤيا سمي تأويلا لانه يؤل أسره الى مارأى في  
 منامه يعنى يملك تأويل أحاديث الناس فيأرونه في منامهم وكان يوسف عليه الصلاة  
 والسلام أعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال الزجاج تأويل أحاديث الانبياء والامم السالفة  
 والكتب المنزلة وقال ابن زيد يملك العلم والحكمة ﴿ وتم نعمته عليك ﴾ يعنى  
 بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب النبوة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون  
 درجة الانبياء فهذا من تمام النعمة عليهم لان جميع الخلق دونهم في الرتبة والمناصب  
 ﴿ وعلى آل يعقوب ﴾ المراد بآل يعقوب أولاده فانهم كانوا أنبياء وهو المراد من اتمام  
 النعمة عليهم ﴿ كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق ﴾ بأن جعلهما نبيين  
 وهو المراد من اتمام النعمة عليهما وقيل المراد من اتمام النعمة على ابراهيم صلى الله

بالنبوة (ويملك من تأويل الاحاديث) من تعبير الرؤيا (وتم نعمته عليك) بالنبوة والاسلام أي عمتك على ذلك (وعلى آل يعقوب)  
 بك أي ويتم نعمته على أولاد يعقوب بك (كما أتمها) نعمته بالنبوة والاسلام (على أبويك من قبل) من قبلك (ابراهيم واسحق)



﴿ ان ربك عليم ﴾ بن استحق الاجتهاد ﴿ حكيم ﴾ يفعل الاشياء على ما ينبغي ﴿ لقد كان في يوسف واخوته ﴾ أي في قصتهم ﴿ آيات ﴾ دلائل قدرة الله وحكمته وعلامات نبوته وقرأ ابن كثير آية ﴿ للسائلين ﴾ لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبييل وشمعون ولاوى وربالون وبشجر وبنية من بنت خالته لياتزوجها يعقوب اولافلا توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم تكن الجمع محرماً حينئذ واربعه آخرون دان ونفتالي وجاد وآشر من سريتين زلفة وبهية

عليه وسلم بان خلصه الله من النار واتخذ خليلاً والمراد من اتمام النعمة على اسحق بان خلصه الله من الدخ وهذا على قول من يقول ان اسحق هو الذي ليس بشئ والقول الاول هو الاصح بان اتمام النعمة عليهما بالنبوة لانه لأعظم من منصب النبوة فهو من أعظم النعم على العبد ﴿ ان ربك عليم ﴾ يعني بمصالح خلقه ﴿ حكيم ﴾ يعني انه تعالى لا يفعل شيئاً الا بحكمة وقيل انه تعالى حكم بوضع النبوة في بيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصر واجتماعه بابويه واخوته أربعون سنة وهذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن البصري كان بينهما ثمانون سنة فلما بلغت هذه الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضى أن يسجد له اخوته حتى يسجد له أبواه ﴿ قوله عز وجل ﴾ لقد كان في يوسف واخوته ﴿ يعني في خبره وخبر اخوته وأسمائهم روبييل وهو أكبرهم وشمعون ولاوى ويهوذا وزبولون وبشجر وأهم ليان بنت خال يعقوب وولد يعقوب من سريتين اسم احدهما زلفة والآخرى بهية أربعة أولاد وأسمائهم دان ونفتالي وجاد وآشر ثم توفيت لياتزوج يعقوب اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهؤلاء بنو يعقوب هم الاسباط وعددهم اثنا عشر نفراً ﴿ آيات للسائلين ﴾ وذلك ان اليهود لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سأله عن سبب انتقاله ولدي يعقوب من أرض كنعان الى أرض مصر ذكر قصة يوسف مع أخوته فوجدوها موافقة لما في التوراة فحببوا منه فسلى هذا تكون هذه القصة دالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ الكتب المنقدمة ولم يجالس العلماء والاحبار ولم يأخذ عن أحد منهم شيئاً فدل ذلك على ان ما أنبأ به وحى سماوى وعلم قدسى أو حاه الله اليه وشرفه به ومعنى آيات للسائلين أى عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر والمواعظ والحكم ومنها رؤيا يوسف وما حقق الله فيها ومنها حسد اخوته له وما آل اليه أمرهم من الحسد ومنها صبر يوسف على اخوته وبلواه مثل ألقاه في الحب وبيعه عبداً وسجنه بعد ذلك وما آل اليه أمره من الملك ومنها ما انتقل عايه من حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه أمره من باوغ المراد وغير ذلك من الآيات التي اذا فكر فيها الانسان اعتبر واعتظ

(ان ربك عليم) يعلم من يحق له الاجتهاد (حكيم) يضع الاشياء مواضعها (لقد كان في يوسف واخوته) أي في قصتهم وحدثتهم (آيات) علامات ودلالات على قدرة الله وحكمته في كل شيء آية مكي (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم وعرفها أو آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سأله من اليهود عنها فاخبرهم من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب وأسمائهم يهوذا وروبييل وشمعون ولاوى وزبولون وبشجر وأهم ليان بنت خال يعقوب وولد يعقوب من سريتين زلفة وبهية أربعة أولاد وأسمائهم دان ونفتالي وجاد وآشر من سريتين زلفة وبهية فلما توفيت لياتزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف

ان ربك عليم ( بنعمته )  
( حكيم ) باتمامها ويقال  
عليه برؤياك حكيم بما يصيبك  
( لقد كان في يوسف ) في  
خبر يوسف ( واخوته آيات )  
عبرات ( للسائلين ) عن  
خبرهم نزلت هذه الآية  
في خبر من اليهود

(اذ قال يوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا) اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا أن زيادة محبة  
لهما أمر ثابت لا شبهة فيه وانما قالوا ﴿ ٣٨١ ﴾ وأخوه وهم { سورة يوسف } اخوته أيضا لان أمهما

كانت واحدة وانما قيل  
أحب في الاثنين لان أفضل  
من لا يفرق فيه بين الواحد  
وما فوقه ولا بين المذكور  
والثلاث ولا بد من الفرق  
مع لام التعريف وإذا  
أضيف ساغ الأمران  
والواو في (ونحن عصبه)  
للحال أي أنه يفضلهما  
في المحبة علينا وهما صغيران  
لا كفاية فيهما ونحن  
عشرة رجال كفاة تقوم  
بمرافقته فمحن أحق بزيادة  
المحبة منهما لفضلنا بالكثرة  
والمنفعة عليهما (ان أبانا  
لنن صلال ميين) غلط في  
تدوير أمر الدنيا ولو وصفوه  
بالضلالة في الذين لكفروا  
والعصبة العشرة فصاعدا  
(اقتلوا يوسف) من جملة  
ما حكى به قوله اذ قالوا  
كأنهم اطبقوا على ذلك الا  
من قال لا تقتلوا يوسف وقيل  
الآمر بالقتل شمعون  
والباقون كانوا راضين  
فعدوا أمرن (أوطرحوه  
أرضا) منكرة مجهولة  
بعدة عن العمران وهو

(اذ قالوا) اخوة يوسف  
بعضهم لبعض (ليوسف  
واخوه) بنيامين (أحب إلى  
أبنا) أثر عنده (منا ونحن  
عصبة) عشرة (ان أبانا

﴿ اذ قالوا ليوسف وأخوه ﴾ بنيامين، تخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين  
﴿ أحب إلى أبينا منا ﴾ وحده لان أفضل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله  
بمخلاف أخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ﴿ ونحن عصبه ﴾ وال حال انا جماعة  
اقول أحق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة العشرة فصاعدا سمو بذلك  
لان الامور تعصب بهم ﴿ ان أبانا لنن صلال ميين ﴾ لتفضيله المفضل أول ترك التعديل  
في المحبة روي انه كان أحب إليه لما يرى فيه من الخيائل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى  
الرؤيا ضاع عمله المحبة بحيث لم يصر عنه فتبالغ حسدهم حتى جعلهم على التعرض له  
﴿ اقلوا يوسف ﴾ من جملة المحكي بقوله اذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الامن قال  
لا تقتلوا يوسف وقيل انما قاله شمعون أو دان ورضى به الآخرون ﴿ أوطرحوه أرضا ﴾

﴿ اذ قالوا ﴾ يعني اخوة يوسف ﴿ ليوسف ﴾ اللام فيه لام القسم تقديره والله ليوسف  
﴿ وأخوه ﴾ يعني بنيامين وهما من أم واحدة ﴿ أحب إلى أبينا منا ونحن عصبه ﴾ انما قالوا  
هذه المقالة حسدا منهم ليوسف وأخيه لما رأوا من ميل يعقوب اليه وكثرة شفقتة عليه  
والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قال الفراء العصبة هي العشرة فآزاد وقيل هي ما بين  
الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاثة الى العشرة وقال مجاهد هي ما بين العشرة الى  
خسة عشر وقيل الى الاربعين وقيل الاصل فيه أن كل جماعة بتعصب بعضهم ببعض  
يسمون عصبه والعصبة لا واحد لها من لفظها كالرهنط والفر ﴿ ان نالن صلال ميين ﴾  
يعني لنن خطأ بين في اشارة حب يوسف علينا مع صفه لانفع فيه ونحن عصبه  
ننفعه وتقوم بمصالحه من أمر دنياه واصلاح أمر مواشيه وليس المراد من ذكر هذا  
الضلال الضلال عن الدين اذ لو أرادوا ذلك لكفروا به ولكن أرادوا به الخطأ في أمر  
الدنيا وما يصلحها يقولون نحن أنفع له من يوسف فهو مخطئ في صرف محبة اليه  
لانا أكبر منه سنا وأشد قوة وأكثر منفعة وغاب عنهم المقصود الاعظم وهو أن  
يعقوب غايه الصلاة والسلام ما فضل يوسف وأخاه على سائر الاخوة الا في المحبة  
لخصه ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها ويحتمل أن يعقوب انما خص يوسف  
بمزيد المحبة والشفقة لان أمه ماتت وهو صغير أولانه رأى فيه من آيات الرشد  
والعجوبة ما لم يره في سائر اخوته فان قلت الذي فعله اخوة يوسف بسوسف هو  
محض الحسد والحسد من أمهات الكبائر وكذلك نسبة أبيهم الى الضلال هو محض  
لعقوق وهو من الكبائر أيضا وكل ذلك قاذح في عصمة الانبياء فإ الجواب عنه قلت  
هذه الافعال انما صدرت من اخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر في عصمة  
الانبياء هو وقت حصول النبوة لا قبلها وقيل كانوا وقت هذه الافعال مرافقين غير  
بالعين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ فلي هذا لم تكن هذه الافعال قاذحة في عصمة  
الانبياء ﴿ قوله تعالى حكيات عن اخوة يوسف ﴾ اقلوا يوسف أوطرحوه أرضا

في ضلال ميين) في خطأ بين في حب يوسف واختاره عليه السلام قال بعضهم له نن (اقلوا يوسف أوطرحوه أرضا) في حب

معنى تنكيرها واخلاؤها عن الوصف ولهذا الابهام نصبت نصب الظروف المبهمة (يخل لكم وجه) أيكم يقبل عليكم اقبالا واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم { الجزء الثاني عشر } والمراد ٣٨٢ سلامة محبتهم من يشاركم فيها

فكان ذكر الوجه تصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه وجاز ان يراد بالوجه الذات كما قال وبقى وجه ربك (وتكونوا) مجزوم عطفا على يخل لكم (من بعده) من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل أو التغيرب أو من بعد قتله أو طرحه فيرجع الضمير الى مصدر اقبلوا أو طرحوا (قوما صالحين) تائبين الى الله ما جنيت عليه ويصلح حالكم عند أيكم (قال قائل منهم) هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا (لا تقتلوا يوسف) فانه القتل عظيم (والقوة في غيايت الحب) في قعر البئر وما غاب منه عن عين الناظر غيايات وكذا ما بعده مدني

(يخل لكم وجه أيكم) يقول يقبل عليكم أبوك بوجهه (وتكونوا من بعده) من بعده قتله (قوما صالحين) تائبين من قتله ويقال صلحت حالكم مع أيكم (قال قائل منهم) من اخوة يوسف وهو يهوذا

منكورة بيعة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة (يخل لكم وجه أيكم) جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه أيكم فيقبل بكميته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد (وتكونوا) جزم بالمعطف على يخل أو نصب باخماران (من بعده) من بعد يوسف والفرغ من أمره أو قتله أو طرحه (قوما صالحين) تائبين الى الله تعالى عما جنيتكم أو صالحين مع أيكم يصلح ما بينكم وبينه بمنزلة تهمدونه أو صالحين في امر دنياكم فانه ينظم لكم بعده بخلو وجهه أيكم (قال قائل منهم) يعني يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وقيل روبيل (لا تقتلوا يوسف) فان القتل عظيم (والقوة في غيايت الحب) في قعره سمي به لقيوبته عن عين الناظرين وقرا ناع في غيايات في الموضعين على الجمع كأنه تلك الحب غيايات وقري

يخل لكم وجه أيكم لما قوى الحسد وبلغ النهاية قال اخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تباعد يوسف عن أبيه وذلك لا يحصل الا باحد طريقين اما القتل سرية واحدة أو التغيرب الى الارض يحصل اليأس من اجتماعه بابيه بأن تقتصره الاسد والسباع أو يموت في تلك الارض البعيدة ثم ذكروا الملة في ذلك وهي قوله يخل لكم وجه أيكم والمعنى انه قد شغله حب يوسف عنكم فاذا فعلتم ذلك بيوسف أقبل يعقوب بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم (وتكونوا من بعده) يعني من بعد قتل يوسف أو إبعاده عن أبيه (قوما صالحين) يعني تائبين فنوبوا الى الله بمعصيتكم فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذي عزموا عليه من الذنوب الكبائر قالوا توب الى الله من هذا الفعل وتكون من الصالحين في المستقبل وقال مقاتل منناه يصلح لكم أمركم فيما بينكم وبين أيكم فان قلت كيف يليق أن تصدر هذه منهم وهم أنبياء قلت الجواب ما تقدم انهم لم يكونوا أنبياء في ذلك الوقت حتى تكون هذه الافعال قادمة في عصمة الانبياء وانما أقدموا على هذه الافعال قبل النبوة وقيل ان الذي أشار بقتل يوسف كان أجنيا شاوروه في ذلك فأشار عليهم بقتله (قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف) يعني قال قائل من اخوة يوسف وهو يهوذا وقال قتادة هو روبيل وهو ابن خالته وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا فيه فنهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح ان قائل هذه المقالة هو يهوذا لانه كان أقربهم اليه سنا (والقوة في غيايت الحب) يعني القوة في أسفل الحب وظلمته والقيامة كل موضع ستر شيئا وغيبه عن النظر والحب البئر الكبيرة غير مطوية سمي بذلك لانه جب أي قطع ولم يطلو وأفاد ذكر القيايت مع ذكر الحب ان المشير أشار بطرحه في موضع من الحب مظلم لا يراه أحد واختلفوا في مكان ذلك الحب فقال قتادة هو بئر بيت المقدس وقال وهب هو في أرض الاردن وقال مقاتل هو في أرض الاردن على ثلاثة فرائخ من منزل يعقوب وانما عينوا ذلك الحب للعلة التي ذكروها وهي قولهم

لاخوته (لا تقتلوا يوسف والقوة) ولكن اطرحوه (في غيايت الحب) في أسفل الحب ويقال في ظلمته (يا نقطه)

( يلتقطه بعض السيارة )  
 بعض الاقوام الذين  
 يسرون في الطريق  
 ( ان كنتم فاعلين ) به شياً  
 ( قالوا يا ابا ناسك لا تأمنا  
 على يوسف وانا لله لناصون )  
 أي لم نخافنا عليه ونحن  
 نريد له الخير ونشفق عليه  
 وأرادوا بذلك لما عزموا  
 على كيد يوسف استنزاه  
 عن رأيه وعادته في حفظه  
 منهم وفيه دليل على أنه  
 أحسن منهم بما أوجب ان  
 لا يأمنهم عليه ( أرسله معنا  
 غدا نرتع ) تنسج في أكل  
 الفواكه وغيرها والرتعة  
 السعة ( ونلعب ) نخرج  
 بما يباح كالصيد والرمي  
 والركض بالياء فيهما مدني  
 وكوفي وبالنون فيهما  
 مكي وشامي وأبو عمرو  
 وبكسر العين جهازي من  
 ارتعى برتعى افعال من الرعي

( يلتقطه ) يرفعه  
 ( بعض السيارة ) ماري  
 الطريق من المسافرين  
 ( ان كنتم فاعلين ) به أسرائهم  
 جاؤا الى أبيهم ( قالوا )  
 لايبهم ( يا ابا ناسك لا تأمنا  
 على يوسف وانا لله لناصون )  
 حافظون ( أرسله معنا غدا  
 يرتع ) يذهب ويحيى  
 وينشط ( ونلعب ) يلهو

غنية وغيابات بالتشديد ﴿ يلتقطه ﴾ يأخذه ﴿ بعض السيارة ﴾ بعض الذين يسرون  
 في الارض ﴿ ان كنتم فاعلين ﴾ بمشورتى أو ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه  
 ﴿ قالوا يا ابا ناسك لا تأمنا على يوسف ﴾ لم نخافنا عليه ﴿ وانا لله لناصون ﴾ ونحن  
 نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاه عن رأيه في حفظه منهم لما تنسج من حسدهم  
 والمشهور تأمنا بالادغام باسماء وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما  
 من كلمتين ونمنا بكسر التاء ﴿ أرسله معنا غدا ﴾ الى الصحراء ﴿ نرتع ﴾ تنسج في أكل الفواكه  
 ونحوها من الرتعة وهي الحصب ﴿ ونلعب ﴾ بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر  
 العين على أنه من ارتعى يرتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي ياسبه وقرأ الكوفيون ويعقوب  
 بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر

﴿ يلتقطه بعض السيارة ﴾ وذلك ان هذا الجلب كان معروفاً رده عليه كثير من المسافرين والاتقاط  
 أخذ الشيء من الطريق أو من حيث لا يحتسب ومنه اللقطة بعض السيارة يأخذه بعض  
 المسافرين فيذهب به الى ناحية أخرى فتستريحون منه ﴿ ان كنتم فاعلين ﴾ فيه اشارة الى ترك  
 الفعل فكأنه قال لا تفعلوا شيئاً من ذلك وان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدران  
 كنتم فاعلين ذلك قال البغوي كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا أنبياء الابعده وقيل لم  
 يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل أنهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا  
 يا ابا ناسك استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين والصغير لاذنبه قال محمد بن اسحق استقل  
 فلهم هذا على جرائم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير  
 الذي لاذنبه والقدر بالامانة وترك العهد والكذب مع أبيهم وعفا الله عن ذلك  
 كله حتى لا يأس أحد من رحمة الله تعالى وقال بعض أهل العلم عزموا على قتله  
 وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعاً وكل ذلك كان قبل ان نبأهم  
 الله فلا أجروا على التفريق بين يوسف وبين والده بصرب من الحيل ﴿ قالوا ﴾  
 يعنى قال اخوة يوسف يعقوب ﴿ يا ابا ناسك لا تأمنا على يوسف ﴾ بدؤا بالانكار  
 عليه في ترك ارسال يوسف معهم كأنهم قالوا أنخافنا عليه اذا أرسلته معنا ﴿ وانا لله  
 لناصون ﴾ المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة وقيل البر والعطف والمعنى وانا  
 لما طفون عليه قائمون بمصلحته وبحفظه وقال مقاتل في الكلام تقديم وتأخير وذلك  
 انهم قالوا لايبهم أرسله معنا فقال يعقوب انى لي عزتى ان تذهبوا به فحينئذ قالوا مالك  
 لا تأمنا على يوسف وانا لله لناصون ثم قال ﴿ أرسله معنا غدا ﴾ يعنى الى الصحراء  
 ﴿ نرتع ﴾ الرتع هو الاتساع في الملاذيق قال رتبع فلان في ماله اذا انفقته في شهواته والاصل في الرتع  
 أكل البهائم في الحصب زمن الربيع ويستعار للانسان اذا أريد به الاكل الكثير  
 ﴿ ونلعب ﴾ اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان اذا كان فعله غير قاصده  
 مقصداً صحيحاً سئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا  
 يومئذ أنبياء ويحتمل أن يكون المراد بالامامها الاقضاء على المباحات لاجل انشراح

(واناله لحافظون) من ان يناله مكروه (قال اني ليحزني ان تذهبوا به) أي يحزني ذهابكم به واللام لام الابتداء (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه) { الجزء الثاني عشر } غافلون) اعتذر ٣٨٤ - اليه بان ذهابكم به عما يحزنه لا

العين ويلب بالرفع على الابتداء (واناله لحافظون) ان يناله مكروه (قال اني ليحزني ان تذهبوا به) لشدة مفارقتة على وقلة صبري عنه (وأخاف ان يأكله الذئب) لان الارض كانت مذابة وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همز ما على الاصل ابن كثير ونافع في رواية قالون وابو عمرو ووقفا وعاصم وابن عاصم ودرجا ووقفا وجزرة درجا واشتقاق من تنأيت ارجع اذا هبت من كل جهة (وانتم عنه غافلون) لا تشغالكم بالترحم واللعب أو لقلة اهتمامكم بحفظه (قالوا ان يأكله الذئب ونحن عصبة) اللام موطئة للقسم وجوابه (انا اذا لحاسرون) ضعفاء منه ونون أو مستحقون لان يدعى عليهم بالحسار والواو في ونحن عصبة للحال (فلما ذهبوا به واجموا ان يحملوه في غيابة الجب) وعزموا على ألقائه فيها والبئر بئر بيت المقدس أو بئر بارض الاردن أو بين مصر ومدين أو على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم

الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه هلا بكم بالاعبا وتلاعبك وأيضا فان لمهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من المحاربة والاقدام على الاقران في الحرب بدليل قوله نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورة اللعب وقيل معنى نزع وتلب وتنعم وتأكل وتلهو وتنشط (واناله لحافظون) يعني نجته في حفظه غاية الاجتهاد حتى نرده اليك سالما (قال) يعني قال لهم يعقوب عليه الصلاة والسلام (اني ليحزني ان تذهبوا به) أي ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب ومعنى الآية أنه لما طلبوا منه أن يرسل معهم يوسف عليه الصلاة والسلام اعتذر يعقوب عليه الصلاة والسلام بذكرين احدهما ان ذهابكم به ومفارقتة اياه يحزنه لانه كان لا يقدر ان يصبر عنه ساعة والثاني قوله (وأخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) يعني اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم وذلك ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان رأى في المنام ان ذبا شد على يوسف عليه الصلاة والسلام فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذئب في أرضهم كثيرة (قالوا) يعني قال اخوة يوسف عجيبين ليعقوب (ان يأكله الذئب ونحن عصبة) أي جماعة عشرة رجال (انا اذا لحاسرون) يعني عجزه ضعفاء وقيل انهم خافوا ان يدعوا عليهم يعقوب بالحسار والبوار وقيل معناه انا اذا لم تقدر على حفظ اخنأ فكيف تقدر على حفظ مواشينا فمن اذا خسروا (قوله عز وجل) فلما ذهبوا به فيه اضممار واختصار تقديره فارسله معهم فلما ذهبوا به (واجموا أن يحملوه في غيابة الجب) يعني وعزموا على أن يلقوه في غيابة الجب

ذكر قصة ذهابهم يوسف عليه الصلاة والسلام

قال وهب وغيره من أهل السير والاخبار ان اخوة يوسف قالوا له أما تشتاق ان ا

كان لا يصبر عنه ساعة وانده يخاف عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم (قالوا ان يأكله الذئب) اللام موطئة للقسم والقسم محذوف تقديره والله ان يأكله الذئب والواو في (ونحن عصبة) أي فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع للحال (انا اذا لحاسرون) جواب للقسم مجزئ من جزاء الشرط أي ان لم تقدر على حفظ بعضنا فقد هلك مواشينا اذا وخسرنا ما اوجابوا عن عذر الثاني دون الاول لان ذلك كان يفيظهم (فلما ذهبوا به واجموا أن يحملوه في غيابة الجب) أي عزموا على ألقائه في البئر وهي بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف تقديره فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى

(واناله لحافظون) مشفقون (قال) أي وهم (اني ليحزني ان تذهبوا به) بلا أراه (وأخاف ان يأكله الذئب) لانه رأى في منامه ان ذبا يشد عليه فمن ذلك قال وأخاف ان يأكله الذئب (وانتم عنه غافلون) باللعب ونفال مغفلون مما هم (بالا)

لايهم (ان يأكله الذئب ونحن عصبة) عشرة (انا اذا لحاسرون) انا اجزون ويقال مغفون بترك حرمته (خرج) الوالد والاخ (فلما ذهبوا به) بعدما أذن لهم ذهابه (واجموا أن يحملوه) يقول اجتمعوا على ان يطرحوه (في غيابة الجب)

لما برزوا به الى الصعراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما اهدتوني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا على قصي انوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيهما ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه

تخرج معنا الى مواشينا فنصيد ولستبق قال بلى قالوا له اسئل اباك ان يرسلك معنا قال يوسف افعلا فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا اباانا ان يوسف قد احب ان يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ماتقول يا بني قال نعم يا ابي انى ارى من اخوتي اللين واللطيف فاحب ان تأذنلى وكان يعقوب يكره مفارقتهم ويحب مرصاته فاذنه له وارسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما يبدوا عنه وصاروا الى الصعراء القوه على الارض واظهروا له ما فى أنفسهم من العداوة واغلظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعل كلما جاء الى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عزموا عليه من قتله جعل ينادى يا ابناءه يا يعقوب لو رايت يوسف ومائزله من اخوته لاحزنك ذلك وابكاك يا ابناءه . الاسرع مانسوا عهدك وصنعوا وصيتك وجعل يبكي بكاء شديدا فاخذوه روبيل وجعله به الارض ثم جثم على صدره واراد قتله فقال له يوسف مهلا يا اخي لا تقتلنى فقال له يا ابن راحيل انت صاحب الاحلام قل لرؤياك تخلصك من ايدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف يهوذا وقال له ائق الله فى وحل بينى وبين من يريد قتلى فادركته رجة الاخوة ورق له فقال يهوذا يا اخوتى ما على هذا اهدتوني الا ادلكم على ما هو اهن لكم وارقب به فقالوا وما هو قال تلقونه فى هذا الجب اما ان يموت او يلقطه بعض السيارة فانطلقوا به الى بئر هناك على غير الطريق واسع الاسفل منق الرأس فجعلوا يدلونه فى البئر فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قصي لاستتربه فى الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتونسك فقال انى لم ارشأ القوه فيها ثم قال لهم يا اخوتاه ائدعوني فيها فريدا وحيدا وقيل جعلوه فى دلو ثم أرسلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه ارادة ان يموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت فى البئر فقام عليها وقيل نزل عليه ملك فجعل يديه وأخرج له صخرة من البئر فاجلسه عليها وقيل انهم لما القوه فى الجب جعل يبكي فنادوه فظن انها رجة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه بصخرة ليقتلوه ففهمهم يهوذا من ذلك وقيل ان يعقوب لما بشه مع اخوته اخرج له قصص ابراهيم الذى كساه الله اياه من الجنة حين اتى فى النار فجعله يعقوب فى قبة فصة وجعلها فى عنق يوسف قال له الملك اياه حين اتى فى الجب فاضاعله الجب وقال الحسن لما اتى يوسف فى الجب عذب ماؤه فكان يكفيه عن الطعام والشراب ودخل عليه حبريل فانس به

انهم لما برزوا به الى البرية  
أظهروا له العداوة وضربوه  
وكادوا يقتلونه ففهمهم يهوذا  
فلما أرادوا القاه فى الجب  
تعلق بشفيرها فربطوا يديه  
فتعلق بجائط البئر فربطوا  
يديده ونزعوا قميصه ليلطخوه  
بالدم ففهمهم يهوذا على ابيهم  
وادلوه فى البئر وكان فيها  
ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة  
فقام عليها وهو يبكي وكان  
يهوذا يأتيه بالطعام ويروى  
ان ابراهيم عليه السلام حين  
اتى فى النار جرد عن ثيابه  
فاتاه حبريل عليه السلام  
بقميص من حرير الجنة  
فالبسه اياه فدفعه ابراهيم  
الى اسحق واسحق الى يعقوب  
فجعل يعقوب فى قبة  
علقها فى عنق يوسف  
فاخرج حبريل وألبسه اياه  
فى أسفل الجب

جبرائيل عليه السلام بالوحي كما قال ﴿واوحينا اليه﴾ وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحى اليه في صغره كما اوحى الى يحيى وعيسى عليهم السلام وفي القصص ان ابراهيم عليه السلام حين اتى في التارجرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بشيعة من حرير الجنة فالبسها عليه فندسه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فلبسه في ثيعة طقها يوسف فاخرجه جبريل عليه السلام والبسها به ﴿لتنبتهم باسره﴾ هذا ﴿لتنبتهم باسره﴾ لا يخرجون ﴿وهم لا يشعرون﴾ انك يوسف املو شاك وبعدة عن اوهامهم وطول العهد المتغير للسل والهيات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه مختارين ففرهم وهم له منكرون بشره بما يقول اليه امره ايناساله وتطيبها لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل

فلما امسى نهض جبريل ليذهب فقال له انك اذا خرجت استوحشت فقال له اذارهبت شيئا فقل يا صرخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين قدرى مكانى وتسلم حالى ولا يخفى عليك شيء من امرى فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس في الحب وقال محمد بن مسلم الطائي لما اتى يوسف في الحب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غاليا غير مغلوب اجعل لي فرجا مما انا فيه فاباات فيه واختلقوا في قدر عمر يوسف يوم اتى في الحب فقال الضحاك ست سنين وقال الحسن اثنا عشرة سنة وقال ابن السائب سبع عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة وقيل مكث في الحب ثلاثة ايام وكان اخوته يرعون حوله وكان يهودا ياتي به بالطعام فذلك قوله تعالى ﴿واوحينا اليه لتنبتهم باسره﴾ يعني لتغبرن اخوتك قال اكثر المفسرين ان الله اوحى اليه وحيا حقيقة فبعث اليه جبريل يؤنسه ويشهره بالخروج ويخبره انه سينبتهم بما فعلوا ويجازيهم عليه هذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون بهذا القول اختلقوا هل كان بالغافي ذلك الوقت او كان صغيرا فقال بعضهم انه كان بالغافا وكان عمره خمس عشرة سنة وقال آخرون بل كان صغيرا الا ان الله عز وجل اكمل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول الوحي والنبوة كما قال في حق عيسى عليه الصلاة والسلام فان قلت كيف جعله نبيا في ذلك الوقت ولم يكن أحد يبلغه رسالة ربه لان فائدة النبوة والرسالة تبليغها الى من ارسل اليه قلت لا يمتنع ان الله يشرفه بالوحي ويكرمه بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وفائدة ذلك تطيب قلبه وازالة الهم والغم والوحشة عنه ثم بعد ذلك يأمره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل ان المراد من قوله واوحينا اليه وحى الهام كما في قوله تعالى واوحى ربك الى النحل واوحينا الى ام موسى والقول الاول اولى وقوله تعالى ﴿وهم لا يشعرون﴾ يعني بايحاشا اليك وانت في البئر بانك تخبرهم بصنيعهم هذا والفائدة في اخفاء ذلك الوحي عنهم انهم اذا عرفوه قريبا زاد حسدهم له وقيل ان الله تعالى اوحى الى يوسف لتغبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بانك انت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام وانه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصبر

(واوحينا اليه) قيل اوحى اليه في الصغر كما اوحى الى يحيى وعيسى عليهما السلام وقيل كان اذذاك مدركا (تنبتهم باسره هذا) أي لتغبرن اخوتك بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) انك يوسف املو شاك وكبرياء سلطانك وذلك انهم حين دخلوا عليه مختارين ففرهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم قرءه فظن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم أخ من أسكم يقال له يوسف وانكم ألقيتوه في بئارة الحب وقتل لايه أكله الذئب وبعثوه بمن بنحس أو يتلق وهم لا يشعرون بأوحينا أي آتساء بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك

(واوحينا اليه) الى يوسف أرسلنا اليه جبريل ويقال الهمة (تنبتهم) لتغبرنهم يا يوسف (باسره) بصنيعهم (هذا) بك (وهم لا يشعرون) وهم لا يعلمون انك يوسف حتى يخبرهم ويقال لا يعلمون بوحينا الى يوسف

(وجاؤا أباهم عشاء) للاستتار والتعسر على الاعتذار (يكون) حال عن الاعشى لا تصدق باكية بعد أخوة يوسف فلا سمع صوتهم فزع وقال مالكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فإلحكم وأين يوسف (قالوا يا أبانا أذهبنا لتبتق) أي تتسابق في العدو أو في الرمي والافتعال ﴿٣٨٧﴾ والتفاعل يشتركان (سورة يوسف) كالارتقاء والتراخي وغير

ذلك (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) ولو كنا صدق من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سي الظن بنا غير واثق بقولنا (وجاؤا على قيصه بدم كذب) ذي كذب ووصف بالمصدر مباقة كأنه نفس الكذب ومينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته روى أنهم ذبحوا سخلة ولطخوا القميص بدمها وزل عنهم أن يعزوه وروى أن يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كالיום ذنباً أحلم من هذا أكل أخى ولم يعزق عليه قيصه وقيل كان في قيص يوسف ثلاث آيات كان دليلاً يعقوب على

ياوحنا أي أنسأه بالوحى وهم لا يشعرون ذلك (وجاؤا أباهم عشاء) أي آخر النهار وقرى عشا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع أعشى أي عشا ومن البكاء (يكون) متباكين روى أنه لما سمع بكاءهم فزع وقال مالكم يا بني وأين يوسف (قالوا يا أبانا أذهبنا لتبتق) تتسابق في العدو أو في الرمي وقد يشتركان الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف (وجاؤا على قيصه بدم كذب) أي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر للباقة وقرى بالنصب على الحال من الواو أي جاؤا كاذبين وكذب بالبال غير المجعولة أي كدراً وطرى وقيل أصله اليأس الخارج على غفارة الأحداث فتشبه بدم الدم اللاصق على القميص وعلى قيصه في موضع النصب على الطرف أي فوق قيصه أو على الحال من الدم أن جوز تقديمها على المجرور

مستولياً عليهم ويصيرون تحت أسرهم وقهره • قوله تعالى (وجاؤا أباهم عشاء يكون) قال المفسرون لما طرخوا يوسف في الجب رجوا إلى أبيهم وقت العشاء ليكونوا في الظلمة اجتراء على الاعتذار بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون وبصرخون فسمع أصواتهم فزع من ذلك وخرج إليهم فلما رآهم قال بالله سألتكم يا بني هل أصابكم شيء في غنمكم قالوا لا قال فإلحكم وأين يوسف (قالوا يا أبانا أذهبنا لتبتق) قال ابن عباس يعني نتفضل وقال الزجاج يسابق بعضنا بعضاً في الرمي والأصل في السبق الرمي بالسهم وهو التناضل أيضاً وسمى المترايمان بذلك يقال تسابقا واستبقا إذا فعلا ذلك ليتبين أيهما أبعد سهماً وقال السدي يعني نشدد ونعدو والمخى نستبق على الإقدام ليتبين أيهما أسرع عدوا وأخف حركة وقال مقاتل نتصيد والمخى نستبق إلى الصيد (وتركنا يوسف عند متاعنا) يعني عند ثيابنا (فأكله الذئب) يعني في حال استبقائنا وغفلتنا عنه (وما أنت بمؤمن لنا) يعني وما أنت بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) يعني في قولنا والمخى أنا وإن كنا صادقين لكنك لا تصدق لنا قولاً لشدة محبتك ليوسف فأنك تهمنى في قولنا هذا وقيل مضاء أنا وإن كنا صادقين فأنك لم تصدقنا لأنهم تظهر عندك أمانة تدل على صدقنا (وجاؤا على قيصه) يعني قيص يوسف (بدم كذب) أي مكذوب فيه قال ابن عباس أنهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمه على قيص يوسف ثم جاؤا أباهم وفي القصة أنهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب لهم كيف أكله الذئب ولم يشق قيصه فاتهم بذلك وقيل أنهم أتوه بذئب وقالوا هذا أكله فقال يعقوب أيها الذئب أنت أكلت ولدى وثمره فزادى فأطلقه الله

كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلاً على براعة يوسف حين قدم من دبره وعمل على قيصه النصب على الطرف كأنه

(وجاؤا أباهم) إلى أبيهم (عشاء) بعد الظهر (يكون) على يوسف (قالوا يا أبانا أذهبنا لتبتق) نتفضل ونصطاد (وتركنا يوسف عند متاعنا) ليحفظه (فأكله الذئب) كما قلت (وما أنت بمؤمن) بمصدق (لنا ولو كنا) وإن كنا (صادقين) في قولنا (وجاؤا على قيصه) لطخوا على قيصه (بدم كذب) دم جدى ويقال طرى



قيل وجاءوا فوق قيصه يدم (قال) يعقوب عليه السلام (ل سوات) زينت أوسهات (أكم أنفسكم أسرا) عظيما ارتكبتمو (فصبر جيل) خبر أو مبتدا لكونه موصوفا أي قاصري صبر جيل أو فصبر جيل أجل وهو مالا شكوى فيه إلى الخلق (والله المستعان) أي أستعينه (على) احتمال (ما تصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزق فيه (وجاءت سيارة) رقة تصير من قبل مدين إلى مصر وذلك (الجزء الثاني عشر) بعد ثلاثة ٣٨٨ أيام من ألقاه يوسف في الجب فأخطأ

الطريق فقتلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران وكان ماؤه ملحا فغذب حين ألقى فيه يوسف (فارسلوا واردهم) هو الذي يرده الماء ليستقي للقوم اسمه مالك بن ذعر الخزاعي (فأدلى دلوه) أرسل الدلو ليلبأها

ان قرأت بالهدال (قال بل سولت) زينت لكم أنفسكم أسرا (في هلاك يوسف ففسلم) فصبر جيل (فصل صبر جيل بلا جزع) والله المستعان (منه أستعين على ما تصفون) على صري على ما تقولون من هلاكه ولم يصدقهم في قولهم لانهم قالوا امرأة أخرى قبل هذا قتله اللصوص (وجاءت سيارة) قافلة من المسافرين من قبل مدين يريدون مصر فقصروا في الطريق فأخطأ الطريق فمجلوا يسمون في الأرض حتى وقوا في الأرض التي فيها الجب وهي أرض دوش بين مدين ومصر فقتلوا

روى انما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قيصه فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه يدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذنبا احلم من هذا اكل ابني ولم عزق عليه قيصه ولذلك (قال بل سولت لكم أنفسكم أسرا) أي سهلت لكم أنفسكم وهونت في أعينكم أسرا عظيما من السؤل وهو الاسترخاء (فصبر جيل) أي قاصري صبر جيل أو فصبر جيل أجل (وفي الحديث الصبر الجليل الذي لا شكوى فيه أي إلى الخلق) والله المستعان على ما تصفون (على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنابهم ان صبح (وجاءت سيارة) رقة يسرون من مدين إلى مصر فقتلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاثة أيام من ألقاه فيه (فارسلوا واردهم) الذي يرده الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي (فأدلى دلوه) فأرسلها في الجب ليلبأها فاقادلى بها يوسف فلما رآه

عز وجل وقل والله ما أكلته ولا رأيت ولدك قط ولا يحمل لنا أن نأكل لحوم الانبياء فقال يعقوب مكيف وقمت بأرض كنعان فقال جئت لصلة الرحم وهي قرابة لي فأخذوني وأتوا بي إليك فأطلقه يعقوب ولما ذكر أخوة يوسف ليعقوب هذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملعون بالدم (قال) يعقوب (بل سولت لكم أنفسكم أسرا) يعني بل زينت لكم أنفسكم أسرا وأصل التسويل تقدير معنى في النفس مع الطمع والطمع وقال صاحب الكشف سولت سهلت من السؤل وهو الاسترخاء أي سهلت لكم أنفسكم أسرا عظيم ارتكبتموه من يوسف وهو تقوه في أنفسكم وأعيتكم فلي هذا يكون معنى قوله بل ردا لقولهم فأكله الذئب كأنه قال ليس الأمر كما تقولون أكله الذئب بل سولت لكم أنفسكم أسرا آخر غير ما تصفون (فصبر جيل) أي فثنائي صبر جيل وقيل معناه فصبري صبر جيل والصبر الجليل الذي لا شكوى فيه ولا جزع وقيل من الصبر ان لا تحدث بمصيتك ولا تزكين نفسك (والله المستعان على ما تصفون) يعني من القول الكذب وقيل معناه والله المستعان على حل ما تصفون (قوله عز وجل) (وجاءت سيارة) وهم القوم المسافرون سوا سيارة لمسبرهم في الأرض وكانوا رقة من مدين يريدون مصر فأخطأ الطريق فمجلوا قريبا من الجب الذي كان فيه يوسف وكان في قفرة بعيدة من العمارة تردم الرعاة والمارة وكان ماؤه ملحا فلما ألقى يوسف فيه عذب فلما نزلوا أرسلوا رجلا من أهل مدين يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء بذلك قوله عز وجل (فارسلوا واردهم) فأدلى دلوه (قال والوارد الذي هو يتقدم الرفقة إلى الماء فيبقي) الارشية والدلاء قال أدليت الدلو اذا أرسلتها في البئر ودلوها اذا أخرجهما قل فتعلق يوسف عليه الصلاة والسلام بالحبال

عليه (فارسلوا واردهم) فأرسل كل قوم طالب الماء وهو سافهم فوافق جب يوسف مالك بن ذعر (وكان) رجل من العرب من أهل مدين ابن أخي شبيب النثي عليه السلام (فأدلى دلوه) فأرخصي دلوه في جب يوسف فتعلق يوسف فلم يقدر على نزعه من البئر فنظر فيه قرأ أي غلاما قد تعاق بالدلو فادى أصحابه

فتشبت يوسف بالدلو فتزوه ( قال ﴿ ٣٨٩ ﴾ يا بشرى ) { سورة يوسف } كوفي نادى البشرى كأنه

يقول تعالى فهذا أوانك  
غيرهم بشرى على اضافتها  
الى نفسه أو هو اسم غلامه  
فتاداه مضافا الى نفسه  
( هذا غلام ) قيل ذهب به  
فلما دنا من أصحابه صاح  
بذلك بشرهم به ( وأسروه )  
الضمير للوارد وأصحابه  
أخفوه من الرقة وأخوة  
يوسف فأنهم قالوا للرقة هذا  
غلام لنا قدامنا فاشتروه  
مناوسكت يوسف مخافة أن  
يقاتلوه ( بضاعة ) حال أى  
أخفوه ١٢ التجارة والبضاعة  
ما يبيع من المال للتجارة  
أى قمع ( والله عليم بما  
يسمرون ) بما يعمل أخوة  
يوسف أيهم وأخهم من  
بعضهم ( وشروه )  
وباعوه

( قال يا بشرى ) هذا بشرى  
يا أصحابي قالوا ما ذلك يا مالك  
قال ( هذا غلام ) أحسن  
ما يكون من الغلمان فاجتمعوا  
عليه فأخرجوه من الحب  
( وأسروه بضاعة ) وكنموه  
من القوم وقالوا لقومهم  
هذه بضاعة استبضعها أهل  
الماء لنبيهم لهم عصر ( والله  
عليم بما يعملون ) بيوسف  
يعنى أخوة يوسف ويقال  
أهل القافلة ( وشروه )  
باعوه أخوته من مالك بن

﴿ قال يا بشرى هذا غلام ﴾ نادى البشرى بشارته لنفسه أو لقومه كأنه قال تعالى فهذا  
أوانك وقيل هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على إخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشرى بالاضافة  
ه وقرأ يا بشرى بالادغام وهو لغة وبشرى بالسكون على قصد الوقف ﴿ وأسروه ﴾ أى  
الوارد وأصحابه من سائر الرقة وقيل أخفوا أسرهم وقالوا لهم دفعه إلينا أهل الماء لنبيهم  
بعصر وقيل الضمير لأخوة يوسف وذلك أن يهوذا كان يأتى بالطعام كل يوم فأتاه يومئذ  
فلم يجد فيه فآخبر أخوته فأتوا الرقة وقالوا هذا غلامنا بقى منا فاشتروه فسكت يوسف  
مخافة أن يقتلوه ﴿ بضاعة ﴾ تصب على الحال أى أخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع  
فأنه ما يبيع من المال للتجارة ﴿ والله عليم بما يعملون ﴾ لم يخف عليه أسرهم أو صنيع  
أخوة يوسف بأيهم وأخيم ﴿ وشروه ﴾ وباعوه وفى مرجع الضمير الوجهان واشتروه

وكان يوسف عليه السلام أحسن ما يكون من الغلمان وذكر البغوى يستند متصل انتهى  
صلى الله عليه وسلم قال أعطى يوسف شطرا لحسن ويقال أنه ورث ذلك الجمال من جدته  
سارة وكانت قد أعطيت سدس الحسن قال محمد بن اسحق ذهب يوسف وأمة بثنى  
الحسن وحكى الثعلبى عن كتب الاخبار قال كان يوسف حسن الوجه جندا لشرع ضخم  
العينين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والمضدين والساقين أخيمس البطن  
صغير السرة وكان إذا بسم رأيت النور من ضواحه وإذا تكلم رأيت شمع النور من ثنياه ولا  
يستطيع أحد وصفه وكان حسه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه الصلاة والسلام  
يوم خلقه الله وصورته قبل أن يصيب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف ورآه مالك بن ذعر  
كاحسن ما يكون من الغلمان ﴿ قال ﴾ يعنى الوارد وهو مالك بن ذعر ﴿ يا بشرى ﴾  
يعنى يقول الوارد لأصحابه أبشروا ﴿ هذا غلام ﴾ وقرأ يا بشرى بغير إضافة ومناه  
أن الوارد نادى رجلا من أصحابه اسمه بشرى كما تقول يازيد ويقال أن جذرا ن البربكت  
على يوسف حين خرج منها ﴿ وأسروه بضاعة ﴾ قال مجاهد أسرهم مالك بن ذعر وأصحابه  
من التجار الذين كانوا معهم وقالوا أنه بضاعة استبضعها بعض أهل المال الى مصر  
وانما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا منهم الشركة فيه وقيل أن أخوة يوسف أسروا  
شأن يوسف يعنى أنهم أخفوا أسر يوسف وكونه أخا لهم بل قالوا هو عبدنا بقى وسدقهم  
يوسف على ذلك لأنهم توعدوه بالقتل سرا من مالك بن ذعر وأصحابه والقول الاول  
أصح لأن مالك بن ذعر هو الذى أسرهم بضاعة وأصحابه ﴿ والله عليم بما يعملون ﴾  
يعنى من ارادة اهلاك يوسف فيجعل ذلك سببا لنجاته وتحقيقا لرؤياه أن يصير ملك  
مصر بعد أن كان عبدا قال أصحاب الاخبار أن يهوذا كان يأتى يوسف بالطعام فأتاه  
فلم يجده فى الحب فآخبر أخوته بذلك فطلبوه فاذا هم بمالك بن ذعر وأصحابه نزولا  
قريبا من البئر فأتوهم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبدنا بقى منا ويقال أنهم  
هددوا يوسف حتى يكتم حاله ولا يبرفها وقال لهم مثل قولهم ثم أنهم باعوه منهم فذلك  
قوله تعالى ﴿ وشروه ﴾ أى باعوه وقد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت

القيمة نقصا ناطها أوزيف  
(دراهم) بدل من بئمن  
(معدودة) قليلة تعد عدا  
ولا توزن لأنهم كانوا يمدون  
مادون الاربعين ويزنون  
الاربين ومافوقها وكانت  
عشرين درهما ( وكانوا  
فيه من الزاهدين ) بمن  
يرهب عما في يده فيبيعه  
بالثمن الطفيف أو معنى  
وشروه واشتروه يعني  
الرقعة من اخوته وكانوا  
فيه من الزاهدين أي غير  
راغبين لأنهم اعتقدوا انه  
أبقى ويروى ان اخوته  
اتبعوه وقالوا استوثقوا  
منه لا يأتق وفيه ليس  
من صلة الزاهدين أي  
غير راغبين لان الصلة  
لا تنقد على الموصول  
وانما هو بيان كانه قيل في أي  
شيء زهدوا فقال زهدوا فيه

ذعر (بئمن بنحس) نقصان  
بالوزن ويقال زيوف ويقال  
حرام (دراهم معدودة)  
عشرين درهما ويقال  
اثنين وثلاثين درهما  
( وكانوا فيه ) في بئمن يوسف  
(من الزاهدين) لم يحتاجوا  
اليه ويقال كان اخوة يوسف  
في يوسف من الزاهدين لم  
يسرفوا قدره ومثله عند الله  
تعالى ويقال كان أهل القافلة  
في يوسف من الزاهدين

من اخوته (بئمن بنحس) مبخوس لزيف أو نقصان (دراهم) بدل من الثمن  
(معدودة) قليلة فأنهم كانوا يزنون ما يبلغ الاوقية ويمدون مادونها قليل كان عشرين  
درهما وقليل كان اثنين وعشرين درهما ( وكانوا فيه ) في يوسف (من الزاهدين) الراغبين  
عند الضمير في كانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرقعة وكانوا بائسين فزهدهم فيه لأنهم  
التقطوه والمثقل للشيء متهاون به خائف من اقتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين  
فلأنهم اعتقدوا انه أبقى وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى  
الذي فهو متعلق بمخدوف بينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول

الشيء بمعنى بئمن وانما وجب جعل هذا الشراء على البيع لان الضمير في وشروه  
وفي كانوا فيه من الزاهدين يرجع الى شيء واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه  
فباعوه وقيل ان الضمير في وشروه يعود على مالك بن ذعر وأصحابه فعلى هذا القول  
يكون لفظ الشراء على بئمن (بئمن بنحس) قال الحسن والضماك ومقاتل والسدي  
بنحس أي حرام لان بئمن الحرام ويسمى الحرام بنحسا لانه مبخوس البركة يعني  
منقوصها وقال ابن مسعود وابن عباس بنحس أي زيوف ناقصة العيار وقال قتادة  
بنحس أي ظلم والظلم نقصان الحق يقال ظلمه اذا نقصه حقه وقال عكرمة والشعبي  
بنحس أي قليل وعلى الاقوال كلها فالبنحس في اللغة هو نقص الشيء على سبيل الظلم  
والبنحس والباخس الشيء الطفيف (دراهم معدودة) فيه اشارة الى قلة تلك  
الدراهم لأنهم في ذلك الزمان ما كانوا يزنون أقل من أربعين درهما انما كانوا يأخذون  
مادونها عددا فاذا بلغت أربعين درهما وهي أوقية وزنوها واختلفوا في عدد تلك  
الدراهم فقال ابن مسعود وابن عباس وقاتدة كانت عشرين درهما فاقتسموها درهمين درهمين  
فعلى هذا القول لم يأخذ أخوه من أمه وأبيه شيئا منها وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين  
درهما فعلى هذا أخذ أخوه منها درهمين لأنهم كانوا أحد عشر أخا وقال عكرمة  
كانت أربعين درهما ( وكانوا فيه من الزاهدين ) يعني وكان اخوة يوسف في يوسف  
من الزاهدين وأصل الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يكن له فيه رغبة  
والضمير في قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان قلنا انه يرجع الى اخوة يوسف  
كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه وأرادوا إبعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن  
وان قلنا ان قوله وشروه وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين  
شروه كانوا فيه من الزاهدين كان وجه زهدهم فيه اظهار قلة الرغبة فيه ليشتره بئمن  
بنحس قليل ويحتمل أن يقال ان اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد أبق أظهر المشتري قلة الرغبة  
فيه لهذا السبب قال أصحاب الاخبار ثم ان مالك بن ذعر وأصحابه لما اشتروا يوسف  
الطلقوا به الى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يأتق منكم فذهبوا به حتى  
قدموا مصر فمر منه مالك على البيع فاشتراه قطيفر قاله ابن عباس وكان قطيفر صاحب أسر  
الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بمصر ونواحيها اسمه الريان

( وقال الذي اشتراه من مصر ) هو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزان مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد وقد آمن بيوسف ومات في حياته واشتراه العزيز بزننه ورقا وحريرا ومسكا وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ٣٩١ ثلاثين سنة وآياه { سورة يوسف } الله الحكمة والعلم وهو ابن

ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة ( لاسرائيه ) راعيل أوزليخا واللام متعلقة يقال لابسئزاء ( أكرمي مثواه ) اجعل منزله ومقامه عندنا كراعي أي حسنا مريضا بديل قوله انه ربي أحسن مثواي وعن الضحاك بطيب معاهد وابن لباسه ووطي قراشه ( عسى أن ينفعنا ) له اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسيله ( أو نخذه ولدا ) أو تبناه وتقيه مقام الولد وكان قطفير عقيما وقد تفرس فيه الرشدة قال ذلك ( وكذلك ) اشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والمطف ( مكننا لبوسف ) أي كما انجينا وعطفنا عليه العزيز كذلك مكناله ( في الارض ) أي أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بأمره ( وقال الذي اشتراه ) اشتري يوسف ( من مصر ) في مصر

وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزان مصر واسمه قطفير أو اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العملي وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى طاشار بمائة سنة بديل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء مروي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين واعطاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شرائه غير الاول قليل عشرون دينارا وزوجا لعل وثوبان ابيضان وقيل ملاء فضة وقيل ذهبا ( لاسرائيه ) راعيل أوزليخا ( أكرمي مثواه ) اجعل مقامه عندنا كراعي حسنا والمعنى احسن تمهده ( عسى أن ينفعنا ) في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا ( أو نخذه ولدا ) نقبناه وكان عقيما تفرس فيه من الرشدة ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا بئس أجره وابوبكر حين استخلف عمر رضي الله تعالى عنهما وكذلك مكننا ليوسف في الارض وكما مكننا محبته في قلب العزيز أو كما مكناه في منزله أو كما انجينا وعطفنا عليه العزيز مكنناه له فيها

ابن الوليد بن زوان وكان من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يعث حتى آمن بيوسف وآتبه على دينه ثم مات ويوسف عليه الصلاة والسلام حي قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقي قطفير مالك بن ذعرط اشتري يوسف منه بعشرين دينارا وزوج لعل وثوبان ابيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يرضونه للبيع فترام الناس في غنم حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه أربع مائة رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة أو سبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله تعالى وقال الذي اشتراه من مصر يعني قطفير من أهل مصر ( لاسرائيه ) وكان اسمها راعيل وقيل زليخا ( أكرمي مثواه ) يعني أكرمي منزله ومقامه عندك والمثوى موضع الإقامة وقيل أكرمي في الطعم والملبس والمقام ( عسى أن ينفعنا ) يعني ان أردنا بجمعه بعتاه برح أو يكفيننا بعض أمورنا ومصالحنا اذا قوى وباع ( أو نخذه ولدا ) يعني نقبناه وكان حصورا ليس له ولد قال ابن مسعود افرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لاسرائيه أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نخذه ولدا وابنة شعيب في موسى حيث قالت لا يبها استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وأبوبكر في عمر حيث استخلفه بعده وكذلك مكننا ليوسف في الارض يعني كما مكننا على يوسف ان أقدناه من القتل وأخرجناه من الجب كذلك مكنناه في الارض يعني

وهو العزيز خازن الملك وهو صاحب جنوده وكان يسمى قطفير ( لاسرائيه ) زليخا ( أكرمي مثواه ) قدره ومنزله ( عسى أن ينفعنا ) في ضيعتنا ( أو نخذه ولدا ) أو تبناه وكان اشتراه من مالك بن ذعرط بعشرين درهما وحلة ونملين ( وكذلك ) هكذا ( مكننا ليوسف ) ملكنا يوسف ( في الارض ) أرض مصر

ونبيه ( ولنعلمه من تأويل الاحاديث ) كان ذلك الانجاء والتقنين ( والله غالب على امره ) لا يمنع عاها او على امر يوسف بتبليغا ما اراد به دون ما اراد اخوته { الجزء الثاني عشر } ( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) ذلك ( ولما بلغ اقدم )

﴿ ولنعلمه من تأويل الاحاديث ﴾ عطف على مضمير تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اى كان القصد في انجائه وعكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس وليعلم معنى كتب الله واحكامه فينفذها أو تيسير المناجات المنبهة على الحوادث الكاشفة ليستعملها ويستعمل بتدبيرها قبل ان تحمل كامل بسنية ﴿ والله غالب على امره ﴾ لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء أو على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلا يكن الا ما اراده ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ان الامر كله بيده أو لطائف صنعه وخفايا لطفه ﴿ ولما بلغ اقدم ﴾ انتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدأ بلوغ الحلا ﴿ آياته حكما ﴾ أى حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكما بين الناس ﴿ وعلماء ﴾ يعنى علم تأويل الاحاديث ﴿ وكذلك نجزي المحسنين ﴾ نبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنقوان امره ﴿ وراودته التي هوى بينها عن نفسه ﴾ أى طلبت يوسف أن يواقعها والمراد مفساة من راد برود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد ﴿ وغلقت الابواب ﴾ قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير أو للمبالغة في الايثاق ﴿ وقالت هيت لك ﴾ أى اقبل وبادرا أو تهيأت والكلمة

أرض مصر فجعلناه على خزائنها ﴿ ولنعلمه من تأويل الاحاديث ﴾ أى مكانه في الارض لكي نعلمه من تأويل الاحاديث يعنى عبارة الرؤيا وتفسيرها ﴿ والله غالب على امره ﴾ قيل الكناية في امره راجعة الى الله تعالى ومعناه والله غالب على امره بفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا دافع لامره ولا راد لقضائه ولا ينليه شيء وقيل هى راجعة الى يوسف ومعناه ان الله مستول على امر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يكله الى أحد سواء حتى يبلغ متهى ما علمه فيه ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يعنى ما هو صالح بيوسف وما يريد منه ﴿ ولما بلغ اقدم ﴾ يعنى متهى شبابه وشده وقوته قال مجاهد ثلاثة وثلاثون سنة وقال الضمك عشرون سنة وقال السدي ثلاثون سنة وقال الكلبي الاشد ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الاشد فقال هو الحلم ﴿ آياته حكما وعلماء ﴾ يعنى آيتنا يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة وفقها في الدين وقيل حكما يعنى اصابة في القول وعلماء بتأويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذى يعلم الاشياء بحقائقها والحكيم هو الذى يعمل بما يوجب العلم وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لا ينبنى والعلم هو العلم النظري ﴿ وكذلك ﴾ يعنى وكما أنعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك ﴿ نجزي المحسنين ﴾ قال ابن عباس يعنى المؤمنين وعندنا ايضا المهتدين وقال الضمك يعنى الصابرين على النوائب كما صبر يوسف ﴿ وراودته التي هوى بينها عن نفسه ﴾ يعنى امرأة العزيز طلعت من يوسف الفعل القبيح ودعته الى نفسها ليواقعها ﴿ وغلقت الابواب ﴾ أى أطبقها وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في ستر وخفية وأنها أغلقتها لشدة خوفها ﴿ وقالت هيت لك ﴾ أى اقبل واقبل قال أبو عبيدة كان الكسائي

منتهى اشتداد قوته وهو ثمان عشرة سنة أو إحدى وعشرون ( آياته حكما وعلماء ) حكمة وهو العلم بالعمل واجتباب ما يحتمل فيه أرحكها بين الناس وفقها ( وكذلك نجزي المحسنين ) نبيه على انه كان حسنا في عمله متقيا في عنقوان امره ( وراودته التي هوى بينها عن نفسه ) أى طلبت يوسف أن يواقعها والمراد مفساة من راد برود اذا جاء وذهب وكان المعنى خادعته عن نفسه أى فعلت فعل الخادع لصاحبه عن الشيء الذى لا يريد أن يخرج منه من يده يحتال أن ينل به عليه وأخذ منه وهى عبارة عن التمسك لمواقته اياها ( وغلقت الابواب ) وكانت سبعة ( وقالت هيت لك ) هو اسم لتعال وأفل

( ولنعلمه من تأويل الاحاديث ) تعبير الرؤيا ( والله غالب على امره ) على مقدوره لا يرد مقدوره أحد ( ولكن أكثر الناس ) أهل مصر ( لا يعلمون ) ذلك لا يصدقون ويقال لا يعلمون أن الله غالب على امره ( ولما بلغ اقدم ) والاشد من ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة ( آياته ) أعطيناه ( حكما وعلماء ) فهم ونبوة ( وكذلك ) هكذا ( نجزي المحسنين ) بالقول والفعل بالعلم والحكمة ( يقول )

( وراودته ) طلبت ( التي هوى بينها عن نفسه ) ان تستمكن من نفسه ( وغلقت الابواب ) عليها وعلى يوسف ( وقالت ) ليوسف ( هيت لك ) اقبل وبقال تعالى انا لك ومعناه ان قرأت بتصبها لها.

وهو مبني على القمع حيث مكنى بناء على الضم هتت مدني وشاى واللام للبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هلم لك (قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذاً (أنه) أى ان الشأن والحديث (ربى) سيدى ومالكى بريد قطفير (أحسن منواى) حين قال لك أكرمى مثواه فاجزأؤه ان اخونه فى أهله (أنه لا يفلح الظالمون) ﴿٣٩٣﴾ الخائثون أو الزناة لم سور يوسف أى أو أراد بقوله انه ربى الله تعالى لانه

مسبب الاسباب (ولقد همت

به) هم عزم (وهم بها) هم

الطباع مع الامتناع قاله

الحسن وقال الشيخ أبو

المنصور ربه الله وهم بها

هم خطرة ولا صنع للعبد

فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة

عليه ولو كان همه كهمها

لما مدحه الله تعالى بانه من

عباده المخلصين وقيل هم بها

وشارف أن يهيم بها يقال هم

بالامراة اقصده وعزم عليه

وجواب (لولا أن رأى

برهان ربه) محذوف أى

لكان ما كان وقيل وهم بها

جوابه ولا يصح لان جواب

لولا لا يتقدم عليها لانه

في حكم الشرط وله صدر

الكلام والبرهان الحجة

ويجوز ان يكون وهم بها

داخلا في حكم القسم في قوله

ولقد همت به ويجوز أن يكون

خارجا ومن حق القارى

اذا قدر خروجه من حكم

القسم وجعله كلاما برأيه

أن يقف على به ويبتدى بقوله

واتاء هلم لك وان قرأت

بكسر الهاء وضم التاء

والهمز تهيات لك وان

قرأت ينصب الهاء ورفع

التاء تعال أقال (يوسف معاذ الله) (قاو خا ٥ لث) أعوذ بالله من هذا الامر (انه ربى) سيدى العزيز (أحسن منواى) قدرى

ومنزلى لا أخونه فى أهله (انه لا يفلح) لا بأبن ولا بنجو (الظالمون) الزانون من عذاب الله (وتقدمت به) المرأة (وهم بها) يوسف

(لولا ان رأى برهان ربه) عذاب ربه لازم على نفسه ويقال رأى صورة ابيه ويقال لولا ان رأى برهان ربه لهم مقدم ومؤخر

على الوجهين اسم فعل بنى على الفتح كأمين واللام للبيين كالتى فى سقيالك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهو لغة فيه وقرأ هشام كذلك الا انه يهملها وقدروى عنه ضم التاء وقرى هيت كجبر وهت كجئت من هامى اذ التاء وقرى هيت على هذا فاللام من صلتة (قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذاً (أنه) أى الشأن (ربى احسن منواى) سيدى قطفير احسن تمهدى اذ قال لك فى اكرمى مثواه فاجزأؤه ان اخونه فى أهله وقيل الضمير لله تعالى أى انه خالى واحسن منزلى بان عطى على قلبه فلا اعصيه (أنه لا يفلح الظالمون) المجاوزون الحسن بالسي وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزانى والمزنى بأهله (ولقد همت به وهم بها) قصدت محالطته وقصد محالطتها والهم بالثى قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بشئ امضاه والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختيارى وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجرا الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم ومشاركة الهم كقولك قتاته ولم اخف الله (لولا ان رأى برهان ربه) فى قبج الزنا وسوء مقبته لمخالطها

يقول هى لغة لاهل حوران رفعت الى الحجاز معناه تعال وقال عكرمة أيضا بالحورانية هلم وقال مجاهد وفيه هى لغة عربية وهى كلمة حث واقبال على الشئ وقيل هى بالبرانية وأصلها هيتا لج أى تعال فحربت فقل هيت لك فن قال انها بغير لغة العرب يقول ان العرب وافقت أصحاب هذه اللغة فتكلمت بها على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم فى القسطاس ولغة العرب الفرس فى السور ولغة العرب الترك فى النساك ولغة العرب الحبشة فى ناشئة الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لغة الهاء وقرى هتت لك بكسر الهاء مع الهمزة ومعناها تهيات لك (قال) يعنى يوسف (معاذ الله) أى أعوذ بالله وأعتصم به وألجأ اليه فيما دعوتى اليه (انه ربى) يعنى ان العزيز قطفير سيدى (أحسن منواى) أى أكرم منزلى فلا أخونه وقيل ان الهاء فى انه ربى راجعة الى الله تعالى والمعنى يقول ان الله ربى أحسن منواى يعنى انه آوانى ومن بلاه الجب نجأتى (أنه لا يفلح الظالمون) يعنى ان فعلت هذا الفعل فأنا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل معناه انه لا يسعد الزناة (قوله عز وجل) ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه (الآية هذه الآية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها فى مقامين الاول فى ذكر أقوال المفسرين فى هذه الآية قال المفسرون الهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم مصدر همت بالثى اذا أردته وحدثك نفسك به وقاربته من غير

التاء تعال أقال (يوسف معاذ الله) (قاو خا ٥ لث) أعوذ بالله من هذا الامر (انه ربى) سيدى العزيز (أحسن منواى) قدرى ومنزلى لا أخونه فى أهله (انه لا يفلح) لا بأبن ولا بنجو (الظالمون) الزانون من عذاب الله (وتقدمت به) المرأة (وهم بها) يوسف (لولا ان رأى برهان ربه) عذاب ربه لازم على نفسه ويقال رأى صورة ابيه ويقال لولا ان رأى برهان ربه لهم مقدم ومؤخر

لشبق النيلة وكثرة المبالغة ولا يجوز أن يجعلوهم بها جواباً لولا قائلها في حكم ادوات دخول فيه فعنى قوله ولقد همت به أى أرادته وقصدته فكان همتها به عزماً على المحصلة والزنا وقال الزمخشري هم بالامر اذا قصدوه وعزم عليه قال الشاعر وهو عمرو بن صابو البرجي

هممت ولم أفعل وكدت وليتقى • تركت على عثمان تبكي حالته  
وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها أى وهم بمخالطتها لولأن رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولأن رأى برهان ربه لمخالطتها قال الغوى وأما همت بها فروى عن ابن عباس أنه قال حل الهيمان وجلس منها مجلس الحائث وقال مجاهد حل سراويله وجل يمالج ثيابه وهذا قول أكثر المفسرين منهم سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهما فضرب يده إلى جيد يوسف ويده الأخرى إلى جيد المرأة حتى جع بينهما قال أبو عبيدة القاسم بن سلام وقد أنكر قوم هذا القول قال الغوى والقول ما قاله قدماء هذه الأمة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الإنبياء من غير علم قال السدي وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز سراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه إلى نفسها فقالت يا يوسف ما أحسن شرك قال هو أول ما يخطر عن جسدى قالت ما أحسن عينيك قال هى أول ما يسيل على خدى فى قبرى قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله وقيل انها قالت له ان فراش الحرير مبسوط قم فاقض حاجتى قال اذا يذهب نصيبى من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يخدم من سبق الشباب ما يحبه الرجل وهى امرأة حسنة جميلة حتى لان لها لما يرى من كلفها به فهم بها ثم ان الله تدارك عبده يوسف بالبرهان الذى ذكره وسأنى الكلام على تفسير البرهان الذى رآه يوسف عليه الصلاة والسلام فهذا ما قاله المفسرون فى هذه الآية • أما المقام الثانى فى تنزيه يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الرذيلة وبيان عصمته من هذه الخطيئة التى ينسب اليها قال بعض المحققين الهم همان فهم ثابت وهو ما كان معه عزم وقصد وعقدة رضامثل هم امرأة العزيز فالسدا مأخوذه وهم عارض وهو الخطرة فى القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير مأخوذه بالملم يتكلم أو يعمل به ويدل على صحة هذا ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فكتبوها عليه سنة واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فكتبوها له حسنة فان عملها فكتبوها له عشرة لفظه مسلم وللبخارى بمعناه (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عز وجل قال ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هم بها وعملها كتبها الله له عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسيئة ولم يعملها كتبها الله له حسنة وان هو هم بما فعلها كتبها الله عليه سيئة واحدة زاد فى رواية

وهم بها وفيه أيضاً اشعار بالفرق بين الهمين وفسرهم يوسف بأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهى مستلقية على قفاها وقصر البرهان بأنه سمع صوتاً يالهوا بها امرتين فسمع ثالثاً أعرض عنها فلم يجمع فيه حتى مثل له يقوب عاصاً على أمته وهو باطل ويدل على بطلانه قوله هى راودتني عن نفسي

الفرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل عليه السلام

أوعاها ولن يهلك على الله إلا هالك قال القاضى عياض فى كتابه الشفاء فعل مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين أن هم النفس لا يؤاخذ به وليس سيئة وذكر الحديث المتقدم فلا معصية فى هم يوسف إذا • وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فإن الهم إذا وطئت عليه النفس كان سيئة وأما ما لم توطئ عليه النفس من همومها وخوافها فهو المعفو عنه هذا هو الحق فيكون أن شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما برئ نفسى الآية أى ما أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك على طريق التواضع والاعتراف بخالفة النفس لما زكى قبل وبرئ فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف عليه الصلاة والسلام لم يهم وإن الكلام فيه تقديم وتأخير أى ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها وقال تعالى حاكيا عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله الآية وقيل فى قوله وهم بها أى بزجرها ووعظها وقيل هم بها أى همها امتاعه وقيل هم بها أى نظر إليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يعلن إلى يوسف ميل شهوة زليخا حتى نبأ الله فأتى عليه هيئة النبوة فتشلت هيته كل من رآه عن حسنه هذا آخر كلام القاضى عياض رحمه الله • وأما الامام فخر الدين فذكر فى هذا المقام كلاما طويلا مبسوطا وأنا أذكر بعضه ملخصا فأقول قال الامام فخر الدين الرازى أن يوسف عليه الصلاة والسلام كان بريئا من العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب فإن الدلائل قد دللت على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا بلغت إلى ما نقله بعض المفسرين عن الأئمة المتقدمين فإن الانبياء عليهم الصلاة والسلام متى صدرت منهم زلة أو هفوة استعظموها وأبسموها بإظهار الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن آدم عليه السلام فى قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقال فى حق داود عليه الصلاة والسلام فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب وأما يوسف عليه الصلاة والسلام فلم يحك عنه شيئا من ذلك فى هذه الواقعة لأنه لو صدر منه شيء لاتبه بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة لحكى الله ذلك عنه فى كتابه كما ذكر عن غيره من الانبياء وحيث لم يحك عنه شيئا علما ببراءته مما قيل فيه ولم يصدر عنه شيء كما نقله أصحاب الاخبار ويدل على ذلك أيضا أن كل من كان له تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عما نسب اليه وعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف والمرأة وزوجها والسوءة اللاتى قطعن أيديهن والمولود الذى شهد على القميص شهدوا ببراءته والله تعالى شهد ببراءته من الذنب أيضا أما بيان أن يوسف ادعى براءته مما نسب اليه فقوله هى راودتنى عن نفسى وقوله رب السجن أحب إلى مما يدعونى اليه وأما بيان أن المرأة اعترفت على نفسها واعترفت ببراءة

ولو كان ذلك منه أيضا لم أبرأ نفسه من ذلك وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان كذلك لم يكن السوء مصروفا عنه وقوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالقيس ولو كان كذلك لخانه بالقيس وقوله ما علمنا عليه من سوء وقوله الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وأنتم المصادقين ولأنه لو جدمه ذلك لذكرت توبته واستغفاره



وقيل مثل له يعقوب ما ضاع على أنامله وقيل قطفير وقيل نودي يابوسف أنت مكتوب في الأنبياء

يوسف ونزاعته فقولها أنا راودته عن نفسه فاستههم وقولها الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين وأما بيان أن زوج المرأة اعترف أيضا براءة يوسف فقوله أنه من كيدكن أن كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنيك أنك كنت من الخاطئين وأما شهادة المولود ببراءته فقوله وشهد شاهد من أهلها الآية وأما شهادة الله له بذلك فقوله تعالى كذلك لتصرف هذه السومة والفحشاء أنه من عبادة المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل قوله لا غوئهم أجمعين الأعبادك منهم المخلصين وبطل بهذا قول من قال إن الشيطان جرى بينهما حتى أخذ بجيده وجيد المرأة حتى جمع بينهما فانه قول منكرا لا يجوز لاحد أن يقول ذلك وأما ما روى عن ابن عباس أنه جلس منها مجلس الخائن فحاشا ابن عباس أن يقول مثل هذا عن يوسف عليه الصلاة والسلام ولعل بعض أصحاب القصص وأصحاب الأخبار ومنوه على ابن عباس وكذلك ما روى عن مجاهد وغيره أيضا فانه لا يكاد يصح بسند صحيح وبطل ذلك كله وثبت ما بيناه من براءة يوسف عليه الصلاة والسلام من هذه الرذيلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وما صدر من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فإن قلت فعل هذا التقدير لا يبقى لقوله عز وجل لولا أن رأى برهان ربه فأنته قلت فيه أعظم الفوائد وبيانه من وجهين \* أحدهما أنه تعالى أعلم يوسف أنه لوهم بدفعها لقتله فأعلمه بالبرهان أن الامتناع من ضربها أولى صوتا للنفس عن الهلاك والوجه الثاني أنه عليه الصلاة والسلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتسلقت به فكاد في ذلك أن يتمزق ثوبه من قدام وكان في علم الله أن الشاهد يشهد بأن ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن وإذا تمزق من خلف كانت هي الخائنة فأعلمه الله بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا فثبت بذلك الشاهد بقتله لأعليه \* وأما تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون في قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه فقال قادة وأكثر المفسرين أن يوسف رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو يقول له يا يوسف أتصل عمل السفهاء وأنت مكتوب من الأنبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب حاضا على أصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال السدي نودي يابوسف أتواقمها أنما مثلك مالم تواقمها مثل الطير في جوال السماء لا يطاق عليه وإن مثلك أن واقمتها كمثله إذا وقع على الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئا ومثلك مالم تواقمها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ومثلك أن واقمتها كمثله إذا مات ودخل النمل في قرنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه وقيل أنه رأى معصما بلا عضد عليه مكتوب وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فولى هاربا ثم رجع فنادى المعصم وعليه مكتوب ولا تقربوا الزنا أنه كان فاحشة وساء سبيلا فولى

كما كان لآدم ونوح وذى النون ودادود عليهم السلام وقد سماه الله مخلصا فعمل بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة أولى العزم ناظرا في دلائل التحريم حتى استحق من الله الثناء وحمل الكاف في

(كذلك) نصب أى مثل ذلك الثبوت ثبته أو رفع أى الأمر مثل ذلك (لتصرف عنه السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنا (أنه من عبادنا المخلصين) بفتح اللام حيث ﴿٣٩٧﴾ كان ﴿سورة يوسف﴾ مدنى وكوفى أى الذين

أخلصهم الله طاعته وبكسر هاء غيرهم أى الذين أخلصوا دينهم لله ومعنى من عبادنا بعض عبادنا أى هو مخلص من جملة المخلصين (واستبقا الباب) وتسابقا إلى الباب هى للطلب وهو للهرب على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا ففرها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج وأسرعته ورأه لتتمعه الخروج ووجد الباب وأن كان وجهه فى قوله وغلقت الأبواب لأنه أراد الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار ولما هرب يوسف جعل قراش القفل يتأثر ويسقط حتى خرج (وقدت قيصة من دبر) اجتذبه من خلفه فأنقذ أى انشق حين هرب منها إلى الباب وتبته تمنعه (والفيا سيد هالدى الباب)

(كذلك) هكذا (لتصرف عنه السوء) (والفحشاء) (يعنى الزنا) (أنه من عبادنا المخلصين) (المعصومين من الزنا) (واستبقا الباب) تبادر إلى الباب أراد يوسف

وتعمل عمل السفهاء ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك التثنية ثبته أو الأمر مثل ذلك ﴿لتصرف عنه السوء﴾ خيانة السيد ﴿والفحشاء﴾ الزنا ﴿أنه من عبادنا المخلصين﴾ الذين أخلصهم الله طاعته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر فى كل القرآن إذا كان فى أوله الألف واللام أى الذين أخلصوا دينهم لله ﴿واستبقا الباب﴾ أى تسابقا إلى الباب فحذف الجار أو ضمن الفعل معنى الابتداء وذلك أن يوسف فرمها ليخرج وأسرعته ورأه لتتمعه الخروج ﴿وقدت قيصة من دبر﴾ اجتذبه من وراءه فأنقذ قيصة والقد الشق طولاً والقط الشق عرضاً ﴿والفيا سيدها﴾ ومادفاً زوجها ﴿لدى الباب﴾

هاريثم عاد فرأى ذلك الكعب وعليه مكتوب واقفوا يوماً ترجعون فيه إلى الله الآية ثم عاد فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام أدرك عبدى يوسف قبل أن يصيب الخطيئة فأحبط جبريل عاصاً على أسبحة يقول يا يوسف أعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله من الأنبياء وقيل أنه مسه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله قال محمد بن كعب القرظى رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت فرأى كتاباً فى حائط فيه ولا تقربوا الزنا لأنه كان فاحشة وساء سبيلاً وفى رواية عن ابن عباس أنه رأى مثال ذلك الملك وعن علي بن الحسن قال كان فى البيت صنم فقامت المرأة إليه وسترته بثوب فقال لها يوسف عليه السلام لم فعلت هذا فقالت استحييت منه أن يرانى على معصية فقال لها يوسف استحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه شيئاً فأنما أحق أن استحي من ربى فهرب فذلك قوله ولأن رأى برهان ربه أما المحققون فقد فسروا البرهان بوجوه الأول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النوبة التى جعلها الله تعالى فى قلبه حالت بينه وبين ما يخطئ الله عز وجله الثانى البرهان حجة الله عز وجل على العبد فى تحريم الزنا والعلم بما على الزانى من العقاب الثالث أن الله عز وجل طهر نفوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الأخلاق الذميمة والأفعال الرذيلة وجعلهم على الأخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة تلك الأخلاق الطاهرة الشريفة يحكمهم من فعل ما يلقى فعله ﴿كذلك﴾ بنى كما أرشاه البرهان كذلك ﴿لتصرف عنه السوء﴾ يعنى الإثم ﴿والفحشاء﴾ يعنى الزنا وقيل السوء مقدمات الفحشاء وقيل السوء الشاء القبيح فصرف الله عنه ذلك كله وجعله من عباده المخلصين وهو قوله ﴿أنه﴾ يعنى يوسف ﴿من عبادنا المخلصين﴾ قرئ بفتح اللام ومعناه أنه من عبادنا الذين اصطفيانهم بالنبوة واختارناهم على غيرهم وقرئ بكسر اللام ومعناه أنه من عبائنا الذين أخلصوا الطاعة لله عز وجل قوله تعالى ﴿واستبقا الباب﴾ وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى البرهان قام هارباً مبادراً إلى الباب وتبته المرأة لتمسك عليه الباب حتى لا يخرج والمساوقة طلب سبق فسبق يوسف وأدركته المرأة فتعلقت بقميصه من خلفه وجذبتة إليها حتى لا يخرج فذلك قوله عز وجل ﴿وقدت قيصة من دبر﴾ يعنى شقته من خلف ففعلها يوسف فخرج وخرجت خلفه ﴿والفيا سيد هالدى الباب﴾

يخرج وأرادت المرأة تعلق الباب على يوسف فسبته المرأة (وقدت قيصة) شقت قميص يوسف بنصفين (من دبر) من الخلف من وسطه إلى قدميه (وألفيا) ووجد (سيدها) زوج المرأة ويقال ابن عمه (لدى الباب) عند الباب

وصادقا بلها قطفير مقبلا يريد أن يدخل فلما رأته حالت ثيرئة ساحتها عند زوجها من الرينة وتغوير يوسف طمعا في أن يواطئها خيفة منها ومن مكرها حيث ( قالت ماجزاء من أراد باهلك سوا إلا أن يسجن أو عذاب أليم ) مانافية أي ليس جزاؤه إلا السجن { الجزء الثاني عشر } أو عذاب أليم ﴿ ٣٩٨ ﴾ وهو الضرب بالسياط ولم تصرح بذكر يوسف وإنما راد بها سوا

قالت ماجزاء من أراد باهلك سوا إلا أن يسجن أو عذاب أليم ﴿ ايها ما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغيره على يوسف واغراه انتقاما منه وما نافية أو استفهامية بمعنى أي شئ جزاؤه إلا السجن ﴾ قال هي راودتني عن نفسي ﴿ طابقتي بالمواتة وانما قال ذلك دفعا لما عرسته له من السجن والعذاب الأليم ولولم تكذب عليه لما قاله ﴿ وشهد شاهد من أهلها ﴾ قيل ابن عم لها وقيل ابن خال لها صيا في المهد وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تكلم أربعة صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم عليه السلام وانما التي الله الشهادة على لسان أهلها ليكون ألزم لها ﴿ ان كان قيصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ﴾ لأنه يدل على انها قدت قيصه من قدامه بالدفع عن نفسها أو انه أسرع خلفها فتعثر بذيله فأتقذجيه

يعنى فلما خرجا وجدا زوج المرأة قطفير وهو العزيز عند الباب جالسا مع ابن عم المرأة فلما رأته المرأة حابته وخافت الهمه فسبقت يوسف بالقول ﴿ قالت ﴾ يعنى لزوجها ﴿ ماجزاء من أراد باهلك سوا ﴾ يعنى الفاحشة ثم خافت عليه أن يقتل وذلك لشدة حبه له فقالت ﴿ إلا أن يسجن ﴾ أي يحبس في السجن ويمنع التصرف ﴿ أو عذاب أليم ﴾ يعنى الضرب بالسياط وانما بدأت بذكر السجن دون العذاب لان الحب لا يشتى ايلام المحبوب وانما أرادت ان يسجن عندها يوما أو يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة قالهمها فلما سمع يوسف مقاتها أراد ان يبرهن عن نفسه ﴿ قال ﴾ يعنى يوسف ﴿ هي راودتني عن نفسي ﴾ يعنى طلبت منى الفحشاء قايت وفرت وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام ما كان يريد أن يذكر هذا القول ولا يترك سترها ولكن لما قالت هي ما قالت ولطخت عرضه احتاج الى ازالة هذه الهمه عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ﴿ وشهد شاهد من أهلها ﴾ يعنى وحكم حاكم من أهل المرأة واختلفوا في ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صيا في المهد فانطقه الله عز وجل وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم ذكره البغوى بغير سند والذي جاء في الصحيحين ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وابن المرأة وقصتهم خرجة في الصحيح قيل كان هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم يكن صيا ولكنه كان رجلا حكما ذارأى وقال السدى هو ابن عم المرأة فحكم فقال ﴿ ان كان قيصه قد من قبل ﴾ أي من قدام ﴿ فصدقت وهو من الكاذبين ﴾

لا أنها قصدت العموم أي كل من أراد باهلك سوا فقصه أن يسجن أو يذب لان ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف ولما عرسته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه ( قال هي راودتني عن نفسي ) ولولا ذلك لكتم عليها ولم يقضها ( وشهد شاهد من أهلها ) هو ابن عم لها وانما التي الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وقيل كان ابن خال لها وكان صيا في المهد وسمى قوله شهادة لانه أدى مؤدى الشهادة في ان ثبت بقول يوسف وبطل قولها ( ان كان قيصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين )

( قالت ) المرأة لزوجها ( ما ) جزاء من أراد باهلك سوا ( زنا ) ( إلا أن يسجن أو عذاب أليم ) أو يضرب ضربا وجيعا ( قال ) يوسف ( هي راودتني عن نفسي ) هي

دعتني وطلبت ان تستمكن من نفسي ( وشهد شاهد ) حكم حاكم ( من أهلها ) وهو أخوها ويقال ابن عمها ( وان ) ( ان كان قيصه ) قيص يوسف ( قد ) شق ( من قبل ) من قدام ( فصدقت ) المرأة ( وهو من الكاذبين )

وان كان قيصة قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) والتقدير وشهد شاهد فقال ان كان قيصة وانما دل قد قيصة من قبل على انها صادقة لانه يسرع خلفها ليطبقها فيسترق مقام قيصة فيشقه ولانه يقبل عليها وهي تدفع عن نفسها فيفترق القصيص من قبل واما تنكير قبل ودبر فمعناه من جهة يقال ﴿ ٣٩٩ ﴾ له اقبل ومن { سورة يوسف } جهة يقال لها دبر وانما

جمع بين ان القى للاستقبال وبين كان لان المعنى ان يعلم انه كان قيصة قد ( فلما رأى ) قطفير ( قيصة قد من دبر ) وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها ( قال انه ) ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءاً اوان هذا الامر وهو الاحتيال لنيل الرجال ( من كيد كن ) الخطاب لها ولامتها ( ان كيد كن عظيم ) لانهم ألطف كيدا وأعظم حيلة وبذلك يظن الرجال والقصرات منهم معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انى أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لان الله تعالى قال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال لهم ان كيد كن عظيم ( يوسف ) حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحلله ( اعرض عن هذا ) الامر واكتبه

وان كان قيصة قد شق ( من )

﴿ وان كان قيصة قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾ لانه يدل على انها تبعتها فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول أو على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الى اليوم فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمن على باحسانك امن عليك باحسانك لك السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانها مقطوعة عن الاضافة كقبيل وبدوا بالفتح كأنهما جملتين للجهتين فمنها الصرف ويسكون المين ﴿ فلما رأى قيصة قد من دبر قال انه ﴾ ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءاً اوان السوء اوان هذا الامر ﴿ من كيد كن ﴾ من حيث كن والخطاب لها ولا مثالا لها ولما اثر النساء ﴿ ان كيد كن عظيم ﴾ فان كيد النساء ألطف وأعلق بالقلب وأشد تأثيرا في النفس ولانهم يواجهون به الرجال والشيطان يوسف به مسارقة ﴿ يوسف ﴾ حذف منه حرف النداء لقربه وتقطعه للحديث ﴿ اعرض عن هذا ﴾

وان كان قيصة قد من دبر ﴿ أى من خلف ﴾ فكذبت وهو من الصادقين ﴿ وانما كان هذا الشاهد من اهل المرأة ليكون أقوى في نفي التهمة عن يوسف عليه الصلاة والسلام مع ما وجد من كثرة الامارات الدالة على صدق يوسف عليه الصلاة والسلام ونفي التهمة عنه من وجوه منها انه كان في الظاهر مملوك هذه المرأة والمملوك لا يسطر يديه الى سيدته ومنها انهم شاهدوا يوسف يمدوهاربا منها والطالب لا يهرب ومنها انهم رأوا المرأة قد تزيت باكل الوجوه فكان الحاق التهمة بها أولى ومنها انهم عرفوا يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقدامه على مثل هذه الحالة فكان مجموع هذه الامارات دلالة على صدقه مع شهادة الشاهد به بصدقه أيضا ﴿ فلما رأى قيصة قد من دبر ﴾ يعنى فلما رأى قطفير زوج المرأة قيصة يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿ قال ﴾ يعنى قال لها ز وجها قطفير ﴿ انه ﴾ يعنى هذا الصنيع ﴿ من كيد كن ﴾ يعنى من حيث كن ومكر كن ﴿ ان كيد كن عظيم ﴾ فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وهلاك مكر الرجال أعظم من مكر النساء قلت أما كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة الى خالق ما هو أعظم منه كخلاق الملائكة والسحوات والارض والجبال ونحو ذلك وأما عظم كيد النساء ومكرهن في هذا الباب فهو أعظم من كيد جميع البشر لانهم من المكر والحيل والكيد في اتنام مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيد كن ان كيد كن عظيم من قول الشاهد وذلك أنه لما ثبت عنده خيانة المرأة وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المقالة ﴿ يوسف ﴾ يعنى يا يوسف ﴿ اعرض عن هذا ﴾ يعنى اترك هذا الحديث فلا تذكره

دبر ( من خلف فكذبت المرأة ) ( وهو من الصادقين ) في قوله انها راودتني ( فلما رأى قيصة قد شق ) ( من دبر ) من خلف ( قال ) أخوها ( انه من كيد كن ) من مكر كن وصنيع كن ( ان كيد كن ) مكر كن وصنيع كن ( عظيم ) يخلص الى البرى والسقيم ثم قال أخوها ليوسف ( يوسف ) يعنى يا يوسف ( اعرض عن هذا ) الامر

ولا تحدث به ثم قال لراعي (واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطي اذا اذنب متعمدا وانما قال بلفظ التذكير تلييا للذكور على الاثا وكان العزيز رجلا حليما قليل الغيرة حيث اقتصر على هذا القول (وقال نسوة) جماعة من النساء وكن خما امرأة الساق وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السمين وامرأة { الجزء الثاني عشر } الحاجب ٤٠٠ والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيث

اكنه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطي اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لفعلها في المدينة ظرف لقال أي اشعن الحكاية في مصر أو سفة نسوة وكن خما زوجة الحاجب والساق والخباز والسبحان وصاحب الدواب امراء العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب موافقة غلامها ياها والعزيز بلسان العرب الملك واسل فتى فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حبابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التميز لصرف الفعل عنه وقرئ شغفها من شغف البعير اذا هناه بالقطران فاحرقه انالزها في ضلال مبين في ضلال عن الرشيد وبعد عن الصواب

لا حد حتى لا يفشو ويشيع وينتشر بين الناس وقيل معناه يا يوسف لا تكررت بهذا الامر ولا تهم به فقد بان عذرك وبراءتك ثم التفت الى المرأة فقال لها واستغفري لذنبك يعني توب الى الله مامريت يوسف به من الخطيئة وهو بري منها وقيل ان هذا من قول الشاهد يقول للمرأة سلى زوجك ان يصفح عنك ولا يماقبك بسبب ذنبك انك كنت من الخاطئين يعني من المذنبين حين خنت زوجك ورميت يوسف بالهمة وهو بري وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تلييا لجنس الرجال على النساء وقيل انه لم يقصده الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن كل من يفعل هذا الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطئين فهو كقوله وكانت من القاتنين قوله عز وجل وقال نسوة في المدينة امراء العزيز تراود فتاها عن نفسه يعني وقال جماعة من النساء وكن خما وقيل كن أربا وذلك لما شاع خبر يوسف والمرأة في مدينة مصر وقيل هي مدينة عين الشمس وتحدثت النساء فيما بينهن بذلك وهن امرأة حاجب الملك وامرأة صاحب دوابه وامرأة خبازه وامرأة ساقيه وامرأة صاحب سمينه وقيل نسوة من اشراف مصر امرأة العزيز يعني زليخا تراود فتاها عن نفسه يعني تراود عيها الكنعاني عن نفسه لانها تطلب منه الفاحشة وهو يجتمع منها والفتى الشاب الحديث السن قد شغفها حبا يعني قد علقها حبا والشغاف جلدة محيط بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان حبه دخل الجلدة حتى اصاب القلب وقيل ان حبه قد اصاب بقلبها كاحاطة الشغاف بالقلب قال الكلبي حجب حبه قلبا حتى لا تعقل شيئا سواء انالزها في ضلال مبين يعني في خطا بين ظاهر حيث

غير حقيقي ولذا لم يقل قالت وفيه لفتان كسر النون وضمها (في المدينة) في مصر (امراء العزيز) يردن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب (تراود فتاها) غلامها يقال فتى وفتاتى أى غلامى وجارى (عن نفسه) لتناول شهوتها منه (قد شغفها حبا) تميز أى قد شغفها حبه يعنى خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب (انالزها في ضلال مبين) في خطأ وبعد عن طريق الصواب

ولا تخبر أحدا ثم اعرض الى المرأة وقال (واستغفري لذنبك) استجلى واعتذرى الى زوجك من سوء صنيعك أيتها المرأة (انك كنت من الخاطئين) من الخائنين لزوجك ففشا أمرهما بعد ذلك في المدينة (وقال نسوة في المدينة) وهن أربع نسوة امرأة ساقى الملك وامرأة صاحب سمينه

وامرأة صاحب مطبخه وامرأة صاحب دوابه (امراء العزيز) زليخا (تراود فتاها) تدعو عيها أن (تركت) يستمكنها (عن نفسه) من نفسه (قد شغفها حبا) قد شق شغاف قلبها حب يوسف ويقال بطنها حب يوسف ان قرأت بالشين والعين (انالزها في ضلال مبين) في خطا بين في حب عبد هيا يوسف

( فلما سمعت ) راعيل ( بمكرهن ) باغتيابهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمى الاغتياب مكرًا لأنه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره . وقيل كانت استكتمت سرها فافتتنه عليها ( أرسلت اليهن ) دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن ﴿ ٤٠١ ﴾ الخس { سورة يوسف } المذكورات ( واعتدت )

وهيات اقتلت من العاد ( لهن متكا ) ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قصودهن متكئات والسكاكين في أيديهن أي يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لان المتكى اذا بهت لكى وقمت يده على يده ( وآت كل واحدة منهن سكيناً ) وكانوا لا يأكلون في ذلك الزمان الا بالسكاكين كفعل الاعاجم ( وقالت اخرج عليهن ) بكسر التاء بصرى وعاصم وحزة وبضمها غيرهم ( فلما رأينه أكبرنه ) أعظمته وهن ذلك الحسن الرائق والجمال الفائق وكان فضل يوسف على

﴿ فلما سمعت بمكرهن ﴾ باغتيابهن وانما سما مكرًا لانهن اخفونه كما يخفي الماكر مكره أو قلن ذلك لزيهن يوسف أو لانه استكتمت سرها فافتتنه عليها ﴿ أرسلت اليهن ﴾ تدعوهن قيل دعت أربعين امرأة وهن الخس المذكورات ﴿ واعتدت لهن متكا ﴾ ما يتكئن عليه من الوسائد ﴿ وآت كل واحدة منهن سكيناً ﴾ حتى يتكئن والسكاكين بأيديهن فاذا خرج عليهن يهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها فيمكنن بالحجة أو يواب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على أربعين امرأة في أيديهن الخناجر وقيل متكا طعاما أو مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهى عنه قال جيل

فطلنا نعمة واتكأنا . وشرنا الحلال من قله

وقيل المتكا طعام يحز حزا كأن القاطع يتكى عليه بالسكين . وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكا بأشباع الفتحمة كمتزاج ومتكا وهو الأرج أو ما يقطع من متك الشيء اذا ابتكته ومتكا من تكى يتكا اذا اتكأ ﴿ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه ﴾ عظمته وهن حسنه

تركت ما يجب على أمثالها من العفاف والستر وأحببت قتاها ﴿ فلما سمعت بمكرهن ﴾ يعنى فلما سمعت زليخا بقولهن وما تحدثن به وانما سمي قولهن ذلك مكرًا لانهن طلبن بذلك رؤية يوسف وكان وصف لهن حسنه وجاله فقصدن أن يريه وقيل ان امرأة العزيز أمشت اليهن سرها واستكتمت فافتتن ذلك عليها فلذلك سما مكرًا ﴿ أرسلت اليهن ﴾ يعنى انما لما سمعت بأنهن ظنوا على محبتها ليوسف أرادت أن تقيم عندها عندهن قال وهب اتخذت مأدبة يعنى صنعت لهن وليمة وضيافة ودعت أربعين امرأة من أشرف مدينتها فهن هؤلاء اللاتي عيرنها ﴿ وأعدت لهن متكا ﴾ يعنى ووضعت لهن نمارق وسائد يتكئن عليها وقال ابن عباس وابن جرير والحسن وقتادة ومجاهد متكا يعنى طعاما وانما سمي الطعام متكا لان كل من دعوته ليطعم عندك فقد أعددت له وسائد يجلس ويتكى عليها فسمى الطعام متكا على الاستعارة ويقال أتكأنا عند فلان أى طعمنا عنده والمتكا ما يتكأ عليه عند الطعام والشراب والحديث ولذلك جاء النهى عنه في الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا تأكل متكئا وقيل المتكا الأرج وقيل هو كل شئ يقطع بالسكين أو يحزها يقال أن المرأة زيت البيت بألوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة اللاتي عيرنها حب يوسف ﴿ وآت كل واحدة منهن سكيناً ﴾ يعنى وأعطت كل واحدة من النساء سكيناً لتأكل بها وكان من عادتهن أن يأكلن اللحم والفواكه بالسكين ﴿ وقالت اخرج عليهن ﴾ يعنى وقالت زليخا ليوسف اخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف وكانت قد زينه واختبأته في مكان آخر ﴿ فلما رأينه أكبرنه ﴾ يعنى النسوة ﴿ أكبرنه ﴾ يعنى أعظمته ودهشن عند رؤيته وكان يوسف قد أعطى شطر

فلما سمعت بمكرهن ) بقولهن ( أرسلت اليهن ) ودعتهن الى الضيافة ( واعتدت لهن متكا ) وسائد يتكئن عليها ( أقرأت مشددة ) وان قرأت مخففة تقول اترنجة وجاءت بالهم والحز فوضعت بين أيديهن ( وآت ) أعطت ( كل واحدة منهن سكيناً )

تقطع بها اللحم لانهم كانوا لا يأكلون ( قا و خا ٥١ لث ) من اللحم الا ما يقطعون بسكاكينهم ( وقالت ) زليخا ليوسف ( اخرج عليهن ) يا يوسف ( فلما رأينه أكبرنه ) أعظمته

الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان اذا سار في أزقة مصر يرى ثلاثاً وجهه على الجدران ركان يشبه آدم { الجزء الثاني عشر } يوم خلقه ﴿ ٤٠٢ ﴾ ربه وقيل ورث الجمال

الفاثق وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى ثلاثاً وجهه على الجدران وقيل أكبرن بمعنى حضن من أكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحض والهاء ضمير المصدر او يوسف عليه الصلاة والسلام على حذق اللام أي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي

خف الله واسترذا الجمال يرقع \* فان لحث حاضت في الخدود العواتق  
﴿ وقطن أي يديهن ﴾ جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة ﴿ وقلن حاش الله ﴾ تنزيهاً له من صفات الجحش وتعجباً من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه أبو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفاً وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيالك وقرى حاشا لله بخير لأم معنى براءة الله وحاشا لله بالتثوين على تنزيهه منزلة

الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى أبو سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بي الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال اسحق بن أبي فروة كان يوسف اذا سار في أزقة مصر ثلاثاً وجهه على الجدران ويقال انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل ان يخرج من الجنة وقال ابو العالية هالهن أسره وبهتن اليه وفي رواية عن ابن عباس قال أكبرنه أي حضن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال حضن من الفرح وأنكر أكثر أهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة في اللغة والهاء في أكبرنه تمنع من هذا لانه لا يجوز أن يقال النساء قد حضنهن لان حضن لا يمتدى الى مفعول قال الأزهري ان سمعت هذه اللفظة في اللغة فلها مخرج وذلك ان المرأة اذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حشد الصفار الى حشد الكبار فيقال لها أكبرت أي حاضت على هذا المعنى فان سمعت الرواية عن ابن عباس سلمانه وجعلنا الهاء في قوله أكبرنه هاء الوقت لاهاء الكناية وقيل ان المرأة اذا خافت أو فرغت فرجاً أسقطت ولدها وتحيض فان كان معها حين فرجها كان من فرجها وما هالهن من أمر يوسف حين رأيته قال الامام فخر الدين الرازي وعندى أنه يحتمل وجهها آخر وهو أنهن انما أكبرنه لانهم رأين عليه نور النبوة وسما الرسالة وآثار الخضوع والاختبات وشاهدن فيه مهابة وهيبة ملكية وهي عدم الالتفات الى المظوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان ذلك اجمالاً المظوم مقرراً تلك الهيبة والهيئة فتعجب من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه وأعظمته ووقع الرعب والمهابة في قلوبهن قال وجل الآية على هذا الوجه أولى ﴿ وقطن أي يديهن ﴾ يعنى وجعلن يقطن أي يديهن بالسكاكين التي معهن وهن يحسن أنهن يقطن الاترج ولم يحدن الا لم لدهشتن وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فأحسن الا بالدم وقال قتادة أن أيديهن حتى ألقينهاوا الاصح انه كان قطعاً من غير امانة وقال وهب مات جاعة منهن ﴿ وقلن ﴾ من النسوة ﴿ حاش الله

من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت اذ لا يقال النساء قد حضننه لانه لا يمتدى الى مفعول يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحض تخرج من حشد الصغر وكأن أبا الطبيب أخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستر ذا الجمال يرقع \* فان لحث حاضت في الخدود العواتق \* ﴿ وقطن أي يديهن ﴾ وجرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها أي أردت أن يقطن الطعام الذي في أيديهن فدهشن لما رأيته فحذشن أي يديهن ﴿ وقلن حاش الله ﴾ حاشا كلمة تصد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيدوهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فعنى حاشا الله براءة الله وتنزيهه الله وقراءة أبي عمرو حاشا لله نحو قولك سقيالك كانه قال براءة ثم قال الله لبيان من يبرأ وينزه وغيره حاشا \* بحذف الالف

( ما هذا )

الاخيرة والمعنى من صفات الجحش والنجب من قدرته على خلق جيل مثله

( وقطن ) خدشن وخشن ( أيديهن ) بالسكاكين من الدهشة والتحير مما رأين من حسن يوسف ( وقلن حاش الله ) معاذ الله

(ما هذا بشر ان هذا الاملك كريم) نفين عنه البشرية لثرا به جاله وأثبتن له الملكية وبثتن بها الحكم لما ركز في الطباع لن  
 لأحسن من الملك كاركز فيها أن لا أقنع من الشيطان ( قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ) تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي  
 صورتن في أنفسكن ثم لمتنني فيه ﴿ ٤٠٣ ﴾ تعني انكن لم { سورة يوسف } تصورته حق صورته والا

لعدرتنني في الافتتان به  
 ( ولقد راودته عن نفسه  
 فاستعصم ) الاستعصام بتاء  
 مبالغة يدل على الامتناع  
 البلغ والتحفظ الشديد  
 كانه في عصمة وهو يجتهد  
 في الاستراادة منها وهذا  
 بيان جلي على ان يوسف  
 عليه السلام برى بما فسر به  
 أولئك الفريق الهيم والبرهان  
 ثم قلن له أطع مولاناك  
 قالت راعيل ( ولئن  
 لم يفعل ما أمره ) الضمير  
 راجع الى ما وهى موصولة  
 والمعنى ما أمره به فحذف  
 الجار كما في قوله أمرتك  
 الخير أو ما مصدرية والضمير  
 يرجع الى يوسف أى  
 ولئن لم يفعل أسرى إياه  
 أى موجب أسرى ومقتضاه  
 ( ليسجن ) ليسن والالب  
 في ( وليكونا ) بدل من نون  
 التأكيد الخفيفة ( من  
 الصاغرين ) مع السراق  
 والسفاك والاباق كما سرق  
 قلن وأبق منى وسفك  
 دمى الفراق فلا يها يوسف  
 الطعام والشراب والنوم  
 هالك كما منعنى هناكل  
 ذلك ومن لم يرض بتلى  
 في الحرير على السرير أميرا  
 حصل في الحصر على الحصر  
 حصر اقلما جمع يوسف تهديدا

المصدر وقيل حاشى فاعل من الحشا الذي هو الناحية وقاعله ضمير يوسف أى صار في  
 ناحية لله مما يتوهم فيه ﴿ ما هذا بشرا ﴾ لان هذا الجلال غير معهود للبشر وهو على لغة الجبار  
 في اعمال ما عمل ليس لمشاركتهم في نفي الحال وقوى بشر بالرفع على لغة عجم وبشرى أى بمبد  
 مشترى لثيم ﴿ ان هذا الاملك كريم ﴾ فان الجمع بين الجلال والرائق والكمال الفائق والعصمة  
 البالغة من خواص الملائكة اولان جاله فوق جلال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك ﴿ قالت فذلكن  
 الذي لمتنني فيه ﴾ أى فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان به قبل ان تصورته حق  
 تصويره ولو صورته بما عاينت لعذرتني أو فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا  
 لمثالة المشار اليه ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ فامتنع طلبا للعصمة اقرت له حين عرفت  
 انهن يعذرنها كي يعاونها على الاثمة عريكته ﴿ ولئن لم يفعل ما أمره ﴾ أى ما أمره  
 فحذف الجار وأمرى إياه بمعنى موجب أسرى فيكون الضمير ليوسف عليه السلام ﴿ ليسجنن  
 وليكونا من الصاغرين ﴾ من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير  
 من صغر بالضم صغرا وقوى ليكونن وهو يخالف خطأ المصحف لان التوون كتبت فيه

ما هذا بشرا ﴿ أى معاذ الله أن يكون هذا بشرا ﴾ ان هذا الاملك كريم ﴿  
 يعنى على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قد  
 ركز في النفوس أن لاشئ أحسن من الملك فذلكن وصفته بكونه ملكا وقيل  
 لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة وجبع الآفات والحوادث التي تحصل للبشر  
 وصفن يوسف بذلك ﴿ قوله تعالى ﴾ قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ﴿ تعني قالت  
 امرأة العزيز للنسوة لما رأين يوسف ودهشن عند رؤيته فذلكن الذي لمتنني في عجته  
 وانما قالت ذلك لاقامة عذرها عندهن حين قلن ان امرأة العزيز قد شغفها فتاها  
 الكنعاني حبا وانما قالت فذلكن الخ بعدما قام من المجلس وذهب وقال صاحب  
 الكشف قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفضا لمتننته في الحسن واستحقاق  
 أن يحب ويفتن به ويجوز أن يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني  
 تقول هو ذلك لعبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتنني فيه ثم ان امرأة  
 العزيز صرحت بما فعلت فقالت ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ يعنى  
 فامتنع من ذلك الفعل الذي طابته منه وانما صرحت بذلك لانها علمت انه لا ملامة  
 عليها منه وانهن قد أصابن ما أصابها عند رؤيته ثم ان امرأة العزيز قالت ﴿ ولئن  
 لم يفعل ما أمره ﴾ يعنى وان لم يطاوعنى فيما دعوته اليه ﴿ ليسجنن ﴾ أى ليعاقبن بالسجن  
 والحبس ﴿ وليكونا من الصاغرين ﴾ يعنى من الاذلاء المهائين فقال النسوة ليوسف  
 أطع مولاناك فيما دعوتك اليه فاختر يوسف السجن على المعصية حين توعدته المرأة

( ما هذا بشرا ) آدميا ( ان هذا ) ما هذا ( الاملك كريم ) على ربه ( قالت ) زليخا ( فذلكن الذي لمتنني ) عذمتني وعشتني  
 ( فلو قدر اودته عن نفسه ) طلبته لاسمكتن من نفسه ( فاستعصم ) فامتنع عنى بالمعنى ( ولئن لم يفعل ما أمره  
 ليسجنن ) في السجن ( وليكونا من الصاغرين ) من الذليلين فيه وقلن هؤلاء النسوة ايوسف أطع مولاناك



(قال رب السجن أحب الى مما يدعونني اليه) أسند الدعوة اليهن لأنهن قار له ما عابك لو أجبت مولاتك أو افتتحت كل واحد به فدعته الى نفسها سرا فاتجا **الجزء الثاني عشر** الى ربه قال رب **٤٠٤** السجن أحب الى من ركوب المعصية

بالاثم كما سفا على حكم الوفاء وذلك في الخفيفة تشبهها بالتورين **قال رب السجن** وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر **أحب الى مما يدعونني اليه** أي أترعدي من وثاقاتها نظرا الى العاقبة وإن كان هذا مما تشبهه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لأنهن خوفه من مخالقتها وزين له مطاوعها أو دعونه الى أنفسهن وقيل إنما ابتلى بالسجن لقوله هذا وإنما كان الاولى به أن يسأل الله العاقبة ولذلك رد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على من كان يسأل العبر **والا تصرف** وان لم تصرف **عني كيدهن** في تحبب ذلك الى وتحسينه عندي بالثبوت على العصية **أصب اليهن** امل الى اجابتهن اولى انفسهن بطبي ومقتضى شوقه والصبر الى الميل الى الهوى ومنه الصبر الى النفوس تسطيها وتقبل اليها وقرى **أصب** من الصبابة وهي الشوق **وأكن من الجاهلين** من السفهاء بار تكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفضل ألقبهم أو من الذين لا يعملون عما يعملون فانهم والجاهل سواء **فأجاب له ربه** فأجاب الله دعاه الذي تضمنه قوله **والا تصرف** عنه كيدهن **فثبتته** بالعصية حتى وطئ نفسه على مشقة السجن وآثره على اللذة المتضمنة للمعصية **أنه هو السميع** لدعاه المجتئبين اليه **العليم** بأحوالهم وما يصلحهم **ثم بدا لهم**

(والا تصرف عني كيدهن) فزع منه الى الله في طلب العصية (أصب اليهن) امل اليهن والصبر الى الميل الى الهوى ومنه الصبر الى النفوس تصبر اليها لطيب نسيها وروحها (وأكن من الجاهلين) من الذين لا يعملون بما يعملون لان من لا جدوى له فله وهو من لم يعلم سواء او من السوء فلما كان في قوله **والا تصرف** عني كيدهن متى طلب الصبر والدعاء قال (فاستجاب له ربه) أي أجاب الله دعاه (فصرف عنه كيدهن) انه هو السميع لدعوات المتجئبين اليه (العليم) بحاله وحالهن (ثم بدا لهم) فاعله مضمرا لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجنته والمعنى بدا لهم بداء أي ظهر لهم رأي والضمير

بذلك **قال رب** أي يارب **السجن أحب الى مما يدعونني اليه** قيل ان الدعاء كان منها خاصة وإنما أضاف اليهن جميعا خروجا من التصريح الى التريض وقيل انهن جميعا دعونه الى أنفسهن وقيل انهن لما قلن له أطع مولاتك صحت إضافة الدعاء اليهن جميعا اولانه كان يحضرنه قلوب بعضهم ولم يقل السجن أحب الى مما يدعونني اليه والاولى بالعبد أن يسأل الله العاقبة **والا تصرف عني كيدهن** يعني ما أردن مني **أصب اليهن** أي امل اليهن يقال صبا فلان الى كذا اذا مال اليه واشتاقه **وأكن من الجاهلين** يعني من المذنبين وقيل معناه أكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل وفيه دليل على أن من ارتكب ذنبا إنما يرتكبه عن جهالة **فاستجاب له ربه** يعني فأجاب الله تعالى دعاه يوسف **فصرف عنه كيدهن** انه هو السميع **ثم بدا لهم** يوسف وغيره **العليم** يعني بحاله وفي الآية دليل على أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما أظلمت البلية بكيد النساء وطالبتهم اياه بما لا يليق بحاله لجأ الى الله وفزع الى الله رغبة الى الله ليكشف عنه ما نزل به من ذلك الامر مع الاعتراف بانه ان لم يصعبه من المعصية وقع فيها فدل ذلك على أنه لا يقدر أحد على الانصراف عن المعصية الا بصحة الله ولطفه به **قوله عز وجل** **ثم بدا لهم** يعني للعزير واصحابه في الرأي وذلك أنهم أرادوا أن يقتصروا من أمر يوسف على الاعراض وكنتم الحال وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان ذلك العبد العبراني قد فضحني عند الناس يخبرهم باني قد راودته عن نفسه فاما ان تأذني فأخرج واعتذر الى الناس واما ان تحبس

(قال) يوسف (رب) يارب (السجن أحب الى مما يدعونني اليه) من الزنا (والا تصرف) ان لم تصرف (عني كيدهن) مكرهن (أصب اليهن) امل اليهن (وأكن من الجاهلين) بتمتلك ويقال من الزانين

(فاستجاب له ربه) دعوته (فصرف عنه كيدهن) مكرهن (انه هو السميع) للدعاء (العليم) بالاجابة (فأرى)

ويقال السميع لما قلتهن العليم بمكرهن (ثم بدا لهم) ظهر لهم يعني للعزير

في لهم العزيز وأهله (من يهدم أروا الآيات) وهي الشواهد على براءته كقصد القميص وقطع الأيدي وشهادة الصبي وغير ذلك (ليسجنته) لا بداء عند الرجال وأرخاء الستر على القيل والقل وما كان ذلك إلا باستئذان المرأة لزوجها وكان مطوياً لها وجلاذلاً زمامه في يدها وقد طبعت أن يذله السجن ويسخره لها وخافت عليه الميون وظنت فيه الظنون فاجلأها الخجل من الناس والوجل من البأس ﴿٤٠٥﴾ إلى أن رصيت {سورة يوسف} بالحجاب مكان خوف

الذهب لتشتق بخبره إذا منعت من نظره (حق حين) إلى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زماناً حتى تبصر ما يكون منه (ودخل معه السجن قتيان) عبدان للملك خبازه وشرابه بتهمة السم فادخلا السجن ساعة أدخل يوسف لأن مع يدل على معنى العجبة تقول خرجت مع الأمير تريد مصاحبة فوجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له قال أحدهما أي شرابه (أني أراي) أي في المنام وهو حكاية حال ماضية (أعصر خرا) أي عنباً تسمية للعنب بما يؤل إليه أو أنخر بلغة عمان

(من يهدم أروا الآيات) شق القميص وقضاء أخيه (ليسجنته حتى حين) إلى سنين ويقال إلى حين يقطع مقالة الناس (ودخل معه السجن) بعد دخوله إلى خمس سنين (قتيان) عبدان للملك صاحب شرابه وصاحب مطبخه غضب عليهما

من يهدم أروا الآيات ﴿﴾ ثم ظهر للعزيز وأهله من يهدم أروا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقصد القميص وقطع النساء أيديهن واستعصامه عنهن وقاعل بداضم يقصره ﴿﴾ ليسجنته حتى حين ﴿﴾ وذلك لأنها خدعت زوجها وحلته على سجنه زماناً حتى تبصر ما يكون منه ويحسب الناس أنه المحرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على أن بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم أو العزيز ومن يليه وعق بلغة هذيل ﴿﴾ ودخل معه السجن قتيان ﴿﴾ أي أدخل يوسف السجن وأنفق أنه أدخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابه وخبازه للاتهام بأنهما يريدان أن يسماه ﴿﴾ قال أحدهما ﴿﴾ يعني الشرابي ﴿﴾ أني أراي ﴿﴾ أي أرى في المنام هي حكاية حال ماضية ﴿﴾ أعصر خرا ﴿﴾

فأرى حبسه ﴿﴾ من يهدم أروا الآيات ﴿﴾ يعني الدالة على صدق يوسف وبرائه من قصد القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهن وذهاب عقولهن عند رؤيته ﴿﴾ ليسجنته ﴿﴾ أي ليحبس يوسف في السجن ﴿﴾ حتى حين ﴿﴾ يعني إلى مدة يرون رأيهم فيها وقال عطاء إلى أن تنقطع مقالة الناس وقال عكرمة إلى سبع سنين وقال الكلبي خمس سنين فحبسه قال السدي جعل الله ذلك الحبس تطهيراً يوسف من همه بالمرأة ﴿﴾ ودخل معه السجن قتيان ﴿﴾ وهما غلامان كالاوليد بن زوان العمليق ملك مصر الأكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما الملك فحبسهما وكان السبب في ذلك أن جماعة من أشراف مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله وقله فضمنوا الهذين الغلامين ما لا على أن يسمي الملك في طعامه وشرابه فاجبا إلى ذلك ثم إن الساق ندم فرجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسهم الطعام فلاحضر الطعام بين يدي الملك قال الساق لأنأكل أيها الملك فإن الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فإن الشراب مسموم فقال للساق اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فاني فاطم من ذلك الطعام دابة فهلك فامر الملك بحبسهما فحبسا مع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول أني أعبر الأحلام فقل أحد الغلامين لصاحبه علم فلنجرب هذا الغلام العبراني فتراه ياله رؤيا فسألاه من غير أن يكونا قد رأيا شيئاً قال أين مسعود مارأيا شيئاً انما نحالما ليجربا يوسف وقال قوم بل كانا قد رأيا رؤيا حقيقة فرأهما يوسف وهما مهمومان فسألتهما عن شأنهما فذكر أنهما غلامان للملك وقد حبسهما وقد رأيا رؤيا تد غتهما فقال يوسف قصا على مارأيتما قصصا عليه مارأياه فذلك قوله تعالى ﴿﴾ قال أحدهما ﴿﴾ وهو صاحب شراب الملك ﴿﴾ أني أراي أعصر خرا ﴿﴾ يعني عنباً سمي

وادخلهما السجن (قال أحدهما) وهو الساق (أني أراي) رأيت نفسي (أعصر خرا) عنباً وأسقى الملك وكان رؤياه أنه رأى في منامه كأنه يدخل كرم ما فرأى في الكرم حيلة حسنة فيها ثلاثة قضبان وعلى قضبان عناقيد العنب فاجتق العنب فعصره وناولها الملك فقال له يوسف ما أحسن ما رأيت أما الكرم فهو العمل الذي كنت فيه وأما الحيلة فهي سلطانك على ذلك وأما حسنها فهو عزك وكرامتك في ذلك العمل وأما ثلاثة قضبان على الحيلة فهي ثلاثة أم تكون في السجن فتخرج فتعود إلى عملك وأما العنب الذي عصرت وناولت الملك فهو

اسم العنب (وقال الآخر) أي خبازه (أي أراي أجمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبشاً وتأويل ما رأيناه (أنا) من المحسنين) من الذين (الجزء الثاني عشر) يحسنون عبارة ﴿ ٤٠٦ ﴾ الرؤيا أو من المحسنين إلى أ

أي عنباً وسماه خبزا باعتبار ما يؤكل اليه ﴿ وقال الآخر ﴾ أي الحباز ﴿ أي أراي أجمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه ﴾ تنهش منه ﴿ نبشاً وتأويله أنا تراك من المحسنين ﴾ من الذين يحسنون تأويل الرؤيا أو من العالمين وإنما قال ذلك لأنهما رأياه في السجين يذكر الناس ويمبر رؤياهم أو من المحسنين إلى أهل السجين فأحسن النبأ وتأويل ما رأينا أن كنت تعرفه ﴿ قال لا يأتكما طعام ترزقانه إلا نبأ تكلمتا تأويله ﴾ أي تأويل ما قصصتما على أوتنا وأويل

العنب خبزا باسم ما يؤكل اليه يقال فلان يطبخ الآجر أي يطبخ اللبن حتى يصير آجرا وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك أنه قال أني رأيت في المنام كأنني في بستان وإذا فيه أصل حبله وعليها ثلاثة عناقيد عنب فخبثتها وكان كأس الملك في يدي فمصرتها فيه وسقيت الملك فشربه ﴿ وقال الآخر ﴾ وهو صاحب طعام الملك ﴿ أي أراي أجمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه ﴾ وذلك أنه قال أني رأيت في المنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الحبز وألوان الأطعمة وسباع الطير تنهش منها ﴿ نبشاً وتأويله ﴾ أي أخبرنا بتفسير ما رأينا وما يؤكل اليه امره هذه الرؤيا ﴿ أنا تراك من المحسنين ﴾ يعني من العالمين بسارة الرؤيا والاحسان هنا بمعنى العلم وسئل الضحاك ما كان أحسانه فقال كان إذا مرض انسان في الحبس حاد ونام عليه وإذا ضاق على أحد وسع عليه وإذا احتاج أحد جمع له شياً وكان مع هذا يجتهد في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقل أنه لما دخل السجين وجد فيه قوما اشتد بلاؤهم وانقطع رجائهم وطال حزنهم فحمل يسليهم ويقول اصبروا وأبشروا فقالوا بآبارك الله فيك يا فتى ما أحسن وجهك وخلقت وحديتك لقد بورك لنا في جوارك فمن أين أنت قال أنا يوسف بن صفى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن باقى والله لو استطعت لحليت سبيلك ولكن سأرفق بك وأحسن جوارك واختار أي بيوت السجن شئت وقيل ان القئين لما رأيا يوسف قالانا قد أحبينك منذ رأيناك فقال لهما يوسف أشد كما بالله أن لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد أحبتني عني فدخل على من ذلك بلاء ما أحبني أي فالقيت في الحب وأحببتني امرأة العزيز فحبست فلما عسا عليه رؤياهما كره يوسف أن يعبر هالهما حين سألاه لما علم ما في ذلك من المكروه لاحدهما واعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره من اطهار المجزة والبوة والدعاء الى التوحيد وقيل أنه علمه السلام أراد أن يسين لهما ان درجته في العلم أعلى وأعظم مما عقدهما وذلك انهما طلبا منه علم التصير ولا شك ان هذا العلم مبنى على الظن والتخمين فأراد أن يعلمهما أنه يمكنه الاخبار عن المفيات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يحجز الخلق عنه وإذا قدر على الاخبار عن الغيوب كان أقدر على تصدير الرؤيا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تصوير رؤياهما الى اظهار المجزة لأنه علم ان أحدهما سيصلب فأراد أن يدخله في الاسلام ويخلصه من الكفر ودخول النار فظهر له المجزة لهذا السبب ﴿ قال لا يأتكما طعام ترزقانه إلا نبأ تكلمتا تأويله ﴾ قيل أرادته في اليوم يقول لا يأتكما طعام

السجين فانك تدوى المريض وتمزي الحزين وتوسع على الفقير فأحسن النبأ وتأويل ما رأينا وقيل انهما تحالما له ليتمتعنا فقال الصراي أي رأيت كأنني في بستان فإذا بأصل حبله عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطقتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الحباز اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة فإذا سباع الطير تنهش منها (قال لا يأتكما طعام ترزقانه إلا نبأ تكلمتا تأويله) أي ببيان ماهته ان يردك الى عملك وكرامك ويحسن اليك (وقال الآخر) وهو الحباز (أي أراي) رأيت نفسي (أجل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه) وكان رؤياه أنه رأى في منامه كأنه يخرج من مطبخ الملك وعلى رأسه ثلاث سلال من الخبز فوق مطبخه على أعلاها وأكل منها فقال له يوسف بش ما رأيت أما خرجوك من المطبخ فهو أن يخرج من عملك وأما ثلاث سلال فهي ثلاثة أيام تكون في السجن وأما أكل الطير من رأسك فهو أن يخرجك الملك بعد ثلاثة أيام ويصلبك وتأكل الطير من رأسك

وقال قيل تصير (نبشاً أو بلاء) أخبرنا بتأويل رؤيانا (أنا تراك من المحسنين) إلى أهل السجن ويقال من (ترزقانه) الصادقين فيما تقول (قال) لهما يوسف وأراد أن يعلمهما علمه بتعبير الرؤيا (لا يأتكما طعام ترزقانه) لتمامه (الانبأ تكلمتا تأويله)

وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل (قبل أن يأتيكما) ولما استعبراه ووصفاه بالاحسان أترض ذلك فوصل به وصف نفسه  
عاهو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالتيب وأنه ينشهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول  
اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت ﴿٤٠٧﴾ فيكون كذلك { سورة يوسف } وجعل ذلك تمخضا الى

أن يذكر لهما التوحيد  
ويعرض عليهما الايمان  
ويرزق لهما ويقع اليهما  
الشرك وفيه ان العالم اذا  
جهلت منزلته في العلم  
فوصف نفسه بما هو بصدده  
وغيره أن يقتبس منه علم  
يكن من باب التزكية  
(ذاكما) اشارة لهما الى  
التأويل أي ذلك التأويل  
والاخبار بالمغيبات (بما  
علمي ربي) وأوحى به الى  
ولم أقله عن تكهن وتنجيم  
(اني تركت ملة قوم  
لا يؤمنون بالله وهم  
بالآخرة هم كافرون)  
يجوز أن تكون كلاما  
مبتدا وان يكون تعليل  
لما قبله أي علمي ذلك  
وأوحى به الى لاني رفضت  
ملة أولئك وهم أهل  
مصر ومن كان الفتيان على  
دينهم (واتبعت ملة آباءى  
ابراهيم واسحق ويعقوب)  
وهي الملة الخنيفية  
وتكريرهم للتوكيد وذكر  
الآباء ليربهما أنه من بيت  
النوة بعدان عرفهما أنه  
نحى وحي اليه بما ذكر

الطعام بمعنى بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كما به اراد ان يدعوهما الى التوحيد  
ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يسف الى ماسألاه منه كما هو طريقة الانبياء  
عليهم السلام والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة لهم  
من الاخبار بالتيب ليدلها على صدقه في الدعوة والتعبير ﴿٤٠٧﴾ قبل ان يأتيكما ذلكما ﴿٤٠٨﴾ أي ذلك  
التأويل ﴿٤٠٩﴾ بما علمي ربي ﴿٤١٠﴾ بالالهام والوحي وليس من قيل التكهن أو التنجيم ﴿٤١١﴾ اني تركت  
ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ﴿٤١٢﴾ تعليل لما قبله أي علمي ذلك لاني تركت  
ملة أولئك ﴿٤١٣﴾ واتبعت ملة آباءى ابراهيم واسحق ويعقوب ﴿٤١٤﴾ أو كلام مبتدا لتقعيد الدعوة  
واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز  
ترزقانه في نومكما الا أخبركما خبره في القطة وقيل أراد به في القطة يقول لا يأتيكما  
طعام من منازلكما ترزقانه يعني تطعمانه وتأكلانه الانبا تكما بتأويله يعني أخبركما  
بقدر مولونه والوقت الذي يصل اليكما فيه ﴿٤١٥﴾ قبل ان يأتيكما ﴿٤١٦﴾ يعني قبل أن يصل اليكما  
وأي طعام أكتموكم أكتموكم متى أكتموكم وهذا مثل معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام حيث قال  
وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فقال يوسف عليه الصلاة والسلام حيث قال  
من علم العرافين والكهنة فن أن لك هذا العلم فقال ما أنا بكاهن ولا عراف وإنما ذلك  
اشارة الى المعجزة والعلم الذي أخبرهما به ﴿٤١٧﴾ ذلكما بما علمي ربي ﴿٤١٨﴾ يعني ان هذا  
الذي أخبرتكما به وحي من الله أوحاه الى وعلم علميه ﴿٤١٩﴾ اني تركت ملة قوم لا يؤمنون  
بالله ﴿٤٢٠﴾ فان قلت ظاهر قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه عليه الصلاة والسلام  
كان داخلا في هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبياء عليهم الصلاة  
والسلام من حين ولدوا وظهروا الى الوجود هم على التوحيد فامعنى هذا الترك في قوله  
تركت قلت الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء  
والالتفات اليه بالمرء وليس من شرطه أن يكون قد كان داخلا فيه ثم تركه ورجع  
عنه الوجه الثاني وهو الاقرب ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما كان عند المزي  
وهو كافر وجنح من عبده كذلك وقد كان يذمهم وكان يوسف على التوحيد والايمان  
الصحيح صرح قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ﴿٤٢١﴾ وهم بالآخرة هم كافرون ﴿٤٢٢﴾ فترك  
ما هم وأعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرر لفظهم في قوله وهم بالآخرة هم  
كافرون للتوكيد لشدة انكارهم للمعاد وقوله ﴿٤٢٣﴾ واتبعت ملة آباءى ابراهيم واسحق  
ويعقوب ﴿٤٢٤﴾ لما دعى يوسف عليه السلام النوة وأظهر المعجزة أطهرانه من أهل بيت

من اخباره بالتيب اتوى ربهما في اتباع قوله والمراد به ترك الابداء لانه كان فيه ثم تركه

لونه وجنسه (قبل أن يأتيكما) كيف لا اعلم تديرؤيا كما (ذلكما) لتعبر (بما علمي ربي) اني تركت ملة قوم (لا يؤمنون  
بالله وهم بالآخرة) بالبعث بعد الموت (هم كافرون) جاحدون (واتبعت ملة آباءى) استمعت على دين آباءى (ابراهيم واسحق ويعقوب)

( ما كان لنا ) ما صرح لنا معشر ( الجزء الثاني عشر ) الانبياء ( ان نشرك ) ﴿ ٤٠٨ ﴾ ( بالله من شيء ) ( أى شيء ) كان

أوغیره ثم قال ( ذلك ) التوحيد ( من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ) فضل الله فيشركون به ولا يتقون ( يا صاحي السجن ) يا صاحي السجن كقول أصحاب النار وأصحاب الجنة ( أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ) يريد التفرق في العدد والتكاثر أى ان تكون أرباب شتى يستبدك هذا ويستبدك هذا خير لكما أم يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام

ما كان لنا ( ما جاز لنا ) ( ان نشرك بالله من شيء ) شيئاً من الاصنام ( ذلك ) الدين القيم النبوة والاسلام اللذان أكرمنا الله بهما ( من فضل الله علينا ) من من الله علينا ( وعلى الناس ) ارسلنا اليهم ويقال على المؤمنين بالايان ( ولكن أكثر الناس ) أهل مصر ( لا يشكرون ) لا يؤمنون بذلك ( يا صاحي السجن ) قال هذا السجنان ولاهل السجن ١ أأرباب متفرقون خير ) بقول عبادة آلهة شتى خير ( أم الله الواحد القهار ) أم عبادة الله الواحد

للخامل العالم ان يصرف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرر الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيدهم كفرهم بالآخرة ( ما كان لنا ) ما صرح لنا معشر الانبياء ( ان نشرك بالله من شيء ) ( أى شيء ) كان ( ذلك ) أى التوحيد ( من فضل الله علينا ) بالوحي ( وعلى الناس ) وعلى سائر الناس بيمتتنا لارشادهم وتبليغهم عليه ( ولكن أكثر الناس ) المبعوث اليهم ( لا يشكرون ) هذا المصل فيبرشون عنه ولا يتنبهون أو من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن أكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلقونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها ( يا صاحي السجن ) أى يا صاحي أياك فيه فاصافهما اليه على الاتساع كقوله

يا سارق الليلة اهل الدار  
﴿ أرباب متفرقون ﴾ شتى متعددة متساوية الاقدام ﴿ خير أم الله الواحد ﴾ المتوحد  
باللوهية ﴿ القهار ﴾ الغالب الذى لا يعادله

النبوة وان آباءهم كلهم كانوا أنبياء وقيل لما كان ابراهيم واسحق ويعقوب مشهورين بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العليا في الدنيا عند الخلق والمنزلة الرفيعة في الآخرة أظهر يوسم عليه الصلاة والسلام انه من أولادهم وانه من أهل بيت النبوة ليعلموا قوله ويطيعوا أمره فيما يدعوهم اليه من التوحيد ( ما كان لنا ) ان نشرك بالله من شيء ( معناه ان الله سبحانه وتعالى لما اختارنا لنبوته واصطفانا لرسالته وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لنا أن نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التي اختصاصها قال الواحدى لقطة من في قوله من شيء زائد مؤكدة كقولك ما جاءني من أحد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ما صرح لنا معشر الانبياء أن نشرك بالله من شيء أى شيء كان من ملك أو جنى أو انسى فضلا أن نشرك به صغلا يسمع ولا يبصر ( ذلك من فضل الله ) يعنى ذلك التوحيد وعدم الاشراك والعلم الذى رزقنا من فضل الله ( علينا وعلى الناس ) يعنى بما نصب لهم من الأدلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على عباده ( ولكن أكثر الناس لا يشكرون ) يعنى ان أكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم التي أنعم بها عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهما الى الاسلام فقال ( يا صاحي السجن ) يريد يا صاحي في السجن فاصافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة لان الليلة مسروق فيها غير مسروقة ومحوز أن يريد يا صاحي السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة ( أأرباب متفرقون ) يعنى آلهة شتى من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون في الصفة وهي مع ذلك لا تنصرف ولا تنفع ( خير أم الله الواحد القهار ) يعنى ان هذه الاصنام أعظم صفة في المدح واستحقاق اسم الالهية والعبادة أم الله الواحد القهار قال الخطابي الواحد هو الفرد الذى لم يزل وحده وقيل هو المنقطع عن القرن والمعدوم الشريك والنظير وليس كسائر الآحاد من الاجسام المؤلفة لان ذلك قد يكثر بانضمام بعضها الى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذى لا مثل له ولا يشبهه شيء من خلقه القهار قال الخطابي القهار هو الذى قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذى قهر كل شيء وذله فاستسلم وانقاد وذل له

( والمعنى )

بلاول ولا شريك القهار الغالب على خلقه

(ما تعبدون) خطاب لهما ولن كان على دينهما من أهل مصر (من دونه) من دون الله (الأسماء سميتوها أنتم وآباؤكم) أي الأسما  
 ما لا يستحق الإلهية ألهم تطفتم تعبدونها ﴿ ٤٠٩ ﴾ فكانكم { سورة يوسف } لا تعبدون إلا أسماء لا سميات

لها ومعنى سميتوها سميت بها  
 يقال سميت زيدا وسميته يزيد  
 (ما أنزل الله بها) بتسميتها  
 (من سلطان) حجة (أن  
 الحكم) في أمر البادة  
 والدين (الآلهة) ثم بين  
 ما حكمه فقال (أمرألا  
 تعبدوا إلا إياه ذلك الدين  
 القيم) الثابت الذي دلت  
 عليه البراهين (ولكن  
 أكثر الناس لا يعلمون)  
 وهذا يدل على أن العقوبة  
 تلزم البعد وإن جهل إذا  
 أمكن له العلم بطريقه ثم  
 عبر الرؤيا فقال (يا صاحبي  
 السجن أما أحدكما) يريد  
 الشرايبي (فيسق ربك) سيده  
 (خرا) أي يعود إلى عمله  
 (وأما الآخر) أي الخباز  
 (فيعصب)

(ما تعبدون من دونه)  
 من دون الله (الأسماء)  
 أصناما أمواتا (سميتوها  
 أنتم وآباؤكم) (الآلهة) (ما  
 أنزل الله بها) (ببادتكم لها  
 (من سلطان) من كتاب  
 ولا حجة (أن الحكم) (ما الحكم  
 بالأسروا النهي ويقال ما القضا  
 في الدنيا والآخرة) (الآلهة  
 أمر) (في الكتب كلها) (الآلهة  
 تعبدوا) (أن لا توحدا) (الآلهة  
 إياه) (الآلهة) (ذلك)

ولا يقاومه غيره ﴿ ما تعبدون من دونه ﴾ خطاب لهما ولن على دينهما من أهل مصر  
 ﴿ إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ﴾ ما أنزل الله بهما من سلطان ﴿ أي الأشياء باعتبار اسم  
 أطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقيق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون إلا الأسماء  
 المجردة والمعنى أنكم سميتهم مالم يدل على استحقاقه الألوهية عقل ولا نقل آلهة ثم أخذتم  
 تعبدوها باعتبار ما تطلقون عليها ﴿ أن الحكم ﴾ في أمر العبادات ﴿ الآلهة ﴾ لأنه المستحق  
 لها بالذات من حيث أنه الواجب لذاته الموجد لكل والمالك لأمره ﴿ أمر ﴾ على لسان  
 أنبيائه ﴿ ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ الذي دلت عليه الحجج ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ الحق وأنتم  
 لا تعبدون المصوح عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزمام الحجة بين لهم أولارجحان  
 التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على أن ما سمعونها آلهة ويعبدونها  
 لا تستحق الإلهية فإن استحقاق العبادات ما بالذات وأما بالغير وكلا القسمين متفق عنهما ثم نص  
 على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرضى العلم دونه  
 ﴿ وأكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ فيضبطون في جهالاتهم ﴿ يا صاحبي السجن أما  
 أحدكما ﴾ يعني الشرايبي ﴿ فيسقى ربك خرا ﴾ كما كان يسقيه قبل ويسود إلى ما كان عليه  
 ﴿ وأما الآخر ﴾ يريد الخباز ﴿ فيعصب ﴾

والمعنى أن هذه الأصنام التي تعبدونها ذليلة مقهورة إذا أراد الإنسان كسرها واهاتها  
 قدر عليه والله هو الواحد في ملكه القهار لعباده الذي لا يظلمه شيء وهو الغالب  
 لكل شيء سبحانه وتعالى ﴿ ثم بين عجز الأصنام وأنها لا شيء ﴾ البتة فقال ﴿ ما تعبدون  
 من دونه ﴾ يعني من دون الله وإنما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد ابتدأ بالتثنية في المخاطبة  
 لأنه أراد جميع من في السجن من المشركين ﴿ إلا أسماء سميتوها ﴾ يعني سميتوها  
 آلهة وأربابا وهي جواهر جهادات خالصة عن المعنى لاحقيقة لها ﴿ أنتم وآباؤكم ﴾  
 يعني من قبلكم سموها آلهة ﴿ ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ يعني أن تسمية  
 الأصنام آلهة لا حجة لكم بها ولا برهان ولا أمر الله بها وذلك أنهم كانوا يقولون أن الله  
 أمرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما أنزل الله بها من سلطان ﴿ أن الحكم الآلهة ﴾  
 يعني أن الحكم والقضاء والأمر والنهي لله تعالى لا لشريك له في ذلك ﴿ أمرألا تعبدوا  
 إلا إياه ﴾ لأنه هو المستحق للعبادة لاهذه الأصنام التي سميتوها آلهة ﴿ ذلك الدين  
 القيم ﴾ يعني عبادة الله هي الدين المستقيم ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ذلك ولما  
 فرغ يوسف عليه الصلاة والسلام من الدعاء إلى الله وعبادته رجع إلى تعبير رؤياهما  
 فقال ﴿ يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربك خرا ﴾ يعني أن صاحب شراب الملك يرجع  
 إلى منزله ويسقى الملك خرا كما كان يسقيه أولا والمناقيد الثلاثة هي ثلاثة أيام يبقى  
 في السجن ثم يدعو به الملك ويرده إلى منزله التي كان عليها ﴿ وأما الآخر فيعصب ﴾ يعني

التوحيد (الدين القيم) وهو الدين القائم الذي (قاو خا ٥٢ لث) يرصاه وهو الاسلام (ولكن أكثر الناس) أهل مصر  
 (لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون ثم بين تعبير رؤيا القتين فقال (يا صاحبي السجن أما أحدكما) وهو الساق فيرجع إلى مكانه وسلطانه  
 الذي كان فيه (فيسقى ربك) سيده الملك (خرا وأما الآخر) وهو الخباز يخرج من السجن (فيعصب)

فتأكل الطير من رأسه) روى أنه قال للاول ما رأيت من الكرمه وحسنها هو الملك وحسن حاله عنده وأما القضاين الثلاثة فأتيا ثلاثة أيام تخص في السجين ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال لثاني ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل ولما سمع الحباز صلبه قال ما رأيت شيئاً فقال يوسف (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) أي قطع وتم ما تستفتيان فيه من أمركما وشأنكما أي { الجزء الثاني عشر } ما يجزأ اليه من العاقبة ﴿ ٤١٠ ﴾ وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر

( وقال للذي ظن انه ناج منهما ) الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطرق الوحي فالظان هو الشراي أو يكون الظن بمعنى اليقين ( اذ كرفى عند ربك ) صفى عند الملك يصفى وقص عليه قصتي لعله يرجى ويخلص من هذه الورطة ( فأنسا الشيطان ) فأنسى الشراي ( ذكر ربه ) ان يذكر ربه أو عند ربه أو فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره الى غيره وفي الحديث رحم الله أخي يوسف لولم يقل اذ كرفى عند ربك لما لبث في السجن سبعا

فتأكل الطير من رأسه) مفزعا لتعب رؤيا الاختباز وقال لهما يوسف (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) تسألان فكما قلتما وقلت لكما كذلك يكون رأيا أولم تريا ( وقال للذي ظن )

فتأكل الطير من رأسه ﴿ فقالا كذبا فقال ﴿ قضى الامر الذي فيه تستفتيان ﴾ أي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤل اليه امركما ولذلك وحده فالهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما ﴿ وقال للذي ظن انه ناج منهما ﴾ الظان يوسف عليه السلام ان ذكر ذلك عن اجتهاده وان ذكر عن وحي فهو الناجي الا ان يأول الظن باليقين ﴿ اذ كرفى عند ربك ﴾ اذ كرفى عند الملك كي يخلص ﴿ فأنسا الشيطان ذكر ربه ﴾ فأنسى الشراي ان يذكر ربه فأنسا اليه المصدر للملازمة وعلى تقدير ذكر اخبار ربه أو أنسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام رحم الله أخي يوسف لولم يقل اذ كرفى عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخس والاستئانة بالبياد في كشف الشدائد وان كانت محجوبة

بمعنى صاحب طعام الملك والسلال الثلاث ثلاثة أيام ثم يدعوه الملك فيصلبه ﴿ فتأكل الطير من رأسه ﴾ قال ابن مسعود رضى الله عنه فلما سما قول يوسف عليه الصلاة والسلام قالاما رأينا شيئا عما كنا نلعب قال يوسف ﴿ قضى الامر الذي فيه تستفتيان ﴾ سقى فرغ من الامر الذي سألتما عنه ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكم به رأيتما شيئا أم لم تريا ﴿ وقال ﴾ يعني يوسف ﴿ للذي ظن ﴾ يعني علم وتحقق فالظن بمعنى العلم ﴿ أنه ناج منهما ﴾ يعني ساقى الملك ﴿ اذ كرفى عند ربك ﴾ يعني سيدك وهو الملك الاكبر فقل له ان في السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه ﴿ فأنسا الشيطان ذكر ربه ﴾ في هاء الكناية في فأنسا الى من تعود قولان أحدهما انها ترجع الى الساقى وهو قول طامة المفسرين والمعنى فأنسى الشيطان الساقى ان يذكر يوسف عند الملك قالوا لان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقى حتى أنسا ذكر يوسف أولى من صرفها الى يوسف والقول الثاني وهو قول أكثر المفسرين ان هاء الكناية ترجع الى يوسف والمعنى ان الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه عز وجل حتى ابتلى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله في دفع الضرر وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام فان الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جائزة الا أنه لما كان مقام يوسف أعلى المقامات ورتبته أشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لاجرم صار يوسف مؤاخذا بهذا القدر فان حسنات الابرار سيئات المقربين \* فان قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حين أنسا ذكر ربه \* قلت بشغل خاطر وألقاء الوسوسة فانه قد صمغ في الحدث ان الشيطان يحجرى من ان آدم يحجرى الدم فاما النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر

علم ( انه ناج منهما ) من السجن والقتل وهو الساقى ( اذ كرفى عند ربك ) عند سيدك الملك اتى مظلوم عدا ( وازاته ) على اخوتي فباعوني وأنا حر وحسبت في السجن وأنا مظلوم ( فأنسا الشيطان ذكر ربه ) فاشغله الشيطان حتى نسى ذكر يوسف عند سيد الملك ويقال وسوس لها الشيطان ان ذكرت السجن للملك يرجعك الى السجن فلذلك لم يذكره ويقال فأنسا الشيطان أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه حتى ترك ذكر ربه وذكروا مخلوقا دونه



(فلبث في السجين بضع سنين) أي سبعا عند الجمهور والبضع ما بين الثلاث الى التسع (وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يا كلهن سبع عجاف وسبع سنبلات) ٤١١ { خضر وأخرياسات } لمادنا فرج يوسف { لمادنا فرج يوسف رأى ملك

مصر الريان بن الوليد رؤيا عجبية حالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انتقدحها وسبعا أخرياسات قد استحصدت وأدرجت فالتوت الياسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستحبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها وقيل كان اشتداء بلاء يوسف في الرؤيا ثم كان سبب نجاحه أيضا الرؤيا سمان جمع سمين وسمينة والعجاف المهازيل والعجاف الهزال الذي ليس بسده سمانة والسبب في وقوع عجاف جماع الجفاف وأفضل وفعله لا يجمعان على فقال جلله على تقيضه وهو سمان ومن دأهم حل التظير

(فلبث) فكث (في السجين بضع سنين) سبع سنين عقوبة بترك ذكر الله وكان قبل هذا في السجين خمس سنين (وقال الملك اني ارى) رأيت في المنام (سبع بقرات سمان) خرجن من نهر (يابس) يتلمهن (سبع عجاف) بقرات هالكات من الهزال خرجن

في الجملة لكنها لا تليق بتصيب الانبياء ﴿ فلپث فی السجین بضع سنین ﴾ البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القمط ﴿ وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يا كلهن سبع عجاف ﴾ لمادنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان ﴿ وسبع سنبلات خضر ﴾ قد انتقدحها ﴿ وأخر يابسات ﴾ وسبعا أخرياسات قد أدركت فالتوت الياسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التميز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف

وازالته عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه ﴿ وقوله سمانه وتعالى ﴾ فلپث فی السجین بضع سنین ﴿ اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث الى السبع وقال قتادة هو ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلها في السجين خمس سنين فجملة ذلك اثنتا عشرة سنة وقال وهب أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف في السجين سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساق اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلاً طيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب أنسى قلبى ذكرك كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته التي قالها ما لبث في السجين ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل : <sup>٩</sup> صرفنا عننا الى الناس ذكره الثعلبي مرسلًا وبغير سند وقيل ان جبريل دخل على يوسف في السجين فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يا أخا المنذرين مالي أراك بين الخطاطين فقال له جبريل يا طاهر ابن الطاهر ينقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك أما استحييت مني أن استنثت بالآدميين قوعزتي وجلالي لأبثنك في السجين بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك عقر اض قال نعم قال اذا لا بألى وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك من خلقك قال الله قال فن رزقك قال الله قال فن حييكت الى أبيك قال الله قال فن نجاك من كرب البئر قال الله قال فن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بأدى مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس سنين التي كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف وأراد الله عز وجل اخراجه من السجين رأى ملك مصر الاكبر رؤيا عجبية حالته وذلك انه رأى في منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقيهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان ودخلن في بطونهن ولم يرمنهن شيء ولم يبين على العجاف منها شيء ورأى سبع سنبلات خضر قد انتقدحها وسبع سنبلات أخرياسات قد استحصدت فالتوت الياسات على الخضر حتى علون عايهن ولم يبق من خضرتها شيء فجمع السمرة والكهنة والمعبدين وقص عليهم رؤياه اني رأها فذلك قوله تعالى ﴿ وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يا كلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخرياسات

من بعد السمان ولم يستن عليهن شيء (وسبع سنبلات خضر وأخرياسات) التوين على الخضر وغابن خضرتهن ولم يستن عليهن



على التفسير والتقيص على التقيص وفي الآية دلالة على أن السبلات الباسية كانت سبعا كالحضر لأن الكلام مبنى على التعبير إلى هذا العدد في البقرات السحان والجفاف والسابل الحضر فوجب أن يتناول معنى الآخر السبع ويكون قوله وأخرا يساند بمعنى وسبعا آخر (يا أيها الملأ) كأنه أراد الإيمان من العلماء والحكماء (أفتونى في رؤياي) ان كنتم للرؤيا تعبرون اللام في الرؤيا للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين أولان المفصول به اذا تقدم على الفعل لم يكن في قوته على العمل فيه مثلا اذا تأخر عنه فمضد بها تقول { الجزء الثاني عشر } عبرت الرؤيا ﴿ ٤١٢ ﴾ وللرؤيا عبرت أو يكون للرؤيا خبر كاد

ثم ذرا التميز بها جرها عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه جلى على سمان لانه تقيضه ﴿ يا أيها الملأ أفتونى في رؤياي ﴾ عبروها وان كنتم للرؤيا تعبرون ﴿ ان كنتم علمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثاله من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة أثبت من عبرتها تميرا واللام للبيان أو لتقوية العامل فان الفعل لما اخرج من مفعوله ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل أو لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كأنه قيل ان كنتم تتدبرون لعبارة الرؤيا ﴿ قالوا أضغاث أحلام ﴾ أى هذه أضغاث أحلام وهي تخاليطها جمع ضغث وأصله ما جمع من إخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل أى تضمنه أشياء مختلفة ﴿ وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴾ يريدون بالأحلام المنامات الباطلة خاصة أى ليس لها تأويل عندنا وإنما تأويل المنامات الصادقة فهو كأنه مقدمة ثمانية للمعنى في جعلهم بتأويله ﴿ وقال الذى نجا منهما ﴾ من صاحى السجين

يا أيها الملأ أفتونى في رؤياي ﴿ معنى يا أيها الاشراف أخبروني بتأويل رؤياي ﴾ ان كنتم للرؤيا تعبرون ﴿ معنى ان كنتم يحسنون علم العبارة وتفسيرها وعلم التعبير يختص بتفسير الرؤيا وسمى هذا العلم تمييزا لان المفسر للرؤيا عار من ظاهرها الى باطنها ليستخرج معناها وهذا أخص من التأويل لان التأويل يقال فيه وفي غيره ﴿ قالوا ﴾ معنى قال جماعة الملأ وهم السحرة والكهنة والمعبرون محبين للملك ﴿ أضغاث أحلام ﴾ يعنى إخلاط مشتبهة واحدا ضغث وأصله الحزمة المختلطة من أنواع الحشيش والأحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي يراها الانسان في منامه ﴿ وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴾ لما جعل الله هذه الرؤيا سبيلا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن وذلك لما رآها قلق واضطرب وذلك لانه قد شاهد الناقص الضعيف قد استولى على القوى الكامل حتى قهره وغلبه فأراد أن يعرف تأويل ذلك فجمع سحرته وكهنته ومعبريه وأخبرهم بما رأى في منامه وسألهم عن تأويلها فاعجز الله بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تأويل هذه الرؤيا ومنهم من الجواب لكون ذلك سبيلا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن فذلك قوله تعالى ﴿ وقال الذى نجا منهما ﴾

كقولك كان فلان لهذا الامر اذا كان مستغلبه متكئته وتعبرون خبر آخر أوحال وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أسرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعه حتى تبلغ آخر عرضة وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا اذا ذكرت ما لها وهو سرجهما وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذى اعتمد الاتيات ورأيتهم يتكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر (قالوا أضغاث أحلام) أى هى أضغاث أحلام أى تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الاضغاث ما جمع من إخلاط النبات وحزم من أنواع الحشيش الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من أى أضغاث من أحلام وانما جمع وهو حلم واحد تضاف

وصف الحلم بالبطلان وجاز ان يكون قد تضمن عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (وما نحن بتأويل) (يعنى الأحلام بعالمين) أرادوا بالأحلام المنامات الباطلة فقالوا ليس لها عهدنا تأويل انما التأويل للمنامات الصحيحة أو اعترفوا بقصور علمهم وأهم ليسوا في تأويل الأحلام بخابرين (وقال الذى نجا) من القتل (منها)

شئ (يا أيها الملأ) يعنى العرافين والسحرة والكهنة (أفتونى في رؤياي) في تعبير رؤياي (ان كنتم للرؤيا تعبرون) تعلمون (قالوا) يعنى العرافين والكهنة والسحرة (أضغاث أحلام) هذه أباطيل أحلام كاذبة مختلفة (وما نحن بتأويل الأحلام) يقول بتعبير رؤيا الأحلام (بعالمين وقال الذى نجا منهما)

من صاحبي السجن ( وادكر ) بالدال هو التصحيح واسله اذ تكرر فابتدأت الدال دالا والهاء دالا وادعتت الالف الثانية لثارب الحرفين ومن الحسن واذ كرو وجهه انه قلب اثناء ذالا وادغم اى تذكر يوسف وما شاهد منه ( بعدامة ) بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه وأعاضل على الملك تأويلها تذكر الثابى يوسف وتأويله رؤياه ورؤياه صاحبه وطلبه اليه يذكره عند الملك ( انا أنبئكم بتأويله ) انا أخبركم به عن عنده عليه ( فارسلون ) وبالياء يعقوب اى فابثوني اليه لاسأله فارسلوه الى ﴿ ٤١٣ ﴾ يوسف فاتاه { سورة يوسف } فقال ( يوسف أيها

الصديق ) أيها الصديق في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤياه صاحبه حيث جاء كما اول ( أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس ) الى الملك وأتباعه ( لهم يعلمون ) فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محتك ( قال تزرعون

وهو الشرايى ) وادكر بعدامة ) وتذكر يوسف بعد جاعة من الزمان جماعة اى مدة طويلة وقرى أمة بكسرة الهمزة وهى النعمة أى بعد ما نعم عليه بالخجاة واه اى نسيان يقال امة يأمة امها اذا نسى والجملة اعتراض ومقول القول ﴿ انا أنبئكم بتأويله فارسلون ﴾ اى الى من عنده علم أو الى السجين ﴿ يوسف أيها الصديق ﴾ اى فارسل الى يوسف فيجاءه وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق هو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤياه صاحبه ﴿ أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ﴾ اى في رؤياه ذلك لعل ارجع الى الناس ﴿ اعود الى الملك ومن عندهما الى اهل البلد اذ قيل ان السجين لم يكن فيه ﴾ لهم يعلمون ﴿ تأويلها أفضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم ﴾ قال تزرعون

يصفى وقال الساقى الذى نجما من السجن والقتل بعد هلاك صاحبه الجبار ﴿ وادكر بعدامة ﴾ يعنى انه تذكر قول يوسف اذ كرفى عند ربك بعدامة يعنى بعد حين وهو سبع سنين وسمى الحين من الزمان أمة لانه جاعة الايام والامة الجاعة ﴿ انا أنبئكم ﴾ يعنى أخبركم ﴿ بتأويله ﴾ وقوله انا أنبئكم بلفظ الجمع اما أنه أراد به الملك مع جاعة الصحرة والكهنة والمعبين أو أراد به الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الفتى الساقى جثاين يدي الملك وقال ان فى السجن رجلا طالما يعبر الرؤيا ﴿ فارسلون ﴾ فيه اختصار تقديره فارسلنى أيها الملك فارسله فاقى السجين قال ابن عباس ولم يكن فى المدينة ﴿ يوسف ﴾ اى يا يوسف ﴿ أيها الصديق ﴾ انما سمى صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والذى لم يكذب قط وقيل سمى صديقا لانه صدق في تفسير رؤياه التى رآها فى السجن ﴿ أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ﴾ فان الملك رأى هذه الرؤيا ﴿ لعلى أرجع الى الناس ﴾ يعنى أرجع بتأويل هذه الرؤيا الى الملك وجاعته ﴿ لهم يعلمون ﴾ يعنى بتأويل هذه الرؤيا وقيل لهم يعلمون منزلتك فى العلم ﴿ قال ﴾ يعنى قال يوسف معبر تلك الرؤيا أما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخضبة وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجذبة فذلك قوله تعالى ﴿ تزرعون ﴾ وهذا خبر

فيجاءه فقال ليوسف يا ( يوسف أيها الصديق ) الصادق في تفسير الرؤيا الاولى ( أفتنا في سبع بقرات سمان ) خرجن من نحر ( يأكلهن ) يتلعهن ( سبع عجاف ) هزال هالكات ( وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ) التوين على الحضرة وغلبن خضرتهن ( لعلى أرجع الى الناس ) الى الملك ( لهم يعلمون ) لى يعلموا رؤيا الملك فقال يوسف نعم اما السبع بقرات السمان فهن سبع سنين مخضبة واما السبع سنبلات الخضر فهن الخضر والخصب والرخص فى السنين المخضبة واما السبع بقرات الهزال هالكات فهى سبع سنين مجذبة واما السبع سنبلات اليابسات فهى القحط والغلاء فى السنين المحذبة ثم علمهم يوسف كيف يصنعون ( قال تزرعون

سبع سنين) هو خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون دليله قوله فذروه في سنبله وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في وجود الامور به فيحصل كانه موجود فهو يخبر عنه (دأبا) بسكون الهمزة وحذف بحركة وهما مصدران دأب في العمل وهو حال من المأمورين أي دأبين (فاحصدتم فذروه في سنبله) كي لا يأكله السوس (الا قليلا عما تأكلون) في تلك ; الجزء الثاني عشر { السنين ٤١٤ } (ثم يأتي من بعد ذلك سبع

سبع سنين دأبا) أي على عادتك المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دأبين أو المصدر باضمار فعله أي تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا . وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة كلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون اسراخرجه في صورة الخبر للمبالغة لقوله ﴿ فاحصدتم فذروه في سنبله ﴾ لئلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة ﴿ الا قليلا عما تأكلون ﴾ في تلك السنين ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداديا تكن ما قدمتم لهن ﴾ أي يأكل اهلهم ما دخرتم لاجلهم فاستداليهن على الجواز تطيقا بين المبرو المعبر به ﴿ الا قليلا مما تحصنون ﴾ تحرزون ليدور الزراعة ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يقات الناس ﴾ يعطرون من الفيت أو يقاتون من القسط من القوت ﴿ وفيه يصرون ﴾ ما يصرون كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ جزء والكسائي ياتاء على تغليب المستقوى وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاء ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه أي يغنيهم الله ويغني بعضهم بعضا أو من اعصرت السحابة عليهم فعدي بقرع الحافض أو بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بهامدان اول البقرات السمان والسبلات الحضر بسنين مخسبة والجفاف واليابسات بسنين مجدية

بمعنى الاسراى ازرعوا ﴿ سبع سنين دأبا ﴾ يعني عادتك في الزراعة والدأب العادة وقيل ازرعوا يجرد واجتهاد ﴿ فاحصدتم فذروه في سنبله ﴾ انما امرهم بترك ما حصدوه من الحنطة في سنبله لئلا يفسد ويقع فيه السوس وذلك أتى له على طول الزمان ﴿ الا قليلا عما تأكلون ﴾ يعني ادرسوا قليلا من الحنطة لئلا كل بقدر الحاجة وأمرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة أيضا وهو وقت السنين المجدية وهو قوله ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك ﴾ يعني من بعد السنين المخسبة ﴿ سبع شداد ﴾ يعني سبع سنين مجدية محملة شديدة على الناس ﴿ يأكلن ﴾ يعني يقنين ﴿ ما قدمتم لهن ﴾ يعني يؤكل فيهن كل ما أعدتم وادخرتم لهن من الطعام وانما أضاف الاكل الى السنين على طريق التوسع في الكلام ﴿ الا قليلا مما تحصنون ﴾ يعني تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك ﴾ يعني من بعد هذه السنين المجدية ﴿ عام فيه يقات الناس ﴾ أي يعطرون من الفيت الذي هو المطر وقيل هو من قولهم استغثت بفلان فأخافني من القوت ﴿ وفيه يصرون ﴾ يعني يصرون العنب خيرا والزيتون زيتا والسهم دهنا أو اذبه كغزة الخير والنعيم على الناس وكثرة الحصب في الزرع والثمار وقيل يصرون مشاة ينجون من الكرب والشدة

شداديا تكن) هو من اسناه المجاز جعل أكلهن مستندا اليهن (ما قدمتم لهن) أي في السنين المخسبة (الا قليلا مما تحصنون) تحرزون وتخبنون (ثم يأتي من بعد ذلك عام) أي من بعد أربع عشرة سنة عام (فيه يقات الناس) من القوت أي يحارب مستغنيهم أو من الفيت أي يعطرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت ( وفيه يصرون) العنب والزيتون والسهم فيتحذون الاشربة والادهان يصرون جزء قاول البقرات السمان والسبلات الحضر بسنين مخاصيب والجفاف واليابسات بسنين مجدية ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بان العام الثامن يحى مبارك كثير الخير عزيز النعم وذلك من جهة الوحي

سبع سنين) المخسبة (دأبا) دأبا كل عام (فا حصدتم) من الزرع (فذروه في سنبله) في كواثره ولا تدوسوه لانه أتى له (الا قليلا

مما تأكلون) تقول بقدر مما تأكلون (ثم يأتي من بعد ذلك) من بعد السنين المخسبة (سبع شداد) سبع سنين قحطة (والجذب) (يأكلن ما قدمتم لهن) ما رفعت لهن للسنين المجدية في السنين المخسبة (الا قليلا مما تحصنون) تحرزون (ثم يأتي من بعد ذلك) من بعد السنين المجدية (عام فيه يقات الناس) اهل مصر بالطعام والمطر ( وفيه يصرون) الكروم والادهان والزيت فرجع الرسول وأخبر الملك بذلك

وقال الملك اثوني به فلما جاءه الرسول ليخرج من السجن (قال ارجع الى ربك) اي الملك (فاستله ما بال النسوة) أي حال النسوة (اللاتي قطعن ايديهن) انما ثبت وتأتى في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما رمى به وسجن فيه ثلاثا يتسلى به الحاسدون الى تقييم امره عنده ويحملوه سلا الى حط منزله لديه ولثلاثا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير فيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم ٤١٥ واجب وجوب { سورة يوسف } اتقاء الوقوف في مواقفها

وقال عليه السلام لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات الجحاف والسحان ولو كنت مكانه ما أخرتهم حتى اشتراط ان يخرجوني واقتد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبت في السجن ما لبث لاسرعت الاحابة وبادرت الباب ولما ابتغيت المذران كان لخليما ذائناة ومن كرمه وحسن أدبه انه لم يذكر سيده مع ما صنعت به وتيسيت فيه من السجن والذاب واقتصر على ذلك المقطعات أيدين (ان ربي بكيدهن عليم) أي ان كيدهن عظيم لا يعلمه الا الله وهو مجازين عليه فرجع الرسول الى الملك

(وقال الملك اثوني به يوسف) (فلما جاءه الرسول) وهو الساقى الى يوسف فقال ان الملك يدعوك (قال) له يوسف (ارجع الى ربك)

وابتلاع الجحاف السحان بأكل ما جع في السنين المخصبة في السنين المجدية ولعله علم ذلك بالوحى أو بان انتهاء الجذب بالخصبة أو بان السنة الالهية على ان يوسف على عبادته بعدما صديق عليهم وقال الملك اثوني به بعد ما جاءه الرسول بالتحير فلما جاءه الرسول ليخرج من السجن (قال ارجع الى ربك) فاستله ما بال النسوة (اللاتي قطعن ايديهن) انما تأتى في الخروج وقدم سؤال النسوة وتقصص حالهن ليظهر براءة ساحته ويؤاتيه سجين ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوصل به الى تقييم امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يعتمد في نفي التهم ويتقى مواقمها وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لو كنت مكانه ولبت في السجن ما لبث لاسرعت الاحابة وانما قال فاستله ما بال النسوة ولم يقل فاستله ان يقتض من حالهن تهيجاله على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كراما وصراعاة للادب وقرئ النسوة يضم النون (ان ربي بكيدهن عليم) حين قلن لي اطعم مولاناك والجذب \* قوله عز وجل (وقال الملك اثوني به) وذلك ان الساقى لما رجع الى الملك وأخبره بفتيا يوسف وما عبر به رؤياه استحسنه الملك وعرف ان الذي قاله كائن لا محالة فقال اثوني به حتى أبصر هذا الرجل الذي قد عبر رؤياي هذه العبارة فرحم الساقى الى يوسف وقال له أجب الملك فذلك قوله تعالى (فلما جاءه الرسول) فأى أن يخرج منه حتى تظهر براءته للملك ولا يراه بعين النقص قال (يعنى قال يوسف للرسول ارجع الى ربك) يعنى الى سيدك وهو الملك (فاستله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن) ولم يصرح بذلك امرأة العزيز أذبا واحتراما لها (ق) عن أي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لبثت في السجن طول ايث يوسف لاجت الداعى اخبره الترمذى وزاد فيه ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاستله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعى رسول الملك الذى حاه من عنده فلم يخرج معه مبادرا الى الراحة ومفارقة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل فلبث في السجن وراسل الملك في كشف امره الذى سجن بسبه لتظهر براءته عند الملك وغيره فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف عليه الصلاة والسلام وبين فضيلته وحسن صدره على المحنة والبلاء وقوله (ان ربي بكيدهن عليم) يعنى ان الله تعالى عالم بصنعهم وما احتلن في هذه الواقعة من الحيل العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف

الى سيدك الملك (فاستله ما بال النسوة) يقول قل لملك حتى يسأل عن خبر النسوة (اللاتي قطعن) خدشن وخشن (أيديهن ان ربي) سيدى (بكيدهن) بكمهن وصنيعهن (عليم) فرجع الرسول وأخبر الملك فجمع الملك هؤلاء النسوة كلهن وكن أربع نسوة امرأة ساقيه وامرأة صاحب مطبخه وامرأة صاحب دوابه وامرأة صاحب سجنه وامرأة العزيز أيضا ولم يكن في مصر أعظم منهن

من عند يوسف برساته قدام الملك النسوة المقطعات ايديهن ودعا امرأة العزيز تم ( قال ) لهن (ماخطبكن) ماشأنكنه (اذراودتن يوسف عن نفسه) هل وجدتن منه ميلا ليكن (قلن حاش الله) تجبا من قدرته على خلق عفيف مثله (ماعلم عليه من سوء) من ذنب (قالت) الجزاء الثاني عشر { امرأت العزيز } ٤١٦ { الآن حصص الحق } ظه

وقبه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه برى مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن ﴿ قال ماخطبكن ﴾ قال الملك لهن ماشأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه ﴿ اذراودتن يوسف عن نفسه قلن حاش الله ﴾ تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ﴿ ماعلمنا عليه من سوء ﴾ من ذنب ﴿ قالت امرأت العزيز الآن حصص الحق ﴾ ثبت واستقر من حصص البعير اذا التى مباركه ليناخ قال

لحصص في صم الصفان فتناه • وناه يسلى نوة ثم سميا

او ظهر من حص شعره اذا استأسله بحيث ظهر بشرة رأسه وقرى على البناء للمفعول ﴿ انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ﴾ في قوله هي راودتنى عن نفسى ﴿ ذلك ليعلم ﴾ قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن أى ذلك الثبوت ليعلم العزيز ﴿ انى لم اخنه بالقيب ﴾ بظهر القيب وهو حال من الفاعل أو المفعول أى لم اخنه وانا قتب عنه أو هو قائب عنى أو ظرف أى بمكان القيب وراء الاستار والابواب المغلقة ﴿ وان الله لا يهدي كيد الخائنين ﴾

الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن و ﴿ قال ﴾ لهن ﴿ ماخطبكن ﴾ أى ماشأنكن وأمركن ﴿ اذراودتن يوسف عن نفسه ﴾ انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امرأة العزيز وحدها ليكون أستر لها وقيل ان امرأة العزيز راودته عن نفسه وحدها وسائر النسوة أمرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب ﴿ قلن ﴾ يعنى النسوة جميعا محبات للملك ﴿ حاش الله ﴾ يعنى معاذ الله ﴿ ماعلمنا عليه من سوء ﴾ يعنى من خيانة فى شئ من الاشياء ﴿ قالت امرأت العزيز الآن حصص الحق ﴾ يعنى ظهر وتبين وقيل ان النسوة أقبلن على امرأة العزيز فعزرنها وقيل خافت أن يشهدن عليها ماقرت فقالت ﴿ انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ﴾ يعنى فى قوله هي راودتنى عن نفسى واختلفوا فى قوله ﴿ ذلك ليعلم ﴾ انى لم اخنه بالقيب على قولين أحدهما انه من قول المرأة ووجه هذا القول ان هذا كلام متصل بما قبله وهو قول المرأة الآن حصص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم أى لم اخنه بالقيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف أى لم اخنه فى حال غيبته وهو السجين ولم أكذب عليه بل قلت انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وان كنت قد قلت فيه ما قلت فى حضرته ثم بالنت فى تأكيد هذا القول فقالت ﴿ وان الله لا يهدي كيد الخائنين ﴾ يعنى انى لما أقدمت على هذا الكيد والمكر لاجرم انى اقتضت لان الله

واستقر ( انا راودته عن

نفسه وانه لمن الصادقين )

فى قوله هي راودتنى عن

نفسى ولا مزيد على شهادتهن

له للبراءة والنزاهة واعتزالهن

على انفسهن بانه لم يتعلق

بشئ مما قذف به ثم رجع

الرسول الى يوسف وأخبره

بكلام النسوة واقرار امرأة

العزيز وشهادتها على نفسها

فقال يوسف (ذلك) أى

أمتاعى من الخروج والتثبت

لظهور البراءة ( ليعلم )

العزيز (انى لم اخنه بالقيب)

بظهر القيب فى حرمة

والقيب حال من الفاعل

أو المفعول على معنى وأما

قائب عنى وهو قائب عنى

أو ليعلم الملك انى لم اخن

العزيز ( وان الله ) أى

وليعلم أن الله لا يهدي كيد

الخائنين لا يسده وكأنه

تعرض بامرأته فى خيانتها

أمانة زوجها ثم أراد أن

يتواضع لله ويهضم نفسه

ان لا يكون لها من كيا وليين

دون الملك ( قال ) لهن

(الملك) ماخطبكن) ماشأنكن

وما حالكن ( اذراودتن

يوسف عن نفسه قلن حاش الله) معاذ الله (ماعلمنا عليه) ما رأينا منه (من سوء) من قبيح (قالت امرأت العزيز الآن ( لا يرشد )

حصص الحق) الآن تبين الحق ليوسف ويقال الآن خبر الصدق (انا راودته عن نفسه) انا دعوته الى نفسى (وانه لمن الصادقين)

فى قوله انه لم يراودتنى قال يوسف (ذلك ليعلم) العزيز (انى لم اخنه) فى امرأته (بالقيب) اذا غاب عنى (وان الله لا يهدي) لا يصوب

ولا يرضى (كيد الخائنين) عمل الزائنين

لا ينفذه ولا يسدده أو لا يهدي الحائنين بكيدهم فأوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه  
تعرض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لاماته ولذلك عقبه

لا يرشد ولا يوفق كيد الحائنين والقول الثاني أنه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام  
وهذا قول الأكثرين من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول أنه لا يبعد وصل كلام  
إنسان بكلام إنسان آخر إذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية أنه لما بلغ يوسف  
قول المرأة أنا راودته عن نفسه وأنتم الصادقين قال يوسف ذلك أي الذي فعلت من  
ردى رسول الملك إليه ليعلم أي لم أخنه في زوجته بالغيبة يعني في حال غيبته  
فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه من غير تمييز  
بين الكلامين لمعرفة السامعين لذلك مع عوض فيه لأنه ذكر كلام إنسان ثم اتبعه بكلام إنسان  
آخر من غير فصل بين الكلامين وتطير هذا قوله تعالى يريد أن يخرجكم من أرضكم هذا  
من قول الملائكة فإذا تأمرون من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا  
من قول بلقيس وكذلك يفعلون من قوله عز وجل تصديقاً لها وعلى هذا القول اختلفوا  
أين كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين « أحدهما أنه كان في السجن وذلك أنه لما  
رجع إليه رسول الملك وهو في السجن وأخبره بجواب امرأة العزيز للملك قال حينئذ  
ذلك ليعلم أي لم أخنه بالغيبة وهذه رواية أبي صالح عن ابن عباس وبه قال  
ابن جرير والقول الثاني أنه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية  
عطية عن ابن عباس « فإن قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلفظة ذلك  
وهي إشارة للنائب مع حضوره عندهم « قلت قال ابن الأنباري قال اللغويون  
هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع لقرب الخبر من أصحابه فصار  
كالمشاهد الذي يشار إليه هذا وقبل ذلك إشارة إلى ما قبله يقول ذلك الذي فعلته  
من ردى الرسول ليعلم أي لم أخنه بالغيبة أي لم أخن العزيز في حال غيبته ثم  
ختم هذا الكلام بقوله وأن الله لا يهدي كيد الخائنين يعني أني لو كنت خائناً لما خلصني  
الله من هذه الورطة التي وقعت فيها لأن الله لا يهدي أي لا يرشد ولا يوفق كيد  
الحائنين واختلفوا

إن ما فيه من الأمانة يتوفق  
الله وعصيته فقال

فعال له جبريل عليه السلام  
ولاحين همست بها يوسف  
فقال يوسف







الحزب الثالث عشر

وہم ارحم الراحمین

بقوله ﴿وما أبرئ نفسي﴾ أي لا أنزهها نسيها على أنه لم يرد بذلك تركية نفسه والعجب بمجاهله بل  
أظهار ما أنعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لما قال  
ليعلم أني لم أخش بالغيث قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ﴿ان النفس لأماراة  
بالسوء﴾ من حيث أنها بالطبع مائلة الى الشهوات فتم بها وتستعمل القسوى والجوارح  
في قوله ﴿وما أبرئ نفسي﴾ من قول من على قولين أيضا أحدهما أنه من قول المرأة وهذا  
التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم أني لم أخش بالغيث من قول المرأة فعلى هذا يكون المعنى  
وما أبرئ نفسي من مراودتي يوسف عن نفسه وكذبتي عليه والقول الثاني وهو الأصح وعليه  
أكبر المفسرين أنه من قول يوسف عليه السلام وذلك أنه لما قال ذلك ليعلم أني لم أخش بالغيث  
قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي وهذه رواية عن ابن  
عباس أيضا وهو قول الأكثرين وقال الحسن ان يوسف لما قال ذلك ليعلم أني لم أخش بالغيث  
خاف ان يكون قد ذكركي نفسه فقال وما أبرئ نفسي لا ان الله تعالى قال فلا تزكوا أنفسكم ففي  
قوله وما أبرئ نفسي هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل فان رؤية النفس  
في مقام العصمة والتركبة ذنب عظيم فإدازلة ذلك عن نفسه فان حسات الأبرار سيئات  
المقربين ﴿ان النفس لأماراة بالسوء﴾ والسوء لفظ جامع لكل ما يهيم الإنسان من الأمور  
الدنيوية والاخرية والسيئة الفعلية القبيحة واختلفوا في النفس الامارة بالسوء ما هي  
فالذي عليه أكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم ان النفس الانسانية واحدة ولها  
صفات منها الامارة بالسوء ومنها اللوامة ومنها المظمئة فهذه الثلاث المراتب هي

(وما أبرئ نفسي) من الزلل  
وما أشهد لها ما لا أكايه  
ولا أزكها في يوم الاحوال  
أو: هذه الحادثة لما ذكرنا  
منها في الاصل  
ابشيرة لاعم طريق  
الفصد والعزم (ار النفس  
لأمانة بالسوء) أراد  
الجنس أي ان هذا الجنس  
يأمر بالسوء ويحمل عليه  
لما فيه من الشهوات

---

(وما أبرئ نفسي) قلبي  
من الهم (ار النفس) يعني  
القلب (لأمانة) للسوء  
(بالسوء) بالقبائح من العمل

(الامارح ربي) الا اليمض الذي رجحه ربي بالعصمة ويموزان يكون ما رسم في معنى الزمان أي الا وقت رجحة ربي يعني الهامزة بالسوء في كل وقت الا وقت العصمة ﴿٤٢١﴾ أو هو استثناء { سورة يوسف } منقطع أي ولكن رجحة

ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت ليلى يوسف أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال القية وجئت بالصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الحياة فاني قد خنته حين قد خنته وقلت ما جزاء من أراد ياهلك سوا إلا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار عما كان منها أن كل نفس لامارة بالسوء الا مارح ربي الانفسا رجحها الله بالعصمة كنفس يوسف ( ان ربي غفور رحيم ) استغفرت ربي واسترجته عا ارتكبت وانما جسل من كلام يوسف ولادليل عليه ظاهر لان المعنى يقود اليه وقيل هذا من تقديم القرآن وتأخيريه أي قوله ذلك ليلى متصل بقوله فاستله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ( وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي ) أجمله خالصا لنفسي ( فلما كلمه ) وشاهد منه ما لم يحتسب

( الامارح ربي ) عصم ربي

في أثرها كل الاوقات ﴿ الامارح ربي ﴾ الا وقت رجحة ربي أو الامارح الله من النفوس فصمم من ذلك وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن رجحة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرا به . ومن ابن كثير ونافع بالسوء على قلب العزمة واواثم الادغام ﴿ ان ربي غفور رحيم ﴾ يفقرهم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة أو يفقر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه المستغفر واسترجه عا ارتكبه ﴿ وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي ﴾ أجمله خالصا لنفسي ﴿ فلما كلمه ﴾ أي فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء

صفات لنفس واحدة فاذا دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها فهي النفس الامارة بالسوء فاذا فعلتها أتت النفس اللوامة فلا تمهل على ذلك الفل الفل القبيح من ارتكاب الشهوات ويحصل عند ذلك اللامة على ذلك الفل القبيح وهذا من صفات النفس المطمئنة وقيل ان النفس اماراة بالسوء بطبيعتها فاذا تزكت وصفت من اخلاقها الذميمة صارت مطمئنة ﴿ وقوله ( الامارح ربي ) ﴾ قال ابن عباس معناه الامن عصم ربي فتكون ما معنى من فهو كقوله ما طاب لكم من النساء يعني من طاب لكم وقيل هذا استثناء منقطع معناه لكن من رسم ربي فصمم من متابعة النفس الامارة بالسوء ﴿ ان ربي غفور ﴾ يعني غفور لذنوب عاده ﴿ رحيم ﴾ بهم ﴿ قوله تعالى ﴾ وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي ﴿ وذلك انه لما تبين للملك عذر يوسف وعرف امانته وعلمه طلب حضوره اليه فقال ائتوني به يعني يوسف أستخلصه لنفسي أي أجمله خالصا لنفسي والاستخلاص طلب خلوص الشيء من جميع شوائب الاشتراك وانما طلب الملك أن يستخلص يوسف لنفسه لان مادة الملوك أن يتفردوا بالاشياء الفيسة العزيزة ولا يشاركهم فيها أحد من الناس وانما قال الملك ذلك لما عظم اعتقاده في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره واحسانه الى اهل السجن وحسن ادبه وثباته على الحق كلها فاهذا حسن اعتقاد الملك فيه واذا أراد الله تعالى امرأها أسيا به فالهم الملك ذلك فقال ائتوني به أستخلصه لنفسي ﴿ فلما كلمه ﴾ فيه اختصار تقديره فلما جاء الرسول الى يوسف فقال له أجب الملك الآن ملا معاودة فاحاه روى أن يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تهم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على يده هذا بيت البلواء وقر الاحياء وشimate الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من دزن السجن ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز حاك وجل شاك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما أصر الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عبي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان

( ان ربي غفور ) متجاوز ( رحيم ) لما هممت ( وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي ) اخصه لنفسي دون العزيز ( فلما كلمه ) بعد ما جاء اليه وفسر رؤياه

( قال ) الملك ليوسف ( انك اليوم لدينا مكين أمين ) ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شيء روى ان الرسول جاءه معه سبعون حاجيا { الجزء الثالث عشر } وسبعون ٤٢٢ سركاوبعث اليه لباس الملوك فقال أجب الملك

فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البليوا وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من دون السجن ولبس ثيابا جندا فلما دخل على الملك قال اللهم اني أسالك

أيضا قال يوسف هذا لسان آباءى قال وهب وكان الملك يشكلم بسبعين لنة فلم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلفه بلسان أجابه يوسف وزاد عليه بالعربية والعبرانية فلما رأى الملك منه ذلك أعجبه ما رأى مع حدائة سن يوسف عليه السلام وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة فاجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى فلما كلفه يحنى فلما كلم الملك يوسف لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد أن يبدأ بالكلام فيها وانما يبدأ الملك فيها بالكلام وقيل مناه فلما كلم يوسف الملك قال الساقى أيها الملك هذا الذى علم تأويل رؤياك مع عجز السحرة والكهنة عنها فاقبل عليه الملك و ( قال انك اليوم لدينا مكين أمين ) يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة أى منزلة وهى الحالة التى يتمكن بها صاحبها بما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت أمانتك ومنزلتك وصدقك وبراهتك مما نسبت اليه وقوله مكين أمين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل والمناقب فى أمر الدين والدنيا روى ان الملك قال ليوسف عليه الصلاة والسلام أحب أن أسمع تأويل رؤياى منك شفاها فقال نعم أيها الملك رأيت سبع بقران سمان شهب غرسان غير عجاف كشركك عنهن النيل فطلعن من شاطئه تشعب أخلافهن لبنا فيفينا أنت تنظر اليهن وقد أعجبك حسنهن اذ غضب النيل فغار ماؤه وبدا يسه فخرج من جأته سبع بقرات عجاف شعث غير ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلفن بالسمان فافترسن السمان كافتراس السبع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومنمشن مخهن فيفينا أنت تنظر وتنجب كيف غلبتهن وهن مهازل ثم لم يظهر منهن سمن ولا زيادة بمد أكلهن اذ سبغ سبيلات خضر طريات ناعجات بمثلثات حبا وماء والى جانبيهن سبع أخرسود يابسات فى منبت واحد عروقهن فى الثرى والماء فيفينا أنت تقول فى نفسك أى شيء هؤلاء خضر مثرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن فى الثرى والماء اذهبت ريح فذرت أوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن فصرن سودا فهذا ما رأيت أيها الملك ثم اتبعت مذعورا فقال الملك والله ما أخطأت منها شيئا فاشأن هذه الرؤيا وان

فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البليوا وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من دون السجن ولبس ثيابا جندا فلما دخل على الملك قال اللهم اني أسالك بخيرك من خيره وأعوذ بمرتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعاه بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آباءى وكان الملك يشكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فنجب منه وقال ايها الصديق اني أحب أن أسمع رؤياى منك قال رأيت بقرات فوست لونهن واحوالهن وكان خروجهن ووصف السنايل وما كان منها على الهيئة التى رآها الملك وقال لى من حقت أن تجمع الطعام فى الاهرام قيايتك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجمع لك من الكنوز ما لم يجمع لاحد قبلك قال الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه

( قال ) له الملك ( انك

( كان )

اليوم لدينا) عندنا (مكين) لك قدر ومنزلة (أمين) بالامانة ويقال بماوليتك

(قال) يوسف (اجعلنى على خزان { ٤٢٣ } الارض) وفى { سورة يوسف } على خزان أرضك بنى مصر

(أى حفيظ) أمين أحفظ  
ما استخفظنيه (عليم) عالم  
بوجوه التصرف وصف  
نفسه بالامانة والكفاية  
وهما طلبه الملوك ممن يولونه  
وأما قال ذلك ليتوصل الى  
امضاء أحكام الله واقامة  
الحق وبسط العدل  
والتكليف بما لاجله بث  
الانبياء الى العباد ولعله  
ان أحد اغيرة لا يقوم مقامه  
فى ذلك فطلبه ابتغاء وجه  
الله لالطب الملك والدنيا  
وفى الحديث رحم الله أخى  
يوسف لولم يقل اجعلنى على  
خزان الارض لاستعمله  
من ساعته ولكنه أخر ذلك  
سنة قالوا فيه دليل على انه  
يجوز ان يتولى الانسان عماله  
من يد سلطان جائر وقد  
كان السلف يتولون القضاء  
من جهة الظلمة واذا علم النبي  
أو العالم أنه لا سبيل الى  
الحكم بأمر الله ودفع الظلم  
الا بتكليف الملك الكافر  
أو الفاسق فله أن يستظهر  
به وقيل كان الملك يصدر  
عن رأيه ولا يعترض عليه  
فى كل ما رأى وكان فى حكم  
التابع له

( قال اجعلنى على خزان

الارض) على خراج مصر

(أى حفيظ) بتقديرها (عليم) بساعة الجوع حين يقع ويقال حفيظ لما وليتني عليم بجميع السن الثرىاء الذين يأتونك

قال اجعلنى على خزان الارض (عليم) بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما رأى انه يستعمله فى امره  
لا عمالة أثر ما تم فوأنه وتجمل عوائده وقبه دليل على جواز طلب التولية ورواها رانه مستعد  
لها والتولى من يد الكافر اذ علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به

كان عجباً فاهو باعجب مما سمعت منك وما ترى فى تأويل رؤياي ايها الصديق قال  
يوسف عليه الصلاة والسلام أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعاً كثيراً فى هذه السنين  
الخصبة وتجعل ما تحصل من ذلك الطعام فى الخزائن بقصبه وسنبله فانه انى له فيكون  
ذلك القصب والسنبل علقا للدواب وتأمر الناس فليروغوا الخس من ذروعهم أيضا  
فيكفيك ذلك الطعام الذى جمته لاهل مصر ومن حولها وتأنيك الخلق من سائر  
النواحي للميرة ويجمع عندك من الكنوز والاموال ما لا يجتمع لاحد قبلك فقال  
الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه ويبيعلى ويكفيك العمل فيه فخذ ذلك (قال) يعنى  
يوسف (اجعلنى على خزان الارض) يعنى على خزان الطعام والاموال وأراد  
بالارض أرض مصر أى اجعلنى على خزان أرضك التى تحت يدك وقال الربيع  
ابن أنس اجعلنى على خزان خراج مصر ودخلها (أى حفيظ عليم) أى حفيظ  
للخزان عليم بوجوه مصالحها وقيل معناه انى حاسب كاتب وقيل حفيظ لما استودعته  
عليم بما وليتني وقيل حفيظ للحساب عليم أعلم لفة من يأتيني وقال الكلبي حفيظ  
بتقديره فى السنين الخصبة للسنين المجدة عليم بوقت الجوع حين يقع فقال الملك  
عند ذلك ومن أحق بذلك منك وولاه ذلك (روى البزوى بإسناد الثعلبي عن ابن  
عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أخى يوسف  
لولم يقل اجعلنى على خزان الارض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة فان  
قلت كيف طلب يوسف عليه الصلاة والسلام الامارة والولاية مع ما روى من النهى  
عنها مع كراهية طلبها لما صح من حديث عبدالرحمن بن سمرة قال قال لى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يا عبدالرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أوتيتها عن مسئلة وكلت اليها  
وان أوتيتها عن غير مسئلة أعنت عليها أخرجه فى الصحيحين قلت انما يكره طلب الامارة  
اذا لم يتبين عليه طلبها فاذا تبين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا كراهية فيه فاما  
يوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله تعالى  
والرسول أعلم بمصالح الامة من غيره واذا كان مكلفا برعاية المصالح ولا يمكنه  
ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل  
قمص وشدة اما بطريق الوحي من الله أو بغيره وربما أفضى ذلك الى هلاك  
مظيم الخلق وكان فى طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عليه  
طلب الامارة لهذا السبب فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله انى حفيظ عليم  
والله تعالى يقول فلا تزكوا أنفسكم قلت انما يكره تزكية النفس اذا تمسده الرجل

وعن مجاهد أن الملك اسلم على يده ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ﴾ في أرض مصر ﴿ يتبوا منها حيث يشاء ﴾ ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون

التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل فهذا القدر المذموم في تزكية النفس أما اذا قصد بتزكية النفس ومدحها ايصال الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثله أن يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فانه يجب عليه أن يقول أنا عالم ولما كان الملك قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا بهد يوسف بقوله اني حفيظ عليم على انه عالم بما يحتاج اليه في مصالح الدنيا ايضا مع كمال علمه بمصالح الدين ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ﴿ وكذلك اشارة الى ما تقدم يعنى وكألمنا على يوسف بأن أنجيئناه من الحب وخلصناه من السجن وزيناه في عين الملك حتى قرب به وأدنى منزله كذلك مكنا له في الأرض يعنى أرض مصر ومعنى التمكن هو أن لا ينازعه منازع فيما يراه ويمتدحه واليه الاشارة بقوله ﴿ يتبوا منها حيث يشاء ﴾ لانه تفسير للتمكن قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سأل يوسف الامارة داه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلله بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكلا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع ووضع له عليه ثلاثون فراشا وستون ماريا وضرب له عليه كلة من استبرق وأمره أن يخرج فخرج متوجا ربه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان للملك مصر خزان كثيرة فسلمها الى يوسف وسلم له سلطانه كله وجعل أسره وقضاه نافذا في مملكته قالوا ثم هلك قطفير عزيز مصر في تلك الليالي فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدن قالت له أيها الصديق لا تظني فاني كنت امرأة حسنة ناعمة كما ترى في ملك ودنيا وكان صاحي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وحيثك فقلبتني نفسي وعصمك الله قالوا فوجدوها يوسف عذراء فاصابها فولدت له ولدين ذكرين افرائيم وميشا وهما ابنا يوسف منها واستوثق ليوسف ملك مصر وأقام فيه العدل وأحببه الرجال والنساء فلما اطمأن يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام أحسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجع فيها الطعام للستين المجدة وأنفق المال المعروف حتى خلت الستين المخصة ودخلت الستين المجدة بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل انه دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت ستين القحط كان أول من أصابه الجوع الملك فجاء نصف النهار فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أول اوان القحط فهلك في السنة الاولى من أول ستين القحط كل ما أعدوه في السنة المخصة فجعل أهل مصر يتاعون الطعام من يوسف فباعهم في

( وكذلك ) ومثل ذلك التمكن الظاهر ( مكنا ليوسف في الأرض ) أرض مصر وكانت أربعين فرسخا في أربعين والتمكن الاقدار واعطاء المكنة ( يتبوا منها حيث يشاء ) أي كل مكان أراد أن يتخذ منزلا لم يتع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه لشاهمكي

( وكذلك مكنا ليوسف ) هكذا مكنا يوسف ( في الأرض ) أرض مصر ( يتبوا ) ينزل ( منها ) فيها ( حيث يشاء ) يريد

(نصيب برجتنا) بطلنا في الدنيا من الملك والفن وغيرهما من النعم (من نشاء) من اقتضت الحكمة أن نشاءه ذلك (ولا نضيع أجر المحسنين) في الدنيا (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا) يريد يوسف وغيره من المؤمنين إلى يوم القيامة (وكانوا يتقون) الشرك والفواحش قال سفيان بن عيينة المؤمن شاب على حسنة في الدنيا والآخرة والفاجر يجعل له الخير في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق وتلا الآية روى أن الملك توج يوسف وخقه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال أما ﴿٤٢٥﴾ السرير فاشبهه سورة يوسف ﴿١﴾ ملكك وأما الخاتم فأدبر به

أسرك وأما التاج فليس من لباس ولا لباس آباء فجلس على السرير ودانت له الملوك وقوض الملك اليده أسره وعزل قطفير ثم مات بعده فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا ما طلبت فوجدتها عذراء فولدت له ولدين أقرانهم وميشا وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر في سنى القحط الطعام بالدرهم والدنانير في السنة الأولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلل والجواهر في الثانية ثم بالدواب في الثالثة ثم بالبيد والاماء في الرابعة ثم بالدور والقار في الخامسة ثم بأولادهم السادسة ثم براقبهم في السابعة حتى استرقهم جميعا ثم أعتق أهل مصر عن آخرهم ورد عليهم أملاكهم وكان لا يبيع لاحد من الممتازين أكثر

﴿نصيب برجتنا من نشاء﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾ بل نوفي أجورهم عاجلا وآجلا ﴿ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ الشرك والفواحش لعظمه ودوامه ﴿وجاء أخوة يوسف﴾ روى أنه لما استوزره الملك أقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط السنة الأولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا أخذهم منهم وباعهم في السنة الثانية بالحلل والجواهر حتى لم يبق بمصر في أيدي الناس منها شيء وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والموانى والانعام حتى لم يبق دابة ولا ماشية الا احتوى عليها كلها وباعهم في السنة الرابعة بالبيد والجوارى حتى لم يبق بأيدي الناس عبد ولا أمة وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والقار حتى أتى عليها كلها وباعهم في السنة السادسة بأولادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة السابعة براقبهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصاروا جميعهم عبيدا ليوسف عليه الصلاة والسلام فقال أهل مصر مارأينا كاليوم ملكا أجلا ولا أعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى في هؤلاء قال الملك الرأي رأيك ونحن لك تبع قال فأتى أشهد الله وأشهدك أني قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وقيل ان يوسف كان لا يبيع من الطعام في تلك الايام فقبل له أن يجوع ويترك خزائن الارض فقال أخاف ان شيعت أنسى الجائع وأمري يوسف طبأخي الملك أن يجمعوا غداه تصب النهار وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلانسى الجائع فنعمه جعل الملوك غداه نصف النهار قال مجاهد ولم يزل يوسف يدعو الملك إلى الاسلام ويتلطف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس فذلك قوله سبحانه وتعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأمنها حيث يشاء ﴿نصيب برجتنا من نشاء﴾ يعني نخضع بنعمتنا وهي النبوة من نشاء يعني من عبادنا ﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾ قال ابن عباس يعني الصارين ﴿ولأجر الآخرة﴾ يعني وثواب الآخرة ﴿خير﴾ يعني أفضل من أجر الدنيا ﴿للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ يعني يتقون ما نهى الله عنه وفيه دليل على أن الذي أعد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام في الآخرة من الاجر والثواب الجزيل أفضل مما أعطاه الله في الدنيا من الملك ﴿قوله تعالى﴾ وجاء أخوة يوسف

من حل بعير وأصاب أرض كنعان نحو ما أصاب (قارحا ٥٤ لث) مصر فارسل يعقوب بنيه ليعتاروا وذلك قوله (وجاء أخوة يوسف

(نصيب برجتنا) نخضع برجتنا النبوة والاسلام (من نشاء) من كان أهلا لذلك (ولا نضيع) لا نبطل (أجر المحسنين) ثواب المؤمنين المحسنين بالقول والفعل (ولأجر الآخرة) ثواب الآخرة (خير) من ثواب الدنيا (للذين آمنوا) بالله وجملة الكتب والرسول (وكانوا يتقون) الكفر والشرك والفواحش (وجاء أخوة يوسف) إلى مصر

مصر والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس قباهها أولا بالدرهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منهما ثم باعوا الجواهر ثم بالدواب ثم بالصباع والمقار ثم بوقاهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الراى رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فاسل يعقوب عليه السلام بنيه فيرقيامين اليه للميرة فدخلوا عليه ففرهم وهم له منكرون **﴿** أى عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول المهدة ومفارقتهم اياما من الحداثت ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبس حاله اتى رؤاه عليه

فدخلوا عليه ففرهم وهم له منكرون **﴿** قال العلماء لما اشتد القحط وعظم البلاء وعم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام قصد الناس مصر من كل مكان للميرة وكان يوسف لا يعطى أحدا أكثر من جل يبيروان كان عظيما تقسيطا ومساواة بين الناس ونزل بال يعقوب ما نزل بالناس من الشدة فبث بنيه الى مصر للميرة وأمسك عنده بيامين أخا يوسف لامة وأبيه وأرسل عشرة فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالمربات من أرض فلسطين والمربات ثور الشام وكانوا أهل بادية وابل وشياه فدعاهم يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال بلغنى أن عصر ملكا صالحا يبيع الطعام قبيها والواقصده لتشتروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف ففرهم قال ابن عباس وعجابه بول نظرة نظر اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون يعنى لم يعرفوه قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين ان تعرفوه في الحب وبين دخولهم عليه مدة أربعين سنة فذلك أنكره وقل عطاه عالم يعرفوه لأنه كان على سرير الملك وكان على رأسه تاج الملك وقيل لأنه كان قد لبس زى ملوك مصر عليه ثياب حرير وفى عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان الفرقان انما يقع في القلب بخلق الله تعالى له فيه وان الله سبحانه وتعالى لم يخلق ذلك الفرقان في تلك الساعة في قلوبهم تحقيقا لما أخبر أنه سينبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فكان ذلك معجزة ليوسف عليه الصلاة والسلام فلما نظر اليهم يوسف وكلهم بالبرانية كلهم بلسانهم فقال لهم اخبروني من أنتم وما أمركم فاني قد أنكرت حالكم قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاة قد أصابنا من الجهد ما أصاب الناس فجبنا عتار قال يوسف لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادى قالوا لا والله ما نحن بمجواسيس انما نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبي من أنبياء الله تعالى قالوكم أنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب أخ لنا معنا الى البرية فهلك فيها وكان أحبنا الى أبينا قل فكم أنتم الآن قالوا عشرة قال وأين الآخر قالوا هو عندنا بينا لا ندأ أخو الذى هلك لامة فابو ما يتسلى به قال فن يعلم ان الذى تقولون حق قالوا أيها الملك اننا بلاد غربة لا يعرفنا فيها أحد قال فأتوني ما خيكم الذى من أبيكم ان كنتم صادقين فامارض بذلك منكم قالوا ان أبانا يحزن لفراقه وسزاوده عنه قال فدعوا بعضكم عندى رهينة حتى تأتوني به فامترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى

فدخلوا عليه ففرهم ( ولا تعرف ( وهم له منكرون ) لتبدل الزى ولأنه كان من وراد الحجاب ولطول المدة وهو أرمون سنة روى انه لما رآهم وكلهم بالبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما شأكم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجبنا عتار فقال لعلكم جئتم عيوننا تنظرون عورة بلادى فقالوا ما ذا الله نحن بنو نوحى حزين للقد ابن كان أحبنا اليه وقد أمسك أخاله من أمة يستأنس به فقال أتوني به ان صدقتم

وهم عشرة (فدخلوا عليه) على يوسف (فرهم) يوسف انهم اخوة (وهم له منكرون) لا يعرفون انه أخوهم يوسف

(ولما جهزهم بجهازهم) أعطى كل واحد ﴿٤٢٧﴾ منهم حل ﴿سورة يوسف﴾ بعير وقرى بكسر الهمزة

شاذاً (قال أشوتى ياخ لكم من أياكم ألاترون أنى أوفى الكيل) أعده (وأناخير المنزلين) كان قد أحسن أنزالهم وضيافتهم رغبهم بهذا الكلام على الرجوع إليه (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) فلا أبيعكم طعاماً (ولا تقربون) أى فان لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا فهو داخل في حكم الجزاء مجزوم مطوف على محل قوله فلا كيل لكم أو هو معنى النهي (قالوا سزاود عنه أباه) سزاود عنه ونحوه حتى نزع من يده (وأنالفاعلون) ذلك لأعماله لا لفرط فيه ولا لتوانى قال فدعوا بعضكم رهناء فتركوا عنه شمعون وكان أحسنهم رأياً في يوسف (وقال لفتيانه) كوفي غير أبى بكر لفتيته غيرهم وهما جمع فى كاخوة وأخوان (ولما جهزهم بجهازهم) كال لهم كيلهم (قال أشوتى ياخ لكم من أياكم) كما قلتم أن لنا أخاً من أيتنا عندنا (ألاترون أنى أوفى الكيل) أو فركيل ويقال بيدى كيل الطعام (وأناخير المنزلين) أفضل المضيقين (فان لم تأتوني به) ياخكم من أياكم (فلا كيل لكم عندي) فيما تستقبلون (ولا تقربون) مرة أخرى

من حاله حين فارقه وقلة تأملهم في حاله من التهييب والاستعظام ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ أعطاهم ما يهدى من الامتعة للنقلة كمدد السفر وما يحمل من بلدة إلى أخرى وما زف بالمرأة إلى زوجها وقرى بجهازهم بالكسر ﴿قال أشوتى ياخ لكم من أياكم﴾ روى أنهم لما دخلوا عليه قال من أياكم وما أسركم لعلكم عيون قالوا عاذ الله أنما نحن بنو أب واحد هو شيخ كبير صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كئنا اثني عشر فذهب أحدهم إلى البرية فهلك قال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فابن الحادى عشر قالوا عندنا يتلى به عن الهالك قال فن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا أحد ههنا فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وأتوني ياخكم من أياكم حتى أصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف عليه السلام يسطى لكل نفر حلاً فسألوا حلاً زائداً لاخ لهم من أياهم فأعطاهم وشرط عليهم أن يأتوه به ليعطى مدقهم ﴿ألاترون أنى أوفى الكيل﴾ أعده ﴿وأناخير المنزلين﴾ للضيف والمضيفين لهم وكان أحسن أنزالهم وضيافتهم ﴿فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون﴾ أى ولا تقربوني ولا تدخلوا ديارى وهو أمالهى أوفى مطوف على الجزاء ﴿قالوا سزاود عنه أباه﴾ سجتهد في طلبه من أياه ﴿وأنالفاعلون﴾ ذلك لانتوانى فيه ﴿وقال لفتيته﴾ لفتيانه الكيالى جمع فى قرأ حزة والكسائى وحفص لفتيانه على أنه جمع الكثرة ليوافق قوله

﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ يقال جهزت القوم تجهيزاً إذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون إليه في وجوههم والجهاز بفتح الجيم هى اللغة القصيمة الجيدة وعليها الأكثرون من أهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست بحيدة قال ابن عباس حل أكل واحد منهم بعير من الطعام وأكرمهم في التزول وأحسن ضيافتهم وأعطاهم ما يحتاجون إليه في سفرهم ﴿قال أشوتى ياخ لكم من أياكم﴾ يعنى الذى خلقتهم عنده وهو بنوامين ﴿ألاترون أنى أوفى الكيل﴾ يعنى أنى أعده ولا أنجس منه شيئاً وأزبدكم حل بعير آخر لاجل أخيكم أكرمكم بذلك ﴿وأناخير المنزلين﴾ يعنى خير المضيقين لأنه كان قد أحسن ضيافتهم مدة إقامتهم عنده قال الامام فخر الدين الرازى هذا الكلام يضمن قول من يقول من المفسرين أنه اتهمهم ونسبهم إلى أنهم جواسيس ومن يشافهم بهذا الكلام فلا يليق به أن يقول لهم ألاترون أنى أوفى الكيل وأناخير المنزلين وأيضاً يبعد من يوسف عليه الصلاة والسلام مع كونه صدقاً أن يقول لهم أنتم جواسيس وعيون مع أنه يعرف برأيتهم من هذه التهمة لأن البهتان لا يليق بالصدق ثم قال يوسف ﴿فان لم تأتوني به﴾ يعنى ياخكم الذى من أياكم ﴿فلا كيل لكم عندي﴾ يعنى لست أكيل لكم طعاماً ﴿ولا تقربون﴾ يعنى ولا ترجعوا ولا تقربوا بلادى وهذا هو غاية التقويف والزهيب لانهم كانوا محتاجين إلى تحصيل الطعام ولا يمكنهم تحصيله الا من عنده فاذا منهم من العود كان قد ضيق عليهم فند ذلك ﴿قالوا﴾ يعنى أخوة يوسف ﴿سزاود عنه أباه﴾ يعنى سجتهد ونحوه حتى نزع من عنده ﴿وأنالفاعلون﴾ يعنى ما أمرت به قوله عز وجل ﴿وقال لفتيانه﴾ يعنى

(قالوا سزاود عنه أباه) سخط به من أياه وقرى أباه (وأنالفاعلون) أيضاً منون أنا سجي به (وقال يوسف لفتيانه) لخدمته



اجملوا بضاعتهم في رحالهم ﴿ فانه وكل بكل رحل واحدا يعني فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نالا وادما وانما فعل ذلك توسعا وتفضلا عليهم وترفا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عندا به ما يرجعون به ﴿ لهم يعرفونها ﴿ لهم يعرفون ﴿ حق ردها ﴿ أولئك يعرفوها ﴿ اذا انقلبوا ﴿ انصرفوا ﴿ ورجعوا ﴿ الى اهلهم ﴿ وقصوا أوعيتهم ﴿ لهم يرجعون ﴿ لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع ﴿ فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل ﴿ حكم يمنعه بعد هذا ان لم نذهب بنيامين ﴿ فارسل معنا اخانا نكتل ﴿ نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه موقرا ﴿ حزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ أي يكتل لنفسه فينضم اكياله الى اكيالنا وقال يوسف لقيانه وهم غلثانه وأتباعه ﴿ اجملوا بضاعتهم في رحالهم ﴿ أراد بالبضاعة ثمن الطعام الذي أعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكي الضمك عن ابن عباس انها كانت النعال والادم والرحال جمع رحل وهي الاوعية التي يحمل فيها الطعام وغيره ﴿ لهم يعرفونها ﴿ يعني يعرفون بضاعتهم ﴿ اذا انقلبوا الى اهلهم ﴿ يعني اذا رجعوا الى اهلهم ﴿ لهم يرجعون ﴿ الينا واختلقوا في السبب الذي من أجله رديوسف عليه الصلاة والسلام عليهم بضاعتهم فقبل انهم اذا قصوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم علموا ان ذلك من كرم يوسف وسخائه فيمنعهم ذلك على الرجوع اليه سرعا وقيل انه خاف ان لا يكون عند أبيه شيء آخر من المال لان الزمان كان زمان قسطن وسدة وقيل انه رأى ان أخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته لؤم لشدة حاجتهم اليه وقيل أراد أن يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم فيه لؤم ولا عيب وقيل أراد أن يريهم بره وكرمه واحسانه اليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك ادعى الى العود اليه وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وأمانتهم محملهم على رد البضاعة اليه اذا وجدوها في رحالهم لانهم انبياء وأولاد أنبياء وقيل أراد برد البضاعة اليهم أن يكون ذلك عونا لابيه ولاخوته على شدة الزمان ﴿ فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا ابانا ﴿ انا قدما على خير رجل انزلنا واکرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلا من أولاد يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا رجعت الى ملك مصر فاقروا عليه مني السلام وقولوا له ان انا يصلي عليك ويدعوك بما أوليتنا ثم قال لهم أين شمعون قالوا ارتحنه ملك مصر عنده وأخبروه بالقصة ثم قالوا يا ابانا ﴿ منع منا الكيل ﴿ وفيه قولان أحدهما انهم لما أخبروا يوسف بأخيهم من أبيهم طلبوا منه الطعام لابيهم وأخيهم المتخلف عند أبيهم فمنهم من ذلك حتى يحضر فقولهم منع منا الكيل اشارة اليه وأراد بالكيل الطعام لانه يكال والقول الثاني انه سبغ منا الكيل في المستقبل وهو اشارة الى قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون وقال الحسن يمنع منا الكيل ان لم نحمل معنا أخانا وهو قوله تعالى اخبار عنهم ﴿ فارسل معنا أخانا ﴿ يعني بنيامين ﴿ نكتل ﴿ قرئ بالياء يعني يكتل لنفسه وقرئ بالنون يعني نكتل نحن جميعا والياء معنا

في أخ وفلة للقلّة وفلان رحالهم) أوعيتهم وكانت نالا أوادما أوورقا وهو أليق بالدرس في الرحال (لهم يعرفونها) يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين (اذا انقلبوا الى اهلهم) وفرعوا ظروفهم (لهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا أو ربما لا يجدون بضاعة بها يرجعون أو ما فيهم من الديانة يبيد هم لرد الامانة أو لم يرم من الكرم أن يأخذ من أبيه واخوته ثمننا (فلما رجعوا الى أبيهم) بالطعام وأخبروه بما فعل (قالوا يا ابانا منع منا الكيل) يريدون قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي لانهم اذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل (فارسل معنا أخانا نكتل) نرفع المانع (اجملوا بضاعتهم) دسوا دراهمهم (في رحالهم) في جواليقهم كي لا يعلون (لهم يعرفونها) لكي يعرفوا هذه الكرامة مني ويقال لكي يعرفوا انها دراهمهم قد ردها الى (اذا انقلبوا الى اهلهم) اذا ارجعوا الى أبيهم (لهم يرجعون) مرة أخرى (فلما رجعوا الى أبيهم) بكتمان

(قالوا يا ابانا منع منا الكيل) فيما يستقبل ان لم ترسل معنا بنيامين (فارسل معنا أخانا) بنيامين (يكتل) يشتر لنفسه (وانا)

من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه يكتل جزء وعلى أى يكتل أخونا فننضم اكثياله الى اكثياله (واناله لحافظون) من ان يناله مكروه (قال هل آمنكم عليه الا كما آمنكم على أخيه من قبل) يعنى انكم قلتم في يوسف أرسله معاً غير راع ويلمب واناله لحافظون كما تقولونه في أخيه ثم ختم بضمناكم فايأمننى من مثل ذلك ثم قال (فالله خير حافظا) كوفى غير أبى بكر فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وهو حال أوتيز ﴿ ٤٢٩ ﴾ ومن قرأ حفظا { سورة يوسف } فهو تميز لا غير (وهو أرحم

الراحين) فأرجو أن ينعم على بحفظه ولا يجمع على مصيبتين قال كعب لما قال فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزى وجلالى لاردن عليك كليهما (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبا نابتنى) ماللتنى أى مانبى في القول ولا تتجاوز الحق أو مانبى شيأ وراء ما فصل بنا من الاحسان أو ما يزيد منك بضاعة أخرى أو للاستفهام أى أى شئ نطلب وراء هذا (هذه بضاعتنا ردت الينا)

جلا ويقال لشتره جلاان قرأت بالنون (واناله لحافظون) ضامنون برده اليك (قال) لهم يعقوب (هل آمنكم عليه) على بنيامين (الا كما آمنكم على أخيه من قبل) من قبل يوسف يقول هل أقدر ان آخذ عليكم العهد والميثاق أكثر مما أخذت عليكم في يوسف (فالله خير حافظا) منكم (وهو أرحم الراحين) وهو

﴿ واناله لحافظون ﴾ من ان يناله مكروه ﴿ قال ﴾ يعقوب لهم ﴿ هل آمنكم عليه الا كما آمنكم على أخيه من قبل ﴾ وقد قلتم في يوسف واناله لحافظون ﴿ فالله خير حفظا ﴾ فأتوكل عليه وافوض امرى اليه وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا على قراءة جزء والكسائي وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا \* وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ﴿ وهو أرحم الراحين ﴾ فأرجو ان يرجئ بحفظه ولا يجمع على مصيبتين ﴿ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم ﴾ وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء تقلها في بيع وقيل ﴿ قالوا يا أبا نابتنى ﴾ ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك أكرمنا واحسن مثوانا وبيع متاورد علينا متاعنا أو لالطلب وراء ذلك احسانا أو لاتبني في القول ولا تزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ مانبى على الخطاب أى أى شئ نطلب وراء هذا من الاحسان أو من الدليل على صدقنا ﴿ هذه بضاعتنا ردت الينا ﴾ استئناف

﴿ واناله لحافظون ﴾ يعنى نردم اليك فلما قالوا ليعقوب هذه المقالة ﴿ قال ﴾ يعنى يعقوب ﴿ هل آمنكم عليه الا كما آمنكم على أخيه من قبل ﴾ يعنى كيف آمنكم على ولدى بنيامين وقد قلتم يا أخيه يوسف ما قلتم وانكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه في يوسف وضمنتم لى حفظه وقلتم واناله لحافظون فافلتكم فلما يحصل الامان والحفظ هنالك فكيف يحصل ههنا ثم قال ﴿ فالله خير حفظا ﴾ يعنى ان حفظ الله خير من حفظكم له ففيه التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الامور ﴿ وهو أرحم الراحين ﴾ وظاهر هذا الكلام يدل على انه أرسله معهم وانما أرسله معهم وقد شاهد ما فعلوا بيوسف لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف أو ان يعقوب شاهد منهم الخير والصالح لما كبروا فأرسله معهم أو ان شدة القحط وضيق الوقت أحوجهم الى ذلك ﴿ قوله تعالى ﴾ ولما فتحوا متاعهم ﴿ يعنى الذى جملوه من مصر فيجتمل ان يكون المراد به الطعام أو أوعية الطعام ﴿ وجدوا بضاعتهم ردت اليهم ﴾ منى انهم وجدوا في متاعهم ثمن الطعام الذى كانوا قد أعطوه ليوسف قد رد عليهم ودرس في متاعهم ﴿ قالوا يا أبا نابتنى ﴾ يعنى ماذا نبني وأى شئ نطلب وذلك أنهم كانوا قد ذكروا ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وحشا يعقوب على إرسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم قالوا أى شئ نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والاكرام أو في لنا الكيل ورد علينا الثمن وأرادوا بهذا الكلام تطيب قلب أبيهم ﴿ هذه بضاعتنا ردت الينا

أرحم به من والديه ومن أخوته (ولما فتحوا متاعهم) جوا ليقهم (وجدوا بضاعتهم) دراهمهم من طعامهم (ردت اليهم) مع طعامهم (قالوا يا أبا نابتنى) ما نكذب بما قلنا من احسان الرجل ولطفه بنا ويقال ما طلبنا هذا منه (هذه بضاعتنا) دراهمنا التي أعطيناها من الطعام (ردت الينا) مع الطعام وهذا من احسانه الينا قال

جمله مستأنفة موضحة لقوله مانبي والجل بعد هام مطوفة عليها أي ان بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر بها (ونغير أهلكنا) في رجوعنا إلى الملك أي نجلب لهم ميرة وهي طعام يحمل من غير بلدك (ونحفظ أخانا) في ذهابنا وبعثنا فأصيبه شيء مما تخافه (ونزداد كيل بعر) نزداد وسق بعر باستصحاب أخينا (ذلك كيل يسير) سهل عليه ميسر لا يتأطمه (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون) وبالياء مكى (موثقا) عهدا (من الله) والمعنى حتى تعطوني ما تؤثق به من عند الله أي أريد أن يحلفوا له بالله وإنما جعل الحلف بالله موثقانه {الجزء الثالث عشر} لان الحلف به ﴿٤٣٠﴾ بما يؤكده اليهود وقد أذن الله في ذلك فهو إذن سر التثنية.

موضع لقوله مانبي ﴿٤٣٠﴾ ونغير أهلكنا ﴿٤٣٠﴾ معطوف على معطوف أي ردت إلينا فنستظهر بها ونغير أهلكنا بالرجوع إلى الملك ﴿٤٣٠﴾ ونحفظ أخانا ﴿٤٣٠﴾ عن المخاوف في ذهابنا وإيائنا ﴿٤٣٠﴾ ونزداد كيل بعر ﴿٤٣٠﴾ وسق بعر باستصحاب أخينا هذا إذا كانت ما استقهامية فأما إذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل معطوفة على مانبي أي لا نبني فيما نقول ونغير أهلكنا ونحفظ أخانا ﴿٤٣٠﴾ ذلك كيل يسير ﴿٤٣٠﴾ أي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فأرادوا ان يضاعفوه بالرجوع إلى الملك أو يزدادوا إليه ما يكال لآخيههم ويحسوز ان تكون الإشارة إلى كيل بعر أي ذلك شيء قابل لا ضايقا فيه الملك ولا يتأطمه وقيل انه من كلام يعقوب عليه السلام ومعناه ان جل بعر شيء يسير لا يخطر لمثله بالولد ﴿٤٣٠﴾ قال لن أرسله معكم ﴿٤٣٠﴾ اذ رأيت منكم مارأيت ﴿٤٣٠﴾ حتى تؤتور موثقا من الله ﴿٤٣٠﴾ حتى تعطوني ما تؤثق به من عند الله أي عهدا مؤكدا كره الله ﴿٤٣٠﴾ جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأثقي به ﴿٤٣٠﴾ الا ان يحاط بكم ﴿٤٣٠﴾ الا ان يخلوا فلا تطبقوا ذلك أو الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير تأثقي به على كل حال الاحال الاحاطة بكم أو من اعم الملل على ان قوله لتأثقي به في تأويل النفي أي لا تختمون من الايمان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسم بالله الا فعلت أي ما اطلب الا فلك ﴿٤٣٠﴾ فلما آتوه موثقهم ﴿٤٣٠﴾ عهدهم ونغير أهلكنا ﴿٤٣٠﴾ يقال مارأه بعرهم ميرا اذا جل لهم الطعام وجلبه من يلد آخر اليهم والمعنى أنا نشتري لاهلنا الطعام ومحملة اليهم ﴿٤٣٠﴾ ونحفظ أخانا ﴿٣٠﴾ يعني بنيامين مما تخاف عليه حتى نرده اليك ﴿٣٠﴾ ونزداد كيل بعر ﴿٣٠﴾ يعني ونزداد لاجل أخينا على أجالنا جل بعر من الطعام ﴿٣٠﴾ ذلك كيل يسير ﴿٣٠﴾ يعني ان ذلك الجمل الذي نزداده من الطعام حين على الملك لانه قد أحسن اليها وأكرمنا بأكثر من ذلك وقيل معناه ان الذي جلبناه معنا كيل يسير قليل لا يكفينا وأهلكنا ﴿٣٠﴾ قال ﴿٣٠﴾ يعني قال لهم يعقوب ﴿٣٠﴾ لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله ﴿٣٠﴾ يعني لن أرسل معكم بنيامين حتى تؤتوني عهد الله وميثاقه والموثق العهد المؤكد باليمين وقيل هو المؤكد بإشهاد الله عليه ﴿٣٠﴾ لتأثقي به ﴿٣٠﴾ دخلت اللام هنا لاجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لتأثقي به ﴿٣٠﴾ الا أن يحاط بكم ﴿٣٠﴾ قال مجاهد الا أن تهلكوا جميعا فيكون عن ذرا لكم عندي لان الرب تقول أحيط بفلان اذا هلك أو قارب هلاكه وقال قتادة الا أن تملوا جميعا فلا تقدر على الرجوع ﴿٣٠﴾ فلما آتوه موثقهم ﴿٣٠﴾

جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأثقي به (الا ان يحاط بكم) الا ان تغلبوا وتميطقوا (الايان به فهو مقبول له والكلام المثبت وهو قوله لتأثقي به في تأويل النفي اي لا تختموا من الايمان به الا للاحاطة بكم يعني لا تختموا هذه لعل من الملل الامثلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المقبول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي فلا يمد من تأويله بالنفي (فلما آتوه موثقهم) قيل حلفوا بالله رب محمد عليه له أبوهم بل يجربكم الرجل بهذا ردوا هذه الدراهم اليه (ونغير أهلكنا) نتارأهنا (ونحفظ أخانا) في الذهاب والمجيء بنيامين (ونزداد كيل بعر) وقرب بعر اذ كان هو معنا (ذلك كيل يسير) جل يسير نعطى بسببه ويقال هذا أمر يسير وحاجة

هينة نطلب منك (قال) لهم أبوهم (لن أرسله معكم) بهذه المقالة (حتى تؤتون) تعطوني (موثقا) عهدا (يعني) (من الله لتأثقي به) لتودنه على (الا ان يحاط بكم) الا أن ينزل عليكم أمر من السماء ويقال الا أن يصيبكم أمر من السماء أو من الارض (فلما آتوه) اعطوا أباهم (موثقهم) عهدهم من الله على رده الى أبيهم

عليه لان الحق قال يعقوب  
(الله على ما نقول) من طلب  
الموتق واعطاه (وكيل)  
رقيب مطلع غير ان السكة  
تفصل بين القول والمقول  
وذا لا يجوز قال اولي ان يفرق  
بينهما بالصوت فيقصد  
بقوة النعمة اسم الله (وقال  
يا بني لا تدخلوا من باب واحد  
وادخلوا من ابواب متفرقة)  
الجمهور على انه خاف عليهم  
العين لجلالهم وجلالة امرهم  
ولم يأمرهم بالتفرق في  
الكرة الاولى لانهم كانوا  
مجهولين في الكرة الاولى  
فالعين حق عندنا وجوده بان  
يحدث الله تعالى عند النظر  
الى الشيء والا عجب به نقصانا  
فيه وخلا وكان النبي صلى  
الله عليه وسلم يموذ الحسن  
والحسين رضي الله عنهما  
فيقول اعيذكما بكلمات  
الله التامة من كل هامة  
ومن كل عين لامة وأمر  
الجائي العين وهو مردود  
بما ذكرنا وقيل اني أحب  
ان لا يظن بهم اعداؤهم  
فبقتالوا لاهلاكهم

(قال) يعقوب (الله على ما نقول)

وكيل (شاهد ويقال كليل  
(وقال) لهم (يا بني لا تدخلوا  
من باب واحد) من سكة  
واحدة (وادخلوا من ابواب  
متفرقة) من سكك مختلفة

﴿ قال الله على ما نقول ﴾ من طلب الموتق واتيانه ﴿ وكيل ﴾ رقيب مطلع ﴿ وقال يا بني ﴾ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة ﴿ لانهم كانوا ذوي جلال واهمة ﴾ مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فضاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيصاؤوا ولعله لم يوصيهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ أو كان الداعي اليها خوفه على بنيامين والنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام

يعني فلما أعطوه عهدهم وحلفوا له ﴿ قال الله على ما نقول ويكيل ﴾ يعني قال يعقوب الله شاهد على ما نقول كأن الشاهد وكيل بمعنى انه موكل اليه هذا العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال كتب الاخبار لما قال يعقوب قاله خير حفظا قال الله تعالى وعزق وجلالي لأردن عليك كليهما بعدما توكلت على وفوضت امرك الى وذلك انه لما اشتد بهم الامر وضاق عليهم الوقت وجهدوا أشد الجهد لم يجد يعقوب بدا من ارسال بنيامين معهم فأسله معهم متوكلا على الله وفوضا أمره اليه ﴿ قوله عز وجل اخبرنا عن يعقوب ﴾ وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة ﴿ وذلك انه لما خرجوا من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يا بني لا تدخلوا من مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ ثمانية ابواب وقال السدي أراد الطرق لا الابواب يعني من طرق متفرقة واعما امرهم بذلك لانه خاف عليهم العين لانهم كانوا قد أصطوا بجالا وقوة وامداد تامة كانوا لا يدرحجل واحد فأمرهم ان يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا يصاؤوا بالعين فالعين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجهور المفسرين (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق زوالها عنى ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين واذا استسلمت فاغتسلوا ﴿ عن ثثة رضي الله تعالى عنها قالت كان يؤمر العائن فتوضأ ثم يتسل منه المني أخرجه أبو داود وقال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله تعالى

ول المازري أخذ جاهر العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وأذكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد عقولهم ان كل معنى تكور مخالفا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات القول واذا اخبرنا بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وانكاره وقيل لابد من فرق بين تكذيبهم بما يخبر به من أمور الآخرة قال وقد زعم بعض الطبائعين المثبتين للعين تأثرا ان العائن تبث من عينيه قوة سمية تتصل بالمعين فيها أو يفسد ولو لا لا يتبع هذا كما لا يتبع انبثاث قوة سمية من الافعى والقرب تتصل بالماوغ فيهلك وان كان غير محسوس ساكنا العين الى المازري وهذا غير مسلم لا ما بينا في كتب علم الكلام أنه لا فاعل الا الله تعالى وبما ساد القول بالطباع وبنا ان المحدث لا يفعل في غيره شيئا فاذا تقرر هذا بطل ما قالوه ثم نقول هذا المنبعث

في عودته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة من كل عين لامة ﴿ وما أغنى عنكم من الله من شيء ﴾ مما قضى عليكم بما أشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ﴿ وان الحكم الا لله ﴾ يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سواء ولا ينفعكم ذلك ﴿ عليه توكلت وعليه فليتكول المتوكلون ﴾ جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلاة للاختصاص كأن الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الايمان عليهم السلام سبب لان يقتدى بهم ﴿ ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ﴾ أي من ابواب متفرقة في البلد

من العين اما جوهر واما عرض فباطل أن يكون عرضا لانه لا يقبل الانتقال وباطل أن يكون جوهرًا لان الجواهر منجاسة فليس بعضها بان يكون مفسدا لبعض باولي من عكسه فبطل ما قالوه وأقرب طريقة قالها من يتحمل الاسلام منهم أن قالوا لا يبعد أن تنبعث جواهر لطيفة غير مربية من عين العائن لتتصل بالعين فتتخلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة أجزاها الله عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعية الجأ الفعل اليها قال ومذهب أهل السنة ان العين انما يفسد ويهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى أجرى الله تعالى العادة بان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص شخصا آخر وهل ثمه جواهر أم لا فهذا من عجوزات العقول لا يقطع فيه بواحد من الأمرين وانما يقطع بنقي الفعل هنا واضافته الى الله تعالى فمن قطع من اطباء الاسلام بانبعث الجواهر فتدا خطا في قطعه وانما هو من الجائزات هذا ما يتعلق بهم الاصول وأما ما يتعلق بهم الفقه فان الشرع قد ورد بأرضه لهذا الامر في حديث سهل بن حنيف لما أصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك في الموطأ وأما صفة وضوء العائن فذكر في كتب شروح الحديث ومرووف عند العلماء فيطلب من هناك فليس هذا موضعه والله أعلم وقال وهب بن منبه في قوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة أنه خاف أن يقتالوا لما ظهر لهم في أرض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزي عنه وقيل ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف عليه الصلاة والسلام الا أن الله تعالى لم يأذن له في اظهاره ذلك فلما بثت أبنائه اليه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين الى أخيه يوسف في وقت الحلوة قبل اخوته والقول الاول أصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض أمره الى الله تعالى بقوله ﴿ وما أغنى عنكم من الله من شيء ﴾ يعني ان كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم مجتمعين كنتم أو متفرقين فان المقدور كائن ولا ينفع حذر من قدر ﴿ ان الحكم الا لله ﴾ يعني وما الحكم الا لله وحده لا شريك له فيه وهذا تفويض من يعقوب في أموره كلها الى الله تعالى ﴿ عليه توكلت ﴾ يعني عليه اعتمدت في أموري كلها لا على غيره ﴿ وعليه فليتكول المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ﴾ يعني من الابواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل مدينة القرماء أربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلها

(وما أغنى عنكم من الله من شيء) أي ان كان الله أراد بكم سواء لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة (ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتكول المتوكلون) التوكل تفويض الامر الى الله تعالى والاعتماد عليه (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أي متفرقين

( وما أغنى عنكم من الله من قضاء الله فيكم ) (من شيء ان الحكم) ما الحكم بالقضاء فيكم ( الا لله عليه توكلت ) انكلمت وقوضت أمري وأمركم اليه ( وعليه فليتكول المتوكلون ) فليثق الواقفون ويقال على المؤمنين ان يتوكلوا على الله وكان خاف عليهم يعقوب من العين لانهم كانوا اصباح الوجوه جالا فمن ذلك خاف عليهم (ولما دخلوا) مصر (من حيث أمرهم) كما أمرهم (أبوهم

٢٧ (ما كان يغني عنهم) دخلونهم من أبواب متفرقة (من الله من شيء) أي شيئاً طرقت حيث شاءهم بما شاءهم مع تفرقهم عن يوسف في رحله وقضاهاه (واقتضاهم بذلك) وأخذ أخيهما بوجدان ﴿٢٣٣﴾ الصواع ﴿سورة يوسف﴾ في رحله وقضاهاه (على أيهم) (الاحاجة) استثناء منقطع أي ولكن حاجة (في نفس يعقوب قضاها) وهي شفقتة عليهم (وأنه لدو علم) يعني قوله وما أغنى عنكم وعلمه بأن القدر لا يغني عنه الحذر (لما علمناه) لتعلمنا إياه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاء) يوسف آوى إليه أخاء، هم يوسف وآوى إليه بنيامين وروى أنهم قالوا له هذا أخونا قد جئنا به فقال لهم أحسنتم فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حياً لأجلستني معه فقال يوسف بقي أخوكم وحيداً فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال له أتعجب أن أكون أخاك بدلاً أخيك المهلاك قال ومن يجد أخاً

﴿ما كان يغني عنهم﴾ رأى يعقوب واتباعهم له ﴿من الله من شيء﴾ بما اقتضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام فسر قوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب عليه السلام ﴿الاحاجة﴾ في نفس يعقوب ﴿استثناء منقطع﴾ أي وإن كان حاجة في نفسه من شفقتة عليهم حرازة من أن ياتوا قضاها أظهرها ووصى بها ﴿وأنه لدو علم لما علمناه﴾ بالوحي ونصب الحبيج ولذلك قال وما أغنى عنكم من الله من شيء ولم يقترب بتدبيره ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ سر القدر وأنه لا يغني عنه الحذر ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاء﴾ ضم إليه بنيامين على العلمام أوفى المثل روى أنه أضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيداً فبكى وقال لو كان أخي يوسف حياً لجلست معي فاجلسه معه على

﴿ما كان يغني عنهم من الله من شيء﴾ وهذا تصديق من الله سبحانه وتعالى يعقوب فيما قال وما أغنى عنكم من الله من شيء ﴿الاحاجة﴾ في نفس يعقوب قضاها ﴿هذا استثناء منقطع ليس من الأول في شيء ومعناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو أنه أشفق عليهم اشفاق الآباء على الأبناء وذلك أنه خاف عليهم من العين أو خاف عليهم حسداً أهل مصر أو خاف أن لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله أو بعضه ﴿وأنه﴾ يعني يعقوب ﴿لدو علم﴾ يعني صاحب علم ﴿لما علمناه﴾ يعني تعلمنا إياه ذلك العلم وقيل معناه وأنه لدو علم للشيء الذي علمناه والمعنى أنما علمناه هذه الأشياء حصل له العلم بتلك الأشياء وقيل وأنه لدو حفظ لما علمناه وقيل أنه كان يعمل بما يعمل عن علم لآعن جهل وقيل أنه لما عمل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعمل لا يكون علماً ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لأنهم لم يسلوكوا طريق إصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما ألهم الله أوليائه ﴿قوله تعالى﴾ ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخا﴾ قال المفسرون لما دخل أخوة يوسف على يوسف قالوا أيها الملك هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به فقد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وتجدون ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرمهم ثم أنه أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحيداً فبكى وقال لو كان أخي يوسف حياً لأجلستني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له أخ فهاك قال لهم فأنما أجلسه معي فآخذته فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرهم بتلك ذلك وقال كل اثنين منكم ينامان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه إليه وشم ريحاً حتى أصبح فلما أصبح قال لهم اني أرى هذا الرجل وحيداً ليس معه ثمن وسأخذه إلى فيكون معي في منزلي ثم نه أنزلهم وأجرى عليهم الضمان نقل روييل ما أيتا مثل

﴿ما كان يغني عنهم من الله من شيء﴾ وهذا تصديق من الله سبحانه وتعالى يعقوب فيما قال وما أغنى عنكم من الله من شيء ﴿الاحاجة﴾ في نفس يعقوب قضاها ﴿هذا استثناء منقطع ليس من الأول في شيء ومعناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو أنه أشفق عليهم اشفاق الآباء على الأبناء وذلك أنه خاف عليهم من العين أو خاف عليهم حسداً أهل مصر أو خاف أن لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله أو بعضه ﴿وأنه﴾ يعني يعقوب ﴿لدو علم﴾ يعني صاحب علم ﴿لما علمناه﴾ يعني تعلمنا إياه ذلك العلم وقيل معناه وأنه لدو علم للشيء الذي علمناه والمعنى أنما علمناه هذه الأشياء حصل له العلم بتلك الأشياء وقيل وأنه لدو حفظ لما علمناه وقيل أنه كان يعمل بما يعمل عن علم لآعن جهل وقيل أنه لما عمل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعمل لا يكون علماً ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لأنهم لم يسلوكوا طريق إصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما ألهم الله أوليائه ﴿قوله تعالى﴾ ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخا﴾ قال المفسرون لما دخل أخوة يوسف على يوسف قالوا أيها الملك هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به فقد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وتجدون ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرمهم ثم أنه أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحيداً فبكى وقال لو كان أخي يوسف حياً لأجلستني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له أخ فهاك قال لهم فأنما أجلسه معي فآخذته فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرهم بتلك ذلك وقال كل اثنين منكم ينامان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه إليه وشم ريحاً حتى أصبح فلما أصبح قال لهم اني أرى هذا الرجل وحيداً ليس معه ثمن وسأخذه إلى فيكون معي في منزلي ثم نه أنزلهم وأجرى عليهم الضمان نقل روييل ما أيتا مثل

﴿ما كان يغني عنهم من الله من شيء﴾ وهذا تصديق من الله سبحانه وتعالى يعقوب فيما قال وما أغنى عنكم من الله من شيء ﴿الاحاجة﴾ في نفس يعقوب قضاها ﴿هذا استثناء منقطع ليس من الأول في شيء ومعناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو أنه أشفق عليهم اشفاق الآباء على الأبناء وذلك أنه خاف عليهم من العين أو خاف عليهم حسداً أهل مصر أو خاف أن لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله أو بعضه ﴿وأنه﴾ يعني يعقوب ﴿لدو علم﴾ يعني صاحب علم ﴿لما علمناه﴾ يعني تعلمنا إياه ذلك العلم وقيل معناه وأنه لدو علم للشيء الذي علمناه والمعنى أنما علمناه هذه الأشياء حصل له العلم بتلك الأشياء وقيل وأنه لدو حفظ لما علمناه وقيل أنه كان يعمل بما يعمل عن علم لآعن جهل وقيل أنه لما عمل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعمل لا يكون علماً ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لأنهم لم يسلوكوا طريق إصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما ألهم الله أوليائه ﴿قوله تعالى﴾ ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخا﴾ قال المفسرون لما دخل أخوة يوسف على يوسف قالوا أيها الملك هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به فقد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وتجدون ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرمهم ثم أنه أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحيداً فبكى وقال لو كان أخي يوسف حياً لأجلستني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له أخ فهاك قال لهم فأنما أجلسه معي فآخذته فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرهم بتلك ذلك وقال كل اثنين منكم ينامان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه إليه وشم ريحاً حتى أصبح فلما أصبح قال لهم اني أرى هذا الرجل وحيداً ليس معه ثمن وسأخذه إلى فيكون معي في منزلي ثم نه أنزلهم وأجرى عليهم الضمان نقل روييل ما أيتا مثل

(لما علمناه) من الذي علمنا من الاحكام والحدود (فاو خا ه لث) والقضاء والقدر علمه لا يكون الا ما قضى الله (ولكن أكثر الناس) أهل مصر (لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه) (أخاء) من أبيه وأمه وحبس

ملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وعانقه ثم (قال له) انى انا اخوك يوسف (فلا تبئس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما { الجزء الثالث عشر } مضافان الله ﴿ ٤٣٤ ﴾ قد أحسن البنا وحسننا على خير ولا

١٠٠ ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لانى له فيكون معى فبات معه وقال له أحب  
١٠١ اكد اكد اخذك الهالك قال من مجد اخاك مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل  
فبكى يوسف وقام اليه وعانقه ﴿ قال انى انا اخوك فلا تبئس ﴾ فلا تحزن اقتضال  
من البؤس ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ فى حقنا فيما مضى ﴿ فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية ﴾  
المشربة ﴿ فى رحل اخيه ﴾ قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت يسقى  
الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرى وجعل على حذف جواب  
فلما تقديره امهاتهم حتى انطلقوا ﴿ ثم اذن مؤذن ﴾ نادى مناد

هذا فذلك قوله آوى اليه اخاء يعنى ضمه وانزله معه فى منزله فلما خلا به قال له  
يوسف ما اسمك قال بنامين قال وما بنامين قال ابن المذكل وذلك انه لما ولدته أمه  
هلكت قال وما اسم أمك قال راحيل قال فهل لك من ولد قال عشرين قال فهل  
من أخ لامك قال كان لى أخ فهلك قال يوسف أنتحب أن أكون أخاك بدل أخيك  
الهالك قال بنيامين ومن مجد أخا مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل  
فبكى يوسف عليه الصلاة والسلام وقام اليه وعانقه ﴿ قال له ﴾ انى انا اخوك ﴿  
يعنى يوسف ﴾ فلا تبئس ﴿ يعنى لا تحزن وقال أهل اللغة تبئس تقتل من البؤس  
وهو الضرر والشدة والابتئاس اجتلاب الحزن والبؤس ﴿ بما كانوا يعملون ﴾  
يعنى فلا تحزن بشئ فعلموه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن البنا ونجنا من الهلاك  
وجمع بيتنا وقيل ان يوسف صفح عن اخوته وصفالهم فاراد ان يجعل قلب أخيه  
بنيامين مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لآخيه بنامين لاتعلم أخوك بشئ مما  
أعطيتك به ثم انه أوفى لآخوته الكيل وزاد لكل واحد حل بغير وبنيامين حل  
بغير باسمه ثم أمر بسقاية الملك فجعلت فى رحل أخيه بنامين قال السدى وهو  
لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف انى انا أخوك قال بنيامين أما لا افارقك فقال  
يوسف قد علمت اغتمام والدى على فاذا حبستك عندى ازداد غم ولا يمكننى هذا  
الا بعد أن أشهرك باسم فطيع وأنسبك الى مالا يحمد قال لأبلى فافعل ما بذاك فانى  
لا افارقك قال فانى أدس صاعى فى رحلك ثم أمدى عليكم بالسرقة ليتها إلى ردك بعد  
تسريحك قال فافعل ما شئت فذلك قوله عز وجل ﴿ فلما جهزهم بجهازهم جعل  
السقاية فى رحل أخيه ﴾ وهى المشربة التى كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت  
من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة  
من فضة صرصة بالجواهر جعلها يوسف مكبا للاثانكال نهرها وكان يشرب فيها  
والسقاية والسواع اسم لانه واحد وجعلت فى وعاء طعام أخيه بنامين ثم ارتحلوا  
راجعين الى بلادهم فامهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا  
من العمارة ثم أرسل خاقهم من استوتفهم وحبسهم هو ثم أدر مؤذن ﴿ يعنى نادى

تعليمهم بما أعلمت وروى  
انه قال له فانا لأأفارقك  
قال لقد علمت اغتمام والدى  
بى فان حبستك ازداد غم  
ولاسيلى الى ذلك الا ان  
أنسبك الى مالا يحمد قال  
لأبلى فافعل ما بذاك قال  
فانى أدس صاعى فى رحلك  
ثم أمدى عليك بآك  
سرقة ليتها إلى ردك بعد  
تسريحك معهم فقال افعل  
( فلما جهزهم بجهازهم )  
هيا أسابهم وأوفى الكيل  
لهم ( جعل السقاية فى رحل  
أخيه ) السقاية هى مشربة  
يسقى بها وهى السواع  
قيل كان يسقى بها الملك ثم  
جعلت صاعا يكال به لعزة  
الطعام وكان يشبه الطاس  
من فضة أو ذهب ( ثم أذن  
مؤذن ) ثم نادى منادى  
أذنه أى اعلمه وأذن أكثر

سائر اخوته على الباب ( قال  
انى انا أخوك ) عزلة أخيك  
الهالك ( فلا تبئس ) ولا  
تحزن ( بما كانوا يعملون )  
بك اخوتك من الجفاء  
ويقولون لك من السب  
والنير ( فلما جهزهم  
بجهازهم ) كالهم كئاهم  
( جعل السقاية فى رحل

أخيه ) دس سقايتهم التى كانوا يشرب فيها وكيلى بها فى رحل أخيه من أبيه وأمه ثم أمرهم بالرحيل ثم أرسل ( مناد )  
خلفهم قى ( ثم أذن مؤذن ) نادى مناد وهو فوق يوسف

﴿ أيتها العير انكم لسارقون ﴾ اطلعت عليه بصر يوسف عليه الصلاة والسلام أو كان تسبى السقاية والنداء عليها برضى بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابدأ وانكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تدير أى تتردد فقيل لاصحابها اقولوا صلى الله تعالى عليه وسلم يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلا فاعل كسفت فعل به ما قبل بيض تجوز به لقافلة الحجير ثم استعير لكل قافلة ﴿ قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون ﴾ أى شئ ضاع عنكم والفقد غيبة الشئ عن الحس بحيث لا يعرف مكانه ﴿ وقرئ تفقدون من افقده اذا وجدته فقيدا ﴾ قالوا نفقد صواع الملك ﴿ وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والذين وصواغ من الصياغة ﴾ ولما جاءه حل بصر ﴿ من الطعام جماله ﴾ واما به زعيم ﴿

منادوا علم علم والاذان في اللغة الاعلام ﴿ أيتها العير ﴾ وهى القافلة التى فيها الاحمال وقال مجاهد العير الحجير والبغال وقال ابو الهيثم كل ما سير عليه من الابل والحجير والبغال فهى عير وقول من قال انها الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التى تحمل عليها الاحمال سميت بذلك لانها تدير أى تذهب وتجيى ﴿ وقيل هى قافلة الحجير ثم كثرت ذلك فى الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وقوله أيتها العير أراد اصحاب العير ﴿ انكم لسارقون ﴾ فقفوا والسرقة أخذ ما ليس له أخذه فى خفاء ﴿ فان قلت هل كان هذا النداء باسم يوسف أم لا فان كان باسمه فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه وشرى رتبته من النبوة والرسالة ان تهم أقواما وينسبهم الى السرقة كدبا مع علوه براءتهم من ذلك وان كان ذلك النداء بغير اسمه فهلا أظهر براءتهم عن تلك التهمة التى نسبوا اليها قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة أحدها ان يوسف لما أظهر لآخيه له أخوه قال لست أمارقك قال لاسبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة أنسبك فيها الى ما لا يليق قال رضى بذلك فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام بل قدرضى به فلا يكون ذنبه الثانى أن يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من آية الانهم ما اظهروا هذا الكلام فهو من المعاريض وفى المعاريض مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل أن يكون المادى ربما قال ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس فى القرآن ما يدل على انهم قالوا ذلك باسم يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغلب على ظنهم انهم هم الذين أخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم ﴿ قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون ﴾ قال اصحاب الاخبار لما وصل الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم ألم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوف اليكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك قالوا مقدما سقاية الملك ولا نهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى قالوا وأقبلوا عليهم أى عطفوا على المؤذن واصحابه ماذا أى ما الذى تفقدون والفقدان ضد الوجود ﴿ قالوا ﴾ يعنى المؤذن واصحابه ﴿ نفقد صواع الملك ﴾ الصاع الاناء الذى يكال به وجمعه أصوع والصواع لغة فيه وجهه صيعان ﴿ ولما جاءه ﴾ يعنى بالصواع ﴿ حل بصر ﴾ يعنى من الطعام ﴿ وأما به زعيم ﴾ أى كفيل قال الكللى ان زعيم هو الكفيل بلسان أهل اليمن

الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك من روى انهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمر بهم فادركوا وجسوا ثم قيل لهم ( أيتها العير ) هى الابل التى عليها الاحمال لانها تدير أى تذهب وتجيى والمراد اصحاب العير ( انكم لسارقون ) كناية عن سرقتهم اياه من آية ( قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ) هو الصاع ( ولما جاءه حل بصر ) يعنى وأما به زعيم يقول المؤذن يريد اننا نحمل البصر كقيل اؤديه الى من حاده وأراد وسق يعبر من طعام جماله

( أيتها العير ) أهل المعاملة ( انكم لسارقون قالوا واقبلوا عابهم ) يقولوا اقبلوا عليهم وقالوا ( ماذا تفقدون ) ما تملكون ( قالوا نفقد ) نطلب ( صواع الملك ) اناء الملك الذى كان يشرب فيه ويكيل وكان ماء من الذهب وقد اتهم حتى الملك ( ولما جاءه حل بصر ) يعنى وأما به زعيم كفيل قال لهم هذا القول ففى



( قالوا تالله ) قسم فيه معنى التجب { الجزء الثالث عشر } بما أضيف اليهم ﴿ ٤٣٦ ﴾ ( لقد علمتم ما جئنا لنفسد

كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجمالة وضمن الجبل قبل تمام العمل  
﴿ قالوا تالله ﴾ قسم فيه معنى التجب واثاء بدل من الباء غنصة باسم الله تعالى ﴿ لقد  
علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين ﴾ استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما  
عرفوا منهم في كرتي مجبتهم ومداخلتهم للملك بما بدل على فرط امانتهم كرد البضاعة  
التي جمعت في رحالهم وكتم الدواب لثلاث تناول زرعاً وطعاماً لاجل ﴿ قالوا فاجزاء ﴾  
فاجزاء السارق أو السرقة أو الصواع على حذف المضاف ﴿ ان كنتم كاذبين ﴾ في ادعاء  
البراءة ﴿ قالوا اجزاء ﴾ من وجد في رحله فهو جزاؤه ﴿ أي جزاء سرقة اخذ من وجد  
في رحله واستراقة هكذا كان شرع يعقوب عليه الصلاة والسلام وقوله فهو جزاؤه تقرير  
للحكم والزام له أو خبر من والفاء تضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية  
والجمله كاهي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد  
في رحله فهو هو ﴿ كذلك نجزي الظالمين ﴾ بالسرقة

وهذه الآية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم وقد حكم رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بها في قوله الجبل غارم والجبل الكفيل . فان قلت كيف تصح هذه الكفالة  
مع ان السارق لا يستحق شيئاً . قلت لم يكونوا سارقاً في الحقيقة فيحصل ذلك على مثل  
رد الضائع فيكون حمالة وامل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم في ذلك الزمان  
فيحصل عليه ﴿ قالوا ﴾ يعني اخوة يوسف ﴿ تالله ﴾ الاء بدل من الواو ولا تدخل  
الا على اسم الله في اليمين خاصة تقديره والله ﴿ لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض  
وما كنا سارقين ﴾ قال المفسرون ان اخوة يوسف حلفوا على امرين . أحدهما انهم  
ما جاؤا لاجل الفساد في الارض . والثاني انهم ما جاؤا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه  
كان قد ظهر من أحوالهم ما يدل على صدقهم وهو انهم كانوا مواظبين على انواع الخير والطاعة  
والبرحق بلغ من أمرهم انهم شذوا أوفاء دوابهم لثلاث تؤذي زرع الناس ومن كانت هذه  
صفة قافساد في حقه ممتنع وأما الثاني وهوانهم ما كانوا سارقين فلانهم قد كانوا ردوا  
البضاعة التي وجدوها في رحالهم ولم يستحلوا أخذها ومن كانت هذه صفة فليس  
بسارق فلاجل ذلك قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فلما تبينت  
براءتهم من هذه التهمة ﴿ قالوا ﴾ يعني أصحاب يوسف وهو المنادى وأصحابه ﴿ فاجزاء ﴾  
ان كنتم كاذبين ﴿ يعني فاجزاء السارق ان كنتم كاذبين في قولاكم ما جئنا لنفسد في الارض  
وما كنا سارقين ﴾ ﴿ قالوا ﴾ يعني اخوة يوسف ﴿ جزاؤه ﴾ من وجد في رحله . يعني  
جزاء السارق الذي وجد في رحله أن يسلم برقبته الى المسروق منه فيسترقه سنة وكان  
ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق وكان في حكم مالك مصر ان يضرب السارق ويغرم  
ضعفي قيمة المسروق وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان يجري مجرى التقطع في شرعنا  
فأراد يوسف ان يأخذ بحكم أبيه في السارق فلذلك رد الحكم اليهم والمعنى ان جزاء السارق  
أن يستبد سنة جزاءه على جرمه وسرقته فهو جزاؤه ﴿ يعني هذا الجزاء جزاؤه  
هو كذلك نجزي الظالمين ﴾ يعني مثل هذا الجزاء وهوان يسترق السارق سنة نجزي

( الارض ) استشهدوا بعلمهم  
لما ثبت عندهم من دلائل  
دينهم وأمانتهم حيث دخلوا  
وأفواء رواحهم مشدودة  
لثلاث تناول زرعاً أو طعاماً  
لاحد من أهل السوق  
ولانهم ردوا بضاعتهم التي  
وجدوها في رحالهم ( وما  
كنا سارقين ) وما كنا  
نوصف قط بالسرقة  
( قالوا فاجزاء ) الضمير  
للسواع أي فاجزاء سرقة  
( ان كنتم كاذبين ) في جمودكم  
وادعاءكم البراءة منه ( قالوا  
جزاؤه من وجد في رحله )  
أي جزاء سرقة اخذ من  
وجد في رحله وكان حكم  
السارق في آل يعقوب ان  
يسترق سنة فلذلك استنفوا  
في جزائه وقولهم ( فهو  
جزاؤه ) تقرير للحكم أي  
فأخذ السارق نفسه هو  
جزاؤه لا غير جزاؤه . مبتدأ  
والجمله الشرطية كاهي  
خبره ( كذلك نجزي الظالمين )  
يوسف ( قالوا تالله ) والله  
( لقد علمتم ) يا أهل مصر  
( ما جئنا لنفسد في الارض )  
أرض مصر بالسرقة ومضرة  
الناس ( وما كنا سارقين )  
ما تطلبون ( قالوا ) يعني فني  
يوسف ( فاجزاء ) يعني  
ما جزاء السارق ( ان كنتم  
كاذبين قالوا اجزاء ) السارق

( من وجد في رحله ) السرقة ( فهو جزاؤه ) يتولى الاستبعاد جزاء سرقة ( كذلك نجزي الظالمين ) ( الظالمين )

﴿ فبدأ باوعيتهم ﴾ فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر ﴿ قبل وعاء اخيه ﴾ بنيامين فبالتهمة ﴿ ثم استخرجها ﴾ أي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤثت ﴿ من وعاء اخيه ﴾ وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الكيد ﴿ كدنا ليوسف ﴾ بان علمناه آياه واوحينا به اليه

الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بقية كلام اخوة يوسف وقيل هو من كلام أصحاب يوسف فعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق ان يسترق سنة قال أصحاب يوسف كذلك نجزي الظالمين يعنى السارقين ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ﴾ قال أهل التفسير ان اخوة يوسف لما أقروا ان جزاء السارق ان يسترق سنة قال أصحاب يوسف لا بد من تفتيش رجالكم فردوهم الى يوسف فاحر بتفتيشها بين يديه فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه لازالة التهمة فجعل يفتش أوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لثانته كان يقطع متاعا ولا ينظر وعاء الاستغفر الله تأمنا مما قد فهم به حق لم يبق الا رحل بنيامين قال ما أظن هذا أخذ شيئا قال اخوته والله لا تركك حتى تنظر في رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا قلنا فهو امتاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله تعالى ﴿ ثم استخرجها من وعاء أخيه ﴾ انما أنث الكناية لانه ردها الى السقاية وقيل ان الصواع يذكر ويؤث فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين نكس اخوة يوسف رؤوسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين يلوونه ويقولون له ما صنعت بنا فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل مازال لنا منك بلا متقى أخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل مازال لهم منك بلا ذهبت باخي فاهلكتموه في البرية أن الذي وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم قالوا فخذ بنيامين رقيقا وقيل ان المنادى وأصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فآخذوه برقبته وردوه الى يوسف ﴿ كذلك كدنا ليوسف ﴾ يعنى ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو اشارة الى الحكم الذي ذكره اخوة يوسف لبوسف ولفظ الكيد مستعار لليلة والحديسة وهذا حق الله عز وجل محال فيجب تأويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيدها جزاء الكيد يعنى كما فعلوا بيوسف في الابتداء فعلناهم فالكيد من الخلق الخلة ومن الله الدبير بالحق والمعنى كالأهمننا اخوة يوسف ان حكموا ان جزاء السارق ان يسترق كذلك أهمننا يوسف حتى دس اصواع في رحل أخيه يضمه الله على ما حكمه اخوته وقال ابن الاعرابي الكيد الدبير بالباطل وبحق فعلى هذا يكون المعنى كذلك دبرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الانباري كدنا وقع خرا من الله عز وجل على خلاف معناه في أوصاف الخنوقين فانه اذا أخبره عن مخاوق كان تحته احتيال وهو في موضع فعل الله ممرى من المعاني المذمومة وتخصص وقع عن يديه تدبير ما يريد به من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من الله مشيئة بالآى يكون من أحل أن المخلوق اذا كاد ان تخاوق سترعنه ما ينويه وضمره له من الذى قمع به من

أى السراق بالاسترقاق (فبدأ باوعيتهم قبل وعاء أخيه) فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لتفى التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا تركه حتى تنظر في رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا (ثم استخرجها) أي الصواع (من وعاء أخيه) ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنه لان التأنيث يرجع الى السقاية اولان الصواع يذكر ويؤث الكافى (كذلك) فى محل النصب أى مثل ذلك الكيد العظيم (كدنا ليوسف) يعنى علمناه آياه

السارقين بارضنا (فبدأ) فنى يوسف (باوعيتهم) ففتشها (قبل وعاء أخيه) فلم يجدها فيها (ثم استخرجها من وعاء أخيه) من يديه وأمه فقال له فنى يوسف فرجك الله كما فرجتنى (كذلك) هكذا (كدنا) صنعنا (ليوسف) اكرمه بالعلم والحكمة والفهم والنبوة والملك

(ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) تفسير للكيد وبيان له لأن الحكم في دين الملك أي في سيرته للسارق أن يعزله عن مثل ما أخذ لأن يستعب (الآن يشاء الله) أي ما لم الجزء الثالث عشر { كان ليأخذه } ﴿٤٣٨﴾ الإبعثيشة الله وأرادته فيه (نرفع درجات

﴿ ما غار ليأخذ أخاه في دين الملك ﴾ ملك مصر لان دينه الضرب وتفرج منصف ما أخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد ﴿ الا ان يشاء الله ﴾ ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فلا يستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا أي لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾ بالعلم كما رفعنا درجته ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ ارفع درجة من دواحيهم به من رزعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ ولانه لا فرق بين موين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص ﴿ قالوا أن يسرق ﴾ بنيامين ﴿ فقد سرق اخ له من قبل ﴾ يعنون يوسف عليه السلام قبل ورثت عنه من ابيه ما منطقة ابراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتحميه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشنت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاء في الجيف وقيل كان في البيت عناق أو دجاجة فاعطى السائل وقيل

الكيد فهو من الله تعالى أستر اذ هو ما ختم الله به قلوبهم والذى وقع باخوة يوسف من كيد  
الله هو ما انتهى اليه شأن يوسف من ارتفاع المنزلة وتعمام النعمة وحيث جرى الاسر  
على غير ما قدروا من اهلاكه وخلوص أيهم له بعده وكل ذلك جرى بتدبير الله تعالى  
وخفي لطفه سماء كيدا لانه أشبه كيد المخلوقين فعلى هذا يكون كيد الله عز وجل  
ليوسف عليه السلام عائدا الى جميع ما أعطاه الله وأنعم به عليه على خلاف تدبير  
اخوته من غير أن يشعروا بذلك ﴿ وقوله تعالى ﴾ ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ﴾  
يعنى فى حكم الملك وقضائه لانه كان فى حكم الملك ان السارق بضرب ويغرم ضئيفة قيمة  
المسروق يسوفى فى حكم الملك وقضائه فلم يتمكن يوسف من حبس أخيه عنده فى حكم الملك فالله  
تعالى ألهم يوسف ما بره حتى وجد السبيل الى ذلك ﴿ الا أن يشاء الله ﴾ يعنى أن ذلك الاسر  
كان بعشيرة الله وتدبيره لان ذلك كله كان الهاما من الله ليوسف واخوته حتى جرى الاسر على  
وفق المراد ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾ يعنى بالعلم كما رفنا درجة يوسف على اخوته وفى هذه  
الآية دلالة على أن العلم الشريف أشرف المقامات وأعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف  
ورفع درجته على اخوته بالعلم وبإعمالهم على وجه الهداية والصواب فى الامور كلها ﴿ وفوق  
كل ذى علم عليهم ﴾ قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهى العلم الى الله تعالى فالله فوق كل عالم  
لانه هو الذى يعلمه عن التعليم وفى الآية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف  
أعلم منهم قال ابن الانباري يحب أن يتهم العالم نفسه ويستشير التواضع لمو هب ربه تعالى  
ولا اطمع نفسه فى الغلبة لانه لا يخلو عالم من عالم فوجه ﴿ قوله تعالى ﴾ قالوا يا  
يوسف ﴿ ان يسرق ﴾ يعنى بنيامين الصواع ﴿ فقد سرق أخ له من قبل ﴾ يعنى يوسف  
ظاهر الآية يقتضى ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الامر ليس بفريب منه فان أخاه

بالتتو ن كوفي (من نشاء)  
 أى فى العلم كارتنا درجة  
 يوسف فيه ( وفوق كل  
 ذى علم عليم ) فوقه أرفع  
 درجة منه فى علمه أوفوق  
 العلماء كلهم علمهم دونه  
 فى العلم وهو الله عز وجل  
 ( قالوا أن يسرق فقد سرق  
 أخله من قبل ) أرادوا يوسف  
 قبل دخل كنيسة فاحذ  
 تتالاصغيرا من ذهب كانوا  
 يبدونه فدفنه وقيل كان  
 فى المنزل دحاجة فاعطاها  
 لائل وقيل كانت منطقة  
 لأبراهيم عليه السلام يتوارثها  
 أكابر ولده فورثها اسحق  
 ثم وقت الى ابنته وكانت  
 أكبر أولاده فحضنت  
 يوسف وهى عمته بعد وفاة أمه

( ما كان يأخذ ) يقول لم  
يأخذ ( أخاه في دين الملك )  
في قضاء الملك ( الآن ) يشاء  
الله ) وقد شاء الله أن لا يأخذ  
أخاه في دين الملك وكان  
قضاء الملك للشارق أنه  
يضرب ويغرم ويقال يقطع  
ويغرم ويقال ألا أن يشاء الله  
إلا ما علم يوسف أنه يرضى الله  
من قضاء الملك فكان يأخذ  
بذلك ( نرفع درجات )  
فضائل ( من نشاء ) كما نرفع

في الدنيا (وفوق كل ذي عليم) وفوق كل ذي علم عالم حتى يهيئ الى الله فليس قوة أحد يقول الله الم وفوق كل عالم (الذي)  
فليس فوقه أحد (قالوا) اخوة يوسف (ان يسرق) ان سرق بنيامين سقاية الملك فقد سرق أخله من قبل (من قبله أخوه لا يبه وأمه

وكانت لا تبصر عنه فلما شب أراد يعقوب ﴿٤٣٩﴾ أن ينزعه منها { سورة يوسف } فعمدت الى المنطقة

فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت قدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افضل به ما شئت منه فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وروى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له فضحتا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منك بلاه متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم بلاه ذهبت يا بني فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم ( فأسرها ) أي مقاتلهم انه

سرق كأنهم يجمعها ( يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شرمكانا ) تميز أي أنتم شرمزلة في السرقة لأنكم سرقتم اخاك يوسف من أبيه ( والله أعلم عاتصفون ) تقولون أو تكذبون ( قالوا ما أيها العزيز ان له بأشبحا كبير ) في السن وفي القدر

صنما ( فأسرها يوسف ) جواب هذه الكلمة ( في نفسه ولم يبدها لهم ) جواب

دخل كنيسة واخذ ثيابا صغيرا من الذهب ﴿ فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ﴾ اكتموا ولم يظهرها لهم والضمير للأجابة أو المقالة ونسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير ويغيرها قوله ﴿ قال انتم شرمكانا ﴾ فانه بدل من أسرها والمعنى قال في نفسه انتم شرمكانا أي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاك يوسف أو في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيها باعتبار الكلمة والجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشأن ﴿ والله أعلم عاتصفون ﴾ وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون ﴿ قالوا يا أيها العزيز ان له بأشبحا كبيرا ﴾

الذي هلك كان سارقا أيضا وكان غرضهم من هذا الكلام ان السنا على طريقته ولا على سيرته بل هذا وأخوه كانوا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهم من أم أخرى غير أمناواختلفوا في السرقة التي نسبوها الى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال سعيد بن جبير وقادة كان لجدته أبي أمه صنم وكان يعبد فآخذ يوسف سرا وكسره وألقاه في الطريق لثلاث عبيده وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوما فآخذ بيضة من البيت فناولها له وقال سفيان بن عيينة أخذ دجاجة من الطير الذي كان في بيت يعقوب فاعطاها سائلا وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائة للقراءة وذكر محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق يمد موت أمه راحيل فحضنته عمته وأحبته حباً شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فآجبه فقال لاخيه يا اختاه سلى الى يوسف فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة واحدة فقالت لا أعطيكه فقالها والله ما أبتاركه عندك فقالت دعه عندي أياما أنظر اليه لعل ذلك يساني عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة كانت لاسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت أكبر أولاد اسحق فكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد قدت منطقة اسحق ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه لسلم لي يعني يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فأسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق أخله من قبل يعني هذه السرقة قال ابن الأنباري وليس في هذه الافعال كلها ما يوجب السرقة ولكنا تشبه السرقة بغيره بما عند الغضب ﴿ فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ﴾ في هاء الكناية ثلاث أقوال أحدها ان الضمير يرجع الى الكلمة التي بعدها وهي قوله تعالى ﴿ قال ﴾ يعني يوسف ﴿ أنتم شرمكانا ﴾ روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس والثاني ان الضمير يرجع الى الكلمة التي فالوها في حقدها وهي قواهم فقد سرق أخله من قبل وهذا معنى قول أبي صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فأسرها يوسف جواب الكلمة التي قالوها في حقه ولم يحجم عليها والثالث ان الضمير يرجع الى الجملة فيكون المعنى على هذا القول فأسرها يوسف الاحتجاج عليهم في دعائهم عليه السرقة ولم يبدها لهم قال أنتم شرمكانا هي منزلة عند الله ممن رميتوه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة في الحقيقة وخبركم حقيقة ﴿ والله أعلم عاتصفون ﴾ من حقيقة تتوالون قوله عز وجل ﴿ وتوالوا ﴾ يعني اخوة يوسف ﴿ ما أيها العزيز ان له بأشبحا كبيرا ﴾ قال أصحاب الاخبار واسيرا يوسف

( قال ) في نفسه ( انتم شرمكانا ) صنما من يوسف ( والله أعلم عاتصفون ) تقولون من أمر يوسف ( قالوا يا أيها العزيز ان له بأشبحا كبيرا )

في السن أو القدر ذكروا له حاله استطاعا له عليه ﴿ فخذنا أحدا مكانه ﴾ بدله  
 فان أباه يكره ان يتركه على أخيه الهالك مستأنس به ﴿ انما نراك من المحسنين ﴾ ايضا فاعلم  
 احسانك أو من التعودين بالاحسان فلا تغير عادتك ﴿ قال معاذ الله ان تأخذ الامن وجدنا  
 متاعنا عنده ﴾ فان أخذ غيره ظلم على قنواكم فلو أخذنا احدا مكانه ﴿ انا اذا لظالمون ﴾  
 في مذهبيكم هذا أو ان سراده ان الله اذن ان أخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحة  
 عليه الصلاة والسلام لما استخرج الصواع من رحل أخيه بنيامين نقره وأدناه الى أذنه  
 ثم قال ان صواحي هذا يخبرني انكم اثنا عشر رجلا لاب واحد وانكم انطلقتم باخ  
 لكم من ايكم فبعثوه قال بنيامين ايها الملك سل صواحك هذا من جعله في رحلي فنقره  
 ثم قال ان صواحي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي وقد روت مع من كنت  
 قالوا فغضب روبيل لذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا  
 غضب لم يقم لنفسه شيئا وكان اذا صاح ألق كل حامل جملها اذا سمعت صوته وكان  
 مع هذا اذا مسه أحد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان أقوى الاخوة وأشدهم  
 وقيل كانت هذه صفة شمعون بن يعقوب وقيل انه قال لاختوته كم عدد الاسواق  
 بمصر قالوا عشرة قال اكفوني أنتم الاسواق وأنا اكفيكم الملك أو اكفوني أنتم  
 الملك وأنا اكفيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل ايها الملك اتردن عليا  
 أخانا ولا يصيحن صيحة لا يبق بمصر امرأة حامل الا وضعت ولدها وقامت كل شجرة  
 في جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب هذا  
 فسه أو خذ بيده فاني له فلما مسه سكن غضبه فقال لاختوته من مسني منكم قالوا لم  
 يصبك منا أحد فقال روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقام  
 اليه يوسف فوكزه برجله وأخذ بتلابيه فوقع على الارض وقال أنتم يا مشر  
 المبرانيين تزعمون أن لا أحد أشد منكم فلما رأوا ما نزل بهم ورأوا أن لا سبيل الى  
 تخليصه خضعوا ودلوا وقالوا يا ايها العزيز ازرله انا شيئا كبيرا يعني في السن ويحتمل أن  
 يكون كبيرا في القدر لانه نبي من أولاد الانبياء ﴿ فخذنا أحدا مكانه ﴾ يعني بدلا عنه  
 لانه يحبه ويتولى به عن أخيه الهالك ﴿ انما نراك من المحسنين ﴾ يعني في أفضالك كلها  
 وقيل من المحسنين اليها في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة اليها وقيل ان  
 رددت بنيامين اليها وأخذت أحدا مكانه كنت من المحسنين ﴿ قال معاذ الله ﴾ يعني  
 قال يوسف أعوذ بالله معاذي ﴿ أن تأخذ الامن وجدنا متاعنا عنده ﴾ لم يقل من سرق  
 نحرزا عن الكذب لانه يعلم ان أخاه ليس ببارق ﴿ انا اذا لظالمون ﴾ يعني ان  
 أخذنا برثا بذنب غيره فان قلت كيف اسجارت يوسف أن يعمل مثل هذه الاعمال  
 بآيه ولم يخبره بمكانه وحبس أخا أيضا عنده مع علمه بشدة وجد آبيه عليه فقيه  
 ما فيه من لعوق وقطبة الرحم وفلة اشقة ركيك يحرز ليوسف مع علمه من نصبه  
 من النبوة والرسالة ان يزور على اخوته ويروج عليهم مثل هذا مع آيه من الانبياء

( فخذنا أحدا مكانه ) بدله  
 على وجه الاسترخاء  
 أو الاستعداد فان أباه يتولى  
 بدعي أخيه المفقود ( انا  
 نراك من المحسنين ) ايضا  
 فاعلم احسانك أو من مادتك  
 الاحسان فاجر على مادتك  
 ولا تنبرها ( قال معاذ الله  
 أن تأخذ الامن وجدنا  
 متاعنا عنده ) أي نعوذ بالله  
 معاذنا من أن تأخذنا ضيف  
 المصدر الى المفعول به  
 وحذف من ( انا اذا  
 لظالمون ) اذا جواب  
 لهم وجزاء لان المعنى ان  
 أخذنا بدله ظلمنا وهذا لانه  
 وجب على قضية قنواكم  
 أخذ من وجد الصاع في  
 رحله واستبداه فلو أخذنا  
 غيره كان ذلك ظلما في  
 مذهبيكم فلم تطلبون ما عرفتم  
 يفرح به ان رددناه ( فخذ  
 أحدا ) معنا ( مكانه انما نراك )  
 ان فعلت ذلك ( من المحسنين )  
 ايضا ( قال ) لهم يوسف  
 ( معاذ الله ) أعوذ بالله ( ان  
 تأخذ ) بأسرقة ( الا ) وحدها  
 معاذ ( انا اذا لظالمون )  
 محبس لم نجس ما عنده

﴿تَقْوُوا عَنْ النَّاسِ خَالِصِينَ لَا يَخَالُطُهُمْ﴾ ﴿٤٤١﴾ ﴿سَوَاهِمَ﴾ (نجيا) {سورة يوسف} ذوى نجوى أو فوجا نجيا أي

ورضاه عليه فلما اخذت غيره كنت ظالما ﴿ فلما استأسأوا منه ﴾ بثسوامن يوسف واحابته  
انهم وزبادة السنين والنساء للبلابة وعن البرى استأسأوا بالاث وقبح الباء من غير همزة  
واذا وقع حجة التي حركة الهمزة على الياء على اصله ﴿ خلصوا ﴾ انفردوا واعتزلوا  
﴿ نجيا ﴾ متساجين وانما وحده لانه مصدر أوبرنته كما قيل هم صديق وجهه انجية  
كندى واندبة ﴿ قال كبيرهم ﴾ في السن وهو رويل أو في الرأي وهو شمون وقيل  
يهوذا ﴿ ألم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ﴾ عهدا ونبقا وانما جعل حلفهم  
بالله موثقانه لانه باذن مند وتأكيدهم من جهة ﴿ ومن قبل ﴾ ومن قبل هذا ﴿ ما فرطتم  
في يوسف ﴾ قصرتم في شأنه وما منيدة ويحوز ان تكون مصدرية في موضع النصب  
بالعطف على مقبول تعلموا ولا بأس بالفعل بين لعاطف والمعطوف بالطرف أو على اسم  
ان وخبره في يوسف او من قبل أو الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قمل اذا  
كان خبرا أو صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة أى ما فرطتموه  
يعنى ما قد تمتموه في حقه من الحيانة وعمله ما تقدم ﴿ فلن ابرح الارض ﴾ فلن افارق ارض  
مصر ﴿ حتى تأذن لي ابي ﴾ في الرجوع ﴿ أو يحكم الله لي ﴾ أو يقضى الله لي الخروج

اهم فكيف يليق به هذا كله. فأتى ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة كثيرة وأحسنها وأصحها أنه إنما فعل ذلك بإمر الله تعالى له لاعتن أسرته وإتباع أسرته الله بذلك ليزيد بلاءه بفنوب فضاغفه له الاجر على البلاء ويلحقه بدرجة آياته الماضية والله تعالى اسرار لاسمها أحسن خلقه فهو المتصرف في خلقه بما يشاء وهو الذي أخفى خبر يوسف عن يعقوب في طول هذه المدة مع قرب المسافة لما يريد أن يدبره فيهم والله أعلم بأحوال عباده. قوله عز وجل ﴿فلما استأسوا منه﴾ أى أيسوا من يوسف أن يحبسهم لما سألوه وقيل أيسوا من أخيم أن يرد عليهم وقال أبو عبيدة استأسوا أى استيقنوا أن الاخ لا يرد اليهم ﴿فخلصوا نجيا﴾ أى بغير أخذ بهضم بعض يناجون ويتشاورون ليس فيهم غيرهم. وقال كبيرهم ﴿بني في الغل والعلم لا في السن﴾ قال ابن عباس الكبير هو هوذا ركان أعظمهم وقال مجاهد هو سمعون وقد نزلت له الرئاسة على اخوته وهال عادة والسدي والضحاك هو رويل وكأ أكبرهم سار وأحسنهم رأيا في يوسف لأنه نهاهم عن قتله ثم ألم تعلموا أن أبائكم يعني يعقوب ثم قد أخذ عليكم نوتاً أى يعنى عهداً من الله ومن قبل ما نزلتكم في يوسف ثم قصرتم في أمر يوسف حتى صيحبتموه ثم فلن أخرج من أرض مصر إلى الأرض التي أنا ذابا وهي أرض مصر والمعنى فإن أخرج من أرض مصر فلا أخرج من هذه العسرة أى حتى ياذن لي أن أخرج من أرض مصر ثم يذنب من أرض مصر ثم يذنب من أرض مصر ثم يذنب من أرض مصر

لِلدَّاعِيَةِ فَيَأْتِيهِمْ قَارِعٌ كَرِيمٌ (ثُمَّ يَأْتِيهِمُ الْمَوْتُ) (تَوَسَّلُوا بِهَذَا) (يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ) (لَوْ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ) (أَنَّ أَبَاكُمْ سَخَّ أَخَذَ  
عَلَيْكُمْ مَوَاسِينَ) (وَمِنْ ذَلِكَ) (أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ) (سَمِعَ) (أَنَّهُ كَذَّبَ) (بِوَسِيلَةٍ) (يُؤْتِي بِهَا رِجْلُهَا) (أَبْرَحَ) (لِأَرْضِ)  
أَرْضِ مِصْرَ (حَتَّى يَأْتِيَ لِي أَبِي) (بِالرَّجُوعِ) (وَيَقُولُ أَفْذَلِي أُنِي) (حَتَّى أَمْجُزَهُ) (أَتَسْأَلُ) (أَوْ يَحْكُمُ) (لَهُ) (فَرَدَّ) (أَخِي

مها أو بخلاص أخى منهم أو بالمقاتلة معهم لتخليصه روى أنهم كلوا العزير في اطلالة فقال  
روبيل إياها الملك والله تتركنا أو لا صحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور  
سده فخرجت من ثابة فقال يوسف عليه السلام لا بدق إلى جنبه فسه وكان ينوي يقوب  
عليه السلام إذا غضب أحدهم فسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا أن في هذا  
البلد لنورا من نور يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون إلا بالحق  
ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا انك سرق على ما شاهدناه من ظاهر الامر وقرى  
سرق أى نسب إلى السرقة وما شهدنا عليه إلا بما علمنا بان رأينا ان الصواع  
استخرج من وعائه وما كمالنا في لاطن الحال حافظين ولا ندرى انه سرق  
أو سرق ودس الصاع في رحله أو ما كنا للمواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموقد انه

على أو بخروحي معكم وترك أخى أو يحكم الله بالسيف فاقائلهم حتى أسترده أخى  
وهو خير الحاكمين لانه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمرء من هذا الكلام  
الالتجاء إلى الله تعالى في إقامة عذره عند والده يعقوب عليه الصلاة والسلام ارجعوا  
إلى أبيكم معنى يتول الاخ الكبير الذى عزم على الإقامة بمصر لاختوته السابقين  
ارجعوا إلى أبيكم يعقوب فقولوا له يا أبانا انك سرق انما قالوا هذه  
المقاتلة ولسبوه إلى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد أخرج من متاع بنيامين فطلب  
على ظنهم أنه سرق فلذلك نسبوه إلى السرقة في ظاهر الامر لافى حقيقة الحال ويدل  
على أنهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قوله وما شهدنا إلا بما علمنا معنى ولم نقل ذلك  
الابد أن رأينا اخراج الصواع وقد أخرج من متاعه وقيل معناه ما كانت مناشهاده  
في عمرنا على سى إلا بما علمناه وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن صنيع ابنك أنه  
سرق بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق في زعم الملك وأصحابه لأننا نشهد عليه  
بالسرقة وقرأ ابن عباس والصحاح سرق ضم السين وكسر الواو وتشديد الهاء أى  
نسب إلى السرقة واتهم بها وهذه القراءة لا تحتاج إلى تأويل ومعناه ان التوم تدعو  
إلى السرقة إلا أن هذه القراءة ليست مسهورة فلا تقوم بها حجة والقراءة الصحيحة  
المشهورة هي الاولى وقوله وما شهدنا إلا بما علمنا معنى وما قلنا هذا إلا بما علمنا  
رأينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت مناشهاده في عمرنا على سى إلا بما  
علمناه وليست هذه شهادة وانما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب  
هب أنه سرق فما يدرى هذا الرجل ان السارق أخذ سرقة الابتولكم قالوا  
ما شهدنا عند السارق سارق إلا بما علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبياء  
قبله ويعقوب ويرى وأورد على هذا القول كيف حاز يعقوب اخفاء هذا الحكم  
حتى يكر على بنيه ذلك وأجيب عنه بأنه يحتمل أن يكون ذلك الحكم كان مخصوصا بما  
إذا كان المسروق منه فلما قلنا أنكر عاينهم اعلام الملك هذا الحكم لئلا أنه كسر

بالخروج منها أو بالموت  
أو بقتالهم ( وهو خير  
الحاكمين ) لانه لا يحكم  
إلا بالعدل ( ارجعوا إلى  
أبيكم فقولوا يا أبانا انك  
سرق ) وقرى سرق أى  
نسب إلى السرقة ( وما  
شهدنا ) عليه بالسرقة  
( إلا بما علمنا ) من سرقة  
وتبيننا اذ الصواع استخرج

( وهو خير ) أفضل  
( الحاكمين ) في رده إلى ثم قال  
لهم يهوذا ( ارجعوا )  
يا اخوتي إلى أبيكم فقولوا  
يا أبانا انك سرق ( صواع  
الملك اناء من ذهب وبقال  
أخذ بالسرقة ان فرأت  
بضم السين وخفض الراء  
بالتشديد ) وما شهدنا  
الإبما علمنا رأينا ان السرقة  
أخرجت من رحله

من وطاه ( وما لنا بالغيب حافظين ) وما علمنا انه يسرق حين اعطيك المونق ( واسئل القرية التي لنا فيها ) بنى مصر في  
ارسل الى اهلها فاسألهم عن كنه القصة ﴿ ٤٤٣ ﴾ ( والعبر التي لم سورة ي سف ) اقبلنا فيها ) واصحاب العبر

وكانوا قوما من كتعان من  
جيران يعقوب عليه  
السلام ( وانا لصادقون )  
في قولنا فرجعوا الى ابيهم  
وقالوا له ما قال لهم اخوهم  
( قال بل سولت لكم  
انفسكم اسرا ) اردتموه  
والا فأن ادري ذلك الرجل  
ان السارق - رقى لولا  
نواكم وتعليكم ( فصبر  
جيل عسى الله أن يأتيني  
مهم جميعا ) يوسف وأخيه  
وكبرهم ( انه هو العليم )  
بحالي في الحزن والاسف  
( الحكيم ) الذي لم يتلنى  
بنائك الحكمة ( وتولى  
عنهم ) واعرض عنهم

( وما كمال الغيب حافظين )  
يقول او علمنا العيب ما ذهبنا به  
ويقول ما كنا له بالبل  
حافظين ( واسئل القرية )  
أهل القرية ( التي كسماها )  
وهي قرية من قرى مصر  
( والعبر ) أهل العبر ( التي  
أقبلنا بها ) جئناهم وكان  
صحبهم قوم من كتعان  
( وانا لصادقون ) فيما  
قلنا فقالوا يعقوب هذا  
اقول ( قال ) يعقوب لهم  
( بل سولت ) زيت ( لكم  
انفسكم اسرا ) ففعلوه

سبسرق أو أنك تصابه كما أصبت يوسف : واسأل القرية التي كنا فيها : يعنون  
مصر أو قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة  
﴿ والعبر التي اقبلنا فيها ﴾ واصحاب العبر التي توجهنا فيهم وكسماهم ﴿ وانا لصادقون ﴾  
تأكيد في محل القسم ﴿ قال بل سولت ﴾ أي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم  
اخوهم قال بل سولت أي زيتت وسولت ﴿ لكم انفسكم اسرا ﴾ اردتموه فقررتموه  
والا فادري الملك ان السارق يؤخذ بسرقة ﴿ فصبر جيل ﴾ أي فامسى صبر جيل  
أو فصبر جيل اجل ﴿ عسى الله أن يأتيني بهم جميعا ﴾ يوسف وبنيامين واخيهم الذي  
توق بمصر ﴿ انه هو العليم ﴾ بحالي وحالهم ﴿ الحكيم ﴾ في تدبيره ﴿ وتولى عنهم ﴾

﴿ وما كمال الغيب حافظين ﴾ قال مجاهد وقادة بنى ما كنا نعلم ان ابنك يسرق  
ويصير اسرا الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به منا وانما قلنا ونحفظ اخانا عما لنا الى  
حفظه منه سبل وقال ابن عباس ما كمال ليله ونهاره وعجبه وذمها حافظين وقيل  
معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله فقلل الصواع دس  
في رحله ونحن لا نعلم بذلك ﴿ واسئل القرية التي كسماها ﴾ يعنى واسئل أهل  
القرية الا أنه حذف المضاف للإيجاز ومثل هذا النوع من المحز مشهور في كلام  
العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هي قرية من قرى مصر كالبحري  
فيها حديث السرقة والفتيش : والعبر الى اقبلنا فيها ﴿ من واسئل القرية التي  
كنا فيها وكان صحبهم قوم من كتعان من سبل يعقوب ﴾ وانا لصادقون : يعنى  
قلنا وانما اسرهم اخوهم الذي أقام بمصر بهذه المئالة : في ازانة التهمة عن انفسهم  
عند ابيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف بحر قال بل سولت لكم انفسكم  
اسرا ﴿ فيه اختصار تقديره فرجعوا الى ابيهم فاخبروه بما جرى لهم في سفرهم ذلك  
وعايناهم كبرهم واسرهم أن يسواوه لاجلهم فلهذا قال لهم يعقوب بل سولت يعنى  
بل زيتت لكم انفسكم اسرا وهو جل أخيك معكم الى مصر للملب نفع عاجل قال اسركم  
الى ما أن وقل معاه بل خيلت لكم انفسكم انه سرق وما سرق هذا مصر جيل ﴿ فقدم  
تقدمه في أول السورة ﴾ وقوله ﴿ عسى الله أن يأتيني بهم جميعا ﴾ يعنى يوسف وبنيامين  
والاخ الثالث الى أقام بمصر اعاناه يعرب هذه الآية لانه لما لح حرب واشتد الازم  
وعجته عذرا لانه سيجعل له رجا يخرج حيا عن قرب ستال ذهب على سبيل حسن المنة بالله  
عن رجل لانه اذا اشتد البلاء وعظم كمال أسرع الى الفرح وقيل يعقوب علم ان يعقوب  
عليه وعلى بنيه من أزل الامر وهو رجا يوسف وواخي لا تقصص رجا على اخوتك  
فيكيدوا لك كيدا لما تنهى الامر قال عسى الله أن يأتيني بهم جميعا ﴿ انه هو العليم ﴾  
يعنى بحزنى ووجدى عليهم من الحكيم فيايد به ويدعيه قوله تعالى ﴿ وتولى  
عنهم ﴾ يعنى واعرض يعقوب عن بنيده حين بلغه خبر بنيامين فحينئذ تنهى حزنه

( فصبر جيل ) فعلى صبر جيل بالاجزع ( عسى الله ) لعل الله ( أن يأتيني بهم جميعا ) يوسف وأخيه من أبيه وأمه  
بنامين ويهوذا ( انه هو العليم ) بمكانهم ( الحكيم ) بردهم على ( وتولى عنهم ) خرج



كرامة لما جاؤ به ( وقال يا أسفا على يوسف ) أنصف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة الى نفسه والقلب بدل من يا أسفا  
والتجاس بين الأسف : الجزء الثالث عشر : يوسف ﴿ ٤٤٤ ﴾ غير متكلف ونحوه انما قلتم الى الارض أرضية

وهم ينهون عنه ويتأون  
عنه ويحسبون أنهم يحسنون  
صنعاً من سبأ بقاء وأما  
تأسف على يوسف دون  
أخيه وكيومهم لتأدي أسفه  
على يوسف دون الآخرين  
وفيه دليل على أن الزرع  
فيه مع تقدم عهده كان  
غضاً عنده طرياً (وابيضت  
عيناه ) اذ اكثرت  
الاستبصار وعقت العبرة  
سواد العين وآتته الى  
بياض كدر وقيل قد عي  
بصره وقيل كان قد يدرك  
ادراكاً ضعيفاً (من الحزن)  
لأن الحزن سبب البكاء  
الذي حدث منه البياض  
فكانه حدث من الحزن  
قيل ماجفت عيناه فتوب  
من وقت فراق يوسف  
الى حين لقائه ثمانين عاماً  
وما على وجد الأرض  
أكرم على الله من يعقوب  
ويحوز للنبي عايد السلام  
أن يباغ هذا الجزع ذلك المبالغ  
لأن الإنسان مجبول على أن  
لا يملك نفسه عند الحزن  
فلذلك جد صبره ولقد بيكى  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم على ولده ابراهيم وقال  
القلب يجزع والعين تدمع

فأعرض عنهم كرامة لما صاف منهم ﴿ وقال يا أسفا على يوسف ﴾ أي يا أسفى تعالى فهذا  
أوانك والأسف أشد الحزن والحسرة والالاف بدل من ياء المتكلم وأما تأسف على يوسف  
دون أخويه والحادث رزؤهما لأن رزاه كان قاعدة المصيبات وكان غضاً آنفاً  
بجتماع قلبه ولأنه كان واثقاً بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط أمة من الأمم أمانة  
وأما اليه راجعون عند المصيبة الأمانة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا ترى الى يعقوب  
عليه الصلاة والسلام حين أصابه ما أصابه لم يسترحع وقال يا أسفا ﴿ وابيضت عيناه من  
الحزن ﴾ لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادها وقيل صنف بصره وقيل عي  
وقرى من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند الفجع ولعل أمثال ذلك  
لا تدخل تحت النكاي فانه قل من يملك نفسه عند الشدة ولقد بيكى رسول الله صلى  
الله تعالى عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا تقول ما يستخط

واشتد بلاؤه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فعند ذلك أعرض عنهم مؤ وقال  
يا أسفا على يوسف ﴿ الأسف أشد الحزن وأما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه  
الواقعة لأن الحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان ذلك أوجع للقلب وأعظم لهيجان  
الحزن الاول كما قال متم بن نويرة لما رأى قبراً جديداً جدد حزنه على أخيه مالك  
يقول أبكي كل قبر رأيته • لقبر ثوى بين اللوى والدكاك  
فقات له ان الاسى يبعث الاسى • فدعى فهذا كله قبر مالك

فاجاب بان الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من أم واحدة كان  
يعقوب يتسلى عن يوسف وبنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه عليه ووجده  
وجدد حزنه على يوسف لا يوسف لأن أصل المصيبة وقعة عرض بين الجهال على  
يعقوب عايد السلام في قوله يا أسفا على يوسف فقال هذه شكاة وظاهر جزع بلايق  
بلمو منصب ذلك وليس الامر كما ان هذا الجاهل المعرض لار يعقوب عليه الصلاة  
والسلام شكالى الله لانه قد قول يا أسفا على يوسف مما ناب ارحم أفى على يوسف  
وقد ذكر ابن الأنبارى عن بعض القومين انه قال نداء يعقوب بالاسف فى اللفظ من  
المجاز يعنى به غير المظهر فى اللفظ ونسجه بالهوى ارحم أسفى أو أنت رأى أسفى أو هذا  
أسفى فادى الأسف فى اللفظ ولما دى سواه فى لمانى ولاه أم اذ لم نطق الا بان كلام  
مؤثم لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان قوله يا أسفا على يوسف سكوى الى ربه  
كان غير ملوم فى شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه ونوت محنته  
قال يا أسفا على يوسف أى استكوى الى الله شدة أسفى على يوسف ولم يسكه الى أحد من الخلق  
بدليل قوله اتمأشكوى بنى وحزنى الى الله ﴿ وابيضت عيناه من الحزن ﴾ أى عي من  
شدة الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر شيئاً ست سنين وقيل اندضع بصره من كثرة  
البكاء وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كأنها بيضاء من ذلك الماء الخارج

الربوب والاعلىك يا ابراهيم لحزونون ﴿ فهو كظيم ﴾ مملوء من الغيظ على اولاده ممسك  
له في قلبه لا يظهره فيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملته  
او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرده  
اذا ردها في جوفه ﴿ قالوا لله تفتنوا تذكرو يوسف ﴾ أى لا تنفقا ولا تنزال تذكروه تفجما  
عليه فحذف لا كما في قوله

فقلت يمين الله ابرح قاعدا

لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي ﴿ حتى تكون  
حرصا ﴾ مر بضمها مشفيا على الهلاك وقبل الحرص الذى اذابه هم أو مرض وهو في الاصل مصدر  
ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والتمت بالكسر كدنف ودنف • وقد قرئ به وبضمتين كجب

من العين ﴿ فهو كظيم ﴾ أى مكظوم وهو الممتلى من الحزن الممسك عليه لا يشه قال قتادة  
وهو الذى يردد حزنه في جوفه ولم يقل الاخيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف  
من حجر أبيه الى يوم التقيان ثمانون سنة لم تحجب عينا يعقوب وماعلى وجه الارض  
يومئذ أكرم على الله منه وقال ثابت البناني ووهب بن منبه والسدى ان جبريل عليه  
الصلاة والسلام دخل على يوسف وهو في السجن فقال هل تعرفنى أيها الصديق  
قال يوسف ارى صورة طاهرة قال انى رسول رب العالمين وأنا الروح الامين فقال  
يوسف فما أدخلك مدخل المذنبين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقربين وأمين رب  
المسلمين قال ألم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض بطهر النبيين وان الارض التى  
يدخلونها هى اطهر الارضين وان الله قد طهر بك الارض والسجن وما حوله فأظهر  
الطاهرين وابن السالحين المخلصين قال يوسف كيفلى باسم الصديقين وتعدنى من  
الصالحين المخلصين الطاهرين وقد أدخلت مدخل المذنبين قال انه لم يفتن قلبك ولم

تطع سدتك في معصية ربك فذلك سماك الله من الصديقين وعدك من المخلصين والحقك  
يا بأك الصالحين قال يوسف فهل لك علم من يعقوب أيها الروح الامين قل نعم قد ذهب  
بصره وا تلاء الله بالحزن عليك فهو كصم ووهب له الصبر الجميل قال فا قدر حزنه قال  
حزن سبعة سنين مكلاه قال فساه من الا • ر يا جبريل قال أجر مائة شهيد قال افتراى  
لاقمه قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما بالى مما لفتت ان رأيتك ﴿ قوله عز وجل  
﴿ قالوا ﴾ بنى احوه يوسف عليه الصلاة والسلام لا يميم ﴿ قالوا تفتنوا تذكرو يوسف ﴾  
بمعنى لا تنزال تذكرو يوسف ولا تغر عن حبه يتساءل ما فى بضم كذا أى مازال ولا  
محذوفة في جواب القسم لان موضعها معلوم فحذفت للتخفيف كقول الامري القيس

فقت يمين الله ابرح قاعدا • ولوقطعوا رأسى لديك وأوصالى

أى لا أبرح قاعدا • وقوله ﴿ حتى تكون حرصا ﴾ قال ابن عباس يعنى دننا وقال  
بجاهد الحرص مادون الموت يعنى قريبا من الموت وقال ابن اسحق يعنى فاسد الاعقل له  
والحرص الذى فسد جسمه وعقله وقيل ذائبا من الهم واصل الحرص الفساد في  
الجسم والعقل من الحزن أو الهم ومعنى الآية حتى تكون دنم الجسم مخبول العقل

ولا تقول ما يخطئ الرب  
واناعلىك يا ابراهيم لحزونون  
وانما المذموم الصياح  
والنياحة ولطم الصدور  
والوجوه وتغزى الثياب  
( فهو كظيم ) مملوء من الغيظ  
على اولاده ولا يظهر ما  
يسوءهم فيل بمعنى مفعول  
بدليل قوله اذ نادى وهو  
مكظوم من كظم السقاء اذا  
شده على ملته ( قالوا لله  
تفتنوا ) أى لا تنفقا فحذف  
حرف النفي لانه لا يلتبس  
اذا كان اثباتا لم يكن بد من  
اللام والنون ومعنى لا تنفقا  
لا تنزال ( تذكرو يوسف حتى  
تكون حرصا )

( فهو كظيم )

مضموم تردد حزنه في  
جوفه ( قالوا ) ولده وولد  
ولده ( قالوا لله ) والله ( تفتنوا )  
لا تنزال ( تذكرو يوسف  
حتى تكون حرصا ) حتى  
تكون دنمنا

﴿أوتكون من الهالكين﴾ من المتين ﴿قال﴾ انما اشكوبني وحزني ﴿هي﴾ الذي لا قدر  
 الصبر عليه من البث يعني النشر ﴿الذي﴾ لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكابي  
 يعني لا تنفع بنفسك من شدة الحزن والهم والاسف ﴿أوتكون من الهالكين﴾ يعني  
 من الاموات فان قلت كيف حلقوا على شيء لم يعلموا حقيقة قطعا قلت انهم بنوا  
 الامر على الاغلب الظاهر أي نقوله ظنا منا ان الامر يصير الى ذلك ﴿قال﴾  
 يعني يعقوب عند ما رأى قولهم له وغلظتهم عليه ﴿انما اشكوبني﴾ وحزني  
 الى الله ﴿اصل البث اثاره الشيء وتقريبه وبث النفس ما انطوت عليه من  
 الغم والنشر قال ابن قتيبة البث أشد الحزن وذلك لان الانسان اذا سهر الحزن وكفد كان  
 هما فاذا ذكره لغيره كان بما قاله أشد الحزن والحزن الهم فلي هذا يكون المعنى انما اشكو  
 حزني العظيم وحزني القليل الى الله لا اليكم قال ابن الجوزي روى الحاكم أبو عبد الله  
 في صحيحه من حديث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كل ليعقوب  
 أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال  
 أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين  
 فأناه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أما تسحى ان تشكو الى  
 غيري فقال انما اشكوبني وحزني الى الله فقال جبريل الله أعلم عما تشكو وقيل انه دخل  
 على يعقوب جاره فقال له يا يعقوب ما لي أراك قد تهشمت بالنفخ وفيت ولم تبغ من  
 السن ما بلغ أبوك فقال همني وأفاني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى الله اليه  
 يا يعقوب أتشكوى الى خلقي فقال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي قال قد غفرتها لك  
 فكان بعد ذلك اذا سئل يقول انما اشكوبني وحزني الى الله وقيل ان الله أوحى اليه عززي  
 وجلالي لأكشف ما لك حق تدعوني فند ذلك قال انما اشكوبني وحزني الى الله ثم  
 قال أي رب اما ترحم الشيخ الكبير أذهبت بصري وقوس ظهري فاردد على رجلي عني  
 أسهما سنة قبل ان أموت ثم اصنع ماشيت فأناه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك  
 السلام ويقول لك أبشر فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك أندري لم وجدت عليك  
 لانكم ذبحتم شاة فقام على ياكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه منها شيئا وان أحب  
 عبادي الى الانبياء ثم المساكين اصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من  
 كان صائما فليطعم الليلة فند آل يعقوب وكان بعد ذلك اذا تقدي أمر ناديا ينادي من أراد  
 أن يتقدي فليأت آل يعقوب واذا فطر أمر أن ينادي من أراد أن يفطر فليأت آل يعقوب وكان  
 يتقدي ويتعشى مع المساكين وقال وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى يعقوب أندري ام عاقبتك  
 وحبت عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يارب قال لانك شوبت عناقا وقترت على جارك  
 وأكلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح بجلايين يدي أمه وهي  
 نخور فلم يرجها فان قلت هل في هذه الروايات ما يقدح في عصمة الانبياء قلت لا وانما  
 عوقب يعقوب بهذا لان حسنات الابراة سيأت المقربين وانما يطالب من الانبياء من

مشفيا على الهلاك حرصا  
 (أوتكون من الهالكين قال انما  
 اشكوبني وحزني الى الله) البث  
 أصعب الهم الذي لا يصبر  
 عليه صاحبه فيبثه الى  
 الناس أي ينشره أي لا  
 أشكوا الى أحد منكم ومن  
 غيركم انما أشكو الى ربي  
 داعياله وملتجئا اليه  
 فخلوني وشكابي وروى  
 انه أوحى الى يعقوب انما  
 وجدت عليكم لانكم ذبحتم  
 شاة فوقف ببابكم مسكين  
 فلم تطعموه وان أحب خلقي  
 الى الانبياء ثم المساكين  
 فاصنع طعاما وادع  
 اليه المساكين وقيل  
 اشترى جارية مع ولدها  
 فباع ولدها فبكت حتى  
 (أوتكون من الهالكين)  
 بالموت (قال) يعقوب  
 (انما اشكوبني) ادفع غمي  
 (وحزني الى الله)

﴿ وأعلم من الله ﴾ من صنعه ورجته فإنه لا يخيب داعيه ولا يدع التحيي الدأوم من الله بشوع  
من الالهام ﴿ مالا تعلمون ﴾ من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في منام قسألته عنه فقال  
هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت حتى تخزله اخوته سجدوا له ابني اذهبوا  
قمحسوا من يوسف واخيه ﴿ فتعرفوا منهما وتقصصوا عن حالهما والتقصص طلب  
الاعمال على قدر منصبهم وشريف رتبةهم ويعتوب عليه الصلاة والسلام من أهل  
بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله كل واحد من أنبيائه بمحنة فصبر وفوض  
أمره الى الله فابراهيم عليه الصلاة والسلام أتى في النار فصبر ولم يشك الى أحد  
واسماعيل ابتلى بالذبح فصبر وفوض أمره الى الله واسحق ابتلى بالعمى فصبر ولم يشك الى أحد  
وبعقوب ابتلى بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عى بعد ذلك أو ضغف بعصره  
من كثرة البكاء على فقدهما وهو مع ذلك صابر لم يشك الى أحد شيئا مما نزل به وإنما  
كانت شكائته الى الله عز وجل بدليل قوله انما أشكركم وحزني الى الله فاستوجب  
بذلك المدح العظيم والثناء الجليل في الدنيا والدرجات العلا في الآخرة مع من سلب  
من ابويه ابراهيم واسحق عليهما الصلاة والسلام وأما دمع العين وحزن القلب فلا  
يستوجب به ذم ولا عقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان فلا يدخل تحت التكليم  
بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم بكى على ولده ابراهيم عند موته وقال ان العين  
لندمع وان القلب ليحزن وما نقول الا ما يرضى ربنا فهذا القدر لا يقدر الانسان على  
دفعه عن نفسه فصار مباحا لا حرج فيه على احد من الناس ﴿ وقوله ﴿ وأعلم من الله  
مالا تعلمون ﴾ يعنى أنه تعالى من رجته واحسانه يأتي بالفرج من حيث لا احتسب  
وفيه اشارة الى انه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه وروى ان ملك الموت  
زار يعقوب فقال له يعقوب ايها الملك الطيب ربحه الحسن صورته الكريم على ربه هل  
قبضت روح ابني يوسف في الارواح فقال لا قطابت نفس يعقوب وطمع في رؤيته  
فلذلك قال وأعلم من الله مالا تعلمون وقيل معناه وأعلم ان رؤيا يوسف حق وصدق  
وانى وأنتم سنجده وقال السدى لما أخبره بنوه بيرة ملك مصر وكال حاله في جميع  
أقواله واقواله أحست نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال عني  
يعقوب ﴿ يا بني اذهبوا قمحسوا من يوسف واخيه ﴾ التحسس طلب الحيرة الحاسة وهو  
قرب من التجسس بالجيم وقيل ان التحسس بالحاء يكون في الخير وبالجميم يكون في الشر  
ومنه الجاسوس وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمسوا قال  
ابن الانباري يقال تمحست عن فلان ولا يقال من فلان وقال هنا من يوسف وأخيه لانه  
أفهم من مقام عن قال ويجوز أن يقال من للتبيين تكون المني تمحسوا خبرا من أخبار  
يوسف وأخيه روى عن عبد الله بن يزيد عن أبي فرقة ان يعقوب كتب كتابا الى يوسف  
عليه الصلاة والسلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبح  
الله ان ابراهيم خفيل الله الى ملك مصر أما بعد فانا أله بيت وكل بنا الله أما جرى  
ابراهيم فندت يداه ورجلاه وأتى في الدار فبطلها الله عليه سرا وسادما وأما أبي فندت

عيت (وأعلم من الله مالا  
تلمون) وأعلم من رجته  
انه يأتي بالفرج من حيث  
لا احتسب وروى أنه  
رأى ملك الموت في منامه  
فسألته هل قبضت روح  
يوسف فقال لا والله هو  
حي فاطلبوه وعلمه هذا الدماء  
ياذا المعروف الدائم الذي  
لا ينقطع معروفه أبدا ولا  
يخصيه غيره فخرج عني  
( يا بني اذهبوا قمحسوا  
من يوسف واخيه ) فتعرفوا  
منهما وتطلبوا خبرهما  
وهو تفعل من الاحساس  
وأعلم من الله مالا تعلمون )  
يقول أعلم ان رؤيا يوسف  
صادقة وانما الله سجد له ويقال  
اعلم من رجدة الله وحيل  
نظره وصنعه مالا تعلمون  
ويقال أعلم ان يوسف حي  
لم يميت لانه دخل  
عليه ملك الموت فقال له  
هل قبضت روح ابني يوسف  
فحين قبضت قال لا فمن  
ذلك قال ( يا بني اذهبوا  
فتمسروا سن يوسف  
واخيه ) فاستخبروا واطلبوا  
خبر يوسف واخيه بنيامين

وهو المعرفة ( ولا تيأسوا ) الجزء الثالث عشر { من روح الله } ٤٤٨ ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه (١)

الاحساس ﴿ ولا تيأسوا من روح الله ﴾ ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرى من روح الله أى من رحته التى يحيى بها العباد ﴿ انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون ﴾ بالله وصفاته فان العارف الما من لا يقنط من رحته فى شئ من الاحوال ﴿ فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز ﴾ بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية ﴿ مسنا واهلنا الضر ﴾ شدة الجوع ﴿ وجشنا ببضاعة مزاجاة ﴾ رديئة أو قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من أزجته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسنا وقيل الصنوبر والحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل ﴿ فأوف لنا الكيل ﴾ فاتم لنا الكيل

يداء ورجاء ووضع السكين على قفاه ففداه الله وأما ما فكان لى ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قدأ كله الذئب فذهبت عيناي ثم كان لى ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت أنسلى به وانك حبسته وزعت أنه سرق وأنا أهل بيت لا نسرق ولا نلذسارقا فان رددته الى والادعوت عليك دعوة تدرك السابغ من ولدك فلما قرأ يوسف كتاب أبيه اشتد بكأؤه وعمل صبره وأظهر نفسه لاختوته على ما سئد كره ان شاء الله تعالى فذلك قوله تعالى يا بنى اذهبوا فكم حسوا من يوسف وأخيه ﴿ ولا تيأسوا ﴾ أى ولا تقنطوا ﴿ من روح الله ﴾ يعنى من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج الله ﴿ انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون ﴾ يعنى ان المؤمن على خير يرجوه من الله فيصبر عند البلاء فينال به خيرا ويحمد عند الرخاء فينال به خيرا والكافر بضد ذلك ﴿ قوله تعالى ﴾ فلما دخلوا عليه ﴿ فيه حذف واختصار تقديره فخرجوا من عند أبيهم قاصدين مصر فلما دخلوا عليه يعنى على يوسف ﴿ قالوا يا ايها العزيز ﴾ يعنون يا ايها الملك والعزير القادر الممتع وكان العزيز قلب ملك مصر يومئذ ﴿ مسنا واهلنا الضر ﴾ أى الشدة والفقر والجوع وأرادوا بأهلهم من خافهم ومن وراءهم من العيال ﴿ وجشنا ببضاعة مزاجاة ﴾ أى ببضاعة رديئة كاسدة لا تنفق فى ثمن الطعام الا بجهوز من البائع وأصل الازجاء فى اللغة الدفع قليلا قليلا والتزجية دفع الشئ لينساق كترجية الريح السحاب ومنه قول الشاعر

وحاجة غير مزجاة من الحاج

يعنى هى قليلة يسيرة يمكن دفعها وسوقها لقلة الاعتناء بها وانما وصفوا تلك البضاعة بأنها مزجاة امانة قصانها أو لرداءتها أو لمجموعهما فلذلك اختلفت عبارات المفسرين فى معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا وقيل كانت حاق الغرأر والحبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والافط وقال الكلبي ومقابل كانت الحبة الخضراء وقيل كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والنعال وقال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة مزجاة من قولهم فلان يزجى العيش أى يدفع الزمان بالقليل من العيش والمعنى جشنا ببضاعة مزجاة لندافع بها الزمان وليست بما يسمع بها وقبل انما قيل لادراهم الرديئة مزجاة لانها مردودة مدفوعة غير مقبولة عن يدعها ﴿ فأوف لنا الكيل ﴾ يعنى اعطنا ما كنت تعطينا من قبل بأثمن الجيد الوافى والمعنى اننا نريد أن نقيم لنا الزائد مقام

ان الامر والشأن ( لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون ) لان من آمن يعلم أنه متقلب فى رحمة الله ولمسته وأما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا قلبه فى نعمته فيأس من رحته فخرجوا من عند أبيهم راجعين الى مصر ( قلى دخلوا عليه ) على يوسف ( قالوا يا ايها العزيز مسنا وأهلنا الضر ) الهزال من الشدة والجوع ( وجشنا ببضاعة مزجاة ) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقار لها من أزجته اذا دفعته وطردته قيل كانت دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وقيل كانت صوفا وسنا ( فأوف لنا الكيل )

( ولا تيأسوا من روح الله ) من رحمة الله ( انه لا يأس من روح الله ) من رحمة الله ( الا القوم الكافرون ) بالله وبرحمته ( فلما دخلوا عليه ) على يوسف فى المرة الثالثة ( قالوا يا ايها العزيز مسنا ) اصابنا ( واهلنا الضر ) الجوع ( وجشنا ببضاعة مزجاة ) بدراهم لا تنفق فى الطعام وتنفق فيما بين الناس وتقال بمتاع الجبل كالسنوبر والحبة الخضراء وتقال بمتاع

العرب مثل الاقط والصوف والحبين والسمن ( فأوف لنا الكيل ) يقول وفور لنا الكيل كما توفر بالدراهم ( الناقص )

﴿وتصدق علينا﴾ بردأخينا أو بالمساحة وقبول المزجاة أو بالزيادة على ما يساويها واختلف في إن حرمة الصدقة نعم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو تختص بنينا صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ان الله يحزى المتصدقين﴾ احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يتنبي به ثواب من الله تعالى ﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾ أي هل علمتم قبحه فتبت عند وفعلهم بأخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع

الناقص والجيد مقام الردى ﴿وتصدق علينا﴾ يعني وتفضل علينا بما بين الثنتين الجيد والردى ولا تنقصنا هذا قول أكثر المفسرين قال ابن الأنباري وكان الذي يسألونه من المساحة يشبه الصدقة وليس به واختلف العلماء هل كانت الصدقة حلالا للأنبياء قبل نبينا أم لا فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا للأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الآية وأكره جمهور العلماء ذلك وقالوا ان حال الأنبياء كلهم واحد في تحريم الصدقة عليهم لانهم ممنوعون من الخسوع للمخلوقين والاخذ منهم والصدقة أوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستغنون بالله عن سواء وأوجب عن قوله وتصدق علينا انهم طلبوا منه أن يحرمهم على عاداتهم من المساحة وإيذاء الكيل ونحو ذلك مما كان يفعل بهم من الكرامة وحسن الضيافة لانفس الصدقة وكراهة الحسن ومجاهد أن يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق علينا لان الصدقة لا تكون الا لمن يتنبي الثواب وروى أن الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق على فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من يتنبي الثواب قل اللهم اعطني وتفضل على وقل ابن جريج والضحاك وتصدق علينا يعني بردأخينا علينا ﴿ان الله يحزى المتصدقين﴾ يعني بالثواب الجزيل وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يحزىك لانهم لم يعلموا أنه مؤمن ﴿قال﴾ يعني قال يوسف لآخوته ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾ وقد اختلفوا في السبب الذي من أجله جل يوسف وهجه على هذا القول فقال ابن اسحق ذكر لي أنهم لما كلوه هذا الكلام أدركته رقعة على آخوته فباح بالذي كان يكتهم وقيل انه أخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبوه ببيعة من مالك وفي آخره وكتبه يهوذا فلما قرؤا الكتاب اعترفوا ببعته وقالوا بأبي الملك انه كان لنا عبدا فعناه منه فغاف ذلك يوسف وقال انكم تستحقون العقوبة وأمر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوهم قال يهوذا كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد منا فكيف اذا أناه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابست بأممتنا الى أبا فانه يمكن كذا وكذا فذلك حين أدركته الرقة عليهم والرجة فبكى وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب أبيه ايلم بتمالك أن يبكي وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم أمر هذه الواقعة ومساء ما أعظم ما ارتكبتم من أمر يوسف وما أقبح ما أقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتفريقه من أبيه وهذا كما قال للمذنب هل تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد هذا نفس الاستفهام ولكنه أراد تظليل الامر وتظليله ويحوز أن يكون المعنى هل علمتم عقى ما فعلتم بيوسف

الذي هو حقنا) وتصدق علينا) وتفضل علينا بالمساحة والاغراض عن رداء البضاعة أو زدنا على حقنا أو هبلنا أخانا (ان الله يحزى المتصدقين) ولما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا اليه وطلبوا منه أن يتصدق عليهم ارفضت عيناه ولم يتمالك أن عرفهم نفسه حيث قال (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف) أي هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف) وأخيه

الجواد) وتصدق علينا) ما بين الثنتين ويقال بين الكيلين (ان الله يحزى المتصدقين) في الدنيا والآخرة (قال) لهم يوسف) هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه

إذا أنتم جاهلون (لا تعلمون) قبحه أو أذا أنتم في حسد السفه والطيش وفعلهم بأخيه تمريضهم إياه لهم بأقراده عن أخيه لا يسه وأمه واذاؤهم له بأقواع الأذى ( قالوا أنك ) بهزتين كوفي وشاسي ( لأنك يوسف ) اللام لام الابتداء وأنت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبران ( قال أما يوسف وهذا أخى ) وإنما ذكر أخاه وهم قد سألوه عن نفسه لأنه كان في ذكر أخيه بيان لمألوه عنه ( قد من الله علينا ) بالالفه بمد الفرقة وذكر نعمة الله بالسلامة والكرامة ولم يبدأ باللامه ( انه من يتق ) الفحشاء ( ويصبر ) عن المعاصي وعلى الطاعة ( فان الله لا يضيع أجر المحسنين ) أى أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين وقيل من يتق مولا ويصبر على بلواه لا يضيع أجره في دنياه وعقباه إذا أنتم جاهلون (شبان غافلون) ( قالوا أنك لأنك يوسف ) قال أنا يوسف وهذا أخى ( من أبى وأبى (قدم الله علينا) بالصبر ( انه من يتق ) فى النعمة (ويصبر) فى الشدة

ان يكلمهم الا بهز وذلّة ﴿ اذا أنتم جاهلون ﴾ قبحه فلذلك أقدمت عليه أو ما قبلته وأما قال ذلك تنصيحاً لهم وتحريضاً على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم ونمساكنهم لامعانية وتثريباً وقيل أعطوه كتاب يعقوب فى تخليص بنيامين وذكر والله ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف وأخيه فقال لهم ذلك وأما جعلهم لأن فعلهم كان فعل الجهال أولانهم كانوا حينئذ صبيانا طيبين ﴿ قالوا أنك لأنك يوسف ﴾ استفهام تقرير ولذلك حقق بأن ودخول اللام عليه وقراءة ابن كثير على الإيجاب قبل عرفوه بروائه وشماله حين كلمهم به وقيل تبسم يعرفوه بثناؤه وقيل رفع التاج عن رأسه فأرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلاً ﴿ قال أنا يوسف وهذا أخى ﴾ من أبى وأبى ذكره تعريفاً لنفسه به وتفخيماً لشأنه وادخاله فى قوله ﴿ قدم الله علينا ﴾ أى بالسلامة والكرامة ﴿ انه من يتق ﴾ أى يتق الله ﴿ ويصبر ﴾ على البليات أو على الطاعات وعن المعاصي ﴿ فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ وضع المحسنين موضع

وأخيه من تسليم الله إياهما من المكروه . وأعلم أن هذه الآية تصديق لقوله تعالى وأوحينا إليه لتبيننهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فان قلت الذى فعلوه يوسف معلوم ظاهر فافهم الذى فعلوه بأخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانه لم يسعوا فى حبه ولا أرادوا ذلك قلت انهم لما فرقوا بينه وبين أخيه يوسف نهضوا عليه طيشه وكانوا يؤذونه كلما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له لما انهم بأخذ الصواع حاراً بأنهم يأتى رحيل خيرا ﴿ اذا أنتم جاهلون ﴾ هذا يجرى مجرى المذللهم يعنى انكم أنما أقدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر حال كونكم جاهلين وهو وقت الصبا وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يؤل إليه أمر يوسف ﴿ قوله عز وجل ﴾ قالوا أنك لأنك يوسف ﴿ قرى على سبيل الاستفهام وحجة هذه القراءة قال ابن عباس لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم يوسف وأخيه تبسم فرأوا شامه كاللؤلؤ تشبه ثنايا يوسف فشبه يوسف فقالوا استفهاماً أنك لأنك يوسف وقرى على الخبر وجهته ما قال ابن عباس أيضاً فى رواية أخرى عنه أن اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له فى قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلاً ولاسحق مثلاً وشماله مثلاً فعرفوه بها وقالوا أنت يوسف وقيل قالوه على سبيل التوهم ولم يعرفوه حتى ﴿ قال أنا يوسف ﴾ قال بعض العلماء أما أظهر الاسم فى قوله أنا يوسف ولم يقل أنا هو تفضيلاً لما نزل به من ظلم اخوته له وما عوذ الله من الصبر والظفر والملك فكانه قال أنا يوسف المظلوم الذى ظلمتمونى وقصدتم قتلنى بأن أقيمونى فى الحب ثم يعقونى بأجنس الأيمان ثم صرت الى ماترون فكان تحت ظهور الاسم هذه المعانى كلها ولهذا قال ﴿ وهذا أخى ﴾ وهم يعرفونه لأنه قصد به أيضاً وهذا أخى المظلوم كما ظلمتمونى ثم صرت أنا هو الى ماترون وهو قوله ﴿ قدم الله علينا ﴾ بأن جمع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخير فى الدنيا والآخرة وقيل من علينا بالسلامة فى ديننا ودنيانا ﴿ انه من يتق ويصبر ﴾ يعنى يتق الزنا ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس وقال مجاهد يتق المعصية ويصبر على الصبر وقيل يتق الله بإداء فرائضه ويصبر عما حرم الله ﴿ فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ يعنى أجر من كان هذا حاله

( قالوا )

( فان الله لا يضيع ) لا يبطل ( أجر ) ثواب ( المحسنين ) بالتقوى والصبر

(قَالُوا اللَّهُ لَقَدْ آتَيْنَاكَ اللَّهُ عَلَيْنَا) اختارك وفضلك علينا بالعالم والحلم والتقوى والصبر والحسن (وإن كنا لخاطئين) وإن  
هأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للآثم لم ننق ولم نصبر لاجرم إن الله اعزك بالملك وأذلنا بالقسكن بين يديك (قال لا تثريب  
عليكم) لا تعيير عليكم (اليوم) متعلق بالتثريب أو يبيغفر والمعنى لأثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما  
ظنكم بغيره من الأيام ثم ابتدأ فقال ﴿٤٥١﴾ (يغفر الله لكم) {سورة يوسف} فدعا لهم بمغفرة ما فرط

الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر ﴿ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا ﴾ اختارك علينا بحسن الصورة وكلم السيرة ﴿ وان كنا لخاطئين ﴾ والحال ان شأننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك ﴿ قال لا تثريب عليكم ﴾ لا تأييب عليكم تقصير من الثوب وهو الشعم الذي يشى الكرش للزالة كالجليد فاستير للتقريع الذى يعزق العرض ويذهب ماء الوجه ﴿ اليوم ﴾ متعلق بالتثريب أو بالمقدر للجبار الواقع خبرا للتثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذى هو مظته فاطنكم بآثر الايام أو بقوله ﴿ ينفر الله لكم ﴾ لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها ﴿ وهو ارحم الراحمين ﴾

سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم حيث علم الناس أى من حفدة إبراهيم (وهو  
 أرحم الراحمين) أى إذا رجعتكم وأما الفقير المفقور فما ظنكم بالغنى المفور ثم سأله عن حال أبيه فقال والله عسى من كثرة  
 (قالوا) اخوة يوسف ليوسف (تالله) لقد آثرنا الله علينا) فضلك الله علينا (وان كنا) وقد كنا (لخاطئين) مسيئين بك حاصين لله  
 (قال) لهم يوسف (لا تأثرب عليكم اليوم) يقول لا أعيركم بعد اليوم (يعف الله أكم) ما كان منكم (وهو أرحم الراحمين) من الوالدين



البكاء قال (اذهبوا بقميصي هذا) { الجزء الثالث عشر } قيل هو القميص ﴿ ٤٥٢ ﴾ المتوارث الذي كان في تمويه

فانه يفر الصغار والكبار ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف عليه السلام لهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشى الى العظام ونحن نشتي منك لما فرط منافعك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الى العيين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبد ابغ بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علوا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عليه السلام ﴿ اذهبوا بقميصي هذا ﴾ القميص الذي كان عليه وقيل المتوارث الذي كان في التصويد ﴿ فالتقوه على وجهه ابي يات بصيرا ﴾ يرجع بصيرا أي ذا بصيرة ﴿ واتوني ﴾ انتم وابي ﴿ باهلكم اجمعين ﴾ بنسائكم وذرائعكم ومواليكم ﴿ ولما فصات العير ﴾ من مصر وخرجت من عمراتها ﴿ قال ابوهم ﴾ لمن حضره ﴿ اني لأجد ربح يوسف ﴾ اوجده الله ربح ما سبق بقميصه من ربحه حين اقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا ﴿ لولا ان تفقدون ﴾ تسبون

أبي بدي قالوا ذهب بصره من كثرة البكاء عليك فأعطاهم قميصه وقال ﴿ اذهبوا بقميصي هذا ﴾ قال الضحاك كان هذا القميص من نسج الجنة وقال مجاهد أمره جبريل أن يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما جرد من ثيابه وألقى في النار عرياناً جاء جبريل بقميص من حرير الجنة فلبسه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جل يعقوب ذلك القميص في قسبة من فضة وسد رأسها وجمعها في عرق يوسف كالتماويذ لما كان يخاف عليه من العين وكانت لاتفارقه فلما ألقى يوسف في البئر عرياناً جاء جبريل وأخرج له ذلك القميص وألبسه اياه فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل فأمسه أن يرسل هذا القميص الى أبيه لان فيه ربح الجنة فلا يقع على مبتلى ولا سقيم الاعوفى في الوقت فدفع ذلك القميص يوسف الى اخوته وقال اذهبوا بقميصي هذا ﴿ فالتقوه على وجهه ابي يات بصيرا ﴾ قال المحققون ان علم يوسف ان لقاء ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد الصر كان بوحي الله اليه ذلك ويمكن أن يقال ان يوسف لما علم أن أباه قد عي من كثرة البكاء عليه وضيق الصدر بعث اليه قميصه ليجد ربحه فيزول بكأؤه وينشرح صدره ويفرح قلبه فعند ذلك يزول الضيق ويقوى البصر فهذا القدر تمكن معرفته من جهة العقل ﴿ وقوله ﴾ ﴿ واتوني باهلكم اجمعين ﴾ قال الكلبي كانوا نحو من سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثا وسبعين مابين رجل وامرأة ﴿ ولما فصات العير ﴾ بنى خرجت من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين الى أرض كنعان ﴿ قال ابوهم ﴾ يعني قال يعقوب لولد ولده ﴿ اني لأجد ربح يوسف ﴾ قيل ان ربح الصبا استأذنت ربه في أن تأتي يعقوب بربح يوسف قبل أن تأتيه البشير وقال مجاهد أصابت يعقوب ربح يوسف من مسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عباس من مسيرة ثمان ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هت ربح فاحتملت ربح القميص الى يعقوب فوجد يعقوب ربح الجنة فلم أنه ليس في الارض من ربح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فلم بذلك أنه من ربح يوسف فلذلك قال اني لأجد ربح يوسف ﴿ لولا ان تفقدون ﴾ أصل التفنيد من الفند وهو ضعف الرأي وقال ابن

يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله اليه فان فيه ربح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الاعوفى ﴿ فالتقوه على وجهه ابي يات بصيرا ﴾ يصير بصيرا تقول حاء البناء محكما أي صار أوبأت الى وهو بصير قال يهوذا انا أجل قميص الشفاء كما ذهبت بقميص الحفاء وقيل حمله وهو حاف حاسرا من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ﴿ واتوني باهلكم اجمعين ﴾ ليعلموا بآثار ما كى كما اعتقوا باخبار هلكى ﴿ ولما فصلت العير ﴾ خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاز حيطانه ﴿ قال ابوهم ﴾ لولد ولده ومن حوله من فومه ﴿ اني لأجد ربح يوسف ﴾ اوجده الله ربح انقميص حين أمبل من مسيرة ثمانية أيام ﴿ لولا ان تفقدون ﴾ التفنيد النسبة

( اذهبوا بقميصي هذا ) وكان قميصه كسوة من الجنة ﴿ فالتقوه على وجهه ابي يات بصيرا ﴾ يرجع بصيرا ﴿ واتوني باهلكم اجمعين ﴾ وكانوا نحو سبعين انسانا ﴿ ولما فصات العير ﴾ خرجت العير من العريش وهي قرية بين مصر وكنعان ﴿ قال ابوهم ﴾ يعقوب ﴿ اني لأجد ربح يوسف لولا ان تفقدون ﴾ تسفهونى وتخزونى وتكذبونى ﴿ الانبارى ﴾

الى الفسند وهو الحزن وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند والمعنى لولا تفنيدكم لاي لصدقتموني (قالوا)  
 انك لاني ضللك القديم) لاني ذهابك ﴿٤٥٣﴾ عن الصواب { سورة يوسف } قديما في ا

ليوسف ا

القديم من حب يوسف  
 وكان عندهم انه قدماء  
 (فلما ان جاء البشير) أي  
 يهوذا (ألقاه على وجهه)  
 طرح البشير القميص على  
 وجهه يعقوب أو ألقاه  
 يعقوب (فارتد) فرجع  
 (بصيرا) يقال رده فارتد  
 وارتد اذا ارتجمه (قال  
 ألم اقل لكم) يعني قوله اني  
 لاجد ربح يوسف أو قوله  
 ولا تياسوا من روح الله  
 وقوله (اني أعلم من الله مالا  
 تعلمون) كلام مبتدأ لم  
 يقع عليه القول أو وقع عليه  
 والمراد قوله انما أشكوبني  
 وحزني الى الله وأعلم من  
 الله مالا تعلمون وروى انه  
 سأل البشير كيف يوسف  
 قال هو ملك مصر فقال  
 ما أسنع بالملك على أي دين  
 تركته قال على دين الاسلام  
 قال لأن تمت النعمة (قالوا  
 يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا  
 كنا خاطئين) أي سل الله  
 مغفرة ما ارتكبنا في حقك  
 وحق ابنك انما بينا واعترفنا  
 فيما أقول (قالوا) ولده وولد  
 ولده الذين كانوا عنده  
 (تالله) والله (انك لاني  
 ضللك القديم) في خطبك

الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها  
 ذاتي وجواب لولا عذوف تقديره لصدقتموني أولقت انه قريب ﴿٤٥٣﴾ قالوا ﴿٤٥٣﴾ أي  
 الحاضرون ﴿٤٥٣﴾ تالله انك لاني ضللك القديم ﴿٤٥٣﴾ لاني ذهابك عن الصواب قدما بالافراط  
 في حجة يوسف واكثر ذكره والتوقع للقاء ﴿٤٥٣﴾ فلما ان جاء البشير ﴿٤٥٣﴾ يهوذا روى انه قال  
 كما حزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه ﴿٤٥٣﴾ ألقاه على وجهه ﴿٤٥٣﴾  
 طرح البشير القميص على وجهه يعقوب عليه السلام أو يعقوب نفسه ﴿٤٥٣﴾ فارتد بصيرا ﴿٤٥٣﴾  
 عاد بصيرا لما انتمش فيه من القوة ﴿٤٥٣﴾ قال ألم اقل لكم اني أعلم من الله مالا تعلمون ﴿٤٥٣﴾ من  
 حياة يوسف عليه السلام وانزال الفرج وقيل اني أعلم كلام مبتدأ والمقول لا يأسوا  
 من روح الله أو اني لاجد ربح يوسف ﴿٤٥٣﴾ قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ﴿٤٥٣﴾

الاتباري أفند الرجل اذا خرف وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعي  
 اذا كثرت كلام الرجل من خرف فهو الفند والفند فيكون المعنى لولا أن تفندوني أي  
 تنسبوني الى الخرف وقيل تسفهوني وقيل تلوموني وقبل تلوموني وقبل تجهلوني وهو قول ابن  
 عباس وقال الضحاك تهرموني فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله ﴿٤٥٣﴾ قالوا ﴿٤٥٣﴾ يعني  
 اولاد اولاد يعقوب وأهله الذين عنده لان اولاده اصلبه كانوا غائبين عنه ﴿٤٥٣﴾ تالله انك لاني  
 ضللك القديم ﴿٤٥٣﴾ يعني من ذكر يوسف ولا تنساه لانه كان عندهم ان يوسف كان  
 قدماء وهلك ويرون ان يعقوب قد لجم بذكره فلذلك قالوا تالله انك لاني ضللك  
 القديم يعني من ذكره والضللال الذهاب عن طريق الصواب ﴿٤٥٣﴾ فلما ان جاء البشير ﴿٤٥٣﴾ وهو  
 المبشر بخبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدي العير قال ابن مسعود رضى الله  
 تعالى عنه هو يهوذا قال السدي قال يهوذا انا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب  
 وأخبرته ان يوسف أكله الذئب فأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره انه حي فافرحه  
 كما أحزنته قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج به حافيا حاسرا يمدو ومعه سبعة أرغفة  
 فلم يستوف أكلها حتى أتى أباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا ﴿٤٥٣﴾ ألقاه على وجهه ﴿٤٥٣﴾  
 يعني قال البشير قميص يوسف على وجهه يعقوب ﴿٤٥٣﴾ فارتد بصيرا ﴿٤٥٣﴾ يعني فرجع بصيرا  
 بعد ما كان قد عمى وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن ﴿٤٥٣﴾ قال ألم اقل  
 لكم اني أعلم من الله مالا تعلمون ﴿٤٥٣﴾ يعني من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروى  
 ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما أسنع  
 بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال لأن تمت النعمة ﴿٤٥٣﴾ قوله تعالى ﴿٤٥٣﴾  
 يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا ﴿٤٥٣﴾ يعني قال اولاد يعقوب حين وصلوا اليه واخذوا يستذرون اليه  
 مما صنعوا به ويوسف استغفر لنا أي اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله ﴿٤٥٣﴾ انا كنا خاطئين ﴿٤٥٣﴾

الاول في ذكر يوسف (فلما ان جاء البشير) وهو يهوذا بالقميص (ألقاه على وجهه فارتد بصيرا) صار بصيرا (قال) لبنيه ونبي بني  
 (ألم اقل لكم اني أعلم من الله مالا تعلمون) يقول ان يوسف حي لم يموت (قالوا) ولده وولد ولده (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا) ادعوا  
 الله ان يعفروا ذنوبنا (انا كنا خاطئين) مسيئين

ومن حق المتعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة • قال سوف استغفر لكم ربى انه هو النور الرحيم • اخره الى السحر أو الى صلاة الليل أو الى ليلة الجمعة تحمى الوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف عليه السلام أو يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظالم شرط المغفرة ويؤيده ما روى انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهم اذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد موثبة بهم بمدك على النبوة وهوان صبح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم • فلما دخلوا على يوسف • روى انه وجه الدير واصل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه

يعنى فى صنيعنا • قال سوف استغفر لكم ربى • قال أكثر المفسرين ان يعقوب أخر الداء والاستغفار لهم الى وقت السحر لانه أشرف الاوقات وهو الوقت الذى يقول الله فيه هل من داع فاستجب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لى جزى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لاولادى ما أنوا الى اخيهم يوسف فاوحى الله اليه انى قد غفرت لك ولهم أجمعين قال عكرمة عن ابن عباس انه أخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها أشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيفا وعشرين سنة وقال طاوس أخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبي سوف استغفر لكم ربى قال حتى أسأل يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم روى • انه هو النور • يعنى لذنوب عباده • الرحيم • بجميع خلقه قال عطاء الخرماني طلب الحوائج الى الشباب أسهل منه الى الشيوخ ألا ترى الى قول يوسف لاخته لا تترى عليكم الآية وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربى قال اصحاب الاخبار ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع اخوته الى أبيه مائتي راحلة ورجلا كثيرا ليأتوه بيعقوب وجمع اهله الى مصر فلما أتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع أهله وهم يومئذ اثنان وسبعون مائتين رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الأكبر يعنى ملك مصر وعرفه بحجى أبيه وأهله فخرج يوسف ومعه الملك فى أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على يدايه يهودا فلما نظر الى الخيل والناس قال يهودا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف أن يبدأ يعقوب بالسلام فقال له جبريل لاحق يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل انهما نزلا وتعاثقا وقصلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكى وقيل ان يوسف قال لايه يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرى ألم تعلم ان القيامة نجا منا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دنياك فحمال يبنى وينك فذلك • له تعالى • فلما دخلوا على يوسف

بخطا يا • قال سوف استغفر لكم ربى انه هو النور الرحيم • أخر الاستغفار الى وقت السحر أو الى ليلة الجمعة وليتعرف حالهم فى صدق التوبة أو الى ان يسأل يوسف هل عفا عنهم ثم ان يوسف وجهه الى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فلما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف والملك فى أربعة آلاف من الجند والنظماء وأهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهودا فلما دخلوا على يوسف

عاصين لله ( قال ) لهم ( سوف استغفر لكم ربى ) أدعوكم ربى ليلة الجمعة آخر السحر ( انه هو النور ) المتجاوز ( الرحيم ) لمن تاب ( فلما دخلوا على يوسف

أوى إليه) ضم إليه (أبويه) واعتنقهما قبل كانت أمه باقية وقيل ماتت وتزوج أبوه خاتمه واخته أم كان الم أب ومنه قوله والله آياتك إبراهيم وإسماعيل واسحق ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر أنه حين استقبلهم أنزلهم في مضرب خيمة أو قصر كان له ثمة قد دخلوا عليه وضم إليه أبويه (وقال) لهم بعد ذلك (ادخلوا مصران شاء الله آمنين) من ملوكها وكانوا لا يدخلونها إلا بجوار أو من القبط وروى أنهما لقيه قال يعقوب عليه السلام عليك يا مذهب الأحزان وقل له يوسف يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ﴿ ٤٥٥ ﴾ ان القيامة {سورة يوسف} تجمعنا فقال بلى ولكن

خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده ادخلوا مصر وهم اثنان وسبعون مابين رجال ونساء وخرجوا منها مع موسى ومقاتلهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمي وكانت الذرية الف الف ومائة ألف (ورفع أبويه على العرش وخرؤاله سجدا) قيل لما دخلوا مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه أكرم أبويه فرعهم على السرير وخرؤاله يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا وكانت السجدة عندهم جارية جري التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد وقال الزجاج سنة التعظيم في ذلك الوقت ان يسجد للمعظم وقيل ما كانت

مصر اثنان وسبعين رجلا واسرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمي (أوى إليه أبويه) ضم إليه أباه وخاتمه واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزل الم منزلة الاب في قوله والله آياتك إبراهيم وإسماعيل واسحق اولان يعقوب عليه السلام تزوجها بدمامه والرابية تدعى اما (وقال ادخلوا مصران شاء الله آمنين) من القبط واصناف المكاره والمشيمة متعلقة بالدخول المكيف بالأمن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم (ورفع أبويه على العرش وخرؤاله سجدا) تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم أوى إليه) يعني ضم إليه (أبويه) قال أكثر المفسرين هو أبوه يعقوب وخاتمه ليا وكانت أمه قد ماتت في نفاس بنيامين وقال الحسن هما أبوه وأمّه وكانت حية بعد وقيل ان الله أحياها ونشرها من قبرها حتى تسجد ل يوسف تحقيقا لرؤياه والاول أصح (وقال ادخلوا مصر) قيل المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف أرض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعني البلد وقيل انه أراد بالدخول الاول دخولهم مصر وأراد بالدخول الثاني الاستيطان بها أي ادخلوا مصر مستوطنين فيها (ان شاء الله آمنين) قيل ان هذا الاستثناء عائد الى الامن لا الى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال ذلك لهم قبل ان يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثناء يرجع الى الاستغفار فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف أستغفر لكم ربى ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها أحد الا بجوارهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهليكم ان شاء الله فعلى هذا يكون قوله ان شاء الله للتبرك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم انا ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه انه لاحق بهم (ورفع أبويه على العرش) يعني على السرير الذي كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى العلو (وخرؤاله سجدا) يعني يعقوب وخاتمه ليا واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود من وضع الجبهة على الارض على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز يوسف عليه السلام ان يسجد له أبوه وهو أكبر منه وأعلى مناصبا في النبوة والشيوخة قلت يحتمل ان الله تعالى أسره بذلك لتحقيق رؤياه

الانحناء دون تغير الجباه وخرورهم سجدا يا أباه وقيل وخرؤاله سجدا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وفيه نبوة

أوى إليه أبويه) ضم إليه أباه وخاتمه لان أمه كانت ماتت قبل ذلك (وقال ادخلوا) انزلوا (مصر ان شاء الله) وقد شاء الله (آمنين) من العدو والسوء ويقال ادخلوا مصر آمنين من العدو والسوء ان شاء الله مقدم ومؤخر (ورفع أبويه على العرش) على السرير (وخرؤاله سجدا) خضعوا له بالسجود أبوا واخوته وكان سجدتهم تحيتهم فيما بينهم كان يسجد الوضيع للشريف والشاب للشيوخ والصغير للكبير كهيئة الركوع نحو

يجرى مجراها وقيل مناه خروا لاجله سبحانه شكرا وقيل الضمير لله تعالى والواو  
لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الحرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما ﴿ وقال  
ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾ التي رأيتها أيام الصبا ﴿ قد جعلها ربي حقا ﴾  
صدقا ﴿ وقد أحسن بي اذا أخرجني من السجن ﴾ ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا

ثم في معنى هذا السجود قولان أحدهما انه كان انحاء على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال  
فيه والقول الثاني انه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الارض وهو مشكل لان  
السجود على هذه الصورة لا ينبغي ان يكون الا لله تعالى وأجيب عن هذا الاشكال بان  
السجود كان في الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسم كالقبلة كما سجد  
الملائكة لآدم ويبدل على صحة هذا التأويل قوله ورفع أوييه على العرش وخروا له سجدا  
وظاهر هذا يدل على انهم لما سجدوا على السرر خروا سجدا لله تعالى ولو كان ليوسم  
لكل قبل الصعود لان ذلك أبغ في التواضع فان قلت يدنع صحة هذا التأويل قوله رأيتهم  
لي ساجدين وقوله خروا له سجدا فان الضمير يرجع الى أقرب المذكورات وهو يوسف  
عليه الصلاة والسلام قلت يحتمل ان يكون المعنى وخروا لله سجدا لاجل يوسف  
واجتماعهم وقيل يحتمل ان الله أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهي ان اخوة  
يوسف ربما احتلمتهم الانفة والكره عن السجود ليوسف فلما رأوا ان أباهم قد سجد له سجدوا  
لهما ايضا فكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لاجل سبيل العبادة وكان ذلك  
حائزا في ذلك الزمان فلما جاء الاسلام نسخت هذه القبلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه  
﴿ وقال ﴾ يعني وقال يوسف عندما رأى ذلك ﴿ ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾  
يعني هذا تصديق الرؤيا التي رأيت في حال الصغر ﴿ قد جعلها ربي حقا ﴾ يعني في اللحظة  
واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها فقال سلمان الفارسي وعبدالله بن شداد أربعون سنة  
وقال أبو صالح عن ابن عباس اثنتان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبير وعكرمة والسدي  
ست وثلاثون سنة وقال قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبدالله بن سودون سبعون سنة  
وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حكى هذه الأقوال كلها ابن الجوزي وزاد غيره عن  
الحسن ان يوسف كان عمره حين أتى في الجب سبع عشرة سنة وأقام في العبودية والسجن  
والملك مدة ثمانين سنة وأقام مع أبيه واخوته وأقاربه مدة ثلاث وعشرين سنة وتوفاه الله  
وهو ابن مائة وعشرين سنة ﴿ وقوله ﴾ وقد أحسن بي ﴿ يعني انعم علي يقال أحسن بي  
والى بمعنى واحد ﴿ اذا أخرجني من السجن ﴾ انما ذكر انعم الله عليه في اخراجه من  
السجن وان كان الجب أصعب منه استعمالا للدب والكرم لئلا ينجبل اخوته بعد ان  
قال لهم لا تثرب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه في اخراجه من السجن كانت  
أعظم من اخراجه من الجب وسبب ذلك ان خروجه من الجب كان سببا لحصوله  
في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا لوصله الى الملك وقيل ان دخوله  
الجب كان لحسد اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه وكان ذلك من أعظم نعمه

أيضا واختلف في استنباطهم  
( وقال ياأبت هذا تأويل  
رؤياي من قبل قد جعلها  
أبي الرؤيا ( ربي حقا ) أي  
صادقة وكان بين الرؤيا  
وبين التأويل أربعون  
سنة أو ثمانون أو ست  
وبلائون أو ثمان وعشرون  
( وقد أحسن بي ) يقال  
أحسن اليه وبه وكذلك  
أساء اليه وبه ( اذا أخرجني  
من السجن ) ولم يذكر الجب  
لقوله لا تثرب عليكم اليوم  
فعل الاما جم ( وقال ياأبت  
هذا ) السجود ( تأويل ) تبير  
( رؤياي من قبل ) من قبل  
هذا ( قد جعلها ربي حقا )  
صدقا ( وقد أحسن بي )  
الى ( اذا أخرجني من السجن )  
ونجاني من العبودية

عليهم ﴿ وجاء بكم من البدو ﴾ من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو ﴿ من بعد ان نزع الشيطان بيني وبين اخوتي ﴾ افسد بيننا وحرش من نزع الرابض الدابة اذا نخصها وجعلها على الجري ﴿ ان ربي لطيف لما يشاء ﴾ لطيف التدبير له اذا ما من صعب الا ونفذ فيه مشيئته ويسهل دونها ﴿ انه هو العليم ﴾ بوجود المصالح والتدابير ﴿ الحكيم ﴾ الذي يفعل كل شيء في وقته وعلى وجه يقتضى الحكمة عروى ان يوسف طاف بابيه عليه الصلاة والسلام في خزائنه فلما ادخله خزائنه اقرطيس قال يا بني ماعذك عندك هذه القرطيس وما كتبت الى علي ثمان سراجل قال امرني جبريل عليه السلام قال او ما تسأله قال انت ابسط مني اليه فاسأله فقال جبريل الله امرني بذلك لقولك

(وجاء بكم من البدو)  
من البادية لانهم كانوا  
اصحاب مواشي ينقلون  
في المياه والمناجيع (من بعد  
ان نزع الشيطان بيني  
وبين اخوتي) أي افسد  
بيننا وأخرى (ان ربي  
لطيف لما يشاء) أي لطيف  
التدبير (انه هو العليم  
الحكيم) بتأخير الآمال  
الى الآجال أو حكم بالاختلاف  
بعد الاختلاف

(وجاء بكم من البدو) من  
البادية (من بعد ان نزع)  
أفسد (الشيطان بيني وبين  
اخوتي) بالحسد (ان ربي  
لطيف لما يشاء) للمناجيع بيننا  
(انه هو العليم) بما أصابنا  
(الحكيم) بالجمع والفرقة

عليه ﴿ وجاء بكم من البدو ﴾ يعنى من البادية وأصل البدو هو البسيط من الارض يبدو الشخص فيه من بعد يعنى يظهر والبدو خلاف الحضرة والبادية خلاف الحضرة وكان يعقوب وأولاده اصحاب ماشية فسكنوا البادية ﴿ من بعد ان نزع الشيطان بيني وبين اخوتي ﴾ يعنى افسد ما بينا بسبب الحسد وأصل النزغ دخول في أمر لافساده واستدل بهذه الآية من يرى بطلان الجبر من المبتدعة قالوا لان يوسف اضاف الاحسان الى الله وأضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كافي الاحسان والذم والجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان وامناؤه اليه على سبيل المحاز وان كان ظاهر اللفظ يقتضى اضافة الفعل الى الشيطان لاعلى الحقيقة لان القاعل المطلق الخار هو الله تعالى والحقيقة قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فثبت بذلك ان الكل من عند الله وبقضائه وفدوره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقائه الوسوسة والتعريض لافساد ذات البين وذلك باغداق الله اياه على ذلك ﴿ ان ربي لطيف لما يشاء ﴾ يعنى انه تعالى ذو لطف عالم بدقائق الامور وخفياتها قال صاحب المفردات وقد عبر بالاطم عماد تركه الحاسة ويصح أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وأن يكون لمعرفته بدقائق الامور وان يكون لرفقه بالاماد في هدايتهم وقوله ان ربي لطيف لما يشاء أي حسن الاستخراج تديها على ما وصل الى يوسف حبت لقاء اخوته في الحب وقيل ان اجتماع يوسف بابيه واخوته بعد طل الفرقة وحسد اخوته له وازالة ذلك مع طيب الانفس وشدة المحبة كان من لطف الله بهم حيث جعل ذلك كانه لان الله تعالى اذا أراد أمراً اياً أسبابه ﴿ انه هو العليم ﴾ يعنى بمصالح عاده ﴿ الحكيم ﴾ في جمع أماله قال اصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام عند يوسف بمصر أربعاً وعشرين سنة ثم أهاه عيش وأبعم ناك وأحسن حال فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جثمانه حتى يدفنه عند فخر أمه أسحق في الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عليه الصلاة والسلام بمصر فعل يوسف ما أمره أبوه فحمل جثمانه في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت العيص أخى يعقوب وكان قد ولدا

(رب قد آتيتني من الملك) ملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) تفسير كتب الله أو تعبير الرؤيا ومن قبلهما للتبخيص اذ لم يؤت الا بعض ملك الدنيا وبعض التأويل (فاطر السموات والارض) انتصابه على النداء (أنت ولي في الدنيا والآخرة) أنت الذي تتولاني بالنعمة { الجزء الثالث عشر } في الدارين وتوصل ﴿ ٤٥٨ ﴾ الملك الثاني بالملك الباقي (توفى

واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني ﴿ رب قد آتيتني من الملك ﴾ بعض الملك وهو ملك مصر ﴿ وعلمتني من تأويل الاحاديث ﴾ الكتب أو الرؤى ومن ايضا للتبخيص لانه لم يؤت كل التأويل ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ مبدعهما وانتصابه على انه صفة المتنادى أو منادى برأسه ﴿ أنت ولي ﴾ ناصري أو متولى امري ﴿ في الدنيا والآخرة ﴾ أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما ﴿ توفى مسلما ﴾ اقبضني ﴿ والحقني بالصلحين ﴾ من آبائي أو بامانة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب عليه السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفى واوصى ان يدفن بالشام الى جنب

في بطن واحد فدفنا في قبر واحد وكان عمرهما مائة وسبعا وأربعين سنة فلما دفن يوسف آياه وعمره رجع الى مصر قالوا لما جمع الله شمل يوسف عليه الصلاة والسلام بابيه واخوته علم ان نعيم الدنيا زائل سريع الفناء لا يدوم فسأل الله حسن العاقبة والخلعة الصالحة فقال ﴿ رب ﴾ أي يارب ﴿ قد آتيتني من الملك ﴾ يعني من ملك مصر ومن هنا للتبخيص لانه لم يؤت ملك مصر كله بل كان فوقه ملك آخر والملك عبارة عن الاتساع في المقدور لمن له السياسة والتدبير ﴿ وعلمتني من تأويل الاحاديث ﴾ يعني تعبير الرؤيا ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ يعني خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق وأصل الفطر الشق يقال فطر ناب البعير اذا شق وظهر وفطر الله الخلق أوجده وأبدعه ﴿ أنت ولي ﴾ يعني مميّني ومتولى امري ﴿ في الدنيا والآخرة ﴾ توفى مسلما ﴿ أي اقبضني اليك مسلما واختلفوا هل هو طلب للوفاة في الحال أم لاعلى قولين أحدهما انه سأل الله الوفاة في الحال قال قتادة لم يسأل نبي من الانبياء الموت الا يوسف قال أصحاب هذا القول وانه لم يأت عليه أسبوع حتى توفى والقول الثاني انه سأل الوفاة على الاسلام ولم يتمن الموت في الحال قال الحسن انه عاش بعد هدم سنين كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى الآية توفى اذا توفيتني على الاسلام فهو طلب لان يجعل الله وقائه على الاسلام وليس في اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة في الحال قال بعض العلماء وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للاثنين ولا يبعد من الرجل الماثل الكامل أن يتمن الموت لعل له ان الدنيا ولذاتها فانية زائلة سريعة الزوال وان نعيم الآخرة باق دائم لانقاده ولا زوال ولا ينزع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمن أحدكم الموت لضر نزل به فان تمتم الموت عند وجود الضرر ونزول البلاء مكروه والصبر عليه أرلى ﴿ وقوله ﴾ وألحقني بالصلحين ﴿ أراد به بدرجة آباءه وهم ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام قال علماء التايغ

مسلم) طلب الوفاة على حال الاسلام كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون وعن الضحاك غلصا وعن التستري مسلما اليك أمرى وفي عصمة الانبياء انما دعا به يوسف ليقعدى به قومه ومن بعده ممن ليس بأمون العاقبة لان ظواهر الانبياء لتنظر الامم اليهم (والحقني بالصلحين) من آبائي أو على العموم روي ان يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزانته فادخله خزان الذهب والفضة وخزان الثياب وخزان السلاح حتى أدخله خزانة القراطيس قال يابني ما أعظمك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمانية مراحل فقال أمرني جبريل قال أو ما تسأله أنت قال أنت أبسط اليه منى فأسأله فقال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتني وروي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى أن يدفنه بالشام الى جنب آبيه اسحق

(رب) يارب (قد آتيتني من الملك) اعطيتني ملك مصر أربعين فرسخا في اربعين فرسخا (وعلمتني من) عاش

تأويل الاحاديث تعبير الرؤيا (فاطر السموات والارض) يا خالق السموات والارض (أنت ولي) ربي وخالقي ورازقي وحافظي وناصرى (في الدنيا والآخرة توفى مسلما) غلصا بالعبادة والتوحيد (والحقني بالصلحين) بأبائي المرسلين في الجنة

فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثة وعشرين سنة فلما تم أمره طلبت نفسه الملك الدائم فتمنى الموت وقيل ماتناهني قبله ولا بعده فتوفاه الله طيباً طاهراً فتخاصم أهل مصر وتشاخروا في دفنه كل يحب أن يدفن في محله حتى هموا بالقتال فأرأوا أن يعادوا له صندوقاً من مرمر { سورة يوسف } وجعلوه فيه { ودفنوه في النيل بمكان يمر

عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعاً حتى نقل موسى عليه السلام بعد أربع مائة سنة تابوته الى بيت المقدس وولد له افرائيم وميشاو ولد لافرائيم تون ولتون يوشع فمضى موسى ولقد توارثت القراعة من العماليق بعده مصر ولم

تزل بتواسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه (ذلك) إشارة الى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ (من أنباء الغيب توحى اليك) خبران (وما كنت لديهم) لدى بني يعقوب (إذا جمعوا أمرهم) عزموا على ما هموا به من القاء يوسف في البئر (وهم يمكرون) يسوسف ويغنون له الغوائل والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بنى يعقوب حين اتفقوا على القاء أخيه في البئر

(ذلك) الذي ذكرت لك يا محمد من خبر يوسف

أبيه فذهب به ودفنه ثم عاد وعاش بعده ثلاثاً وعشرين سنة ثم فاقته نفسه الى الملك الخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيباً طاهراً فتخاصم أهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فأرأوا أن يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعاً فيهم ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشاو وهو جدي يوشع بن تون ورجة امرأة ايوب عليه السلام ﴿ ذلك ﴾ إشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب فيه للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مبتدأ ﴿ من أنباء الغيب توحى اليك ﴾ خبران له ﴿ وما كنت لديهم اذ اجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف

عاش يوسف مائة وعشرين سنة وفي التوراة مائة وعشر سنين وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة أولاد افرائيم وميشاو ورجة امرأة ايوب وقيل عاش بعد أبيه ستين سنة وقيل اكثر ولما مات يوسف عليه الصلاة والسلام دفنوه في النيل في صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات يوسف تشاح الناس فيه فطلب كل أهل محلة ان يدفن في محله حتى هموا ان يقتلوا ثم رأوا ان يدفنوه في النيل بحيث يمرى الماء عليه ويتفرق عنه وتصل بركته الى جميعهم وقال عكرمة انه دفن في الجانب الايمن من النيل فاحصب ذلك الجانب وأجذب الجانب الآخر فنقل الى الجانب الايسر فاحصب وأجذب الجانب الايمن فدفنوه في وسط النيل وقدروه بسلسلة فاحصب الجانبان فبقى الى ان أخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وحمله معه حتى دفنه بقرب آبائه بالشام في الارض المقدسة ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ذلك) يعنى الذى ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما جرى له مع اخوته ثم انه صار الى الملك بعد الرق ﴿ من أنباء الغيب ﴾ يعنى أخبار الغيب ﴿ توحى اليك ﴾ يعنى الذى أخبرناك به من أخبار يوسف وحى أوحيناه اليك يا محمد وفي هذه الآية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلاً أمياً لم يقرأ الكتب ولم يلق العلماء ولم يسافر الى بلد آخر غير بلده الذى نشأ فيه صلى الله عليه وسلم وانه نشأ بين أمة أمية مثله ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذه القصة الطويلة على أحسن ترتيب وأبين دمان وأفصح عبارة فلم بذلك ان الذى أتى به هو وحى الهى ونور قدسى سماوى فهو معجزة له قائمة الى آخر الدهر ﴿ وقوله تعالى ﴾ وما كنت لديهم ﴿ يعنى وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب ﴿ إذا جمعوا أمرهم ﴾ يعنى حين عزموا على القاء يوسف عليه الصلاة والسلام في الحب ﴿ وهم يمكرون ﴾ معذرة

واخوته (من أنباء الغيب) من أخبار الغائب عنك (توحى اليك) نزل اليك جبرئيل به (وما كنت لديهم) عندهم (إذا جمعوا أمرهم) اجتمعوا على ان يطرحوا يوسف في الحب (وهم يمكرون) يريدون بذلك هلاك يوسف



(وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) أراد السموم أو أهل مكة أي وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على إيمانهم (وما أسألهم عليه) على التبليغ أو على القرآن (من أجر) جعل (أر هو الأذكر) ما هو الأمل أو علة (للمؤمنين) وحش على طالب النجاة على لسان رسول (الحزب الثالث عشر) من رساله (وكاين) ٤٦٠ ﴿ من آية ﴾ من علامة ودلالة على

الخالق وعلى صفاته وتوحيده (في السموات والارض يبرون عليها) على الآيات أو على الارض ويشاهدونها (وهم عنها) عن الآيات (معرضون) لا يمتدرون بها والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكه وغير ذلك من العبر (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أي وما يؤمن أكثرهم في اقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والارض الا هو ومشارك عبادة الوثن الجهور على انها نزلت في المشركين لانهم يقولون بأن الله خالقهم ورازقهم واذا حاربهم أمر شديد دعوا الله ومع ذلك يشركون به غيره ومن جملة الشرك ما يقوله القدرية

(وما أكثر الناس) أهل مكة (ولو حرصت) لوجهدت كل الجهد مقدم ومؤخر (بؤء بين) بالكتب والرسول (وما أسألهم) بأسجد (عليه) على التوحيد (من أجر) من جعل (أر هو) ما هو يعني القرآن (الأذكر)

حين عزمو على ما هدوا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمشرون به وبأبيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك أنك ما لقيت احدا سمع ذلك فعمله منه واتعاضد هذا الشق استخاء مذكروا في غير هذه القصه كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت ﴾ على إيمانهم وبالقوت في اظهار الآيات عليهم ﴿ مؤمنين ﴾ له ادم وسميهم على الكفر ﴿ وما أسألهم عليه ﴾ على الاساءه أو القرآن ﴿ من أجر ﴾ من جعل كلفه - لة الاخبار ﴿ ان هو الاذكر ﴾ عظة من الله تعالى ﴿ للمؤمنين ﴾ عامة ﴿ وكاين من آية ﴾ وكما من آية والمعنى وكما عدد شئته من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكما قدرته وتوحيده ﴿ في السموات والارض يبرون عليها ﴾ على الآيات ويشاهدونها ﴿ وهم عنها معرضون ﴾ لا يتفكرون فيها ولا يمتدرون بها وقرى والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يبرون فيكون اها الضمير في علمها وبالصعب على وطأون الارض وقرى والارض تشون عليها أي يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكه ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله ﴾ في اقرارهم بوجوده وخالفته ﴿ الا وهم مشركون ﴾ بعبادة غيره أو باخذ الاحبار ادباً وسنة انفسه أو القول بالاور والظلمة أو النظر الى الاسباب ونحو

يوسف ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت ﴾ مؤمنين ﴿ الخطاب لآبي ﴾ صلى الله عليه وسلم والمضى وما أكثر الناس يا محمد واوحرصت على إيمانهم ﴿ مؤمنين ﴾ وذلك ان اليهود وقرشاً سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم من قصة يوسف فلما أخبرهم بما دلى ورق معدهم في التوراة لم يسلموا محزون رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فله انهم لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم فقه تسابله ﴿ وما أسألهم عليه ﴾ من أجر ﴿ يخر على تباع الرسالة والدماء الى الله من أحر يخر أحراباً وجلاً الى ذلك ﴿ أر هو ﴾ أي ما هو يعني القرآن ﴿ الاذكر ﴾ يخر عظة وتذكيراً ﴿ للمؤمنين ﴾ وكاين من آية ﴿ وكما من آية ﴾ دلل على الوحيد ﴿ في السموات والارض يبرون عليها ﴾ يعني لا يتفكرون فيها ولا يبرون بها ﴿ وهم عنها معرضون ﴾ أي لا يبالون الله والخلق ليس اعراضهم عن هذه الآيات الظاهرة الدالة على وحدانية الله تعالى بالصعب من اعراضهم عنك يا محمد ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ﴾ فخر من إيمانهم أنهم اذا سئلوا من خالق السموات والارض قالوا الله واذا سئلوا من نزل المطار قالوا الله وهم مع ذلك يعبدون الاصنام وفي رواية من ان ساءهم يقولون ان الله خالقهم فذلك إيمانهم وهم لا يدون غيره فذلك شركهم وفي رواية أخرى عه أيضاً انها نزلت في تايه مشركي

عظة (للمؤمنين) الجن والانس (وكاين من آية) من علامة (في السموات) من الشمس والقمر والنجوم (العرب) وغير ذلك (والارض) وما في الارض من الجبال والبحار والشجر والدواب وغير ذلك (يمرون عليها) اهل مكة (وهم عنها معرضون) مكذبون بها لا يتفكرون فيها (وما يؤمن أكثرهم بالله) في السر وبقال بعبودية الله (الا وهم مشركون) بوحدانية الله في العلانية

من أثبات قدرة التخليق العبد والتوحيد المحض ما يقوله أهل السنة وهو أنه لا خالق إلا الله (أما تنوأن تأنيهم غاشية) عقوبة تشاهم وتشبههم (من عذاب الله أو تأنيهم الساعة) القيامة (بقتة) حال أي فجأة (وهم لا يشعرون) ما تيانها (قل هذه سبيل) هذه السبيل التي هي الدعوة ﴿٤٦١﴾ إلى الأمان {سورة يوسف} والتوحيد سبيل والسبيل والطريق مذكران وثلاثان

ثم فسر سبيله بقوله (أدعوا إلى الله على بصيرة) أي أدعوا إلى دينه مع حجة واضحة غير عياء (أنا) تأكيد للمستتر في ادعوا (ومن اتبعني) عطف عليه أي أدعوا إلى سبيل الله أنا ويدعوا إليه من اتبعني أو أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبر مقدم ومن اتبعني عطف على أنا خبر ابتداء بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى (وسبحان الله) وأنزله عن الشركاء (وما آمن من المؤمنين) مع الله غيره (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) لا ملائكة لانهم (أما تنوأن) أهل مكة (ان تأنيهم) ان لا تأنيهم (غاشية) من عذاب الله (عذاب من عذاب الله) مثل يوم بدر (أو تأنيهم الساعة) الساعة (بقتة) فجأة (وهم لا يشعرون) ينزل العذاب (قل) يا محمد لا أهل مكة (هذه) يعني ملأ إبراهيم (سبيل) دني (أدعوا إلى الله) على بصيرة (على دين وبيان) (أنا) ادعوا (ومن اتبعني) آمن بي يدعون إلى الله أيضا

ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في أهل الكتاب ﴿أفأمنوا﴾ ان تأنيهم غاشية من عذاب الله ﴿عقوبة تشاهم وتشبههم﴾ أو تأنيهم الساعة بقتة ﴿فجأة﴾ من غير سابقة علامة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بآتيانها غير مستعدين ﴿قل هذه سبيل﴾ يعني الدعوة إلى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ﴿ادعوا إلى الله﴾ وقيل هو حال من الياء ﴿على بصيرة﴾ بيان وجهة واضحة غير عياء ﴿أنا﴾ تأكيد للمستتر في ادعوا وفي على بصيرة لا تنهال منه أو مبتدأ خبره على بصيرة ﴿ومن اتبعني﴾ عطف عليه ﴿وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ وأنزله تنزيها من الشركاء ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا﴾ رد لقولهم لو شاء ربنا لازل ملائكة وقل معناه العرب وذلك انهم كانوا يقولون في تلييتهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هولاك تملكه وما ملك وقال عطاء هذا في الدعاء وذلك ان الكفار نسوا ربهم في الرخاء فاذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء ﴿أفأمنوا﴾ ان تأنيهم غاشية من عذاب الله ﴿عقوبة مجللة تعظمهم﴾ وقال مجاهد عذاب يشاهم وقال قتادة وقعة وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع ﴿أو تأنيهم الساعة بقتة﴾ يعني فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ معنى بفيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم في أسواقهم ﴿قل﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿هذه سبيل﴾ معنى طريق التي ﴿أدعوا﴾ إليها وهي توحيد الله عز وجل ودين الاسلام وسمى الدين سبيلا لانه الطريق المؤدى إلى الله عز وجل وإلى الثواب والجنة ﴿إلى الله﴾ يعني إلى توحيد الله والايان به ﴿على بصيرة﴾ يعني على يقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل ﴿أنا﴾ ومن اتبعني ﴿عنى من آمن بي وصدق بما جئت به﴾ أيضا يدعو إلى الله وهذا قول الكلبي وابن زيد قال حق على من اتبعه وآمن به ان يدعو إلى ما دعا إليه ويذكر القرآن وقيل تم الكلام عند قوله أدعوا إلى الله ثم استأنف على بصيرة ما ومن اتبعني معنى أنا على بصيرة ومن اتبعني ضاع على بصيرة قال ابن عباس ان محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا على احسن طريقة وأفضل هداية وهم معدن العلم وكثر الايمان وجند الرحمن وقال ابن مسعود ومن كان مستنأ يستن بعن قد مات أوائل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الامة وابرا فابوا وأعقها علما وأفلها تكلفا قوم اخبرهم الله لعجة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونفل دينه فدنسوا باخلافتهم وطريقهم فهؤلاء كانوا على الصراط المستقيم ﴿وسبحان الله﴾ أي قل سبحان الله معنى تنزيهه عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والقائص والشركاء والاصداد والانداد ﴿وما أنا من المشركين﴾ يعني وقل يا محمد - وما أنا من المشركين الذين أشركوا بالله غيره ﴿قوله عز وجل﴾ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا ﴿عنى﴾ وما أرسلنا قبلك يا محمد إلا رجالا مثلك

على بصيرة على دين وبيان (وسبحان الله) نزه نفسه عن الولد والشريك (وما أنا من المشركين) مع المشركين على دينهم (وما أرسلنا من قبلك) يا محمد الرسل (الارحالا)

كانوا يقولون لو شاء ربنا ﴿ الجزء الثالث عشر ﴾ لانزل ملائكة ﴿ ٤٦٢ ﴾ أوليست فيهم امرأة (نوح)

بالتون حفص (اليهم من أهل القرى) لانهم أعلم وأحلم وأهل البوادي فيهم الجهل والجفاء (أهل يسيرا) في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة (أي ودار الساعة الآخرة) (خير للذين اتقوا) (الشرك وآمنوا به) (أفلا تعلمون) وبالياء مكي وأبو عمرو وحزرة على (حتى إذا استيأس الرسل) يشعرون من إيمان القوم (وظنوا أنهم قد كذبوا) وأيقن

نوح (اليهم) نزل اليهم جبريل كما أرسل اليك (من أهل القرى) منسوب إلى القرى مثلك (أهل يسيرا) أهل مكة (في الأرض فينظروا) فيتفكروا (كيف كان عاقبة) كيف صار آخر أمر (الذين من قبلهم) من الكفار (ولدار الآخرة) الجنة (خير للذين اتقوا) الكفر والشرك والفواحش وآمنوا بالله وعصموا عليه السلام والقرآن (أفلا تعلمون) أفليس لكم ذهن الانسانية ان الآخرة خير من الدنيا ويقال ان الدنيا تفتى والآخرة تبقى ويقال أفلا تصدقون بما أصاب الاولين حيث كذبوا الرسل (حتى إذا استيأس الرسل) فلا إيس الرسل

نفي استنباء النساء ﴿ يوحى اليهم ﴾ كما يوحى اليك ويمرون بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحى في كل القرآن ووافقه حزة والكسائي في سورة الانباء ﴿ من أهل القرى ﴾ لان أهلها أعلم وأحلم من أهل البدو ﴿ أفلم يسيرا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ من المكذبين بالرسول والآيات فيهدروا تكذيبك أو من المشغوفين بالدنيا المتهاكلين عليها فيقلعوا عن حبها ﴿ ولدار الآخرة ﴾ ولدار الحال أو الساعة أو الحياه الآخرة ﴿ خير للذين اتقوا ﴾ الشرك والمعاصي ﴿ أفلا يعلمون ﴾ يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وبقوب بالتاء جلا على قوله قل هذه سبيلي أي قل لهم أفلا تعلمون ﴿ حتى إذا استيأس الرسل ﴾ غاية محذوف دل عليه الكلام أي لا يفرهم تهادى أيامهم فان من قبلهم أمهلوا حتى إيس الرسل من النصر عليهم في الدنيا أو من إيمانهم لانهمما كذبوا في الكفر مترفعين متقادين فيه من غير وازع ﴿ وظنوا أنهم قد كذبوا ﴾ أي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون أو كذبهم القوم بوعد الإيعان وقيل الضمير للرسل اليهم أي وظن المرسل اليهم ان

ولم يكونوا ملائكة ﴿ يوحى اليهم ﴾ هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تجيبوا من ارسلنا اليك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبل بشر مثلك حالهم كحالك ﴿ من أهل القرى ﴾ يعني انهم من أهل الامصار والمدن لان أهل البوادي لان أهل الامصار أفضل وأعلموا بكل عقلا من أهل البوادي قال الحسن لم يبعث نبي من بدو ولا من الجن ولا من النساء وقيل انما لم يبعث الله نبيا من البادية لغلظهم وجفافهم ﴿ أفلم يسيرا في الأرض ﴾ يعني هؤلاء المشركين المكذبين ﴿ فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ يعني كانت عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا فاعتبر هؤلاء هم وما حل بهم من عذابنا ﴿ ولدار الآخرة خير للذين اتقوا ﴾ يعني فعلنا هذا بابولائنا وأهل طاعتنا اذا أمجناهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما في الدار الآخرة خير لهم يعني الجنة لانها خير من الدنيا وانما أضاف الدار الى الآخرة وان كانت هي الآخرة لان العرب تضيف الشيء الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه ﴿ أفلا يعلمون ﴾ يعني يتفكرون ويعتبرون بهم فيؤمنون ﴿ قوله عز وجل ﴾ حتى إذا استيأس الرسل قال صاحب الكشف حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فتراخى نصرهم حتى إذا استيأس الرسل عن النصر وقال الواحدى حتى هنا حرف من حروف الابتداء يستأنف بعدها والمعنى حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم ﴿ وظنوا أنهم قد كذبوا ﴾ قرأ أهل الكوفة وهم عاصم وحزة والكسائي كذبوا بالتحفيف ووجه هذه القراءة على ما قاله الواحدى ان معناه ظن الامم ان الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقال أهل المعاني كذبوا من قولهم كذبتك الحديث أي لم أصدقك ومنه قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال أبو على والضمير في قوله

من اجابة القوم (وظنوا) علموا وابتغوا معنى الرسل (أنهم) يعني قومهم (قد كذبوا) كذبوهم بما (وظنوا)

الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للرسل اليهم والثاني للرسل أي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخافوا فيما وعد لهم من النصر وخطط الامر عليهم وماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يحبس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالة في التراخي

وظنوا على هذه القراءة للرسل اليهم والتقدير وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس انهم لم يؤمنوا بهم حتى نزل بهم المذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم ولا يمنع حل الصبر في وظنوا على المرسل اليهم وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان شئت قلت ان ذكرهم جرى في قوله أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم أي مكذبى الرسل والظن هنا على معنى التوهم والحسبان وهذا معنى ما روى عن ابن عباس انه قال حتى اذا استياس الرسل من قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم واهلاك من كنهم وقيل معناه وتيقن الرسل انهم قد كذبوا في وعد قومهم اياهم الايمان أي وعدوا أن يؤمنوا ثم لم يؤمنوا وقال صاحب الكشف وظنوا أنهم قد كذبوا أي كذبهم أنفسهم حتى حدثهم بانهم لا ينصرون أو رجاءهم كقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والمداوة وانتظار النصر من الله تعالى وتأمله قد تطاولت عليهم وتمازت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجاءة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر قال وكانوا بشرأوت لا قوله وزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه من نصر الله قال صاحب الكشف فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يحبس بالبال ويحسب في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه الطبيعة البشرية وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فبال رسل الله الذين هم أعرف الناس برهم وانه متعال عن خلف الميعاد وحكي الواحدى عن ابن الانبارى انه قال هذا غير معمول عليه من جهتين احدهما ان التفسير ليس عن ابن عباس لكنه من تأول تأوله عليه والاخرى ان قوله جاءهم نصر نادال على أن أهل الكفر ظنوا ما لا يجوز مثله واستضعفوا رسل الله ونصر الله للرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك منهم خطأ عظيما ولا يستحقون ظفرا ولا نصرا وتبرئة الانبياء وتطهيرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سيلا وقرأ الباقون وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وظنوا انهم قد كذبوا بالتشديد ووجه ظاهر وهو ان معناه حتى اذا استياس الرسل من ايمان قومهم وظنوا بمعنى وأيقنوا معنى الرسل ان الامم قد كذبوهم تكذبا لا يرحى بعده ايمانهم فالظن بمعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استياس الرسل من كنهم من قومهم ان يصدقوهم وظنوا أن من قد آمنهم من قومهم قد فارقوهم وارتدوا عن دينهم

الرسل ان قومهم كذبوهم وبالتخفيف كوفي أي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا أي أخلفوا أو وظن المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل أي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه

جاءا به من الله ان قرئت مشددة ويقال وظنوا يعنى القوم انهم يعنى الرسل قد كذبوا أخلف وعد الرسل ان قرئت مخففة

والامهال على سبيل القتلين . وفراغهم الكوفيين بالتشديد أى وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدهم . وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل أى وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما راخى عنهم ولم يروا له اثرا ﴿ جاءهم نصرنا ﴾ أى من نشاء ﴿ فنبى المؤمنين وانما لم يبينهم للدلالة على انهم الذين يسنأ هاون ان نشاء نجاهم لا يشاركون فيه غيرهم . وقرأ ابن عامر وعاصم ويقوب على لفظ الماضى المبني للمفعول . وقرئ فنبى ﴿ ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴾ اذا نزل بهم وفيه بيان المشيتين ﴿ لقد كان في قصصهم ﴾ فى قصص الانبياء واممهم أو فى قصة يوسف واخوته ﴿ عبرة لأولى الاباب ﴾ لذوى العقول المبرأة من شوائب الالاف والركون الى الحس

لشدة الحنة والبلاء واستبطوا النصر انهم النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى الحسبان والتكذيب مغنون من جهة من آمن بهم معنى وظنوا بالرسل ظن حسان انهم قد كذبهم فى وعد الظفر والنصر لا بطائه وتأخره عنهم ولطول البلاء بهم لانهم كذبوهم فى كونهم رسلا وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل من أتباعهم المؤمنين لانه لو حصل لكان نوع كفر ولكن الرسل ظنت بهم ذلك لبطء النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب المتيقن هو من جهة الكفار وعلى القولين جميعا فالأكامة فى وظنوا للرسل (خ) عن عروة بن الزبير انه سأل عائشة عن قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا أو كذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقات والله لقد استيقنوا ان قومهم كذبوهم وما هو بالظن فقالت يا عروة أجل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد كذبوا فقالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك برهبانك فها هذا لا قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى اذا استيأس الرسل من كذبهم من قومهم وظنوا ان أنبياءهم كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك وفى رواية عبدالله بن عبيد الله بن أبي مايكة قال قال ابن عباس : ان اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا خفيقة قال ذهب لها هناك وتلاحق ينول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب قال فاقبت عروة بن الزبير وذكر ذلك له فقال قالت عائشة ما ذا لله والله ما وعد الله رسوله من شيء فطال اعلمه كما قل ان يموت واكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون منهم من قومهم من يكذبوهم فكانت نقرؤها وظنوا أنهم قد كذبوا مثقلة وقوله تعالى ﴿ جاءهم نصرنا ﴾ بمعنى جاء نصر الله اليقين ﴿ فنبى من نشاء ﴾ من عبادنا يعنى عند نزول العذاب بالكافرين فنبى المؤمنين المطيعين ﴿ ولا يرد بأسنا ﴾ يعنى عذابنا ﴿ عن القوم المجرمين ﴾ يعنى المشركين ﴿ لقد كان فى قصصهم ﴾ يعنى فى خبر يوسف واخوته ﴿ عبرة ﴾ أى موعظة ﴿ لأولى الاباب ﴾ يعنى يتعظ بها أولوا الاباب والعقول الصحيحة ومعنى الاعتبار والعبرة الحائلة التى يتوصل بها الانسان من معرفة المشاهد الى اليقظة بمشاهد والمراد منه التأمل والتفكر ووجه الاعتبار بهذه القصة ان الذى قدر على اخراج يوسف

( جاءهم نصرنا ) للانبياء والمؤمنين بهم فنبأ من غير احتساب ( فنبى ) بنون واحدة وتشديد الجيم وقع الياء شامى وعاصم على لفظ الماضى المبني للمفعول والقائم مقام الفاعل من الباكون فنبى ( من نشاء ) أى الذى ومن آمن به ( ولا يرد بأسنا ) عذابنا ( عن القوم المجرمين ) الكافرين ( لقد كان فى قصصهم ) أى فى قصص الانبياء واممهم أو فى قصة يوسف واخوته ( عبرة لأولى الاباب ) حيث نقل من غابة الحب الى غياية الحب ومن الحصى الى السير فصارت عاقبة الصبر سلامة وكرامة ونهاية المكروخامة وندامة

( جاءهم نصرنا ) يعنى عذابنا بهلاك قومهم ( فنبى من نشاء ) يعنى الرسل ومن آمن بالرسل ( ولا يرد بأسنا ) عذابنا ( عن القوم المجرمين ) المشركين ( لقد كان فى قصصهم ) فى خبرهم فى خبر يوسف واخوته ( عبرة ) أى لأولى الاباب لذوى الالوه من الناس

(ما كان حديثاً يفترى) ما كان القرآن حديثاً يفترى كازم الكفار (ولكن تصديق الذي بين يديه) ولكن تصديق الكتب التي تقدمته (وتفصيل كل شيء) يحتاج إليه في الدين لأنه القانون الذي تستند إليه السنة والاجماع والقياس (وهدى) من الضلال (ورجة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بالله وأنبياءه وما نصب بعد ذلك من طوف على خركان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقامكم سورة يوسف قائماً عبد تلاًها وعلها ﴿٤٦٥﴾ أهله وما ﴿سورة يوسف﴾ ملكت يمينه هون الله عليه

سكرات الموت واعطاء القوة أن لا يحسد مسلماً قال الشيخ أبو منصور ررحه الله في ذكر قصة يوسف عليه السلام وأخوته تصيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى قريش كأنه يقول أن أخوة يوسف مع موافقتهم إياه في الدين ومع الأخوة عملوا يوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك فانت مع مخالفتهم إياه في الدين أخرى أن تصبر على أذاهم وقال وهب أن الله تعالى لم ينزل كتاباً الا وفيه سورة يوسف عليه السلام تامة كما هي في القرآن العظيم والله أعلم ﴿سورة الرعد مكية وهي ثلاث أربعون آية كوفي وخمس وأربعون آية شامى﴾

(ما كان حديثاً يفترى) يعنى القرآن ليس يحدث بخلق (ولكن تصديق الذي بين يديه) موافق التوراة والانجيل وسائر الكتب بالتوحيد وبعض الشرائع وخبر

﴿ ما كان حديثاً يفترى ﴾ ما كان القرآن حديثاً يفترى ﴿ ولكن تصديق الذي بين يديه ﴾ من الكتب الالهية ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾ يحتاج إليه في الدين إذا من احصى الاولى سند من القرآن بوسط أو بغير وسط ﴿ وهدى ﴾ من الضلال ﴿ ورجة ﴾ ينال بها خير الدارين ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ بعد قوته وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علموا أرقامكم سورة يوسف قائماً تلاًها وعلها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاء القوة أن لا يحسد مسلماً

﴿ سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين ﴾

﴿ كفروا الآية وهي خمس وأربعون آية ﴾

من الجب بعد القائه فيه وأخراجه من السجن وتخليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بأبيه وأخوته بعد المدة الطويلة واليأس من الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته واطهار دينه وان الاخبار بهذه القصة الجميلة جارية مجرى الاخبار عن التوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل أن الله تعالى قال في أول هذه السورة نحن نقص عليك أحسن القصص وقال في آخرها لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب فدل على أن هذه القصة من أحسن القصص وأن فيها عبرة لمن اعتبرها ﴿ ما كان حديثاً يفترى ﴾ يعنى ما كان هذا القرآن حديثاً يفترى ويخلق لأن الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن يختريه أو يخلق له لأنه لم يقرأ الكتب ولم يخالف العلماء ثم انه جاء بهذا القرآن المجيز فدل ذلك على صدقه وأنه ليس عتق ﴿ ولكن تصديق الذي بين يديه ﴾ يعنى ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزل من السماء من التوراة والانجيل وفيه إشارة الى أن هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾ يعنى أن في هذا القرآن المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شيء تحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد في أمر دينهم ودنياهم ﴿ وهدى ﴾ يعنى الى كل خير ﴿ ورجة ﴾ يعنى أنزلناه رجة ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ لأنهم هم الذين يتفهمون به والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الرعد ﴾

يوسف (وتفصيل كل شيء) بيان كل شيء (قا وخا ٥٩ لث) من الحلال والحرام (وهدى) من الضلالة (ورجة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بحمد عايله السلام والقرآن الذي أنزل اليك من ربك والله أعلم بأسرار كتابه ومن السورة التي يذكر فيها الرعد وهي مكية غير آيتين قوله ولا يزال الذين كفروا وتصيبهم عاصموا قارعة الى آخرها وقوله ويقول الذين كفروا الى ومن عنده علم الكتاب فانهما مدنيان آياتها خمس وأربعون وكلماتها ثمانمائة وخمس وخسون وحروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة وأحرف

عنهما ( تلك ) إشارة الى آيات السورة ( آيات الكتاب ) أريد بالكتاب السورة أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ( والذي أنزل اليك من ربك ) أي القرآن كله ( الحق ) خبر والذي ( ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ) فيقولون قوله محمد ثم ذكر ما يوجب الإيمان فقال ( الله الذي رفع السموات ) أي خلقها مرفوعة لان تكون موضوعة فرفعها والله مبتدأ والخبر الذي رفع السموات ( خبر ) ( عمد ) حال وهو جمع عمد او عمود ( ترونها ) الضمير يعود الى السموات أي ترونها كذلك فلا حاجة الى البيان او الى عديكون في موضع جر على أنه صفة لعمد أي

( بسم الله الرحمن الرحيم ) وبإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى ( الأمر ) أنا الله أعلم وأرى ما تعملون وتقولون ويقال قسم أقسم به ( تلك آيات الكتاب ) ان هذه السورة آيات القرآن ( والذي أنزل اليك من ربك الحق ) يقول القرآن هو الحق من ربك ( ولكن أكثر الناس ) أهل مكة ( لا يؤمنون ) بمحمد عليه السلام والقرآن

### ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الأمر ﴾ قبل معناه أنا الله أعلم وأرى ﴿ تلك آيات الكتاب ﴾ يعني بالكتاب السورة وتلك إشارة الى آيات أي تلك الآيات السورة الكاملة أي القرآن ﴿ والذي أنزل اليك من ربك ﴾ هو القرآن كله ومجمله الجبر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص أو احدي الصفتين على الاخرى أو الرفع بالابتداء وخبره ﴿ الحق ﴾ والجملة كالجملة على الجملة الاولى وتصرف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا أو ضمنا كالكتب بالقياس وغيره مما تطلق المنزل بحسن اتباعه ﴿ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ لا خلائهم بالنظر والتأمل فيه ﴿ الله الذي رفع السموات ﴾ مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر ﴿ فيرفعهم ﴾ اساطين جمع عماد كعماد واهب أو عمود كاديم وادم وقرى عمدا كرسى ﴿ ترونها ﴾ صفة لعمد

قال ابن الجوزي اختلفوا في نزولها على قولين أحدهما انها مكية رواه أبو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة وروى أبو صالح عن ابن عباس انها مكية الايتين أحدهما قوله ولا يزال الدين كقروا تصديقهم بما صنعوا قارعة والاخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلات والقول الثاني انها مدنية رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروى عن ابن عباس انها مدنية الايتين نزلا بمكة وهما قوله ولأن قرأنا سيرت به الجبال الى آخر الآيتين وقال بعضهم المدني منها قوله هو الذي يريكم البرق الى قوله دعوة الحق وهي ثلاث وقيل خمس وأربعون آية وثمانمائة وخمس وخسون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف

### ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل ﴿ الأمر ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه أنا الله أعلم وأرى وروى عطاء عنه أنه قال ان معناه أنا الله الملك الرحمن ﴿ تلك آيات الكتاب ﴾ الإشارة بتلك الى آيات السورة المسماة بآمر والمراد بالكتاب السورة أي آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ﴿ ثم قال تعالى ﴾ والذي أنزل اليك من ربك الحق ﴿ يعني من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه وقيل المراد بالإشارة في قوله تلك الاخبار والقصص أي الاخبار والقصص التي قصصتها عليك يا محمد هي آيات التوراة والانجيل والكتب الهية القديمة المنزلة والذي أنزل اليك يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك يا محمد من ربك الحق أي هو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة أراد بآيات الكتاب القرآن والمعنى هذه آيات الكتاب الذي هو القرآن ثم قال والذي أنزل اليك من ربك الحق يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك من ربك هو الحق الذي لا شك فيه ولا تناقض ﴿ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ يعني مشركي مكة نزلت هذه الآية في الرد عليهم حين قالوا ان محمدا يقول من تلقاء نفسه ثم ذكر من دلائل ربوبه وعجائب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى ﴿ الله الذي رفع السموات فيرفعهم ﴾ جمع عمود وهي الاساطين والدعائم التي تكون تحت السقف وفي قوله ﴿ ترونها ﴾ قولان أحدهما

( الله الذي رفع السموات ) خلق السموات ورفعهما على الارض ( فيرفعهم ) يقول ترونها فيرفعهم ( ان )

بغير عمد مرئية (ثم استوى  
على العرش) استولى  
بالاقدار ونفوذ السلطان  
(وسخر الشمس والقمر)  
لنافع عباده ومصالح بلاده  
(كل يجري لأجل  
مسمى) وهو انقضاء  
الدنيا (يدبر الامر) أمر  
ملكوته وربوبيته (يفصل  
الآيات) بين آياته في كتبه  
المنزلة (لعلكم تلقوا ربكم  
توقنون) لعلكم توقنون  
بأن هذا المدبر والمفصل  
لا بد لكم من الرجوع اليه

ويقال بعمد لاترونها (ثم  
استوى على العرش) كان  
الله على العرش قبل ان رفع  
السماوات ويقال استقر  
ويقال امتلأ به ويقال  
استوى عنده القرب  
والبعد على معنى العلم والقدرة  
(وسخر الشمس والقمر)  
ذلل ضوء الشمس والقمر  
لبنى آدم (كل يجري لأجل  
مسمى) الى وقت معلوم  
(يدبر الامر) ينظر في  
أمر العباد ويبعث الملائكة  
بالوحي والتنزيل والمصيبة  
(يفصل الآيات) بين  
القرآن بالامر والنهي  
(لعلكم تلقوا ربكم توقنون)  
لكي تصدقوا بالبعث بعد

أو استئناف للاستشهاد برؤيتهم السماوات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم  
فإن ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضى  
ذلك لا بد وان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجع بعض الممكنات على بعض  
إرادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ بالحفظ  
والتيدير ﴿ وسخر الشمس والقمر ﴾ ذللهما لما أراد منهما كالحركة المستمرة على حد من  
السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقيائها ﴿ كل يجري لأجل مسمى ﴾ لمدة معينة يتم  
فيها ادواره أو لفافة مضروبة ينقطع دونها سيره وهي إذا الشمس كورت وإذا النجوم  
انكدرت ﴿ يدبر الامر ﴾ أمر ملكوته من الإيجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير  
ذلك ﴿ يفصل الآيات ﴾ ينزلها وبينها مفصلة أو يحدث الدلائل واحدا بعد واحد  
﴿ لعلكم تلقوا ربكم توقنون ﴾ لكي تفكروا فيها وتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان

ان الرؤية ترجع الى السماء بمعنى وأنتم ترون السماوات مرفوعة بغير عمد من تحتها يعني ليس من دونها  
دعامة تدعما ولا من فوقها علاقة عسكها والمراد في العمدة الكلية قال إياس بن معاوية السجاء مقبية  
على الارض مثل القبة وهذا قول الحسن وقناة وجه المفسرين واحدى الروايتين عن ابن  
عباس والقول الثاني ان الرؤية ترجع الى العمدة والمعنى ان لها عمدا ولكن لاترونها أنتم  
ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا  
والسما على مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى عن ابن عباس  
والقول الاول أصح ﴿ وقوله تعالى ﴾ ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ تقدم تفسيره والكلام  
عليه في سورة الاعراف بما فيه كفاية ﴿ وسخر الشمس والقمر ﴾ يعني ذللهما لنافع  
خلقه فهمامة فهو ان يجريان على ما يريد ﴿ كل يجري لأجل مسمى ﴾ يعني الى وقت  
معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وقال ابن عباس أراد بالأجل المسمى درجاتهما  
ومنازلهما يعني انهما يجريان في منازلهما ودرجاتهما الى غاية يشتهيان اليها ولا يجاوزانها  
وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة  
بمقدار خاص من السرعة والبطء والحركة ﴿ يدبر الامر ﴾ يعني انه تعالى يدبر أمر  
العالم العلوي والسفلي وبصرفه ويقضيه بعشيته وحكمته على أكمل الاحوال لا يشغله  
شأن عن شأن وقيل يدبر الامر بالإيجاد والاعدام والاحياء والاماتة فعبه دليل على  
كمال القدرة والرجة لان جميع العالم محتاجون الى تديره ورجته داخلون تحت  
قهره وقضائه وقدرته ﴿ يفصل الآيات ﴾ سعى انه تعالى بين الآيات الدالة على  
وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان الاول  
الموجودات المشاهدة وهي خالق السماوات والارض وما فيها من العجائب وأحوال  
الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثاني الموجودات  
الحادثة في العالم وهي الموت بعد الحياة والفقر بعد الثنى والضعف بعد القوة الى غير  
ذلك من أحوال هذا العالم وكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكما قدرته  
﴿ لعلكم تلقوا ربكم توقنون ﴾ يعني أنه تعالى بين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال



من قدر على خلق هذا الاشياء وتديرها قدر على الامادة الجزاء ﴿ وهو الذي مد الارض ﴾ بسطها طولا وعرضا تثبت عليها الاقدام وينقاب عليها الحيوان ﴿ وجعل فيها رواسي ﴾ جبالا ثوابت من رسي الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على انها صفة اجبل اولمبالنة ﴿ وانهارا ﴾ ضمها الى الجبال وخلق بهما فصلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ﴿ ومن كل الثمرات ﴾ متناق بقوله ﴿ جعل فيها زوجين اثنين ﴾ أي جعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير ﴿ ينشئ الليل النهار ﴾ يلبسه مكانه فيصير الجو مقظما بعدما كان مضيفا ﴿ وقرأ حزة والاكسائي وابوبكر ينشئ بالتشديد ﴾ ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴿ فيها فان تكونها ومخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم

قدرته لكي توقوا وتصدقوا باقائمه والمصير اليه بعد الموت لان من قدر على ايجاد الانسان بعد مدمه قادر على ايجادهم واحيائهم بعد موتهم واليقين صفة من صفات العلم وهو فوق المعرفة والدراية وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال منه استيقن وأيقن بمعنى علم ﴿ قوله تعالى ﴿ وهو الذي مد الارض ﴾ لما ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بنير عذ وذكر أحوال الشمس والقمر أردفها بذكر الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض أي بسطها على وجه الماء وقيل كانت الارض مجتمعة فدها من تحت البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل ان الارض منسطة كلاكف وعند أصحاب الهيئة الارض كرة ويمكن أن يقال ان الكرة اذا كانت كبيرة عظيمة مكل قطعة منها تشاهد محدودة كالسطح كبير المقام فحصل الجمع ومع ذلك فله تعالى قد أخبر أنه مد الارض وانه دحاها وبسطها وكل ذلك يدل على التسطيع والله تعالى اصدق فلا وأين دالا من أصحاب الهيئة ﴿ وجعل فيها ﴾ يعني في الارض ﴿ رواسي ﴾ يعني جبالا ثابتة يقال رسا الشيء يرسوا اذا ثبت وأرساه غيره أثبته قال ابن عباس كن أبوقيس أول جعل وضع على الارض ﴿ وانهارا ﴾ يعني وجعل في الارض أنهارا جارية مانعة الحاق ﴿ ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ﴾ يعني صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلوا وحامضاً ﴿ ينشئ الليل النهار ﴾ يعني يلبس النهار ظلة الليل ويلبس الليل ضوء النهار ﴿ ان في ذلك ﴾ يعني الذي تقدم ذكره من عجائب صنعته وعزائب قدرته الدالة على وحدانيته ﴿ لآيات ﴾ أي دلالات ﴿ لقوم يتفكرون ﴾ يعني فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر هو تصرف القاب في طاب الاشياء وقال صاحب المفردات الفكر قوة مطرقة لالم الى المعلوم والفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القاب ولهذا روى تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله اذ كان الله منزها ان يوصف بصورة وقال بعض الادباء الفكر مقلوب عن الفك لانه يستعمل في طاب المعاني وهو فرك الامور وبجها طلبا

( وهو الذي مد الارض ) بسطها ( وجعل فيها رواسي ) جبالا ثوابت ( وانهارا ) جارية ( ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ) أي الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك ( ينشئ الليل النهار ) يلبسه مكانه فيصير أسود مظلما بعدما كان أبيض متبرقا ينشئ حزة وعلى أبوبكر ( ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ) فيعلمون ان لها صانعا عليا حكيمًا

الموت ( وهو الذي مد الارض ) بسط الارض على الماء ( وجعل فيها رواسي ) خلق في الارض الحمال الثوابت أو ناداهما ( وانهارا ) أجرى فيها انهارا ( ومن كل الثمرات ) من الوان كل الثمرات ( جعل فيها ) خلق فيها ( زوجين اثنين ) الحامض والحلو زوج والابيض والاحمر زوج ( ينشئ الليل النهار ) يغطي الليل بالنهار والنهار بالليل يقول يذهب بالليل ويحيى بالنهار ويذهب بالنهار ويحيى بالليل ( ان في ذلك ) في اختلاف ما ذكرت ( لآيات ) لعلامات ( لقوم يتفكرون ) لكي يتفكروا فيه

متلاصقة طيبة الى سبعة  
وكريمة الى زهيدة وصلبة  
الى رخوة وذلك دليل  
على قادر مدبر مريد موقع  
لا ماله على وجهه دون وجه  
(وجنات) معطوفة على قطع  
(من أعناب وزرع ونخيل  
صنوان وغير صنوان)  
بالرفع مكى وبصرى وحفص  
عطف على قطع غيرهم  
بالجر بالمطف على أعناب  
والصنوان جمع صنووهى  
التي لها رأسان وأصلها  
واحد وعن حفص بضم  
الصاد وهما لفتان (تسقى  
بماء واحد) وبالياء ماصم  
وشامى (ونفصل بعضها  
على بعض) وبالياء حزة  
وعلى (في الاكل) في الثمر  
وبسكون الكاف نافع  
( وفي الارض قطع )  
أمكنة ( متجاورات )  
ملتزقات ارض سبعة رويثة  
ومجتمعة ارض طيبة عذبة  
جيدة (وجنات من أعناب)  
من كروم (وزرع) حرث  
(ونخيل صنوان) مجتمع  
اصولها في اصل واحد  
عشرة أو أقل أو أكثر  
( وغير صنوان ) متفرق  
اصولها واحدة واحدة  
( يسقى بماء واحد ) بماء  
المطر أو بماء النهر (وتفضل  
بعضها على بعض في الاكل)

ذراعتها وهيا اسبابها ﴿ وفي الارض قطع متجاورات ﴾ بعضها طيبة وبعضها سبعة  
وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها تصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا  
تخصيص قادر موقع لا ماله على وجهه دون وجهه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع  
في الطيبة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يمرض من الاسباب السماوية  
من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاصناف ﴿ وجنات من أعناب وزرع ونخيل ﴾  
وبستانين فيها انواع الاشجار والزرع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرأ ابن كثير  
وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل صنوان بالرفع عطفا على وجنات ﴿ صنوان ﴾  
لخالات اصلها واحد ﴿ وغير صنوان ﴾ ومتفرقات مختلفات الاصول وقرأ حفص بالضم  
وهو لغة بني تميم كقنوان في جمع قنو ﴿ تسقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض في الاكل ﴾  
في الثمر شكلا وقدرًا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها  
مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن ماسر وعاصم  
ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله

للولصول الى حقيقتها ﴿ قوله عز وجل ﴾ وفي الارض قطع متجاورات ﴿ يعنى  
متجاورات بعضها من بعض وهى مختلفة في الطبايع فهذه طيبة تنبت وهذه سبعة لا تنبت  
وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع ﴿ وجنات ﴾ يعنى بستانين والجنة كل بستان  
ذى شجر من نخيل وأعناب وغير ذلك سمي جنة لانه يستر يا شجاره الارض واليه  
الاشارة بقوله ﴿ من أعناب وزرع ونخيل صنوان ﴾ جمع صنو وهى اللخالات مجتمع  
من أصل واحد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم الرجل صنوايه يعنى  
انها من أصل واحد ﴿ وغير صنوان ﴾ هى اللخلة المفردة باصلها فالصنوان المجتمع  
وغير الصنوان المتفرق ﴿ يسقى بماء واحد ﴾ يعنى اشجار الجنات وزروعها والماء جسم  
رقيق مانع به حياة كل نام وقيل في حده جوهر سيال به قوام الارواح ﴿ وتفضل  
بعضها على بعض في الاكل ﴾ يعنى في الطعم ما بين الحلو والحامض والمقص وغير ذلك  
من الطعام ﴿ عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى  
وتفضل بعضها على بعض في الاكل قال الدقل والزسيان والحلو والحامض أخرجه  
الترمذى وقال حدث حسن غريب قال مجاهد هذا كمثل بنى آدم صالحهم وخبيثهم  
وأبوهما واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بنى آدم كانت الارض طيبة  
واحدة في يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات وأنزل على وجهها ماء  
السماء فخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبغها  
وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد فلو كان الماء قليلا قيل انما هذا من قبل الماء  
كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فتشع  
وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلوه ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القرآن أحد  
الا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة

ومكي (ان في ذلك آيات لقوم يعقلون) عن الحسن مثل اختلاف القلوب في آثارها وانوارها وأسرارها باختلاف القطع في آثارها وانوارها ونماها { الجزء الثالث عشر } (وان تعجب) يا محمد ﴿ ٤٧٠ ﴾ من قولهم في انكار البعث (فجيب قولهم) خبر ومبتداً أي

يدبر الامر ﴿ وان في ذلك آيات لقوم يعقلون ﴾ يستعملون عقولهم بالتفكير ﴿ وان تعجب ﴾ يا محمد من انكارهم البعث ﴿ فجيب قولهم ﴾ حقيق بأن تعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعداء ايسر شيء عليه والآيات الممدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعداء من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته ﴿ انذا كنا تراباً اننا خلقنا جديداً ﴾ يدل من قولهم أو مفعول له والسامل في اذا محذوف دل عليه اننا في خلق جديداً ﴿ اولئك الذين كفروا بربهم ﴾ لانهم كفروا بقدرته على البعث ﴿ واولئك الاغلال في اعتناقهم ﴾ مقيدون بالفسالة لا يرجي خلاصهم أو يفلون يوم القيامة ﴿ واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار

قوله لهم (فجيب قولهم) خبر ومبتداً أي  
قوله لهم حقيق بأن تعجب  
منه لان من قدر على انشاء  
ما عدد عليك كانت الاعداء  
أهون شيء عليه وأيسره  
فكان انكارهم أعجوبة  
من الاعاجيب (انذا كنا  
تراباً اننا خلقنا جديداً)  
في محل الرفع يدل من قولهم  
قرأ أصم وحزرة كل واحد  
بهمزتين (اولئك الذين  
كفروا بربهم) اولئك  
الكافرون المتنادون في  
كفرهم (واولئك الاغلال  
في اعتناقهم) وصف لهم  
بالاسرار أو من جملة الوعيد  
(واولئك اصحاب النار هم  
فيها خالدون) دل تكرار  
اولئك على تعظيم الامر

للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً ﴿ وقوله تعالى ﴾ (ان في ذلك) يعني الذي ذكر  
﴿ آيات لقوم يعقلون ﴾ يعني فيتدبرون ويتفكرون في الآيات الدالة على وحدانيته  
﴿ قوله تعالى ﴾ (وان تعجب) فجيب قولهم ﴿ العجب تبعد النفس رتبة المستند في العادة  
وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب ولهذا قال بعض الحكماء العجب  
ما لا يعرف سببه ولهذا قيل العجب في حق الله محال لانه تعالى علام الغيوب لا تخفى  
عليه خافية والخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه انك يا محمد ان تعجب  
من تكذيبهم اياك بعد ان كنت عندهم تعرف بالصادق الامين فجيب أسرهم وقيل  
معناه وان تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا يفهمهم آلهة يعبدها مع اقرارهم  
بان الله تعالى خالق السموات والارض وهو يضر وينفع وقد رأوا من قدرة الله وما  
ضرب لهم به الامثال ما رأوا فوجب قولهم وقيل وانك ان تعجب من انكارهم النشأة  
الآخرة والبعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله فجيب قولهم وذلك  
ان المشركين كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله  
وقد تقرر في النفوس ان الاعداء اهون من الابتداء فهذا موضع التعجب وهو قولهم ﴿ انذا  
كنا تراباً ﴾ يعني بعد الموت ﴿ اننا لفي خلق جديد ﴾ يعني نعاد خلقاً جديداً بعد  
الموت كما كنا قبله ﴿ ثم ان الله تعالى قال في حقهم ﴾ (اولئك الذين كفروا بربهم) ﴿  
وفيه دليل على ان كل من أنكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لان من أنكر  
البعث بعد الموت فقد أنكر القدرة وان الله على كل شيء قدير ومن أنكر ذلك فهو  
كافر ﴿ واولئك الاغلال في اعتناقهم ﴾ يعني يوم القيامة والاغلال جمع غل وهو  
طوق من حديد يجعل في العنق وقيل أراد بالاغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما  
يقاد الاسير ذليلاً بالغل ﴿ واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ يعني انهم مقيمون

في الحل والعلم (ان في ذلك)  
في اختلافها وانوارها  
(آيات) علامات (لقوم  
يعقلون) يصدقون انها  
من الله (وان تعجب) من  
تكذيبهم اياك (فجيب قولهم)  
قوله لهم اعجب حيث قالوا  
(انذا كنا) صرنا (تراباً)  
رمياً (اننا لفي خلق جديد)  
نجدد بعد الموت وفيما الروح  
(اولئك) اهل انكار البعث

(الذين كفروا) هم الذين كفروا (بربهم واولئك) اهل الكفر (الاغلال في اعتناقهم) والسلاسل في (فيها)  
أيمانهم مشدودة الى اعتناقهم (واولئك) اهل الاعلال والسلاسل (اصحاب النار) اهل النار (هم فيها خالدون) مقيمون لا يموتون  
ولا يخرجون

(ويستجلونك بالسيئة قبل الحسنة) بالنقمة قبل العافية وذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بالعذاب استنزاه منهم بانذاره (وقد دخلت من قبلهم المثلثات) أى عقوبات أمثالهم من المكذبين فقالهم لم يتبوا بها فلا يستنزأ والمثلة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سبئة سيئة مثلها (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أى مع ظلمهم أنفسهم بالتوب وعمله الحال ﴿ ٤٧١ ﴾ أى ظالمين { سورة الرعد } لانفسهم قال السدى

يعنى المؤمنين وهى أرحى آية فى كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهودون التوبة فان التوبة نزلها وترفعها (وان ربك لشديد العقاب) على الكافرين أوهما جميعا فى المؤمنين لكنه معلق بالمشيئة فيها أى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) لم يمتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عناداً فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية وحياء الموتى فقييل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (انما أنت منذر) انما أنت رجل أرسلت منذراً مخوفاً لهم من سوء العقوبة وناصحاً كذا برك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وحملة ذلك حاصلة باى آية كانت والآيات كلها سواء فى حصول صحة الدعوى

﴿ ويستجلونك بالسيئة قبل الحسنة ﴾ بالعقوبة قبل العافية وذلك لانهم استجلوا ما حددوا به من عذاب الدنيا استنزاه ﴿ وقد دخلت من قبلهم المثلثات ﴾ عقوبات أمثالهم من المكذبين فقالهم لم يتبوا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح التاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثل للقصاص وامثل الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ المثلثات بالتخفيف والمثلثات باتباع القاء العين والمثلثات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلثات بفتح التاء على انها جمع مثلة كركبة وركبات ﴿ وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ مع ظلمهم انفسهم وعمله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييده دليل على جواز العقوبة قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغار المكفرة لجناب الكبار أو اول المغفرة بالستر والامهال ﴿ وان ربك لشديد العقاب ﴾ للكفار أو لمن يشاء . وعن النسي صلى الله تعالى عليه وسلم لولا عقوب الله وتجاوزهم لما هتأ احد العيش ولولا وعيده وعقابه لأتكل كل احد ﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتى موسى وعيسى عليهما السلام ﴿ انما انت منذر ﴾

فيها لا يخرجون منها ولا يموتون ﴿ ويستجلونك بالسيئة قبل الحسنة ﴾ الاستجبال طلب لجعل الامر قبل مجئ وقته والمراد بالسيئة هنا هى العقوبة وبالحسنه العافية وذلك ان مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استنزاه منهم وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴿ وقد دخلت من قبلهم المثلثات ﴾ يعنى وقد مضت فى الالام المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم رسالهم والمثلة بفتح الميم وضم التاء المثلة نقمة تنزل بالالسان فيجعل مثلاً ليرتدع غيره به وذلك كالتكال وبوجه مثلثات بفتح الميم وضمها مع ضم التاء فيهما اقتان ﴿ وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ قال ابن عباس معناه انه لذو تجاوز عن المشركين اذا آمنوا ﴿ وان ربك لشديد العقاب ﴾ يعنى للمصرين على الشرك الذى ماتوا عليه وقال مجاهد انه لذو تجاوز عن شركهم فى تأخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا ما قب ﴿ قوله تعالى ﴾ ويقول الذين كفروا ﴿ يعنى من أهل مكة ﴾ لولا ﴿ أى هلا ﴾ أنزل عليه ﴿ يعنى على محمد صلى الله عليه وسلم ﴾ آية من ربه ﴿ يعنى مثل عصا موسى وناقة صالح وذلك لانهم لم يقتنعوا بما رأوا من الآيات التى جاءها النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ انما أنت منذر ﴾

منها أبدا (ويستجلونك) بالحجر (بالسيئة) بالعذاب استنزاه (قبل الحسنة) قبل العافية لا يسألونك العافية (وقد دخلت) مضت (من قبلهم المثلثات) العقوبات فيمن هلك (وان ربك لذو مغفرة) تجاوز (لناس) لاهل مكة (على ظلمهم) على شركهم ان تابوا وآمنوا (وان ربك لشديد العقاب) لمن تاب عن الشرك (ويقول الذين كفروا) بمحمد عايد السلام والقرآن (لولا أنزل عليه) هلا أنزل عليه (آية) علامة (من ربه) لتبوه كما أنزل على رسوله الاولين (انما أنت) يا محمد (منذر) رسول مخوف

مرسل للأنذار كغيرك من الرسل وما عليك إلا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس  
المجيزات لا بما يقترح عليك (ولكل قوم هاد) نبي مخصوص بمجيزات من جنس  
ما هو السالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب أو قادر على هدايتهم  
وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل عليك من الآيات ثم اردف ذلك  
بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبها على انه تعالى قادر على  
انزال ما اقترحوه وانما ينزل لعلمه بان اقتراحهم للمعاد دون الاسترشاد وانه قادر  
على هدايتهم وانما لم يهدم لسبق قضائه عليهم بالكفر وقرأ ابن كثير هاد ووال  
وواق وما عند الله باق بالتوين في الوصل فاذا وقفت وقب بالياء في هذا الاحرف  
الاربعة حيث وقعت لا غير والباقيون يصلون بالتوين ويقفون بتدرياه فقال (هو الله يعلم  
ما تحمّل كل اثنى) أي جلها أو ما تحمله وانه على أي حال هو من الاحوال الحاضرة والمتربعة  
وما تنقيض الارحام وما تزاد (وما تنقصه وما تزاد في الجنة والمدة والعدد  
واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وستين عند أبي حنيفة روى  
ان الضحاك ولد لستين وهرم ابن حيان لاربع سنين واهل عدده لاحدله وقيل نهاية  
ما عرف به اربعة واليه ذهب ابو حنيفة رضى الله عنه وقال الشافعي رحمه الله اخبرني شيخ  
باليمن ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض  
وازداده وفاض جاء متعديا ولا زما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جملة ما  
لازمين تعين ما ان تكون مصدرة واسنادها الى الارحام على المحاذ فانما الله تعالى أو لما فيها

أي ليس عليك يا محمد غير الانذار والتحذير وليس لك من الآيات شيء (ولكل  
قوم هاد) قال ابن عباس الهادي هو الله وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك  
والصفي والمضي انما عليك الانذار يا محمد والهادي هو الله يهدي من يشاء وقال عكرمة في  
رواية أخرى عنه أو بالصفي الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمضي انما أنت  
منذر وأنت هاد وقال الحسن وقادة وابن زيد يعني ولكل قوم نبي يهديهم وقال أبو  
المالية الهادي هو الصالح وقال أبو صالح الهادي هو القائد الى الخبر لا الى الشر قوله  
عز وجل (هو الله يعلم ما تحمّل كل اثنى) لما سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات  
أخبرهم الله عز وجل عن عظيم قدرته وكمال علمه وانه عالم بما تحمّل كل اثنى يعني من ذكر  
أو أي سوى الخلق أو ناقص الخلق واحدا أو اثنين أو اكر (وما تنقيض) يعني وما  
تنقص (الارحام وما تزاد) قال أهل التفسير غيض الارحام الحيض على الحمل فاذا  
حاضت الحامل كان ذلك نقصا في الولد لان دم الحيض هو غذاء الولد في الرحم فاذا خرج  
الدم نقص الغذاء فينقص الولد واذالم تحض يزاد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقه  
الولد بخروج الدم والزيادة عام خلقه باستمساك الدم وقيل اذا حاضت المرأة في وقت حملها  
ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرة فان رأت خسة أيام دما  
ومنعت تسعة أشهر وخسة أيام فالنقصان في الغذاء زيادة في مدة الحمل وقيل النقصان

من الانبياء يهديهم الى  
الدين ويدعوهم الى الله  
بآية تخص بها لا غير بدون  
ويتكلمون (الله يعلم ما تحمّل  
كل اثنى وما تنقيض الارحام  
وما تزاد) ما في هذه المواضع  
الثلاثة موسوعة أي يعلم  
ما تحمّله من الولد على  
أي حال هو من ذكورة  
وأثوثة وتنام وخداج  
وحسن وقبح وطول  
وقصر وغير ذلك وما تنقيضه  
الارحام أي ويعلم ما تنقصه  
يقال غاض الماء وغضته  
أما وما تزاداه والمراد  
عدد الولد فانها تشتمل  
على واحد واثنين وثلاثة  
وأربعة أو جسد الولد فانه  
يكون تاما ومخدجا أو مدة  
الولادة فانها تكون أقل  
من تسعة أشهر وأزيد  
عليها الى ستين عندنا  
والى أربع عند الشافعي  
والى خمس عند مالك  
أو مصدرة أي يعلم حل  
كل اثنى وعلم غيض  
الارحام وازادها

(واكل قوم هاد) نبي ويقال  
داع يدعوهم من الضلالة  
الى الهدى (الله يعلم ما تحمّل  
كل اثنى) كل حامل ذكر هو  
أو اثنى (وما تنقيض) وما  
تنقص (الارحام) في الحمل  
من التسعة (وما تزاد)

على التسعة في الحمل

(وكل شيء عنده بمقدار) بقدر واحد ﴿٤٧٣﴾ لا يجاوزه ولا ينقص { سورة الرعد } عنه لقوله انا كل شيء

خلقناه بقدر (عالم الغيب) ما غاب عن الخلق (والشهادة) ما شاهدوه (الكبير) العظيم الشأن الذي كل شيء دونه (المتعال) المستعلى على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن تمت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من أسرار القول وفي نفسه ومن جهره (لنير) ومن هو مستخف بالليل (طالب الخفاء في عتبا بالليل) وسارب (بالنهار) يراه كل احد من سرب سر وبأذا برز وهو عطف على من أو مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله

تكن مثل من ياذب يصطحبان

كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررمة لكمال علمه وشموله ﴿له﴾ لمن أسر أو جهر أو استخفى أو سرب

السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن فيها نقصانها من تسعة أشهر والزيادة زيادتها على تسعة أشهر وأقل مدة الحمل ستة أشهر وقد يولد لهذه المدة ويسيش واختلوا في أكثره فقال قوم أكثر مدة الحمل ستان وهو قول عائشة وبه قال أبو حنيفة وقيل ان الضحاك ولد لستين وقال جماعة أكثرها أربع سنين واليه ذهب الشافعي وقال جادين أبي سلمة انما سمى هرم بن حبان هرا ما لانه بقي في بطن أمه أربع سنين وعندما ملك ان أكثر مدة الحمل خمس سنين ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ يعني بتقدير واحد لا يجاوز ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفيته على اكمل الوجوه وقيل معناه وانه تعالى خصص كل حادث من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيئته الازلية وارادته وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما شاهدونه وقيل الغيب هو المعلوم والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر في الحس ﴿الكبير﴾ أي العظيم الذي يصغر كل كبير بالاضافة الى عظمته وكبريائه فهو يعود الى معنى كبر قدرته وانه تعالى المستحق لصفات الكمال ﴿المتعال﴾ يعني المتزعة عن صفات القصد المتعالي عن الخلق وفيه دليل على انه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وتنزيهه عن جميع القائص ﴿قوله تعالى﴾ سواء منكم من أسرار القول ومن جهره ﴿أي مستؤمنكم من أخفى القول أو كتمه ومن أظهره وأعلنه والمعنى انه قد استوى في علم الله تعالى المسرب بالقول والجهر به ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ أي مستتر بظلمته ﴿وسارب بالنهار﴾ أي ذاهب بالنهار في سربه ظاهرا والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق وقال القتيبي السارب المتصرف في حوائجه قال ابن عباس في هذه الآية هو صاحب ربة مستخف بالليل واذا خرج بالنهار أرى الناس انه يرى من الائم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت الشيء اذا ظهرته وأخفيت اذا كتمته وسارب بالنهار أي متوار دخل في السرب مستخفيا ومعنى الآية سواء ما أضمرت به القلوب أو نطقته به اللسان وسواء من أقدم على التبايع مستتر في ظلمات الليل أو أتى بها ظاهرا في النهار فان علمه تعالى محيط بالكل ﴿له﴾

والفعل يعلم الله ذلك منه (ومن هو مستخف بالليل) مستتر (وسارب) ظاهر (بالنهار) يقول أو عمل يعلم الله ذلك منه (له) (وكل شيء) من الزيادة والقصان وخروج الولد والمكث (عنده بمقدار) عالم الغيب (ما غاب عن العباد) (والشهادة) ما علمه العباد ويقال الغيب ما يكون والشهادة ما كان ويقال الغيب هو الولد في الارحام والشهادة هو الذي خرج من الارحام (الكبير) ليس شيء أكبر منه (المتعال) ليس شيء أعلى منه (سواء منكم) عند الله بالعلم (من أسرار القول) والفعل (ومن جهره) من أعلن بالقول

والفعل يعلم الله ذلك منه (ومن هو مستخف بالليل) مستتر (وسارب) ظاهر (بالنهار) يقول أو عمل يعلم الله ذلك منه (له)

﴿ معقبات ﴾ ملائكة تعقب في حفظه جمع معقب من عقب مباينة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضاً أو لأنهم يعقبون أقواله وأفعاله فيكتبونها أو اعتقب فادغمت الراء في القاف والثناء للبالغة أو لأن المراد بالمعقبات جاعات وقرئ ما في جمع معقب أو معقبه على تعويض الياء من إحدى القافين ﴿ من بين يديه ومن خلفه ﴾ من جوانبه أو من الأعمال ما قدم وآخر ﴿ يحفظونه من أمر الله ﴾ من بأسه متى اذنب بالاستمهال أو الاستغفار له

معقبات ﴿ يعنى لله ملائكة يتعقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل عقيبها ملائكة النهار والعقب العود بعد البدء وانما ذكر معقبات بلفظ التأنيث وان كان الملائكة ذكورا بحسب لفظ مفرد ما لان واحدا معقب وجهها معقب ثم جمع المعقبه معقبات كما قيل ابناوات سعد ورحلات بكر (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يرجع الدين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون وقيل ان مع كل واحد من بنى آدم ملكين ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيئات وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل العبد حسنة كتبها له بعشر أمثالها واذا عمل سيئة قال صاحب الشمال لصاحب اليمين اكتبها عليه فيقول أنظره لعله يتوب أو يستغفر فيستأذنه ثلاث مرات فان هو تاب منها والاقال اكتبها عليه سيئة واحدة وملك موكل بناسية العبد فاذا تواضع العبد لله عز وجل رضى بها وان تجبر على الله عز وجل وضعه ما وملك موكل بعينه يحفظه ما من الاذى وملك موكل بغيره لا بدع يدخل في فيه شئ من الهوام يؤذيه فهو لأمخسة أملاك موكلون بالعبد في ليله وخسة غيرهم في نهاره فانظر الى عظمة الله تعالى وقدرته وكال شفقتك عليك أيها العبد المسكين وهو قوله تعالى ﴿ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ يعنى يحفظون العبد من بين يديه ومن وراء ظهره ومعنى من أمر الله بأمر الله واذنه ما لم يحى القدر فاذا جاء خلوا عنه وقيل معناه انهم يحفظونه بما أمر الله به من الحفظ له قال عباد ما من عبد الا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فامن شئ يأتيه يؤذيه الا قال له الملك وراءك الاشئ يأذن الله فيه فيصيده وقال كتب الاحبار لولا أن الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن وقال ابن جرير معنى يحفظونه أى يحفظون عليه الحسنات والسيئات وهذا على قول من يقول ان الآية في الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيئات وقال عكرمة الآية في الامراء وحرصهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم والضمير في قوله راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في معنى هذه الآية لحمد صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بنى عامر بن زيد وكانت قصتهما على ما رواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال اقبل عامر بن طفيل واربد بن ربيعة وهما من بنى عامر بن زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حارس

ومن سرب ( معقبات )  
جاعات من الملائكة تعقب  
في حفظه واصل معقبات  
فادغمت الراء في القاف أو  
هو مفعلات من عقبه اذا جاء  
على عقبه لان بعضهم يعقب  
بعضاً أو لأنهم يعقبون ما يتكلم  
به فيكتبونه ( من بين يديه  
ومن خلفه ) أى قدماه  
وراءه ( يحفظونه من  
أمر الله ) هما صفتان جميعا  
وليس من أمر الله بصفة  
للمحفظ كانه قيل له معقبات  
من أمر الله أو يحفظونه  
من اجل أمر الله أى من  
اجل ان الله تعالى أمرهم  
بحفظه أو يحفظونه من بأس  
الله وبقوته اذا اذنب بدعائهم له  
معقبات (أيضا ملائكة يعقب  
بعضهم بعضا يعقب ملائكة  
الليل ملائكة النهار وملائكة  
النهار ملائكة الليل (من بين  
يديه ومن خلفه يحفظونه)  
مقدم ومؤخر (من أمر الله)  
بأمر الله ويدعونوه الى

أو يحفظونه من المضار أو يراقبون أحوالهم من أجل أمر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من جمع الباء وقيل من أمر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحُرث والجلالوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى ﴿ أن الله لا يغير ما بقوم ﴾ من العافية والنعمة ﴿ حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ من الأحوال الجميلة بأحوال القبيحة ﴿ وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ﴾ فلا رد له والعامل في إذا ما دل عليه الجواب

في المسجد في نفر من أصحابه قد دخل المسجد فاستشرف الناس لجمال عاصم وكان من أجل الناس وكان أعور فقال رجل يا رسول الله هذا عاصم بن الطفيل قد أقبل نحوك فقال دعه فإن يرده الله به خير أيده فأقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد مالي أن أسلت قال لك ما لله سليمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل الأمر لي بذلك قال ليس ذلك لي إنما ذلك إلى الله تعالى يحمله حيث يشاء قال قمصلي على الوبر وانت على المدر قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك أعنة الخيل تنزوع عليها قال أو ليس ذلك لي اليوم قم مئى أكلتك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عاصم قد أوصى إلى أربد بن ربيعة إذا رأيتني أكله فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عاصم يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار أربد من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط شبراً من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عاصم يوبى إليه قالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما عما شئت فارسل الله على أربد ساعقة في يوم صحو قائم فاحرقته فولى عاصم هارباً وقال يا محمد دعوت ربك تقتل أربد والله لا ملائمتها عليك خيلاً جرداً وشباباً ما فقال النبي صلى الله عليه وسلم يعني الله من ذلك وأبنا قيلة يريد الأوس والخزرج فنزل عاصم بيت امرأة سلوية فلما أصبح ضم إليه سلاحه فخرج له خراج في أصل أذنه أخذ منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة كفة البعير وموت في بيت سلوية ثم ركب فرسه وجعل يركض في الصحراء ويقول ادن يا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول ثن أبصرت محمداً وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برعى فارسل الله إليه ملاكاً فطمسه فأرداه في التراب ثم طاد فركب جواده حتى مات على ظهره وأجاب الله عز وجل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في عاصم بن الطفيل فأت بالطمع وأربد بن ربيعة مات بالساعقة وأنزل الله عز وجل في شأن هذه القصة سواء منكم من أسر القول ومن جهر به إلى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه من يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه أمر الله أي بأمر الله وقيل إن تلك المعقبات من أمر الله وفيه تقديم وتأخير تقديره له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ﴿ وقوله ﴾ أن الله لا يغير ما بقوم ﴿ خطاب لهذين عاصم بن الطفيل وأربد ابن ربيعة يعني لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة التي أعم بها عليهم ﴿ حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ يعني من الحالة الجميلة فيحسون ربهم ويحجدون نعمة عليهم فمئذ ذلك تحل نعمته بهم وهو قوله تعالى ﴿ وإذا أراد الله بقوم سوءاً ﴾ يعني هلاكاً وعذاباً ﴿ فلا مرد له ﴾

( أن الله لا يغير ما بقوم )  
من العافية والنعمة ( حتى )  
يغيروا ما بأنفسهم ( من الحال )  
الجميلة بكثرة المصاحي ( وإذا )  
أراد الله بقوم سوءاً ( عذاباً )  
( فلا مرد له ) فلا يدفعه شيء

المقادير ( أن الله لا يغير ما بقوم )  
من أمن ونعمة ( حتى يغيروا )  
ما بأنفسهم ( بترك الشكر )  
( وإذا أراد الله بقوم سوءاً )  
عذاباً وهلاكاً ( فلا مرد له )  
لقضاء الله فيهم



(ومالهم من دونه من وال) من دون الله بمنى إلى أمرهم ويدفع عنهم (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا) انتصبا على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع أو من مخاطبين أى خائفين وطماعين والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع { الجزء الثالث عشر } في التثنية قال ﴿ ٤٧٦ ﴾ أبو الطيب متى كالسحاب الجبون

يخشى ويرتجى ويرجى الحيا منه ويخشى الصواعق أو يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينفع أهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له نفع فيه (وينشئ السحاب) هو اسم جنس والواحدة سحابة (الثقال) بالماء وهو جمع ثقيلة تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال (ويسمى الرعد بحمده) قيل يسمى سامو الرعد من العباد الراجلين للمطر أى يصيحون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والصوت الذي يسمع زجره السحاب حتى ينتهى إلى حيث أمر (والملائكة من خيفته) ويسمى الملائكة من هيته واجلاله

﴿ومالهم من دونه من وال﴾ بمنى إلى أمرهم في دفع عنهم السوء وفيد دلائل على أن خلاف مراد الله تعالى محال ﴿هو الذي يريكم البرق خوفا﴾ من اذاه ﴿وطمعا﴾ في التثنية وانتصبا بما على العلة بتقدير المضاعف أى إرادة خوف وطمع أو التأويل بالاختاف والاطماع أو الحال من البرق أو مخاطبين على اهتمام ذوا واطلاق المصدر بمعنى المفعول أو الفاعل للبيان وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه ﴿وينشئ السحاب﴾ التميمي المنسحب في الهواء ﴿الثقال﴾ وهو جمع ثقيلة أعنا وصف به السحاب لأنه اسم جنس في معنى الجمع ﴿ويسمى الرعد﴾ ويسمى سامو ﴿بحمده﴾ ملتبس به فيصيحون بسبحان الله والحمد لله أو يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رجليه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك مؤكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب ﴿والملائكة من خيفته﴾

يعنى لا يقدر أحد أن يرد ما أنزل الله بهم من قضاء وقدره ﴿ومالهم من دونه من وال﴾ يعنى وليس لهم من دون الله من والى إلى أمرهم ونصرهم ويمنع العذاب عنهم ﴿قوله عز وجل﴾ هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا ﴿لما خوف الله عز وجل عباده بقوله﴾ وإذا أراد الله بقوم سوءا ذكر في هذه الآية من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجه ويشبه العذاب من وجه فقال تعالى هو الذي يعنى هو الله الذي يريكم البرق والبرق معروف وهو لمان يظهر من خلال السحاب وفى كونه خوفا وطمعا وجوه الأول أن عند لسان البرق يخاف من الصواعق ويطمع في نزول المطر الثاني أنه يخاف من البرق من يضره بالمطر كالمسافر ومن في جريته يعنى يبدده الثمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له في نزول المطر نفع كالزراع ونحوه الثالث أن المطر يخاف منه إذا كان في غير مكانه وزمانه ويطمع إليه إذا كان في مكانه وزمانه فان من البلاد ما إذا أمطرت تحطت وإذا لم تخطر أخسبت ﴿وينشئ السحاب الثقال﴾ يعنى بالمطر يقال أنشأ الله السحابة فنشأت أى أبدأها فبدت والسحاب جمع سحابة والسحاب غمر بالماء قاله على بن أبى طالب رضى الله عنه وقيل السحاب القيم فيه ماء أو لم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالي من الماء وأصل السحاب الجمر وسمى السحاب سحابا أما لجر الریح له أو لجره الماء أو لانهجراره في سيرة ﴿ويسمى الرعد بحمده﴾ أكثر المفسرين على أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه وأورد على هذا القول ما عطف عليه وهو قوله ﴿والملائكة من خيفته﴾ وإذا كان المظوف مقابرا للمطوف عليه وجب أن يكون غيره وأجيب عنه أنه لا يبعد أن يكون الرعد اسما للملك من الملائكة وإنما أفرده

(ومالهم) لمن أراد الله هلاكهم (من دونه) من دون الله (من وال) من

مانع من عذاب الله ويقال من ملجأ يلجئون إليه (هو الذي يريكم البرق) (خوفا) للمسافر بالمطران (بالذكر) تبتل ثيابه (وطمعا) للمقيم أن يسقى حرثه (وينشئ) يخلق ويرفع (السحاب الثقال) بالمطر (ويسمى الرعد بحمده) بأمره وهو ملك ويقال صوت السماء (والملائكة) وتسمى الملائكة (من خيفته) وهم خائفون من الله

(ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) ﴿٤٧٧﴾ الصاعقة نار { سورة الرعد } تسقط من السماء لاذكر عمله

النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والباطن عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته قال ( وهم يحادلون في الله ) يعني الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه من القدرة على البعث وإعادة الخلق يقولهم من يحيى العظام وهي رميم ويردون الوجدانية باتخاذ الشركاء ويجعلونه بعض الاجسام يقولهم الملائكة بنات الله والواو للحال أي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان أربد أخليد ابن ربيعة الماسري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع طامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله طامرا بقذبة كفدة البعير وموت في بيت سلوية وأرسل على أربد صاعقة فقتله أخبرني عن ربنا أن نحاس هو أم من حديد

(ويرسل الصواعق) يعني النار (فيصيب بها من يشاء) فيهلك بالنار من يشاء يعني زيد بن قيس أهلكه الله بالنار وأهلك صاحبه

طامر بن الطفيل بطعنة في خاصرته (وهم يحادلون) يخاضعون (في الله) في دين الله مع محمد صلى الله عليه وسلم

من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ فيهلكه ﴿وهم يحادلون في الله﴾ حيث يكذبون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يصفه من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية وامادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد بالذكر تشریفه على غيره من الملائكة فهو كقوله وملائكته وجبريل وميكال قال ابن عباس أقبلت يهودا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقه بها حيث يشاء الله قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع قال زجر السحاب حتى تنتهي حيث أمرت قالوا صدقت أخرجه الترمذي مع زيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو في الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا وأراد به هنا آلة تزجر بها الملائكة السحاب وقد جاء تفسيره في حديث آخر وهو صوت من نور تزجر الملائكة به السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابه صاعقة فعلى دينه وكان عبد الله بن الزبير اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده وملائكته من خيفته وكان يقول ان الوعيد لاهل الارض شديد وفي بعض الاخبار ان الله تعالى يقول لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وان يحور الماء في نقرة اجماعه وانه يسبح الله فإذا سبح لا يبقى ملك في السماء الا رفع صوته بالتسبيح فتندما ينزل المطر وقيل ان الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد يسبح الله عز وجل لان التسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه الله عز وجل عن جميع النقائص ووجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليل على وجود موجود خالق قادر متعال عن جميع النقائص وان لم يكن ذلك في الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وان من شيء الا اسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد أن من سمعه سجد لله فلهذا المعنى أضيف التسبيح اليه وقوله والملائكة من خيفته يعني ويسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيته وخشيته وقيل المراد بهذه الملائكة أعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب أعوانا من الملائكة وهم خائفون خاضعون طائعون وقيل المراد بهم جميع الملائكة وحله على الصوم أولى ﴿ويرسل الصواعق﴾ جمع صاعقة وهي العذاب النازل من البرق فيحترق من تصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجحوش يكون فيه نار أو عذاب أو موت وهي في ذاتها شيء واحد وهذه الاشياء الثلاثة تنشأ منها ﴿فيصيب بها﴾ يعني بالصواعق ﴿من يشاء﴾ يعني فيهلك بها كما أصاب أربد بن ربيعة قال محمد الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذافر ﴿وهم يحادلون في الله﴾ يعني يخاضعون في الله وقيل المحادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل اذا حكمت قتله نزلت

في الخصومة من الجدل وهو القتل والواو اما العطف الجملة على الجملة فانه روى ان  
حاصر بن الطفيل واربدين ربيعة اخا ليبدو قد اعلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدين  
لقتله عليه السلام فاختذه عاصر بالمجادلة ودار اربدين من خلقه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول  
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربدين صاعقة فقتله  
ورعى عاصرا بنده فمات في بيت سلوية وكان يقول عدة كعدة البعير وموت في بيت سلوية  
فقتلت وهو شديد المحال المحالة والمكايبة لاعدائه من محل فلان بفلان اذا كايد  
وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القسط وقيل  
فقال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعول من الحول أو الحيلة اعل على غير قياس وبعضه انه  
قرى بفتح الميم على انه مفعول من حال يحول اذا احتال ويحوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون

في شأن اربدين ربيعة حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم عم ربك أمن درأ من ياقوت أم من ذهب  
فقتلت صاعقة من السماء فأحرقتة وسئل الحسن عن قوله ويرسل الصواعق الآية فقال كان  
رجل من طواغيت العرب بمثاليه النبي صلى الله عليه وسلم نفر من أصحابه يدعونه الى الله  
والى رسوله فقال لهم أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعونى اليه هل هو من ذهب  
أو فضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم كلامه فأنصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا  
يا رسول الله ما رأينا رجلا أكفر قلبا ولا أعق على الله منه فقال ارجعوا اليه فرجموا اليه  
فلم يزدحم على مقاتته الاولى شيأ بل قال أجيب محمدا الى رب لأراه ولا أعرفه فأنصرفوا  
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقاتته الاولى شيأ  
بل قال أخبرت فقال ارجعوا اليه فرجموا اليه فينماهم عنده يدعونه ويتنازعونه وهو  
لا يزيدهم على مقاتته شيأ اذ ارتفعت صحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت  
ورمت بصاعقة فأحرقت الكافروهم جلوس عنده فرجموا ليخبروا النبي صلى الله  
عليه وسلم فلما رجموا استقبالهم نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم  
احترق صاحبكم قالوا من أين علمت ذلك قالوا قد أوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم  
ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله واختلفوا في هذه الواو  
فقيل واوالحال فيكون المعنى فيصيب بها من يشاء في حال جداله في الله وذلك ان  
اربديا جادل في الله أهلكه الله بالصاعقة وقيل انها واوالاستئناف فيكون المعنى انه  
تعالى لما تم ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال  
أى شديد الاخذ بالعقوبة من قولهم يحمل به محلا اذا أراد به سوءا وقيل هو من  
قولهم يحمل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك وتمحل اذا تكلف استعمال  
الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى انه سبحانه وتعالى شديد المحال باعدائه حتى يهلكهم  
بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه وقيل المحل من الحول وهو الحيلة والميم زائدة ثم اختلفت  
عبارات المفسرين في معنى قوله شديد المحال فقال الحسن معناه شديد النعمة وقال مجاهد وقتادة  
شديدا القوة وقال ابن عباس شديدا الحول وقيل شديدا العقوبة وقيل معناه شديدا الجدل وذلك

( وهو شديد المحال ) أى  
المحالة وهى شدة المحاكمة  
والمكايبة ومنه تمحل لكذا  
اذا تكلف لاستعمال الحيلة  
واجتهد فيه ومحل بفلان  
اذا كاده وسعى به الى  
السلطان والمعنى انه شديد  
المكر والكيد لاعدائه  
يأتهم بالهلكة من حيث  
لا يحتسبون

( وهو شديد المحال )  
شديدا العقاب

(له دعوة الحق) أنشئت إلى الحق الذي هو ضد الباطل للدلالة على أن الدعوة ملازمة للحق وانها بمنزل من الباطل والحق  
 أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعي سؤاله فكانت دعوة ملازمة للحق لكونه حقيقاً بأنه يوجه إليه الدعاء لما  
 في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ﴿ ٤٧٩ ﴾ ما لا يتنفع ﴿ سورة الرعد ﴾ ولا يجدى دعاؤه واتصل شديد

الحال وله دعوة الحق عاقبه  
 على قصة أربد ظاهر لان  
 أصابته بالصاعقة محال من الله  
 ومكره من حيث لم يشتر  
 وقد دعا رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم عليه وعلى صاحبه  
 بقوله اللهم اخسفهما بما  
 شئت فاجيب فيهما فكانت  
 الدعوة دعوة حق وعلى  
 الاول وعيد للكفرة على  
 مجادلتهم رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم بحلول محاله  
 بهم واجابة دعوة رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فهم ان  
 دعا عليهم (والذين يدعون)  
 والآلهة الذين يدعوه  
 الكفار (من دونه) من دون  
 الله (لا يستجيبون لهم بشئ)  
 من طلباتهم (الا كباطس  
 كفيه الى الماء ليبلغ فاه) الاستثناء  
 من المصدر أى من الاستجابة  
 التي دل عليها لا يستجيبون  
 لان الفعل بحروفه يدل على  
 المصدر وبصيغته على الزمان  
 وبالضرورة على المكان  
 والحال فجاز استثناء كل منها  
 من الفعل فصار التقدير  
 لا يستجيبون استجابة  
 الاستجابة كاستجابة باسط

مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموسا احدى (له دعوة الحق) الدعاء الحق  
 فانه الذي يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته دون غيره أو له الدعوة المحجبة فان من دعاء احباب  
 ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واصافة الدعوة اليه لما بينهما  
 من الملازمة أو على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق  
 والمراد بالجلتين ان كانت الآية في عامر واربدان احلا كهما من حيث لم يشعرا به محال  
 من الله اجابة لدعوة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم أو دلالة على انه على الحق وان كانت  
 طامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم  
 باجابة دعاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم أو بيان ضلالهم وفساد رأيهم ﴿ والذين  
 يدعون ﴾ أى والاصنام الذين يدعوه المشركون فحذف الراجع أو والمشركون الذين يدعون  
 الاصنام فحذف المفعول للدلالة ﴿ من دونه ﴾ عليه ﴿ لا يستجيبون لهم بشئ ﴾ من الطلبات  
 ﴿ الا كباطس كفيه ﴾ الاستجابة كاستجابة من بسط كفيه ﴿ الى الماء ليبلغ فاه ﴾ يطلب منه ان يبلغه

انه لما أخبر عنهم أنهم يجادلون في الله أخبر أنه أشد جدا لانهم ﴿ قوله تعالى ﴾ له دعوة الحق ﴿  
 يعنى لله دعوة الصديق قال على دعوة التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا اله الا الله قال صاحب  
 الكشف دعوة الحق فيها وجهان احدهما أن تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض  
 الباطل كاتضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملازمة للحق  
 مختصة به وانها بمنزل من الباطل والمعنى ان الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى  
 الداعي سؤاله ان كان مصطلحه فكانت دعوة ملازمة للحق لكونه حقيقاً بأن يوجه اليه  
 الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا تنفع فيه ولا جدوى فيه فدعاه الثاني  
 ان تضاف الى الحق الذي هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن  
 الحسن الله هو الحق وكل دعاء اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين  
 عاقبهما قلت ما على قصة أربد فظاهر لان أصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم فانه دعا عليه وعلى صاحبه عامر بن طفيل فاجيب فيهما فكانت الدعوة  
 دعوة حق وأما على قوله وهم يجادلون في الله فوعيد للكفار على مجادلتهم رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم واجابة دعائه أن دعا عليهم وقيل في معنى الآية الدعاء بالاخلاص والدعاء  
 الخالص لا يكون الا لله تعالى ﴿ والذين يدعون من دونه ﴾ يعنى والذين يدعونهم آلهة  
 من دون الله وهى الاصنام التي يعبدونها ﴿ لا يستجيبون لهم بشئ ﴾ يعنى لا يحييئونهم  
 بشئ يريدونه من نفع أو دفع ضرر ان دعوهم ﴿ الا كباطس كفيه الى الماء ليبلغ فاه

كفيه الى الماء أى كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جاد لا يشعر بسط كفيه ولا يعطشه وحاجته اليه ولا يقدر  
 أن يجيب دعائه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جاد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابته ولا يقدر على نفعهم واللام في ليبلغ متعلق بباسط  
 (له دعوة الحق) دين الحق شهادة أن لا اله الا الله وهى كلمة الاخلاص (والذين يدعون) يعبدون (من دونه) من دون الله  
 (لا يستجيبون لهم بشئ) ينفع ان دعوهم (الا كباطس كفيه) الا كاديديه (الى الماء) من بعد (ليبلغ فاه) لكي يبلغ

﴿ وما هو ببالقه ﴾ لانه جاد لا يشرب بدعائه ولا يقدر على اجابته والايان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يقترب الماء ليشربه فيسقط كفيه ليشربه موقري تدعون بالثاء وباسط بالتون ﴿ وما دعاء الكافرين الا في ضلال ﴾ في ضياع وخسارة وباطل ﴿ والله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها ﴾ يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حالة الشدة والضرورة

وما هو ببالقه ﴿ يعني الاستجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جاد لا يشرب ببسط كفيه ولا بهطشه ولا يقدر أن يجيب دعوته أو يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جاد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابته ولا يقدر على تفهمهم وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن اراد أن يعرف الماء بيديه ليشربه فيسقطهما ناشرا أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وقيل ان القابض على الماء ناشرا أصابعه لا يكون في يده منه شيء ولا يبلغ الى فيه منه شيء كذلك الذي يدعو الاصنام لانها لا تقصر ولا تنفع ولا يفيد منها شيء وقيل شبه بالرجل العطشان الذي يرى الماء من بعيد بعينه فهو يشير بكفيه الى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبدا هذا معنى قول مجاهد وعن عطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو عبيده الى البئر فلا هو يبلغ الى قعر البئر ليخرج الماء ولا الماء يرتفع اليه فلا ينفعه بسطه الكف الى الماء ودعاؤه ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه في الماء لا ينفعه ذلك ما لم يعرف بهما من الماء ولا يبلغ الماء فاه مادام باسط كفيه وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار ودعائهم الاصنام حين لا ينفعهم البتة ﴿ ثم ختم هذا بقوله ﴾ وما دعاء الكافرين ﴿ يعني أصنامهم ﴾ (الافى ضلال) ﴿ يعني يضل عنهم اذا احتاجوا اليه قال ابن عباس في هذه الآية أصواتهم محبوبة عن الله تعالى ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ والله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها ﴾ في معنا هذا السجود قولان أحدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول في معنى الآية وجهان أحدهما ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص فقوله ﴿ والله يسجد من في السموات يعني الملائكة ومن في الارض من الانس يعني المؤمنين طوعا وكرها يعني من المؤمنين من يسجد لله طوعا وهم المؤمنون المخلصون لله العبادة وكرها يعني المنافقين الداخلين في المؤمنين وليسوا منهم فان سجدوا لله على كره منهم لانهم لا يرجون على سجدتهم ثوابا ولا يخافون على تركه عقابا بل سجدوا لله وعبادتهم خوف من المؤمنين الوجه الثاني هو حل اللفظ على السموم وعلى هذا في اللفظ اشكال وهو ان جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم واما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهذا وجه الاشكال والجواب عنه ان المعنى انه يجب على كل من في السموات ومن في الارض أن يسجد لله فعبادته بالوجوب عن الوقوع والحصول وجواب آخر وهو أن يكون المراد من هذا السجود هو الاعتراف

كفيه (وما هو ببالقه) وما الماء يبلغ فاه (وما دعاه الكافرين الا في ضلال) في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يحجبهم وان دعوا الاصنام لم تستطع اجابتهم ( والله يسجد من في السموات والارض ) سجدوا تعبد واثقياد (طوعا) حال يعني الملائكة والمؤمنين ( وكرها ) يعني المنافقين والكافرين في حال الشدة والضيق

الماء الى فيه (وما هو ببالقه) بتلك الحال الماء الى فيه أبدا يقول كما لا يبلغ الماء فاهذا الرجل كذلك لا تنفع الاصنام من عبدها (وما دعاه الكافرين) (عبادة الكافرين) (الافى ضلال) في باطل يضل عنهم ( والله يسجد ) يصل ويصعد ( من في السموات ) من الملائكة ( والارض ) من المؤمنين (طوعا) أهل السماء لان عبادتهم بغير مشقة ( وكرها ) أهل الارض لان عبادتهم بالمشقة ويقال طوعا لاهل الاخلاص وكرها لاهل النفاق ويقال طوعا لمن ولد في الاسلام وكرها لمن أدخل في الاسلام جبرا

﴿ وظلالهم ﴾ بالعرض وان يراد به اتقيادهم لاحداث ما اراده منهم شأوا أو كرهوا واتقياد ظلالهم لتصرفه إياها بالماء والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال أو العلة وقوله ﴿ بالقدو والآصال ﴾ ظرف لیسجد والمراد بهما الدوام أو حال من الظلال وتخصيص الوقتين لأن الامتداد والتقليص اظهر فيهما والقدو جمع غداة كقفي جمع قفاة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل القدو مصدر ويؤيدنه أنه قرئ بدو الايصال وهو الدخول في الاصيل ﴿ قل من رب السموات والارض ﴾ خالقهما ومتولى امرهما ﴿ قل الله ﴾ اجب عنهم بذلك اذلا جواب لهم سواء ولانه البين

بالنظمة والعبودية وكل من في السموات من ملك ومن في الارض من أنس وجن فانهم يقرون الله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني في معنى هذا السجود هو الاتقياد والخضوع وترك الامتناع فكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته ناعذة في الكل فهم خاضعون منقادون له ﴿ وقوله تعالى ﴾ وظلالهم بالقدو والآصال ﴿ القدوة والغداة أول النهار وقيل الى نصف النهار والقدو بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والآصال جمع أصل وهو العشية والآصال العشيا جمع عشية وهي ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ان ظل كل شخص يسجد لله سواء ظل المؤمن والكافر وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري لا يبعد أن يخلق الله تعالى للظلال عقولا وأفهاما تسجد بها وتخشع كما جعل للبيان أهما حق سجدت لله مع داود وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب آخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص القدو والآصال بالذكر لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما

### فصل

وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة والله أعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ قل من رب السموات والارض ﴿ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعنى من مالِك السموات والارض ومن مدبرهما وخالقهما فيقولون الله لانهم مقرون بأن الله خالق السموات وما فيها والارض وما فيها فاذا أجابوك بذلك ققل أنت يا محمد الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا أجب أنت فامر الله أن يجيبهم بقوله ﴿ قل الله ﴾ أى قل يا محمد الله وقيل انما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون ان الله خالق كل شيء فلم ينكروا ذلك وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الله فكأنهم قالوا ذلك أيضا ثم أنزلهم الحجة على عبادتهم الاصنام

( وظلالهم ) مطوف على من  
جمع ظل ( بالقدو ) جمع غداة  
كقفي وقفاة ( والآصال ) جمع  
اصل جمع اصيل قيل ظل كل شيء  
يسجد لله بالقدو والآصال  
وظل الكافر يسجد كرها  
وهو كاره وظل المؤمن  
يسجد طوعا وهو طائع  
( قل من رب السموات  
والارض قل الله ) حكاية  
لاعترافهم لانه اذا قال لهم  
من رب السموات والارض  
لم يكن لهم بد من أن يقولوا  
الله دليله قراءة ابن مسعود  
وأبى قالوا الله أو هو تلقين  
أى فان لم يجيبوا فلقمهم فانه  
لاجواب الا هذا

( وظلالهم ) ظلال من يسجد  
لله أيضا تسجد ( بالقدو  
والآصال ) غداة وعشية  
غداة عن أيانهم وعشية  
عن شمائلهم ( قل ) يا محمد  
لاهل مكة ( من رب ) من  
خالق ( السموات والارض )  
فان أجابوك وقالوا الله والا  
( قل الله ) خالقهما

( قل أفاتخذتم من دونه أولياء ) أبعد أن علموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه آلهة ( لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ) لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا ضرر أفعالهم كيف يستطيعونه انفسهم وقد آثرتمهم على الخالق الرازق المشيب المعاقب فأبين ضلالتكم { الجزء الثالث عشر } ( قل هل يستوى الاعمى والبصير ) أى الكافر

الذى لا يمكن المراء فيه أو لقنهم الجواب به ﴿ قل أفاتخذتم من دونه ﴾ ثم ألزمهم بذلك لأن اتخذهم مكر بعيد عن مقتضى العقل ﴿ أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ﴾ لا يقدرون على أن يجلبوا اليها نفعا أو يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون اقناع الخبير ودفع الضرر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم أولياء رجاء أن يشفعوا لهم ﴿ قل هل يستوى الاعمى والبصير ﴾ المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على أحوالكم ﴿ أم هل تستوى الظلمات والنور ﴾ الشرك والتوحيد • وقرأ جزءه والكسائي وابوبكر بالياء ﴿ أم جعلوا لله شركاء ﴾ بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله ﴿ خلقوا كخلقك ﴾ صفة لشركاء داخلية في حكم الانكار ﴿ فتشابه الخلق عليهم ﴾ خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق

بقوله ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد للمشركين ﴿ أفاتخذتم من دونه ﴾ يعنى من دون الله ﴿ أولياء ﴾ يعنى الاصنام والولى الناصر والمعنى توليتهم غير رب السموات والارض واتخذتمهم انصارا يعنى الاصنام ﴿ لا يملكون ﴾ يعنى وهم لا يملكون ﴿ لأنفسهم نفعا ولا ضرا ﴾ فكيف لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام والمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى ﴿ هل يستوى الاعمى والبصير ﴾ قال ابن عباس يعنى المشرك والمؤمن ﴿ أم هل تستوى الظلمات والنور ﴾ يعنى الشرك والايان والمعنى كما لا يستوى الاعمى والبصير كذلك لا يستوى الكافر والمؤمن وكما لا تستوى الظلمات والنور كذلك لا تستوى الكفر والايان وانما شبه الكافر بالاعمى لان الاعمى لا يهتدى سبيلا كذلك الكافر لا يهتدى سبيلا ﴿ أم جعلوا لله شركاء ﴾ هذا استفهام انكار يعنى جعلوا لله شركاء ﴿ خلقوا كخلقك ﴾ يعنى خلقوا سموات وأرضين وشمساً وقرأ وجبالا وبحارا وجنا وانسا ﴿ فتشابه الخلق عليهم ﴾ من هذا الوجه والمعنى هل رأوا غير الله خالق شياً فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وبجهم بقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا خلقا مثل خلاقه فتشابه خالق الشركاء بخلق الله عندهم وهذا لاستفهام انكارى أى ليس الامر كذلك حتى يشبه عليهم الامر بل اذا تفكروا بقولهم وجدوا الله تعالى هو المفرد بخلق سائر الاشياء والشركاء مخلوقون له أيضا لا يخلقون شياً حتى يشبه خلق الله بخلق الشركاء واذا كان الامر كذلك فقد

والمؤمن أو من لا يبصر شياً ومن لا ينجى عليه شئ ( أم هل تستوى الظلمات والنور ) مثل الكفر والايان يستوى كوفى غير حفص ( أم جعلوا لله شركاء ) بل أجعلوا ومعنى الهمزة الانكار ( خلقوا كخلقك ) خلقوا مثل خلقه وهو صفة لشركاء أى انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خالق الله ( فتشابه الخلق عليهم ) فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبدونكم واتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق

( قل ) يا محمد ( أفاتخذتم ) عبدتم ( من دونه ) من دون الله ( أولياء ) أربابا من الآلهة ( لا يملكون لأنفسهم نفعا ) جراً للفع ( ولا ضرا ) دفع الضرر ( قل ) لهم يا محمد ( هل

يستوى الاعمى والبصير ) الكافر والمؤمن ( أم هل تستوى الظلمات والنور ) يعنى الكفر والايان ( لزمهم ) ( أم جعلوا لله ) وصفوا لله ( شركاء ) من الآلهة ( خلقوا ) خلقا ( كخلقك ) كخلاق الله ( فتشابه الخلق ) فتشابه كل الخلق ( عليهم ) فلا يبدرون خلق الله من خلق آلهتهم

(قل الله خالق كل شيء)

أي خالق الاجسام والاعراض لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة ومن قال ان الله لم يخلق أصلاً الخلق وهم خلقوها فتشابه الخلق على قولهم ( وهو الواحد ) المتوحد بالربوبية ( القهار ) لا يقالب وماعداه مروب ومقهور ( أنزل ) أي الواحد القهار وهو الله سبحانه ( من السماء ) من الحجاب ( ماء ) مطرا ( فسالت أودية ) جمع واد وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة وأما نكر لان المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الارض دون بعض ( بقدرها ) بمقدارها الذي علم الله انه نافع للمطور عليهم غير ضار

(قل) يا محمد (الله خالق كل شيء) بآئن منه لا آلهة الا الله (هو الواحد القهار) الغالب على خلقه ثم ضرب مثل الحق والباطل فقال (أنزل من السماء ماء) يقول أنزل جبريل بالقرآن وبين فيه الحق والباطل (فسالت أودية بقدرها) فاحتملت القلوب المنورة الحق بقدر سعتها ونورها

(قل الله خالق كل شيء) أي لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم فاه عا سواه ليدل على قوله (وهو الواحد) المتوحد بالالهية (القهار) الغالب على كل شيء (أنزل من السماء ماء) من السحاب أو من جانب السماء أو من السماء نفسها فان المبادئ منها (فسالت أودية) انها رجعت واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فأتسع فيه واستعمل للماء الجارى فيه وتنكبرها لان المطر يأتي على تناوب بين البقاع (بقدرها) بمقدارها الذي علم الله تعالى انه نافع غير ضار أو بمقدارها في الصغر والكبر

لزمهم الحجة وهو قوله تعالى (قل الله خالق كل شيء) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الله خالق كل شيء مما يصح ان يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شيء من السموم الذي يراد به الخصوص لان الله تعالى خلق كل شيء وهو غير مخلوق (وهو الواحد) يعني والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الاشياء كلها (القهار) لعباده حتى يدخلهم تحت قضائه وقدره واراذه وقوله عز وجل (أنزل من السماء ماء) لما شبه الله عز وجل الكافرين بالاعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايان بالنور ضرب لذلك مثلاً فقال تعالى أنزل من السماء ماء يسقى المطر (فسالت أودية بقدرها) أودية جمع واد وهو المخرج بين الجبلين يسيل فيه الماء وقوله فسالت أودية فيه اتساع وحذف تقديره فسال في الوادي فهو كما يقال جرى النهر والمراد جرى الماء في النهر فحذف في دلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد بعثها وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل بمقدار ماؤها وانما نكر أودية لان المطر اذا نزل لا يجم جميع الارض ولا يسيل في كل الأودية بل ينزل في أرض دون أرض ويسيل في واد دون واد فلهذا السبب جاء هذا بالتنكير وقال ابن عباس أنزل من السماء ماء يعني قرآنا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسالت أودية بقدرها يريد بالأودية القلوب شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر اذا نزل عم نفعه وكذلك نزول القرآن وشبه القلوب بالأودية لان الأودية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب يستكن فيها الايمان والعرفان ببركة نزول القرآن فيها وهذا خاص بالمؤمنين لانهم الذين انشقوا بنزول القرآن (ق) عن أبي موسى الاشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى انما هي قيان لامسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعمل وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله وغيره في معنى هذا الحديث وشرحه أما الكلأ فبالهمز يقع على الرطب واليابس من الحشيش وأما قوله وكان منها أجادب فبالجيم والدال المهملة والباء الموحدة كذا في الصحاح وهي الارض التي لا تنبت الكلأ



(فاحتمل السيل) أي رفع (زبدًا) هو ماء علا على وجه الماء من الرغوة والمعنى علاه زبد (رأيا) متفخما رتفاعا على وجه السيل (و) توقدون عليه (و) بإياد كوفي { الجزء الثالث عشر } غيا بى بكر ٤٨٤ ومن لا ابتداء الفاية أى ومنه يشأ زبد

﴿ فاحتمل السيل زبدا ﴾ رفعه والزبد وضرا القليان ﴿ رأيا ﴾ عاليا ﴿ وماتوقدون عليه في النار ﴾ يم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ﴿ ابتغاء حلية ﴾ أى طلب حلى ﴿ أو متاع ﴾ كالآواني والآلات الحرب والحرف والمقصود من ذلك بيان منافعها ﴿ زبد مثله ﴾ أى وماتوقدون عليه

جمع جذب على غير قياس وقياسه أجذب وأجذب ضد الخصب وقال الخطابي هي التي تمسك الماء ولم يسرع فيه الضوب وفي رواية الهروي اخذات بالماء المجهمة والذال المجهمة جمع اخذات وهي القدير الذي يمسك الماء وقوله ورعوا كذا هو في صحيح مسلم من الرعي ووقع في صحيح البخاري وزرعوا بزيادة زاء من الزرع والقيمان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوى من الارض وقوله فذلك مثل من فقه في دين الله يروى بضم القاف وهو المشهور وروى بكسرها ومعناه فهم الاحكام وأما معنى الحديث ومقصوده فهو ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى والعلم بالارض التي اصابها المطر قال العلماء والارض ثلاثة أنواع وكذلك الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من انواع الارض الطيبة التي تنتفع المطر فتنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك وكذلك النوع الاول من الناس من يبلغه الهدى وغير ذلك من العلم فيصي به قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلم غيره فينتفع به وينفع غيره قال مسروق صحبت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالاخذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم عارزقت من صفاء الفهوم النوع الثاني من أنواع الارض أرض لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة لغيرها وهي امساك الماء لغيرها فينتفع به الناس والدواب وكذلك النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليس لهم أفهام ثاقبة فيبقى ما عندهم من العلم حتى يحس الحاجة اليه المتعطل لما عندهم من العلم فيأخذ منهم فينتفع به هو وغيره النوع الثالث من أنواع الارض أرض سبخة لا تنبت سرحى ولا عسك ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا أفهام ثاقبة فاذا بلغهم شيء من العلم لا يتفنون به في انفسهم ولا ينفعون غيرهم والله أعلم وقوله تعالى ﴿ فاحتمل السيل زبدا ﴾ الزبد ما يعلو على وجه الماء عند الزيادة كالطبيب وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذي حدث من ذلك الماء زبدا ﴿ رأيا ﴾ يعنى تاليا مرتقا فوق الماء طافيا عليه وهنا تم المثل ثم ابتداء بمثل آخر فقال تعالى ﴿ وماتوقدون عليه في النار ﴾ الايقاد جعل الحطب في النار لتقد تلك النار تحت الشيء ليدوب ﴿ ابتغاء حلية ﴾ يعنى لطلب زينة والضمير في قوله عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكونا مذكورين لان الحلية لا تطلب الا منهما ﴿ أو متاع ﴾ يعنى أول طلب متاع آخر ما ينتفع به كالخشب والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب وتتخذ منه الآواني وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما يجمع به ويقال لكل ما ينتفع به في البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الآواني متاع ﴿ زبد مثله ﴾ يعنى ان ذلك الذي يوقد

زبد الماء أى للتبويض أى وبعضه زبد (في النار) حال من الضمير في عليه أى وما توقدون عليه تابا في النار (ابتغاء حلية) مبتغين حلية فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في توقدون (أو متاع) من الحديد والنحاس والرصاص يتخذ منها الآواني وما يقع به في الحضر والسفر وهو مطوف على حلية أى زينة من الذهب والفضة (زبد) خبث وهو مبتدا (مثله) نعت له وما توقدون خبر له أى لهذه الفلزات اذا أغليت زبد مثل زبد

(فاحتمل السيل) القلوب المظلمة (زبدًا رأيا) باطلا كثيرا بخواها (وماتوقدون عليه في النار) وهذا مثل آخر يقول وما تطرحون في النار من الذهب والفضة فيه خبث مثل زبد البحر الملح (ابتغاء) طلب (حلية) تلبسونها يقول مثل الحق مثل الذهب والفضة ينتفع بهما كذلك الحق ينتفع به صاحبه ومثل الباطل مثل خبث الذهب والفضة لا ينتفع به كذلك لا ينتفع

بالباطل صاحبه (أو متاع) أو حديد أو نحاس (زبد مثله) يقول يكون له خبث أى مثله مثل زبد الماء وهذا مثل (عليه) آخر يقول مثل الحق كمثل الحديد والنحاس ينتفع بهما فكذلك الحق ينتفع به صاحبه ومثل الباطل كمثل

الماء (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أى مثل الحق والباطل (فأما الزبد فيذهب جفاء) حال أى متلاشي وهو ما تقلده القدر عند القايان والبحر عند الطغيان والجحش الرمي وجفوت الرجل صرعه (وأما ما ينفع الناس) من الماء والحل والاونى (فيمكث في الأرض) يثبت الماء في العيون والآبار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تبقى في الأرض مدة طويلة (كذلك يضرب الله الأمثال) ليظهر الحق من الباطل وقيل هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيمحبون به وينفعهم بأنواع المنافع وبالفلز الذي يتفجعون به في صوغ الحلى منه واتخاذ الاواني والآلات المختلفة وذلك ما كثر في الأرض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في مناعه وكذلك الجواهر تبقى أزمنة مطولة ونحوه ﴿ ٤٨٥ ﴾ الباطل في سرعة {سورة الرعد} اضمحلاله ووشك زواله

زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن الابتداه أو التبويض وقراءة جزء والكسائي وحفص بالياء على أن الضمير للناس واضماره للملح به ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾ مثل الحق والباطل فإنه مثل الحق في أقادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به أنواع المنافع ويمكث في الأرض بأن يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والتقى والآبار وبالفلز الذي يتفجع به في صوغ الحلى واتخاذ الأمثلة المختلفة ويدوم ذلك مدة مطولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبد هما وبين ذلك بقوله ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ﴾ يحذفه أن يرى به السيل أو الفلز المذاب واتصافه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد ﴿ وأما ما ينفع الناس ﴾ كالماء وخلاصة الفلز ﴿ فيمكث في الأرض ﴾ ينفع به أهلها ﴿ كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ لا يوضح المشتبهات

عليه في النار إذا أذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء فالصافي من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي يتفجع به وهو مثل الحق والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي لا يتفجع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾ فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد الطافي الذي لا ينفع به وهو قوله ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ﴾ يعنى ضائما باطلا والجفاء ما رمى به الوادي من الزبد إلى جوانبه وقيل الجفاء المفرق يقال جفأت الرع القيم إذا فرقه والمعنى أن الباطل وإن علا في وقت فانه يضمحل ويذهب ﴿ وأما ما ينفع الناس ﴾ يعنى الماء الصافي والجوهر الجيد من هذه الأجسام التي تذاب ﴿ فيمكث في الأرض ﴾ يعنى يثبت ويبقى ولا يذهب ﴿ كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ قال أهل التفسير والمعاني هذا مثل ضربه الله للحق والباطل فالباطل وإن علا على الحق في بعض الأوقات والأحوال فان الله يحرقه ويبطله ويحمل العاقبة للحق وأهله كالزبد الذي يعلو على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافي

المدة بالإخلاص المدة للخلاص فان الأعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كان تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع في الحرب وأما الزبد فالرياء والحلل والملل والكسل واللام في

حيث الحديد والنحاس لا يتفجع به كما لا يتفجع بنجث الحديد والنحاس (كذلك يضرب الله) بين الله (الحق والباطل) فأما الزبد فيذهب جفاء) يقول يذهب كاجاء لا يتفجع به فكذلك الباطل لا يتفجع به (وأما ما ينفع الناس) وهو الماء الصافي والذهب والفضة والحديد والنحاس (فيمكث في الأرض) يتفجع به فكذلك الحق يتفجع به (كذلك يضرب الله الأمثال) بين الله أمثال الحق والباطل

حيث الحديد والنحاس لا يتفجع به كما لا يتفجع بنجث الحديد والنحاس (كذلك يضرب الله) بين الله (الحق والباطل) فأما الزبد فيذهب جفاء) يقول يذهب كاجاء لا يتفجع به فكذلك الباطل لا يتفجع به (وأما ما ينفع الناس) وهو الماء الصافي والذهب والفضة والحديد والنحاس (فيمكث في الأرض) يتفجع به فكذلك الحق يتفجع به (كذلك يضرب الله الأمثال) بين الله أمثال الحق والباطل

(الذين استجابوا) أي اجابوا متعلقة بـ يضرب أي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسن) وهي صفة مصدر استجابوا { الجزء الثالث عشر } أي استجابوا ﴿٤٨٦﴾ الاستجابة الحسن (والذين لم يستجيبوا له)

﴿الذين استجابوا﴾ للمؤمنين الذين استجابوا ﴿لربهم الحسن﴾ الاستجابة الحسن ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ وهم الكفرة واللام متعلقة بـ يضرب على أنه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل للمؤمنين الذين استجابوا خبر الحسن وهي المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره ﴿لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لا فتدوا به﴾ وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان ما آل غير المستجيبين ﴿اولئك لهم سوء الحساب﴾ وهو المناقشة فيه بأن يحاسب الرجل بذنبه لا يفر منه شيء ﴿وما واهم﴾ مرجعهم ﴿جهنم وبئس المهاد﴾ المستقر والخصوص بالدم محذوف ﴿أفمن يعلم أن ما أنزل اليك من ربك الحق﴾ فيستجيب

الذي ينفعه به وكذلك الصفو من هذه الجواهر يبقى ويذهب العلو الذي هو الكدر وهو ما ينفيه الكبر عما يذاب من جواهر الأرض كذلك الحق والباطل فالباطل وان علا في وقت فانه يذهب هو وأهله والحق يظهر هو وأهله وقيل هذا مثل للمؤمن واعتقاده وانتفاعه بالايان كمثل الماء الصافي الذي يتنفع به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كالزبد الذي لا يتنفع به البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للنور الذي يحصل في قلوب العباد على ما قسم لها في الازل لان الوادي اذا سال كنس كل شيء فيه من النجاسات والمستقذرات كذلك اذا سال وادي قلب العبد بالنور الذي قسم له على قدر ايمانه ومعرفته كنس كل ظلمة وغفلة فيه فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض يعني يذهب الباطل وهي الاخلاق المذمومة وتبقى الحقائق وهي الاخلاق الحيدة كذلك يضرب الله الامثال ﴿وقوله تعالى﴾ للذين استجابوا لربهم الحسن ﴿قيل اللام في الذين متعلقة بـ يضرب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعني أجابوه الى ما دعاهم اليه من توحيده والايان به وبرسوله ولا كفارين الذين لم يستجيبوا فاعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الامثال للفريقين من المؤمنين والكافرين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال ثم استأنف بقوله للذين استجابوا لربهم الحسن قال ابن عباس وجهور المفسرين يعني الجنة وقيل الحسن هي المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة الحالصة الحالية عن شوائب المضرة والانقطاع ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ يعني الكفار الذين استقروا على كفرهم وشركهم وما كانوا عليه ﴿لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لا فتدوا به﴾ يعني لبدأوا ذلك كله مداء لانفسهم من عذاب النار يوم القيامة ﴿اولئك﴾ يعني الذين لم يستجيبوا لربهم ﴿لهم سوء الحساب﴾ قال ابراهيم النخعي سوء الحساب ان يحاسب الرجل بذنبه كله ولا يفرله منه شيء ﴿وما واهم﴾ يعني في الآخرة ﴿جهنم وبئس المهاد﴾ يعني وبئس ما مد لهم في الآخرة وقيل المهاد الفراش يعني وبئس الفراش يفرش لهم في جهنم ﴿وقوله تعالى﴾ ﴿أفمن يعلم أن ما أنزل اليك من ربك الحق﴾ يعلم ان ما أنزل اليك من ربك الحق ﴿

والكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثالا للفريقين وقوله (لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لا فتدوا به) كلام مبتدأ في ذكر ما أعد للغير المستجيبين أي لو ملكوا أموال الدنيا ملكوا معها مثلها لذلوا ليدفوا عن أنفسهم عذاب الله والوجه أن الكلام قد تم على الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسن مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسن وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لومع ما في جهنم (أولئك لهم سوء الحساب) المناقشة فيه في الحديث من نوقش الحساب عذب (وما واهم جهنم) ومرجعهم بد المحاسبة النار (وبئس المهاد) المكان الممهد والمذموم محذوف أي جهنم دخلت همزة الانكار على الفاء في (أفمن يعلم) الانكار ان تقع شبهة ما بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم (أن ما أنزل اليك من ربك الحق)

(الذين استجابوا لربهم) بالتوحيد في الدنيا (الحسن) لهم الجنة في الآخرة (والذين لم يستجيبوا له) لربهم بالتوحيد (لو أن لهم ما في الأرض)

من الذهب والفضة (جميعا ومثله معه) ضمه معه (لا فتدوا به) لبدأوا به أنفسهم (أولئك لهم سوء الحساب) شدة العذاب (يعني) (وما واهم) مصيرهم (جهنم وبئس المهاد) الفراش والمصير (أفمن يعلم) يصدق (أنما أنزل اليك من ربك) يعني القرآن (الحق) هو

فاستجاب بمنزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله (كن هو أعشى) كعبد ما بين الرتبة والرتبة وانطبت والابرز (انما يتذكر أولوا الالباب) ﴿ ٤٨٧ ﴾ أي الذين عملوا سورة الرعد على قضايا عقولهم فنظروا

واستبصروا (الذين يوفون بعهده الله) مبتدأ والخبر أولئك لهم عقبي الدار كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة وقيل هو صفة لاولي الالباب ولاول أوجه وعهده الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة ربوبيته وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بل (ولا ينقضون الميثاق) ما أوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام والقربات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان أعما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم وافشاء السلام عليهم وعبادة مرضاهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر

﴿ كن هو أعشى ﴾ عشى القلب لا يستبصر فتستجيب والهزمة لانكار ان تقع شبهة في تشابهها بعد ما ضرب من المثل ﴿ انما يتذكر أولوا الالباب ﴾ ذووا العقول المبرات عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم ﴿ الذين يوفون بعهده الله ﴾ بما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى أو ما عهد الله تعالى عليهم في كتبه ﴿ ولا ينقضون الميثاق ﴾ ما أوثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص ﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس

يعنى فيؤمن به ويعمل بما فيه ﴿ كن هو أعشى ﴾ يعنى أعشى البصيرة لا أعشى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في حجة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وأبى جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وأبى جهل فالاول هو حجة أوعار والثاني هو أبو جهل وحل الآية على المسوم اولى وان كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوى من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل بالاعشى لان الاعشى لا يبتدى لرشد وربما وقع في مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يبتديان للرشد وهما واقمان في المهلكة ﴿ انما يتذكر أولوا الالباب ﴾ يعنى انما يتعظ ذوو العقول السليمة الصحيحة وهم الذين يتفكرون بالمواعظ والاذكار ﴿ قوله عز وجل ﴾ الذين يوفون بعهده الله ﴿ يعنى الذى عاهدهم عليه وهو القيام بما امرهم به وفرضه عليهم واصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال وقيل اراد بالعهد ما اخذه على اولاد آدم حين اخرجهم من صلبه واخذ عليهم العهد والميثاق ﴿ ولا ينقضون الميثاق ﴾ بل يوفون به فهو توكيد لقوله الذين يوفون بعهده الله ﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسول يعنى يصل بينهم بالايمان ولا يفرق بين احد منهم والاكثر على ان المراد به صلة الرحم ﴿ عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته او قال يتنه اخرجها بوداود والترمذى (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعني قطع الله (خ) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسطه في رزقه وان ينسأله في اثره فليصل رحمه صلة الرحم مبرة الاهل والاقارب والاحسان اليهم وضده القطع قوله وان ينسأله في اثره الاثرها الاجل وسمى الاجل اثره لانه تابع للحياة وسابقها ومعنى ينسأله يؤخر والمراد به تأخير الاجل وهو على وجهين احدهما ان

لحق (كن هو أعشى) كافر (انما يتذكر) يحفظ بما نزل اليك من القرآن (أولوا الالباب) ذوو العقول من الناس (الذين يوفون بعهده الله) يجمعون فرائض الله (ولا ينقضون الميثاق) لا يتركون فرائض الله (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام ويقال من الايمان بحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن

﴿ويخشون ربهم﴾ وعيده عموماً ﴿ويخافون سوء الحساب﴾ خصوصاً فيما سبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا ﴿والذين صبروا﴾ على ما تكرهه النفس ويخالقه الهوى ﴿ابتغاء وجه ربهم﴾ طلباً لرضاء لا تحزوا وسمة ونحوهما ﴿واقاموا الصلوة﴾ المفروضة ﴿وانفقوا مما رزقناهم﴾ بمضه الذي وجب عليهم اتفاقه ﴿سراً﴾ لمن لم يعرف بالمال ﴿وعلانية﴾

يبارك الله له في عمره فكأنما قد زاد فيه والثاني أن يزيد في عمره زيادة حقيقية والله يفعل ما يشاء (ق) عن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع زاد في رواية قال سفيان يعني قاطع رحم (خ) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من السابق ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل ومثابة في المال ومنسأة في الأثر أخرجه الترمذي وقوله تعالى ﴿ويخشون ربهم﴾ يعني أنهم مع وفائهم بمهد الله وميثاقه والقيام بما أمر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ﴿ويخافون سوء الحساب﴾ تقدم معناه ﴿والذين صبروا﴾ يعني على طاعة الله وقال ابن عباس على أمر الله وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي وقيل حمله على العموم أولى فيدخل فيه الصبر على جميع النوائب والمأمورات من سائر العبادات والطاعات وجميع أعمال البر وترك جميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصي من الحسد والحقد والفتنة وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من الأمراض والمصائب وأصل الصبر حبس النفس عما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما ذكر وإنما قيد الصبر بقوله ﴿ابتغاء وجه ربهم﴾ لأن الصبر ينقسم إلى نوعين الأول الصبر المذموم وهو أن الإنسان قد يصبر ليقال ما أكل صبره وأشد قوته على ما تحمل من النوازل وقد يصبر لثلايب على الجزع وقد يصبر لثلاث تشتم به الإعداء وكل هذه الأمور وإن كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخل تحت قوله ﴿ابتغاء وجه ربهم﴾ لأنها لغير الله تعالى النوع الثاني الصبر المحمود وهو أن يكون الإنسان صابراً لله تعالى راضياً بما نزل به من الله طالباً في ذلك الصبر ثواب الله محاسباً أجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ﴿ابتغاء وجه ربهم﴾ يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيماً لله وطلب رضوانه ﴿واقاموا الصلوة﴾ يعني الصلاة المفروضة وقيل حمله على العموم أولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد بإقامتها إتمام أركانها وهيئاتها ﴿وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية﴾ قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فإن لم يتم بترك أداء الزكاة فالأولى أن يؤديها سرا وإن كان متها بترك أداء الزكاة فالأولى أن يؤديها علانية وقيل إن المراد بالسرا ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية

(ويخشون ربهم) أى وعيده كله (ويخافون سوء الحساب) خصوصاً فيما سبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكليف (ابتغاء وجه ربهم) لا ليقال ما أصبره وأجله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لثلايب في الجزع (واقاموا الصلوة) داوموا على إقامتها (وانفقوا مما رزقناهم) أى من الحلال وإن كان الحرام رزقاً عندما (سراً وعلانية) يتناول النوافل لأنها في السرا أفضل والفرائض لأن المجاهرة بها أفضل نفياً للثمة

(ويخشون ربهم) يعملون لربهم (ويخافون سوء الحساب) شدة العذاب (والذين صبروا) على أمر الله والمرادى (ابتغاء وجه ربهم) طلب رضا ربهم (واقاموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (وانفقوا مما رزقناهم) تصدقوا بما أعطيناهم (سراً) فيما بينهم وبين الله (وعلانية) فيما بينهم وبين الناس

(ويدرون بالحسنة السيئة) ويدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سي غيرهم أو إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفاوا وإذا ظلموا وسلاوا وإذا ذنبوا تابوا وإذا هربوا أمأوا ﴿٤٨٩﴾ وإذا رآوا ﴿سورة الرعد﴾ منكرا أسروا بتغييره فهدم

ثمانية أعمال تشبه إلى ثمانية أبواب الجنة (أولئك لهم عقي الدار) عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها التي أرادها الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها (جنات عدن) بدل من عقي الدار (يدخلونها ومن صلح) أي آمن (من آبلهم وأزواجهم وذرياتهم) وقرى صلح والفتح أفصح ومن في عمل الرفع بالمعطف على الضمير في يدخلونها وساغ ذلك وان لم يؤكد لأن ضمير المفعول صار قاصلا وأجاز الزجاج أن يكون مفعولا معه ووصفهم بالصالح أي لم ان الانساب لا تنفع بانفسها والمراد أبو كل واحد منهم فكانه قيل من آبلهم

(ويدرون بالحسنة السيئة) يدفعون بالكلام الحسن الكلام السيئ إذا أورد عليهم (أولئك أهل هذه الصفة من قوله إنما يتذكر إلى ههنا) لهم عقي الدار يعني الجنة ثم بين أي الجنات لهم فقال (جنات عدن) وهي مقصورة الرحمن وهي معدن الأنبياء

لمن عرف به ﴿ويدرون بالحسنة السيئة﴾ ويدفعونها بها فيبازون الإساءة بالاحسان أو يتبعون السيئة الحسنه فتسحوها ﴿أولئك لهم عقي الدار﴾ عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها وهي الجنة والجنة خبر الموصولات أن رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لأولى الأبواب فاستثاف بذكر ما استوجبوا تلك الصفات ﴿جنات عدن﴾ بدل من عقي الدار أو مبتدأ خبره ﴿يدخلونها﴾ والمدن الإقامة أي جنات عدن يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ﴿ومن صلح من آبلهم وأزواجهم وذرياتهم﴾ عطش على المرفوع في يدخلون وانما صاغ للفصل بالضمير الآخر أو مقبول معه والمعنى أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تباعلهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تملو بالشفاعة أو أن الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انفسهم والتقيد بالصالح

ما يؤيده إلى الامام وقيل المراد بالسرا صدقة التطوع والمراد بالمالنية الزكاة الواجبة وحله على العموم أولى ﴿ويدرون بالحسنة السيئة﴾ قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح العمل السيئ وهو معنى قوله أن الحسنات يذهبن السيئات ويدل على صحة هذا التأويل ما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وإذا عمات سيئة فاعمل بحسنة حسنة تحبها السر بالسر والعلائية بالمالنية وروى البغوي بسنده عن عتبة بن طاهر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيقة قد خفته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل أخرى فانفكت أخرى حتى خرج إلى الأرض وقال ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقبل لا يكاثرون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبي معناه إذا سقاه عليهم حلوا والسقاه السبلة والحلم الحسنه وقال قتادة ردوا عليهم ردا معروفا وقال الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفاوا وسلاوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة إلى أبواب الجنة الثمانية قلت انما هي تسع خلال فيحتمل أنه عد خاتين بواحدة ولما ذكر الله عز وجل هذه الخلال من أعمال البر ذكر بعدها ما عدلها مالمين به من الثواب فقال تعالى ﴿وأولئك﴾ يعني من أتى بهذه الأعمال ﴿لهم عقي الدار﴾ يعني الجنة والمعنى أن عاقبتهم دار الثواب ﴿جنات عدن﴾ بدل من عقي الدار يعني بساتين إقامة يقال عدن بالمكان إذا أقام به مؤيدخلونها يعني الدار التي تقدم وصفها ﴿ومن صلح من آبلهم وأزواجهم وذرياتهم﴾ يعني ومن صدق من آبلهم بما صدقوا به وان لم يعمل بأعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج أن الانسان لا ينفع بغير أعماله الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن ووحد ودلى قول الزجاج معناه أصلح في عمله قال الراحدي والصحيح ما قاله ابن عباس لأن الله تعالى جعل ثواب المطيع

الصديقين والشهداء والصالحين (قا و خا ٦٢ لث) (يدخلونها ومن صلح) من وهد (من آبلهم) يدخلونها أيضا (وأزواجهم) من وهد من أزواجهم يدخلها أيضا (وذرياتهم) من وهد من ذرياتهم يدخلون أيضا جنات عدن

وأهماتهم (والملائكة) الجزء الثالث عشر { يدخلون } ٤٩٠ عليهم من كل باب) في قدر كل

دلالة على أن مجرد الانساب لا تنفع ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴾ من ابواب المنازل أو من ابواب الفتوح والتحف قائمين ﴿ سلام عليكم ﴾ بشارة بدوام السلامة ﴿ بما صبرتم ﴾ متعلق بعلينكم أو بمحذوف أي هذا بما صبرتم لا بسلام فإن الخبر قاصل والياء للسببية أو للبديلية ﴿ فتم عقبي الدار ﴾ وقرئ فتم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرة ما إلى القاء وغيره ﴿ والذين ينقضون عهد الله ﴾ يعني مقابلي الاولين ﴿ من بعد ميثاقه ﴾ من بعد ما وثقوه به من الاقرار والقبول ﴿ ويقطعون ما امر الله به أن يوصل

سروره بما يراه في أهله حيث بشره بدخوله الجنة مع هؤلاء فدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل الآتي بالأعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به اذ كل من كان صالحا في عمله فهو يدخل الجنة قال الامام فخر الدين الرازي قوله تعالى وأزواجهن ليس فيه ما يدل على أنه يزوجهن زوجة وزوجة ولعل الاولى من مات عنها أو مات عنه وروى أنه لما كبرت سودة أراد النبي صلى الله عليه وسلم ملأها فسأته أن لا يفعل ووهبت يومها لعائشة فامسكها رجاء أن تحشر في جلة أزواجه فهو كالدليل على ما ذكرناه ﴿ وقوله تعالى ﴾ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب يعني من ابواب الجنة وقيل من ابواب القصور قال ابن عباس يريد بدب التحية من الله والتحم والهدايا ﴿ سلام عليكم ﴾ يعني يقولون سلام عليكم فاضمر القول ههنا للدلالة الكلام عليه ﴿ بما صبرتم ﴾ يعني يقولون لهم سلمكم الله من الآفات التي كنتم تحافونها في الدنيا وأدخلكم بما صبرتم في دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات الجنة وقيل ان السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثوابا للفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دواء من الملائكة لهم يعني سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل ان الملائكة يدخلون عليهم في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث سمات مهمم الهدايا والتحم من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم ﴿ وروى البغوي بسنده عن أبي أمامة موقوفا عليه قال ان المؤمن ليكون متكئا على أريكته اذا دخل الجنة وعنده سحاطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله يستأذن فيقوم أدنى الخدم الى الباب فاذا بالملك يستأذن فيقول لاذى يليه ملك يستأذن ويقول الآخر كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول انذنوا له فيقول أقربهم الى المؤمن انذنوا له ويقول الذي يليه انذنوا له وكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف ﴿ فتم عقبي الدار ﴾ يعني فتم العقبى الدار وقيل ما فتم عقبي الدار ما أتم فيه ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ﴾ لما ذكر الله أحوال السعداء وما أعد لهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده أحوال الاشقياء ومآلهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وتقض العهد ضد الوفاء به وهذا من سفة الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد الله يعني خالفوا أمره ومعنى من بعد ما ميثاقه من بعد ما وثقوه على أنفسهم بالاعتراف والقبول ﴿ ويقطعون ما امر الله به أن يوصل ﴾ يعني ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم

وأهماتهم (والملائكة) واية ثلاث سمات بالهدايا وبشارات الرضا (سلام عليكم) في موضع الحال اذ المعنى قائمين سلام عليكم أو مسلمين (بما صبرتم) متعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم أي هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات أو على أمر الله أو بسلام أي سلم عليكم وتكرمكم بصبركم والاول أوجه (فتم عقبي الدار) الجنة (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) من بعد ما أو نقوه به من الاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل

(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) يقول لكل واحد منهم خيمة من درة مجوفة لها أربعة آلاف باب لكل باب مصراع يدخل عليهم من كل باب ملك يقولون (سلام عليكم بما صبرتم) هذه الجنة بما صبرتم على أمر الله والمرادى (فتم عقبي الدار) نعم الجنة لكم (والذين ينقضون عهد الله) يتركون فرائض الله (من بعد ميثاقه) تعليظه وتشديده وتأكيده (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل)

ويفسدون في الارض) بالكفر والظلم (أو لك لهم اللعنة) الابدان من الرجعة (ولهم سوء الدار) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبي الدار وان يراد بالدار جهنم وبسوء عذابها (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي ويضيق لمن يشاء والمعنى الله وحده هو يبسط الرزق ويقدر دون غيره (وفرحوا بالحياة الدنيا) بما يبسط لهم من الدنيا فرح بطروا وأشرفا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب ميم الآخرة ليس الاشياء نورا يفتتح به ﴿ ٢٩١ ﴾ كجمالة الراكب ﴿ سورة الرعد ﴾ وهو ما يستجمله من تميزات

أو شربة سويق (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أي الآية المفترحة (قل ان الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدى اليه من أناب) ويرشد الى دينه من رجع اليه بقلبه

(ويفسدون في الارض) بالكفر والشرك والدعاء الى غير عبادة الله (أو لك) أهل هذه الصفة (لهم اللعنة) السخطة في الدنيا (ولهم سوء الدار) يعني النار في الآخرة (الله يبسط الرزق لمن يشاء) قال ابن عباس وان من عباده عبادا لا يصلح لهم الا البسط ولو صرفوا الى غيره اكان شرالهم وان من عباده عبادا لا يصلح لهم الا التقير ولو صرفوا الى غيره لكان شرالهم أي يوسع المال على من يشاء في الدنيا وهو

ويفسدون في الارض ﴿ بالظلم وتمهيج القتن ﴾ أو لك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴿ عذاب جهنم أوسوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبي الدار ﴾ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴿ يوسع ويضيقه ﴾ وفرحوا ﴿ أي اهل مكة ﴾ بالحياة الدنيا ﴿ بما يبسط لهم في الدنيا ﴾ وما الحياة الدنيا في الآخرة ﴿ أي في جنب الآخرة ﴾ الامتاع ﴿ الامتعة لا تدوم كجمالة الراكب وزاد الراعي والمضى انهم اشربوا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قاييل النفع سريع الزوال ﴾ ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ﴿ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ﴾ ويهدى اليه من أناب ﴿ اقبل الى الحق ورجع عن الضاد وهو جواب مجرى مجرى التجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان نزات كل آية ويهدى اليه

والقربة ﴿ ويفسدون في الارض ﴾ يعني بالكفر والمعاصي ﴿ أو لك ﴾ يعني من هذه صائته ﴿ لهم اللعنة ﴾ يعني الطرد عن رجة الله يوم القيامة ﴿ ولهم سوء الدار ﴾ يعني النار لان منقلب الناس في العرف الى دورهم و منازلهم فالمؤمنون لهم عقبي الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي النار ﴿ قوله تعالى ﴾ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴿ يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتصر عليه وهذا أمر اقتضته حكمة الله ﴿ وفرحوا بالحياة الدنيا ﴾ يعني مشركي مكة لما يبسط الله عليهم الرزق أشربوا و بطروا والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا والركون اليها حرام ﴿ وما الحياة الدنيا في الآخرة ﴾ يعني بالنسبة الى الآخرة ﴿ الامتاع ﴾ أي قليل ذاهب قال الكلبي المتاع مثل السكرجة والقصة والقدر ينفعها في الدنيا ثم تذهب كذلك الحياة الدنيا لانها ذاهبة لا بقاء لها ﴿ ويقول الذين كفروا ﴾ يعني من أهل مكة ﴿ لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ يعني هلا انزل على محمد آية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى ﴿ قل ﴾ أي قل لهم يا محمد ﴿ ان الله يضل من يشاء ﴾ فلا ينفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات ان لم يهده الله عز وجل وهو قوله ﴿ ويهدى اليه من أناب ﴾ يعني ويرشد الى دينه والايان به من أناب

مكره (ويقدر) يقتصر على من يشاء وهو نظر منه (وفرحوا بالحياة الدنيا) رضوا بما في الحياة الدنيا من النعم والسرور (وما الحياة الدنيا) ما في الحياة الدنيا من النعم والسرور (في الآخرة) عند نعيم الآخرة في البقاء (الامتاع) الاشئ قليل كتناك البيت مثل السكرجة والقدر وغير ذلك (ويقول الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن (لولا انزل عليه) هلا انزل على محمد عليه السلام (آية) علامة (من ربه) لنبوته كما كانت للرسل الاولين بزعمه (قل) يا محمد (ان الله يضل من يشاء) عن دينه من كان أهلا لذلك (ويهدى) يرشد (اليه) الى دينه (من أناب) من أقبل الى الله



(الذين آمنوا) هم الذين أو عملهم (الجزء الثالث عشر) النصب بدل من ﴿٤٩٢﴾ من (وتطمئن قلوبهم) تسكن (بذكر الله)

من أناب بما جشبه بل بآدنى منه من الآيات ﴿الذين آمنوا﴾ بدل من من أو خبر مبتدأ محذوف ﴿وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ السبب واعتقاداً عليه ورجاء منه أو بذكر رجته بعد التلق من خشيته أو بذكر دلائله الدالة على وجوده ووجدانيته أو بكلامه يعنى القرآن الذى هو أقوى المجزات ﴿الابذكر الله﴾ تطمئن القلوب ﴿تسكن إليه﴾ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿مبتدأ خبره﴾ طوبى لهم ﴿وهو فعل من الطيب قلبت ياءه واو الضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزانى ويجوز فيه الرفع والنصب

بقلبه ورجع اليه بكايته ﴿الذين آمنوا﴾ بدل من قوله من أناب ﴿وتطمئن قلوبهم﴾ يعنى وتسكن قلوبهم ﴿بذكر الله﴾ قال مقاتل بالقرآن لانه طمأنينة لقلوب المؤمنين والطمأنينة والسكون انما تكون بقوة اليقين والاضطراب انما يكون بالتكثير لا بذكر الله تطمئن القلوب يعنى بذكره تسكن قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شئ سكنت قلوب المؤمنين اليه فان قلت أليس قد قال الله تبارك وتعالى في أول سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحدة قلت انما تكون الوجع عند ذكر الوعيد والمقاب والطمأنينة انما تكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وتطمئن اذا ذكرت فضل الله ورجته وكرمه واحسانه ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم﴾ اختلاف العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرعة عين وقال عكرمة نعى لهم وقال قتادة حسن لهم وفي رواية أخرى عندها هذه الكلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أى أصبت خيراً وقال ابراهيم النخعي خير لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تأويلها الحال المستطابة لهم وهو كل ما استطابه هؤلاء في الجنة من بقاء بلائها وعن بلاذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الازهرى تقول طوبى لك وطوباك لمن لا تقوله العرب وهو قول أكر النخوين وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحيشة وروى عن أبي امامة وأبي هريرة وأبي الدرداء ان طوبى اسم شجرة في الجنة تظل الجبان كلها وقال عبيد بن عمير هى شجرة في جنة عدن أصلها في دار النى صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله لوان ولا زهرة الا وفيها منه الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من أصلها عيان الكافور والسلسيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله بأنواع التسبيح وروى عن أبي سعيد الخدرى ان رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال هى شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها وعن معاوية بن قرعة عن أبيه يرفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلى والحلل وان أغصانها لذى من وراء سور الجنة هكذا ذكر البغوى هذين الحديثين بغير سند وروى بسنده موقوفاً عن أبي هريرة قال ان في الجنة

على الدوام أو بالقرآن أو بوعده (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) بسبب ذكره تطمئن قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ (طوبى لهم) خبره وهو مصدر من طاب كبشرى ومعنى طوبى لك أصبت خيراً وطيباً وعملها النصب أو الرفع كقولك طيباً لك وطيب لك وسلاماً لك وسلام لك واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كقولن والقراءة في

(الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وتطمئن قلوبهم) ترضى وتسكن قلوبهم (بذكر الله) القرآن ويقال بالحلف بالله (ألا بذكر الله) القرآن والحلف بالله (تطمئن القلوب) أى تسكن وترضى القلوب (الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (طوبى لهم) غبطة لهم ويقال طوبى شجرة في الجنة ساقها من ذهب وورقها الحلل وثمرها من كل لون وأغصانها متواليات

ولذلك قرئ ﴿ وحسن ما آت ﴾ بالنصب ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك يعنى ارسال الرسل قبلك ﴿ ارسلناك فى امة قد دخلت من قبلها ﴾ تقدمتها ﴿ اتم ﴾ ارسلوا اليهم فليس يبدع ارسالك اليها ﴿ لتلوا عليهم الذى اوحينا اليك ﴾ لتقرأ عليهم الكتاب الذى اوحيناه اليك ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾ وحالهم انهم يكفرون بالبلغ الرجة الذى احاطت بهم نعمته ووسعت كل شئ رجه فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذى هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل

شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرؤا ان شئتم وظل عمود فبلغ ذلك كعب الاحبار فقال صدق والذي أنزل التوراة على موسى والقرآن على محمد لو أن رجلا ركب فرسا أوحق أوجدعة ثم دار بارض تلك الشجرة ما بلغت حتى يسقط هرما ان الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان أفنانها لمن وراة سور الجنة وما في الجنة الا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة قال البغوي وهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الاشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوى يقول الله لها تقتي لعبدي عما يشاء فتتقوله عن فرس مسروجة بلجامها وهيئتها كما يشاء وتتقوله عن الراحلة برجلها وزمامها وهيئتها كما يشاء وعن الثياب (ق) عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (ق) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد الضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها (ق) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة زاد البخاري في روايته واقروا ان شئتم وظل عمود وقوله تعالى ﴿ووهو حسن مآب﴾ يعني ولهم حسن مقلب و مرجع يتقاربون ويرجعون اليه في الآخرة وهي الجنة فوله عز وجل ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أئمة﴾ يعني كما أرسلناك يا محمد الى هذه الامة كذلك أرسلنا أبياء قبلك الى أئمة قد خلت من قبلها أئمة ﴿تلتوا عليهم الذي أوحى اليك﴾ يعني لتقرأ على أمتك الذي أوحينا اليك من القرآن وشرايع الدين ﴿وهم يكفرون بالرجن﴾ قال قتادة ومقاتل وابن جرير هذه الآية مدنية زلت في صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جاء للصلح واتفقوا على ان يكتبوا كتاب لصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لانعرف الرجن الا صاحب الائمة بنون مسيلة الكذاب اكتب كما تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرجن يعني أنهم ينكرونه ويجهّدونه والمعروف ان الآية مكية وسبب نزولها ان أبا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول في دعائه يا الله يا رجن فرجع أبو جهل الى المشركين وقال ان محمدا يدعو الهين يدعو الله ويدعو لها آخرسمى الرجن ولا نعرف الرجن الا رجن الائمة فتزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرجن أي امدعوا قله الاسماء الحسنى وروى الضمك عن ابن عباس انه انزل في كفا قريرش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرجن قالوا وما الرجن فقال الله تعالى

( وحسن مآب ) مرجع  
بالرفع والنصب تذلك على  
محلها ( كذلك أرسلناك )  
مثل ذلك الارسال أرسلناك  
ارساله شأن وفضل على  
سائر الارسلات ثم فسر  
كريم أرسله فقال ( وأمة  
قد دخلت من قبلها أم ) أي  
أرسلناك في أمة فدفقتها  
أم كثيرة فهي آخر الامم  
و أنت خاتم الانبياء ( لتسوا عليهم  
الذي أوحى اليك ) لتقرأ عليهم  
الكتاب والعظيم الذي أو  
حينا اليك ( وهم مكفرون )  
وحال هؤلاء انهم مكفرون  
( بالرحن ) بالبلغ الرحة  
الذي وسعت رحته كل  

---

( وحسن مآب ) المرجع في  
الجنة ( كذلك أرسلناك في أمة )  
تقول هكذا أرسلناك الى  
أمة ( فدخلت ) مضت ( من  
قبلها أم لتساو عليهم ) لتقرأ  
عليهم ( الذي أوحينا اليك )  
أنزلنا اليك جبرائيل بهي  
القرآن ( وهم مكفرون  
بالرحن ) يقولون ما نعرف  
الرحن الا مسيلة الكذاب

شيء (قل هوربي) ورب كل شيء (لا اله الا هو) أي هوربي الواحد المتعالي عن الشركاء (عليه توكلت) في نصرتي عليكم (والا متاب) مرجي فيثيني على { الجزء الثالث عشر } مصابرتكم ﴿ ٢٩٤ ﴾ متاب وعقابي وما بي في الحالين يعقر

نزلت في مشركي أهل مكة حين قيل لهم اسجدوا لارجن قالوا وما الرجن ﴿ قل هو ربي ﴾ أي الرجن خاني ومتولى اسري ﴿ لا اله الا هو ﴾ لا مستحق للعبادة سواء ﴿ عليه توكلت ﴾ في نصرتي عليكم ﴿ واليه متاب ﴾ مرجي ومرجمكم ﴿ ولوان قرآنا سیرت به الجبال ﴾ شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن أو المبالغة في عناده الكثرة وتصميمهم أي ولوان كتابا عزمت به الجبال عن مقارها ﴿ أو قطعت به الارض ﴾ تصدعت من خشية الله عند قراءته أو تشققت فجعلت انهارا وعيونا ﴿ أو كلم به الموتى ﴾ فقرأه أو قسيع ونجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والاذار اول ما آمنوه لقوله ولواننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سررك ان تبك فسير بقراءتك الجبال من مكة حتى تسع لنا فنخذفها بساتين وقطائع أو سخر لنا به الريح لتركبها ونجبر الى الشام أو ابست لنا قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليلكلمونا فبك فزلت وعلى هذا فتقطع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرجن وما بينهما اعتراض وتذكير كالم خاصة لاشغال الموتى على المذكر الحقيقي

﴿ قل ﴾ أي قل يا محمد ان الرجن الذي أنكرتم معرفته ﴿ هوربي لا اله الا هو عليه توكلت ﴾ يعني عليه اعتمدت في أموري كلها ﴿ واليه متاب ﴾ يعني واليه توبج ورجوعي ﴿ قوله تعالى ﴾ ولوان قرآنا سیرت به الجبال ﴿ الآية نزلت في نفر من مشركي قريش منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا خلف النبي صلى الله عليه وسلم فأنهم وقيل انه سربهم وهم جلوس فدناهم الى الله عز وجل فقال له عبد الله بن أبي أمية ان سررك ان تبك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تنفخ فانها أرض حنيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنفرس الاشجار ونزرع ونخذ البساتين فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر لنا الريح لتركبها الى الشام لميرتا وحوائجنا ونرجع في يومنا كما سخرت لساميان كما زعمت فلست باهون على ربك من ساميان أو احيى لاجدك قصيا أو من شئت من موتانا لنسأله عن أسرك أحق أو ما طل فان عيسى كان يحيى الموتى ولست باهون على الله من عيسى فانزل الله هذه الآية ولوان قرآنا سیرت به الجبال فاذهبت عن وجه الارض ﴿ أو قطعت به الارض ﴾ يعني شنت فجعلت أنهارا وعيونا ﴿ أو كلم به الموتى ﴾ فاحياها واختلفوا في جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وانما حذف اكتفاء بمعرفة السامع مراده وتقديره ولوان قرآنا فعل به كذا وكذا لكان هذا القرآن فهو كقول الشاعر

فاقسم لو شيء أنا رسولك سواك ولكن لم نحدك مدفا

أراد لو شيء أنا رسولك سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فانه قال معناه لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقال آخرون جواب لو تقدم تقدير الكلام وهم يكفرون بالرجن ولوان قرآنا سیرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى اكفروا بالرجن ولم يؤمنوا به لما سبق في علمائهم كما قال ولواننا نزلنا اليهم الملائكة

(ولوان قرآنا سیرت به الجبال) عن مقارها (أو قطعت به الارض) حتى تنصدع وتزایل قطعا (أو كلم به الموتى) قسيع ونجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الاذار والتخويف فحساب لو محذوف أو معناه ولوان قرآنا وقع به تسير الجبال وتقطع الارض وتكلم الموتى وتنبئهم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولواننا نزلنا اليهم الملائكة

(قل) الرجن (هوربي لا اله الا هو عليه توكلت) انكلت ووثقت (واليه متاب) المرجع في الآخرة ثم نزل في شأن عبد الله بن أمية المخزومي وأصحابه لقولهم أذهب عنا جبال مكة بقرآنك وأنبع فيها العيون كما كان لداود عين القطر بزعمك وأشابر مع نركب عليها الى الشام ويحيى عليها كما كانت سلمان بزعمك وأحيى موتانا كما أحياء عيسى ابن مريم بزعمك فقال الله (ولوان قرآنا) غير قرآن محمد صلى الله عليه وسلم (سیرت به الجبال) أذهبت به الجبال عن وجه الارض (أو قطعت به الارض) أي قصده البعد (أو كلم به الموتى) أو أحيى به الموتى لكان بقرآن محمد صلى الله عليه وسلم (وكلمهم)

(أو كلمهم) أي قصده البعد (أو كلم به الموتى) أو أحيى به الموتى لكان بقرآن محمد صلى الله عليه وسلم (وكلمهم)

الآية ( بل لله الامر جيعا )

بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها ( أفلم يأس الذين آمنوا ) أفلم يعلم وهي لغة قوم من النخع وقل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليأس عن الشيء عالم بان لا يكون كما استعمل النسيان في معنى الزك لتضمن ذلك دليلا قراءا على رضى الله عنه أفلم يتبين وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السنان وهذه والله قرينة ما فيها سرية ( أن لو يشاء الله لهدى الناس جيعا ولا يزال الذين كفروا وتصيبهم بما صنعوا ) من كفرهم وسوء أعمالهم ( فارعة ) داهية تفرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلاء والمصائب في نفوسهم ( بل لله الامر جيعا ) بل الله يفعل ذلك جيعا ان شاء ( أفلم يأس الذين آمنوا ) أفلم يعلم الذين آمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن ( أن لو يشاء الله لهدى الناس جيعا ) لا كرم الناس كلهم بدنه ( ولا يزال الذين كفروا ) بالكتب والرسول يعني كفار مكة ( تصيبهم بما صنعوا ) في كفرهم ( فارعة ) سرية

﴿ بل لله الامر جيعا ﴾ بل لله القدرة على كل شيء وهو اضرب عن ما تضمنته لو من معنى الذى أى بل الله قادر على الآيات انما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعله بانه لانيلى له شكتهم وعبد ذلك قوله ﴿ أفلم يأس الذين آمنوا ﴾ عن ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه أفلم يعلم لما روى ان عليا وابن عباس وجاعة من العجالة والتابعين رضوان الله عليهم اجيبين قرأوا أفلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المأبوس منه لا يكون الامعلوما ولذلك علقة بقوله ﴿ ان لو يشاء الله لهدى الناس جيعا ﴾ فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتمامهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره أفلم يأس الذين آمنوا عن ايمانهم حلما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جيعا او بآمنوا ﴿ ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا ﴾ من الكفر وسوء الاعمال ﴿ فارعة ﴾ داهية تفرعهم وتقلعهم

وكلمهم الموت وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا ثم قال تعالى ﴿ بل لله الامر جيعا ﴾ يعنى في هذه الاشياء وفي غيرها ان شاء فعل وان شاء لم يفعل ﴿ أفلم يأس الذين آمنوا ﴾ قال اكثر المفسرين معناه أفلم يعلم قال الكلبي هذه لغة النخع وقيل هي لغة هوازن واختلف أهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وأبو عبيد أفلم يأس أفلم يعلم واستدلوا لهذه اللفظة بقول الشاعر

أقول لهم بالشعب اذ بأسروني \* أفلم تياسوا أنى ابن فارس زهدم

يعنى أفلم تعلموا واستدلوا عليه أيضا بقول شاعر آخر

أفلم يأس الاقوام أنى أنا ابنه \* وان كنت عن أرض المشيرة ناثبا

يعنى أفلم يعلم الاقوام قال قطرب ثبث بمعنى علم لغة للعرب قاوا ووجه هذه اللفظة انه انما وقع اليأس في مكان العلم لان علمت بالشيء ويقينك بهيئتك من غيره وقيل لم يرد ان اليأس في موضع من كلام العرب لاسم وانما قصد ان بأس الذين آمنوا من ذلك يقتضى ان يحصل العلم باتفاقه فاذا معنى يأسهم يقتضى حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت العرب تقول ثبثت بمعنى علمت قال وهذا الحرف في القرآن من اليأس المعروف لامن العلم وذلك ان المشركين لما طالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات اشرب المسلمون لذلك وأرادوا أن يظهر لهم آية ليجمعوا على الايمان فقال الله تعالى أفلم يأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء وعلوا علما يقينا ﴿ أن لو يشاء الله لهدى الناس جيعا ﴾ يعنى من غير ظهور آية وقال الزجاج القول عندي ان معناه أفلم يأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء لان الله لو شاء لهدى الناس جيعا وحاصله ان في معنى الآية قولين أحدهما ان يثبث بمعنى علم والقول الثاني انه من اليأس المعروف وتقدر القولين ما تقدم وتمسك أهل السنة بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جيعا على ان الله لم يشأ هذا لجميع الخلائق ﴿ ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا ﴾ يعنى من الكفر والاعمال الخبيثة ﴿ فارعة ﴾ أى نازلة وداهية تفرعهم بأنواع البلائى أحيانا مرة

وأولادهم وأموالهم (أو تحمل قريبا من دارهم) أو تحمل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويتطايروا عليهم شررا ويطغى اليهم شرورها (حتى يأتي وعد الله) أي موته أو قيامه أو ولا يزال كفار مكة تصيهم عاصموا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لان جيش رسول الله (الجزء الثالث عشر) يفزعون ﴿٤٩٦﴾ مكة ويختطف منهم أو تحمل أنت يا محمد

﴿أو تحمل قريبا من دارهم﴾ فيفزعون منها ويتطايروا عليهم شررا ويطغى اليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة قائمهم لا يزالون مصابين عاصموا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فإنه عليه الصلاة والسلام كان لا يزال يبعث سرايا عليهم فيفزعونهم ويختطفونهم واشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحمل خطأ للرسول عليه الصلاة والسلام فإنه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية ﴿حتى يأتي وعد الله﴾ بالموت أو القيامة أو فتح مكة ﴿ان الله لا يخلف الميعاد﴾ لا متاع الكذب في كلامه ﴿ولقد استهزئ برسول من قبلك فأمليت للذين كفروا﴾ تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يتروا ملاوة من الزمان في دعة وأمن ﴿ثم أخذتهم فكيف كان عقاب﴾ أي عقابي إياهم ﴿أفمن هو قائم على كل نفس﴾ رقيب عليه ﴿بما كسبت﴾ من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبير محذوف تقديره كمن ليس كذلك ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ استئناف أو عطفت على كسبت ان جعلت ما مصدرية ويجوز

بالجذب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم ﴿أو تحمل﴾ يعني السرايا أو البلية قريبا من دارهم ﴿وقيل هذه﴾ أو تحمل أنت يا محمد قريبا من دارهم ﴿حتى يأتي وعد الله﴾ يعني النصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل أراد بوعده الله يوم القيامة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم بأعمالهم ﴿ان الله لا يخلف الميعاد﴾ والفرض منه تشجيع قلب النبي صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن عنه لعلمه بأن الله لا يخلف الميعاد ﴿قوله عز وجل﴾ ولقد استهزئ برسول من قبلك ﴿وذلك﴾ ان كفار مكة انما سألوا هذه الاشياء على سبيل الاستهزاء فانزل الله هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم انما طلبوا منك هذه الآيات على سبيل الاستهزاء وكذلك قد استهزئ برسول من قبلك ﴿فأمليت للذين كفروا﴾ يعني فأمليت لهم وأطاعت لهم المدة ﴿ثم أخذتهم﴾ يعني بالذئاب بعد الامهال فمذبذبهم في الدنيا بالتعط والقتل والاسر وفي الآخرة بالنار ﴿فكيف كان عقاب﴾ يعني فكيف كان عقابي لهم ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ يعني أفمن هو حافظها ورازتها وعالم بها وبما عملت من خير أو شر وبما كسبت في الدنيا ان أحسنت وبما فعلت ان أساءت وجوابه محذوف وتقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره أعجز وهي الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ يعني وهو المستحق لعبادة هذه الاصنام التي جعلوا لله شركاء

قريبا من دارهم بجيشك يوم الحديبية حتى يأتي وعد الله أي فتح مكة (ان الله لا يخلف الميعاد) أي لا خلف في مواعده (ولقد استهزئ برسول من قبلك فأمليت للذين كفروا) الاملاء الامهال وأن يتروا ملاوة من الزمان في خفض وأمن (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية (أفمن هو قائم) احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو رقيب (على كل نفس) صالحة أو طالحة (بما كسبت) يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ثم استأنف فقال (وجعلوا لله شركاء)

ويقال صاعقة (أو تحمل قريبا) أو ننزل مع أصحابك قريبا (من دارهم) من مدينتهم مكة بمسغان (حتى يأتي وعد الله) فتح مكة (ان الله لا يخلف الميعاد) فتح مكة ويقال البعث بعد الموت (ولقد استهزئ

برسول من قبلك) استهزأهم قوما كما استهزأ بك ثومك قريرش (فأمليت للذين كفروا) فأمهلت للذين كفروا بعد (على) الاستهزاء (ثم أخذتهم) بالعداب (فكيف كان عقاب) انظر كيف كان تعذيب عابهم بالذئاب (أفمن هو قائم على كل نفس) يقول الله قائم على حفظ كل نفس (بما كسبت) من الخير والشر والرزق والدفع (وجعلوا لله) وصفوا الله (شركاء) من

أى الاصنام (قل سموهم) أى سموهم له من هم ونبؤهم بأسمائهم ثم قال (أم تنبؤونه بما لا يعلم فى الأرض) على أم المتقطعة أى بل أنبؤونه بشركاء لا يعلم فى الأرض ﴿٤٩٧﴾ وهو العالم بما فى السموات (سورة الرعد) والأرض فإذا لم يعلم علم

أهم ليسوا بشئ والمراد نفى أن يكون له شركاء وأم يظهر من القول بل أنسموهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ماتعبون من دونه الأسماء سميتوها (بل زين لآذين كفروا مكرهم) كبدتهم للإسلام شركهم (وصدوا عن السبيل) عن سبيل الله بضم الصاد كوفى وبقيها غيرهم ومعناه صدوا المسلمين عن سبيل الله (ومن يضل الله فله من هاد) من هاد يقدر على هدايته (لهم عذاب فى الحياة الدنيا بالقتل والاسر وأنواع المحن) ولعذاب الآخرة أشق) أشد لدوامه

الآلهة يعبدونها (قل) لهم يا محمد (سموهم) سموهم منقطع وتديعهم أن كان لهم شركة مع الله (أم تنبؤونه) أننبؤونه (بما لا يعلم) بما لا يعلم أن ليس (فى الأرض) أحد ينفع ويضر من دون الله (أم يظهر من القول) بل بباطل القول والزور والكذب (بل زين لآذين كفروا) بمحمد صلى الله

أن يقدر ما يقع خبرا للبنداء ويعطف عليه وجعلوا أى أفن هو بهذه الصفة لم يوحده وجعلوا له شركاء ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للتنبؤ على أنه المستحق للعبادة وقوله ﴿قل سموهم﴾ تنبيه على أن هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى متقوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة ﴿أم تنبؤونه﴾ بل أننبؤونه وقرئ تنبؤونه بالتخفيف ﴿بما لا يعلم فى الأرض﴾ بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم أو بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شئ ﴿أم يظهر من القول﴾ أم تسموهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتحمية الزنجى كافورا وهذا احتجاج بليغ على أسلوب عجيب ينادى على نفسه بالاعجاز ﴿بل زين لآذين كفروا مكرهم﴾ تمويههم قضيلا بأبطال ثم خالوها حقا أو كيدهم للإسلام بشركهم ﴿وصدوا عن السبيل﴾ سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابن عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح أى وصدوا الناس عن الإيمان وقرئ بالكسر وصد بالتوين ﴿ومن يضل الله﴾ بخذلانه ﴿فاله من هاد﴾ يوفقه للهدى ﴿لهم عذاب فى الحياة الدنيا﴾ بالقتل والاسر وسائر ما يسيبهم من المصائب ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ أشدته ودوامه

﴿قل سموهم﴾ بغير له وقيل مقوهم بما يستحقون ثم انظروا هل هم أهل لأن تعبد ﴿أم تنبؤونه﴾ أى أم تخبرون الله ﴿بما لا يعلم فى الأرض﴾ أى أنه لا يعلم أن لنفسه شريكا من خلقه وكيف يكون المخلوق شريكا للخالق وهو العالم بما فى السموات والأرض ولو كان لهم المراد من ذلك نفى العلم بأن يكون له شريك ﴿أم يظهر من القول﴾ أى أنهم يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو فى الحقيقة باطل لأصله وقيل معناه بل بظن من القول لا يعلمون حقيقة ﴿بل زين لآذين كفروا مكرهم﴾ قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وانما فسر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الإطلاق لا يقدر أحد أن يتصرف فى الوجود الا بأذنه فتدبر الشيطان ألقاه الوسوسة فقط ولا يقدر على اضلال أحد وهدايته الا الله تعالى ويدل على هذا سياق الآية وهو قوله ﴿ومن يضل الله فله من هاد﴾ وقوله ﴿وصدوا عن السبيل﴾ قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه أنهم صدوا عن سبيل الله غيرهم أى عن الإيمان ﴿ومن يضل الله فله من هاد﴾ بالفتح والوقف عليه بسكون الدال وحذف الياء فى قراءة أكثر القراء ﴿لهم عذاب فى الحياة الدنيا﴾ بغير بالقتل والاسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ بغير أشد وأعظم لان المشقة غلظ الامر على النفس وشدة مما يكاد يصدع القلب

عليه وسلم والقرآن (مكرهم) قوائم وفعلهم (قا و خا ٦٣ لث) (وصدوا عن السبيل) صرفوا عن الدين (ومن يضل الله) من دينه فله من هاد) من موفق (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) بالقتل يوم بدر (ولعذاب الآخرة أشق) أشد من عذاب الدنيا

(ومالهم من الله من واق) { الجزء الثالث عشر } من حافظ ٤٩٨ من عذابه (مثل الجنة التي وعد المتقون)

﴿ومالهم من الله﴾ من عذابه أو من رجه ﴿من واق﴾ حافظ ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ صفة الجنة التي هي مثل في الفرابية وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيويه أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ على طريقة قولك صفة زيد اسم أو على حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار أو على زيادة المثل وهو على قول سيويه حال من العائد المحذوف من الصلة ﴿أكلها دائم﴾ لا ينقطع ثمرها ﴿وظلها﴾ أي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس ﴿تلك﴾ أي الجنة الموصوفة ﴿عقوى الذين اتقوا﴾ ما لهم ومتى أمرهم ﴿وعقوى الكافرين النار﴾ لا غير وفي ترتيب التثمين اطماع للمؤمنين واقتناط للكافرين ﴿والذين آمنوا﴾ الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ﴿بني المسلمين﴾ من أهل الكتاب كان سلام وأصحابه ومن آمن من الصاري وهم نحاتون رجلا ربوعون بنجران وحانية باليمن وأثنان وثلاثون بالحبيشة أو طامنهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ﴿ومن الأحزاب﴾ يعني كفرتهم الذين تحزبوا على

من شدته فهو من الشق الذي هو الصدع ﴿ومالهم من الله﴾ يعني من عذاب الله ﴿من واق﴾ يعني من مانع يمنعهم من عذابه ﴿قوله تعالى﴾ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴿أي صفة الجنة التي وعد المتقون﴾ تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم ﴿لا ينقطع أبدا﴾ وظلها ﴿بني﴾ انه دائم أبدا لا ينقطع وليس في الجنة شمس ولا فمر ولا ظلمة بل ظل عود لا ينقطع ولا يزول وفي الآية رد على جهنم وأصحابه قائم يقولون ان نعم الجنة يقضى وينقطع وفي الآية دليل على ان حركات أهل الجنة لا تقضى الى سكون دائم كما يقوله أبو الهذيل واستدل القاضي عبد الجبار المعتزلي بهذه الآية على ان الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل انه لو كانت مخلوقة لوجب أن تقضى وينقطع أكلها لقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فوجب أن لا تكون الجنة مخلوقة لقوله أكلها دائم يعني لا ينقطع قال ولا ينكر أن تكون في السموات جنات كثيرة تقع بها الملائكة ومن يمدحها من الأنبياء والشهداء وغيرهم على ما روى الآن الذي نذهب اليه ان جنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا أن حاصل دليلهم مركب من آيتين أحدهما قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه والآخرى قوله أكلها دائم وظلها فإذا أدخلنا التخصيص على هذين المومنين سقط دليلهم فنخص هذين الدليلين بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض أمدت للمؤمنين وقوله تعالى ﴿تلك﴾ عقوى الذين اتقوا ﴿يعني﴾ ان عاقبة أهل القوى هي الجنة ﴿وعقوى الكافرين النار﴾ يعني في الآخرة ﴿قوله عز وجل﴾ والذين آمنوا﴾ الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ﴿في المراد﴾ بالكتاب هنا قولان أحدهما انه القرآن والذين أرتوه المسلمون وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أنهم يفرحون بما تجدد من الأحكام والتوحيد والبوة والخشر بعد الموت بتجدد نزول القرآن ﴿ومن الأحزاب﴾ يعني الجماعات الذين تحزبوا

سقتها التي هي في فرابية المثل وارتفاعه بالإبتداء والخبر محذوف أي فيما يتلى عليكم مثل الجنة أو الخبر (تجري من تحتها الأنهار) كما تقول صفة زيد اسم (أكلها دائم) ثمرها دائم الوجود لا ينقطع (وظلها) دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس (تلك) عقوى الذين اتقوا أي الجنة الموصوفة عقوى تقواهم يعني متقى أمرهم (وعقوى الكافرين النار والذين آمنوا) الكتاب يريد من أسلم من اليهود كان سلام ونحوه ومن النصاري يارض الحبيشة (يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب)

(ومالهم من الله) من عذاب الله (من واق) من مانع ومبأ يلجئون اليه (مثل الجنة) صفة الجنة (التي وعد المتقون) الكفر والشرك والقواش (تجري من تحتها) من تحت شجرها ومسكنها (الأنهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (أكلها دائم) ثمرها دائم لا يقضى (وظلها) دائم لا يخل فيه (تلك) الجنة (عقوى) مأوى (الذين اتقوا) الكفر والشرك والقواش (وعقوى) مأوى (الكافرين) النار والذين آمنوا (أعطياهم) (الكتاب) علم

التوراة عبد الله بن سلام وأصحابه (يفرحون بما أنزل إليك) من ذكر الرحمن (ومن الأحزاب) يعني اليهود (على)

أي ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه  
والسيد والمقاب وأشياعهما (من ينكر ٢٩٩) بضمه لانهم { سورة الرعد } كانوا لا ينكرون الاقامتهم

وبعض الاحكام والمآب  
عما هو ثابت في كتبهم وكانوا  
ينكرون نبوة محمد عليه  
الصلاة والسلام وغير  
ذلك عا حرقوه وبدلوه  
من الشرائع (قل انما أمرت  
أن أعبد الله ولا أشرك به)  
هو جواب للمنكرين أي  
قل انما أمرت فيما أنزل الى  
بأن أعبد الله ولا أشرك به  
فانكاركم له انكار لعبادة  
الله وتوحيده فانظروا ماذا  
تفكرون مع ادعائكم  
وجوب عبادة الله وأن  
لا يشرك به (اليه ادعوا)  
خصوصا لا ادعوا الى غيره  
(واليه) لا الى غيره (مآب)  
مرجى وأنت تقولون مثل  
ذلك فلا معنى لانكاركم  
(وكذلك أنزلناه) ومثل  
ذلك الانزال أنزلناه مأمورا  
فيه بعبادة الله وتوحيده  
والدعوة اليه والى دينه  
والانذار بدار الجزاء (حكما  
عربيا) حكمة عربية

(من ينكر بعضه) بعض  
القرآن سوى سورة يوسف  
وذكر الرحمن ويقال من  
الاحزاب يعني كفار مكة  
وغيرهم من ينكر بعضه بعض  
القرآن ما فيه ذكر الرحمن

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه والسيد  
والماقب وأشياعهما (من ينكر بضمه) وهو لما يخالف شرائعهم أو ما يخالف ما حرقوه  
منها (قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) جواب للمكرين أي قل لهم اني أمرت  
فيما أنزل الى ما أنعبد الله وأوحده وهو العدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما  
ما تنكرون لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات  
الاحكام هو قري ولا أشرك بالرفع على الاستئناف (اليه ادعوا) لا الى غيره (واليه  
مآب) واليه مرجى الجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما  
ما عدا ذلك من التفاريع فما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه (و  
كذلك) ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الدانات المجمع عليها (أنزلناه  
حكما) بحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة (عربيا) مترجما بلسان العرب

على رسوا لله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى (من ينكر بعضه)  
وهذا قول الحسن وقادة فان قلت ان الاحزاب من المشركين وغيرهم من أهل الكتاب  
ينكرون القرآن كله فكيف قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه \* قلت ان الاحزاب  
لا ينكرون القرآن بجملة لانه قد ورد فيه آيات دالات على توحيد الله وأثبت قدرته  
وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك أبدا والقول الثاني ان المراد بالكتاب التوراة  
والانجيل والمراد باهله الذين أسلموا من اليهود والنصارى مثل عبدالله بن سلام  
وأصحابه ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون من نجران وثلاثون من  
الحبشة وعشرة من سواهم فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقوه ومن الاحزاب  
يعني بقية أهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل  
كان ذكر الرحمن قليلا في القرآن في الابتداء فما أسلم عبدالله بن سلام ومن معه من أهل  
الكتاب من اليهود والنصارى ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في  
التوراة فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمن في القرآن فرحوا بذلك فانزل الله تعالى  
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب يعني مشركي مكة من  
ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية  
كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف الرحمن الا رجلا الجاهة يعنون مسيلة  
الكذاب فانزل الله وهم تكفرون بالرحمن قل هو ربي وانما قال ومن الاحزاب من  
ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن (وقل) أي قل يا محمد (انما  
أمرت أن أعبد الله) يعني وحده (ولا أشرك به) شيئا (اليه ادعوا) أي الى الله  
والى الايمان به ادعوا الناس (واليه مآب) يعني مرجى يوم القيامة (وكذلك  
أنزلناه حكما عربيا) أي كما أنزلنا الكتاب على الانبياء بلغاتهم ولسانهم أنزلنا اليك يا محمد

(قل) يا محمد (انما أمرت أن أعبد الله) مخلصا (ولا أشرك به) شيئا (اليه ادعوا) خلقه (واليه مآب) مرجى في الآخرة  
(وكذلك أنزلناه) هكذا أنزلنا جبرائيل بالقرآن (حكما) القرآن كله حكم الله (عربيا) على مجرى لغة العربية



مترجمة باسم العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمور يشاركونهم فيها قليل (ولئن أتيتهم أهواءهم بعد ما جاءك من العلم) أي بعد ثبوت ﴿٥٠٠﴾ العلم بالحج القاطعة والبراه

ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ﴿٥٠١﴾ ولئن أتيتهم أهواءهم التي يدعونك إليها كترير دينهم والصلاة إلى قبلتهم بعدما حولت عنها ﴿٥٠٢﴾ بعدما جاءك من العلم ﴿٥٠٣﴾ بنفسك ذلك ﴿٥٠٤﴾ مالك من الله من ولي ولا واثق ﴿٥٠٥﴾ ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لأطماعهم وتهميج للمؤمنين على الثبات في دينهم ﴿٥٠٦﴾ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك ﴿٥٠٧﴾ بشراً مثلك ﴿٥٠٨﴾ وجعلناهم أزواجاً وذرية ﴿٥٠٩﴾ نساء وأولاداً كما هي لك ﴿٥١٠﴾ وما كان لرسول ﴿٥١١﴾ وما صرح ولم يكن في وسعه ﴿٥١٢﴾ أن يأتي بآية ﴿٥١٣﴾ تقترح عليه وحكم يلتمس منه ﴿٥١٤﴾ إلا بأذن الله ﴿٥١٥﴾

هذا الكتاب وهو القرآن عربياً بلسانك ولسان قومك وإنما سمي القرآن حكماً لأن فيه جمع التكاليف والأحكام والحلالم والحرام والنقض والإبرام فلما كان القرآن سبباً للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل إن الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن والعمل بمقتضاه سماه حكماً لذلك المعنى ﴿٥١٦﴾ ولئن أتيتهم أهواءهم قال جمهور المفسرين إن المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملة آياتهم فتوعد الله على اتباع أهوائهم في ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة آياتهم في الصلاة ليأت المقدس ﴿٥١٧﴾ بعدما جاءك من العلم ﴿٥١٨﴾ يعني بأنك على الحق وإن قبلت الكعبة هي الحق وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حث للنبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما أمر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لأن من هو أرفع منزلة وأعظم قدراً وأعلى مرتبة إذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطريق الأولى ﴿٥١٩﴾ مالك من الله من ولي ولا واثق ﴿٥٢٠﴾ يعني من ناصر ولا حافظ به قوله تعالى ﴿٥٢١﴾ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك ﴿٥٢٢﴾ روى أن اليهود وقيل المشركين قالوا إن هذا الرجل ينون النبي صلى الله عليه وسلم ليس له همة إلا في النساء فصابوا عليه ذلك وقالوا لو كان كما يزعم أنه رسول الله لكان مشتغلاً بالزهد وترك الدنيا فاجاب الله عز وجل عن هذه التهمة وعما يوبه بقوله عز وجل ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك يا محمد ﴿٥٢٣﴾ وجعلناهم أزواجاً وذرية ﴿٥٢٤﴾ فإنه قد كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلاثمائة امرأة حرة وسبعمائة سرية فلم يقدح ذلك أيضاً في نبوته وكيف يسيون عليك ذلك ويحملونه قادحاً في نبوتك والمعنى ولما أرسلنا رسلاً من قبلك يأكلون ويشربون ويشكحون وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون ﴿٥٢٥﴾ وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بأذن الله ﴿٥٢٦﴾ هذا جواب لعبد الله بن أبي أمية وغيره من المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه أن يريهم المعجزات وتقرر هذا الجواب أن المعجزة الواحدة كافية في إثبات النبوة وقد أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة يعجز عن مثلها البشر فالفهم أن يقترحوا عليه شيئاً وإتيان

السلطنة (مالك من الله من ولي ولا واثق) أي لا ينصرك ناصر ولا يقيك منه واثق وهذا من باب التهميج والبعض للسامعين على الثبات في الدين وإن لا ينزل زال عند الشبهة بعد استسكانه بالجملة والافتكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدة الثبات بمكان وكانوا يعيونه بالزواج والولاد ويقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقول (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلناهم أزواجاً وذرية) نساء وأولاداً (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بأذن الله) أي ليس في وسعه إتيان الآيات على ما يقترحه قومه وإنما ذلك إلى الله

(ولئن أتيتهم أهواءهم) دينهم وقبلتهم (بعد ما جاءك من العلم) أي إن أتيتهم بدين إبراهيم وقبلته (مالك من الله) من عذاب الله (من واثق) قريب يتفكك (ولا واثق) لا مانع يمنعك (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك) كما أرسلناك (وجعلناهم أزواجاً) أكثر

من أزواجك مثل داود وسليمان (وذرية) أكثر من ذريتك مثل إبراهيم واسحق ويعقوب نزلت هذه الآية (الرسول) في شأن اليهود لقولهم لو كان محمد نبياً لشغلته النبوة عن التزوج (وما كان لرسول أن يأتي بآية) بعلامه (الإباضة) باسم الله

فانه الملى بذلك ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم ﴿ يحسوا الله ما يشاء ﴾ ينسخ ما يستصوب نسخه ﴿ ويثبت ﴾ الرسول بالمعجزات ليس اليه بل هو مفوض الى مشيئة الله عز وجل فان شاء أظهرها وان شاء لم يظهرها ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلا استبطؤا ذلك وقد كانوا يستجلبون نزوله أخبر الله عز وجل ان لكل قضاء قضاء كتابا قد كتبه فيه ووقتا يقع فيه لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى ان لكل أجل أجله الله كتابا قد أثبت فيه وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره لكل كتاب أجل ومدة والمعنى ان الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه ﴿ يحسوا الله ما يشاء ويثبت ﴾ وذلك انهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا يأمر أصحابه بأمر اليوم ثم بأسرهم بخلافه غدا وما سبب ذلك الا انه يقوله من تلقاء نفسه أجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله يحسوا الله ما يشاء ويثبت قال سعيد بن جبير وقادة يحسوا الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله وقال ابن عباس يحسوا الله ما يشاء ويثبت الا الرزق والاجل والسعادة والشقاوة ﴿ ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا امر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بمثل الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب اذكر أم أتى فيقضى ربك ما يشاء فيكتب الملك ثم يقول يارب أجله فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يارب رزقه فيقال ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على أمر ولا ينقص اخرجه مسلم (ق) عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين يوما ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فان قلت هذا الحديث والذي قبله صريح بان الآجال والارزاق مقدرة وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عما قدره الله وعلمه في الازل فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل أن ينقلب السعيد شقيا أو الشقي سعيدا وقد صرح في فضل صلة الرحم ان صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الأحاديث وبين قوله تعالى يحسوا الله ما يشاء ويثبت قد تقرر بالدلائل القطعية ان الله عالم بالآجال والارزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله ان زيدا يموت في وقت معين استحال أن يموت قبله أو بعده وهو قوله

(لكل أجل كتاب) لكل وقت حكم يكتب على العباد أي يفرض عليهم على ما يقتضيه حكمته (يحسوا الله ما يشاء) ينسخ ما يشاء نسخه (ويثبت) بدله ما يشاء أو (لكل أجل كتاب) لكل كتاب أجل مهلة مقدم ومؤخر (يحسوا الله ما يشاء) من ديوان الحفظه مالا ثواب ولا عقاب له (ويثبت)

ما تقتضيه حكمته وقيل يحسبناث النائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يحسب من كتاب الحافظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا أو يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يحسب قرنا ويثبت آخر وقيل يحسب الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ فافع وابن ماسر

تمالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على أن الآجال لا تزيد ولا تنقص وأجاب العلماء عما ورد في الحديث في فصل صلة الرحم من أنها تزيد في العمر بإجابة الصالح منها أن هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها أنها بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ أن عمر زيد مثلا ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون سنة وقد علم الله في الأزل ما يقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى يحسب الله ما يشاء ويثبت أى بالنسبة لما يظهر للمخلوقين من تصور الزيادة وأما انقلاب الشقي سعيدا والسعيد شقيا فيتصور في الظاهر أيضا لأن الكافر قد يسلم فينقلب من الشقاوة إلى السعادة وكذا العاصي ونحوه وقد يتوب فينقلب من الشقاوة إلى السعادة وقد يرتد المسلم والعاذ بالله تعالى فيموت على ردة فينقلب من السعادة إلى الشقاوة والاصل في هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت وما يحتم الله به له وهو المراد من علم الله الأزل الذى لا يتغير ولا يتبدل والله أعلم وأصل الخو اذهاب أثر الكتابة وحده الإثبات فمن العلماء من حل الآلة على ظاهرها فعملها حامة في كل شئ يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله ما يشاء في الرزق والاجل وكذا القول في السعادة والشقاوة والايان بالله والكفر ونقل نحو هذا عن عمرو بن مسعود فأنما قالوا يحسب السادة والشقاوة ويحسب الرزق والاجل ويثبت ما يشاء وروى عن عمر أنه كان يطوف بالبيت وهو بكى ويقول اللهم ان كنت كتبتني في أهل السعد فاثبتني فيها وان كنت كتبتني من أهل الشقاوة فاحنى منها واثبتني في أهل السعة والمغفرة فانك تحسب ما تشاء ويثبت وعندك أم الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود وقد ورد في بعض الآثار أن الرجل يكون قد بقى من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيمدا إلى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوى بنيسند وروى بسنده عن أنى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الله تارك وتعالى في ثلاث ساعات بقين من الليل فينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره فيحسب ما يشاء ويثبت ومن العلماء من حل معنى الآلة على الخصوص في بعض الاشياء دون بعض فقال المراد بالمحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم آخر عوضا عن الحكم المتقدم وقيل ان الحافظة يكتبون جميع أعمال بنى آدم وأقوالهم فيحسب الله ما يشاء من ديوان الحافظة مما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القائل أكلت شربت دخا خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكاى يكتب القول كله حتى اذا كان يوم النجس طرح منه شئ ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة

ينزكه غير منسوخ أو يحسب  
من ديوان الحافظة ما يشاء  
ويثبت غيره أو يحسب كافر  
الثابتين ويثبت إيمانهم  
أو يثبت من حان أجله  
وعكسه ويثبت مدنى  
وشامى وحرة وعلى  
ينزكه ماله الثواب والمقاب

(وعنده أم الكتاب) أى  
أصل كل كتاب وهو اللوح  
المحفوظ لان كل كائن  
مكتوب فيه (واما نرينك  
بعض الذى نعدهم أو  
نتوفيك) وكيف ما دارت  
الحال أريناك مصارعهم  
وما وعدناهم من ازال  
المذاب عليهم أو توفينا  
قبل ذلك ( فانما عليك  
البلاغ ) فليجب عليك  
الابلاغ الرسالة فحسب  
(وعلينا الحساب) وعلينا  
حسابهم وجزاؤهم على  
أعمالهم لاعليك فلا يمنك  
اعراضهم ولا تستجمل  
بمذابهم (أولم يروا أنا أنى  
الارض) أرض الكفرة  
(نقصها)

( وعنده أم الكتاب )  
أصل الكتاب بمعنى اللوح  
المحفوظ لا يزاد فيه ولا ينقص  
منه (واما نرينك بعض الذى  
نعدهم) من المذاب فى حياتك  
(أو نتوفيك) (فانما عليك  
البلاغ) التبليغ عن الله  
(وعلينا الحساب) الثواب  
والعقاب (أولم يروا) ينظروا  
أهل مكة (أنا أنى الارض)  
نأخذنا الارض (نقصها)  
نقصها لمحمد صلى الله

وحجرة والكساف وثبت بالتشديد ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ أصل الكتاب وهو اللوح  
المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه ﴿ واما نرينك بعض الذى نعدهم أو  
نتوفيك ﴾ وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم أو توفيناك قبله ﴿ فانما عليك  
البلاغ ﴾ لا غير ﴿ وعلينا الحساب ﴾ للمجازاة لاعليك ولا تحتفل باعراضهم ولا تستجمل  
سذابهم فانما علون له وهذا ثلاثه ﴿ أولم يروا أنا أنى الارض ﴾ أرض الكفرة ﴿ نقصها

الله ثم يود لمصيه الله فيموت على ضلاله فهو الذى يحسب والذى يثبت هو الرجل يعمل  
بطاعة الله ثم يموت وهو فى طاعته فهو الذى يثبت وقال الحسن يحسب الله ما يشاء بمعنى من  
جامأ جله فيذهب ويثبت من لم يحيى أجله وقال سعيد بن جبير يحسب الله ما يشاء من ذنوب  
عباده فيغفرها ويثبت ما يشاء منها فلا تغرها وقل عكرمة يحسب الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة  
ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدى يحسب الله ما يشاء بمعنى القمر ويثبت الشمس وقال  
الريش هذا فى الارواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته معاه وأمسكه ومن أراد بقاءه أثبته  
و. ده الى صاحبه وقيل ان الله يثبت فى أول كل سنة حكمها فاذامضت السنة معاه وأثبت  
حكمها آخر السنة المستقبل وقيل يحسب الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل هو فى الحسن والمصائب  
فهى مثبتة فى الكتاب ثم يحسبها بالدهاء والصدقة وقيل ان الله يحسب ما يشاء ويثبت ما يشاء  
لا اعتراض لاحد عليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد مفان قلت مذهب أهل السنة ان المقادير سابقة  
وقد جف القلم ما هو كائن الى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا الخو والاثبات قلت الخو  
والاثبات مما جف به التمل وسبق به القدر فلا يحسب شيئاً ولا يثبت شيئاً الا ما سبق به علمه  
فى الازل وعليه يترتب القضاء والقدر

### مسئلة

استدل الرافضة على مذهبهم فى البداء بهذه الآية قالوا ان البداء جائز على الله وهو ان  
يتقدم شيئاً ثم يظهر له خلاف ما اعتقده وتمسكوا بقوله يحسب الله ما يشاء ويثبت والجواب  
عن هذه المسئلة ان هذا مذهب باطل ظاهر الفساد لان علم الله قديم أزلى وهو من لوازم  
ذاته الخصوصية وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبدل فيه محالاً كذا ذكره الامام  
فخر الدين الرازى فى تفسير هذه الآية ﴿ وقوله تعالى ﴾ وعنده أم الكتاب ﴾ يعنى  
أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذى لا يغير ولا يبدل وسمى اللوح المحفوظ أم الكتاب  
لان جميع الاشياء مثبتة فيه ومنه تنسخ الكتب المنزلة وقيل ان العلوم كلها تنسب اليه وتولد  
منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب يحسب الله منه ما يشاء ويثبت ما يشاء وأم الكتاب الذى  
لا يغيرنى منها وروى عطية عن ابن عباس قال ار الله لوحا محفوظا مسبرة خمسمائة عام  
من درة بيضاء له دقتان من يافوثة لله فيه كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة يحسب الله ما يشاء ويثبت  
وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كعباً عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه  
وما هم عاملون ﴿ واما نرينك ﴾ يعنى يا محمد ﴿ بعض الذى نعدهم ﴾ يعنى من المذاب  
﴿ أو نتوفيك ﴾ معنى قل أن نريك ذلك ﴿ فانما عليك البلاغ ﴾ هو ايس عليك الاتباع  
الرسالة اليهم والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ ﴿ وعلينا الحساب ﴾ يعنى وعلينا أن نحاسبهم  
يوم القيامة فيجازيهم بأعمالهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ أولم يروا أنا أنى الارض نقصها

من أطرافها **﴿﴾** بما فتحه على المسلمين منها **﴿﴾** والله يحكم لامعقب حكمه **﴿﴾** لارادله وحقيقته الذي معقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غيره بالافتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره وعمل

من أطرافها **﴿﴾** يعنى أو لم يركفار مكة الذين سألو امحدا صلى الله عليه وسلم الآيات اماناتى الارض يعنى ارض الشرك تنقصها من أطرافها قال **﴿﴾** كذا المفسرين المراد منه قمع دار الشرك فان ما زاد في دار الاسلام فقد نقص في دار الشرك والمعنى أو لم يروا اماناتى الارض فتفتحها لمحمد صلى الله عليه وسلم أرضا بعد أرض حوالى أراضيهم أفلا يعتبرون فيتعظون وهذا قول ابن عباس وقناعة وجاعة من المفسرين وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهرا وتخريبا كان ذلك نقصا في ديارهم وزيادة في دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من أقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده ويمزج حننه ويظهر دينه ويجزله ما وعده وميل هو خراب الارض والمعنى أو لم يروا اماناتى الارض قهرا ونهبها ونهبك أهلها أملا يخافون أن نضل بهم مثل ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول قريب من الاول وقال عطاء وجاعة من المفسرين نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفي رواية من اليباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واضلوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم تلمة في الاسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار وقال عبد الله أيضا عليكم بالمع قبل ان يقبض وقبض ذهاب أهله وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقى الاول حتى يعلم الآخر فاذا هلك الاول ولم يعلم الآخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبيرة ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلماء فعلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلماء والاشراف من الناس حكى الجوهرى عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدى لهذه اللفظة بقول الفرزدق

واسأل بنا وبكم اذا وردت منى • أطراف كل قبيلة من يتبع

قال يريد اشراف كل قبيلة قال الواحدى والتفسير على القول الاول أولى لان هذا وان صح فلا يلىق هذا الموضع قال الامام فخر الدين الرازى ويمكن أن يقال أيضا ان هذا الوجه لا يلىق بهذا الموضع وتقديره أن يقال أو لم يروا أن كل ما يحدث في الدنيا من الاختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذلل بعد عز ونقص بعد كمال واذا كانت هذه التغييرات مشاهدة محسوسة فالذى فيهم أن يقبض الله الامر على هؤلاء الكفرة فيجعلهم ذليلا ين بعد ما كانوا عزيزين ومقهورين بعد ان كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه أيضا يجوز ايصال الكلام عاقبه **﴿﴾** قوله وتعالى **﴿﴾** والله يحكم لامعقب حكمه **﴿﴾** يعنى لاراد حكمه ولا نافض لقضائه والمعقب هو الذى يقبض غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقبض غيره بالافتضاء

من أطرافها بما فتح على المسلمين من بلادهم فنقض دار الحرب ونزید في دار السلام وذلك من آيات النصر والغلبة والمعنى عليك البلاغ الذى حلت ولا تتم ما وعدناك من النصر والظفر (والله يحكم لامعقب حكمه)

لاراد حكمه والمعقب الذى يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذى يقبض أى يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقبض غيره بالافتضاء والطلب والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وعمل لامعقب لحكمه النص على الحال كانه قبل والله يحكم نامذا حكمه كما تقول جاء في زيد لاجامة على رأسه ولا قلنسوة له تريد حاسرا

عليه وسلم (من أطرافها) من نواحيها ويقال هو موت العلماء (والله يحكم) بفتح البلدان وموت العلماء (لا معقب) لا مفير (لحكمه)

بأنبيائهم والمكرارادة المكروه في خفية ﴿ ٥٥٥ ﴾ ثم جعل مكرهم { سورة الرعد } كلاما مكر بالاضافة الى مكرهم

فقال (فقل للمكر جميعا) ثم  
فسر ذلك بقوله (يعلم ما تكسب  
كل نفس وسيعلم الكفار  
لن عقى الدار) يعنى العاقبة  
المحمودة لان من علم ما تكسب  
كل نفس وأعد لها جزاءها  
فهو المكر كله لانه انهم  
من حيث لا يعلمون وهم في  
غفلة غير ابراهيم الكافر على  
ارادة الجنس مجازى وأبو عمرو  
(وبقول الذين كفروا  
لست مرسل) المراد بهم كعب  
ابن الاشرف ورؤساء اليهود  
قالوا لست مرسل ولهذا  
قال عطاهى مكية الا  
هذه الآية (قل كفى بالله  
شهيدا بيني وبينكم) بما ظهر  
من الادلة على رسالتي والباء  
دخلت على الفاعل وشهيدا

وهو سريع الحساب) شديد  
العقاب ويقال اذا حاسب  
فحسابه سريع (وقدمكر)  
صنع (الذين من قبلهم)  
من قبل أهل مكة مثل  
نمرود بن كنعان بن  
سبحار بن كوش واحبابه  
(فقل للمكر جميعا) عند الله  
عقوبة مكرهم جميعا (يعلم  
ما تكسب) يعلم الله ما تكسب  
(كل نفس) برقا وفاجرة  
من خير أو شر (وسيعلم  
الكفار) يعنى اليهود وسائر  
الكفار (لن عقى الدار) يعنى

لامع المنقى النصب على الحال أى يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب ﴿ فيحاسبهم  
عما قيل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا ﴾ وقدمكر الذين من قبلهم ﴿  
بأنبيائهم والمؤمنين منهم ﴾ فقل للمكر جميعا ﴿ اذ لا يؤمنون بمكره فانه القادر على  
ما هو المقصود منه دون غيره ﴾ يعلم ما تكسب كل نفس ﴿ فيدجزاها ﴾ وسيعلم الكفار  
لن عقى الدار ﴿ من الحزين حيثما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا  
كالنفسير لمكر الله تعالى بهم واللام يدل على ان المراد بالعقوبة المحمودة مع ما في  
الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكافر على ارادة الجنس وقرئ  
الكافرون والذين كفروا والكفر أى اهلهم وسيعلم من علمه اذا أخبره ﴿ ويقول الذين  
كفروا لست مرسل ﴾ قيل المرادهم رؤساء اليهود ﴿ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ﴾

يعقب غرضه بالاقضاء والطلب والمنقى والله يحكم نافذا حكمه خاليا من المدافع والمعارض  
والمنازع لا يتعقب حكمه احد غيره بتغيير ولا قضا وهو سريع الحساب ﴿ قال ابن  
عباس يريد سريع الانتقام من حاسبه للمجازاة بالخير والشر فمجازاة الكفار بالانتقام  
منهم ومجازاة المؤمنين بإيصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام في معنى سريع الحساب  
قبل هذا ﴿ وقدمكر الذين من قبلهم ﴾ يعنى من قبل مشركى مكة من الامم الماضية الذين  
مكروا بأنبيائهم والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر مثل ما مكر نمرود  
ابراهيم وفرعون عوسى واليهود ببيسى ﴿ فقل للمكر جميعا ﴾ يعنى عند الله جزاء مكرهم  
وقال الوحى يعنى جميع مكر الماكرين له ومنه أى هو من خلقه وارادته فاما مكر جميعا مخلوق له  
بيده الخير والشر واليه النفع والضرر والمعنى ان المكر لا يضرا الا باذنه وارادته وفي هذا  
تسوية للنبي صلى الله عليه وسلم وأما له من مكرهم كانه قيل قد فعل من كان قيامهم من الكفار  
مثل فعلهم وصنعوا مثل صنعهم فلم يضروا الا من أراد الله ضرره واذا كان الامر كذلك  
وجب أن لا يكون الخوف الا من الله لا من أحد من المخاوقين ﴿ يعلم ما تكسب كل نفس ﴾  
يعنى ان جميع اكتساب العباد وتأثيراتها معلومة لله وهو خالقها وخلاف المعلوم تمتنع الوقوع  
واذا كان كذلك فكل ما علم وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان تمتنع الوقوع واذا  
كان كذلك فلا قدرة للعبد على القمل والنك فكان الكل من الله ولا يحصل ضرر الا باذنه وارادته  
وفيه وعيد للكفار الماكرين ﴿ وسيعلم الكافر ﴾ على التوحيد وقرئ وسيعلم الكفار  
على الجمع قال ابن عباس يعنى أباجه وقل أراد المستهزئين وهم خمسة نفر من كفار مكة ﴿ لن  
عقوى الدار ﴾ والمعنى انهم وان كانوا اجها لا بالسواقب فسعلون ان العاقبة الجيدة للمؤمنين ولهم  
العاقبة المذمومة في الآخرة حين يدخلون النار ودخل المؤمنون الجنة بقوله تعالى ﴿ ويقول  
الذين كفروا لست مرسل ﴾ لما انكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله تعالى الله بقوله  
﴿ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ﴾

الجنة ويقال الدار يوم يدرون لمن تكون (فاو خا ٦٤ ا٦) مكة (ويقول الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن اليهود وغيرهم  
(لست مرسل) من الله يا محمد والا انا بشهيد يشهدك فقال الله (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) باني رسوله وهذا القرآن كلامه

تيز (ومن عنده علم الكتاب) قيل (الجزء الثالث عشر) هو الله عز وجل ﴿٥٠٦﴾ والكتاب اللوح المحفوظ دليله قراءة من

فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ﴿٥٠٦﴾ ومن عنده علم الكتاب ﴿٥٠٦﴾  
علم القرآن وما الق عليه من النظم المعجز أو علم التوراة وهو ابن سلام واذن اياه أو علم  
اللوحي المحفوظ وهو الله تعالى أي وكفى بالذي يسحق العبادة وبألذي لا يعلم في اللوح المحفوظ  
الا هو شهادتنا بنينا فنحزي الكاذب منا وقيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكم علم الكتاب  
وذي الاول يرتفع بالظرف فانه ﴿٥٠٦﴾ قد دلى الموصول ويجوز ان يكون ﴿٥٠٦﴾ بالظرف خيره  
وهو متين للثانية وقرئ ﴿٥٠٦﴾ ومن عنده علم الكتاب دلى الحرف والبناء للمفعول ﴿٥٠٦﴾ عن رسول  
الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطى من الاجر عشر حسنات بوزن  
كل صحاب ﴿٥٠٦﴾ وكل صاحب يكون الى يوم القيامة وبث يوم القيامة من الموفين بيده الله تعالى  
﴿٥٠٦﴾ سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون آية ﴿٥٠٦﴾

المراد بشهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما اظهر على يديه من المعجزات الباهرات والآيات  
القاهرات الدالة على صدقه وكونه نبياً من عند الله ﴿٥٠٦﴾ ومن عنده علم الكتاب ﴿٥٠٦﴾ يعني ومن  
عنده علم الكتاب أيضا يشهد على نبوتك يا محمد وصحتها واختلافها في الذي عنده علم الكتاب من  
هو فروى العوفي عن ابن عباس اهلهم علماء اليهود والنصارى والمسلمين في كل من كان عالماً من اليهود  
بالتوراة ومن النصارى بالانجيل علم ان محمد صلى الله عليه وسلم رسل من الله لما يجد من الدلائل  
الدالة على نبوته فيهما شهد بذلك من شهد به وأنكره من أنكره منهم وقبل انهم مؤمنوا أهل  
الكتاب يشهدون أيضا على نبوته قل فتادة هو عبد الله بن سلام وأنكر الشيعي هذا وقال هذه  
السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة المنورة وقال يونس لسعيد بن جبير ومن عنده علم  
الكتاب أهو عبد الله بن سلام فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال  
الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفي بالذي  
يستحق العبادة وبألذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم قل الزجاج  
الاشبه ان الله لا يشهد على صحة حكمه اغيره وهذا قول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف  
وان كان جائزا الا انه خلاف الاصل فلا يقال شهيد هذا زيد والفقيه بل يقال شهيد هذا زيد  
الفقيه لكن يشهد لصحة هذا القول قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والبدال  
وهي قراءة ابن عباس وغيره على البناء للمفعول والمعنى ومن عند الله علم الكتاب  
ودليل هذه القراءة قوله وعلمناه من لدنا علما وقيل معناه ان من علم أن القرآن الذي  
جئتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن القيوب وعن  
الامم الماضية فمن علم بهذه الصفة كان شهيدا بيني وبينكم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه  
﴿٥٠٦﴾ تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا أفضل ﴿٥٠٦﴾

### ﴿٥٠٦﴾ الصلاة والسلام ﴿٥٠٦﴾

﴿٥٠٦﴾ وهي مكية سوى آيتين وهما قوله سبحانه وتعالى ألم ترالى الذين بدلوا نعمه الله كفرا

الكتاب تبيان القرآن ان قرأت بالخلف وهو الكتاب الذي أنزلنا اليك ﴿٥٠٦﴾ ومن السورة التي ( الى )  
بذكر فيها ابراهيم وهي كلها مكية آياتها خمسون وكتابتها ثمانمائة

ومن عنده علم الكتاب أي  
ومن لدنه علم الكتاب لان علم  
من علمه من فضله ولطفه وقيل  
ومن هو من علماء أهل  
الكتاب الذين أسلموا لانهم  
يشهدون بنسبه في كتبهم وقال  
ابن سلام في نزات هذه  
الآية وقيل هو جبريل  
عليه السلام ومن في موضع  
الحرب بالطف على لفظ الله  
أو في موضع الرفع بالطف  
على محمل الجار والمجرور  
اذ التقدير كفي الله وعلم الكتاب  
يرتفع بالمقدّر في الظرف  
فيكون قاعلا لان الظرف  
سالم لمن ومن هنا معنى الذي  
والتقدير من ثبت عنده علم  
الكتاب وهذا لان الظرف  
اذ وقع صلة يعمل عمل الفعل  
نحو سررت بالذي في الدار  
أخوه فآخوه فاعمل كما تقول  
بالذي استقر في الدار أخوه  
وفي القراءة بكسر ميم من  
يرتفع العلم بالابتداء ﴿٥٠٦﴾ سورة  
ابراهيم عليه السلام مكية  
اثنتان وخمسون آية ﴿٥٠٦﴾

( ومن عنده علم الكتاب )  
يعني عبد الله بن سلام وأصحابه  
ان قرأت بالنصب ويقال هو  
أصف بن برخيا لقوله تعالى  
قال الذي عنده علم من الكتاب  
ومن عنده من عند الله علم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الركاب) هو خبر مبتدأ محذوف أى هذا كتاب ينهى السورة والجملة التى هى (أنزلناه إليك) فى موضع الرفع صفة للنكرة (تخرج الناس) بدعائك إياهم (من الظلمات الى النور) من الضلالة الى الهدى (ياذن ربهم) بتيسيره وتسهيله مستعار ﴿٥٠٧﴾ من الاذن الذى {سورة ابراهيم} هو تسهيل الحجاب وذلك ما ينفعهم من التوفيق (الى صراط) يدل من النور بتكرير العامل (العزيز) الغالب بالانعام (الحمد) المحمود على الانعام (الله) بالرفع مدنى وشاى على هو الله وبالجر غيرهما على أنه عطية بيان للعزيز الحميد (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملا من

وما ذكر انطارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعدهم الكافرين بالويل وهو تقيض الوال وهو النجاة وهو اسم معنى كالهلاك ففان (ويل للكافرين من عذاب شديد) واحدى وثلاثون وحرفها ثلاثة آلاف وأربعمائة وأربع وثلاثون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وبأسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (أل) يقول أنا الله أرى ما تقواون وما تعملون ويقال قسم أقسم به (كتاب) أى هذا كتاب (أنزلناه إليك) أنزلنا إليك جبريل به (تخرج الناس) تدعو أهل مكة (من الظلمات الى النور) من الكفر الى الايمان (ياذن ربهم)

بأسمرهم تدعوهم (الى صراط) الى دين (العزيز) بالقمة لمن لا يؤمن به (الحمد) لمن وحده ويقال المحمود فى فعله (الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) من الخلق والعجائب (ويل) وادى جهنم من أشدها حرا وأضيقها مكانا وأبعدها قبرا فتقول يا رب قد اشتد حرى وضاق مكانى وبعد قبرى فأذنلى حتى أنتقم ممن عصاك ولا تجعل شيئا ينتقم منى (للكافرين من عذاب شديد) غايظ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿أر كتاب﴾ أى هو كتاب ﴿أنزلناه إليك﴾ لتخرج الناس ﴿بدعائك إياهم الى ما تضمنه من الظلمات﴾ من انواع الضلال ﴿الى النور﴾ الى الهدى ﴿ياذن ربهم﴾ بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة تخرج أوحاء من فاعله أو مقعوله ﴿الى صراط العزيز الحميد﴾ يدل من قوله الى النور بتكرير العامل أو استئناف على أنه جواب لمن يسأل عنه وإضافة الصراط الى الله تعالى إمالة منه أو المظهر له وتخصيص الوصفين لئلا يظن أنه لا يدل سائله ولا يجيب سائله ﴿الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض﴾ على قرآنة نافع وابن ماسر مبتدأ وخبر والله خبر مبتدأ محذوف والذى صفته وعلى قراءة الباقين عطية بيان للعزيز لأنه كالم لا يختصاصه بالمعبود على الحق ﴿وويل للكافرين من عذاب شديد﴾ وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من

الى آخر الآيتين وهى احدى وقيل اثنتان وخسون آية وثمانمائة واحدى وستون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ أر كتاب أنزلناه إليك ﴿يعنى هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد والكتاب هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم﴾ تخرج الناس من الظلمات الى النور ﴿يعنى هذا القرآن والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله وفيه دليل على ان طريق الكفر والبدع كثيرة وطريق الحق ليس الا واحدا لانه تعالى قال تخرج الناس من الظلمات الى النور فعب عن الجهل والكفر والضلال بالظلمات وهى صيغة جمع وعب عن الايمان والهدى بالنور وهولفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الكفر والجهل كثيرة واما طريق العلم والايمان فليس الا واحدا ﴿ياذن ربهم﴾ يعنى بأسمرهم وقيل يعلم ربهم ﴿الى صراط العزيز الحميد﴾ يعنى الى دين الاسلام وهو دينه الذى أسمره عباده والعزيز هو الغالب الذى لا يقاب والحمد المحمود على كل حال المستحق للجمع المحامد ﴿الله﴾ قرئ بأرفع على الاستئناف وخبره مبدء وقرئ بالجر نعتا للعزيز الحميد وقال أبو عمرو قراءة الحفص على التقديم والتأخير تقديره الى صراط الله العزيز الحميد ﴿الذى له ما فى السموات وما فى الارض﴾ يعنى ملكا وما فيهما عبيده ﴿وويل للكافرين﴾ يعنى الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذى له ما فى السموات وما فى الارض وعبدوا من لا يملك شيئا البتة بل هو مملوك لله لانه من جملة خلق الله تعالى ومن جملة ما فى السموات وما فى الارض ﴿من عذاب شديد﴾ يعنى مبدلهم فى الآخرة ثم



وهو مبتدأ وخبر وصفة (الذين يستحبون) يختارون ويؤثرون (الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله) من دية (ويبنونها عوجا) يطلبون لسبيل الله زينا واعوجاجا والاصل ويبنونها فحذف الجار وأوصل الفعل الذين مبتدأ وخبر (أولئك في ضلال بعيد) الجزء الثالث عشر { عن الحق } ٥٠٨ ﴿ ووصف الضلال بالبعد من الاسناد

الغلطات الى التور والويل نقيض الوال وهو الهجة واصله التصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه فعل لكنه رفع لافادة اثبات ﴿ الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ﴾ يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اسده وهو متقول من صد صدودا اذا تكب وليس فصيحاً لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة ﴿ ويبنونها عوجا ﴾ ويبنونها زينا وتكويها عن الحق ليقدهوا فيه فحذف الجار وأوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه أو على انه مبتدأ خبره ﴿ أولئك في ضلال بعيد ﴾ أى ضلوا عن الحق ووقوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضلال فوصف به فعله للبالغة أول الامر الذي به الضلال فوصف به لما لبسته ﴿ وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ﴾ الابلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ﴿ لبين لهم ﴾ ما امرؤا به فيفقهوه عنه يسر وسرعة ثم ينقلوه وبترجوه الى غيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوه واحق بان ينذرهم ولذلك اسرائى صلى الله تعالى عليه وسلم بانذار عشيرته اولاولونزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على الستهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة

وصفهم فقال تعالى ﴿ الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ﴾ يعنى يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ أى ويعتصمون الناس عن قبول دين الله ﴿ ويبنونها عوجا ﴾ يعنى ويطلبون لها زينا وميلا فحذف الجار وأوصل الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله حائذين عن القصد وقيل الهام في ويبنونها راجعة الى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق والميل الى الحرام ﴿ أولئك ﴾ يعنى من هذه صفته ﴿ في ضلال بعيد ﴾ يعنى عن الحق وقيل يجوز ان يراد في ضلال بعيد أى فيه بعد لان الضلال يبعد عن الطريق ﴿ قوله تعالى ﴾ وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ﴾ يعنى بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوه اليه وهو قوله تعالى ﴿ لبين لهم ﴾ يعنى ما يأتون وما يذرون فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا بدليل قوله تعالى قل لا اياها الناس انى رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث الى الثقين الجن والانس وهم على السنة مختلفة ولغات شتى وقوله بلسان قومه وليس قومه سوى العرب يقتضى بظاهره انه مبعوث الى العرب خاصة فكيف يمكن الجمع قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وبلسانهم والناس تبع للعرب فكان مبعوثا الى جميع الخلق لانهم تبع للعرب ثم انه بعث الرسل الى الاطراف فيترجون لهم بالستهم ويدعونهم الى الله تعالى بلغاتهم وقيل

المجازى والبعد في الحقيقة للضلال لانه هو الذى يتباعد عن طريق الحق فوصف به فعله كما تقول جدجده أو مجرور صفة للكافرين أو منصوب على الذم أو سرفوع على أعنى الذين أوهم الذين (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) الامتكلما بلغتهم (لبين لهم) ما هو ما مبعوث به وله فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون له لم تفهم ما خطبنا به فان قلت ان رسولنا صلى الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس جميعا بقوله قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فغيرهم الحجة قلت لا يتخاوا ما ان ينزل بجميع الالسنه أو بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنه لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفى الطويل قعين أن ينزل بلسان واحد وكان لسان قومه أولى بالعين لانهم أقرب اليه ولانه أبعد من التعريف والتبديل

(الذين يستحبون الحياة الدنيا) يختارون الدنيا (على الآخرة ويصدون عن سبيل الله) يصرفون الناس عن دين (يحتمل) الله وطاعته (ويبنونها عوجا) يطلبونها غبرا (أولئك) الكفار (في ضلال بعيد) عن الحق والهدى ويقال في خطأ بين (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) بلغة قومه (لبين لهم) بلغتهم ما أمرهم وما نهوا عنه ويقال بلسان يقدر ان يتعلموا منه

(فضل الله من يشاء) من آتسبب ﴿ ٥٠٩ ﴾ الفضلالة (ويهدى { سورة ابراهيم } من يشاء) من آتسبب

الاهتداء (وهو العزيز)  
فلا يضال على مشيئته  
(الحكيم) فلا يخذل الا  
أهل الخذلان (ولقد أرسلنا  
موسى بآياتنا) التسع (أن  
أخرج قومك) بأن أخرج  
أدأى أخرج لان الارسل  
فيه معنى القول كانه قيل  
أرسلناه وقتلناه أخرج  
قومك (من الظلمات الى  
النور وذكرهم بإيام الله)  
وأندهم بوقائمه التي  
وقعت على الامم قبلهم  
قوم نوح واد وحمود ومنه  
أيام العرب لحروبها وملاحجها  
أو بإيام الانعام حيث ظلل  
عليهم الغمام وأنزل عليهم  
المن والسوى وخلق لهم

(فضل الله) عن دينه (من  
يشاء) من كان أهلاً لذلك  
(ويهدى) لدينه (من يشاء)  
من كان أهلاً لذلك (وهو  
العزيز) في ملكه وسلطانه  
ويقال العزيز بالقمة لمن لا  
يؤمن به (الحكيم) في أمره  
وقضائه ويقال الحكيم  
بالاضلال والهدى (ولقد  
أرسلنا موسى بآياتنا) التسع  
اليد والعصا والطوفان  
والجراد والقمل والضفادع  
والدم والسنين ونقص  
من الثمرات (ان أخرج  
قومك) ان ادع قومك

واصناعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في انساب  
القرايح وكذا النفس من القرب المتضمنة لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كرش  
ورباش ولسن بضمين وضمة وسكون على الجمع كمد وعد وقيل الضمير في قوله لمحمد  
صلى الله تعالى عليه وسلم وان الله تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل عليه  
السلام أو كل نبى بلغة المنزل عليهم وذلك يردده قوله ليلين لهم فانه ضمير القوم والتوراة  
والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبين للعرب ﴿ فيضل الله من يشاء ﴾ فيضله عن الايمان  
﴿ ويهدى من يشاء ﴾ بالتوفيق له ﴿ وهو العزيز ﴾ فلا يظلب شئ على مشيئته ﴿ الحكيم ﴾  
الذى لا يضل ولا يهدى الاحكامه ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ﴾ يعنى اليد والعصا  
وسائر معجزاته ﴿ ان أخرج قومك من الظلمات الى النور ﴾ بمعنى أى أخرج لان في  
الارسل معنى القول أو بان أخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فتصم  
ان يوصل به ان الناصبة ﴿ وذكرهم بإيام الله ﴾ بوقائمه التي وقعت على الامم الدارجة

يحتمل انه أراد بقومه أهل بلده وفيهم العرب وغير العرب فيدخل معهم من غير  
جنسهم في عموم الدعوى وقيل ان الرسول اذا أرسل بلسان قومه وكانت  
دعوته خاصة وكان كتابه بلسان قومه كان أقرب لفهمهم عنه وقيام الحجية عليهم  
في ذلك فاذا فهموه ونقل عنهم انتشر عنهم علمه وقامت التراجم ببيانه وتفهمه لمن  
يحتاج الى ذلك ممن هو من غير أهله واذا كان الكتاب واحداً بلغة واحدة مع اختلاف الامم  
وتباين اللغات كان ذلك أبلى في اجتهد المجتهدين في تعليم معانيه وتفهم فوائده وغوامضه  
وأسراره وعلومه وجميع حدوده وأحكامه وقوله ﴿ فيضل الله من يشاء ويهدى من  
يشاء ﴾ يعنى ان الرسول ليس عليه الا التبليغ والتبيين والله هو الهادى المضل يفعل ما يشاء  
﴿ وهو العزيز ﴾ يعنى الذى يظلب ولا يظلب ﴿ الحكيم ﴾ في جميع أفعاله ﴿ قوله عن  
وجل ﴾ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا المراد بالآيات المعجزات التي جاء بها موسى عليه  
الصلاة والسلام مثل العصا واليد وخلق البحر وغير ذلك من المعجزات العظيمة الباهرة  
﴿ ان أخرج قومك من الظلمات الى النور ﴾ أى ان أخرج قومك بالدعوة من ظلمات  
الكفر الى نور الايمان ﴿ وذكرهم بإيام الله ﴾ قال ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد  
وقتادة يعنى بنعم الله وقال مقاتل بوقائع الله في الامم السالفة يقال فلان عالم بإيام العرب  
أى بوقائعهم وانما اراد بما كان في أيام الله من النعمة والنعمة فاخبر بذكر الايام عن  
ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظمهم بالترغيب والترهيب  
والوعد والوعيد والترغيب والوعد ان يذكرهم بما انعم الله عليهم به من النعمة وعلى  
من قبلهم بمن آمن بالرسول فيما مضى من الايام والترهيب والوعيد أن يذكرهم بأس  
الله وعدة انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسله وقيل بإيام الله في حق موسى أن  
يذكر قومه بإيام الحنة والشدة والبلاء حين كانوا تحت أيدي القبط يسومونهم  
سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد ان كانوا مملوكين

(من الظلمات الى النور) من الكفر الى الايمان (وذكرهم بإيام الله) بإيام عذاب الله ويقال بإيام رجة

الجبر ( ان في ذلك آيات لكل صابر ) على البلاء ( شكور ) على العطايا كأنه قال لكل مؤمن اذا الايمان نصف صبر ونصف شكر ( واذا قال موسى لقومه اذكروا نعمت الله عليكم اذا أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ) اذ ظرف للنعمة بمعنى الامام { الجزء الثالث عشر } أي انعامه ﴿ ٥١٠ ﴾ عليكم ذلك الوقت اربل

واليام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ﴿ ان في ذلك آيات لكل صابر شكور ﴾ يصبر على بلائه ويشكر لنعائه فانه اذا سمع بمنزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما صبر عنهم بذلك تفهيم على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن ﴿ واذا قال موسى لقومه اذكروا نعمت الله عليكم اذا أنجاكم من آل فرعون ﴾ أي اذكروا نعمته وقت انجائكم وبمحور ان يقتصب بعلبكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام وبمحور ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتغال ﴿ يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ احوال من آل فرعون أو من ضئير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب أو استبادهم واستعمالهم بالأعمال الشاقة ﴿ وفي ذلك لكم ﴾ من حيث انه باقدار الله تعالى اياهم وامهالهم فيه ﴿ بلاء من ربكم عظيم ﴾ ابتلاء منه وبمحور ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة

﴿ ان في ذلك آيات لكل صابر شكور ﴾ الصابر الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وانما خص الشكور والصبور بالاعتبار بالآيات وان كان فيها عبرة للكافة لانه هم المستفوعون بها دون غيرهم فانه اذا خصهم بالآيات فكانها ليست لغيرهم فهو كقوله وهدي للمتقين ولان الانتفاع بالآيات لا يمكن حصوله الا لمن يكون صابرا شاكرا أما من لم يكن كذلك فلا ينفع بها البتة ﴿ واذا قال موسى لقومه اذكروا نعمت الله عليكم ﴾ لما أمر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام ان يذكر قومه بإمام الله امثل ذلك الامر وذكرهم بإيام الله فقال اذكروا نعمة الله عليكم ﴿ اذا أنجاكم ﴾ من آل فرعون ﴿ أي اذكروا انعام الله عليكم في ذلك الوقت الذي أنجاكم فيه من آل فرعون ﴾ يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ﴿ فان قلت قال في سورة البقرة يذبحون بعروا وقال هنا يذبحون بزيادة واوفا الفرق قلت انما حذفوا الواو في سورة البقرة لان قوله يذبحون تفسر لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو كما تقول جاءني القوم زيد وعجرو اذا أردت تفسير القوم وأما دخول الواو هنا في هذه السورة فلان آل فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح أيضا فقوله ويذبحون نوع آخر من العذاب لأنه تفسير للعذاب ﴿ ويستحيون نساءكم ﴾ يعني يتركونهن أحياء ﴿ وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم ﴾ فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فسلوا ما فعلوا بلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلكم اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والحنة جميعا ومنه قوله ونباوكم بالشر والخير فتنة وهذا

اشتمال من نعمة الله أي اذكروا وقت انجائكم ( ويذبحون أبناءكم ) ذكر في البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون بلاء واو وهناعم الواو والحاصل ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبسبب الله وحيث أثبت الواو جعل التذبيح من حيث انه زاد على جنس العذاب كانه جنس آخر ( ويستحيون نساءكم ) وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم ( الاشارة الى العذاب والبلاء الحنة أو الى الانجاء والبلاء النعمة ونبلوكم بالشر

الله ( ان في ذلك ) فيما ذكرت ( آيات ) لملاحظات ( لكل صابر ) على الطاعة ( شكور ) على النعمة ( واذا قال موسى لقومه ) وقد قال موسى لقومه بني اسرائيل ( اذكروا نعمت الله عليكم ) منة الله عليكم ( اذا أنجاكم من آل فرعون ) من فرعون وقومه القبط ( يسومونكم سوء العذاب ) مذبونكم بأشد العذاب ( ويذبحون أبناءكم )

صفارا ( ويستحيون ) يستخفون ( نساءكم ) كبارا ( وفي ذلك ) في ذبح الانساء واستخدام النساء ( بلاء من ربكم عظيم ) بلية من ربكم عظيم ابتلاءكم بها ويقال وفي ذلكم في انجاء الله لكم بلاء من ربكم عظيم نعمة من ربكم

والخير نعمة (واذ تأذن ربكم) أي أذن وتظير تأذن وأذن توعده وأوعده ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفضل كانه قيل واذا أذن ربكم ايذا نابيغاً تنفي عنده الشك والشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه واتصابه للعطف على نعمة الله عليكم كانه قيل واذا قال موسى لقومه اذكروا ﴿ ٥١١ ﴾ نعمة الله { سورة ابراهيم }

ربكم والمعنى واذا تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها (لازيدنكم) نعمة الى نعمة فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقيل اذا سمعت النعمة نعمة الشكر تاهيت للمزيد وقال ابن عباس رضى الله عنهما لئن شكرتم بالجد في الطاعة لا يزيدنكم بالجد في المثوبة (وائن كفرتم) ما أنعمت به عليكم (ان عذابي لشديد) لمن كفر نعمتي أما في الدنيا فسلب النعمة وأما في العقي فتوالى النقم (وقال موسى ان تكفروا أنتم) يا بني اسرائيل (ومن في الارض جميعا) والناس كلهم (فان الله لعني) عن شكركم (جيد) وان لم يحمدوا الحامدون وأنتم ضررتم أنفسكم حيث حرمتوها الخير الذي لا بد لكم منه

عظيمة أنعمكم بها) واذا تأذن ربكم قال ربكم وأعلم ربكم في الكتاب (لئن شكرتم) بالوفيق والعصمة والكرامة

﴿ واذا تأذن ربكم ﴾ انضمام كلام موسى عليه السلام وتأذن بمعنى أذن كتوعده وأوعده غير انه ابلغ لما في الثقل من معنى الكلف والمبالغة ﴿ لئن شكرتم ﴾ يا بني اسرائيل ما أنعمت عليكم من الانجاء وغيره بالآيمان والعمل الصالح ﴿ لا يزيدنكم ﴾ نعمة الى نعمة ﴿ وائن كفرتم ان عذابي لشديد ﴾ فعلى اعذبتكم على الكفر ان عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويبرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر أو مفعول تأذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه ﴿ وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا ﴾ من الثقلين ﴿ فان الله لعني ﴾ عن شكركم نعمة ﴿ جيد ﴾ مستحق الحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمه ذرات المخلوقات فاحضر رتم بالكفر ان الانفسكم حيث حرمتوها من يد الانعام

الوجه أولى لانه موافق لاول الآية وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم ﴿ فان قلت هب ان تذيب الانباء فيه لاء فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء قلت كانوا يستحيونهن ويتكبرونهن تحت أيديهم كالاماء فكان ذلك بلاء ﴿ واذا تأذن ربكم ﴾ هذا من جملة ما قال موسى لقومه كانه قيل اذكروا نعمة الله عليكم واذا كروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن أذن أي أعلم ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في فعل كانه قيل واذا تأذن ربكم ايذا نابيغاً تنفي عنده الشك والشبه والنفي واذا تأذن ربكم فقال ﴿ لئن شكرتم ﴾ يعني يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالآيمان الخالص والعمل الصالح ﴿ لا يزيدنكم ﴾ يعني نعمة الى نعمة ولا ضافن لكم ما أنعمتكم به من شكر الموجود وصيد المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة لا يزيدنكم في الثواب وأصل الشكر تصور النعمة وظهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وههنا دقيقة وهي ان العبد اذا اشتغل بمطالعة أقسام نعم الله عز وجل عاين أنواع فضله وكرمه واحسانه اليه اشتغل بشكر تلك النعمة وذلك يوجب المزيد وبذلك تنأكد عظمة العبد لله عز وجل وهو مقام شريف ومقام أعلى منه وهو أن يشغله حب المنعم عن الالتفات الى النعم وهذا مقام الصديقين نسأل الله القيام بواجب شكر النعمة حتى يزيدا من فضله وكرمه واحسانه وانعامه وقوله ﴿ وائن كفرتم ﴾ المراد بالكفر ههنا كفران النعمة وهو جحودها لانه مذكور في مقابلة الشكر ﴿ ان عذابي لشديد ﴾ يعني لمن كفر نعمتي ولا يشكرها ﴿ وقال موسى ان تكفروا أنتم ﴾ يعني يا بني اسرائيل ﴿ أنتم ومن في الارض جميعا ﴾ يعني والناس كلهم جميعا فانما ضرر ذلك يعود على أنفسكم بحرمانها الخير كله ﴿ فان الله لعني ﴾ معنى من جميع خلقه ﴿ جيد ﴾ أي

بالنعمه (لازيدنكم) توفية وعصمة وكرامة ونعمة (وائن كفرتم) يا أوبنمقي (ان عذابي لشديد) لمن كفر (وقال موسى ن تكفروا) بالله (أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لعني) عن ايمانكم (جيد) لمن وحده

(الم يأتكم نبا الدين من قبلكم { الجزء الثالث عشر } قوم نوح وطاد ٥١٢ وعود ) من كلام موسى لقومه

وهم ضنوها للمذاب الشديد ﴿ ألم يأتكم نبا الدين من قبلكم قوم نوح وطاد وعود ﴾ من كلام موسى عليه الصلاة والسلام أو كلام مبتدأ من الله ﴿ والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله ﴾ جلة وقعت اعتراضاً أو الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه كذب التسابون ﴿ جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم ﴾ فعضوا غيظاً عما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى عضوا عنيكم الانامل من القيظ أو وضعوها عليها فجباهاً واستهزاء عليه كمن غلبه الضحك أو اسكتهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وامراً لهم باطباق الافواه أو اشاروا بها الى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم أما كفرنا نبيها على ان لا جواب لهم سواء اوردوها في أفواه الانبياء ينموا لهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلاً

محمود في جميع أفعاله لانه متفضل وعادل ﴿ ألم يأتكم نبا ﴾ يعني خبر ﴿ الذين من قبلكم قوم نوح وطاد وعود ﴾ قال بعض المفسرين يحتمل أن يكون هذا خطاباً من موسى لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام كان يخوفهم هلاك من تقدم من الامم ويحتمل أن يكون خطاباً من الله تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام يذكرهم بذلك أسرار القرون الماضية والامم الحالية والمقصود منه حصول العبرة باحوال من تقدم وهلاكهم ﴿ والذين من بعدهم ﴾ يعني من بعد هؤلاء الامم الثلاثة ﴿ لا يعلمهم الا الله ﴾ يعني لا يعلم كنهه مقاديرهم وعددهم الا الله لان عليه محيط بكل شيء الا يعلم من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله أقوام وأمم ما بلغنا خبرهم أصلاً ومنه قوله وقرونا بين ذلك كثيراً وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول كذب التسابون يعني انهم يدعون علم النسب الى آدم وقد نفي الله علم ذلك عن العباد وعن عبدالله بن عباس انه قال بين ابراهيم وعدنان ثلاثون قرناً لا يعلمهم الا الله وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب الانسان نفسه أباً أباً الى آدم لانه لا يعلم أولئك الآباء الا الله وقوله تعالى ﴿ جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ يعني بالدلالات الواضحات والمبجرات الباهرات ﴿ فردوا أيديهم في أفواههم ﴾ وفي معنى الايدي والافواه قولان أحدهما ان المراد بهما هاتان الجارحتان المملوءتان ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا أيديهم غيظاً وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم الى أفواههم وقال مجاهد وقناة كذبوا الرسل وردوا ما جاؤا به يقال رددت قول فلان في فيه أي كذبتة وقال الكلبي يعني ان الامم ردوا أيديهم الى أفواه أنفسهم يعني انهم وضعوا الايدي على الافواه إشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل ردوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل الذي غلبه الضحك • القول الثاني ان المراد بالايدي والافواه غير الجارحتين وقيل المراد بالايدي النعم ومنه ردوا ما لوقبواوه لكن نعمة عليهم يقال لفلان عدى

أو ابتداء خطاب لاهل عصر محمد عليه السلام (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) جلة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضاً أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون وروى أنه عليه السلام قال عند نزول هذه الآية كذب التسابون (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمبجرات (فردوا أيديهم في أفواههم) الضميران يعودان الى الكفرة أي أخذوا أناملهم باسنانهم فجبا أو عضوا عليها تقيظاً أو الثاني يعود الى الانبياء أي رد القوم أيديهم في أفواه الرسل كيلا يتكلموا بما

(الم يأتكم) بأهل مكة (بأ) خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وطاد) يعني قوم هود (وعود) يعني قوم صالح (والذين من بعدهم) من بعد قوم صالح قوم شعب وغيرهم كيف اهلكهم الله عند التكذيب (لا يعلمهم) لا يعلم

عددهم وعذابهم أحد (الا الله جاءتهم رسلهم باليات) بالاسروالهي والامارات (فردوا أيديهم في أفواههم) (يد) على أفواههم يقول ردوا على الرسل ما جاؤا به ويقال وضعوا أيديهم على أفواههم وقالوا للرسل اسكتوا

أرسلوا به (وقالوا أنا كفرناحنا أرسلتم به وإننا في شك مما تدعوننا إليه) من الإيمان بالله والتوحيد (مريب) موقع في الريبة (قالت رسلهم أفي الله شك) ﴿٥١٣﴾ أدخلت همزة { سورة إبراهيم } الإنكار على الظرف لأن

الكلام ليس في الشك إنما هو في المشكوك فيه وإنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وهو جواب قولهم وإننا في شك (فاطر السموات والأرض يدعوكم) إلى الإيمان (ليغفر لكم من ذنوبكم) إذا آمنتم ولم تجي مع من لا في خطاب الكافرين كقوله وأتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل أدلكم على

تجارة إلى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء وكان ذلك للفرقة بين الخطابين ولثلاث يسوى بين الفريقين في الميعاد (ويؤخركم إلى أجل مسمى) إلى وقت قد سمى وبين مقداره (قالوا) أي

والاسكنم (وقالوا) للرسول (أنا كفرناحنا) جسدنا بما أرسلتم به (من الكتاب والتوحيد) وإننا في شك مما تدعوننا إليه (من الكتاب والتوحيد) (مريب) ظاهر الشك فيما تقولون (تأت رسلهم أفي الله شك) أي وحدانية الله شك

وقيل الأيدي بمعنى الأيدي أي ردوا أيادي الأنبياء التي هي مواضعهم وما وحي اليهم من الحكم والشرائع في أفواههم لأنهم إذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها إلى حيث جاءت منه ﴿وقالوا أنا كفرناحنا أرسلتم به﴾ على زعمكم ﴿وانا في شك مما تدعوننا إليه﴾ من الإيمان موقري تدعوننا بالأدغام مريب ﴿موقع في الريبة أودى ريبة وهي قلق النفس وإن لا تطمئن إلى شيء﴾ قالت رسلهم أفي الله شك ﴿أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام في المشكوك فيه لا في الشك أي أنما تدعونكم إلى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الأدلة وظهور دلالتها عليه وإشارته إلى ذلك بقوله ﴿فاطر السموات والأرض﴾ وهو صفة أبدي وشك مرتفع بالظرف ﴿يدعونكم﴾ إلى الإيمان بعبثه أي أيا ما ﴿ليغفر لكم﴾ أو يدعونكم إلى المغفرة كقولك دعوتك لينصرتني على إقامة المقبول له مقام المقبول به ﴿من ذنوبكم﴾ بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالى فإن الإسلام يحبه دون المظالم وقيل جي بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه أن المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الإيمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتعجب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴿إلى وقت سمى الله تعالى وجعله آخر أعماركم﴾ وقالوا

يد أي نعمة والمراد بالأفواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بأفواههم وردوا قولهم وقيل أنهم كفوا عن قبول ما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به فقال فلان رديده إلى فيه إذا أمسك عن الجواب فلا يجب وهذا القول فيه بعد لأنهم قد أجابوا بالكذب وهو أن الأمم ردوا على رسلهم ﴿وقالوا أنا كفرناحنا﴾ أي أنا كفرناحنا بما أرسلتم به ﴿يعني أنا كفرناحنا﴾ زعمنا أن الله أرسلكم به لأنهم لم يقرروا بأنهم أرسلوا إليهم لأنهم لو أقرروا بأن الرسل أرسلوا إليهم لكأنوا مؤمنين ﴿وانا في شك مما تدعوننا إليه مريب﴾ يعني يوجب الريبة أو موقع في الريبة والتممة والريبة قلق النفس وأن لا تطمئن إلى الأمر الذي يشك فيه فإن قلت أنهم قالوا أولا أنا كفرناحنا بما أرسلتم به فكيف يقولون ثانيا وإننا في شك والشك دون الكفر أو داخل فيه قلت أنهم لما صرحوا بكفرهم بالرسول فكانهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا إن لم ندع الجزم في كفرناحنا فلا أقل من أن نكون شاكين مرتابين في ذلك ﴿قالت رسلهم﴾ يعني محبين لا مهمم ﴿أفي الله شك﴾ يعني هل تشكون في الله وهو استفهام إنكار ونفي لما اعتقدوه ﴿فاطر السموات والأرض﴾ يعني هل تشكون في كونه خالق السموات والأرض وخالق جميع ما فيها ﴿يدعونكم ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ يعني ليغفر لكم ذنوبكم إذا آمنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل إنما أصل ليست بصلة وعلى هذا أنه يغفر لهم ما بينه وبينه من الكفر والمعاصي دون مظالم العباد ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴿يعني إلى حين انقضاء آجالكم فلا ساجدكم بالذاب﴾ قالوا به يعني الأمم محبين للرسول

(فاطر السموات) خالق السموات (قاو خا ٦٥ اث) (والأرض يدعوكم) إلى التوبة والتوحيد (من ذنوبكم) في الجاهلية (ويؤخركم) يؤجلكم بلاعذاب (إلى أجل مسمى) إلى وقت معلوم يعني الموت (قالوا) للرسول

القوم (ان أنتم) ما أنتم (الابشر مثلنا) لافضل بيننا و يتكم ولافضل لكم علينا فمخصصون بالنبوة دوننا (تريدون أن تصدقوا) عما كان يبعد آباؤنا) يعني الاصنام (فأنونا بسلطان مبین) بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات وانما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تمتا ولجأنا (قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم) تسلم قبولهم انهم بشر مثلهم (ولكن الله يعن على من يشاء من عباده) بالإيمان والنبوة كما من علينا (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) جواب لقولهم ما أنونا بسلطان في الحزب الثالث عشر المبین والمعنى ﴿٥١٤﴾ أن الايمان بالآية التي قد اقترحتهم هو ليس الينا

ان أنتم الابشر مثلنا ﴿٥١٤﴾ لافضل لكم علينا فمخصصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا ليثبت من جنس افضل ﴿٥١٤﴾ تريدون ان تصدقوا عما كان يبعد آباؤنا ﴿٥١٤﴾ بهذه الدعوة ﴿٥١٤﴾ فأنونا بسلطان مبین ﴿٥١٤﴾ يدل على فضلهم واستحقاقكم بهذه المزية أو على صحة ادعائكم النبوة كما أنهم لم يعتبروا ما جاء به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تمتا ولجأنا ﴿٥١٤﴾ قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم ولكن الله يعن على من يشاء من عباده ﴿٥١٤﴾ سلوا مشاركتم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله تعالى ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجع بعض الجائزات على بعض بعثية الله تعالى ﴿٥١٤﴾ وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله ﴿٥١٤﴾ أى ليس لنا الايمان بالآيات ولا تستبد به استطاعتا حتى نأتى بما اقترحتهم وانما هو امر متعلق بعثية الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات ﴿٥١٤﴾ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿٥١٤﴾ فانتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عموا الامر الاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصد اوليا الاترى قوله تعالى ﴿٥١٤﴾ وما لنا الا نتوكل على الله ﴿٥١٤﴾ أى أى عذر لنا في ان لا نتوكل عليه ﴿٥١٤﴾ وقد هدانا سبلنا ﴿٥١٤﴾ الى بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ أبو عمر وبالنخفيف ههنا وفي العنكبوت ﴿٥١٤﴾ ولنصبرن على ما آذيتونا ﴿٥١٤﴾ جواب قسم محذوف اكذبوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجرى من

﴿٥١٤﴾ ان أنتم ﴿٥١٤﴾ معنى ما أنتم ﴿٥١٤﴾ الابشر مثلنا ﴿٥١٤﴾ يعنى في الصورة الظاهرة لستم ملائكة ﴿٥١٤﴾ تريدون ان تصدقوا عما كان يبعد آباؤنا ﴿٥١٤﴾ يعنى ما تريدون بقولكم هذا الاصدنا عن آلهتنا التي كان آباؤنا يصدونها ﴿٥١٤﴾ فأنونا بسلطان مبین ﴿٥١٤﴾ يعنى حجة بينة واضحة على صحة دعواكم ﴿٥١٤﴾ قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم ﴿٥١٤﴾ يعنى ان الكفار لما قالوا رسلهم ان أنتم الابشر مثلنا قالت لهم رسلهم يحيين لهم هب ان الامر كما قلتم ووصفتم فمن بشر مثلكم لا نكر ذلك ﴿٥١٤﴾ ولكن الله يعن على من يشاء من عباده ﴿٥١٤﴾ يعنى بالذرة والرسالة فيصطفى من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف ﴿٥١٤﴾ وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله ﴿٥١٤﴾ يعنى وليس لنا مع ما خصنا الله من النبوة وسرفناه من الرسالة أن نأتيكم بآية وبرهان ومجزة تدل على صدقنا الا باذن الله به لنا في ذلك ﴿٥١٤﴾ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿٥١٤﴾ يعنى في دفع ضرور أعدائهم عنهم ﴿٥١٤﴾ وما كان لنا أن نتوكل على الله ﴿٥١٤﴾ يعنى ان الانباء قالوا أيضا قد عرفنا انه لا يصيننا سوى الابقضاء الله وقدره فمن شق به ونتوكل عليه في دفع ضروركم عنا ﴿٥١٤﴾ وقد هدانا سبلنا ﴿٥١٤﴾ يعنى وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد ﴿٥١٤﴾ ولنصبرن ﴿٥١٤﴾ اللام لام القسم تقديره والله لنصبرن ﴿٥١٤﴾ على ما آذيتونا ﴿٥١٤﴾

ولا في استطاعتنا وانما هو امر يتعلق بعثية الله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا أوليا كانتهم قالوا ومن حقا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم واذا أنتم الا ترى الى قوله (وما لنا الا نتوكل على الله) معناه وأى عذر لنا في أن لا نتوكل عليه (وقد هدانا سبلنا) وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل مناسيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين قال أبو تراب التوكل طرح البدن في البودية وتعلق القلب بالربوبية والشكر عند العطاء والصبر عند اللاء (ولنصبر على ما آذيتونا) جواب قسم مضمرة أى حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يمسكوا عن دعائهم

ان أنتم (ما أنتم) (الابشر) آدمي (مثلنا تريدون ان

تصدقوا) تصدقونا (عما كان يبعد آباؤنا) من الاصنام (فأنونا بسلطان مبین) كتاب وجمعة (قالت لهم رسلهم ان نحن) (معنى) ما نحن (الابشر) آدمي (مثلكم) يقول خلق مثلكم (ولكن الله يعن على من يشاء من عباده) بالذرة والاسلام (وما كان لنا) ما ينبغي لنا (ان نأتيكم بسلطان) بكتاب وجمعة (الا باذن الله) بأمر الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يقول وعلى المؤمنين ان يتوكلوا على الله فقالوا الرسل توكلوا انتم على الله حتى تروا ما يفعل بكم فقاتل الرسل (وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا) اكرما بالنبوة والاسلام (ولنصبرن على ما آذيتونا)



(وعلى الظالمين كل المتوكلون) أي فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكراراً (وقال الذين كفروا لرسولهم) أي يا محمد (أبو عمرو) (لنخرجنكم من أرضنا) من ديارنا (أو لنعودن في ملتنا) أي ليكون أحد الأسرى من أخرجكم أو عودكم وحلفوا على ذلك والعود بمعنى الصبر وهو ﴿٥١٥﴾ كثير في كلام {سورة إبراهيم} العرب أو خاطبوا به كل

رسول ومن آمن معه فقبلوا في الخطاب الجماعة على الواحد (فاوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين) القول مضمر أو أجرى الإيحاء مجرى القول لأنه ضرب منه (ولنسكننكم الأرض من بعدهم) أي أرض الظالمين وديارهم في الحديث من آذى جاره ورثه الله داره (ذلك) الإهلاك والأسكان أي ذلك الأمر حق لمن خاف مقامى) موقع وهو موقف الحساب أو المقام مقم أو خاف قيام عليه بالمعنى كقوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى أن ذلك حق للمتقين (وخاف وعيد) عذابي وبإيلاء يعقوب (واستفتحوا) واستنصروا الله على أعدائهم وهو مطوف على أوحى

في ابتدائنا بطاعة الله (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فليثق الواثقون (وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا) من مدينتنا (أو لنعودن) تدخلن (في ملتنا) في ديارنا (فاوحى

الكفار عليهم ﴿٥١٥﴾ وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴿٥١٥﴾ فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن إيمانهم ﴿٥١٥﴾ وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لنعودن في ملتنا ﴿٥١٥﴾ حلفوا على أن يكون أحد الأسرى من أخرجهم أو عودهم إلى ملتهم وهو معنى الصبر ولا لهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز أن يكون الخطاب لكل رسول ولن آمن معه فقبلوا الجماعة على الواحد ﴿٥١٥﴾ فاوحى إليهم ربهم ﴿٥١٥﴾ لنهلكن الظالمين ﴿٥١٥﴾ على إصهار القول أو إجراء الإيحاء مجراه لانه نوع منه ﴿٥١٥﴾ ولنسكننكم الأرض من بعدهم ﴿٥١٥﴾ أي أرضهم وديارهم كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها ﴿٥١٥﴾ وقرئ ليهلكن وليسكنن بإيحاء اعتباراً لاوحى كقولك أقسم زيد لنخرجن ذلك ﴿٥١٥﴾ إشارة إلى الموحى وهو إهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ﴿٥١٥﴾ لمن خاف مقامى ﴿٥١٥﴾ موقع وهو الموقف الذي يقيم فيه المباد للحكومة يوم القيامة أو قبامى عليه وحفظى لأعماله وقيل المقام مقم ﴿٥١٥﴾ وخاف وعيد ﴿٥١٥﴾ أي وعيدى بالعذاب أو عذاب الوعود لكفار ﴿٥١٥﴾ واستفتحوا ﴿٥١٥﴾ سألوا من الله الفتح على أعدائهم أو القضاء بينهم وبين أعدائهم من الفتاحة

يعنى به من قول أو قل ﴿٥١٥﴾ وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴿٥١٥﴾ فإن قلت كيف كرر الأمر بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين ؟ قلت نعم التوكل الأول فيه إشارة إلى استحداث التوكل والتوكل الثانى فيه إشارة إلى السعى في النيت على ما استحدثوا من توكلهم وإبقائه وإدامته فحصل الفرق بين التوكلين ﴿٥١٥﴾ قوله تعالى ﴿٥١٥﴾ وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لنعودن في ملتنا ﴿٥١٥﴾ يعنى ليكون أحد الأسرى من أخرجكم أو عودكم من بلادنا وأرضنا وأما عودكم في ملتنا فإن قلت هذا هوهم بظاهره أنهم كانوا على ملتهم في أول الأمر حتى يسودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى الصبر وهو كثير في كلام العرب وفيه وجه آخر وهو أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل الرسالة لم يظهروا خلاف أمهم فلما أرسلوا إليهم اظهروا مخالفتهم ودعواهم إلى الله وقالوا لهم لنعودن في ملتنا ظانين أنهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم واجماع الأمة على أن الرسل من أول الأسراء ما نشؤوا على التوحيد لا يعرفون غيره ﴿٥١٥﴾ فاوحى إليهم ربهم ﴿٥١٥﴾ يعنى أن الله تعالى أوحى إلى رسوله وإيائه بهذه الخطابيات والمحاورات ﴿٥١٥﴾ لنهلكن الظالمين ﴿٥١٥﴾ يعنى أن عاقبة أمرهم إلى الهلاك فلا تخافوهم ﴿٥١٥﴾ ولنسكننكم الأرض من بعدهم ﴿٥١٥﴾ يعنى من بعد هلاكهم ﴿٥١٥﴾ ذلك ﴿٥١٥﴾ يعنى ذلك الأسكان ﴿٥١٥﴾ لمن خاف مقامى ﴿٥١٥﴾ يعنى خاف مقامه بين يدي يوم القيامة فاضاف قيام العبد إلى نفسه لأن العرب قد تضيف أفعالها إلى أنفسها كقولهم تدمت على ضرى أباك وتدمت على ضربك مثله ﴿٥١٥﴾ وخاف وعيد ﴿٥١٥﴾ أى وخاف عذابى ﴿٥١٥﴾ قوله عز وجل ﴿٥١٥﴾ واستفتحوا ﴿٥١٥﴾ يعنى واستنصروا قال ابن عباس يعنى الأمم وذلك أنهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فمذبنا وقال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل على أمهم وذلك أنهم لما

إليه) إلى الرسل (ربهم) ان اصبروا (لنهلكن الظالمين) الكافرين (ولنسكننكم) لنزلنكم (الأرض) أرضهم وديارهم (من بعدهم) من بعد هلاكهم (ذلك) التسكين (لن خاف مقامى) القيام بين يدي (وخاف وعيد) عذابى (واستفتحوا) استنصروا كل



اليهم (وخاب كل جبار) (الجزء الثالث عشر) وخسر كل متكبر ﴿٥١٦﴾ بطر (عنيد) بجانب الحق

كقوله رب اجمع بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاعلى والضمير للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر الحق وبهلك المبطل وقرئ بافظ الاسر عطف على لئلا تكن ﴿٥١٧﴾ وخاب كل جبار عنيد ﴿٥١٨﴾ أى ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة أو من القليلين كان اوقع ﴿٥١٩﴾ من ورائه جهنم ﴿٥٢٠﴾ أى من بين يديه فانه مرسلها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته متوارى عنك ﴿٥٢١﴾ ويسقى من ماء ﴿٥٢٢﴾ عطف على محذوف تقديره من وراءه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء ﴿٥٢٣﴾ صديد ﴿٥٢٤﴾ عطف بيان لما هو ما يسيل من جلود اهل النار ﴿٥٢٥﴾ يتجرعه ﴿٥٢٦﴾ ينكف جرعته وهو صفة لماء أو حال من الضمير فى يسقى ﴿٥٢٧﴾ ولا يكاد يسيفه ﴿٥٢٨﴾ ولا يقارب ان يسيفه فكيف يسيفه بل بنفسه فيطول عذابه والسوخ جواز

أيسوا من ايمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب ﴿٥٢٩﴾ وخاب ﴿٥٣٠﴾ يسى وخسر وقيل هلك ﴿٥٣١﴾ كل جبار عنيد ﴿٥٣٢﴾ والجبار فى صفة الانسان يقال لمن تجبر بنفسه بادعاء منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم فى حق الانسان وقبل الجبار الذى لا يرى فوقه أحدا وقيل الجبار المتعظم فى نفسه المتكبر على أقرانه والعنيد المعاند للحق ومجاهد قال مجاهد وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذى أبى أن يقول لا اله الا الله وقيل العنيد هو الموجب بما عنده وقيل العنيد الذى يماند ويخالف ﴿٥٣٣﴾ من ورائهم جهنم ﴿٥٣٤﴾ يعنى هى أمامه وهو أثر اليها قال ابو عبيدة هو من الاضداد يعنى أنه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى أمام وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك يعنى أنه سيأتيك ﴿٥٣٥﴾ ويسقى ﴿٥٣٦﴾ يعنى فى جهنم ﴿٥٣٧﴾ من ماء صديد ﴿٥٣٨﴾ وهو ما سأل من الجلود واللحم من القمح جعل ذلك شرابا لاهل النار وقال محمد بن كعب القرظى هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر وهو قوله ﴿٥٣٩﴾ يتجرعه ﴿٥٤٠﴾ أى يتحساه ويشربه لاجرة واحدة بل جرة بعد جرة لمرارته وحرارته وكراهته وتنته ﴿٥٤١﴾ ولا يكاد يسيفه ﴿٥٤٢﴾ أى لا يقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب فى الحلق اذا سهل انحدره فيقال بعض المفسرين ان يكاد صلة والمعنى يتجرعه ولا يسيفه وقال صاحب الكشاف دخلت تكاد للمبالغة يعنى ولا يقارب أن يسيفه فكيف تكون الاساعة وقال بعضهم ولا يكاد يسيفه أى يسيفه بعد ابطاء لان العرب تقول ما كدت أقوم أى قت بعد ابطاء فعلى هذا كاد على أصلها وليس بصلة وقال ابن عباس معناه لا يجيزه وقيل معناه يكاد لا يسيفه ويسيفه فى جوفه ﴿٥٤٣﴾ من أبى أمانة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاه حتى تخرج من دبره قال وسقوا ماء حيميا فقطع أمعاهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه يشى الشراب وساءت مرتقا أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقول وقعت فروة رأسه أى حلد رأسه وانما شبهها بالفروة للشعر الذى عليها ﴿٥٤٤﴾ وقوله تعالى

فانصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل الضمير للكفار ومعناه واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (من ورائه) من بين يديه (جهنم) وهذا وصف حاله وهو فى الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله فى الآخرة حيث يبعث ويوقف (ويسقى) معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى (من ماء صديد) ما يسيل من جلود اهل النار وصديد عطف بيان لما لانه مبهم فينبى بقوله صديد (يتجرعه) يشربه جرة جرة (ولا يكاد يسيفه) ولا يقارب أن يسيفه فكيف تكون الاساعة كقوله لم تكذبوا أى لم

قوم على نبيهم (وخاب كل جبار) خسر عند الدماء من النصرة كل متكبر خال (عنيد) معرض عن الحق والهدى (من ورائه) من قدام هذا الجبار بعد الموت (جهنم) ويسقى من ماء صديد مما

يخرج من جلودهم من القمح والدم (يتجرعه) (٥٤٠) شال الصديدى حاتم (ولا يكاد يسيفه) يجيزه (وأنه)

يقرب من رؤيتها فكيف يراها ( ويأتيه الموت من كل مكان ) أى أسباب الموت من كل جهة أو من كل مكان من جسده وهذا تفضيح لما يصيبه من الآلام أى لو كان نعمة موت لكان كل واحد منها ملكاً ( وما هو عيت ) لأنه لو مات لاستراح ( ومن ورأه ) ومن بين يديه ( عذاب ) ﴿ ٥١٢ ﴾ غايظ ( أى { سورة ابراهيم } في كل وقت يستقبله بتلقى عذاباً أشد مما قبله وأغلظ

وعن الفضيل هو قطع الانقاس وحبسها في الاجساد ( مثل الذين ) مبتدأ محذوف الخبر أى فيما يتلى عليكم مثل الذين ( كفروا بربهم ) والمثل مستعار للصفة التى فيها غرابة وقوله ( أعمالهم كرماد ) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد ( اشتدت به الريح ) الريح مدنى ( في يوم حاصف ) جعل العصف اليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك يوم ماطر وأعمال الكفرة المكارم التى كانت لهم من صلة الارحام وعشق الرقاب وفداء الاسرى وعقر الابل للاضياف وغير ذلك شبهها في حبوطها لبنائها على غير أساس وهو الايمان بالله تعالى برماد طيرته الريح

( ويأتيه الموت ) غم الموت ( من كل مكان ) من تحت كل شجرة ويقال تأخذه النار من كل مكان من كل ناحية ( وما هو عيت ) من ذلك

الشراب على الحاق بسهولة وقبول نفس ﴿ ويأتيه الموت من كل مكان ﴾ أى أسبابه من الشدائد فتميط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وأقدام رجلاه ﴿ وما هو عيت ﴾ فيستريح ﴿ ومن ورأه ﴾ ومن بين يديه ﴿ عذاب غليظ ﴾ أى يستقبل في كل وقت عذاباً أشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانقاس وقيل الآية منقطعة من قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر في سنينهم اتى ارسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله فحسب رجاؤهم فلم يسقهم واوعدهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقيهم صديد اهل النار ﴿ مثل الذين كفروا بربهم ﴾ مبتدأ خبره محذوف أى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل في الغرابة أو قوله ﴿ أعمالهم كرماد ﴾ وهى على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل أعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد ﴿ اشتدت به الريح ﴾ جلته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الريح ﴿ في يوم حاصف ﴾ العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه سنائمهم من الصدقة وصله الرجم واغاثته الملهوف وعشق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها وذهابها هباء منثوراً لبنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى واتوجه بها اليه أو أعمالهم

﴿ ويأتيه الموت من كل مكان وما هو عيت ﴾ يعنى ان الكافر يجد الموت وشدة من كل مكان من أعضائه وقال ابراهيم التيمى حتى من تحت كل شجرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدمه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو عيت فيستريح وقال ابن جريج تعلق نفسه عند خيبرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه فتفسد الحياة ﴿ ومن ورأه ﴾ يعنى أمامه ﴿ عذاب غليظ ﴾ أى شديد قيل هو الخلود في النار ﴿ قوله تعالى ﴾ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم حاصف ﴿ هذا كلام مستأنف منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما نقص أو فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التى فيها غرابة وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقال أعمالهم كرماد وقال المفسرون والفراء مثل أعمال الذين كفروا بربهم فحذف المضاف اعتماداً على ما ذكره به المصنف اليدوقيل يحتمل أن يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد كقولك في صفا زيد عن مصوره وماله مبذول والرماد مبروف وهو ما يسقط من الخطب والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت به الريح يعنى فذفت وطيرته ولم تبق منه شيئاً في يوم حاصف وحسب اليوم بالمصوف والمصوف من صفة الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم بارد وحار وليلة ماطرة لان البرد والحار والمطر توجد فيهما وقيل معناه في يوم حاصف الريح فحذف الريح لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضرب به الله تعالى لأعمال الكفار التى لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الاعمال هو

العذاب ( ومن ورأه ) من بعد الصديد ( عذاب غليظ ) شديد أشد من الصديد ( مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم ) يقول مثل أعمال الذين كفروا بربهم ( كرماد اشتدت ) ذرت ( به الريح في يوم حاصف ) قاصف شديد من الريح

المصنف (لا يقدر) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شيء) أي لا يرون له اثر من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء (ذلك هو الضلال البعيد) اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الصواب (المتر) ألم تعلم الخطاب لكل أحد { الجزء الثالث عشر } (أن الله خلق السموات والأرض) خالق مضافا

حزرة وعلى (الحق) بالحكمة والاسرار العظمى ولم يخلقها عبثا (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم اعلاما بأنه قادر على اعدام الموجود وایجاد المعدم (وما ذلك على الله بعزيز) يتمد (وبرزوا لله جميعا) ويرزون يوم القيامة وانما جيء به بلفظ الماضي لان ما أخبر به من

(لا يقدر) مما كسبوا على شيء يقول لا يجدون ثواب شيء مما عملوا من الخير في الكفر كما لا يوجد من الرماد شيء اذا ذرته الريح (ذلك) الكفر والعمل غير الله (هو الضلال البعيد) الخطأ البعيد عن الحق والهدى (المتر) ألم تخبر يا محمد خطيب بذلك نبيه و اراد به قومه (ان الله خلق السموات والأرض والحق) لبيان الحق والباطل ويقال للزوال والفناء (ان يشأ يذهبكم) يهلككم أو يمتكم بأهل مكة (ويأت بخلق

للاصنام برما دطيرته الريح العاصفة لا يقدر) يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم (على شيء) لحبوطه فلا يرون له اثر من الثواب وهو فذلكت التثليل (ذلك) اشارة الى ضلالهم مع حساباتهم محسنون (هو الضلال البعيد) فانه الناقية في البعد عن طريق الحق (المتر) خطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته وقيل اكل واحد من الكفرة على التلوين (ان الله خلق السموات والأرض والحق) بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرا حزة والكسائي خالق السموات (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والأرض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبدل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال (وما ذلك على الله بعزيز) يتمدرا ومتصرفا قادر لذاته لا اختصاص له بتقدير ودون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بان يؤمن به ويسير جاء ثوابه وخوفه من عقابه يوم الجزاء (وبرزوا لله جميعا)

ان الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به وتفرق أجزائه بحيث لا يبقى منها شيء وكذلك أعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منها شيء ثم اختلفوا في هذه الاعمال ما هي قليل هي ما عملوه من أعمال الخير في حال الكفر كالصدقة وصلة الارحام وفك الاسير وقرى الضيف وراي الدين ونحو ذلك من أعمال البر والصلاح فهذه الاعمال وان كانت أعمال بر لكنها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره أحبطها وأبطلها كلها وقيل المراد بالاعمال عبادتهم الاصنام التي ظنوا أنها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة ووجه خسرانهم أنهم اتبعوا أبدانهم في الدهر الطويل لكي يتفخروا بها فصارت وبالاعليم وقيل أراد بالاعمال الاعمال التي عملوها في الدنيا وأشركوا فيها غير الله فانها لا تنفعهم لانها صارت كالرماد الذي ذرته الريح وصار هباء لا ينفذ به وهو قوله تعالى لا يقدر) مما كسبوا يعني في الدنيا (على شيء) يعني من تلك الاعمال والمعنى انهم لا يجدون ثواب أعمالهم وفي الآخرة (ذلك هو الضلال البعيد) معنى ذلك الحسرة ان الكبر لان أعمالهم ضلت وهلك فلا يرجي عوده والعيد هنا الذي لا يرجي عوده (المتر) ان الله خلق السموات والأرض بالحق يعني لم يخلقهما باطلا ولا عبثا وانما خلقهما لامر عظيم وغرض صحيح (ان يشأ يذهبكم) معنى أيها الناس (ويأت بخلق جديد) معنى سواكم أطوع الله منكم والمعنى ان الذي قدر على خلق السموات والأرض قادر على افاء قوم وامانتهم وایجاد خلق آخر سواهم لان القادر لا يصعب عليه شيء قيل هذا خطاب لكفار مكة يريد يمتكم يا معشر الكفار ويخلق قوما غيركم خيرا منكم وأطوع (وما ذلك على الله بعزيز) يعني يمتنع لان الاشياء كلها سهلة على الله وان جلت وعظمت قوله عز وجل (وبرزوا لله جميعا)

جديد) يخلق خلقا آخر خيرا منكم وأطوع الله (وما ذلك على الله بعزيز) بشديد يقول ليس على الله بشديد (يعنى) أن ما كنتم ويحق خلقا آخر (وبرزوا لله) خرجوا من القبور بامر الله (جميعا)

رجل لضيقه كأنه قد كان ووجد نحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار وغير ذلك ومعنى يروّهم الله والله أعلم  
لا يتواري عنه شيء حتى يبرز له أنهم كانوا يستترون من الميون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله فإذا  
كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه  
(فقال الضعفاء) في الرأي وهم السفلة والاتباع وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ من يفهم الالف قبل الهمزة فيميلها  
إلى الواو (للذين استكبروا) وهم السادة ﴿٥١٩﴾ والرؤساء الذين { سورة إبراهيم } استغفروهم وصدوهم

عن الاستماع إلى الأنبياء  
وأبائهم (أنا كنا لكم تبعاً)  
تابعين جمع تابع على تبع  
كخادم وخادم وفاتب وغيب  
أو ذوى تبع والتبع الاتباع  
يقال تبعه تبعاً (فهل أنتم  
مقنون عنا من عذاب الله  
من شيء) فهل تقدرون على  
دفع شيء عما نحن فيه ومن  
الأولى للنسين والثانية  
للتبعين كما قيل فهل  
أنتم مقنون عنا بعض الشيء  
الذي هو عذاب الله أو هما  
للتبعين أي فهل أنتم  
مقنون عنا بعض شيء هو  
بعض عذاب الله ولما كان

أي يبرزون من قبورهم يوم القيامة لأمر الله تعالى ومحاسبته أوله على ظنهم قانهم  
كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون أنهم لا يخفى على الله تعالى فإذا كان يوم القيامة  
انكشفوا لله تعالى عما كانوا يفعلون وأما ذكر بلفظ الماضي لتحقيق وتوحيده ﴿فقال الضعفاء﴾  
الاتباع جميع ضيع يربده ضعف الرأي وأما كتب بالواو على لفظ من يفهم الالف قبل  
الهمزة فيميلها إلى الواو ﴿للذين استكبروا﴾ لرؤسائهم الذين استبعوهم واستغفروهم  
﴿أنا كنا لكم تبعاً﴾ في تكذيب الرسل والأعراض عن نصائحهم وهو جمع تاج كغائب  
وغيب أو مصدر نعت به للمبالغة أو على اضمار مضاف ﴿فهل أنتم مقنون عنا﴾ دافعون  
عما ﴿من عذاب الله من شيء﴾ من الأولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض  
واقعة موقع المنقول أي بعض الشيء الذي هو عذاب الله تعالى ويجوز أن تكونا للتبعيض  
أي بعض شيء هو بعض عذاب الله تعالى والأمراب ماسبق ويحتمل أن تكون الأولى  
مفعولاً والثانية مصدراً أي فهل أنتم مقنون بعض العذاب بعض الأغناء ﴿قالوا﴾ أي  
الذين استكبروا جواباً عن معاتبه الاتباع واعتذاراً عما فعلوا هم ﴿لو هدانا الله﴾  
للإعان ووقفنا له ﴿لهديناكم﴾ ولكن ضللتنا فاضلناكم أي اخترنا لكم ما اخترناه لأنفسنا  
أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنياكم عنكم كما عرضنا لكم له لكن سدد  
دوننا طريق الخلاص ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا﴾ مستويان علينا الجزع والصبر

بمعنى وخرجوا من قبورهم إلى الله ليحاسنهم ويجازيهم على قدر أعمالهم والبراز القضاء وبرز حصل  
في البراز وذلك أن يظهر ببناءه كلها والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا إلى القضاء وأورد  
بلفظ الماضي وإن كان معناه الاستقبال لأن كل ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق وكأن لا محالة  
فصار كأنه قد حصل ودخل في الوجود ﴿فقال الضعفاء﴾ يعني الاتباع ﴿للذين استكبروا﴾  
وهم القادة والرؤساء ﴿أنا كنا لكم تبعاً﴾ معنى في الدين والاعتقاد ﴿فهل أنتم﴾ معنى في هذا  
اليوم ﴿مقنون عنا﴾ معنى دافعون عما ﴿من عذاب الله من شيء﴾ من هنا للتبعيض  
والمعنى هل تقدرون على أن تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذي حل بنا ﴿قالوا﴾ معنى  
الرؤساء والقادة والمتبعون للتابعين ﴿لو هدانا الله لهديناكم﴾ يعني لو أُرشدنا الله  
لأرشدناكم ودعوناكم إلى الهدى ولكن لما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة ﴿سواء  
علينا أجزعنا أم صبرنا﴾ معنى مستويان علينا الجزع والصبر والجزع أبلغ من الحزن

طريق النجاة كما سلككم طريق الهلكة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية وروى  
أنهم يقولون في النار تعالوا انجزع فيجزعون خمسائة عام فلا يفهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسائة عام فلا يفهم

العادة والسفلة (فقال الضعفاء) السفلة (للذين استكبروا) عن الاعيان وهم القادة (أنا كنا لكم تبعاً) مطيعاً فيما أمرتمونا  
(فهل أنتم مقنون) حاملون (عنا من عذاب الله من شيء) أي من عذاب الله (قالوا) يعني القادة (لو هدانا الله) لهديناكم  
لدعوناكم إلى دينه (سواء علينا) العذاب (أجزعنا) أضلنا وتضرعنا (أم صبرنا) سكتنا

الصبر ثم يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا واتصاله بما قبله من حيث أن عتابهم لهم كان جزا عما هم فيه فقالوا لهم سواء علي  
أجزعنا أم صبرنا يريدون (الجزء الثالث عشر) أنفسهم وإياهم ﴿٥٢٠﴾ لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا

﴿مالنا من محيص﴾ مهيى ومهرب من المذاب من الحيص وهو المدول على جهة  
الفرار وهو يحتمل أن يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمقرب ويحوز أن يكون قوله  
سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روى أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة  
عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا ﴿وقال  
الشیطان لما قضى الأمر﴾ أحكم وفرغ منه ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار  
خطيا في أشقياء من الثقلين ﴿ان الله وعدكم وعد الحق﴾ وعدا من حقه أن ينجز أو  
وعدا أنجزه وهو أوعد بالبعث والجزاء ﴿ووعدتكم﴾ وعد الباطل وهو أن لا يبعث  
ولا حساب وإن كانا فالأصنام تشفع لكم ﴿فاخلفتم﴾ جعل تبين خلف وعده  
كالاخلاف منه ﴿وما كان لي عليكم من سلطان﴾ تسلط فالجنكم إلى الكفر والمعاصي  
﴿الا ان دعوتكم﴾ الادعاء أي أياكم البهية تسويلي وهوليس من جنس السلطان ولكنه

لأنه يصرف الإنسان عما هو بصده ويقطع عنه ﴿مالنا من محيص﴾ يعني من مهرب  
ولا منجى مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون  
خمسائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسائة عام فلا ينفعهم  
الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص وقال محمد بن  
كعب القرظي بلغني أن أهل النار يستغيثون بالخزنة كما قال الله تعالى وقال الذين في النار  
خزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخزنة عليهم وقالوا  
ألم تك تأتينا رسلنا بالبينات قالوا بلى فردت الخزنة وقالوا ادعوا وماداء الكافرين  
الا في ضلال فلما بشوا بما عند الخزنة نادوا يامالك ليقتض علينا ربك سألو الموت فلا  
يجيب ثمانين سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوما واليوم كالف سنة بما تعدون ثم يجيب  
بقوله انكم ما كنون فلما يشاء بما عنده قال بعضهم لبعض تعالوا فلنصبر كما صبر أهل  
الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصبروا وطال صبرهم فلم ينفعهم وجزعوا فلم ينفعهم فعند  
ذلك قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص ﴿وقال الشيطان﴾  
يعني ابليس ﴿لما قضى الأمر﴾ يعني لما فرغ منه وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل  
النار النار يأخذ أهل النار في النار فيجتمع عليه أهل النار يلومونه فيقول لهم ما أخبر الله عنه  
بقوله ﴿ان الله وعدكم وعد الحق﴾ فيه اضمحار تقديره فصدق في وعده ﴿ووعدتكم﴾  
فاخلفتم ﴿يعني الوعد وقيل يقول لهم اني قلت لكم لا بعث ولاجنة ولا نار﴾ وما كان  
لي عليكم من سلطان ﴿يعني من ولاية وقهر وقيل لم آتكم بحجة فيما وعدتكم به  
﴿الا ان دعوتكم﴾ هذا استثناء منقطع معناه لكن دعوتكم

مجتعين فيها يقولون ما هذا  
الجزع والتوبيع ولا فائدة  
في الجزع كالفائدة في الصبر  
(مالنا من محيص) مهيى  
ومهرب جزعنا أم صبرنا  
ويحوز أن يكون هذا من  
كلام الضعفاء والمستكرين  
جيما (وقال الشيطان لما  
قضى الأمر) حكم بالجنة  
والنار لأهلها وفرغ  
من الحساب ودخل أهل  
الجنة الجنة وأهل النار  
النار وروى أن الشيطان  
يقوم عند ذلك خطيبا على  
منبر من نار فيقول لأهل  
النار (ان الله وعدكم وعد  
الحق) وهو البعث والجزاء  
على الأعمال فوق لكم بما  
وعدتكم (ووعدتكم) بأن  
لا بعث ولا حساب ولا جزاء  
(فاخلفتم) كذبتمكم (وما  
كان لي عليكم من سلطان)  
من تسلط واقتدار (الا أن  
دعوتكم) لكن دعوتكم  
إلى الضلالة بوسوستي  
وتزييني والاستثناء منقطع  
لأن الدعاء ليس من جنس  
(مالنا من محيص) من مغيث  
وملجأ (وقال الشيطان)  
يقول الشيطان وهو المبس

(لما قضى الأمر) أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيقول لأهل النار (ان الله وعدكم وعد الحق) (فاستحيتم)  
ان الجنة والنار والبعث والحساب والميزان والصراف حق (ووعدتكم) ان لاجنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ولا ميزان  
ولا صراف (فاخلفتم) كذبتمكم (وما كان لي عليكم من سلطان) من حجة وعذر ومقدرة (الا ان دعوتكم) إلى طاعتي

الاستحياء ( فاستحيتم لي ) اسرعت اجابتي ( ولوموا أنفسكم ) حيث اتبعوني بلا حجة ولا برهان وقول المعتزلة هذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الاتكان ولا من الشيطان الاتزيين باطل لقوله لو هذا الله أي الى الايمان اهديناكم كما صرنا ( ما انا بمصرخكم وما انا بمصرخي ) لانني بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يشهدوا الاصراخ الاثمة بمصرخي حزة اتباعا للنساء غيره بفتح الياء لا لتجميع الكسرة والياء ان يمد كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الاولى ياء الجمع ﴿ ٥٢١ ﴾ والثانية ضمير { سورة ابراهيم } المتكلم ( اني كفرت بما

أشركتون ) وبالياء بصرى وما مصدرية ( من قبل ) متعلق بأشركتون أي كفرت اليوم بأشراككم ايى مع الله من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره بأشراكهم اياء تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا برآمتكم وما تمبدون من دون الله كفرنا بكم أو من قبل متعلق بكفرت وما موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لأدم بالذي أشركتوني به وهو الله عز وجل تقول أشركني فلان أي جعلني له شريكا ومعنى أشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وهذا آخر قول الشيطان وقوله ( ان الظالمين

على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستحيتم لي اسرعت اجابتي فلا تلو موني بوسوسى فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا أنفسكم حيث اطعنوني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بقاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اعصابنا ما انا بمصرخكم بغيتكم من العذاب وما انا بمصرخي بغيتي وقرأ حزة بكسر الياء على الاصل في النقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع يائين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف قبل الحرة ان لا تكسر وقبلها ياء أو على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الياء والكاف في ضربته واعطيتك وحذف الياء اكتفاء بالكسرة ( اني كفرت بما أشركتونى من قبل ) ما اما مصدرية ومن متعلقة بأشركتونى أي كفرت اليوم بأشراككم ايى من قبل هذا اليوم أي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم أو موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخر كن لنا ومن متعلقة بكفرت أي كفرت بالذي أشركتوني به وهو الله تعالى بطاعتكم ايى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل أشراككم حين رددت امره بالسجود لأدم عليه الصلاة والسلام وأشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب أليم تحة كلام وأبداه

فاستحيتم لي فلا تلو موني ولوموا أنفسكم يعني ما كان مني الا الداء والقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءكم الرسل فكان من الواجب عليكم أن لا تلتفتوا الى ولا تسمعوا قولي فلما رجستم قولي على الدلائل الظاهرة كان اللوم بكم أولى ماجابى ومتابعتي من غير حجة ولا دليل ( ما انا بمصرخكم ) يعني بغيتكم ولا منقذكم ( وما انا بمصرخي ) يعني بغيتي ولا منقذي ( ما انا فيه ) اني كفرت بما أشركتونى من قبل يعني كفرت بمحلكم ايى شريكاه في عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى ان ابليس جحد ما اعتقده الكفار فيه من كونه شركا لله وتبرأ من ذلك ( ان الظالمين لهم عذاب أليم ) روى البغوى بسنده عن عقبة بن عامر عن النبي

لهم عذاب أليم ) قول الله عز وجل ( قا و خا ٦٦ لث ) وقيل هو من تمام كلام ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سبق له في ذلك الوقت ليكون لطفا

( فاستحيتم لي ) طاعني ( فلا تلو موني ) في دعوتي لكم ( ولوموا أنفسكم ) باجابتكم ايى ( ما انا بمصرخكم ) بمنيتكم ومنيتكم من النار ( وما انا بمصرخي ) بمنيتي ومنيتي من النار ( اني كفرت بما أشركتونى ) بالذي أشركتونى به ( من قبل ) ان أشركتونى به ويقال اني كفرت اليوم بما أشركتونى يقول تبرأت منكم ومن دينكم واجابتكم من قبل هذا من قبل في الدنيا ( ان الظالمين ) الكافرين ( لهم عذاب أليم )

كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم ﴿ وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها باذن ربهم ﴾ باذن الله تعالى وامره والمدخولون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله ﴿ تحييتهم فيها سلام ﴾ أى تحييتهم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا ﴾ كيف اعتقه ووضع ﴿ كلمة طيبة كشجرة طيبة ﴾ أى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها أو خبر مبتدأ محذوف أى هى كشجرة وان تكون اول مقولى ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء

صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة وذكر الحديث الى قوله فيأتونى فيأذن الله لى ان أقوم فيثور من مجلسى أطيب ريح شهما أحد حتى آتى ربي فيشفقنى ويجعل لى نورا من شمر رأسى الى ظهر قدسى ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير ابليس هو الذى أضلنا فيأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شهما أحد ثم تعظم جهنم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم وعد الحق الآية ﴿ وقوله تعالى ﴾ وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ﴿ لما شرح الله عز وجل حال الكفار والاشقياء بما تقدم من الآيات الكثيرة شرح أحوال المؤمنين السعداء وما أعد لهم فى الآخرة من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك ان الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم والمنفعة الخالصة اليها الاشارة بقوله وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار وكونها دائمة أشير اليه بقوله ﴿ خالدين فيها ﴾ والتعظيم حصل من وجهين أحدهما قوله ﴿ باذن ربهم ﴾ لان تلك المنافع انما كانت تفضلا من الله بانعامه الثانى قوله ﴿ تحييتهم فيها سلام ﴾ فيحتمل ان بعضهم يحى بعضها بهذه الكلمة أو الملائكة تحييتهم بها وألرب سبحانه وتعالى يحييتهم بها ويحتمل أن يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الآفات لان السلام مشتق من السلامة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ألم تر كيف ضرب الله مثلا ﴿ لما شرح الله عز وجل أحوال الاشقياء وأحوال السعداء ضرب مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى ألم ترأى بعين قلبك فتعلم علم يقين يااعلمى اياك فعلى هذا يحتمل ان يكون الخطاب فيه لاني صلى الله عليه وسلم وبدخل معه غيره فيه ويحتمل ان يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيكون المعنى ألم ترأى الانسان كيف ضرب الله مثلا يعنى بين شهما والمثل عبارة عن قول فى شىء يشبه قولاً فى شىء آخر بينهما مشابة لبتين أحدهما من الآخر ويتصور وقيل هو قول سائر لتشيده شىء بشىء آخر ﴿ كلمة طيبة ﴾ هى قول لاله الا الله فى قول ابن عباس وجهور المفسرين ﴿ كشجرة طيبة ﴾ يعنى كشجرة طيبة النمر قال ابن عباس هى النخلة وبه قال ابن

خالدين فيها ) عطف على برزوا ( باذن ربهم ) متعلق بادخل أى أدخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره ( تحييتهم فيها سلام ) هو تسليم بعضهم على بعض فى الجنة أو تسليم الملائكة عليهم ( ألم تر كيف ضرب الله مثلا ) أى وصفه وبينه ( كلمة طيبة ) نصب يحضر أى جعل كلمة طيبة ( كشجرة طيبة ) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا نحو شرف الامير زيدا كسواء حلة وحمله على قرس أو انتصب مثلا وكلمة بضرب أى ضرب كلمة طيبة مثالا يعنى جعلها مثالا ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدأ محذوف أى هى كشجرة طيبة

وجميع بخاص وجعه الى قلوبهم ( وادخل الذين آمنوا ) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ( وعملوا الصالحات ) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ( جنات ) بساتين ( تجري من تحتها ) من تحت شجرها ومسكنها ( الأنهار ) أنهار الخمر والماء والسل واللبن ( خالدين فيها ) مقيمين فيها ( باذن ربهم ) بأمر ربهم ( تحييتهم ) كرامتهم ( فيها ) فى الجنة ( سلام ) يسلم بعضهم على بعض اذا تلاقوا ( ألم تر ) ألم تحبذ يا محمد ( كيف ضرب



( أصلها ثابت ) أى فى الأرض ضارب بمروقه فيها ( وفرعها ) وأعلاها ورأسها ( فى السماء ) والكلمة العظيمة كلمة التوحيد أصلها تصديق بالجنان وفرعها اقرار باللسان وأكلها على الأركان وكان الشجرة شجرة وإن لم تكن حاملاً للمؤمن مؤمن وإن لم يكن حاملاً ولكن الأشجار ﴿ ٥٢٣ ﴾ لا تراد { سورة إبراهيم } إلا للثمار فأقوات النار إلا

من الأشجار إذا اعتادت الاخفاف فى عهد الأشجار والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك والجمهور على أنها النخلة فمن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم إن الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبرونى ماهى فوقع الناس فى شجرة البوادي وكنت صبيافوق فى قلبى أنها النخلة فهبت رسول الله عليه وسلم أن أقولها وأنا أصغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إنها النخلة فقال عمر يا بنى لو كنت قلتها لكانت أحب إلى من حمر النعم (توتى أكلها كل حين) تعطى ثمرها كل وقت ووقت الله لا ثمارها (بأذن ربها) بتيسيرخالقها

( أصلها ثابت ) يقول قلب المؤمن المخلص ثابت بلا الله إلا الله ( وفرعها فى السماء ) يقول بها يقبل عمل المؤمن المخلص (توتى أكلها كل حين) يقول بعمل المؤمن المخلص كل حين طاعة لله

﴿ أصلها ثابت ﴾ فى الأرض ضارب بمروقه فيها ﴿ وفرعها ﴾ وأعلاها ﴿ فى السماء ﴾ ويجوز أن يريد وفرعها أى أفنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الإضافة وقرئ ثابت أصلها والاول على أصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثانى ابلغ ﴿ توتى أكلها ﴾ تعطى ثمرها ﴿ كل حين ﴾ ووقت الله تعالى لا ثمارها ﴿ بأذن ربها ﴾

مسعود وأنس ومجاهد وعكرمة والضحاك (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرونى عن شجرة شبيه الرجل أو قال الرجل المسلم لا يتخات ورقها توتى أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع فى نفسى أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى النخلة قال فلما قلنا قلت لعمر يا أبا عبد الله والله لقد كان وقع فى نفسى أنها النخلة فقال ما منكم أن تشكلم فقلت لم أركم تشكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً فقال عمر لأن تكون قلتها أحب إلى من كذا وكذا . وفى رواية أن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم فحدثونى ماهى فوقع الناس فى شجرة البوادي قال عبد الله بن عمر ووقع فى نفسى أنها النخلة فاستحييت أن أتكلم ثم قالوا حدثنا ماهى يا رسول الله قال هى النخلة . وفى رواية عن ابن عباس أنها شجرة فى الجنة . وفى رواية أخرى عنه أنها المؤمن ﴿ وقوله ﴾ أصلها ثابت ﴿ يعنى فى الأرض ﴾ وفرعها ﴿ يعنى أعلاها ﴾ ﴿ فى السماء ﴾ يعنى ذاهبة فى السماء ﴿ توتى أكلها ﴾ يعنى ثمرها ﴿ كل حين ﴾ بأذن ربها ﴿ يعنى بأمر ربها والحين فى اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا فى مقداره ههنا فقال مجاهد وعكرمة الحين هنا سنة كاملة لأن النخلة تثمر فى كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة أشهر يعنى من وقت طلوعها إلى حين صرامها وروى ذلك عن ابن عباس أيضاً وقال على بن أبى طالب ثمانية أشهر يعنى أن مدة جلها بالعلمنا وظاهرا ثمانية أشهر وقيل أربعة أشهر من حين ظهور جلها إلى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعنى من وقت أن يؤكل منها إلى صرامها وقال الربيع بن أنس كل حين يعنى غدوة وعشية لأن ثمر النخل يؤكل أبداً ليلاً ونهاراً وصيفاً وشتاءً فيؤكل منها الجار والطاع والبلع والخلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس إلى حين الطرى الرطب فأكلها دائماً فى كل وقت يقول العلماء ووجه الحكمة فى تمثيل هذه الكلمة التى هى كلمة الإخلاص وأصل الإيمان بالنخلة حاصل من أوجه . أحدها أن كلمة الإخلاص شديدة الثبوت فى قلب المؤمن كثبوت أصل النخلة فى الأرض . الوجه الثانى أن هذه الكلمة ترفع عمل المؤمن إلى السماء كما قال تعالى إليه

وخيراً (بأذن ربها) يقول بأمر ربها واية الصفة كلمة طيبة فى الفع والمدة كشجرة طيبة وهى النخلة المؤمن أصلها ثابت بقول أصل الشجرة ثابت فى الأرض بعروقها فكذلك المؤمن ثابت بالحجة والبرهان وفرعها فى السماء يقول أغصان النخلة ترفع نحو السماء وكذلك عمل المؤمن المخلص يرفع إلى السماء توتى أكلها كل حين يقول يخرج ثمرها كل ستة أشهر بأذن ربها



ويعويهم ويضرب الله اذاناً من السماء ويضربهم من فوقهم ويضربهم من تحتهم ويضربهم من يمينهم ويضربهم من شمالهم ويضربهم من فوقهم ويضربهم من تحتهم ويضربهم من يمينهم ويضربهم من شمالهم (الجزء الثالث عشر) الكفر (كشجرة) ٥٢٤ خيثة) هي كل شجرة لا يطيب

ثمرها وفي الحديث انها شجرة الحنظل (اجتنت من فوق الارض) استؤصلت جذها وحقيقة الاجتثاث أخذ الجنة كلها وهو في مقابلة أصلها ثابت (مالها من قرار) أي استقرار يقال قرار الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يصمد بحجة فهو داحض غير ثابت (ثبت الله الذين آمنوا) أي يديمهم

بارادة قربها فكذلك المؤمن المخلص بصل كل حين طاعة وخيرا بأمره (ويضرب الله الامثال) هكذا بين الله الامثال صفة توحيده (لناس لعلمهم يتذكرون) لكي يتعظوا ويرغبوا في توحيده في قول الله جل ذكره (ومثل كلمة خيثة) وهو الشرك بالله (كشجرة خيثة) وهو المشرك يقول المشرك مذموم ليس له مدحة كما ان المشرك مذموم ليس له مدحة ويقال كشجرة خيثة وهي الحنظلة ليس لها منفعة ولا حلاوة فكذلك الشرك ليس فيه منفعة ولا مدحة (اجتنت)

بارادة خالقها وتكوينه \* ويضرب الله الامثال للناس لعلمهم يتذكرون \* لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعانى واذناء لها من الحسن \* ومثل كلمة خيثة كشجرة \* كمثل شجرة \* خيثة اجتنت \* استؤصلت واخذت جثتها بالكلمة \* من فوق الارض \* لان عروقها قريب منه \* مالها من قرار \* استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخيثة بالاشراك بالله تعالى والدعاء الى الكفر ونكذب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما عصب عن حق أو دأب الى صلاح والكلمة الخيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالحنطة وروى ذلك سرفوطا وبشجرة في الجنة والخيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك \* ثبت الله الذين آمنوا

يصمد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع النخلة الذي هو طالع في السماء الوجه الثالث ان ثمر النخلة يأتي في كل حين ووقت وكذلك ما يكسبه المؤمن من الاعمال الصالحة في كل وقت وحين يبركة هذه الكلمة فالمؤمن كلما قال لا اله الا الله صعدت الى السماء وجاءته بركاتها وثوابها وخيرها ومنفعتها الوجه الرابع ان النخلة شبيهة باللسان في غالب الامر لانها خنقت من فضلة طينة آدم وانما اذا قطع رأسها تموت كالآدمي بخلاف سائر الشجر فانه اذا قطع نبت وانما لا تحمّل حتى تلقح بطلع الذكر الوجه الخامس في وجه الحكمة في تثيل الايمان بالشجر على الاطلاق لان الشجرة لا تسمى شجرة الا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل ثابت وفرع قائم وكذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان \* وقوله سبحانه وتعالى \* ويضرب الله الامثال للناس لعلمهم يتذكرون \* يعني ان في ضرب الامثال زيادة في الافهام وتصوير المعاني وتذكير كبير ومواعظ لمن تذكر واتمظ \* وقوله تعالى \* ومثل كلمة خيثة \* وهو الشرك \* كشجرة خيثة \* يعني الحنظل قاله أس بن مالك ومجاهد وفي رواية عن ابن عباس انها الكشوث وعنه ايضا انها النوم وعنه ايضا انها الكافر لانه لا يقبل عمله فليس له أصل ثابت ولا يصعد الى السماء \* اجتنت \* يعني استؤصلت وقطعت \* من فوق الارض مالها من قرار \* يعني مال هذه الشجرة من ثبات في الارض لانها ليس لها أصل ثابت في الارض ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا الاعتقاد أصل ثابت فهذا وجه تثيل الكافر بهذه الشجرة الخيثة \* عن أنس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال هي النخلة ومثل كلمة خيثة كشجرة خيثة اجتنت من فوق الارض مالها من قرار قال هي الحنظلة أخرجه الترمذي سرفوطا وموقوفاً وقال الموقوف أصح \* قوله سبحانه وتعالى \* ثبت الله الذين آمنوا

اقتلعت (من فوق الارض مالها من قرار) من ثبات على وجه الارض كذلك المشرك ليس له حجة يأخذ بها كان (بالقول) ليس لشجرة الحنظلة أصل تثبت عليه ولا يقبل مع الشرك على (ثبت الله الذين آمنوا)

بالقول الثابت ﴿ الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم ﴾ في الحياة الدنيا ﴿ فلا يزالون اذا اقتنوا في دينهم كزكرا ويحيى عليهما السلام وجر جيس وشمعون والذين قنهم اصحاب الاخدود ﴾ وفي الآخرة ﴿ فلا يثلمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم احوال يوم القيامة وروى انه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تاد روحه جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من

عليه (بالقول الثابت) هو قول لا اله الا الله محمد رسول الله (في الحياة الدنيا) حق اذا قنوا في دينهم لم يزالوا كاثبت الذين قنهم اصحاب الاخدود وغير ذلك (وفي الآخرة) الجمهور على ان المراد به في القبر بتقنين الجواب وتمكين الصواب فعن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تاد روحه في جسده فيأتيه

بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويقال آمنوا يوم الميثاق بطيبة الانفس وهم أهل السعادة (بالقول الثابت) شهادة أن لا اله الا الله (في الحياة الدنيا) لكي لا يرجعوا عنها (وفي الآخرة)

بالقول الثابت ﴿ لما وصف الله الكلمة الطيبة في الآية المتقدمة أخبر في هذه الآية انه يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت والقول الثابت هي الكلمة الطيبة وهي شهادة أن لا اله الا الله في قول جمهور المفسرين ولما وصف الكلمة الخبيثة في الآية المتقدمة بكلمة الشرك قال في هذه الآية ويضل الله الظالمين يعني بالكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول جميع المفسرين ﴿ وقوله ﴾ في الحياة الدنيا ﴿ يعني في القبر عند السؤال ﴾ وفي الآخرة ﴿ يعني يوم القيامة عند البعث والحساب وهذا القول واضح ويصل عليه ماروى عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المسلم اذا سئل في القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قاله نزلت في عذاب القبر زاد في رواية يقال له من ربك فيقول ربى الله ونبي محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه البخارى ومسلم (ق) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم اذا صرفوا أماء ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فاما المؤمن فيقول أشهد أنه عبدالله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار أبداك الله به مقعدا من الجنة قال النى صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة ذكر لنا انه يسمع له في قبره ثم رجع الى حديث أنس وأما المنافق وفي رواية واما الكافر فيقول لأدرى كنت أقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا نلت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين لفظ البخارى ولمسلم بمعناه زاد في رواية انه يسمع له في قبره سبعون ذراعا ويملا عليه خضرا الى يوم يبعثون وأخرجه أبو داود عن أنس قال وهذا لفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا وضع في قبره أماء ملك فيقول ما كنت تمعد فان هداه الله قال كنت أعبد الله فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبدالله ورسوله فلا يسئل عن شئ بعدها فينطلق به الى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان مقعدك ولكن عصمك الله فابداك به بيتا في الجنة فيراء فيقول دعوني حتى أذهب فأبشر أهلى فيقال له اسكن وان الكافر والمنافق اذا وضع في قبره أماء ملك فينهضه فيقول ما كنت تمعد فيقول لأدرى فيقال له لا دريت ولا نلت فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول ما يقول الناس فيه فيضربه بمطرقة من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير التلدين

ربك ومادينك ومن نيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول

● وأخرج النسائى أيضا عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبر الميت أو قال اذا قبر أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر التكير فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول كنت أقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفتح له فى قبره سبعون ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له نعم فيقول أرجع الى أهلى فأخبرهم فيقولان نعم كنومة العروس الذى لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثلهم لا أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك كنت تقول ذلك فيقال للارض التثنى عليه فتلتم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك أخرجه الترمذى ● عن البراء بن مازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فأنهت الى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير ويده عودينكت به فى الارض فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا زاد فى رواية وقال ان الميت ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حين يقال له يا هذا من ربك ومادينك ومن نيك وفى رواية يأتى ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول الله ربى فيقولان له ومادينك فيقول دينى الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى يثب فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت زاد فى رواية فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ثم لقناه قال فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فأفرشوا له من الجنة واقصوا له بابا الى الجنة فيأتى به من ريجمها وطيبها ويفتح له فى قبره مدبصره وان كان الكافر فذكر موته قال فعاد روحه فى جسده ويأتى ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاهنا لا أدري فيقولان ما دينك فيقول هاهنا لا أدري فيقولان ما هذا الرجل الذى يثب فيكم فيقول هاهنا لا أدري فينادى مناد من السماء ان قد كذب عبدى فأفرشوا له من النار وألبسوه من النار وانفخوا له بابا الى النار فيأتى به من حرها وسمومها ويضيق به قبره حتى تختام فيه أضلاعه زاد فى رواية ثم يقبض له أعصى أبكم أصم معه حربة من حديد واضرب بها جبلا لصارتا يا فيضربه بها حربة يسهمها من بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح ● أخرجه أبو داود عن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لاختيكم واسألوا لها الثبوت فانه الآن بسئل أخرجه أبو داود ● عن عبد الرحمن بن ثمامة المهرى قال حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياق الموت فبكى بكاء طويلا وحول وجهه الى الجدار وحمل

ملكان فيجلسانه فى قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبى محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ثم يقول الملكان عشت سعيدا ومت جيداً ثم كنومة العروس معنى فى القبر اذا سئل عنها

(ويضل الله الظالمين) فلا يثبتهم على ﴿٥٢٧﴾ القول الثابت في {سورة ابراهيم}

الثابت ﴿ويضل الله الظالمين﴾ الذين ظلوا أنفسهم بالاعتصام على التقليد فلا يثبتون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ﴿ويضل الله ما يشاء﴾ من تثبت به من واضلال آخرين من غير اعتراض عليه ﴿ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا﴾ أي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه أو بدلوا نفس النعمة كفرا قائم لما كفروا وسلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمة وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فكفروا بذلك فحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفرة وعن عمرو على رضى الله تعالى عنهما هم الانجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فامابنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر واما بنو امية فتمتوا الى حين ﴿واحلوا قومهم﴾ الذين شاربهم في الكفر ﴿دار البوار﴾ دار الهلاك بحملهم على الكفر

ابنه يقول ما يبكيك يا ابناء أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فاقبل بوجهه وقال ان افضل ما نعد شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله وفيه فاذا آتيت فلا تصمى نائمة ولا نار فاذا دفتقوت فشتوا على التراب شنائم أقيموا حول قبري قدر ما تخرج زور ويقيم لهما حتى استانس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى أخرجه مسلم بزيادة طويلة فيد قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو ان الله تعالى انما يثبتهم في القبر بسبب كثرة مواظبتهم على شهادة الحق في الحياة الدنيا وجهب لهما فن كانت مواظبته على شهادة الاخلاص أكثر كان رسوخها في قلبه أعظم فينبغي للعبد المسلم ان يكثر من قول لا اله الا الله محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكناته فامل الله عز وجل ان يرزقه ببركة مواظبته على شهادة الاخلاص التثبيت في القبر ويسهل عليه جواب الملكين بما فيه خلاصه من عذاب الآخرة نسأل الله التثبيت في القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه واحسانه انه على كل شئ قدير ﴿وقوله تعالى﴾ ﴿ويضل الله الظالمين﴾ يعنى ان الله تعالى لا يهدى المشركين الى الجواب بالصواب في القبر ﴿ويضل الله ما يشاء﴾ يعنى من التوفيق والخذلان والهداية والاضلال والتثبيت وتركه لا اعتراض عليه في جميع أفعاله لا يستل عما فعل وهم يستلون ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا﴾ (خ) عن ابن عباس في قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا قال هم كفار مكة وفي رواية قال هم والله كفار قريش قال عمرهم قريش ونعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿واحلوا قومهم دار البوار﴾ قال النار يوم بدر وعن على رضى الله عنه قال هم كفار قريش فجزوا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الانجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية أما بنو المغيرة فقد كفيتهم يوم بدر واما بنو امية فقد تمتوا الى حين فقوله بدلوا نعمت الله كفرا معناه ان الله تعالى لما أنعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فارسل اليهم وأنزل عليه كتابه ليجرهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان اختاروا الكفر على الايمان

مواقف الفتن وتذل أقدامهم أول شئ وهم في الآخرة أمثل وأرأى يضل الله ما يشاء) فلا اعتراض عليه في تثبت المؤمنين واضلال الظالمين (ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله) أي شكر نعمة الله (كفرا) لان شكرها الذى وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا مكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا وهم أهل مكة أكرمهم محمد عليه السلام فكفروا ونعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر (وأحلوا قومهم) الذين تابوهم على الكفر (دار البوار) دار الهلاك

(ويضل الله) يصرف الله (الظالمين) المشركين عن قول لا اله الا الله في الدنيا لكي لا يقولوا بطيية النفس ولا في القبر ولا اذا أخرجوا من القبور وهم أهل الشقاوة (ويضل الله ما يشاء) من الاضلال والتثبت ويقال من صرف منكرو تكير (ألم تر) ألم تحبب يا محمد (الى الذين) عن الذين (بدلوا نعمت الله) غير وامنة الله بالكتاب والرسل (كفرا) بالكفر أي كفروا بمحمد عليه السلام والقرآن وهم بنو امية وبنو المغيرة المطعونون يوم بدر (وأحلوا قومهم) انزلوا أهل مكة (دار البوار) دار الهلاك يعنى دار بدر ويقال جهنم ثم قال

﴿ جهنم ﴾ عطف بيان لها ﴿ يصلونها ﴾ حال منها أو من القوم أي داخلين فيها مقاسين لحرها  
أو مفسر لفضل مقدر ناصب لجهنم ﴿ وبئس القرار ﴾ أي وبئس المقر جهنم ﴿ وجعلوا  
لله أضادا ليضلوا عن سبيله ﴾ الذي هو التوحيد • وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس  
عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد ولكن لما كان  
نتيجته جعل كافتراض ﴿ قل تمعوا ﴾ بشهواتكم أو بصادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات  
التي تجمع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايدان بأن المهتد عليه كالمطلوب لافضائه الى  
المهديه وان الامر بن كائن لا محالة ولذلك علله بقوله ﴿ فان مصيركم الى النار ﴾  
وان المخاطب لانهما كه فيه كالأمور به من أمر مطاع ﴿ قل لبادي الذين آمنوا ﴾  
خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبها على انهم المفيون لحقوق اليهودية ومقول قل محذوف  
دل عليه جوابه أي قل لبادي الذين آمنوا اقيموا الصلاة واتقوا ﴿ يقيموا الصلوة  
وينفقوا مازقاها ﴾ فيكون ايدانا بانهم افراط مطاوعتهم الرسول صلى الله تعالى عليه  
وسلم بحيث لا ينفك فطهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بالام الامر  
ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله

محمد فقد نفسك كل نفس • اذا ما خفت من امر نبلا  
لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيوا وانفقوا قائمين مقامهما وهو ضيف لانه لا بد من  
مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل  
واحدا ~~هو~~ سرا وعلانية ~~في~~ متعسان على الصدر أي اتفاق سر وعلانية أو على الحال أي  
ذوي سر وعلانية أو على الظرف أي وقت

وغير وانعمة الله عليهم وقيل يجوز أن يكون بدلووا شكر نعمة الله عليهم كفرا لانهم لما وجب  
عليهم الشكر بسبب هذه النعمة أنوا بالكفر فكانهم غيروا السكر وبدلوه بالكفر وأحلوا  
قومهم يعني من تبعهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعني دار الهلاك ثم فسرهما بقوله  
تعالى ﴿ووجههم يصلونها﴾ وبئس القرار ﴿يعني المستقر﴾ وجعلوا لله أندادا ﴿يعني  
أمثلا وأشباهها من الاصنام وليس لله تعالى ندولا شبيه ولا مثل تعالى الله عن الند  
والشبه والمثل علوا كبيرا﴾ ﴿يضلوا عن سبيله﴾ يعني يضلوا الناس عن طريق الهدى  
ودين الحق ﴿ولتتبعوا﴾ أي مثل ما محمد لهؤلاء الكفار تتبعوا في الدنيا أياما نالوا  
﴿فان مصيركم الى النار﴾ يعني في الآخرة ﴿عوله تعالى﴾ ﴿وقل لعبادي الذين آمنوا سبوا  
الصلاة﴾ يعني أقيموا أوليقيموا الصلاة الواجبة واقامتها عام أركانها هـ وينصموا ما  
رزقناهم ﴿قل أراد بهذا الاتفاق اخراج الزكاة الواجبة وقيل أراد به جميع الاتفاق  
في جميع وجوه الخرب والبر وجهه على العموم أولى ليدخل فيه اخراج الزكاة والاتفاق  
في جميع وجوه الزر ؟ سرا وعلانية﴾ ﴿يعني ينفون أموالهم في حال السر وحال العلانية

لازمكة) (تموا) عيشوا في كفركم (فان مصيركم الى النار) يوم القيامة (ال) يا محمد (لعبادي الذين آمنوا) بي (وقيل)  
وبالكتب والرسول (تتم الصلوات) الصلوات الخمس بوضوء اركوع واحد سجد واحد وما يجب فيها في مواقيتها (وينةتوا)  
يتصدقوا (بما رزقاهم) ما أعطياهم من الاموال (سرا) خفيا (وعلانة) جهرا

(من قبل أن يأتيكم المصير)

فيه ولا خلل) أى لا استفاح فيه بمعاينة ولا محال ولا خلل المحال وإنما يتفح فيه بالانفاق لوجه الله بفحصهما مكي وبصري والباقون بالرفع والتوين (الله) مبتدأ (الذى خلق السموات والارض) خبره (وأ نزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) من الثمرات بيان للرزق أى أخرج به رزقا هو ثمرات أو من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حال من المفعول (وسفر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأسره وسفر لكم الانهار

وهم اصحاب محمد صلى الله عليه  
وسلم (من قبل أن يأتي يوم)  
وهو يوم القيامة (لا يسع فيه)  
لا فداء فيه (ولا خلال)  
لا مغالة للكافر والصالح  
تفغره خلقه ثم وحد نفسه  
فقال (الله الذي خلق  
السموات والارض وأزل  
من السماء ماء) مطر (الافخرج  
به) فانبت بالمطر (من الغرات)  
من ألوان الثمرات (رزقا  
لكم) طعاما لكم ولسائر الخلق  
(وسخر) ذلل (لكم القللك)  
يعنى السفن (لتجبرى) الفلك  
(فى البحر بأمره) بأذنه وأرادته  
(وسخر) ذلل (أكم الانهار)  
تجبرى حيث تشاؤون

سر وعلائية والاحب اعلان الواجب واخفاء المنطوع به ﴿ من قبل ان يأتى يوم لا ينج فيه ﴾ فيتاع المقصر ما يندرك به تقصيره أو يفدى نفسه ﴿ ولا خلل ﴾ ولا غفلة فيشتملك خليك أو من قبل ان يأتى يوم لا انتفاع فيه عيابة ولا غفلة أو ما يتنفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرأ ابن كثير وابوعرو ويعقوب بالفتح فيها على النقي العام ﴿ الله الذى خلق السموات والارض ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقكم ﴾ تعيشون به وهو يشمل الطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فيتنصب بالعلة أو المصدر لان اخرج فى معنى رزق ﴿ وسخر لكم الفلك لتجربى فى البحر بأمره ﴾ عشيته الى حيث توجهتم ﴿ وسخر لكم الانهار ﴾ فجعلها مودة لا تنفакكم وتصرفكم وقبل تسخير هذه الاشياء تعليم

وقيل أراد بالسرسدقة التطوع وبالملاينة اخراج الزكاة الواجبة ﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه﴾ قال أبو عبيدة البيع هنا القداء يعني لافداء في ذلك اليوم ﴿ولا خلال﴾ يعني ولا خلعة وهو المودة والصداقة التي تكون غفالة بين اثنين وقال مقاتل انما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالطة ولا قرابة انما هي الاعمال اما ان يأت بها أو يعاقب عليها فان قلت كيف نفي الخلطة في هذه الآية وفي الآية التي في سورة البقرة وأثبتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا للمتقين قلت الآية الدالة على نفي الخلطة محمولة على نفي الخلطة الحاصلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والآية الدالة على حصول الخلطة وثبوتها محمولة على الخلطة الحاصلة بسبب محبة الله ألا تراها أثبت للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل ان ليوم القيامه أحوالا مختلفة ففي بعضها يشتمل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتشاطب الاخلاء بعضهم على بعض اذا كانت تلك المخالطة لله في محبته ﴿قوله عز وجل﴾ الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقكم ﴿اعلم انه تقدم تفسير هذه الآية في مواضع كثيرة ونذكر هنا بعض فوائدها هذه الآية الدالة على وجود الصانع المختار القادر والذي لا يعجزه شيء أراد فقوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض انما بدأ بذكر خلق السموات والارض لانهما أعظم المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وأنزل من السماء ماء يعني من السحاب سمي السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرجه أي بذلك الماء من الثمرات رزقكم والبراسم يقع على ما يحصل من الشجر وقديقع على الزرع أيضا بدليل قوله كلوا من ثمرة اذا أنتم وآتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق أي أخرجه رزقا هو الثمرات ﴿وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى انعامه بانزال المطر واخراج الثمر لاجل الرزق والانتفاع به ذكر نعمته على عباده تخيير السفن الجارية على الماء لاجل الانتفاع بها في جاب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلاد الى بلد آخر فهي من تمام نعم الله على عباده ﴿وسخر لكم الانهار﴾ يعني ذلالها لكم تنجرونها حيث شئتم ولما

وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) دائمين وهو حال من الشمس والقمر أي بما يأن في يدهما وأثارتهما ورهما الظلمات وإصلاح ما يصلحان من الأرض { الجزء الثالث عشر } والابدان والنبات ﴿ ٥٣٠ ﴾ (وسخر لكم الليل والنهار

كيفية اتخاذها) وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ﴿ يدأبان في سيرهما وأثارتهما وإصلاح ما يصلحانه من المكونات ﴾ وسخر لكم الليل والنهار ﴿ يتعاقبان لسباتكم ومساكنكم ﴾ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴿ أي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه شيئاً فإن الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى وأمل المراد بما سألتموه ما كان حقيقة إبان بسأل لاحتياج الناس إليه مثل أولم يسأل وما يحتمل أن تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتونين أي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم إليه وما سألتموه بلسان الحال ويجوز أن تكون مانافية في موقع الحال أي وآتاكم من كل شيء غير سائلين ﴿ وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها ﴾ لا تحصرها ولا تطبقوا عدأنواعها فضلاً عن أفرادها فأنها غير متناهية وفيه دليل على أن المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ﴿ إن الإنسان لظلوم ﴾ يظلم النعمة باغفال شكرها ويظلم نفسه بأن يمرضها للحرمان ﴿ كفار ﴾ شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويحزع كفار في النعمة بجمع ويحزع

يتعاقبات خلقة لما شكم وسباتكم) وآتاكم من كل ما سألتموه) من التبويض أي آتاكم بعض جميع ما سألتموه أو آتاكم من كل شيء سألتموه وما لم تسألوه فاموصولة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية لأن الباقي يدل على المحذوف كقوله سرايل تقيكم الحر من كل عن أبي عمرو وما سألتموه نفي وعمله النصب على الحال أي آتاكم من جميع ذلك غير سائلين وما موصولة أي وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه فكانكم سألتموه وأطلبتموه بلسان الحال (وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها) لا تطبقوا عدداً وبلغ آخرها هذا إذا أرادوا أن يمدوها على الأجل وأما التفصيل فلا يعلم إلا الله (إن الإنسان لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها (كفار) شديد الكفران لها وظلوم في الشدة يشكو ويحزع كفار في النعمة بجمع ويحزع والإنسان للجنس فيتناول الأخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه (وسخر لكم) ذلك لكم (الشمس والقمر دائبين) دائمين إلى يوم القيامة (وسخر) ذل

كان ماء البحر لا ينفع به في سقي الزرع والثمرات ولا في الشراب أبصا ذكر نعمته على عباده في تسخير الأنهار وتغيير العيون لأجل هذه الحاجة فهو من أعظم نعم الله على عباده ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ﴾ الدأب العادة المستمرة دائماً على حالة واحدة ودأب في السير دائم عليه والمعنى إن الله سخر الشمس والقمر يجريان دائماً فيما يسود إلى مصالح العباد لا يفتران إلى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس دؤبها في طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه يدأبان في طاعة الله أي في سيرهما وتأثيرهما في إزالة الظلمة وإصلاح النبات والحيوان لأن الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانصامه على عباده وتسخيره لهم ﴿ وسخر لكم الليل والنهار ﴾ يعني يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انصام الله على عباده وتسخيره لهم ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى النعم العظام التي أنعم الله بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك أنه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل أعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا يأتى على بعضها العدد والحصر والمعنى وآتاكم من كل ما سألتموه شيئاً فحذف شيئاً اكتفاء بدلالة الكلام على التبويض وقيل هو على الكثير يعني وآتاكم من كل شيء سألتموه وما لم تسألوه لأن نعمه علينا أكثر من أن تحصى ﴿ وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها ﴾ يعني إن نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر أحد على حصرها ولا عدها لكثرة ما ﴿ إن الإنسان ﴾ قال ابن عباس يريد بأجل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصده الكافر ﴿ ظلوم كفار ﴾ يعني ظلوم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر لغير من أنعم

( لكم الليل والنهار ) يحيى ويذهب ( وآتاكم ) أعطاكم ( من كل ما سألتموه ) وما لم تحسبوا أو تسألوا ( وإن تعدوا نعمت ) ( عليه ) الله ( منة الله ) لا تحصوها ولا تحفظوها ولا تشكروها ( إن الإنسان ) يعني الكافر ( لظلوم ) مشرك ( كفار ) كافر بالله وبنعمته

﴿ واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد ﴾ بلدة مكة ﴿ آمناً ﴾ ذا أمن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلداً آمناً ان المسؤول في الاول ازالة الخوف عنه وتصديره آمناً وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة ﴿ واجنبني وبنى ﴾ بعدنى وإياهم ﴿ ان نعبد الاصنام ﴾ واجعلنا منها في جانب وقري ﴿ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء توفيق الله تعالى وحفظه إياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبدوا الصنم محتجابه وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت جبر فحيث ما نصبنا

عليه فيضع الشكر في غير موضعه كفار جحدتم الله عليه وقيل يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفر ان لها وقيل ظلم في الشدة يشكوا ويخرج كفار في النعمة يجمع ويتنع ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً ﴿ يعنى ذا أمن يؤمن فيه واراد بالبلدة مكة فان قلت أى فرق بين قوله اجعل هذا بلداً آمناً وبين قوله اجعل هذا البلد آمناً قلت الفرق بينهما انه سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التى يأمن أهلها فيها ولا يخافون وسأل في الثانى أن يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدّها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمناً ﴿ واجنبني وبنى أن نعبد الاصنام ﴾ يعنى أبعدنى وبنى ان نعبد الاصنام فان قلت قد توجه على هذه الآية اشكالات وهى من وجوه الاول ان ابراهيم دعا رباً أن يجعل مكة آمنة ثم ان جماعة من الجابرة وغيرهم قد أغاروا عليها وأخافوا أهلها الوجه الثانى ان الانبياء عليهم وعلى نبيا أفضل الصلاة والسلام معصومون من عبادة الاصنام واذ كان كذلك فما الفائدة في قوله اجنبني عن عبادتها الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام سأل رباً أيضاً أن ينجب بنيه عن عبادة الاصنام وقد وجد كثير من بنيه عبد الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم فمن ينسب الى ابراهيم عليه السلام قلت الجواب عن الوجوه المذكورة من وجوه فالجواب عن الوجه الاول من وجهين أحدهما أن ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الحراب وهذا موجود بحمد الله ولم يقدر أحد على خراب مكة وأورد على هذا ما ورد في الصحيح عن أنى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الكعبة ذوا السويقتين من الحبشة أخرجاه في الصحيحين وأجيب عنه ما قوله اجعل هذا البلد آمناً يعنى الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذى السويقتين فلا تعارض بين النصين الوجه الثانى أن يكون المراد اجعل أهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الامن في بلدهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله وتخطب الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى ان من التجأ الى مكة آمن على نفسه وماله من ذلك وحتى أن الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت الحرم أمنت واستأنست لعلها انه لا يجمعها أحد في الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله بمكة وحرمها

( واذ قال ابراهيم ) واذكر  
اذ قال ابراهيم ( رب اجعل  
هذا البلد ) أى بلد الحرام  
( آمناً ) ذا أمن والفرق  
بين هذه وبين ما في البقرة  
انه قد سأل فيها أن يجعله  
من جملة البلدان التى يأمن  
أهلها وفي الثانى أن يخرج  
من صفة الخوف الى الامن كأنه  
قال هو بلد مخوف فاجعله  
آمناً ( واجنبني ) وبعدنى  
أى يبتنى وأدمنى على اجتناب  
عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين  
لك أى يثبتنا على الاسلام  
( وبنى ) أراد بنيه من صلبه ( ان  
نعبد الاصنام ) من أن نعبد  
الاصنام

( واذ قال ) وقد قال  
( ابراهيم ) بعد ما بنى البيت  
( رب ) يارب ( اجعل هذا  
البلد ) مكة ( آمناً ) من ان  
يهاج فيه ويأمن فيه الخائف  
( واجنبني ) احفظنى ( وبنى  
أن نعبد الاصنام ) من عبادة  
الاصنام والنيران ويقال  
اعصمنى



جبرافهو بمنزلة ﴿ رب انهن اضلن كثيرا ﴾ فلذلك سألت منك العصمة واستعدت بك من اضلالهن واستناد الاضلال اليهن باعتبار السيئة كقوله تعالى وغيرتهم الحياة الدنيا ﴿ فن تبعني ﴾ على ديني ﴿ فانه مني ﴾ أي بعضي لا ينفك عني في امر الدين ﴿ ومن عصاني فانك غفور رحيم ﴾ تقدر ان تغفر له وترجه ابتداء أو بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب لله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ﴿ ربنا اني اسكنت من ذريقي ﴾ أي بعض ذريقي أو ذرية من ذريقي فحذف المفعول

هو أما الجواب عن الوجه الثاني فن وجوه أيضا الوجه الاول أن دعاء ابراهيم عليه السلام لنفسه لزيادة العصمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام وان كان سلم أن الله سبحانه وتعالى يصمه من عبادة الاصنام الا أنه دعاه بهذا الدعاء هضمًا للنفس و اظهار اللجج والحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى ورجته وان أحدا لا يقدر على نفع نفسه بشئ لم ينفعه الله به فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء وأما دعاء ولديه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الاول ان ابراهيم دعا ولديه من صلبه ولم يبدأ أحد منهم صمًا قط الوجه الثاني انه أراد أولاده وأولاد أولاده الموجودين حالة الدعاء ولا شك أن ابراهيم عليه السلام قنًا يجب فيهم الوجه الثالث قال الواحدى دعا لمن أذن الله أن يدعوه فكأنه قال وبني الذين أذنت لي في الدعاء لهم لان دعاء الانبياء مستجاب وقد كان من بنيهم عبد الصم فعلى هذا لوجه يكون هذا الدعاء من العام المخصوص الوجه الرابع ان هذا مختص بالمؤمنين من أولاده والدليل عليه أنه قال في آخر الآية ﴿ فن تبعني فانه مني ﴾ وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه فليس منه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وقوله تعالى ﴿ رب انهن ﴾ يعنى الاصنام ﴿ اضلن كثيرا ﴾ كثيرا من الناس ﴿ وهذا عجز لان الاصنام جادات ومجارات لا تعقل شيئاً حتى تفصل من عيها الا أنه لما حصل الاضلال بعبادتها أضيف اليها كما تقول قتلهم الدنيا وغيرهم وانما قتلها وابتغوا بسببها ﴿ فن تبعني فانه مني ﴾ يعنى فن تبعني على ديني واعقداي فانه مني يعنى المدينين بدينى المنسكين بحبلى كما قال الشاعر اذا حاولت في أسد فحورا ء فاني لست منك ولست مني

أرادولست من المنسكين بحبلى وقيل معناه فانه مني حكمه حكيمى جار مجراى فى القرب والاختصاص ﴿ ومن عصاني ﴾ يعنى فى غير الدين ﴿ فانك غفور رحيم ﴾ قال السدى ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني فبادون الشرك فانك غفور رحيم وشرح أبو بكر بن الانبارى هذا فقال ومن عصاني فخالفنى فى بعض الشرائع وعقائد التوحيد فانك غفور رحيم ان شئت أن تغفر له غفرت اذا كان مسلماً وذكر وجهين آخرين أحدهما ان هذا كان قبل أن يسله الله أنه لا يغفر الشرك كما استغفر لآبويه وهو يقول ان ذلك غير محذور فلما عرف أنهم غير مغفور لهم ابتدأ منهم ما والوجه الآخر ومن عصاني ما قامته على الكفر فانك غفور رحيم يعنى انك قادر على أن تغفر له وترجه بان تنقله من الكفر الى الايمان والاسلام وتهديه الى الصواب ﴿ قوله عز وجل ﴾ اخبار عن ابراهيم ﴿ ربنا اني اسكنت من ذرتي

(رب انهن اضلن كثيرا من الناس) جعلن مضلات على طريق التسييب لان الناس ضلوا بسببهن فكأنهن اضلنهم (فن تبعني) على ملقى وكان حنيفا مسلما مثل (فانه مني) أي هو بعضي لفرط اختصاصه بي (ومن عصاني) فيبادون الشرك (فانك غفور رحيم) أو ومن عصاني عصيان شرك فانك غفور رحيم ان تاب وآمن (ربنا اني اسكنت من ذريقي) بعض أولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه

(رب) يارب (انهن اضلن كثيرا من الناس) أي اضل بين كثير من الناس ويقال ضل بين كثير من الناس (فن تبعني) تبع ديني وأطاعني (فانه مني) على ديني (ومن عصاني) فخالف ديني (فانك غفور) متجاوز لمن تاب منهم أي يتوب عليهم (رحيم) لمن مات على التوبة (ربنا) ياربنا (اني اسكنت) أنزلت (من ذري) اسماعيل وأمه هاجر

وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكائهم ﴿ بواد غير ذي زرع ﴾ يعني وادي مكة قالها جبرية لا نبت ﴿ عند بيتك المحرم ﴾ الذي حرمت التعرض له والتهاون به أو لم يزل معظما مما تهابه الجبابرة أو منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا أي اعتق منه ودعا بهذا الدعاء أول ما قدم قلعه قال ذلك باعتبار ما كان أو ما سيؤول اليه روى أن هاجر كانت لسادة رضى الله عنها فوهبتها لابراهيم عليه السلام فقارت عليهما فولدت منه اسمعيل عليه السلام فنشدته أن يخرجهما من عندها فأخرجهما إلى ارض مكة فظهر الله عين زمزم ثم أنجرهم رأوا ثم طورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصده فرأوهما وعندهما

بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ﴿ ( خ ) عن ابن عباس قال أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم سمعل اتخذت منطقتا تنقي أثرها على ساحة ثم جاء بها ابراهيم ويا بنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بهاماء فوضعها هناك ووضع عندهما جرابا فيه عرو وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا تبعته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم الى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت له ذلك سرارا وجعل لا تلتفت اليها فقالت الله أمرنا بهذا قال نعم قالت اذا لا يصيبنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم فدعا بهذه الدعوات فرفع يديه فقال رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفذ ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلطح فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض بليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فبهطت منه حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبی صلی الله علیه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صد تريد نفسها ثم سمعت فسمعت صوتا أيضا فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث فاداهى بالملك عند موضع زمزم فبحث بمقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تفر من الماء فى سقاها وهو يجر يدها فترى وفي رواية قد مر ما تعرف قال ابن عباس قال النبی صلی الله علیه وسلم برح الله أم سمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم رف من الماء لكانت زمزم عينا ميتا قال فبسرته وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافى الضيعة فان ههنا بيت الله تعالى بنيه هذا العلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتقا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فترؤا فى أسفل مكة قرأوطا راعيا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء اعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فارسلوا جريا أو جريرين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروه فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا أأأذن لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حتى لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس

( بواد ) هو وادى مكة  
( غير ذي زرع ) لا يكون فيه شئ من زرع قط ( عند بيتك المحرم ) هو بيت الله سمي به لان الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حراما لمكاه أولاده لم يزل عندهما بكل جبار أولاده محترما عظيم الحرمه لا يحل انتهاكهم أولاده حرم على الطوفان أى منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه

( بواد ) فى واد ( غير ذي زرع ) ليس به زرع ولا نبات ( عند بيتك المحرم ) يعنى مكة

عين فقالوا أشركنا في مائك نشركك في الباسا ففعلت ﴿ ربنا ليقموا الصلوة ﴾ اللام  
لام كي وهي متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي البقع من كل مسرفق ومسرفق  
الاقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير الداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة  
بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الداء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الداء  
لهم باقامة الصلاة كأنه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها ﴿ فاجعل أفئدة  
من الناس ﴾ أي أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبويض ولذلك قيل لوقال أفئدة الناس  
لازدحت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى أو للابتداء كقولك القلب منى  
سقيم أي أفئدة ناس وقرأ هشام أفئدة بخلف عنه بيا بعد الهمزة وقرئ أفئدة وهو  
يحمل ان يكون مقلوب أفئدة كأدر في ادور وان يكون اسم فاعل من أفدت الرحلة  
إذا عجلت أي جاعة يجعلون نحوهم واحدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيها خراجها  
بين بين ويجوز ان يكون من أفد ﴿ تهوى اليهم ﴾ تسرع اليهم شوقا وودادا وقرئ

قال النبي صلى الله عليه وسلم قال في ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانس فزلوا وأرسلوا الى  
أهلهم فزلاهم حتى اذا كانوا بها أهل أليات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وآتسهم  
وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته بامرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعد  
ما تزوج اسمعيل بطالع تركته أخرجه البخاري باطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله  
في تفسير سورة البقرة ﴿ وأما تفسير الآية فقول ربنا اني أسكنت من ذريتى من التبويض أي  
بعض ذريتى وهو اسمعيل عليه السلام بواد غير ذي زرع معنى ليس فيه زرع لانه واد بين  
جبلين جبل أبي قبيس وجبل احياد وهو وادي مكة عند بيتك المحرم سماه محرما لانه  
يحترم عنده ما لا يحترم عند غيره وقيل لان الله حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسوء وحرم  
العرض له وانه واد به وبحرمته وجعل ما حوله محرما للمكانه وشرفه وقيل لانه حرم على  
الطوفان بمعنى امتنع منه وقيل سمي محرما لان الزائر ين له يحرمون على أنفسهم أشياء كانت مباحة  
لهم من قبل وسمى عتيقا ايضا لانه أعق من الجبابرة أو من الطومان فان قلت كيف قال عند بيتك  
المحرم ولم يكن هناك بيت حينئذ وانما جاء ابراهيم به بذلك قلت يحمل ان الله عز وجل أوحى اليه  
وأعلمه أن له هاهنا قد كان في سالف الزمان وانه سيمر فلذلك قال عند بيتك المحرم  
وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذي كان ثم رفع عند الطومان وقيل يحتمل  
أن يكون المعنى عند بيتك الذي جرى في سابق علك أنه سيحدث في هذا المكان  
﴿ ربنا ليقموا الصلوة ﴾ اللام في ليقموا متعلقة بأسكنت يعني أسكنت قوما من ذريتى  
وهو اسمعيل واولاده بهذا الوادي الذي لا زرع فيه ليقموا أي لاجل أن يقيموا  
أو لكي يقيموا الصلاة ﴿ فاجعل أفئدة من الناس ﴾ وقال البغوي جمع الوفد ﴿ تهوى  
اليهم ﴾ تحن وتشتاق اليهم قال السدي رحمه الله أمل قلوبهم الى هذا الموضع وقال  
ابن الجوزي أفئدة من الناس أي قلوب جاعة من الناس فلهذا جعله جمع فؤاد قال  
ابن الانباري واعما عن القلوب ما أفئدة لقرب القلب من الفؤاد فجعل القلب

(ربنا ليقموا الصلوة) اللام  
متعلقة بأسكنت أي ما  
أسكنتهم بهذا الوادي البقع  
الالقيموا الصلاة عند بيتك  
المحرم ويسمونه بذلك  
وعبادك ( فاجعل أفئدة  
من الناس) أفئدة من أفئدة  
الناس و من للتبويض لما  
روى عن مجاهد لوقال  
أفئدة الناس لزاحتكم  
عليه فارس والروم والترك  
والهند أو للابتداء كقولك  
القلب منى سقيم تريد قلبي  
فكاه قيل أفئدة ناس  
ونكرت المضاف اليه في  
هذا التثنية لتكثير أفئدة  
لأنها في الآية نكرة ليتناول  
بعض الأفئدة (تهوى اليهم)  
تسرع اليهم من البلاد  
الشاسعة وتطير نحوهم شوقا  
( رشا ) يارنا ( ليقموا  
الصلوة ) لكي يقيموا  
الصلوات نحو الكعبة ( فاجعل  
أفئدة من الناس ) قلوب  
بعض الناس (تهوى اليهم)  
تشتاق وتزغ اليهم كل سنة

تهوى على البناء للفقول من هوى السوا هواه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب  
وتعديته بالى اضمين معنى الزرع ووارزقهم من الثمرات مع سكناتهم واديا لانبات  
فيه لهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله عز وجل دعوته فجعله حرما آمنا  
يحجى اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم  
واحد ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علنا والمعنى انك اعلم باحوالنا  
ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكننا ندعوك اظهرا لعبوديتك  
واقفارا الى رحمتك واستعجالا لتبلى ما عندك وقيل ما نخفى من وجدنا لفرقة وما نعلن من  
التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للبالغة في التضرع واللباء الى الله تعالى  
وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء لان العالم بملذاتى يستوى نسبتته

والقواد جارحتين وقال الجوهري القواد القلب والجمع اقتدة فجعلهما حارحة  
واحدة ولقطة من في قوله من الناس للتبعض قال مجاهد لو قال ائمة الناس لزامتكم  
فارس وروم والنزك والهند وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى والمجوس  
ولكنه قال ائمة من الناس فهم المسلمون تهوى اليهم قال الاصمعي يقال هوى يهوى  
هويا اذا سقط من علو الى سفلى وقال الفراء تهوى اليهم تريدكم كما تقول رأيت فلانا  
يهوى نحوك معناه يريدك وقال أيضا تهوى تسرع اليهم وقال ابن الانبارى معناه تعظم  
اليهم وتعذر وتنزل هذا قول أهل اللغة في هذا الحرف وأما أقوال المفسرين فقال  
ابن عباس يريد تحن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع اليهم وفي هذا بيان أن حنين  
الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت لالاعيانهم وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج  
البيت ودعاء لسكان مكة من ذريته بانهم ينتفعون بمن يأتي اليهم من الناس لزيارة البيت  
فقد جمع ابراهيم عليه السلام في هذا الدعاء من أمر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت  
بركاته ووارزقهم من الثمرات يعنى كما رزقت سكان القرى ذوات الماء والزرع  
فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصل تلك الثمار وقيل يحتمل أن يكون المراد  
جلب الثمرات الى مكة بطريق القل والتجارة فهو كقولهم تعالى يحجى اليه ثمرات  
كل شئ وقوله تعالى لهم يشكرون يعنى لهم يشكرون هذه النعم التي أنعمت بها  
عليهم وقيل معناه لهم بوجدونك ويعظمونك وفيه دليل على أن تحصيل منافع الدنيا انما  
هو ليستمان بها على أداء العبادات واقامة الطاعات ربنا انك تعلم ما نخفى  
وما نعلن يعنى انك تعلم السر كما تعلم العلان علما لا تناوت فيه والمعنى انك تعلم احوالنا وما  
يصلحنا وما يفسدنا وأنت أرحم بنا منا فلا حاجة بنا الى الدعاء والطلب انما ندعوك  
اظهرا للسودبة لك وتحمسا لعظمتك وتذلا لمرتك واقفارا الى ما عندك وقيل معناه  
تعلم ما نخفى من الوجد بفرقة اسمعيل وأمه حيث اسكتهمما بواد غير ذي ررع وما نعلن  
يعنى من البكاء وقيل ما نخفى يعنى من الحزن المتكن في القاب وما نعلن يعنى ما جرى  
بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لابراهيم عليه السلام الى من تكلمنا قال  
الى الله قالت اذا لا يضيئنا وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء

(وارزقهم من الثمرات)  
مع سكناتهم واديا ما فيه  
شئ منها بأن تجلب اليهم من  
البلاد الشاسعة (لهم  
يشكرون) النعمة في أن  
يرزقوا أنواع الثمرات  
في واد ليس فيه شجر ولا ماء  
(ربنا) النداء المكرر دليل  
التضرع واللباء الى الله  
(انك تعلم ما نخفى وما نعلن)  
تعلم السر كما تعلم العلن (وما  
يخفى على الله من شئ في  
الارض ولا في السماء) من  
كلام الله عز وجل تصديقا  
لابراهيم عليه السلام ومن  
كلام ابراهيم ومن الاستفراق  
كانه قيل وما يخفى على الله

(وارزقهم من الثمرات)  
من ألوان الثمرات (لهم  
يشكرون) انكى يشكروا  
نعمتك (ربنا) يا ربنا (انك  
تعلم ما نخفى) من حب اسماعيل  
(وما نعلن) من حب اسحق  
ويقال ما نخفى من وجد  
اسماعيل وما نعلن من الخفاء له  
(وه يخفى على الله من شئ)  
من عمل خبير او شر  
(في الارض ولا في السماء)

شيء ما (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) على بمعنى مع وهو في موضع الحال أي وهب لي وأنا كبير (اسمعي واسمعي) روي في  
 ان اسمعيل ولده وهو ابن تسع وتسعين سنة وولده اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وروي أنه ولده اسمعيل لاربع  
 وستين واسحق تسعين { الجزء الثالث عشر } وانما ذكر حال ﴿ ٥٣٦ ﴾ الكبر لأن المنة هبة الولد فيها أعظم

إلى كل معلوم ومن الاستغراق ﴿ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر ﴾ أي وهب لي وأنا  
 كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استظاما للنعمة واطهارا لما فيها من آلائه  
 ﴿ اسمعيل واسمعي ﴾ روي أنه ولده اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي  
 عشرة سنة ﴿ ان ربي لسميع الدعاء ﴾ أي يجيب من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به  
 وهو من ابنة المبالغة العاملة على الفعل اخيف الى مقوله أو فاعله على اسناد السماع الى دعاء  
 الله تعالى على المجاز وفه اشعار بأنه دنا به وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤاله حين  
 ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واحلاها ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ﴾ بمدلالها  
 مواظبا عليها ﴿ ومن ذريتي ﴾ عطف على المنصوب في اجلتي والتبويض لعله باعلام

هذا من جهة قول ابراهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل  
 مكان وقال الا كثرون انه من قول الله تعالى تصديقا لابراهيم فيما قال فهو كقوله  
 وكذلك يفعلون ﴿ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسمعي ﴾ قال ابن  
 عباس ولد اسمعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولده اسحق وهو ابن مائة  
 واثنى عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر ابراهيم باسمعيل واسحق وهو ابن مائة وسبع  
 عشرة سنة ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لان هبة الولد في هذا السن من أعظم  
 المن لان من اليأس من الولد فلهذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله الذي  
 وهب لي على الكبر اسمعيل واسمعي فان قلت كيف جمع بين اسمعيل واسحق في الدعاء  
 في وقت واحد وانما بشر باسمعيل بعد اسمعيل بزمان طويل قلت يحتمل ان ابراهيم  
 عليه السلام انما أتى هذا الدعاء عند ما بشر باسمعيل وذلك أنه لما عظمت المنة عن قلبه  
 هبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل  
 واسمعي ولا يرد على هذا ما ورد في الحديث أنه دعا بما تقدم عند مفارقة اسمعيل  
 وأمه لان الذي صح في الحديث أنه دعا بقوله ربنا اني أسكنت من ذريتي اي قوله  
 لعلم يشكرون اذا ثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل  
 واسمعي في وقت آخر والله أعلم بحقيقة الحال ﴿ ان ربي لسميع الدعاء ﴾ كان ابراهيم  
 عليه السلام قد دعا ربه وسأله الولد بقوله رب هب لي من الصالحين فلما استجاب الله  
 دعاءه ووهبه ما سأل شكر الله على ما أكرمه به من اجابة دعائه فعند ذلك قال الحمد لله  
 الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسمعي ان ربي لسميع الدعاء وهو من قولك سمع  
 الملك كلام فلان اذا اعتد وقبله ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ﴾ يعني ممن بقم الصلاة  
 باركانها ويحافظ عليها في أوقاتها ﴿ ومن ذريتي ﴾ أي واجعل من ذريتي ممن بقم الصلاة  
 وانما أدخل لفظة من التي هي للتبويض في قوله ومن ذريتي لانه علم باعلام الله ياه انه

لأنها حال وقوع اليأس  
 من الولادة والظفر  
 بالحاجة على عقب  
 اليأس من أجل النعم ولان  
 الولادة في تلك السن العالية  
 كانت آية لابراهيم ( ان  
 ربي لسميع الدعاء ) مجيب  
 الدعاء من قولك سمع الملك  
 كلام فلان اذا تلقاه بالاجابة  
 والقبول ومنه سمع الله  
 لمن دنا منه وهو قد دعا ربه  
 وسأله الولد فقال رب  
 هب لي من الصالحين فشكر  
 الله ما أكرمه به من اجابته  
 وازادة السمع الى الدعاء  
 من اضافة الصفة الى مفعولها  
 وأصله لسميع الدعاء وقد  
 ذكر سيوريه فيلانا في جملة  
 ابنة المبالغة العاملة على  
 الفعل كقولك هذا رحم  
 أباه (رب اجعلني مقيم الصلاة  
 ومن ذريتي) وبعض ذريتي  
 عطف على المنصوب في  
 اجلتي وانما يعني لانه  
 علم باعلام الله انه يكون في  
 ذريته كفار عن ابن عباس  
 رضى الله عنهما لا يزال  
 من ولد ابراهيم ناس على  
 الفطرة الى أن تقوم الساعة

الحمد لله ( الشكر لله ) الذي وهب لي على الكبر ( بعد الكبر ) اسمعيل واسمعي وكان ابن مائة سنة واسرائه ( مد )  
 سارة بنت تسع وتسعين سنة حيث ولد هما ( ان ربي لسميع الدعاء ) مجيب الدعاء ( رب ) يارب ( اجعلني مقيم الصلاة ) ثم الصلاة  
 ( ومن ذريتي ) أيضا يقول اكرمني وأكرم

(ربنا وتقبل دعاء) باليام في الوصل والوقف مكي وافقه أبو عمرو وحجة في الوصل الباقون بلاياء أي استجب دعائي أو صيغتي . وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ﴿٥٣٧﴾ ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي﴾ {سورة إبراهيم} أي آدم وحواء أو قاله قيل

النبي واليأس عن إيمان أبيه (والمؤمنين يوم يقوم الحساب) أي يثبت أو أسند إلى الحساب قيام أهله استنادا مجازيا مثل وأسأل القرية (ولا تحسبن الله غاملا عما يعمل الظالمون) تسلية للمظلوم وتهديد للظالم والخطاب لتير الرسول عليه السلام وإن كان للرسول فالمراد تقيته عليه السلام على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخرو كاجاء في الاسم يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله وقبل المراد به الايمان بأنه ظالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون

ذريق باتمام الصلاة (ربنا) باربنا (وتقبل دعائي) عبادتي (ربنا) إربنا (اغفر لي) ذنوبي (ولوالدي) لأبائي المؤمنين (والمؤمنين) ولسائر المؤمنين والمؤمنات (يوم يقوم

الله أو استغواء عاده في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ واستجب دعائي أو وتقبل عبادتي ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي﴾ وقرئ لا بوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل أراد بهما آدم وحواء ﴿والمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق أو يقوم اليه اهله فحذف المضاف واستند اليه قيامهم مجازا ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به تقيته على ما هو عليه من أنه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بأنه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة أو اكل من توهم

قد يوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فهذا قال ومن ذرعتي وأراد بهم المؤمنين من ذريته ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ سأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يتقبل دعاءه فاستجاب الله لإبراهيم وقبل دعاءه بفضله ومنه وكرمه ﴿ربنا اغفر لي﴾ فإن قلت طلب المغفرة من الله إنما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبت عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الذنوب فما وجه طلب المغفرة له ؟ قالت المقصود منه الاتيحاء الى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شيء إلا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والاتكال على رحمة ﴿ولوالدي﴾ فإن قلت كيف استغفر إبراهيم لأبيه وكانا كافرين ؟ قلت أراد انهما ان اسما وتابا وقيل إنما قال ذلك قبل ان يتبين له أنهما من أصحاب الجحيم وقيل ان أمه أسلمت فدعاها وقيل أراد بوالديه آدم وحواء ﴿والمؤمنين﴾ يعني واغفر للمؤمنين كلهم ﴿يوم يقوم الحساب﴾ يعني يوم يبدو ويظهر الحساب وقيل أراد يوم يقوم الناس للحساب فاكثرت بذلك أي بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خليله إبراهيم عليه السلام ففيه إشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري الانسان من قلة التحفظ والنقطة وهذا في حق الله محال فلا بد من تأويل الآية فالمقصود منها أنه سبحانه وتعالى يتقن من الظالم للمظلوم فقه وعبد وتهديد للظالم واعلام له بان لا يامله معاملته لما قل منه بل ينقم ولا يزلّه مغفلا قال سفيان بن عيينة فيه تساية للمظلوم وتهديد للظالم فإن قال تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم غافلا وهو أعلم الناس به أنه لم يكن غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ؟ قالت اذا كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما الشيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين وتدع مع الله الها آخر وكقوله سبحا

الحساب) وم. ك. الحساب وتقوم الحسنة (قاو ح ٦٨) والسيئة فمن زادت له الحسنة وجبت لها الجنة ومن زادت له السيئة وجبت له النار ومن استوت له حسنة وسيئة فهو من أصحاب الاعراف (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) يقول تارك عقوبه

علم (انما يؤخرهم) أى { الجزء الثالث عشر } عقوبتهم ﴿ ٥٣٨ ﴾ (يوم تشخص فيه الابصار) أو

غفلته جهلاً بصفاته واختاراً بامهاله وقيل أنه تسليّة للظلم وتهديد للظالم ﴿ انما يؤخرهم ﴾ يؤخر عذابهم وعن أبى عمرو بالنون ﴿ يوم تشخص فيه الابصار ﴾ أى تشخص فيه ابصارهم فلا تقرقى أما كتبها من هول ماترى ﴿ مهطعين ﴾ مسرعين الى الداعي أو مقبّين بابصارهم لا يترقبون هبة وخوفاً واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء ﴿ مقبّين رؤسهم ﴾ رافعيها ﴿ لا يرتد اليهم طرفهم ﴾ بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف أو لا يرجع اليهم نظروهم ﴿ وأفندتم هواء ﴾ خلا ماى خالية من الفهم لفرط الخيرة والدهشة ومنه يقال الاحق والجنان قلبه هواء أى لا رأى فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤ هواء

وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق ﴿ وأنذر الناس ﴾ يا محمد ﴿ يوم يأتيهم العذاب ﴾ يعنى يوم القيامة أو يوم الموت

وتعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا أى أثبتوا على ما أنتم عليه من الايمان الوجه الثانى ان المراد بالنهى عن سبحانه فاعلام بأنه سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شئ وأنه ينفذ منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى ولا تحسبنه معاملهم معاملة الغافل عنهم ولكن يصامهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان المخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال لان أكثر الناس غير طارفين بصفات الله فن يجوز أن يحسبه غافلاً فليجمله بصفاته ﴿ انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ﴾ يقال تشخص بصر الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحتين لا يطرّفهما وشخص البصر يدل على الخيرة والدهشة من هول ماترى فى ذلك اليوم ﴿ مهطعين ﴾ قال قتادة مسرعين وهذا قول أبى عبيدة فعلى هذا المعنى ان الغالب من حال من بقى بصره شاخصاً من شدة الخوف أن يبقى واقفاً هاتفين الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية ان أحوال أهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتادة فآخبر سبحانه وتعالى انهم مع شخوص الابصار يكونون مهطعين يعنى مسرعين نحو الداعي وقيل المهطع الخاضع الدال الساكث ﴿ مةى رؤسهم ﴾ الانقاع رفع الرأس الى فوق فاهل الموقف من صفتهم انهم رافعوا رؤسهم الى السماء وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلاء فانه يطرق ببصره الى الارض قال الحسن وحوه الناس يوم القيامة الى السماء لانظر أحداً الى أحد وهو قوله تعالى ﴿ لا يرتد اليهم طرفهم ﴾ أى لا ترجع اليهم ابصارهم من شدة الخوف فهى شاخصة لا ترتد اليهم فاشغلهم ما يرايدهم ﴿ وأفندتم هواء ﴾ أى خالية قل قتادة خرحت قلوبهم من صدورهم فصارت فى حناجرهم فلا يخرج من أفواههم ولا تعود الى أماكنها ومعنى الآية ان أفندتم خالية فارغة لا تبنى شيئاً ولا تعقل من شدة الخوف وقال سميد ابن جبر وأفندتم هواء أى مترددة تهوى فى أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الآية ان القلوب يومئذ تائهة عن أماكنها وابصار شاخصة والرؤس مرفوعة الى السماء من هول ذلك اليوم وشدة ﴿ وأنذر الناس ﴾ يعنى وخوف الناس يا محمد بيوم القيامة وهو ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ يوم يأتيهم العذاب

أبصارهم لا تقرقى أماكنها من هول ماترى (مهطعين) مسرعين الى الداعي (مقبّين رؤسهم) رافعيها (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم نظروهم فينظروا الى أنفسهم (وأفندتم هواء) صفر من الخير لا تبنى شيئاً من الخوف والهواء الخلاه

الذى لم تشغله الاجرام فوصفه بقبيل قلب فلان هواء اذا كان جباناً لا قوة فى قلبه ولا جراءة وقيل جوف لا عقول لهم (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب) أى يوم القيامة ويوم مقبول ثان لانذر لا ظرف اذا لا نذار لا تكون

ما يحمل المشركون ( انما يؤخرهم) يؤجلهم (يوم تشخص فيه الابصار) ابصار الكفار وهو يوم القيامة (مهطعين) مسرعين قاصدين ناظرين الى الداعي ( مةى رؤسهم) مطأطئي رؤسهم ويقال رافعي رؤسهم ويقال مادي أعناقهم (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم ابصارهم الهول والفرع (وأفندتم) قلوبهم (هواء) خالية من كل خير ويقال لا طائفة ولا خارجة (وأنذر

الناس) خوف أهل مكة بالقرآن (يوم يأتيهم العذاب) من يوم يأتيهم العذاب وهو يوم بدر ويقال ( مقول )

في ذلك اليوم ( فيقول الذين ظلموا ) أي الكفار ( ربنا أخرنا الى أجل قريب نجيب دعوتك وتب الرحمة ) أي ردنا الى الدنيا وأمهلنا الى أمد واحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم ( أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ) أي حلقتم في الدنيا أنكم اذا متم لا تزلون عن تلك الحالة ولا تنفلون الى دار أخرى يعني كفرتم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت وما لكم بجواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب كقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لنيل ما لتأمن زوال أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء ﴿ ٥٣٩ ﴾ الملائكة بلا بشرى { سورة ابراهيم } فانهم يسألون يومئذ ان

يؤخرهم ربه الى أجل قريب يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه ( وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ) بالكسر لان السكنى من السكون وهو اللبث والاصل تمديته بني نحو قمر في الدار وأقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقل سكن الدار كاقيل تنبواها ويجوز أن يكون سكنوا من السكون أي قروا فيها واطمأنوا طبع الفوس سائر سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها عاقل الاولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيمتدوا ويرتدعوا ( وتبين لكم ) بالآخبار أو المشاهدة وقاعل تبين مضمحل عليه الكلام أي

فانه اول أيام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر ﴿ فيقول الذين ظلموا ﴾ بالسرك والتكذيب ﴿ ربنا أخرنا الى أجل قريب ﴾ أخر العذاب عنا ووردنا الى الدنيا وأمهلنا الى حد من الزمان قريب أو أخر آجالنا وإبقنا مقدار ما نؤثر من بك ونجيب دعوتك ﴿ نجيب دعوتك وتب الرحمة ﴾ جواب للرسل ﴿ جواب للأسر ونظيره لولا آخرتي الى أجل قريب فاصدقوا كن من الصالحين ﴾ أولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ﴿ على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم يا قرون في الدنيا لا تزلون بالموت ولعلمهم اقسموا بطرا وضرورا أو دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار أخرى وانهم اذا ماتوا لا يزلون عن تلك الحالة الى حالة أخرى كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ﴾ بالكفر والمعاصي كما دؤنمود واصل سكن ان بدى بني كفرو غنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوى فيجربى بجره كقوله سكنت الدار ﴿ وتبين لكم كيف فعلناهم ﴾ بما شاهدونه في منازلهم من آثار ما نزلهم وماتوا من عدمكم من أخبارهم ﴿ وضرنا لكم الامثال ﴾ من احوالهم أي يالكم امثالكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب أو صفات ما فعلوا وفعل هم التي هي في القرابة كالامثال

فيقول الذين ظلموا ﴿ يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي ﴾ ربنا أخرنا الى أجل قريب ﴿ يعني أمهلنا مدة سيرة قال بعضهم طلبوا الرجوع الى الدنيا حتى يؤمنوا فيفسهم ذلك وهو قوله تعالى ﴿ نجيب دعوتك وتب الرحمة ﴾ فاجيبوا بقوله ﴿ أولم تكونوا اقسمتم من قبل ﴾ يعني في دار الدنيا ﴿ ما لكم من زوال ﴾ يعني ما لكم من انتقال ولا بعث ولا نشور ﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ﴾ يعني بالكفر والمعاصي ممن كان قبلكم من كفار الامم الحالية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿ وتبين لكم كيف فعلناهم ﴾ يعني وقد عرفتم كيف كانت عقوبتنا ايهم ﴿ وضرنا لكم الامثال ﴾ يعني الامثال التي ضربها الله عز وجل في القرآن لتدروها وتعتدروا بما فيجب على كل من شاهد احوال الماضين من الامم الحالية والقرون

تبين لكم حالهم و( كيف ) ليس فاعل لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وانما نصب كيف بقوله ( فعلناهم ) أي أهلكناهم وانتقمنا منهم ( وضرنا لكم الامثال ) أي صفات ما فعلوا وما فعل هم وهي في القرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم

يوم القيامة ( فيقول الذين ظلموا ) أشركوا ( ربنا ) بآبنا ( أخرنا الى أجل قريب ) مثل أجل الدنيا ( نجيب دعوتك ) الى التوحيد ( وتب الرحمة ) لنطق الرسل بالاجابة فيقول الله لهم ( أولم تكونوا اقسمتم ) حلقتم ( من قبل ) من قبل هذا في الدنيا ( ما لكم من زوال ) من الدنيا ولا بعث ( وسكنتم ) نزلتم ( في مساكن ) في منازل ( الذين ظلموا أنفسهم ) بالسرك والتكذيب فلم يتعظوا بهلاكهم ( وتبين لكم كيف فعلناهم ) في الدنيا ( وضرنا ) بينا ( لكم الامثال ) في القرآن من كل وجه من الوعد والوعيد والرجة



(وقدمكروا مكرهم) أى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم وهو ما فعلوه من تأييد الكفر وبطلان الاسلام (وعند الله مكرهم) { الجزء الثالث عشر } وهو مضاف ﴿ ٥٤٠ ﴾ الى الفاعل كالأول والمعنى ومكتوب

المضروبة ﴿ وقدمكروا مكرهم ﴾ المستفرغ فيه جهدهم لا بطلان الحق وتقرير الباطل ﴿ وعند الله مكرهم ﴾ ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه أو عنده ما عكروهم به جزاء لمكرهم وإبطاله ﴿ وإن كان مكرهم ﴾ فى العظم والشدة ﴿ لتزول منه الجبال ﴾ مسوى لازالة الجبال ومعدالها وقيل ان نامية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليحبهم على ان الجبال مثل لاس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكرؤا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله تعالى وشرائعها وقرا الكسائي تزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هى الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم

الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف أهلكوا أن يعتبر بهم ويعمل في خلاص نفسه من العقاب والهلاك ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وقدمكروا مكرهم ﴿ اختلفوا في الضمير الى من يعود في قوله وقدمكروا فاقيل يعود الى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهذا القول صحيح لان الضمير يجب عوده الى أقرب مذكور وقيل ان المراد بقوله وقدمكروا كفار قريش الذين مكرؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله تعالى واذا مكر بك الذين كفروا الآية والمعنى وأمنر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب بمعنى بسبب مكرهم بك ﴿ وقوله تعالى ﴾ وعند الله مكرهم ﴿ يعنى جزاء مكرهم وقيل ان مكرهم مثبت عند الله ليجازيهم به يوم القيامة ﴿ وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ﴾ يعنى وإن كان مكرهم لا ضعف من أن تزول منه الجبال وقيل معناه ان مكرهم لا يزل أسر محمد صلى الله عليه وسلم الذى هو ثابت كشوت الجبال وقد حكى عن علي بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه فى الآية قولاً آخر وهو انها نزلت فى عمرو الجبار الذى حاج ابراهيم فى ربه فقال عمرو ان كان ما يقوله ابراهيم حقا فلا أنتهى حتى أسعد الى السماء فاعلم ما فيها فعمد الى أربعة أفراخ من النسور فرباهن حتى كبرت وشبت واتخذ نابوتا من خشب وجعل له بابا من أعلى وبابا من أسفل ثم جوع النسور ونصب خشبات أربعة فى أطراف النابوت وجعل على رؤس تلك الخشبات لحما أحر وقعد هو فى النابوت وأعمده رجلا آخر وأمر بالنسور فربطت فى أطراف النابوت من أسفل فجعات النسور كلما رأت اللحم رغبت فيه وطارت اليه فطارت النسور يوما أجمع حتى بعدت فى الهواء فقال عمرو لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح ونظر فقال له بن السماء كهيتها فقال له افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففعل فقال أرى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النسور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال عمرو لصاحبه افتح الباب الاعلى ففعل فاذا السماء كهيتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة فنودى أيها الطاغى أين تريد قال عكرمة وكان معه فى النابوت غلام قد جل

عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو الى المفعول أى وعند الله مكرهم الذى يكرهم به وهو عذابهم الذى يأتيهم من حيث لا يشعرون (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) بكسر اللام الاولى ونصب الثانية والتقدير وإن وقع مكرهم لزوال أسس النبي صلى الله عليه وسلم فبر عن أسس النبي عليه السلام بالجبال لعظم شأنه وكان نامة أو ان نامية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليحبهم والمعنى وعالم أن تزول الجبال عكرهم على ان الجبال مثل لايات الله وشرائعها لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا دليله قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وينفتح اللام الاولى ورفع الثانية على أى وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقطع عن أماكنها فان مخففة من ان

والعذاب (وقدمكروا مكرهم) صنعوا صنيعهم بالكذب بالرسول (وعند الله مكرهم) عقوبة صنيعهم (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) لكي تخزئنه

الجبال ان قرأت بخفض اللام الاولى ونصب اللام الاخرى ويقال وإن كان مكرهم وقد كان مكرهم مكر عمرو (القوس) الجبار لتزول منه الحال لتخر من الحال حيث سمع دوى النابوت والنسور ان قرأت بنصب اللام الاولى ورفع اللام الاخرى

واللام مؤكدة ( فلا تحسبن الله ) ﴿ ٥٤١ ﴾ يخلف وعده ﴿ سورة ابراهيم ﴾ ( يعني قوله ان الله ينصر )

رسلا كتب الله لاغلبن  
 اماورسل يخلف مفعول  
 ثان تحسبن وامناف  
 يخلف الى وعده وهو  
 المفعول الثاني له والاول  
 رسله والتقدير يخلف  
 رسله وعده وانما قدم  
 المفعول الثاني على الاول  
 ليعلم انه لا يخلف الوعد  
 أصلا كقوله ان الله لا يخلف  
 الميعاد ثم قال رسله لئلا  
 انه اذا لم يخلف وعده احدا  
 فكيف يخلفه رسله الذين  
 هم خيرته وصقوته ( ان  
 الله عزيز ) غالب لا يماكر  
 ( ذوانتقام ) لاوليائه من  
 أعدائه وانتصاب ( يوم  
 تبدل الارض غير الارض  
 والسموات ) على الظرف  
 للانتقام أو على اضممار  
 اذكر والمعنى يوم تبدل  
 هذه الارض التي تعرفونها  
 أرضا أخرى غير هذه المعروفة  
 وتبدل السموات غير  
 ( فلا تحسبن الله يخلف وعده  
 رسله ) رسله بنجاتهم وهلاك  
 أعدائهم ( ان الله عزيز ) في  
 ملكه وسلطانه ( ذوانتقام )  
 ذو قيمة من أعدائه في الدنيا  
 والآخرة ( يوم تبدل  
 الارض ) أى في يوم تغير  
 الارض ( غير الارض ) على  
 حال سوى هذه الحال

موقرى بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي موقرى وان كادهم ﴿ فلا تحسبن الله  
 يخلف وعده رسله ﴾ مثل قوله ان الله ينصر رسلا كتب الله لاغلبن اماورسل واصله يخلف  
 رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد أصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد  
 واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله ﴿ ان الله عزيز ﴾ غالب لا يماكر قادر لا ينافع  
 ﴿ ذوانتقام ﴾ لاوليائه من أعدائه ﴿ يوم تبدل الارض غير الارض ﴾ بدل من يوم تأتيهم  
 أو ظرف للانتقام أو مقدر باذكر أو لا يخلف وعده ولا يجوز ان يتصعب بخلف لان ما قبل  
 ان لا يعمل فيما بعده ﴿ والسموات ﴾ عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات  
 والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدارهم بالدارين وعليه قوله بدلتهم جلودا غيرها  
 وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذنتها وغيرت شكلها وعليه قوله بدلت الله

القوس والنشاب وأخذ معه الترس ورعى بسهم فعاد اليه السهم ملطحا بدم سمكة  
 قذفت بنفسها في بحر في الهواء وقيل ان طائرا أصابه السهم فلما رجع اليه السهم  
 ملطحا بالدم قال كيف اتاه السماء ثم أسر عمرود صاحبه أن يصوب الحشبات الى  
 أسفل وينكس اللحم ففعل فهبطت التسور بالتابوت فسمت الجبال خفيق التابوت  
 والتسور ففزعت وظنت انه قد حدث حدث من السماء وان الساعة قد قامت فكادت  
 تزول عن أماكنها فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال واستبعد  
 بعض العلماء هذه الحكاية وقال ان الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل أن يقدم على مثل  
 هذا الامر العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتأويل  
 الآية البتة ﴿ فلا تحسبن الله يخلف وعده رسله ﴾ يعني فلا تحسبن الله لا محمد يخلف  
 ما وعده رسله من النصر واعلاء الكلمة واطهار الدين فانه ناصر رسله وأوليائه  
 ومهلك أعدائه وفيه تقديم وتأخير تقديره ولا تحسبن الله يخلف رسله وعده ﴿ ان الله  
 عزيز ﴾ أى غالب ﴿ ذوانتقام ﴾ يعنى من أعدائه ﴿ قوله عز وجل ﴾ يوم تبدل  
 الارض غير الارض والسموات ﴿ ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين  
 أحدهما انه تبدل صفة الارض والسماء لاذتبا فاما تبدل الارض فتغير صفاتها  
 وهيئتها مع بقاء ذاتها وهو أن تدكك جبالها وتسوى وهادها وأوديتها وتذهب  
 أشجارها وجميع ما عليها من عمارة وغيرها لا يبقى على وجهها شئ الاذهب وتدمد الاديم  
 وأما تبدل السماء فهو أن تتثركواكبها وتطمس شمسها وقرها ويكوران وكونها نارة كالدهان  
 ونارة كالمهل وبهذا القول قال جماعة من العلماء وبديل على صحة هذا القول ما روى عن سهل  
 بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء  
 كقرصة النقي ليس بها علم لاحد أخرجاه في الصحاح العفراء العين المهملة وهى البيضاء  
 الى جرة ولهذا شبهها بقرصة النقي وهو الحبز الجيد البياض الفائق المائل الى جرة كان  
 النارملت بياض وجهها الى الجرة وقوله ليس بها علم لاحد يعنى ليس فيها علامة لاحد  
 تبدل هيئتها وزوال جبالها وجميع نباتها فلا يبقى فيها أثر يستدل به والقول الثاني هو تبدل

وتبدلها ان يزاد فيها وينقص منها وسوى جبالها وأوديتها ويقال تبدل الارض غير هذه الارض ( والسموات ) مطويات يجنبه

سيتأتى لهم حسرات والآية تحتملها وعن علي رضي الله تعالى عنه تبدل أرضنا من فضة  
وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وأنس رضي الله تعالى عنهما يحشر الناس على أرض  
بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي تلك الأرض  
وأعاقير صفاتها ويدل عليه ما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله تعالى عليه  
وسلم قال تبدل الأرض غير الأرض فتبسط وتعمد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجا  
ولا أمتاء واعلم أنه لا يلزم على الوجه الأول أن يكون الحاصل بالتبدل أرضا وسماء على  
الحقيقة ولا يبعد على الثاني أن يجعل الله الأرض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به

ذوات الأرض والسماء وهذا قول جماعة من العلماء ثم اختلفوا في معنى هذا التبدل فقال  
ابن مسعود في معنى هذه الآية قال تبدل الأرض بأرض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك بها  
دم ولم يعمل عليها خطيئة وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الأرض من فضة  
والسماء من ذهب وقال أبي بن كعب في معنى التبدل بأن تعيد الأرض نيرانا والسماء  
جنانا وقال أبو هريرة وسعيد بن جبيرة ومحمد بن كعب القرظي تبدل الأرض خبزة  
بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما  
يتكفؤ أحدكم خبزه في السفر نزلا لاهل الجنة أخرجه في الصحيحين بزيادة فيه  
قال الشيخ محي الدين النووي في شرح هذا الحديث أما النزول فبضم النون  
والزاء ويجوز إسكان الزاء وهو ما يبعد للضيق عند نزوله وأما الخبزة فبضم الخاء  
وقال أهل اللغة هي الطلعة التي توضع في الملة يتكفؤها بالهمز بيده أي يميلها من يد  
إلى يد حتى تجتمع وتسوى لأنها ليست منبسطة كالرقاقة وقد حتمنا الكلام في اليد  
في حق الله سبحانه وتعالى وتأويلها مع القطع باستحالة الجارية عليه ليس كذلك شيء  
ومعنى الحديث أن الله سبحانه وتعالى يجعل الأرض كالطلعة أي الرغيف العظيم وتكون  
طعاما نزلا لاهل الجنة والله على كل شيء قدير فان قلت إذا فسرت التبدل بما ذكرت  
فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها وهو أن تحدث بكل  
ما عمل عليها قلت وجه الجمع بين الآيتين أن الأرض تبدل أولا صفاتها مع بقاء ذاتها كما  
تقدم فيومئذ تحدث أخبارها ثم بعد ذلك تبدل تبديلا ثانيا وهو أن تبدل ذاتها  
بغيرها كما تقدم أيضا ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن عائشة قالت سألت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات  
فأين يكون الناس يومئذ برسول الله فقال على الصراط أخرجه مسلم وروى ثوبان أن  
حبرا من اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين يكون الناس يوم تبدل الأرض  
غير الأرض قال هم في الظلمة دون الجسر ذكره البغوي بغير سند ففي هذين الحديثين  
دليل على أن تبدل الأرض ثانی مرة يكون بعد الحساب والله أعلم بمراده وأسرار

السموات وأما حذف  
لدلالة ما قبله عليه والتبديل  
التنوير وقد يكون في الدوات  
كقولك بدلت الدارهم  
دنانير وفي الأوصاف  
كقولك بدلت الحلقة خاتما  
إذا أذبتها وسوتها خاتما  
فنقلتها من شكل إلى شكل  
واختلف في تبدل الأرض  
والسموات فقيل تبدل  
أوصافها وتسير عن الأرض  
جبالها وتغير بحارها  
وتسوى فلا ترى فيها عوجا  
ولا أمتاء وعن ابن عباس  
رضي الله عنهما هي تلك  
الأرض وأعاقير وتبدل  
السماء بالثائر كواكبها  
وكسوف شمسها وخسوف  
قمرها وانشقاقها وكونها  
أبوابا وقيل تخلق بدلها  
أرض وسموات أخرى وعن  
ابن مسعود رضي الله عنه  
يحشر الناس على أرض  
بيضاء لم يخطئ عليها أحد  
خطيئة وعن علي رضي الله  
عنه تبدل أرضنا من  
فضة وسموات من ذهب

(وبرزوا) وخرجوا من قبورهم (لله الواحد القهار) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلبه  
 (يضال فلا مستغاث لاحد الى غيره كان الامر في غاية الشدة) (وترى المجرمين) الكافرين (يومئذ يوم القيامة) (مقرنين) قرن  
 معهم مع بعض أو مع الشياطين ﴿٥٤٣﴾ أو قرنت أيديهم {سورة ابراهيم} الى أرجلهم مثلين (في

الاصفاد) متعلق بمقرنين  
 أي يقرون في الاصفاد  
 أو غير متعلق به والمعنى  
 مقرنين مصفدين والاصفاد  
 القيود والاغلال (سرايلهم)  
 قصصهم (من قطران) هو  
 ما يتحلب من شجر يسمى  
 الابل فيطبخ فيهنأ به الابل  
 الجري فيحرق الجرب بمحدثه

وحره ومن شأنه أن يسرع  
 فيه اشتعال النار وهو أسود  
 اللون مثلن الريح فيطلى به  
 جلود أهل النار حتى يعود  
 طلاؤه لهم كالسرايل ليجمع  
 عليهم لدغ القطران وحرقة  
 واسراع النار في جلودهم  
 واللون الوحش وتتن الريح  
 على ان التفاوت بين  
 القطرانيين كالتفاوت بين  
 البارز وكل ماعده الله  
 أو أوعده به في الآخرة فيبينه  
 وبين ما شاهد من جنسه  
 ما لا يقادر قدره وكأنه  
 ما عندنا منه الا الاسامي  
 والسميات ثمة نعموذ بالله  
 من سخطه وعذابه من  
 قطران زيد عن يعقوب  
 نحاس مذاب بلغ حرمانه

قوله تعالى كاذان كتاب الابرار في عليين وقوله ان كتاب الفجار في سجين ﴿وبرزوا﴾  
 من اجدانهم ﴿لله الواحد القهار﴾ لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة  
 على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر  
 اذا كان لواحد غلب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجبار ﴿وترى المجرمين﴾  
 يومئذ مقرنين ﴿قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله﴾  
 تعالى واذا النفوس زوجت أو قرنوا مع الشياطين أو مع ما اكتسبوا من العقائد الزائفة  
 والملكات الباطلة أو قرنت أيديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون  
 تمثيلا لما أخذتهم على ما اقترفته أيديهم وأرجلهم ﴿في الاصفاد﴾ متعلق بمقرنين أو حال  
 من ضميره والصفد قيد وقيل المل قال سلامة بن جندل

وزيد الخليل قد لاقى صفاداً بعض يساعداً وبعض ساق

واصله الشد ﴿سرايلهم﴾ قصصهم ﴿من قطران﴾ وجاء قطران وقطران لعتين فيه وهو  
 ما يتحلب من الابل فيطبخ فيهنأ به الابل الجري فيحرق الجرب بمحدثه وهو أسود مثلن تشتمل  
 فيه النار بسرعة يطل به جلود أهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقصص ليجمع عليهم لدغ  
 القطران ووحشة لونه وتتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانيين  
 كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة

كتابه ﴿وقوله تعالى ﴿وبرزوا﴾ يعني وخرجوا من قبورهم ﴿لله﴾ يعني لحكم الله  
 والوقوف بين يديه للحساب ﴿الواحد القهار﴾ صفتان لله تعالى فالواحد الذي لا ثاني له  
 ولا شريك معه المتزه عن التشبه والضعف والند والقهار الطالب الذي يقهر عباده على  
 ما يريد ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿قوله تعالى ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين﴾﴾  
 يعني مشدودين معهم الى بعض يقال قرنت الشيء بالشيء اذا شدته معه في رباط  
 واحد ﴿في الاصفاد﴾ يعني في القيود والاغلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع  
 شيطانه في سلسلة وقال ابو زيد تقرن أيديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهي  
 القيود وقال ابن قتبية يقرن بعضهم الى بعض ﴿سرايلهم﴾ يعني قصصهم واحدها  
 سرايل وقيل السرايل كل مالبس ﴿من قطران﴾ القطران دهن يتحلب من شجر الابل  
 والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الابل اذا جربت وهو الهناء يقال هأت البعير  
 أهؤه بالهناء وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم قطران سرايل لانه يبالغ  
 في اشتعال النار في الجلود ولو أراد الله المبالغة في احراقهم بغير ذلك لقدرة ولكنه حذرهم  
 بما يعرفون وقرأ عكرمة ويعقوب من قطران على كائين منوتين فالقطر النحاس المذاب

(وبرزوا لله) خرجوا وظهروا لله (الواحد القهار) خلقه بالموت (وترى المجرمين) المشركين (يومئذ) يوم القيامة  
 مسلسلين (مقرنين) ويقال مقيدين (في الاصفاد) في القيود مع الشياطين (سرايلهم) قصصهم (من قطران) من نار سوداء  
 كالقطران ويقال من قطران

(وتعشى وجوههم النار) تملوها باشتغالها وخص الوجه لانه امر موعظ في ظاهر البدن كالقلب في الباطن ولذا قال مطلع  
الامثلة ( ليجزى الله كل نفس ما كسبت ) أى يفعل بالجرمين ما يفعل ليجزى كل نفس جرمته ما كسبت أو كما  
نفس جرمته أو مطيعة لانه { الجزء الثالث عشر } إذا طاقب ﴿ ٥٤٤ ﴾ الجرمين لأجرامهم علم انه يقيـ

والهيآت الوحشة فيجلب اليها انواعا من القوم والآلام وعن يعقوب قطران والقطر  
الحساس أو الصفر المذاب والآتى المتأخر حره والجللة حال ثانية أو حال من الضعيف في مقرنين  
﴿ وتعشى وجوههم النار ﴾ وتتشأها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في  
تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كالتطلع على افتدائهم لانها فارغة عن  
المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله أفن رضى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله  
تعالى يوم يحبون في النار على وجوههم ﴿ ليجزى الله كل نفس ﴾ أى يفعل بهم ذلك  
ليجزى كل نفس جرمته ﴿ ما كسبت ﴾ أو كل نفس من جرمته أو مطيعة لانه اذا بين ان  
الجرمين يعاقبون لأجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا  
﴿ ان الله سريع الحساب ﴾ لانه لا يتخله حساب عن حساب ﴿ هذا ﴾ اشارة الى القرآن  
أو السورة أو ما فيه من العظة والتذكير أو ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله ﴿ بلاغ للناس ﴾  
كقاية لهم في الموعظة ﴿ ولينذروا به ﴾ عطف على محذوف أى لينصحووا لينذروا بهذا البلاغ  
فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل أو تلى وقرى  
بفتح الياء من نذره اذا علمه واستدله ﴿ وليعلموا أنما هوالة واحد ﴾ بالظن والتأمل  
فيما فيه من الآيات الدالة عليه أو المنبهة على ما يدل عليه ﴿ وليذكروا لوالى الاباب ﴾ فيرتدعوا  
عما رديهم ويتدبروا عما يحظيهم وعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد  
هى الغاية والحكمة فى انزال الكتب تكليل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التى  
منتهى كمالها التوحد واستصلاح القوة العملية التى هو التدرج بلباس القوى جعلنا الله من  
الفائزين بها وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطى من الاجر  
عشر حسبات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

والآل الذى انتهى حره ﴿ وتعشى وجوههم النار ﴾ يعنى تملوها ونجلها ﴿ ليجزى الله  
كل نفس ما كسبت ﴾ يعنى من خبر أو شر ﴿ ان الله سريع الحساب ﴾ يعنى اذا حساب  
عباده يوم القيامة ﴿ هذا بلاغ للناس ﴾ يعنى هذا القرآن فيه تبليغ وموعظة للناس  
﴿ ولينذروا به ﴾ يعنى وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزواجره ﴿ وليعلموا أنما هوالة  
واحد ﴾ يعنى وليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى ﴿ وليذكروا  
اولوالالباب ﴾ يعنى وليتعتظ بهذا القرآن وما فيه من المواعظ أولوالعقول والافهام  
الصحيحة فانه موعظة لمن اعظم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

المؤمنين بطاعتهم ( ان الله  
سريع الحساب ) يحاسب  
جميع العباد فى أسرع  
من لمح البصر ( هذا ) أى  
ما وصفه فى قوله ولا تحسبن  
الى قوله سريع الحساب  
( بلاغ للناس ) كفاية فى  
التذكير والموعظة  
( ولينذروا به ) هذا البلاغ  
وهو مخطوف على محذوف  
أى لينصحووا ولينذروا  
( وليعلموا أنما هوالة واحد )  
لانهم اذا حقوا ما أنذروا  
به عنهم دعهم الخفاة الى الطر  
حتى يتوصلوا الى الوحيد  
لان الحشبة أم الخير كله  
( وليذكروا لوالى الاباب )  
ذو العقول .

من صفر حارة قد انتهى حره  
( وتعشى ) تملوا وجوههم  
النار ليجزى الله ) وهذا  
مقدم ومؤخر بقول ورزوا  
لله الواحد القهار ليجزى الله  
( كل نفس ) مرة أو فاجرة  
( ما كسبت ) من الخير والشر  
( ان الله سريع الحساب )  
شديد العقاب ويقال اذا

حاسب فحسابه سريع ( هذا بلاغ للناس ) أبغىهم عن الله ويقال بيان لهم بالامر والنهى والوعود والوعيد والحلال والحرام  
( ولينذروا به ) كى يخوفوا بالامر أن ( وليعلموا ) كى يعلموا وقرأوا ( أنما هوالة واحد ) بلاول ولا شريك ( وليذكر ) واكى  
يتعظ بالقرآن ( أولوالالباب ) ذوو العقول من الناس

( قوله وعن النبى صلى الله عليه وسلم الخ ) هذا الحديث رواه ابن مردويه والتطلى والواحدى وهو موضوع ايضا كما ذكره الراوى رحمه الله تعالى





اللهم يا مقبب القلوب ثبت قلوبنا على دينك

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

أرثلك آيات الكتاب وقرآن مبین ( الإشارة إلى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتكثيره للتفخيم أي آيات الحامع لكونه كتابا كاملا وقرآن مبین الرشد

تفسير سورة الحجر

مكية باجماعهم وهي تسع وتسعون آية وستمائة وأربع

وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله - حمزة وتعالى (أرثلك آيات الكتاب وقرآن مبین) تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب والقرآن المبین الكتاب الذي وعد الله به محمد صلى الله عليه وسلم وتكثير القرآن للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا وأي قرآن كأنه قل الكتاب الحامع للكمال والغرابة والسان وقل أراد ما كتب التوراة والإنجيل لأنه عظماء القرآن على الكتاب والمعطوف عر المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوى لأنه لم يجرلا وراة والاولى ذكر حتى مار اليهما وهل المراد بالكتاب القرآن وإنما جهما بوصفين واركب لموصوف واحد لما في ذلك من الفائدة وعمم التفخيم والتعظيم والمبين الذي بين الحلال والحرام والحل

سورة الحجر تسع

وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(أرثلك آيات الكتاب

وقرآن مبین) تلك إشارة

إلى ما تضمنته السورة

من الآيات والكتاب

والقرآن المبین السورة

وتكثير القرآن للتفخيم

والمعنى تلك آيات الكتاب

الكامل في كونه كتابا وأي

قرآن مبین كأنه قيل الكتاب

الحامع للكمال والغرابة في

ومن السورة التي يذكر

فيها الحجر وهو كلها مكية

وكلمة تسع وتسعون

وأربع وحروفها ألفان

وسبعمائة وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

واسناده عن ابن عباس في

قوله (أر) يقول ما الله

أرى ويقال قسم أسم بالالف

واللام والراء (تلك آيات

الكتاب) إن هذه السورة

آيات الكتاب (مرآ مبین

يقول واقسم بالقرآن المير

بالحلال والحرام والأمر

البیان ( ر ب ) بالتخفيف مدنى وعاصم ﴿ ٥٤٧ ﴾ وبالتشديد { سورة الحجر } غرهما وماهى الكافة لهما

تريف بحر ما بعده ويختص  
بالاسم التكررة فاذا كتبت  
وقع بعدها الفعل الماضى  
والاسم وانما جاز (بودالدين  
كمرؤا) لان المترقب فى  
أخبار الله تعالى بمنزلة الماضى

المقطوع به فى تحقيقه فكانه  
تقيل ربما ودواودادتهم  
تكون عدد التبع أو يوم

القيامة اذا طنوا حالهم  
وحال المسلمين أو اذا رأوا  
المسلمين يخرجون من النار  
فيتقى الكافر لو كان مسلما  
كداروى عن ابن عباس  
رضى الله عنهما ( لو كانوا  
مسلمين ) حكاية ودادتهم  
واعاصى ما على لفظ القية  
لاهم غر عنهم كقولك  
حلف بالله ليقمن ولو قيل  
حلف بالله لايمان ولو كنا  
مسلمين لكان حساوانما  
قلل رب لانا احوال القيامة  
تشعلهم عن التنى فاذا افاقوا

والنهي (ربما بود) يتمنى  
(الدين كفروا) بمحمد  
صلى الله عليه وسلم والقرآن  
(لو يا مسلمين) فى الدنيا  
يقول ربما ألقى على الكافرين  
يوم يتمنى أنه كان مسلما  
ولهذا كان القسم وذلك اذا  
أخرج الله من النار من كان  
مؤمنا مخلصا بآيمانه وأدخله  
الحنة فبعد ذلك يتمنى الكافر  
أنه كان مسلما فى الدنيا

من التنى بيا غريبا ﴿ ربما بودالدين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ حين ما ينو حال المسلمين  
عند نزول النصر أو حلول الموت أو يوم القيامة وفرا مانع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ  
ربما بالفتح والتخفيف ومما عمل لثبات ضم الزاء وقسمه مع التشديد والتخفيف وبناء الأيت  
ودونها وما كافة تكفه عن الجبر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضى لئلا  
كان المترقب فى أخبار الله تعالى كالماضى فى تحقيقه أجرى مجراه وقيل ما تكرر موصومة كقوله  
ربما تكرر النفوس من الاء رله مرجحة لكل المقال

ومعنى التقليل فيه الايدان بأنهم لو كانوا يودون الاسلام مرة أخرى ان يسارعوا اليه فكيف  
وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم احوال القيامة فان حانت منهم افاقة فى بعض الاوقات  
تمنوا ذلك والقية فى حكاية

من الباطل ﴿ ربما ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لفتان ورب لا قليل وكما للتكثير  
واعنا زيدت مانع رب ليلىا الفعل تقول رب رجل جاءنى وربما جاءنى زيد وان شئت  
جملت ما بمنزلة شئ كأنك قلت رب شئ فيكون المعنى رب شئ ﴿ بودالدين كفروا ﴾  
وقيل ما فى ربما معنى حين أى رب حين يودى فى يتمنى الذين كفروا الا ان التنى هو تشهى حبه ل  
ما يوده واختلف المفسرون فى الوقت الذى يتمنى الذين كفروا ﴿ بودالدين كفروا ﴾ على  
قولين أحدهما ان ذلك يكون عند معاية العذاب وقت الموت فيحينئذ يعلم الكافرانه  
كان على الصلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه ذلك التنى قال الصحاح هو عند  
حالة المعاناة والهلوى الثانى ان هذا التنى يكون فى الآخرة وذلك حين يمانون احوال  
يوم القيامة وشدائمه ومانصرون اليه من العذاب فيحينئذ يتمنى الكافر لو كان مسلما  
مسلمين وقال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من احوال العذاب ورأى حالا من  
أحوال المسلم ولو كان مسلما وقيل اذا رأى الكافر أن الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع  
بعضهم فى بعض حق يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فيحينئذ يود الدين كفروا  
لو كانوا مسلمين والقول المشهور أن ذلك التنى حين يخرج الله المؤمنين من النار فيخرج  
أبى موسى الاشعري عن النسي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع أهل النار فى النار  
ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن فى النار من أهل القبلة أستم مسلمين  
قالوا بلى قالوا ما أعنى عكم اسلامكم وأنتم مما فى النار قالوا كانت لنا ذنوب فآخذنا  
بها فيفصرها الله لهم بفصل رحته فبأمر الله بكل من كان من أهل القبلة فى النار فيخرجون  
سها فيحينئذ يودالدين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره العموى بن مسعود وكذا ذكره ابن  
الحوزى وقال اليه ذهب ابن عباس فى رواية عنه وأسن بن مالك ومجاهد وعطاء  
وأبو العالية وابراهيم بنى النخعي ما قلت رب انما وضعت للتقليل وتتمنى الذين كفروا  
لو كانوا مسلمين يكر يوم القيامة فكيف قال ربما يودالدين كفروا لو كانوا مسلمين  
قلت قال صاحب الكشف هو وارد على مذهب العرب فى قولهم لذلك ستندم على فعلك  
وربما ندب الانسان على فعله ولا يشكون فى تدمه ولا يقصدون تقيله واكنهم أرادوا  
لو كان الدم مشكوكا فيه أو كان قللا لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء



من سكرات العذاب ودوا لكانوا مسلمين وقول من قال ان رب يني بها الكثرة سهو لانه ضد ما يعرف اهل اللغة لانه وضعت للتقليل ( ذرهم ) اسرا هانة أى اقطع طمعك من ارجوائهم ودعمهم عن التمسك عليه والسعد عنه بالتذكر والنصيحة وخلصهم ( يأكلوا ) الجزء الرابع عشر ( ويتمتعوا ) بدنيهم ﴿ ٥٤٨ ﴾ ( ويلهمهم الامل ) ويشغلهم

ودادتهم كالتقية في قولك حلف بالله ليفعلن ﴿ ذرهم ﴾ دعمهم ﴿ يأكلوا ويتمتعوا ﴾ بدنيهم ﴿ ويلهمهم الامل ﴾ ويشغلهم توقعهم لطول الاعار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للعاد ﴿ فسوف يعلمون ﴾ سوء صنيعهم اذا طابوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من ارجوائهم وايضا انه باهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغالهم بالاطال تحت وفيه الزام للصحة وتحذير عن ايثار التمتع وما يؤدي اليه طول الامل ﴿ وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ﴾ أجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا تدخلها الواو كقوله الا لها منذرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تأكيداً للصوقها بالموصوف ﴿ ما تسبق من امة أجلا وما يستأخرون ﴾ أى وما يستأخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى

يتعززون من التعرض للغم المظنون كما يتعززون من المتيقن ومن القليل منه كما يتعززون من الكثير وقال غيره ان هذا التقليل أبلغ في التهديد ومعناه بكفكك قليل الندم في كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة انما يحظر ذلك ببالهم فان قلت رب لا تدخل الاعلى الماضي فكيف قال ربما يود وهو في المستقبل • قلت لان المنزب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه كانه قال ربما يود • قوله سبحانه وتعالى ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ﴾ يعنى دع با محمد هؤلاء الكفار يأكلوا في دنياهم ويتمتعوا بلذاتها ﴿ ويلهمهم الامل ﴾ يعنى ويشغلهم طول الامل عن الايمان والاخذ بطاعة الله تعالى ﴿ فسوف يعلمون ﴾ يعنى اذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا فيه تهديد ووعد لمن أخذ بحظه من الدنيا ولذاتها ولم يأخذ بحظه من طاعة الله عز وجل قال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد آخر فحق هنا العيش بين تهديدين وهذه الآية منسوخة بآية القتال وفي الآية دليل على ان ايثار التلذذ والتمتع في الدنيا يؤدي الى طول الامل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين قال على بن أبى طالب انما أخشى عليكم اثنين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسب الآخرة واتباع الهوى يصعد عن الحق ﴿ وما أهلكنا من قرية ﴾ يعنى من أهل قرية وأراد هلاك الاستئصال ﴿ الا ولها كتاب معلوم ﴾ أى أجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يأخر عه ولا تأتيم الا في الوقت الذي حدلهم في اللوح المحفوظ ﴿ ما تسبق من امة أجلا ﴾ من زائدة في قوله من امة كقولك ما جاءني من أحد يعنى أحد وقبل هي على أسماها لانها تقيد النبىض الى هذا الحكم فيكون ذلك في افادة عموم النفي أكد معنى الآية ان الاجل المضروب لهم وهو وقت الموت أو نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما يستأخرون ﴾ وانما أدخل الهاء في

أملهم وأمانهم عن الايمان ( فسوف يعلمون ) سوء صنيعهم وفيه تقييد على أن ايثار التلذذ والتمتع وما يؤدي اليه طول الامل ليس من أخلاق المؤمنين ( وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ) ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا توسط الواو بينهما كما في وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف اذا لصفة ملتصقة بالموصوف بلا واو فجى بالواو تأكيداً لذلك والوجه أن تكون هذه الجملة حالاً لقرية لكونها في حكم الموصوفة كأنه قيل وما أهلكنا قرية من القرى لاوصفا وقوله كتاب معلوم أى مكتوب معلوم وهو أجلها الذى كتب في اللوح المحفوظ وبين الاثرى الى قوله ( ما تسبق من امة أجلا ) في موضع كتابها ( وما يستأخرون ) أى عنه وحذف لانه معلوم وأنت الامة أولا ( ذرهم ) اتركهم ما محمد ( يأكلوا ) بلاجة ولاهمة ما في القدر ( ويتمتعوا ) يعيشوا

في الكفر والحرام ( ويلهمهم الامل ) ويشغلهم الامل الطويل عن طاعة الله ( فسوف ) وهذا وعيد لهم ( يعلمون ) ( أجلا ) عند الموت وفي القبر ويوم القيامة ماذا يفعلهم ( وما أهلكنا من قرية ) من أهل قرية ( الا ولها كتاب معلوم ) فيه أجل معلوم مؤقت لهلاكهم ( ما تسبق من امة أجلا ) يقول لا تموت ولا تهلك امة قبل أجلا ( وما يستأخرون ) ولا تؤخر امة عن أجلا

ثم ذكرها آخرها جلا على اللفظ والمعنى (وقالوا) أي الكفار (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي القرآن (انك لجنون) يعنيون محمد عليه السلام وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه ونسبوه الى الجنون ﴿٥٤٩﴾ والتعكيس في كلامهم للاستهزاء {سورة الحجر} واللهم سائق ومنه فيشرهم

بذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد والمعنى انك لتقول قول المجانين حيث تدعي ان الله نزل عليك الذكر (لوماتنا تينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) لوركت مع لا وما لا متناع الشيء لوجود غيره أو التخصيص وهل ركت مع لا للتخصيص فحسب والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك أو هلا تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذبتنا لك ان كنت صادقا (ماندزل الملائكة) كوفي غير أبي بكر تنزل الملائكة أبو بكر تنزل الملائكة أي تنزل غيرهم (الا بالحق) الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة (وما كانوا اذا منظرين) اذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين اذا ما كانوا منظرين اذا وما أخرج عذابهم (انا نحن نزلنا الذكر) القرآن

(وقالوا) عبد الله بن أمية المخزومي وأصحابه ل محمد صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذي نزل عليه الذكر)

﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ مادوا به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على التهمك ألا ترى الى ما نادوه له وهو قولهم ﴿انك لجنون﴾ وتظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله تعالى نزل عليك الذكر وهو القرآن ﴿لوماتنا تينا﴾ ركب لومع ما كارب مع لالمنين امتناع الشيء لوجود غيره والتخصيص ﴿بالملائكة﴾ ليصدقون ويحسدون على الدعوة كقوله لولا نزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو للعقاب على تكذبتنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ﴿ان كنت من الصادقين﴾ في دعواك ﴿مانزل الملائكة﴾ بالياء ونصب الملائكة على ان الضمير لله تعالى هو قرأ جزء الكسائي وحقق بالتون وابوبكر بالياء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تنزل ﴿الابالحق﴾ الانزلا ملتبسا بالحق أي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تأنيكم بصوره تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في ما جلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريتكم من سبقت كلمتاله بالايان وقيل الحق الوحي أو العذاب ﴿وما كانوا اذا منظرين﴾ اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر أي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين ﴿انا نحن نزلنا الذكر﴾ رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه

أجلها الارادة الامتوا أخرجهما من قوله وما يستأخرون لارادة الرجال قوله عز وجل ﴿وقالوا﴾ يعني مشركي مكة ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ يعني القرآن وأرادوا به محمد صلى الله عليه وسلم ﴿انك لجنون﴾ انا نسوه الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغشي فظنوا ان ذلك جنون فلهذا السبب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما مستغربا من غيره فرعنا سبه الى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله وأنى هذا القرآن العظيم أنكره ونسبوه الى الجنون واما قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر على طريق الاستهزاء وقيل معناه يا أيها الذي نزل عليه الذكر في زعمه واعقاده واعقادات أصحابه وأتباعه نك لجنون في ادعائك الرسالة ﴿لوما﴾ قال الزجاج والقراء لوما ولولا امار ومساهما هلا يعني هلا ﴿تاتينا بالملائكة﴾ يعني يشهدون لك بانك رسول من عند الله حقا ﴿ان كنت من الصادقين﴾ يعني في قولك وادعائك الرسالة ﴿مانزل الملائكة﴾ الابالحق ﴿بالعذاب أو وقت الموت وهو قوله تعالى﴾ ﴿وما كانوا اذا منظرين﴾ معنى لو نزلت الملائكة اليهم لم يمهلوا ولم يؤخروا ساعة واحدة وذلك أن كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الملائكة عيانا فاجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا نزال عن الكفار الامهال وعذبوا في الحال ان لم يؤمنوا ويصدقوا ﴿انا نحن نزلنا الذكر﴾ يعني القرآن أنزلناه عليك يا محمد واما قال سبحانه وتعالى انا نحن نزلنا الذكر جوابا بقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر فاخبر الله عز وجل انه

جبريل بالقرآن بزعمك (انك لجنون) تختنق (لوماتنا تينا) هلا تاتينا بالملائكة من السماء فيشهدوا لك انك رسول الله (ان كنت من الصادقين) في مقاتك قال الله (مانزل الملائكة) من السماء (الابالحق) بالهلاك وقبض ارواحهم (وما كانوا اذا منظرين) مؤجلين اذا نزلت عليهم الملائكة (انا نحن نزلنا الذكر) جبريل

(واناله لحافظون) وهو رد { الجزء الرابع عشر } لانكارهم ﴿ ٥٥٠ ﴾ واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه

الذكر ولدك قال انما نحن  
فاكد عليهم انه هو المنزل  
على القطع وانه هو الذي  
نزله محفوظا من الشياطين  
وهو حافظه في كل وقت  
من الزيادة والنقصان  
والتحريف والتبديل بخلاف  
الكتب المقدمة فانه لم  
يتحول حفظها وانما  
استحفظها الربانيين و  
الاجبار فاختلفوا فيما بينهم  
بنيا فوق التحريف ولم  
يكل القرآن الى غير حفظه  
وقد جعل قوله واناله  
لحافظون دليلا على انه  
مقول من عنده آية اذ لو  
كان من قول البشر أو غير  
آية لتطرق عليه الزيادة  
والنقصان كما تطرق على  
كل كلام سواء أو الضمير  
فيه لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم كقوله والله بصمك  
(ولقد أرسلنا من قبلك في  
شيع الاولين) أي ولقد  
أرسلنا من قبلك رسلا في  
الفرق الاولين والشيعه  
الفرقة اذا اتفقوا على  
بالقرآن (واناله) للقرآن  
(لحافظون) من الشياطين  
حتى لا يزيدوا فيه ولا  
يتقصوا منه ولا يغيروا حكمه  
ويقال اناله لمحمد صلى الله  
عليه وسلم لحافظون من

وقرره بقوله ﴿ واناله لحافظون ﴾ أي من التحريف والزيادة والنقص بل جعلناه مجزا  
مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان أو ترقى تطرق الخلل اليه  
في الدوام بضمان الحفظ له كأنني ان يطعن فيه بانه المنزل له وقبل الضمير في له للنبي صلى الله  
تعالى عليه وسلم ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين ﴾ في فرقهم جمع  
شيعه وهي الفرقة المتفق على طريق ومذهب من شاعوا ذات بعد واصله الشيعاء وهو  
الخطب الصغار توفد به الكبار والمعنى نبأنا رجلا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم

هو الذي نزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ واناله لحافظون ﴾ الضمير في له يرجع  
الى الذكر يعني وانما للذكر الذي أنزلنا على محمد لحافظون يعني من الزيادة فيه والنقص منه  
والتحريف والتبديل والتحريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر  
أحد من جميع الخلق من الجن والانس ان يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة  
وهذا يختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف  
والتبديل والزيادة والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقى مصونا على الابد  
محروسا من الزيادة والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل الكناية في له راجعة الى محمد صلى الله  
عليه وسلم يعني واناله لحافظون عن أراداه بسوء فهو كقوله تعالى والله بصمك من الناس  
ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو  
محمد صلى الله عليه وسلم فمن صرف الكناية اليه لكونه أمرا معلوما الان القول الاول  
أصح وأشهر وهو قول الاكثرين لانه أشبه بظاهر التنزيل ورد الكناية الى أقرب مذكور  
أولى وهو الذكر واذا قلنا ان الكناية عائدة الى القرآن وهو الاصح فاختلفت في كيفية  
حفظ الله عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بان جملة مجزا بافيا مباينا لكلام البشر  
فبجهر الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو أرادوا الزيادة فيه والنقصان منه لتغير  
نظمه وظهر ذلك لكل عالم عاقل وعلوا ضرورة أن ذلك ليس بقرآن وقال آخرون ان الله  
حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر أحد من الخلق أن يعارضه وقال آخرون بل أعجز  
الله الخلق عن ابطاله وفساده بوجه من الوجوه فقيض الله له العلماء الراشدين يحفظونه  
ويذبون عنه الى آخر الدهر لان دواعي جاعة من الملاحدة واليهود متوفرة على ابطاله  
وافساده فلم يقدروا على ذلك بحمد الله تعالى ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولقد أرسلنا من قبلك  
في شيع الاولين ﴿ لما تجرأ كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهة  
وهو قولهم انك لجنون وأساؤا الادب عليه أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله  
عليه وسلم ان عادة الكفار في قديم الزمان مع أنبيائهم كذلك فلك يا محمد اسوة في الصبر  
على أذى قومك بجميع الانبياء فيه تساية للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الآية محذوف تقديره  
ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد فمحذوف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه  
وقوله تعالى في شيع الاولين الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمهم وقال القراء  
الشيعة هم الاتباع وشيعه الرجل أتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان وقوله

( في شيع )

الكفار والشياطين (ولقد أرسلنا من قبلك) يا محمد الرسل (في شيع الاولين) في فرق

مذهب وطريقة (وماياتهم) حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماضى الا وهو قريب من الحال (من رسول الا كانوا يستهزؤن) ﴿ ٥٥١ ﴾ يرمى بيده عليه { سورة الحجر } السلام (كذلك نسلكه

في قلوب المجرمين) أى كما  
سلكتنا الكفر والاستهزاء  
في شيع الاولين نسلكه أى  
الكفر والاستهزاء في قلوب  
المجرمين من أمتك في اختيار  
ذلك يقال سلكت الخيط في  
الابرة وأسلكته اذا دخلته  
فيها وهو حجة على المعتزلة  
في الاصلح وخلق الافعال  
(لا يؤمنون به) بالله أو  
بالذكو وهو حال (وقد دخلت  
سنة الاولين) مضت طريقهم

التي سنها الله في اهلاكهم  
حين كذبوا رسوله وهو وعيد  
لاهل مكة على تكذيبهم  
(ولو قطننا عليهم بابا من  
السماء) ولو أظهرنا لهم  
أوضح آية وهو قطع باب  
من السماء (فظلوا فيه  
يرجعون) يصعدون

الاولين (وماياتهم من رسول)  
مرسل اليهم (الا كانوا به)  
بالرسل (يستهزؤن) يستفرون  
(كذلك) هكذا (نسلكه)  
ترك التكذيب (في قلوب  
المجرمين) المشركين (لا  
يؤمنون به) لكي لا يؤمنوا  
بمحمد صلى الله عليه وسلم  
والقرآن ونزول العذاب  
عليهم (وقد دخلت) مضت  
(سنة الاولين) سيرة

﴿ وماياتهم من رسول الا كانوا يستهزؤن ﴾ كما قبل هؤلاء وهو تسليية للنبي صلى الله  
تعالى عليه وسلم وما الحال لا تدخل الامضار ما بمعناه أو ماضيا قريبا منه هذا على حكاية الحال  
الماضية ﴿ كذلك نسلكه ﴾ ندخله ﴿ في قلوب المجرمين ﴾ والسلك ادخال الشيء في الشيء  
كالخيط في الخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على ان الله تعالى يوجد  
الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله ﴿ لا يؤمنون به ﴾ له وهو حال  
من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به  
أو بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذا يلزم من تماقب الضمائر توافقها  
في المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين  
ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه ﴿ وقد دخلت سنة الاولين ﴾ أى سنة الله  
فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم أو باهلاكهم من كذب الرسل منهم فيكون وعيد الاهل مكة  
﴿ ولو قطننا عليهم ﴾ على هؤلاء المقتربين ﴿ بابا من السماء فظلوا فيه يرجعون ﴾ يصعدون اليها

في شيع الاولين من باب اضافة الصفة الى الموصوف ﴿ وماياتهم من رسول الا كانوا به  
يستهزؤن ﴾ كذلك نسلكه في قلوب المجرمين ﴿ السلوك النفاذ في الطريق والدخول فيه  
والسلك ادخال الشيء في الشيء كادخال الخيط في الخيط ومعنى الآية كما سلكتنا الكفر  
والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع الاولين كذلك نسلكه أى ندخله في قلوب المجرمين  
يعنى مشركي مكة وفيه رد على القدريّة والمعتزلة وهى أبين آية في ثبوت القدر لمن أذعن  
للحق ولم يعاند قال الواحدى قال أصحابنا أضاف الله سبحانه وتعالى الى نفسه ادخال  
الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك منه فن آمن بالقرآن فليستحسنه وقال الامام  
فخر الدين الرازى احتج أصحابنا بهذه الآية على انه تعالى يخلق الباطل والضلال  
في قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه أى كذلك نسلك الباطل والضلال في قلوب  
المجرمين وقالت المعتزلة لم يجز للضلال والكفر ذكر فيما قبل هذا اللفظ فلا يمكن  
أن يكون الضمير عائدا اليه وأجيب عنه بأنه سبحانه وتعالى قال وماياتهم من رسول  
الا كانوا به يستهزؤن فالضمير في قوله كذلك نسلكه عائدا اليه والاستهزاء بالانبياء كقوله  
وضلال فثبت صحة قولنا ان المراد من قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انه الكفر  
والضلال ﴿ وقوله تعالى ﴾ لا يؤمنون به ﴿ يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل  
بالقرآن ﴿ وقد دخلت سنة الاولين ﴾ فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم أن  
ينزل بهم مثل ما نزل بالأمم الماضية المكذبة للرسل والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك  
من كذب الرسل من الأمم الماضية فاحذروا يا أهل مكة أن يصيبكم مثل ما أصابهم  
من العذاب ﴿ ولو قطننا عليهم ﴾ بابا من السماء فظلوا فيه يرجعون ﴿ يعنى ولو قطننا على  
هؤلاء الذين قالوا لو ماتنا نينا بالملائكة بابا من السماء فظلوا يقال ظل فلان يفعل كذا اذا

الاولين يتكذب الرسل كما كذبك قومك ومضت سيرة الله فيهم بالعذاب والهلال من الله لهم عند التكذيب (ولو قطنناهم)  
على أهل مكة (بابا من السماء) يدخلون فيه (فظلوا فيه) فصاروا فيه (يرجعون) يصعدون وينزلون يعنى كالملائكة

صبرت أو جئت من الابصار  
من السكر أو من السكر سكرت  
مكى أى حبست كما يحبس  
النهر من الجرى المعنى ان هؤلاء  
المشركين بلغ من غلوهم  
فى العناد ان لو وقع لهم باب  
من أبواب السماء ويسر  
لهم معراج يصعدون فيه  
الى اورا وأمن الصان مارأوا  
لقالوا هو شئ نغايه  
لاحقيقة له ولقالوا ( بل  
نحن قوم مسحورون ) قد  
مسحونا محمد بذلك أو الضمير  
للملائكة أى لو أريناهم  
للملائكة يصعدون فى السماء  
عيانا لقالوا ذلك وذكر  
الظلول ليجعل عروجهم  
بالنهار ليكونوا مستوحشين  
لما يرون وقال انما ليدل  
على أنهم يتنون القول بان  
ذلك ليس الا تسكيرا للابصار  
( ولقد جعلنا فى السماء )  
خلقنا فيها ( روجا ) نجوما  
أو قصورا فيها الحرس أو  
منازل للنجوم ( وزيناها )  
أى السماء

(لقالوا) كفار مكة (انما  
سكرت ابصارنا) أخذت  
أعيننا ( بل نحن قوم  
مسحورون ) مغلوبو العقل  
قد مسحونا ( ولقد جعلنا فى  
السماء روجا ) قصورا ويقال  
نجوما وهى النجوم التى  
يتدى بها فى ظلمات البر والبحر  
( وزيناها ) يعنى السماء

ويرون عجائبها طول نهارهم مستوحشين لما يرون أو تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم (لقالوا)  
من غلوهم فى العناد وتشكيكهم فى الحق ( انما سكرت ابصارنا ) سدت عن الابصار  
بالسكر من السكر وبذل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف أو حيرت من السكر وبذل عليه قراءة  
من قرأ سكرت ( بل نحن قوم مسحورون ) قد مسحونا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور  
فيه من الآيات وفى كلتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لاحقيقة له  
يل هو باطل خيل ما خيل اليهم بنوع من السكر ( ولقد جعلنا فى السماء روجا ) أى عشر  
مختلفة الهيئات وان خواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء ( وزيناها )

فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل فيه يعنى فى ذلك الباب يرجون  
يعنى يصعدون والمخرج المصاعد وفى المشار اليه بقوله فظنوا فيه يرجون قولان  
أحدهما أنهم الملائكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن أبصار  
هؤلاء الكفار قرأوا بابا من السماء مفتوحا والملائكة تصعد فيه لما آمنوا والقول الثانى  
أنهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظن المشركون يصعدون فى ذلك  
الباب فينظرون فى ملكوت السموات وما فيها من الملائكة لما آمنوا لعنادهم وكفرهم  
ولقالوا انما مسحونا وهو قوله تعالى (لقالوا انما سكرت ابصارنا ) قال ابن عباس  
سدت أبصارنا مأخوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجرى وقيل هو  
من سكر الشراب والمعنى ان أبصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع  
للرجل السكران من تغير العقل وفساد النظر وقيل سكرت يعنى غشيت أبصارنا  
وسكنت عن النظر وأصله من السكر يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن  
النظر ( بل نحن قوم مسحورون ) يعنى مسحونا محمد وعمل فينا سحره وحاصل  
الآية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم الملائكة  
فيروهم عينا ويشهدوا بصدقه أخبر الله سبحانه وتعالى انه لو حصل لهم هذا وشاهدوه  
عيانا لما آمنوا ولقالوا مسحونا لما سبق لهم فى الازل من الشقاوة قوله سبحانه وتعالى  
( ولقد جعلنا فى السماء روجا ) البروج التى تنزلها الشمس فى مسيرها واحدها  
برج وهى بروج الفلك الاثنا عشر برجا وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان  
والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وهذه  
البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلاث منزل وقد تقدم  
ذكر منازل القمر فى تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثلاثمائة وستين  
درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس فى كل سنة مرة وبها تم دورة  
الفلك ويقطعها القمر فى ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس فى هذه الآية يريد  
بروج الشمس والقمر يعنى منازلها وقال ابن عطية هى قصور فى السماء عليها الحرس  
وقال الحسن ومجاهد وقتادة هى النجوم النظام قال أبو اسحق يريدون نجوم هذه  
البروج وهى نجوم على ما صورت به وسميت وأصل هذا كله من الظهور ( وزيناها )

بالاشكال والهيآت البية ﴿لناظرين﴾ المتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها ﴿والامن استرق السمع﴾ بذلك من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سراشبهه خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر أو بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم منعوا من كلها بالشبه ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب آخر وقبل الاستثناء منقطع أي ولكن من استرق السمع ﴿فأتبعه﴾ فقبه ولحقه ﴿شهاب مبین﴾ ظاهر

يعني السماء بالشمس والقمر والنجوم ﴿لناظرين﴾ يعني المتبرين المستدلين بها على توحيد خالقها وصانعها وهو الله الذي أوجد كل شيء وخلقهم وصورهم ﴿وحفظناها﴾ يعني السماء ﴿من كل شيطان رجيم﴾ أي سر جوم فبيل بمعنى مقبول وقيل ملعون مطرود من رجة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بإخبارها الى الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات أجمع فاما منهم من أحد يريد أن يسترق السمع الارضى بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدثت في الارض حدث فبهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث ﴿الامن استرق السمع﴾ هذا استثناء منقطع معناه لكن من استرق السمع ﴿فأتبعه﴾ أي لحقه ﴿شهاب مبین﴾ والشهاب شعلة من نار ساطع سمى الكوكب شهابا لاجل ما فيه من البريق شبه بشهاب النار قال ابن عباس في قوله الامن استرق السمع يريد انخططة اليسيرة وذلك ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء يسترقون السمع من الملائكة فيؤمنون بالكواكب فلا تخطي أبدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث يشاء الله ومنهم من تحبسه فيصير غولا يضل الناس في البوادي (خ) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ما ذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعهم مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفیان بكفه فحرفها وبددين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقها الى من تحته ثم ياتيها الآخر الى من تحته حتى يلقها على اسان الساحر أو الكاهن فرمما أدركه الشهاب قبل أن يلقها ورعا ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال له أليس قد قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء

### فصل

اختاب العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبث رسول الله صلى الله عليه

(لناظرين وحفظناها)  
أي السماء (من كل شيطان  
رجيم) ملعون أو حرمي  
بالنجوم (الامن استرق  
السمع) أي السمع ومن  
في عمل التصب على الاستثناء  
(فأتبعه شهاب) نجم  
ينقض فيعود (مبين)  
ظاهر للمبصرين قبل كانوا  
لا يحجبون عن السموات  
كلها فلما ولد عيسى عليه  
السلام منعوا من ثلاث  
سموات فلما ولد محمد صلى الله  
عليه وسلم منعوا من  
السموات كلها

بالكواكب (لناظرين)  
اليها وهي النجوم التي زينت  
بها السماء (وحفظناها من كل  
شيطان رجيم) ملعون  
مطرود بالنجوم التي يزجرون  
بها عن استماع الملائكة يعني  
الشياطين (الامن استرق  
السمع) الامن اخساس خلصة  
(فأتبعه شهاب مبین) لحقه  
نجم مضى حارم وقد

للبصريين كالزينة والشهاب شملة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والستان لما فيهما من البريق وسلم أم لا على قولين . أحدهما أنها لم تكن ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما ظهر ذلك في بدء أمره فكان ذلك أساسا لنبوته صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه حامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب أخرجاه في الصحيحين فظاهر هذا الحديث يدل على ان هذا الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بمث حدث هذا الرمي وبعضه ما روى أن يعقوب بن المغيرة بن الاخنس بن شريق قال أول من فزع الرمي بالنجوم هذا الحى من ثقيف وأنهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج وكان أهدي العرب فقالوا له ألم ترما حدث في السماء من القذف بالنجوم فقال بلى ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التي يتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معايشهم هي التي يرى بها فهو والله طي الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا لامر أراد الله من الخلق قال الزجاج ويدل على أنها كانت بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم أن شعراء العرب الذين ذكروا البرق والاشياء المسرعة لم يوجد في شعرهم ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولد صلى الله تعالى عليه وسلم استعملت الشعراء ذكرها قال ذوالرمة

كأنه كوكب في اثر عقربة • مسوم في سواد الليل منقضب

والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما بمث شدد وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أفرايت قوله وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد أمرها حين بمث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أذرى بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية اذرمى بمثل هذا قالوا كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم أو مات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنها لا يرى بها لموت أحد ولا حياة ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى أمرا سجع حلة العرش ثم سجع أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح الى أهل هذه السماء ثم قال الذين يلون حلة العرش الحلة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال فيستخبر بعض أهل السماء بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطب الجن السمع فيقذفونه الى أوليائهم ويرمون فاجاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقذفون فيه ويزيدون أخرجه مسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثل بعد مبعثه قال وعلى هذا

﴿ والارض مددناها ﴾ بسطانها ﴿ وألقينا فيها رواسي ﴾ جبالاً ثوابت ﴿ وأنبتنا فيها ﴾ في الارض أوقيا وفي الجبال ﴿ من كل شيء موزون ﴾ مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته أو مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون أو ما يوزن ويقدر أوله يؤزن في ابواب النعمة والمنفعة ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ تمشون بها من المطاعم والملابس

وجدنا الشعر القديم قاله بشر بن أبي حازم وهو جاهلي  
قال يرثها القبار وجسمها \* ينقض خلفهما انقضاء الكوكب  
وقال أوس بن حجر وهو جاهلي

فانقض كالدرى يبعده \* تقع يثور تغاله طنبا

والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجودا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث شدد ذلك وزيد في حفظ السماء وحراستها صونا لآخبار القيوم والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ والارض مددناها ﴿ يعنى بسطانها على وجه الماء كما يقال انها حيت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول أهل التفسير وزعم أرباب الهيئة أنها كرة عظيمة بعضها في الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الجزء المعمور منها واعتذروا عن قوله تعالى والارض مددناها بأن الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا الامر أن الارض ممدودة مبسوطة وانها كرة ورد هذا أصحاب التفسير بأن الله أخبر في كتابه بأنها ممدودة وانها مبسوطة ولو كانت كرة لأخبر بذلك والله أعلم بمراده وكيف مد الارض ﴿ وألقينا فيها رواسي ﴾ يعنى جبالاً ثوابت وذلك ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء مادته ورجفت فأثبتها بالجبال ﴿ وأنبتنا فيها ﴾ أى في الارض لان أنواع النبات المتفع به تكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال لانها أقرب مذكور وقوله تعالى ﴿ من كل شيء موزون ﴾ وانما يوزن ما تولد في الجبال من المعادن وقال ابن عباس وسعيد ابن جبير موزون أى معلوم وقال مجاهد وعكرمة أى مقدور على هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله تعالى لان الله سبحانه وتعالى يعلم القدر الذى يحتاج اليه الناس في معاشهم وأرزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا لان الناس لا يعرفون مقادير الاشياء الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيدانه عنى به الشيء الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه الاشياء كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب في الحسن والهيئة والشكل تقول العرب فلان موزون الحركات اذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون اذ كان متناسبا حسنا بعيدا من الخطأ والسخط وقيل ان جميع ما ينبت في الارض والجبال نواتن أحدهما ما يستخرج من المعادن وجميع ذلك موزون والثاني النبات وبعضه موزون أيضا وبعضه مكيل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمد مقدران بالوزن ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ جمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمشارب والملابس

من تحت الكعبة والجهنم  
على انه تعالى مدها على وجه  
الماء (وألقينا فيها رواسي)  
في الارض جبالاً ثوابت  
(وأنبتنا فيها من كل شيء)  
موزون) وزن بميزان  
الحكمة وقدر بمقدار  
تقتضيه لاصح فيه زيادة  
ولان نقصان أوله ووزن وقدر  
في ابواب النعمة والنعمة  
أو ما يوزن كالزعفران  
والذهب والفضة والنحاس  
والحديد وغيرها وخص  
ما يوزن لانتهاء الصكيل  
الى الوزن (وجعلنا لكم  
فيها) في الارض (معايش)  
ما يعيش به من المطاعم جمع  
معيشة وحى بياض صريحة  
بمخلاف الخياث ونحوها  
فان تصرع الباء فيها خطأ

( والارض مددناها )  
بسطناها على الماء  
(وألقينا فيها) على الارض  
(رواسي) جبالاً ثوابت  
أو تادالها (وأنبتنا فيها)  
في الجبال ويقال في الارض  
( من كل شيء ) من النبات  
والثمار (موزون) مقدور  
مقسوم معلوم ويقال من كل  
شيء موزون يوزن مثل  
الذهب والفضة والحديد  
والصفر والرصاص وغير  
ذلك (وجعلنا) خالقنا (لكم

فيها معايش) في الارض من النبات والثمار وما تأكلون وتشربون وتلبسون



(ومن لستم له رازقين) من في محل التعبد بالمطعم على ما يشاء أو على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها ما يشاء وجعلنا لكم لستم له رازقين أو جعلنا { الجزء الرابع عشر } لكم فيها ما يشاء ﴿ ٥٥٦ ﴾ ولئن لستم له رازقين وأرادهم الله

والممالك والخدم الذين  
يظنون أنهم يرزقونهم  
ويخططون فان الله هو  
الرزاق يرزقهم واياهم  
وبدخل قيمه الانعام والدواب  
ومحو ذلك ولا يجوز أن يكون  
عمل من جربا المطف على  
الضمير المجزور في لكم لانه  
لا يطف على الضمير  
المجزور الاباعادة الجار (وان  
من شيء الا عندنا خزائنه  
وما ننزله الا بقدر معلوم)  
ذكر الخزانة تمثيل والمعنى  
وما من شيء يتفعبه العباد  
الا ونحن قادرون على ايجاده  
وتكوينه والانعامه وما ننطيه  
الا بمقدار معلوم فضرب  
الخزانة مثلا لاقداره على  
كل مقدور (وأرسلنا الرياح  
لواقح) جمع لاقحة أي وأرسلنا  
الرياح حوامل بالسحاب لانها  
تحمل السحاب في جوفها  
كانها لاقحة بها من نقحت  
الناقة جلت وضدها القيم  
الريم سزة

ونحو ذلك ﴿ ومن لستم له برازقين ﴾ يعني الدواب والوحش والطيور أنتم متفقون بها ولستم لها برازقين لأن رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وتكون من في قوله تعالى ومن لستم يعني ما لان من لمن يسقل وما لمن لا يسقل وقيل يجوز إطلاق لفظة من على من لا يسقل كقوله تعالى فهم من عشي على بطنه وقيل أرادهم العبيد والخدم فتكون من على أصلها ويدخل معهم ما لا يسقل من الدواب والوحش ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ﴾ الخزان جمع خزانة وهي اسم للسكان الذي يخزن فيه الشيء للحفاظ يقال خزن الشيء إذا أحضره فقبل أراد مفاتيح الخزائن وقيل أراد بالخزائن المطر لأنه سبب الأرزاق والمعاش لبني آدم والدواب والوحش والطيور ومعنى عندنا أنه في حكمه وتصرفه وأمره وتديره ﴿ قوله تعالى ﴾ وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ يعني بقدر الكفاية وقيل إن لكل أرس حدا ومقدارا من المطر يقال لا ننزل من السماء قطرة مطرا ولا معها لك بسوقها إلى حيث شاء الله تعالى وقيل إن المطر ينزل من السماء كل عام بقدر واحد لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يعطرقوما ويحرم آخرين وقيل إذا أراد الله بقوم خيرا أنزل عليهم المطر والرحمة وإذا أراد بقوم شرا صرف المطر عنهم إلى حيث لا ينفعهم كالبراري والقفار والرمال والبحار ونحو ذلك وحكي جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده أنه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تأويل قوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ قال ابن عباس يعني للشجر وهو قول الحسن وقناة وأصل هذا من قولهم قمحت الناقة وأقمحها القمل إذا أنى إليها الماء فقمته فكذلك الرياح كالقمل للسحاب وقال ابن مسعود في تفسير هذه الآية برسل الله الرياح لنقم السحاب قحملا الماء فنجمه في السحاب ثم تمربه

بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالقيم أو ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائع  
بمعنى المطيمات في قوله

واعتبط مما تطيح الطوائع

وقرى وأرسلنا الريح على تأويل الجنس ﴿فأنزلنا من السماء ماء﴾ بقدر ﴿فأسقينا كوه﴾  
لجعلناه لكم سقيا ﴿وما أنتم له بحازنين﴾ قادرين متمكنين من إخراجه نقي عنهم ما أثبتته  
لنفسه وأحافظين في القدران والعيون والآبار وذلك أيضا يدل على المدير الحكيم كاتل حركة  
الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه يتنفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور  
فوقوفه دون حده لا بد له من سبب مخصوص ﴿واللهن نحوي﴾ بإيجاد الحياة في بعض الاجسام

فقد كاتدر اللقحة وقال عبيد بن عير يرسل الله الريح المبشرة فتقم الارض قائم يرسل  
المثيرة فتشير السحاب ثم يرسل المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه الى بعض فتجعله ركاما  
ثم يرسل الواقع فتلقح الشجر والاطهر في هذه الآية القاسحها السحاب لقوله بعده  
فأنزلنا من السماء ماء قال أبو بكر بن عباس لا تظطر قطرة من السماء الا بعد أن  
تعمل الرياح الأربع فيها فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمعها والجنوب تدركها والدبور  
تفرقه وقل أبو عبيد لواقع هنا بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذفت الميم وردت الى الاصل  
وقال الزجاج يجوز أن يقال لها الواقع وان ألحقته غيرها لان معناها النسبة كما يقال  
درهم وارباى ذو وزن واعترض الواحدى على هذا فقال هذا ليس بمعنى لانه كان  
يجب أن يصح اللاحق بمعنى ذات لقح حتى يوافق قول المفسرين وأجاب الرازى عنه بأن  
قال هذا ليس بشئ لان اللاحق هو المنسوب الى اللقحة ومن أفاد غير اللقحة فله نسبة الى  
اللقحة وقال صاحب المفردات لواقع أى ذات لقاح وقيل ان الريح في نفسها لاقح لانها  
حاملة للسحاب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى حتى اذا أقلت سحابا قال أى حلت فعلى  
هذا تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب وقال الزجاج ويجوز أن يقال للريح  
لقتحت اذا أتت بالحير كما قيل لها عقيم اذا لم تأت بخير وورد في بعض الاخبار أن الملقح  
رياح الجنوب وفي بعض الآثار ما عبت رياح الجنوب الا وأنبتت عينا غدة (ق) عن عائشة  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال اللهم انى أسالك خيرا وخير ما  
فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به وروى البخارى  
بسند الى الشافعى الى ابن عباس قال ما عبت ريح قط الا جئت الى الله صلى الله عليه وسلم على  
ركبته وقال اللهم اجعلها رجة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها  
ريحا قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فأنزلنا عليهم  
الريح المقيم وقال وأرسلنا الرياح لواقع وقال يرسل الرياح مبشرات وقوله سبحانه وتعالى  
﴿فأنزلنا من السماء ماء﴾ يعنى المطر ﴿فأسقينا كوه﴾ يعنى جعلنا لكم المطر سقيا يقال أسقى  
فلان فلانا اذا جعل له سقيا وسقاه اذا أعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ماء ولينا اذا  
كان لسقيه فاذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ما شيته يقال أسقينا ﴿وما أنتم له﴾ يعنى للمطر  
﴿بحازنين﴾ يعنى أن المطر في خزائنا لا في خزائنك وقيل ﴿وما أنتم له﴾ يعنى ما نعين ﴿واللهن نحوي﴾

(فأنزلنا من السماء ماء)  
فأسقينا كوه (فجعلناه  
لكم سقيا) وما أنتم  
له بحازنين (نقي عنهم  
ما أثبتته لنفسه في قوله وان  
من شئ الا عندنا خزائنه  
كاه قال نحن الحازنون  
للماء على معنى نحن القادرون  
على خلقه في السماء وانزاله  
منها وما أنتم عليه بقادرين  
دلالة عظيمة على قدرته  
وعجزهم) واللهن نحوي  
(فأنزلنا من السماء ماء) مطرا  
(فأسقينا كوه) في الارض  
(وما أنتم له) للمطر (بحازنين)  
بفاتحين (واللهن نحوي)  
للبعث

القابلة لها ﴿ونميت﴾ بأزالتها وقد أول الحياة بما يم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ﴿ونحن الوارثون﴾ الباقون إذا مات الخلاق كلها ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين﴾ من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة وتأخر لا يخفى علينا شيء من أحوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتياج على كمال قدرته فانه ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الصف الاول فازدجوا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت

ونميت ( أي يحيى بالإنجاد ونميت بالإنشاء أو نميت عند انقضاء الآجال ونحيى لجزاء الاعمال على التقديم والتأخير اذا لواء الجميع المطاق ( ونحن الوارثون )

ونميت ﴿يعني بيدنا أحياء الخلق وأما نميت لا يقدر على ذلك أحد الا الله سبحانه وتعالى لان قوله تعالى وانا نحن نفيدها الحصر يعني لا يقدر على ذلك سوانا ﴿ونحن الوارثون﴾ وذلك بان نميت جميع الخلق فلا يبقى أحد سوانا فيزول ملك كل مالك ويبقى جميع ملك المالكين لنا والوارث هو الباقي بعد ذهاب غيره والله سبحانه وتعالى هو الباقي بعد فناء خلقه الذين أمتهم بما آتاهم في الحياة الدنيا لان وجود الخلق وما آتاهم كان ابتداء منه تعالى فاذا فنى جميع الخلائق رجع الذي كانوا على كونه في الدنيا على الجواز الى مالكه على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير الخلق اليه ﴿قوله عز وجل﴾ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين ﴿عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون في الصف الاول لثلايرها ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فاذا ركب ظهر من تحت ابطيه فانزل الله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين أخرجه الترمذى وقال فيه وقدر روى عن ابن الجوزى نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح قال البغوي وذلك أن النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتأخر الى آخر صف الرجال ومن النساء من في قلبها ريبة فتقدم الى أول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية فمند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها أخرجه مسلم عن أبي هريرة وقال ابن عباس أراد بالمستقدمين من خاق الله وبالمستأخرين من لم يخلق الله تعالى بعد وقال مجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون معنى في الطاعة والخير والمستأخرون معنى فهم وقال الاوزاعي اراد بالمستقدمين المصلين في أول الوقت والمستأخرين المؤخرين لها الى آخره وقال مقاتل اراد بالمستقدمين والمستأخرين في صف القتال وقال ابن عيينة اراد من يسلم أولا ومن يسلم آخره وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم عرض على الصف الاول فازدجوا عليه وقال قوم كانت سيوتهم قاصية عن المسجد ليعين دورنا ونشتري دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية ومعتها انما تجزون على النيات فاطمأنوا وسكنوا فكون معنى الآية على القول الاول المستقدم للثقوى والمستأخر للنظرو على القول الاخير

الباقيون بعد هلاك الخلق كلهم وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فناءه (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين) من تقدم ولادة وموتا ومن تأخر أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الاسلام أو في الطاعة أو في صف الجماعة أو صف الحرب ومن تأخر

(ونميت) في الدنيا (ونحن الوارثون) المالكون على ما في السموات والارض بعد موت أهلها وقبل موت أهلها (ولقد علمنا المستقدمين منكم) يعني الاموات من الآباء والامهات ويقال المستقدمين منكم في الصف الاول (ولقد علمنا المتأخرين) يعني الاحياء من البنين والبنات ويقال المتأخرين في الصف الآخر

تصلي خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتقدم بعض القوم لثلا ينظر اليها وتأخر بعض ليصرها فزلت ﴿ وان ربك هو يحشرهم ﴾ لاعماله الجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولى يحشرهم لاغير وتصدير الجملة بان تحقيق للوعد والتنبه على ان ماسبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله ﴿ انه حكيم ﴾ باهر الحكمة متقن في افعاله ﴿ عليهم ﴾ وسع علمه كل شيء ﴿ ولقد خلقنا الانسان من صلصال ﴾ طين يابس يصلصل أى يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا اتنن تضعيف صل ﴿ من جا ﴾ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال أى كائن من جا ﴿ مسنون ﴾ مصور من سنة الوجه أو مصبوب لبيس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الحيا فصور منها تمثال انسان أجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواء وتقح فيه من روحه أو متن من سنتن الحجر على الحجر اذا حككته فان مايسيل بينهما يكون متنا ويسمى سنينا ﴿ والجان ﴾ ابا الجن وقيل ابليس ويحوزان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان

المستقدم لطلب الفضيلة والمستأخر للعدو ومعنى الآية ان علمه سبحانه وتعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم وتأخرهم طائهم وعاصم لا يخفى عليه شيء من احوال خلقه ﴿ وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليهم ﴾ يعنى على ما علم منهم وقيل ان الله سبحانه وتعالى يمت الكل ثم يحشرهم الاولين والآخرين على ماماتوا عليه (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمت كل عبد على مامات عليه ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولقد خلقنا الانسان ﴿ يعنى آدم عليه السلام في قول جميع المفسرين سمي انسانا لظهوره وادراك البصراياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه فنسى ﴿ من صلصالي ﴾ يعنى من الطين اليابس الذى اذا نقرته سمعت له صلصلة يعنى صوتا وقال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذى اذا نضب عنه الماء تشقق فاذا حرك تقعقع وقال مجاهد هو الطين المتين واخاره الكسائي وقال هو من صل اللحم اذا اتنن ﴿ من جا ﴾ يعنى من الطين الاسود ﴿ مسنون ﴾ أى متغير قال مجاهد وقادة هو المتن المتغير وقال أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سنتن الماء اذا صببته قال ابن عباس هو التراب المتبل المتنن جعل صلصالا كالفتخار والجمع بين هذه الاقاويل على ما ذكره بعضهم ان الله سبحانه وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض قبلها بالماء حتى اسودت وأنتن ريحها وتغيرت واليه الاشارة بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بله بالماء وخره حتى اسود وأنتن ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله من جا مسنون ثم ذلك الطين الاسود المتغير صوره سورة انسان أجوف فلما جف وييس كانت تدخل فيه الريح فتسمع له صلصلة يعنى صوتا واليه الاشارة بقوله من صلصال كالفتخار وهو الطين اليابس اذا تقطر في الشمس ثم تقح فيه الروح فكان بشرا سويا ﴿ قوله تعالى ﴾ والجان

( وان ربك هو يحشرهم )  
أى هو وحده يقدر على  
حشرهم ويحيط بحشرهم  
( انه حكيم عليهم ) باهر الحكمة  
واسع العلم ( ولقد خلقنا  
الانسان ) أى آدم ( من صلصال )  
طين يابس غير مطبوخ  
( من جا ) صفة لصلصال أى  
خلقته من صلصال كائن من جا  
أى طين أسود متغير ( مسنون )  
مصور وفى الاول كان ترايا  
فصبج بالماء فصار طينا فكث  
فصار جا فخلص فصار سلالة  
فصور وبيس فصار صلصالا  
فلاناقض ( والجان ) أبا  
الجن كآدم للناس أو هو  
ابليس وهو منصوب بفعل  
مضمير يفسره

( وار ربك هو يحشرهم )  
الاولين والآخرين  
( انه حكيم ) عليهم  
بالحشر ( عليهم )  
يحشرهم وشواهم وعقابهم  
( ولقد خلقنا الانسان ) يعنى  
آدم ( من صلصال ) من طين  
يتصلصل ( من جا ) من طين  
( مسنون ) متن ويقال  
مصور ( والجان ) أبا الجن

لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل بفسره قوله ﴿خلقناه من قبل﴾ من قبل خلق الانسان ﴿من نار السموم﴾ من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المولفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء ﴿واذ قال ربك﴾ واذكر وقت قوله ﴿للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته﴾ عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ حق جرى آثاره في تجاوزيف اعضائه فحيي واصل النفخ

خلقناه من قبل ﴿يعني من قبل آدم عليه السلام قال ابن عباس الجان أبو الجن كان آدم أبو البشر وقال قتادة هو ابليس وقيل الجان أبو الجن وابليس أبو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون يأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبنى آدم وأما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يموتون الا اذا مات ابليس وقال وهبان من الجن من يولد له وياكلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا تتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع من الجن لا شراكهم في الاستنار سموا جنانا لتواربهم واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا ستر والشيطان هو العاني المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر ﴿من نار السموم﴾ يعني من ريج حارة تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فتقتله ويقال للريج الحارة التي تكون بالنار السموم وللريج الحارة التي تكون بالليل الحرور وقال أبو صالح السموم نار لادخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء والحجاب فاذا حدث أمر خرقت الحجاب فهوت الى ما أمرت به فالهدة التي تسمعون من خرقت ذلك الحجاب وهذا على قول أصحاب الهبة ان الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل من نار السموم يعني من نار جهنم وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجان وتلا هذه الآية وقال ابن عباس كان ابليس من حمأ مسنون من الملائكة يسمون الجان خاقوا من نار السموم وولدت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وولدت الملائكة من النور ﴿فوله عز وجل﴾ واذ قال ربك للملائكة ﴿أي واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة﴾ اني خالق بشرا ﴿سمى الآدمي بشرا لانه جسم كثيف ظاهر والبشرة ظاهر الجلد﴾ من صلصال من حمأ مسنون ﴿تقدم تفسيره﴾ فاذا سويته ﴿يعني عدلت صورته وأتممت خلقه﴾ ونفخت فيه من روحي ﴿النفخ عبارة عن اجراء الريح في تجاوزيف جسم آخر ومنه نفخ الروح في النشأة الاولى وهو المراد من قوله ونفخت فيه من روحي وأضاف الله عز وجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لها كما يقال ببت الله وناقذ الله وعيد الله وسبأني

(خلقناه من قبل) من قبل آدم (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان (واذ قال ربك) واذكر وقت قوله (للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته) أتممت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيها (ونفخت فيه من روحي) وجعلت فيه الروح وأحييته وليس تمت نفخ وانما هو تمثيل والاضافة للتخصيص

(خلقناه من قبل) من قبل آدم عليه السلام (من نار السموم) من نار لادخان لها (واذ قال) وقد قال (ربك للملائكة) الذين كانوا في الارض وهم كانوا عشرة آلاف (اني خالق) اخلق (بشرا من صلصال) من طين يتصلصل (من حمأ مسنون) من طين متين (فاذا سويته) سويت خلقه باليدين والرجلين والعينين وغير ذلك (ونفخت فيه من روحي)

(فعمواله ساجدين) هو أمر من وقع يقع أى اسقطوا على الارض بمعنى اسجدوا والدخول الغاء لانه جواب اذا وهو دليل على أنه يجوز تقدم الامر عن وقت الفعل (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) فالملائكة جمع تام محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص بقوله كلهم وذكر الكل احتل تأويل التفرق فقطعه بقوله أجمعون (الابليس) ظاهر الاستثناء يدل على أنه كان من الملائكة لان المستثنى يكون من جنس المستثنى ﴿٥٦١﴾ منه وعن الحسن {سورة الحجر} ان الاستثناء منقطع ولم

يكن هو من الملائكة قلنا غير المأمور لا يصير بالترك معلوما وقال في الكشف كان بنهم مأمورا معهم بالسجود فقلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التليب كقولك رأيتم الا هذا (أبى أن يكون مع الساجدين) امتنع أن يكون معهم وأبى استثناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد قليل أبى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس أبى (قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين) حرف الجر مع أن محذوف تقديره مالك فى أن لا تكون مع الساجدين أى أى غرض الذى فى إياك السجود (قال لم أكن لأسجد) اللام لتأكيد النفي أى لا يصح منى أن أسجد (لبشر خلقته من صلصال من جامسنون

اجراء الريح فى نجوى جسم آخر ولما كان الروح يتعلق أولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتقبض عليه القوة الحيوانية فيسرى حاملا لها فى تجاوب الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا وازادة الروح الى نفسه كما مر فى سورة النساء ﴿فعمواله﴾ فاسقطوا له ﴿ساجدين﴾ أمر من وقع يقع ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ أكد بتأكيدين للمبالغة فى النعميم ومنع التخصيص وقيل أكد بكل للاحاطة وباجمين للدلالة على أنهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثانى حالا لا تأكيدا ﴿الابليس﴾ ان جعل منقطعا اتصل به قوله ﴿ابى أن يكون مع الساجدين﴾ أى ولكن ابليس أبى وان جعل متصلا كان استثنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد ﴿قال يا ابليس مالك ألا تكون﴾ أى غرض لك فى أن لا تكون مع الساجدين ﴿لآدم﴾ قال لم أكن لأسجد ﴿اللام﴾ لتأكيد النفي أى لا يصح منى وينافى حالى ان اسجد ﴿بشر﴾ جسمانى كثيف واما ملك روحانى ﴿خلقته من صلصال من جامسنون﴾ وهو اخس العناصر وخلقته من نار وهى اشرفها استقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف

الكلام على الروح فى تفسير سورة الاسراء عند قوله وبسئلك عن الروح ان شاء الله تعالى ﴿فعمواله ساجدين﴾ الخطاب للملائكة الذين قال الله لهم انى خالق بشرأ أمرهم بالسجود لآدم بقوله فعمواله ساجدين وكان هذا السجود سجود تحية لا سجود عبادة ﴿فسجد الملائكة كلهم﴾ يعنى الذين أمروا بالسجود لآدم ﴿أجمعون﴾ قال سيئويه هذا تأكيد بعد تأكيد وستل المبرد عن هذه الآية فقال لو قال فسجد الملائكة لاحتمال أن يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم ازم ازالة ذلك الاحتمال فظهر هذا أنهم سجدوا بأسرهم ثم عند هذا بقى احتمال آخر وهو أنهم سجدوا فى أوقات متفرقة أو دفعة واحدة فلما قال أجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكي الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيئويه أجود لان أجمعين معرفة فلا تكون حال روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله سبحانه وتعالى أمر جماعة من الملائكة بالسجود لآدم لم يفسلوا فإرسل الله عليهم نارا فاحرقهم ثم قال لجماعة أخرى اسجدوا لآدم فسجدوا ﴿لآبليس انى أن يكون مع الساجدين﴾ يعنى مع الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم فسجدوا ﴿قال﴾ يعنى قال الله ﴿يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين﴾ قال يعنى ابليس ﴿لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من جامسنون﴾ أى ادا ابليس انه أفضل من آدم لان آدم طينى والاصل وابليس نارى الاصل والار أفضل من الطين فيكون ابليس فى قياسه أفضل من آدم ولم يدرك الحديث ان الفضل فيما

جاءت الروح فيه (فعمواله) فخر والله (ساجدين) بالتحية (فسجد الملائكة) لآدم صلوات الله عليه (كلهم

أجمعون الا ابليس) رئيسهم (أبى) (تا و خا ٧١ ا ث) تعظم (ان يكون مع الساجدين) بالسجود لآدم عليه السلام (قال) الله تعالى (يا ابليس) يا ايس من رحتى (مالك ألا تكون مع الساجدين) بالسجود لآدم (قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال) من طين يتصلصل (من جامسنون) من طين منتن يقول لا ينفى لى ان اسجد للطين

قال فاخرج منها ) من السماء ومن الجنة ومن جنة الملائكة ( فانك رجيم ) مطرود من رحمة الله ومعه ملعون لان اللعنة هو الطرد من الرحمة والابادة منها ( وان ) الجزء الرابع عشر { عليك اللعنة } ٥٦٢ الى يوم الدين ) ضرب يوم الدين حدا للجنة

لانه بعد فاية يضرب بها الناس في كلامهم والمراد به انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسب للنعن معه ( قال رب فانظرنى ) فانظرنى والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم ( الى يوم يبعثون ) اراد ان يبعد فسخة في الاعوام ونجاة من الموت اذ لاموت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني ( قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ) المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فبعد عنه اولا بيوم الجزاء لما عرقتة وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التسليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعنه يموت اول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه مخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تسل على علو منصب ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاحسان والاذلال ( قال رب بما اغويتني ) الباء للقسم ومصدرية وجوابه

فضله الله تعالى ( قال فاخرج منها ) يعني من الجنة وقيل من السماء ( فانك رجيم ) أي طريد ( وان عليك اللعنة الى يوم الدين ) قيل ان اهل السموات ملعونون ابليس كما لعنه اهل الارض فهو ملعون في السماء والارض فان قلت ان حرف الهمزة الى لانه الفاية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذي هو يوم القيامة قلت لا بل يزداد عذابا الى اللعنة التي عليه كانه قال تعالى وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم تزداد معها بمذلة عذابا دائما مستمرا لانقطاعه ( قال رب فانظرنى ) يعني آخرنى ( الى يوم يبعثون ) يعني يوم القيامة وأراد هذا السؤال انه لا يموت أبدا لانه اذا أمهل الى يوم القيامة ويوم القيامة لا يموت فيه أحد لزمن ذلك انه لا يموت أبدا فلهذا السبب سأل الانتظار الى يوم يبعثون فاجابه الله سبحانه وتعالى بقوله ( قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ) يعني الوقت الذي يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس أربعون سنة وهو ما بين النفختين ولم تكن اجابة الله تعالى اياه في الامهال اكراماله بل كان ذلك الامهال زيادة له في بلائه وشقائه وعذابه وانما سمي يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم لان ذلك اليوم لا يعلمه أحد الا الله تعالى فهو معلوم عنده وقيل لان جميع الخلائق يموتون فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سأل ابليس الانتظار الى يوم يبعثون أجابه الله بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني اليوم الذي عنت وسألت الانتظار اليه ( قال رب بما اغويتني )

لانه بعد فاية يضرب بها الناس في كلامهم والمراد به انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسب للنعن معه ( قال رب فانظرنى ) فانظرنى والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم ( الى يوم يبعثون ) اراد ان يبعد فسخة في الاعوام ونجاة من الموت اذ لاموت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني ( قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ) المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فبعد عنه اولا بيوم الجزاء لما عرقتة وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التسليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعنه يموت اول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه مخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تسل على علو منصب ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاحسان والاذلال ( قال رب بما اغويتني ) الباء للقسم ومصدرية وجوابه

( قال ) الله له ( فاخرج منها ) من صورة الملائكة ويقال من كرامتي ورحمتي ويقال من الارض ( فانك رجيم ) ملعون مطرود من رحمتي ( وان عليك اللعنة ) لعنتي ولعنة الملائكة والخلائق ( الى يوم الدين ) يوم الحساب

( قال ) ابليس ( رب ) يارب ( انظرنى ) فأجبتني ( الى يوم يبعثون ) من القبور أراد الملعون أن لا يذوق الموت ( الباء ) ( قال ) الله ( فانك من المنظرين ) من المؤجلين ( الى يوم الوقت المعلوم ) النفخة الاولى ( قال رب ) يارب ( بما اغويتني )

باغوائك اياي ( لا زين لهم ) المعاصي ونحو قوله بما أغويت لا زين لهم فبذلك لا غوئهم في أنه انقسام إلا أن أحد هذين  
أقسام بصفة الذات والثاني بصفة الفعل ﴿ ٥٦٣ ﴾ وقد فرق ( سورة الحجر ) الفقهاء بينهما فقال

المراقبون الحلف بصفة  
الذات كالقدرة والعظمة  
والعزة بين والحلف بصفة  
الفعل كالرجة والسخط  
ليس يمين ولا يصح ان  
الايان مبنية على العرف  
فما تعارف الناس الحلف  
به يكون يمينا وما لا فلا  
والآية حجة على المعتزلة  
في خلق الافعال وجلهم  
على التسبيب عدول عن  
الظاهر ( في الارض )  
في الذنب التي هي دار  
الغرور واراداني أقدر

على الاحتيال لا دم والتزين  
لما اكل من الشجرة وهو  
في السماء فانا على التزين  
لاولاده في الارض أقدر  
( ولا غوئهم أجمعين الا  
عبادك منهم المخلصين )  
وبكر اللام بصري ومكي  
وعسبي استثنى المخلصين  
لانه علم ان كيد لا يعمل  
فيهم ولا يقبلونه منه ( قال  
هذا صراط على مستقيم

كما ضللتني عن الهدى ) لا زين  
لهم ) لبي آدم ( في الارض )  
الشهوات والذات ( و  
لا غوئهم ) لا ضللتهم ( أجمعين )  
عن الهدى ( الاعبادك منهم  
المخلصين ) امصومين من

﴿ لا زين لهم في الارض ﴾ والمعنى اقسام باغوائك اياي لا زين لهم المعاصي في الدنيا التي  
هي دار الغرور كما قوله اخذ الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل  
للسبية والمعتزلة او اوا الاغواء بالنسبة الى التي أو التسبب له بامر الله بالسجود لا دم  
عليه السلام وبالاختلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله تعالى له وهو سبب لزيادة غيه  
وتسليطه له على اغواء بني آدم بان الله تعالى علم منه ومن تبعه انهم يعوتون على الكفر  
ويصيرون الى النار اهل أولم يعمل وان في امهاله ترضيا لمن خالفه لاستحقاق مزيد  
الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوى الالباب ﴿ ولا غوئهم أجمعين ﴾ ولا ضللتهم أجمعين  
على الفروية ﴿ الاعبادك منهم المخلصين ﴾ الذين اخلصتهم لطافتك وطهرتهم من الثواب  
فلا يعمل فيهم كيدى وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القرآن أى  
الذين اخلصوا نفوسهم لله ﴿ قال هذا صراط على ﴾ حق على ان اراعيه ﴿ مستقيم ﴾  
لا انحرف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه أو  
الاخلاص على معنى انه طريق على يؤدي الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال

الباء للقسم في قوله بما أو ما مصدرية وحواب القسم ﴿ لا زين لهم ﴾ والمعنى باغوائك اياي  
لا زين لهم في الارض وقيل هي ماء السبب يعنى يسبب كوني قاريا لا زين لهم  
في الارض ﴿ يعنى لا زين لهم حب الدنيا ومعاصيك ﴾ ولا غوئهم أجمعين ﴿ يعنى بالقاء  
الوسوسة في قلوبهم وذلك ان ابليس لما علم انه يموت على الكفر فمرقه فور له حرص على  
اضلال الخلق بالكفر واغوائهم ثم استثنى فقال هو الاعبادك منهم المخلصين ﴿ من المؤمنين  
الذين اخلصوا لك التوحيد والطاعة والعبادة ومن فتح اللام من المخلصين يكون المعنى الامن  
اخلصته واسطيقته لتوحيدك وعبادتك وانما استثنى المخلصين لانه علم ان كيد  
ووسوسته لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه وحقيقة الاخلاص فعل الشئ خالصا لله عن شائبة  
التبرقكل من اتى بعمل من أعمال الطاعات فلا يخالو اما أن يكون مراده بتلك الطاعة وجه  
الله فقط أو غير الله أو مجموع الامرين أما ما كان لله تعالى فهو الخالص المقبول وأما  
ما كان لغير الله فهو الباطل المردود وأما من كان مراده مجموع الامرين فان ترجح جانب  
الله تعالى كان من المخلصين الناجين وان ترجح الجانب الآخر كان من الهالكين لان  
المثل يقابله المثل فيبقى القدر الزائد والى أى الجانبين رجح أخذه ﴿ قال ﴾ يعنى قال  
الله تبارك وتعالى ﴿ هذا صراط على مستقيم ﴾ قال الحسن معناه هذا صراط الى مستقيم  
وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يرجع الى شئ وقال الاخفش معناه على  
الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائى هذا على طريق التهديد والوعيد كما يقول  
الرجل لمن يخافه طريقك على أى لا تنقلت منى وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان  
والتوفيق والهداية وقيل هذا طائد الى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق

ويقال الموحدين ان قرأت بكسر اللام ثم ( قال ) الله تعالى ( هذا صراط على مستقيم ) كريم شريف ويقال على عمر من أطاعك وعمر من  
دخل معك ويقال هذا صراط طريق مستقيم قائم برضاه وهو الاسلام ويقال هذا صراط على رفيع ان قرأت بكسر اللام ورفع الياء



وقرى على من علو الشرف ﴿ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من  
الفاوين﴾ تصديق لابلis فيما استناده وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود  
بيان عصمتهم وانقطاع محالب الشيطان عنهم أو تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على  
من ليس بمخلص من عياده فان منتهى تزييه التحريض والتدليس كما قال وما كان لى  
عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى  
الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لاغضائه الى تناقض  
الاستثناءين ﴿وان جهنم لموعدهم﴾ لموعدهم الف ودين أو المتبعين ﴿واجمين﴾ تأكيد  
للتضمير أو حال والاصل فيها الموعده أن جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى  
الاضافة ان جعلته اسم مكان فان لا يعمل ﴿لها سبعة ابواب﴾ يدخلون فيها لكثرتهم  
أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير  
ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص المدد لانحصار مجامع المهاككات فى الركون  
الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية أولان اهلها سبع فرق ﴿لكل باب  
منهم﴾ من الاتباع ﴿جزء مقسوم﴾ افترز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود  
والثالث للتصارى والرابع للصائبين والخامس للموسى والسادس للمشرىكين  
والسابع للمنافقين وقرأ ابوبكر جزؤ بالتثنية وقرى جز على حذف الهمزة والقاء  
حركتها على الزاء ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل بحرى الوقف ومنهم  
حال منه أو من المستكن فى الطرف لافى مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها

على والى يؤدى الى كرامى ورضوانى ﴿ان عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ أى قوة  
وقدرة وذلك ان ابلis لما قال لأزمان لهم فى الارض ولا غوئهم أجمعين الاعبادك  
منهم المخلصين أوهم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين مبنى الله سبحانه  
وتعالى انه ليس له سلطان على أحد من عبيده سواء كان من المخلصين أو لم يكن من  
المخلصين قال أهل المعاني ليس لك سلطان على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة  
عن هذه الآية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان ان تلقيهم فى ذنب يضيق عنه  
عفوى وهؤلاء خاصته أى الذين هداهم واجتباهم من عباده ﴿الامن اتبعك من  
الفاوين﴾ يعنى الامن اتبع الميس من الفاوين قال له عليهم سلطانا بسبب كونهم متقادين له  
فيما يأمرهم به ﴿وان جهنم لموعدهم أجمعين﴾ يعنى موعدهم ابلis وأشياعه وأتباعه  
﴿لها﴾ يعنى لجهنم ﴿سبعة ابواب﴾ يعنى سبع طبقات قال على بن أبى طالب تدرون  
كيف ابواب جهنم هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى أى سبعة ابواب بعضها  
فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير  
ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ﴿لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ يعنى لكل دركة قوم  
يسكنونها والجزء بعض النى وجزأته جعلته أجزاء والمعنى ان الله سبحانه وتعالى  
يجزى اتباع ابلis سبعة أجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة من النار والسبب فيه

ان عبادى ليس لك عليهم  
سلطان الا من اتبعك من  
الفاوين (أى هذا طريق  
حق على أن أراعيه وهو أن  
لا يكون لك سلطان على  
عبادى الا من اختار اتباعك  
منهم لغوايته وقيل معنى على  
الى على يعقوب من علو  
الشرف والفضل (وان  
جهنم لموعدهم اجمعين)  
التضمير للفاوين (لها سبعة  
ابواب لكل باب منهم) من  
اتباع ابلis (جزء مقسوم)  
نصيب معلوم مفرز قيل  
ابواب النار اطلاقها  
وادرا كلها فاعلاها للموحدين  
يعذبون بقدر ذنوبهم ثم  
يخرجون والثاني لليهود  
والثالث للتصارى والرابع  
للصائبين والخامس للموسى  
والسادس للمشرىكين  
والسابع للمنافقين

(ان عبادى) المؤمنين (ليس لك  
عليهم سلطان) ملك ولا مقدرة  
(الامن اتبعك) الاعلى من  
اطاعتك (من الفاوين)  
من الكافرين (وان جهنم  
لموعدهم) مصدوم بمن  
اطاعتك (أجمعين لها سبعة  
ابواب) بعضها اسفل من  
بعض أعلاها جهنم وأسفلها  
الهاوية (لكل باب منهم)  
من الكفار (جزء مقسوم)

(ان المتقين في جنات وعيون) و يضم العين مدني وبصري وحفص المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما هي عنه وقال في الشرح ان دخل اهل الكبار في ﴿ ٥٦٥ ﴾ قوله لها سبعة أبواب لكل { سورة الحجر } باب منهم جزء مقسوم

فالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكبار والافالمراد به الذين اتقوا الشرك (ادخلوها) أي يقال لهم ادخلوها (بسلام) حال أي سالمين أو مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة (آمنين) من الخروج منها والآفات فيها وهو حال أخرى (ونزعنا ما في صدورهم من غل) وهو الحقد الكامن في القلب أي ان كان لاحدهم غل في الدنيا على آخر نزع الله ذلك في الجنة من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه أرحوا أن أكون أما وعثمان وطلحة والزبير منهم وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل وألقي فيها التوادد والتحاب (أخوانا) حال (على سرر) حظ معلوم (ان المتقين) الكفر والشرك والفواحش ينفي أبابكر وعمر وأصحابهما (في جنات) في بساتين (وعيون) ماء طاهر (ادخلوها) يقول الله تعالى لهم يوم القيامة ادخلوا الجنة (بسلام) مع سلام ونجاة ويقال سلامة ونجاة من الموت من آمنين (من الموت

﴿ ان المتقين ﴾ من اتبعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة ﴿ في جنات وعيون ﴾ لكل واحد جنّة وعين أول كل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وحفص وابو عمرو وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ﴿ ادخلوها ﴾ على ارادة القول وقرئ يقطع الهمة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين ﴿ بسلام ﴾ سالمين أو مسلما عليكم ﴿ آمنين ﴾ من الآفات والزوال ﴿ ونزعنا ﴾ في الدنيا بما الب بين قلوبهم أو في الجنة بتطبيب نفوسهم ﴿ ما في صدورهم من غل ﴾ من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله تعالى عنه ارجوان أكون أما وعثمان وطلحة والزبير منهم أو من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب ﴿ أخوانا ﴾ حال من ضمير في جنات أو فاعل ادخلوها أو الضمير في آمنين أو الضمير المضاف اليه والمائل فيها معنى الاضافة وكذا قوله ﴿ على سرر

ان مراتب الكفر مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم في النار قال الضحاك في الدرّة الاولى اهل التوحيد الذين ادخلوا النار يذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصاري وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة اهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله سبحانه وتعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ﴿ عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمي أو قال على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه الزمذمي وقال حديث غريب ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ان المتقين في جنات وعيون ﴾ المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك في قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمأصبي والحيات البساتين والعيون الانهار الجارية في الجنات وقيل يحتمل أن تكون هذه المون غير الانهار الكبار التي في الجنة وعلى هذا فهل يختص كل واحد من اهل الجنة بعيون أو تجري هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين محتمل فيحتمل ان كل واحد من اهل الجنة يختص بعيون تجري في جناته وقصور ودوره فيتجمع بها هو ومن يختص به من حوره وولده وبمحتمل انها تجري من جنات بعضهم الى جنات بعض لانهم قد طهروا من الحسد والحقد ﴿ ادخلوها ﴾ أي يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى أو بعض ملائكته ﴿ بسلام آمنين ﴾ معنى ادخلوا الجنة مع السلامة والامن من الموت ومن جميع الآفات ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل ﴾ الغل الحقد الكامن في القلب ويطلق على السخاء والعداوة والبغضاء والحقد والحسد وكل هذه الحصال المذمومة داخلة في الغل لانها كامنة في القلب بروي ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤسرونهم الى الجنة وقد نقيت قلوبهم من الغل والنش والحقد والحسد ﴿ أخوانا ﴾ معنى في المحبة والمودة والمخالطة وليس المراد منه اخوة النسب ﴿ على سرر

الزوال (ونزعنا) أخرجتنا (ما في صدورهم من غل) غش وعداوة كانت بينهم في الدنيا (أخوانا) في الآخرة (على سرر

متقابلين ﴿ ويجوز أن يكونا صفتين لا خواناً أو حالين من ضميره لأنه بمعنى متصافين وإن يكون متقابلين حالاً من المستقر في على سرر ﴿ لا يحسم فيها نصب ﴾ استئناف أو حال بعد حال أو حال من الضمير في متقابلين ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ فإن عام النعمة بالخلود ﴿ نجي عبادي أني أنا الغفور الرحيم وإن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ فذلك كما سبق من الوعد والوعيد وتقريره وفي ذكر المغفرة دليل على أنه لم يرد بالمتقين من يتق الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرجة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف

جمع سرير قال بعض أهل المعاني السرير مجلس رفيع عال مهيباً للسرور وهو مأخوذ منه لأنه مجلس سرور وقال ابن عباس على سرر من ذهب مكلمة بالزبرجد والدر واليا قوت والسرير مثل صنعاء إلى الجابية ﴿ متقابلين ﴾ يعني يقابل بعضهم بعضاً لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه وفي بعض الأخبار أن المؤمن في الجنة إذا أراد أن يلتقي أخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما إلى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان ﴿ لا يحسم فيها ﴾ يعني في الجنة ﴿ نصب ﴾ أي تمب ولا إعياء ﴿ وما هم منها ﴾ يعني من الجنة ﴿ بمخرجين ﴾ بمخرجين ﴿ هذا نص من الله في كتابه على خاود أهل الجنة في الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكال بلا نقصان وغور بلا حرمان ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ نجي عبادي أني أنا الغفور الرحيم ﴿ قال ابن عباس يعني لمن تاب منهم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يضحكون فقال أنضحكون وبين أيديكم النار فتزل جبريل بهذه الآية وقال يقول لك ربك يا محمد ثم تقنط عبادي ذكره البغوي بغير سند ﴿ وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ قال قادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم العبد قدر عذابه لنجح نفسه يعني لقتل نفسه (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله سبحانه وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسع وتسعين رحمة وأدخل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار وفي الآية لطائف منها أنه سبحانه وتعالى أضاف العباد إلى نفسه بقوله ﴿ نجي عبادي وهذا تشريف وتعظيم لهم ألا ترى أنه لما أراد أن يشرف محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا التشريف العظيم ومنها أنه سبحانه وتعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيد بالفاظ ثلاثة أولها قوله أني وأنا وثانيها ادخال الب واللام في الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل أني أنا العذاب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب الأليم على سبيل الإخبار ومنها أنه سبحانه وتعالى أسررسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ عباده هذا المعنى فكانه أسهررسوله على نفسه في

متقابلين) كذلك قيل تدورهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضاً (لا يحسم فيها نصب) في الجنة تعب (وما هم منها بمخرجين) فتمام النعمة بالخلود ولما أنهم ذكر الوعد والوعيد أنبى عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم تقريراً لما ذكر وتمكيناً له في النفوس قال عليه السلام لو يعلم العبد قدر عقوباته لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبضع نفسه في العبادة ولما أقدم على ذنب وعطف

متقابلين ( لا يحسم فيها ) لا يصيبهم في الجنة ( نصب ) تمب ولا مشقة ( وما هم منها ) من الجنة ( بمخرجين نجي عبادي ) خبر عبادي ( أني أنا الغفور ) المتجاوز ( الرحيم ) لمن مات على التوبة ( وأن عذابي هو العذاب الأليم ) الوجيع لمن لم يتب ومات على الكفر

(ونبئهم) على نبي عبادى واخبر امتك ليخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط هبة يتبرون بها صخط الله وانعامه من الحجرين وتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم (عن ضيف ابراهيم) أى استباه وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكا والضيف يحى واحدا وجماله مصدر صافه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أى نسل عليك سلاما وسلمنا سلاما (قال) أى ابراهيم (انامكم وجلون) خائفون لا متاعهم ﴿ ٥٦٧ ﴾ من الاكل { سورة الحجر } اولاد خولهم بشيرا ذن وبشر

وقت (قالوا لا توجل) لا تخف (انا نبشرك) استئناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل أى انك مبشر آمن فلا توجل وبالتخفيف وقع النون حزة (بغلام عليم) هو اسحق لقوله فى سورة هود فبشرناها باسحق (قال أبشرونى على أن مسنى الكبر) أى أبشرونى مع مس الكبر فان يولدلى أى ان الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبر (فبم تبشرون) هى ما الاستفهامية دخلها معنى التجب كأنه قبل فبأى أعجوبة تبشرون وبكسر النون والتشديد مكى والاصل تبشرونى فادغم نون الجمع فى نون العماد ثم حذفت الياء ونقيت الكسرة دليلا عليها تبشرون بالتخفيف نافع والاصل تبشرونى فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة وحذف نون الجمع لاجتماع النونين والباقون بفتح النون وحذف المقعول والنون نون الجمع (قالوا بشركناك بالحق) باليقين

ونبئهم عن ضيف ابراهيم ﴿ على نبي عبادى تحقيق لما عايتهم به ﴾ اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ﴿ أى نسل عليك سلاما أو سلاما ﴾ قال انامكم وجلون ﴿ خاشون وذلك لانهم دخلوا بغرا ذن وبغير وقت أولانهم اذتموا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره ﴾ قالوا لا توجل ﴿ وقرى لا تأجل ولا توجل من اوجله ولا توجل من واجله بمعنى اوجله ﴾ انا نبشرك ﴿ استئناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل قال المبشر لا يخاف منه وقرأ حزة بشرك من البشر ﴾ بغلام ﴿ هو اسحق عليه السلام لقوله فبشرناها باسحق ﴾ عليم ﴿ اذ بلغ ﴾ قال أبشرونى على أن مسنى الكبر ﴿ تعجب من أن يولد له مع مس الكبر إياه أو انكار لان بشره فى مثل هذه الحالة وكذلك قوله ﴿ فبم تبشرون ﴾ أى فبأى أعجوبة تبشرون أى فبأى شئ تبشرون فان البشارة بالانصاف وقوعه مادة بشارة ببشرى وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة فى كل القرآن على ادغام نون الجمع فى نون الوقاية وقرأ نافع يكسرها مخففة على حذف نون الجمع استقالا لاجتماع المثلين ودلالة باقية نون الوقاية على الياء ﴿ قالوا بشركناك بالحق ﴾

الزام المفقرة والرحمة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ونبئهم عن ضيف ابراهيم ﴿ هذا معطوف على ما قبله أى وأخبر يا محمد عبادى عن ضيف ابراهيم وأصل الضيف الميل يقال حنفت الى كذا اذا ملت اليه والضيف من مال اليك نزولك وصارت الضيافة متعارفة فى القرى وأصل الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع فى عامة كلامهم وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيغان وضيئ ابراهيم هم الملائكة الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى ليبشروا ابراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط ﴿ اذ دخلوا عليه ﴾ يعنى اذ دخل الاضياف على ابراهيم عليه السلام ﴿ فقالوا سلاما ﴾ أى نسل سلاما ﴿ قال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ انا منكم وجلون ﴾ أى خاشعون واماخاف ابراهيم منهم لانهم لم يأكلوا طعامه ﴿ قالوا لا توجل ﴾ يعنى لا تخف ﴿ انا نبشرك بغلام عليم ﴾ يعنى أهم بشروه بولد ذكر غلام فى صغره عليم فى كبره وقبل عليم بالاحكام والشرايع والمراد به اسحق عليه السلام فلما بشروه بالولد محجب ابراهيم من كبره وكبر امرأته ﴿ قال أبشرونى ﴾ يعنى بالولد ﴿ على أن مسنى الكبر ﴾ يعنى على حالة لكبر قاله على طريق التجب ﴿ فبم تبشرون ﴾ يعنى فبأى شئ تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كأنه عجب من حصول الولد على الكبر ﴿ قالوا بشركناك بالحق ﴾ يعنى بالصدق الذى قضاه الله فان يخرج منك ولدا ذكرا

(ونبئهم) أحبرهم (عن ضيف ابراهيم) عن أضياف ابراهيم جبريل وسى عشر ملكا معه (اذ دخلوا عليه) على ابراهيم (فقالوا سلاما) سلموا عليه (قال) لهم ابراهيم حين لم يطعموا من طعامه (انامكم وجلون) خائفون (قالوا لا توجل) لا تفرق يا ابراهيم منا (انا نبشرك بغلام) بولد (عليم) فى صغره حليم فى كبره (قال أبشرونى) بالولد (على أن مسنى الكبر) بعدما أصابى الكبر (فبم تبشرون) فبأى شئ تبشرون الآن (قالوا بشركناك بالحق) بالولد

الذى لا لبس فيه (فلا تكن من القانطين) من الآيسين من ذلك (قال) ابراهيم (ومن يقنط) وبكسر النون بصرى وعلى (من رجته الا الضالون) الا المخطئون طريق الصواب والالكافرون كقولهم لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون أى لم أستنكر ذلك قنوطاً من رجته ولكن استبعاداً الى العادة التى أجراها (قال فما خطبكم) فاشأنكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) (الجزء الرابع عشر) أى قوم لوط ﴿ ٥٦٨ ﴾ (الا آل لوط) يريد أهله المؤمنين

والاستثناء منقطع لان القوم موصوفون بالأجرام والمستثنى ليس كذلك أو متصل فيكون استثناء من الضمير في مجرمين كأنه قيل الى قوم قد أجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم والمعنى يختص باختلاف الاستثناء لان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال يعنى انهم أرسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط أصلاً ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال السهم الى المرمى فى انه فى معنى التنبؤ والاهلاك كأنه قيل انا أهلكتنا قوماً مجرمين ولكن آل لوط أبجيتناهم وأما فى المتصل فهم داخلون فى حكم الارسال يعنى ان الملائكة أرسلوا اليهم جيهاً اهلكوا هؤلاء ونجوا هؤلاء وإذا انقطع الاستثناء جرى (اما المجوهم أجمعين) مجرى (فلا تكن من القانطين) من

بما يكون لأعماله أو باليقين الذى لا لبس فيه أو بطريقة هى حق وهو قول الله تعالى وامره ﴿ فلا تكن من القانطين ﴾ من الآيسين من ذلك فإنه تعالى قادر على ان يخلق بشراً من غير أبوين فكيف من شيخ فان ويجوز ما قرأ وكان استجبال ابراهيم صلوات الله عليه باعتبار العادة دون القدرة ولذلك ﴿ قال ومن يقنط من رجته ربه الا الضالون ﴾ المخطئون طريق العرفه فلا يعرفون سعة رحمة الله وكان علمه وقدرته كما قال لا يأس من روح الله الا القول الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائى تقنط بالكسر وقرئ بالضم وما بينهما قنط بالفتح ﴿ قال فما خطبكم أيها المرسلون ﴾ أى فاشأنكم الذى ارساكم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عداً وبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارة ذكرى يوم مريم عليهما السلام أولانهم بشروا فى تضاعف الحال لازالة الوجع ولو كانت تمام المقصود لا تبدأ بها ﴿ قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين ﴾ يعنى قوم لوط ﴿ الا آل لوط ﴾ ان كان استثناء من قوم كان منقطعاً اذ القوم مقيد بالأجرام وان كان استثناء من الضمير فى مجرمين كان متصلاً والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا أرسلنا الى قوم أجرم كلهم الا آل لوط منه لهلك المجرمين وتبقى آل لوط وبدل عليه قوله ﴿ اما المجوهم أجمعين ﴾ أى بما يعذب به القوم وهو استثناء اذا اتصل الاستثناء ومتصل

تكرر ذريته وهو اسحق ﴿ فلا تكن من القانطين ﴾ يعنى فلا تكن من الآيسين من الخير والقنوط هو الاياس من الخير ﴿ قال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ ومن يقنط من رجته ربه الا الضالون ﴾ يعنى من يأس من رجته ربه الا المكذبون وفيه دليل على ان ابراهيم عليه السلام لم يكن من القانطين ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملائكة ان به قنوطاً فنفي ذلك عن نفسه وأخبر ان القانط من رجته الله تعالى من الضالين لان القنوط من رجته الله كبيرة كالامن من مكر الله ولا يحصل الا عند من يجهل كون الله تعالى قادراً على ما يريد ومن يجهل كونه سبحانه وتعالى عالماً بجميع المعاملات فكل هذه الامور سبب للملأكة ﴿ قال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ فما خطبكم ﴾ يعنى فاشأنكم وما الامر الذى جثم فيه ﴿ أيها المرسلون ﴾ والمعنى ما الامر الذى جثم به سوى ما بشرت عوفى به من الولد ﴿ قالوا ﴾ يعنى الملائكة ﴿ انا أرسلنا الى قوم مجرمين ﴾ يعنى لهلك قوم مجرمين ﴿ الا آل لوط ﴾ يعنى أشياعه وأتباعه من أهل دينه ﴿ انا المجوهم أجمعين ﴾

(فلا تكن من القانطين) من الآيسين من الولد (قال) ابراهيم (ومن يسط) يئس (من رجته ربه الا الضالون) الكافرون بالله أو بضعته (الامرأته) (قال) ابراهيم لجبريل واعوانه (فما خطبكم) فاشأنكم وبما ذا جثم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين مشركين اجنموا الهالك على أنفسهم) يعملهم الحيت يعضون قوم لوط (الا آل لوط) ابنتيه زاعورا وريثا وامراته الصالحات (انا المجوهم) من الهالك (أجمعين)

لهم فيها لوط فقالوا انما نجوهم (الاسرائه) مستثنى من الضمير المجرور في لنجوههم وليس باستثناء عن الاستثناء لان الاستثناء من الاستثناء ما يكون فيما اتحد الحكم فيه بان يقول اهلكتناهم الا آل لوط الاسرائه وحتا قد اختلف الحكم لان الآل لوط متعلق بارسلنا أو عجز من والاسرائه متعلق بنجوههم فكيف يكون استثناء من استثناء لنجوههم بالتخفيف جزء على (قدرنا) وبالتخفيف أبو بكر ﴿ ٥٦٩ ﴾ (انها لمن الغابرين) سورة الحجر { الباقي في العذاب قيل لو لم تكن اللام في خبرها لوجب قمع ان لانه مع اسمه وخبره مفعول قدرنا ولكنه كقوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون وانما أسند الملائكة فعل التقدير الى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله لقربهم كما يقول خاصة الملك أمرنا بكذا والآمر هو الملك (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) أي لا أعرفكم أي ليس عليكم زى السفر ولا أنتم من أهل الحضر فاخاف ان تطرقوني بشر (قالوا بل جشاك بما كانوا فيه يمترون) أي ما جشاك بما كنا لا جله بل جشاك بما يسرك ويشق لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه ﴿ وأنبئك بالحق ﴾ باليقين من عذابهم ﴿ وانا لصادقون ﴾ فيما أخبرناك به ﴿ فأسر باهلك ﴾ فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجاز يان بوصل الهمزة من السرى وهما بمعنى

الاسرائه ﴿ يعني اسرائيل لوط ﴾ قدرنا ﴿ يبقى قضينا وانما أسند الملائكة القدر الى أنفسهم وان كان ذلك لله عز وجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه كاتقول خاصة الملك نحن أمرنا ونحن فعلنا وان كان قد فعلوه بأمر الملك ﴿ انها لمن الغابرين ﴾ يعني لمن الباقيين في العذاب والاستثناء من التثنية اثبات ومن الاثبات نفى فاستثناء اسرائيل لوط من الناجين بلحقها بالهلاكين ﴿ فلما جاء آل لوط المرسلون ﴾ وذلك ان الملائكة عليهم السلام لما بشروا ابراهيم بالولد وعرفوه بما أرسلوا به ساروا الى لوط وقومه فلما دخلوا على لوط ﴿ قال انكم قوم منكرون ﴾ وانما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا عليه وهم في زى شبان مردان حسان الوجوه فخاف أن يهجم عليهم قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل ان النكرة ضد المعرفة فقوله انكم قوم منكرون يعني لا أعرفكم ولا أعرف من أي الاقوام أنتم ولا لأي عرض دخلتم على فمعد ذلك ﴿ قالوا ﴾ يعني الملائكة ﴿ بل جشاك بما كانوا فيه يمترون ﴾ يعني جشاك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه ﴿ وأنبئك بالحق ﴾ يعني باليقين الذي لا شك فيه ﴿ وانا لصادقون ﴾ يعني فيما أخبرناك به من اهلاكهم ﴿ فأسر باهلك

(قا و خا ٧٢ لث) لصادقون في الاخبار بنزوله بهم (فأسر باهلك

الاسرائه) واعلة المناقضة (قدرنا) عليها (انها لمن الغابرين) المتخافين بالهلاك (فلما جاء آل لوط) الى لوط (المرسلون) جبريل واعوانه (قال انكم قوم منكرون) في بلدنا هذا لم نعرفكم ولم نعرف سلامكم فمن أجل ذلك قال انكم قوم منكرون يعني جبريل واعوانه (قالوا بل جشاك بما كانوا فيه يمترون) يشكون من العذاب (وأنبئك بالحق) أي جشاك بنجر العذاب (وانا لصادقون) في مقالنا ان العذاب نازل عليهم (فأسر باهلك) فأدلى بال

بقطع من الليل) في آخر الليل اوبعد ما يغضى شئ صالح من الليل (واتبع ادبارهم) وسر خلفهم لتكون مطالعهم وعلم  
أحوالهم (ولا يلتفت منكم أحد) ثلاثروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيقولهم أو جمل النبي عن الالتفات كناية عن  
مواصلة السير وترك التواني { الجزء الرابع عشر } والتوقف لان ﴿ ٥٧٠ ﴾ من يلتفت لا بدله في ذلك من أدف

وقرى فسر من السير ﴿ بقطع من الليل ﴾ في طائفة من الليل وقيل في آخره قال

اقصى الباب وانظري في التجوم \* كم علينا من قطع ليل بهم

﴿ واتبع ادبارهم ﴾ وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ﴿ ولا يلتفت منكم  
أحد ﴾ انظر ما وراءه فيرى من الهول لا يطيقه أو فيصيبه ما أصابهم أو لا يهرف أحدكم  
ولا يتخلف لغرض فيصيه العذاب وقيل لهوا من الالتفات ليوطئوا نفوسهم على المهاجرة  
﴿ وامضوا حيث تؤسرون ﴾ الى حيث أسركم الله بالمضى اليه وهو الشام أو مصر فعدى  
وامضوا الى حيث وتؤسرون الى ضميره المحذوف على الاتساع ﴿ وقضينا اليه ﴾ أى  
اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى الى ﴿ ذلك الامر ﴾ مبهم يفسره ﴿ ان دابر  
هؤلاء مقطوع ﴾ وعمله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم الامر وتعظيم له  
وقرى بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد  
﴿ مصبحين ﴾ داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء أو من الضمير في مقطوع وجهه للحمل  
على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدرى هؤلاء ﴿ وجاء اهل المدينة ﴾ سدوم  
﴿ يستبشرون ﴾ باضياف لوط طمعا فيهم ﴿ قال ان هؤلاء ضنبي فلا تفضضون ﴾

بقطع من الليل ﴿ يعنى آخر الليل والقطع القطعة من الشئ وبعضه ﴾ واتبع  
ادبارهم ﴿ يعنى واتبع آثار أهلك وسر خلفهم ﴾ ولا يلتفت منكم أحد ﴿  
يعنى حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع في السير  
وترك الالتفات الى ورائه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشانك ولا تخرج على شئ  
وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط ولثلاثين خلفه أحد منهم فينال العذاب  
﴿ وامضوا حيث تؤسرون ﴾ قال ابن عباس يعنى الى الشام وقيل الاردن وقيل الى  
حيث يأمركم جبريل وذلك ان جبريل أمرهم أن يسيروا الى قرية معينة ما عمل اهلها عمل  
قوم لوط ﴿ وقضينا اليه ذلك الامر ﴾ يعنى وأوحينا الى لوط ذلك الامر الذى حكمنا به  
على قومه وفرغنا منه ثم انه سبحانه وتعالى فسر ذلك الامر الذى قضاه بقوله ﴿ ان دابر  
هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾ يعنى ان هؤلاء القوم يستأصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح  
وانما أجمع الامر الذى قضاه عليهم أولا وفسره ثانيا تفخيلا وتعظيما لشدته ﴿ وجاء اهل  
المدينة ﴾ يعنى مدينة سدوم وهى مدينة قوم لوط ﴿ يستبشرون ﴾ يعنى يبشرون بعضهم بعضا  
باضياف لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور وذلك ان الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر  
أمرهم في المدينة وقيل ان امرأته أخبرتهم بذلك وكانوا شبانا مردا في غاية الحسن ونهاية  
الجمال فجاء قوم لوط الى داره طمعا منهم في ركوب الفاحشة ﴿ قال ﴾ يعنى قال لوط لقومه  
﴿ ان هؤلاء ضنبي ﴾ وحق على الرجل اكرام ضنفيه ﴿ فلا تفضضون ﴾ يعنى فيهم

وقفة ( وامضوا حيث  
تؤسرون ) حيث أسركم الله  
بالمضى اليه وهو الشام أو  
مصر ( وقضينا اليه ذلك  
الامر ) عدى قضينا الى  
لانه ضمن معنى أوحينا كانه  
قيل وأوحينا اليه مقضيا  
مبتوتا وفسر ذلك الامر  
بقوله ( أن دابر هؤلاء  
مقطوع ) وفي ايامه وتفسيره

تفخيم للامر ودابرهم آخرهم  
أى يستأصلون عن آخرهم  
حتى لا يبقى منهم أحد  
( مصبحين ) وقت دخولهم  
في الصبح وهو حال من هؤلاء  
( وجاء اهل المدينة ) سدوم  
التي ضرب بقاضيا المثل  
في الجور ( يستبشرون )  
بالملائكة طمعا منهم في ركوب  
الفاحشة ( قال ) لوط ( ان  
هؤلاء ضنبي فلا تفضضون )  
بفضيحة ضنبي لان من أساء

( بقطع من الليل ) بعض  
من آخر الليل عند السمر  
( واتبع ادبارهم ) امش  
وراءهم نحو صعر ( ولا يلتفت  
لا يتخلف ) منكم أحد  
( وامضوا ) يسروا ( حيث  
تؤسرون ) نحو صعر ( وقضينا  
اليه ذلك الامر ) أمرناه  
الاتيان الى صر ويقال

اخبونا ( ان دابر ) غابر ( هؤلاء ) قوم لوط ( مقطوع ) مستأصل ( مصبحين ) عند الصبح ( وجاء اهل المدينة ) ( يقال )  
الى دار لوط ( يستبشرون ) يعلمهم الخيئت ( قال ) لهم لوط ( ان هؤلاء ضنبي ) أى اضيافى ( فلا تفضضون ) فيهم

الى ضيق. فقد أساء الى ( واتقوا الله ولا تحزوني ) أى ولا تذنبون باذلال ضيقى من الغزى وهو الهوان وبالياء فيه ما يقصوب  
( قالوا أولم تنهك عن المأكلين ) عن أن نجبر منهم أحدا أو ندفع عنهم فالهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان عليه السلام  
يقوم بالنهى عن المنكر والحجزيينهم وبين المتعرض له فاعدوه وقالوا لئن لم تنه يالوط لتكون من المخرجين أو عن ضيافة  
الغريباء ( قال هؤلاء بناتى ) فأنكصوهن ﴿ ٥٧١ ﴾ وكان نكاح ( سورة الحجر ) المؤمنين من الكفار جائزا

ولا تتعرضوا لهم ( أن كنتم  
فاعلين ) أن كنتم تريدون  
قضاء الشهوة فيما أحل الله  
دون ما حرم فقالت الملائكة  
للوط عليه السلام ( لمرك  
انهم لى سكرتهم ) أى فى  
غوايتهم التى أذهب عقولهم  
وتعيرهم بين الخطأ الذى  
هم عليه وبين الصواب  
الذى تشير به عليهم من ترك  
البنين الى البنات ( يسمهون )  
يتحيرون فكيف يقبلون  
قولاتهم ويصنعون الى نصيحتك  
أو الخطاب لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم وهو  
قسم بحياته وما أقسم بحياة  
أحد قط تعظيما له والعمر  
والعمر واحد وهو البقاء  
الا أنهم خصوا القسم  
بالمفتوح اشارة للاخف  
لكثرة دور الحلف على  
الاستم واللاحذفوا الخبر  
وتقدره لمرك قسمي  
( فأخذتهم الصيحة ) صحبة  
جبريل عليه السلام  
( مشرقين ) داخلين  
فى الشروق وهو بزوغ  
الشمس

( واتقوا الله ) اخشوا الله

بفضيحة ضيقى فان من أسى الى ضيقه فقد أسى الى الله ﴿ واتقوا الله ﴾ فى ركوب  
الفاحشة ﴿ ولا تحزوني ﴾ ولا تذنبوني بسبب من الغزى وهو الهوان أو ولا  
تخجلوني فيهم من الخزية وهو الحياء ﴿ قالوا أولم تنهك عن المأكلين ﴾ عن أن تجبر منهم  
أحدا وتمنع بنتنا وبينهم فالهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان لوط ينعهم عنه بقدر  
وسعه أو عن ضيافة الناس وانزالهم ﴿ قال هؤلاء بناتى ﴾ يعنى نساء القوم فان نجى كل  
امة بمثل ما بينهم وفيه وجوه ذكرت فى سورة هود ﴿ أن كنتم فاعلين ﴾ قضاء الوطر أو ما قول  
لكم ﴿ لمرك ﴾ قسم بحياة المخاطب والمخاطب فى هذا القسم هو الذى عليه الصلاة والسلام  
وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لمرك قسمي وهو لغة فى العصر  
يختص به القسم لا يثار الاخف فيه لانه كثير الدور على استمهم ﴿ انهم لى سكرتهم ﴾  
لنى غوايتهم أو شدة غلتهم التى ازال عقولهم وتعيرهم بين خطيئتهم والصواب الذى  
يشار به اليهم ﴿ يسمهون ﴾ يتحيرون فكيف يسمعون نصحتك وقيل الضمير لقريش والجملة  
اعتراض ﴿ فأخذتهم الصيحة ﴾ يعنى هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل عليه السلام ﴿ مشرقين ﴾

يقال فضحه بفضحه اذا ظهر من أمره ما يلزمه السار بسببه ﴿ واتقوا الله ﴾ يعنى  
خافوا الله فى أمرهم ﴿ ولا تحزوني ﴾ يعنى ولا تخجلون ﴿ قالوا ﴾ يعنى قوم لوط الذين  
جاؤا اليه ﴿ أولم تنهك عن المأكلين ﴾ يعنى أولم تنهك عن أن تضيق أحدا من المأكلين  
وقيل معناه أولم تنهك أن تدخل الغريباء الى بيتك فان تريد أن تركب منهم الفاحشة وقيل  
معناه ألسنا قد نهيانا أن نكلنا فى أحد من المأكلين اذا قصدناه بالفاحشة ﴿ قال ﴾ يعنى  
قال لوط لقومه الذين قصدوا أضيافه ﴿ هؤلاء بناتى ﴾ أزوجكم الإهنة ان أسلمن فأنوا  
الحلال ودعوا الحرام وقيل أراد البنات نساء قومه لان النى كالوالد لامتة ﴿ أن كنتم  
فاعلين ﴾ يعنى ما أسركم به ﴿ لمرك ﴾ الخطاب فدللى صلى الله عليه وسلم قل ابن  
عباس معناه وحياتك يا محمد وقال ما خلق الله نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم  
وما أقسم بحياة أحد الا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الانسان  
بالحياة والروح وبقائه مدة حياته قال النحويون ارتفع لمرك بالابتداء والخبر محذوف  
والمعنى لمرك قسمي فحذف الخبر لان فى الكلام دلالة عليه ﴿ انهم لى سكرتهم ﴾ يعنى  
فى حيرتهم وضلالهم وقيل فى غفلتهم ﴿ يسمهون ﴾ يعنى يترددون متحيرين وقال قتادة  
يلعبون ﴿ فأخذتهم الصيحة مشرقين ﴾ يعنى حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب  
الذى نزل هم وقت الصبح وتماؤه حين أشرقت الشمس

فى الحرام ( ولا تحزوني ) لا تذنبون فى اضيافى ( قالوا أولم تنهك ) يالوط ( عن المأكلين ) عن ضيافة الغريباء ( قال هؤلاء بناتى ) ويقال  
بنات قومي أنا أزوجكم ( أن كنتم فاعلين ) متزوجين ( لمرك ) أقسم بمر محمد صلى الله عليه وسلم ويقال بدينه ( انهم ) يعنى قوم لوط  
( لى سكرتهم ) لنى جهلهم ( يسمهون ) لا يبصرون ( فأخذتهم الصيحة ) بالعذاب ( مشرقين ) عند طلوع الشمس



فجعلنا عاليها سافلها ) رفعها جبريل عليه السلام الى السماء ثم قلبها والضمير لقرى قوم لوط ( وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ) ان في ذلك لآيات للمتوسمين ( الجزء الرابع عشر المتفكرين المتأملين كأنهم ) ٥٧٢ ﴿ يرفون بأطن الثرى ﴾ بسمه ظاهر

داخلين في وقت شروق الشمس ﴿ فجعلنا عاليها سافلها ﴾ على المدينة أو على قراها ﴿ سافلها ﴾ فصارت منقلبة بهم ﴿ وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴾ من طين متعجراً أو طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ﴿ ان في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ المتفكرين المتفكرين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته ﴿ وانها ﴾ وان المدينة أو القرى ﴿ لبسيل مقيم ﴾ ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ﴿ ان في ذلك لآية للمؤمنين ﴾ بالله ورسوله ﴿ وان كان أصحاب الأيكة لظالمين ﴾ هم قوم شعيب عليه السلام كانوا يسكنون النخضة فيمشي الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلمة والأيكة الشجرة الكثيفة ﴿ فأنقمنا منهم ﴾ بالهلاك ﴿ وانها ﴾ يعني سدوم والأيكة وقيل الأيكة ومدين فانه كان مبسوطين اليها فكان ذكر احدهما منبثاً عن الآخر ﴿ لبأمام

﴿ فجعلنا عاليها سافلها ﴾ وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴿ تقدم تفسيره في سورة هود ﴾ ان في ذلك ﴿ يعني الذي نزل بهم من العذاب ﴾ لآيات للمتوسمين ﴿ قال ابن عباس للناظرين وقال قتادة للمتبرين وقال مقاتل للمتفكرين وقال مجاهد للمتفكرين ﴾ ويضد هذا التأويل ما روى عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ ان في ذلك لآيات للمتوسمين أخرجه الترمذي وقال حديث غريب الفراسة بالكسر اسم من قولك تفرست في فلان الخيروهي على نوعين أحدهما ما دل عليه ظاهر الحديث وهو ما يوقه الله في قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات واصابة الحدس والنظر والظن والتثبت هو النوع الثاني ما يحصل بدلائل التجارب والخلق والاخلق تعرف بذلك أحوال الناس أيضاً للناس في علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين في اللغة المشتبهين في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشيء وصفته وعلامته فالتوسم الناظر في سمة الدلائل تقول توسمت في فلان كذا أي عرفت وسم ذلك وسمته ﴿ وانها ﴾ يعني قرى قوم لوط ﴿ لبسيل مقيم ﴾ معنى بطريق واضح قال مجاهد بطريق مع ليس بخفي ولا زائل والمعنى ان آثار ما أنزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه لبسيل مقيم ثابت لم يبدثر ولم يخف والذين يعمرون عليها من الحماز الى الشام يشاهدون ذلك ويرون أثره ﴿ وان في ذلك ﴾ يعني الذي ذكر من عذاب قوم لوط وما أنزل بهم ﴿ لا يذلم المؤمنين ﴾ يعني المصدقين بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ وان كان أصحاب الأيكة لظالمين ﴾ يعني كان أصحاب الأيكة وهي النخضة واللام في قوله لظالمين للتأكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المفل وكانوا قوماً كافرين فبعث الله عز وجل اليهم شعيبا رسولا فكذبوه فأهلكهم الله فهو قوله تعالى ﴿ فأنقمنا منهم ﴾ يعني بالعذاب وذلك ان الله سبحانه وتعالى سلط عليهم الحرسعة أيام حتى أخذ بأفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله سبحانه وتعالى سمابة كاظلة فالتجؤا اليها واجتمعوا تحتها لتسون الروح فبعث الله عليهم نارا حارهم جميعا ﴿ وانها ﴾ يعني مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب الأيكة ﴿ لبأمام

( والها ) وان هذه القرى يعني آثارها ( لبسيل مقيم ) ثابت يسلكه الناس لم يتبدرس بصدوهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم تقررون عليهم مصحين وبالليل ( ان في لآية للمؤمنين ) لانهم المنتفعون بذلك ( وان كان أصحاب الأيكة ) وان الاحمر والشان كان أصحاب الأيكة اي النخضة ( لظالمين ) لكافرين وهم قوم شعيب عليه السلام ( فأنقمنا منهم ) فاهلكناهم لما كذبوا شعيبا ( وانها ) يعني قرى قوم لوط والأيكة ( لبأمام

( جعلنا عاليها سافلها ) أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها ( وأمطرنا عليهم ) على شذاذهم ومسافرهم ( حجارة من سجيل ) من سماء الدنيا ويقال من سجع ووجل مطبوع كالأجر ( ان في ذلك ) فيما فعلناهم ( لآيات ) لعلامات وعبرات ( للمتوسمين ) للمتفكرين والمتأملين ويقال للمتفكرين والمتأملين ( وانها ) يعني قربات لوط ( لبسيل مقيم ) طريق دائم ووعاها ( ان في ذلك ) في علاكهم ( لآية ) لصبرة ( المؤمنين ) وان كان ( يعني وقد كان ) أصحاب الأيكة ( يعني أصحاب النخضة والأيكة

التجبر وع قوم شعيب ( لظالمين ) لمشركن ( فأنقمنا منهم ) في الدنيا العذاب ( وانها ) يعني قربات لوط وشعيب ( لبأمام ( مبن )

٧. مدين (بطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به يسمى به الطريق ومطهر البناء لانهما معاً يؤتم به ( ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ) يعني يتكذبهم يعني صالحا لان كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسول جميعا فمن كذب واحدا منهم فكأنما كذبهم جميعا أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كاقيل الخبيثون في ابن الزبير وأصحابه ( وآياتناهم ) ﴿ ٥٧٣ ﴾ آياتنا فكانوا ( سورة الحجر ) عنهما معرضين ( أى أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها )

( وكانوا يفتنون من الجبال بيوتا ) أى يتقربون في الجبال بيوتا أو ينون من الحجارة ( آمنين ) لوثاقه البيوت واستحكامها من ان تهدم ومن نقب اللصوص والاعداء أو آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه ( فأخذتهم الصيحة ) العذاب ( مصحين ) في اليوم الرابع وقت الصبح ( ففأغنى عنهم ما كانوا يكسبون ) من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد ( وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق ) لايلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة سادهم

مدين ( بطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به يسمى الطريق واللوح ومطهر البناء لانهما معاً يؤتم به ( ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ) يعني محمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكأنما كذب الجميع ويحوز ان يكون المراد بالمرسلين صالح ومن معه من المؤمنين والحجر واديين المدينة والشام يسكنونها ( وآياتناهم ) آياتنا فكانوا عنها معرضين ( يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم أو معجزاته كالساقة وسقيها وشربها ودرها أو ما نصب لهم من الأدلة ) وكانوا يفتنون من الجبال بيوتا آمنين ( من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقها أو من العذاب لقرط غفلتهم أو حسبانهم ان الجبال تحميهم منه ( فأخذتهم الصيحة مصحين ) فافغنى عنهم ما كانوا يكسبون ( من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد ( وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق ) الا خلقا ملتبسا بالحق لايلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة سادهم

مدين ( يعني بطريق واضح مستبين لمن مر بهما وقيل الصمير راجع الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما وانما سمي الطريق اماما لانه يقوم ويتبع ولان المسافر يأتيه حتى يصير الى الموضع الذي يريد ( قوله عز وجل ( ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ) قال المفسرون الحجر اسم وادكان يسكنه محمود وهو معروف بين المدينة النبوية والشام وآثاره موجودة باقية يمر عليها ركب الشام الى الحجاز وأهل الحجاز الى الشام وأراد بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم أو لانهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل ( وآياتناهم آياتنا ) يعني الناقة وولدها والآيات التي كانت في الناقة خرجوها من الصخرة وعظم جثتها وقرب ولادها وغزارة لبنها وانما أضاف الآيات اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل اليهم بهذه الآيات ( فكانوا عنها ) يعني عن الآيات ( معرضين ) يعني تاركين لها غير ملتفتين اليها ( وكانوا يفتنون من الجبال بيوتا آمنين ) يعني خوفا من الحراب أو أن يقع عليهم الجبل أو الصخرة ( فأخذتهم الصيحة ) يعني العذاب ( مصحين ) يعني وقت الصبح ( ففأغنى عنهم ما كانوا يكسبون ) يعني من الشرك والاعمال الخبيثة ( ق ) عن أى هزيمة رضى الله عنه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم الا ان تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاوز الوادي ( قوله سبحانه وتعالى ( وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق ) يعني لاظهار الحق والعذاب وهو ان يثاب المؤمن والمصدق وساقب الجاحد الكافر الكاذب

مدين ( بطريق واضح يعمرون عليها ( ولقد كذب أصحاب الحجر ) قوم صالح ( المرسلين ) صالحا وجلة المرسلين ( وآياتناهم ) أعطيناهم ( آياتنا ) الناقة وغيرها ( وكانوا معرضين ) مكذبين بها ( وكانوا يفتنون

من الجبال ) في الجبال ( بيوتا آمنين ) من ان تقع عليهم ويقال آمنين من العذاب ( فأخذتهم الصيحة ) العذاب ( مصحين ) عند الصباح ( ففأغنى عنهم ) من عذاب الله ( ما كانوا يكسبون ) يقولون ويعملون ويعبدون من دون الله ( وما خلقنا السموات والارض وما بينهما ) من الحق والجواب ( الا بالحق ) ليسان الحق والباطل والحجة عليهم

على الاعمال ( وان الساعة ) أى القيامة لتوقها كل ساعة ( لآتية ) وان الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك ( فاصفح الصفيح الجليل ) فاعرض عنهم اعراضا جلابلا وحملوا غصاء قبل هو منسوخ بآية السيف وان أريد به المخالفة فلا يكون منسوخا ( ان ربك هو الخلاق ) الذى خلقك وخلقهم ( العليم ) { الجزء الرابع عشر } بحالك وحالهم ﴿ ٥٧٤ ﴾ فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم وهو

من الارض ﴿ وان الساعة لآتية ﴾ فينتقم الله لك فيها من كذبك ﴿ فاصفح الصفيح الجليل ﴾ ولا تلجلج بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف ﴿ ان ربك هو الخلاق ﴾ الذى خلقك وخلقهم ويده اسرك واسرهم ﴿ العليم ﴾ بحالك وبحالهم فهو حقيق بان تكل ذلك اليه ليحكم بينكم أو هو الذى خلقكم وعلم الأصلح لكم وقد علم ان الصفيح اليوم اسلخ وفي مصحف عثمان وابى رضى الله عنهما هو الخلاق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ﴿ ولقد آتيناك سعا ﴾ سبع آيات وهى القامحة وقيل سبع سور وهى الطوال وسابتها الانفال والنوبة فانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل النوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صفات وهى الاسباع ﴿ من المثاني ﴾ بيان للسبع والمثاني من الثمينة أو الاثناء فان كل ذلك مثنى يكرر قراءته والفاظه أو قصصه ومواعظه أو مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز أو مثنى على الله عاها وهله من صفاته العظمى واسماؤه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن أو كتب الله كلها فتكون من التبويض ﴿ والقرآن العظيم ﴾

﴿ وان الساعة لآتية ﴾ يعنى وان القيامة تاتى ليحازى المسن باحسانه والمسيء بإساءته ﴿ فاصفح الصفيح الجليل ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى فاعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفووا حسنا واحتمل ما تلقى من أذى قومك وهذا الصفيح والاعراض منسوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر الخلق الحسن وأن يعاملهم بالعفو والصفح الخالى من الجزع والخوف ﴿ ان ربك هو الخلاق العليم ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى خلق خلفه وعلم ما هم فاعلوه وما يصلحهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴿ قال ابن الجوزى سبب نزولها ان سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعاء ليهود قرظطة والنصبرى فى يوم واحد فيها أنواع من البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقويننا بها وأفقناها فى سبيل الله فانزل الله هذه الآية وقال قد أعطيتكم سبع آيات هى خير من هذه السبع القوافل ويدل على صحة هذا قوله لا تمدن عينيك الآية قال الحسن بن الفضل قلت وهذا القول صعب أو لا يصح لان هذه السورة مكية باجاء أهل التفسير وليس فيها من المدنى شئ ويهود قرظطة والنضير كانوا بالمدينة وكيف يصح أن يقال ان سبع قوافل جاءت فى يوم واحد فيها أموال عظيمة حتى تخافها المسلمون فانزل الله هذه الآية وأخبرهم ان هذه السبع آيات هى خير من هذه السبع القوافل والله أعلم ﴿ وفى المراد بالسبع المثاني أقوال مأخوذة منها فافتح الكتاب وهذا قول عمرو على وابن مسعود وفى رواية عنه وان

يحكم بكم ( ولقد آتيناك سبعا ) أى سبع آيات وهى القامحة أو سبع سور وهى الطوال واختلف فى الساعة فقيل الاتفال وبراءة لانها فى حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما وقيل سورة يونس أو أسباع القرآن ( من المثاني ) هى من الثمينة وهى التكرير لان القامحة مما يتكرر فى الصلاة أو من الثناء لاشتغالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة أو ثمانية صفة لآية وأما السور الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعود والوعيد ولما فيها من الثناء كانها مثنى على الله واذا جعلت السبع مثاني فن الثمين واذا جعلت القرآن مثاني فن التبويض ( والقرآن العظيم ) هذا

( وان الساعة لآتية ) لكائة ( فاصفح الصفيح الجليل ) أعرض عنهم اعراضا جلابلا فحش ولا جزع وهى منسوخة بآية القتال ( ان ربك هو الخلاق ) الباعث لمن آمن به

ولمن لم يؤمن ( العليم ) بنوهم وعقابهم ( ولقد آتاك سبعاً من المثاني ) يقولوا كرمناك بسبع آيات من القرآن تدنى فى كل ( عباس ) ركة وسجدة تين وهى فاتحة الكتاب ويضال كرمناك بأسباع القرآن لان القرآن كله مثان أسرونى ووعدو وعيد وحلال وحرام وناسخ ومنسوخ وحقيقة ومجاز وحكم ومنشأه وخبر ما كان وما يكون ومدحة لقوم ومذمة لقوم ( والقرآن العظيم ) يقولوا كرمناك

ان اريد بالسبع الآيات والسور فن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص وان اريد به الاسباع فن عطف احد الوصفين على الآخر

ليس بعطف الشيء على نفسه لانه اذا اريد بالسبع الفاتحة أو الطوال فما راء هن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا اريد به الاسباع فالعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أى الجامع لهذين التعتين وهو التثنية أو التاء والعظم ثم قال لرسوله

بالقرآن العظيم الكريم الشريف كما أنزلنا الوراة والانجيل على المقتسمين اليهود والنصارى

عباس وفي رواية الاكثرين عنه وأبى هريرة والحسن وسعيد بن جبير وفي رواية عنه ومجاهد وعطاء وقتادة في آخرين ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجه أبو داود الترمذى (ق) عن أبى سعيد بن المولى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذى أوتيته أخرجه البخارى وفيه زيادة \* أما السبب في تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثاني فلانها سبع آيات باجاء أهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لانها تنفى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الاول ثناء على الله ونصفها الثانى دعاء \* ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبی صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث مذكور في فضل الفاتحة وقيل سميت مثاني لان كلماتها مثل قوله الرحمن الرحيم اناك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين فكل هذه الفاظ مشاة وقال الحسن بن الفضل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون ألف ملك وقال مجاهد لان الله سبحانه وتعالى استثنىها وادخلها لهذه الامة فلم يعطها لغيرهم وقال أبو زيد البلخي لانها تنفى أهل الشر عن الشر من قول العرب ثبتت عناني وقال ابن الزجاج سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتغالها على التاء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه واذا ثبت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرعها وانها من أفضل سور القرآن لان افرادها بالذكري في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم مع انها جزء من أجزاء القرآن واحدى سورة لابد وأن يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثاني في تفسير قوله سبعا من المثاني انها السبع الطوال وهذا قول ابن عمر وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية عنه وسعيد بن جبير وفي رواية عنه السبع الطوال هي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا في السابعة فقيل الاغال مع براءة لانها كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هي سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المنين مكان الانجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني وقضاه ربى بالمفصل أخرجه البغوي باسناد الثعلبي قال ابن عباس انما سميت السبع الطوال مثاني لان الفرائض والحدود والامثال والحبر والمبرثنيث فيها وأورد على هذا القول اهل هذا السور الطوال غالبها منديات فكيف يمكن تفسير هذه الآمة بها وهي مكينة وأجيب عن هذا لاراد بان الله سبحانه وتعالى حكم في سابق علمه بانزال هذه السور على النبي صلى الله عليه وسلم واذا كان

﴿ لا تمدن عينيك ﴾ لا تطمح ببصرك طموح ﴿ الى ما متعاهه أزواجهم ﴾ أصنافا من الكفار فانه مستحق بالانصاف الى ما أوتيته فانه كمال مهلول بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه من أوتي القرآن فرأى ان احدا أوتي من الدنيا افضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروى انه عليه الصلاة والسلام وافي بأذرع سبع قوافل ليهود بني قريظة والتضير فيها نواع البر والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينها ولا تفقنها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ انهم لم يؤمنوا وقيل انهم الممتعون

الامر كذلك صح ان تفسر هذه الآية بهذه السورة القول الثالث ان السبع المثاني هي السور التي هي دون الطوال وفوق المفصل وهي المثني ووجه هذا القول الحديث المتقدم وأعطاني مكان الزبور المثاني والقول الرابع ان السبع المثاني هي القرآن كله وهذا قول طائفة من هذا القول ان الله سبحانه وتعالى قال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني وسمى القرآن مثاني لان الاخبار والقصص والامثال ثبت فيه فان قلت كيف يصح عظم القرآن في قوله والقرآن العظيم على قوله سبعا من المثاني وهل هو الا عظم الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع المثاني فاتحة الكتاب أو السبع الطوال فأوراهن ينطلق عليه القرآن لان القرآن اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى الى قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف عليه السلام واذا عني بالسبع المثاني القرآن كله كان المعنى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهي القرآن العظيم وانما سمي القرآن عظيما لانه كلام الله ووحيه أنزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم قوله ﴿ لا تمدن عينيك ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي لا تمدن عينيك يا محمد ﴿ الى ما متعاهه أزواجهم ﴾ يعني أصنافا ﴿ منهم ﴾ يعني من الكفار متنبها انتهى الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاجة أهلها عليها والمعنى انك قد أوتيت القرآن العظيم الذي فيه غنى عن كل شيء فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها روى ان سفيان بن عيينة تأول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس من امن لم يتغن بالقرآن يعني لم يستغن بالقرآن فتأول هذه الآية قيل انما يكون مادام عينيه الى الشيء اذا دام النظر اليه مستحسنه فيحسن له من ذلك تمنى ذلك الشيء المستحسن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شيء من متاع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ يعني ولا تنعم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا وقيل ولا تحزن على إيمانهم اذا لم يؤمنوا ففقد الهوى عن الالتفات الى أموال الكفار والافات اليهم أيضا وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت قيل لابن أبي سريم ما قاتلا لا يموت قال النار (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر أحدكم الى من فعل عليه في المال والحاق فلينظر الى أسفل فذا اقط البخاري ومسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هـ أسفل

( منكم )

( لا تمدن عينيك ) أي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له ( الى ما متعاهه أزواجهم ) أصنافا من الكفار كاليهود والنصارى والمجوس يعني قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة وهي القرآن العظيم فليكن ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا وفي الحديث ليس منا لم يتغن بالقرآن وحديث أبي بكر من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا ( ولا تحزن عليهم ) أي لا تنحن أموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بكانهم الاسلام والمسلمون

( لا تمدن عينيك ) لا تنظرون بالرغبة ( الى ما متعاهه ) أعطيا من الاموال ( أزواجهم ) رجالا من بني قريظة والنضير ويقال من قرش لان ما أكرمناك به من النبوة والاسلام والقرآن أعظم مما أعطيناكم من الاموال ( ولا تحزن عليهم ) على هلاكهم ان لم يؤمنوا

﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ وتواضع لهم وارفق بهم ﴿وقل أنى أنذر المبين﴾ أنذركم بيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم أن لم تؤمنوا ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ مثل العذاب الذى أنزلنا عليهم فهو وصف لمقول النذير أقيم مقامه والمقتسمون هم الأشاعش الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الإيعان بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فاهلكهم الله تعالى يوم بدر أو الرهط الذين اقتسموا أى تقاسموا على أن يبتزوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد آتيناك فاه بمعنى أنزلنا إليك والمقتسمون هم أهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عندا بفضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبفضه باطل مخالف لهما أو قسموه إلى شعر وسحر وكهانة واساطير الأولين أو أهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على أن القرآن ما يقرؤه من كتبهم فيكون ذلك تسليية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لمن منك من فقراء المؤمنين وطب نفسا عن إيعان الأغنياء (وقل لهم) أنى أنذر المبين

أنذركم بيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم (كما أنزلنا) متعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا (على المقتسمين) وهم أهل الكتاب

(واخفض جناحك للمؤمنين) لين جانبك للمؤمنين يقول كن رحيمًا عليهم (وقل أنى أنذر المبين) الرسول المخوف بلفظ تعرفونها من عذاب الله (كما أنزلنا) يوم بدر (على المقتسمين) أصحاب العقبة وهو أبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة المخزومي وحنظلة بن أبي سفيان وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وسائر أصحابهم الذين صاوا يوم بدر

منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم قال عوف بن عبد الله بن عتبة كنت أصحب الأغنياء فما كان أحدا أكثرهما منى كنت أرى دابة خيرا من دابتي وثوبا خيرا من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحمت ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿واخفض جناحك﴾ يعنى لين جانبك ﴿للمؤمنين﴾ وارفق بهم لما نهاه الله سبحانه وتعالى عن الالتفات إلى الأغنياء من الكفار أسره بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم من المؤمنين ﴿وقل﴾ أى وقل لهم يا محمد ﴿أنى أنذر المبين﴾ لما أسرا الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين أسره بتبليغ ما أرسل به اليهم والندارة تبليغ مع تخويف والمعنى أنى أنذر المبين بالعقاب لمن عصانى المبين البين الذمارة ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ يعنى أنذركم عذابا كهذاب أنزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس أراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد وقادة سموا بذلك لأنهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة أنهم اقتسموا سور القرآن فقال واحد منهم هذه السورة لى وقال آخر هذه السورة لى وأما فعلوا ذلك استزاء به وقال مجاهد أنهم اقتسموا كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفروا ببعضها وكفروا آخرون منهم بما آمن به غيرهم وقال قتادة وابن السائب أراد بالمقتسمين كفار قريش سموا بذلك لأن أقوالهم تقسمت في القرآن فقال بعضهم أنه سمروا بغيرهم أنهم كفروا به أنهم كفروا به أن أساطير الأولين وقال ابن السائب سموا بالمقتسمين لأنهم اقتسموا عقاب مكة وطرقها وذلك أن الوليد بن المغيرة بعث رهطا من أهل مكة قبل ستة عشر وقيل أربعين فقال لهم انطلقوا فتركوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم أهل الرسم فاذا سألوكم عن محمد فليقل بكم أنه كاهن وليقل بكم أنه ساحر وليقل بكم أنه ساحر فاذا جاؤا إلى صدقتكم فذهبوا وقعدوا على عقاب مكة وطرقها يقولون لمن سربهم من حجاج العرب لا تتزوا بهذا الخارج الذى يدعى النبوة منا فانه مجنون آهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاؤا وسألوه

(الذين جعلوا القرآن عضين) اجزاء جمع عضّة وأصلها عضوة فلهذا من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء حيث قالوا بنادهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل يخالف لهما فاقسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لى ويقول الآخر سورة آل عمران لى أو اريد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقساموه قاليهوه اقرت بعض التوراة وكذبت ببعض والتصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض ويحوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين {الجزء الرابع عشر} منصوبا ﴿٥٧٨﴾ بالنذير اى انذر العضين الذي يحزؤن

وقوله لا تعدن الخ اعتراضا محذوها ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ اجزاء جمع عضّة وأصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فلهذا من عضته اذا بهته وفي الحديث امن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المعاضة والمستعضة وقيل اسحارا وعن عكرمة المعضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين أو مبتدأ ﴿وأخبره فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ من التقسيم أو النسبة الى السحر فيجازيم عما قال اولئك المقتسمون قال صدقوا ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ الذين جعلوا القرآن عضين ﴿(خ)﴾ عن ابن عباس في قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والتصارى جزؤا اجزاء أنما ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضّة من قولهم عضيت الشي اذا فرقته وجعلته اجزاء وذلك لانهم جعلوا القرآن اجزاء مفرقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو اساطير الاولين وقيل هو جمع عضّة وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به المعضة وهو السحر يعنى أنهم جعلوا القرآن سحرا ﴿فوق ربك لنسألنهم أجمعين﴾ أقسم الله بنفسه أنه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين ﴿عما كانوا يعملون﴾ يعنى عما كانوا يقولونه في القرآن وقيل عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصى وقيل يرجع الضمير فى لنسألنهم الى جميع الخلق المؤمن والكافر لان اللفظ عام فحمله على العموم أولى قال جماعة من أهل العلم عن لاله الا الله ﴿عن انس عن النى صلى الله عليه وسلم﴾ فى قوله لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لاله الا الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال ابو العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعدون وماذا أجابوا المرسلين فان قلت كيف الجمع بين قوله لنسألنهم أجمعين وبين قوله ميوئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان قلت قال ابن عباس لا يسألهم هل علمت لانه أعلم به منهم ولكن يقول لم علمت كذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال توبيخ فقوله تعالى ميوئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان يعنى سؤال استعلام وقوله لنسألنهم أجمعين سؤال توبيخ وتقريع وجواب آخر وهو مروى عن ابن عباس أيضا أنه قال فى الآيتين ان يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فيستلون فى بعض المواقف ولا يسئلون فى بعضها نظيره قوله سبحانه وتعالى هذا يوم لا ينطقون وقال تعالى فى آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴿فوله سبحانه وتعالى﴾

القرآن الى سحر وسحر واساطير مثل ما نزلنا الى المقتسمين وهم الاشاعتر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقدموا فى كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله ولا تمدن عينيك على الوجه الاول اعتراض بينهما لانه لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعتراض بما هو مدار لمعنى التسلية من النهى عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بكميته على المؤمنين (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) أقسم بذاته وربوته ليسألن يوم القيامة واحدا واحدا

(فاسدع)

من هؤلاء المقتسمين عما قالوه فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوفى القرآن أوفى

(الذين جعلوا القرآن عضين) قالوا فى القرآن أقاويل مختلفة قال بعضهم سحروا قال بعضهم شعروا قال بعضهم كهانة وقال بعضهم أساطير الاولين وقال بعضهم كذب يختلفه من تلقاء نفسه (فوربك) يا محمد أقسم بنفسه (لنسألنهم) يوم القيامة (أجمعين عما كانوا يعملون) يقولون فى الدنيا ويقال عن تركهم لا اله الا الله

عليه و قيل طام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي ﴿ فاصدع بآثورك ﴾ فاجهر به من صدع بالحجة اذ تكلم بها جهارا أو فارق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية أو موصولة والراجع محذوف أي بآثورك به من الشرائع ﴿ واعرض عن المشركين ﴾ فلا تلتفت الى ما يقولون ﴿ انا كفيناك المستهزين ﴾ بقصصهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايداء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل عليه

﴿ فاصدع بآثورك ﴾ قال ابن عباس اظهر ويروى عنده مضه وقال الضحاك أعلم وأصل الصدع الشق والفارق أي افرق بالقرآن بين الحق والباطل أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية باظهار الدعوة وتبليغ الرسالة الى من أرسل اليهم قال عبدالله بن عبيدة مازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه ﴿ واعرض عن المشركين ﴾ أي اكفف عنهم ولا تلتفت الى لومهم على اظهار دينك وتبليغ رسالة ربك وقيل أعرض عن الاهتمام باستهزائهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ انا كفيناك المستهزين ﴾ أكثر المفسرين على ان هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقال بعضهم ما للنسخ وجه لان معنى الاعراض ترك المبالاة بهم والالفات اليهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى انا كفيناك المستهزين يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع بآثورك به ولا تخف أحدا غيري فاني أنا كافيك وحافظك ممن عادك فانا كفيناك المستهزين وكانوا خمسة نفر من رؤساء كفار قريش كانوا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمي والاسود بن المطلب بن الحرث بن أسد بن عبد العزى بن زمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم أعم بصره واثكله بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرث بن قيس بن طلالة كذا ذكره البغوي وقال ابن الجوزي الحرث بن قيس بن عيطلة وقال الزهري عيطلة أمه وقيس أبوه فهو منسوب الى أبيه وأمه قال المفسرون أي جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزون يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فربه الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بئس عبد الله فقال قد كفيته وأومأ الى ساق الوليد فرأى الوليد برجل من خزاعة نبال بريش تبالله وعليه برد عاني وهو يحرازاره فتملقت شظية من النبل بازار الوليد فتمعه الكبر ان يطأ طي رأسه فيزعها وجعلت تضربه في ساقه فحدثته ففرض منها فأتى وصريهما العاص بن وائل السهمي فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله فإشار جبريل الى أخص قدمه وقال قد كفيته فخرج العاص على راحلة يتزعمه ابناه فتزل شعا من تلك الشعا فوطي شبرقة فدخل منها شوكة في أخص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانفخت رجله

فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا من الصدع وهو الفجر أو فاصدع فافرق بين الحق والباطل من الصدع في الزجاجة وهو الابانة بآثورك والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله اسرتك الخير فافصل ما اسرت به (واعرض عن المشركين) هو امر استهانة بهم ( انا كفيناك المستهزين ) الجمهور على انها نزلت في خمسة نفر كانوا يبالغون في ايداء رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فاهلكهم الله وهم الوليد بن المغيرة مربيال قتل بآثورك فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فأتى والعاص بن وائل دخل في أخصه شوكة فانفخت رجله فأتى والاسود بن عبد المطلب عبي والاسود بن عبد يغوث جعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والحرث بن قيس امتخط قبحاومات

( فاصدع بآثورك ) يقول

اظهر أسرك بركة ( واعرض

عن المشركين انا كفيناك المستهزين ) رفنا عنك مؤنة المستهزين



(الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) فاقبة أمرهم يوم القيامة ( ولقد علم أنك يضيق صدرك بما يقولون فيك أوفى القرآن أوفى ) الجزء الرابع عشر ) الله ( فسمع محمد ربك ) ٥٨٠ ( وكن من الساجدين ) فافز

فيما نأبك الى الله والفرع الى الله هو الدكر الدائم وصكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم

( الذين يجعلون مع الله الها آخر ) يقولون مع الله الهة شتى ( فسوف يعلمون ) ماذا يفعل بهم فأهلكهم الله في يوم وليلة كل واحد منهم بذاب غير عذاب صاحبه وكانوا خمسة منهم العاص بن وائل السهمي لدغته شئ فمات مكانه بعده الله ومنهم الحرث بن قيس السهمي أكل حوتا مالحا ويقال طريا فأصابه العطش فشرب عليه الماء حتى انشق بطنه فمات مكانه ثم سمى الله ومنهم الاسود بن عبد المطلب ضرب جبريل رأسه على شجرة وضرب وجهه بالشوك حتى مات نكسه الله ومنهم الاسود بن عبد يفيث خرج في يوم شديد الحر فأصابه السموم فأسود حتى عاد حبشيا فرجع الى يثمه فلم يفتحوا عليه الباب فنطح رأسه بياحه حتى مات خذله الله ومنهم الوليد بن المنيرة الخزومي أصاب الحكة نبل فمات من ذلك طرده الله وكلهم كانوا

السلام لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امرت ان اكفيكم فاومأ الى سائق الوليد فر بنال فتعلق بثوبه سهم فلم ينقطع تعظيما لاختذه فاصاب عرقا في عقبه فقصطه فمات واومأ الى اخيه العاصي فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجلاه حتى صارت كالرشي ومات واشار الى انثى عدى بن قيس فامتنط قيصافات والى الاسود بن عبد يفيث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيسى الاسود بن المطلب فسمى الذين يجعلون مع الله لها آخر فسوف يعلمون ) فاقبة أمرهم في الدارين ) ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ) من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك ) فسمع محمد ربك ) فافز الى الله تعالى فيما نأبك بالتسبيح والتمجيد يكفك ويكشف الغم عنك أو فتره عما يقولون حامدا له على ان هناك لطق ) وكن من الساجدين )

حتى صارت مثل عتق البعير فمات مكانه ومريهما الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاشار جبريل بيده الى عينيه وقال قد كفيته فسمى قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفي رواية الكلبي قال أتاه جبريل وهو قاعد في أصل شجرة ومعه غلام له وفي رواية فجعل ينطح رأسه في الشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث ببنائه فقال له غلامه ما أرى أحدا يصنع بك شيئا غيرك فمات وهو يقول قتلني رب محمد ومريهما الاسود بن عبد يفيث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله على أنه خالي فقال جبريل قد كفيته وأشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات وفي رواية الكلبي أنه خرج من أهله فأصابه سموم فأسود وجهه حتى صار حبشيا فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقتوا دونه الباب فمات وهو يقول قتلني رب محمد ومريهما الحرث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاومأ جبريل الى رأسه وقال قد كفيته فامتنط قيما فقتله وقال ابن عباس أنه أكل حوتا مالحا فأصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقصد بطنه فمات فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستزئين يعني بك وبالقرآن ) الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون ) يعني اذا نزل بهم العذاب فقيه وعيد وتهديد ) قوله سبحانه وتعالى ) ولقد علم أنك يضيق صدرك بما يقولون ) يعني بسبب ما يقولون وهو ما كانوا يسمونه من الاستهزاء به والمقول الفاحش والجليلة البشيرة تأتي ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر فعند ذلك أمره بالتسبيح والعبادة وهو قوله ) فسمع محمد ربك ) قال ابن عباس فصل بامر ربك ) وكن من الساجدين ) يعني من المتواضعين لله وقال الصحاح فسمع محمد ربك قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين يعني من المصلين ) روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة قال

يقولون قتلني رب محمد صلى الله عليه وسلم ( ولقد علم أنك يضيق صدرك ) يا محمد ( بما يقولون ) من التكذيب ( بعض ) وبأنك شاعر وساحر وكذاب وكاهن ( فسمع محمد ربك ) فصل بامر ربك ( وكن من الساجدين ) مع الساجدين ويقال من

من المصلين وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ أى الموت فانه متيقن لحاقه كل شئ مخلوق والمعنى فاصد ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة ﴿ عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزين بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والله اعلم

## سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بعض العارفين من المحققين ان السبب في ذوال الحزن عن القلب اذا أتى العبد بهذه العبادات انه يتور باطنه ويشرق قلبه وينفسح وينشرح صدره ففسد ذلك يعرف قدر الدنيا وحقاتها فلا يلتفت اليها ولا يتأسف على فواتها فيزول الهم والنهم والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء اذا نزل بالعبد مكره ففزع الى الصلاة فكأنه يقول يارب انما يجب على عبادتك سواء أعطيتني ما أحب أو كفتني ما أكره فانا عبدك وبين يديك فاقبل بي ما تشاء ﴿ قوله تعالى ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ يعنى الموت الموقن به الذى لا يشك فيه أحد والمعنى واعبد ربك في جميع أوقاتك ومدة حياتك حتى يأتيك الموت وأنت في عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ﴿ روى البغوي بسنده عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله الى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى الى أن سجد بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴿ وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الذى نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يذنيانه باطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها أو قال شريته له بمائى درهم فدعاه حب الله وحب رسوله الى ماترون ذكره البغوي بغير سند والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

## تفسير سورة النحل

مكية الاقوله تعالى وان عاقبتهم فماتوا بمثل ما عاقبتهم به الى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة في قتل حجة قاله ابن عباس وفي رواية أخرى عنه انها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشزوا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله يميلون وقال قتادة هي مكية الا خمس آيات وهي قوله ولذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتوا وقوله تعالى وان عاقبتهم الى آخر السورة زاد مقاتل قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الآية وقوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الآية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهي مائة وثمان وعشرون آية وألفان وثمانمائة وأربعون كلمة وسبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف

(واعبد ربك) ودم على عبادة ربك (حتى يأتيك اليقين) أى الموت يعنى ما دمت حيا فاشتغل بالعبادة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ﴿ سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية ﴿

المطيعين (واعبد ربك) استقم على طاعة ربك (حتى يأتيك اليقين) يعنى الموت وهو الموقن ﴿ ومن السورة التي يذكر فيها النحل وهي كلها مكية غير أربع آيات نزلت بالمدينة قوله وان عاقبتهم فماتوا الى آخره واصبر وما برك الا بالله الى آخر الآية وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتوا الى آخر الآية وقوله والذين هاجروا من بعد ما ظلموا الى آخر الآية فهؤلاء الايات الأربع مدنيات آياتها مائة وعشرون وثمان آيات وكلها ألف وثمانمائة واحد وأربعون وحروفها ستة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف ﴿

﴿ باسم الله الرحمن الرحيم ﴾ { الجزء الرابع عشر } كانوا يستجلبون ﴿ ٥٨٢ ﴾ ما وعدهم من قيام الساعة ونزول

﴿ باسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ أتى امرأته فلا تستجلبوه ﴾ كانوا يستجلبون ما وعدهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من قيام الساعة أو اهلاك الله تعالى ايامهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكديبا ويقولون ان سمع ما يقوله فلا صنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمضى ان الامر الموعد به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا يستجلبوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ تبرا وجل عن ان يكون له شريك في دفع ما اراد بهم وقرأ حجة والكسائي بالتاء على وفق قوله تعالى فلا تستجلبوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب أو على ان الخطاب للمؤمنين أو لهم ولغيرهم لما روى انما نزلت اتي امرأته فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستجلبوه ﴿ ينزل الملائكة بالروح ﴾ بالوحي أو القرآن فانه يحيي بها القلوب الميتة بالجهل أو يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقب ذلك اشارة الى الطريق

﴿ باسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ أتى امرأته ﴾ يعني جاء ودنا وقرب أمر الله تقول العرب أذاك الامر وهو متوقع المجيء بعدما أتى ومعنى الآية أتى أمر الله وعداه ﴿ فلا تستجلبوه ﴾ يعني وقوما والمراد به مجيء القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله سبحانه وتعالى اقتربت الساعة والشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا انه لا ينزل شي قالوا ما نرى شي فنزل قوله تعالى اقترب للناس حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شي ما تخوفنا به فنزل أتى أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم وظنوا انها قد أتت حقيقة فنزل فلا تستجلبوه فاطمأنوا والاستجبال طلب مجيء الشي قبل وقته ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم بشت أنا والساعة كهاتين ويشير بإصبعه يدهما أخرجاه في الصحيحين من حديث سهل ابن سعد ( ق ) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشت أنا والساعة كهاتين كفضل احدهما على الاخرى وضم السبابة الى الوسطى وفي رواية بشت في نفس الساعة فسبقها كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس كان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم من أسراط الساعة ولما مر جبريل بأهل السموات مبعوثا الى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر هنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيوف وذلك ان النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وأثنتنا بعذاب الم فاستجلب العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر صبرا ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ يعني تنزه الله وتماظم بالوصاف الحيدة عما يصف به المشركون ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ينزل الملائكة بالروح ﴾ يعني بالوحي

﴿ باسم الله الرحمن الرحيم ﴾ العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكديبا بالوعد قبيح لهم ( أتى امرأته ) أي هو عزلة لا في الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه ( فلا تستجلبوه ) سبحانه وتعالى عما يشركون ( تبرا وجل ) له شريك وعن اشراكهم فامسكوا أو مصدرية واتصال هذا باستجبالهم من حيث ان استجبالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك ( ينزل الملائكة ) وبالتخفيف مكي وأومعرو ( بالروح ) بالوحي أو بالقرآن لان كلا منهما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد أو يحيي

﴿ باسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وبإسناده عن ابن عباس قال لما نزل قوله اقترب للناس حسابهم الى آخر الآية وقوله اقتربت الساعة الى آخر الآية فكشوا على ذلك ما شاء الله ان يكشفوا ولم تبين لهم شي فقالوا يا محمد متى يأتي بنا ما تعدنا من العذاب فانزل الله ( أتى امرأته ) أي عذاب الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا فقام لا يشك ان العذاب قسائي فقال الله ( فلا تستجلبوه ) بالعذاب فجلس النبي صلى الله عليه وسلم ( سبحانه ) تنزه نفسه عن الولد والشريك

( وتعالى ) ارتفع وتبرا ( عما يشركون ) به من الاوثان ( ينزل الملائكة ) يعني جبريل ومن معه من الملائكة ( بالروح ) ( من )

القلوب الميتة بالجهل ( من أمره على من يشاء من عباده أن يندروا ) ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى اندروا ( انه لا اله الا انا فاتقون ) اعلموا ﴿ ٥٨٣ ﴾ ان الامر ذلك { سورة النحل } من نذرت بكذا اذا علمته

والمنى اعلموا الناس  
قولي لا اله الا انا فاتقون  
فخافون وبالياء يعقوب ثم  
دل على وحدانيته وانه لا اله  
الا هو بما ذكر مما لا يقدر  
عليه غيره من خلق السموات  
والارض وهو قوله ( خلق  
السموات والارض بالحق  
تعالى عما يشركون ) وبإثباته  
في الموضعين حجة وعلى  
وخلق الانسان وما يكون  
منه وهو قوله ( خلق الانسان  
من نطفة فاذا هو خصيم  
مبين ) أى فاذا هو منطبق  
بجادل عن نفسه مكافح  
لخصومه مبين لحجته ببداهة  
كان نطفة لا حس به ولا  
حركة فاذا هو خصيم لربه  
منكر على خالقه قائل من  
يحيي العظام وهى رميم  
وهو وصف للانسان  
بالواقحة والتنادى في كفران  
العمة وخلق ما لا بد له منه  
من خلق البهائم لا كله  
وركوبه وجل أثقاله وسائر

الذى به علم الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحقق موعدهم به وذنوبه وازاحة لاستبعادهم  
اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابوعمر ويزنل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى  
تنزل وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل ﴿ من أمره ﴾ بامرهم ومن اجله  
﴿ على من يشاء من عباده ﴾ الاتي بما ان يتخذ رسولاً ﴿ ان اندروا ﴾ ان اندروا أى اعلموا من  
نذرت بكذا اذا علمته ﴿ انه لا اله الا انا فاتقون ﴾ ان الشأن لا اله الا انا فاتقون وخوفوا أهل الكفر  
والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة  
لان الروح معنى الوحي الدال على القول أو مصدرية في موضع الجبريد لا من الروح أو والنصب  
بترغ الخافض أو مخففة من الثقل والآية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان  
حاصله التنبيه على التوحيد الذى هو منتهى كمال القوة العلية والامر بالقوى الذى هو  
اقصى كمالات القوة العلية وان الثبوت عطائية والآيات التى بمدها دليل وحدانيته من  
حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة  
ولو كان له شريك لقدرة على ذلك فيلزم التمانع ﴿ خلق السموات والارض بالحق ﴾  
او جدهما على مقدار وشكل وواضع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته ﴿ تعالى عما  
يشركون ﴾ منها أو بما يقتصر في وجوده أو بقاءه اليها وبما لا يقدر على خلقهما وفيه  
دليل على انه سبحانه وتعالى ليس من قبيل الاجرام ﴿ خلق الانسان  
من نطفة ﴾ جاد لا حس لها ولا حرارية لا تحفظ الوضع والشكل ﴿ فاذا هو خصيم ﴾  
منطبق منظر مجادل ﴿ مبين ﴾ للعبارة أو خصيم مكافح لخالفه قائل من يحيي  
العظام وهى رميم روى ان ابى بن خلف اتى النبی صلى الله تعالى عليه وسلم بعظم رميم

﴿ من أمره ﴾ وانما سمى الامر روحا لانه به تحيا القلوب من موت الجهالات وقال عطاء  
بالنبوة وقال قتادة بالرجة وقيل الروح هو جبريل والباء بمعنى مع يعنى ينزل الملائكة مع الروح  
وهو جبريل ﴿ على من يشاء من عباده ﴾ يعنى على من يصطفيه من عباده للنبوة والرسالة وتبليغ  
الوحي الى الخلق ﴿ ار اندروا ﴾ يعنى بأرا علموا ﴿ انه لا اله الا انا فاتقون ﴾ أى نخافون  
وقيل معناه مروا بقول لا اله الا الله منذرين يعنى مخوفين بالقرآن ﴿ خلق السموات  
والارض بالحق تعالى عما يشركون ﴾ تقدم تفسيره ﴿ خلق الانسان من نطفة فاذا  
هو خصيم مبين ﴾ يعنى انه جدل بالباطل بين الخصومة نزلت في أبى بن خلف  
الجمعي وكان ينكر البعث فعلمه بعظم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم ان الله  
يحيي هذا العظم بعد ما رم فزلت فيه هذه الآية ونزل فيه أيضا قوله تعالى قال من يحيي  
العظام وهى رميم والصحيح ان الآية طامة في كل ما يقع من الخصومة في الدنيا ويوم  
القيامة وحملها على العموم أولى وفيها بيان القدرة وان الله خالق الانسان من نطفة  
قدرة فصار جبارا كثير الخصومة وبها كشف قبيح ما فله الكفار من جحدهم نعم الله

من أمره ) بالنبوة  
والكتاب بامرهم ( على من  
يشاء من عباده ) يعنى محمدا  
وغيره من الانبياء ران اندروا  
خوفوا بالقرآن واقرأوا  
حتى يقولوا ( انه لا اله الا انا

فاتقون ) فاعلموني ووحدوني ( خلق السموات والارض بالحق ) للحق ويقال للزوال والقضاء ( تعالى ) تبرا ( عما يشركون ) من الاوثان  
خلق الانسان ) أبى بن خلف الجمعي ( من نطفة ) منتنة ( فاذا هو خصيم ) جدل بالباطل ( مبين ) ظاهرا الجدل لقوله من يحيي العظام

وقال يا محمد أتري أن الله تعالى يحيي هذا بعدما قد رم فتزلت ﴿والانعام﴾ الابل والبقر والغنم وانتصابها بفعل يفسره ﴿خلقها لكم﴾ أو بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما يبدئه تفصيل له ﴿فيها دف﴾ ما يبدؤه فيق البرد ﴿ومنافع﴾ تسليها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوصها ﴿ومنها﴾ تأكلون ما يؤكل منها من الحبوب والشحوم والابلان وتقديم الطرف للمحافظة على رؤس الآي أو لان الاكل منها هو المتبادر المعقد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات لما كوله في سبيل التداوي أو التفكه ﴿واكم فيها جال﴾ زينة ﴿حين تريحون﴾ تردونها من سراحها الى سراحها بالمشي ﴿وحين تسرحون﴾ تخرجونها بالذئابة الى المراعي فان الافنية تثرين بها في الوقتين ويحل اهلها في عين الناظرين اليها وتقديم الراحة لان الجال فيها اظهر فاتها قبل ملائى البطون حافلة الضروع ثم تأوى الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرى حيناً على ان تريحون وتسرحون وصلة بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه

تعالى مع ظهورها عليهم قوله عز وجل ﴿والانعام خلقها﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والارض ثم أتبعه بذكر خلق الانسان ذكر بعده ما يتفجع به في سائر ضروراته ولما كان أعظم ضرورات الانسان الى الاكل واللباس اللذين يقوم بهما بدن الانسان بدأ بذكر الحيوان المتفجع به في ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهي الابل والبقر والغنم قال الواحدى تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتداء فقال تعالى ﴿لکم فيها دف﴾ قال ويجوز أيضاً ان يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتداء فقال تعالى فيها دف قال صاحب النظم أحسن الوجهين أن يكون الوقت عند قوله خلقها ثم يتدنى بقوله لكم فيها دف والدليل عليه أنه عطف عليه قوله واكم فيها جال والتقدير لكم فيها دف ولكم فيها جال ولما كانت منافع هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير ضرورية بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دف وهو ما يستدقأه من اللباس والاكية ونحوها المتخذة من الاسواف والاوبار والاشعار الحاصلة من الغنم ﴿ومنافع﴾ بمعنى النسل والدر والركوب والجل عليها وسائر ما يتفجع به من الانعام ﴿ومنها﴾ تأكلون ﴿يعنى﴾ من لحومها فان قلت قوله تعالى ومنها تأكلون يفيد الحصر لان تقديم الطرف مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل من هذه الانعام هو الذى يعتمد الناس في معاشهم وأما الاكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر فغير متدبه في الاغلب وأكله يجرى مجرى التفكه به فخرج ومنها تأكلون مخرج الاغاب في الاكل من هذه الانعام فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم آخر منفعة الاكل وقدم منفعة اللباس قلت منفعة اللباس أكثر وأعظم من منفعة الاكل فلهذا قدم على الاكل وقوله سبحانه وتعالى ﴿ولكم فيها﴾ أى في الانعام ﴿جال﴾ أى زينة ﴿حين تريحون﴾ وحين تسرحون ﴿الراحة﴾ ردا لابل

ساجده وهو قوله (والانعام خلقها لكم) هي الازواج الثمانية وأكثر ما يقع على الابل وانتصابها بخضمر يفسره الظاهر كقوله والقمم قدرناه منازل أو بالعطف على الانسان أى خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم أى ما خلقها الا لكم باجنس الانسان (فيها دف) وهو اسم ما يدقأه من لباس معمول من صوف او وبر اشعرو (ومنافع) وهي تسليها ودرها (ومنها تأكلون) قدم الطرف وهو يؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها لان الاكل منها هو الاصل الذى يعتمد الناس في معاشهم واما الاكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المتدبه وكالجارى مجرى التفكه (واكم فيها جال حين تريحون) تردونها من سراحها الى سراحها بالمشي (وحين تسرحون) ترسلونها بالذئابة الى سراحها من الله تعالى

وهي رميم (والانعام) يعنى الابل (خلقها لكم فيها دف) الادفام من الاكية وغيرها (ومنافع) في ظهورها والبانها (ومنها تأكلون) من لحومها تأكلون (ولكم فيها جال)

بالتجمل بها كما من الانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشى لان الرعيان اذا روجوها بالمشى وسرحوها بالعدة تربعت  
بأرجلها وتسرحها بالافنية وفرحت ﴿ ٥٨٥ ﴾ أربابها وأكسبتهم { سورة النمل } الجاه والحرمه عند الناس وإنما

قدمت الراحة على التسريح لان الجمال في الراحة أظهر اذا قلبت ملائى البطون حافلة الضروع (وتحمل أثقالكم) أجالكم (الى بلد لم تكونوا بالفيه الا بشق الانفس) وبفتح الشين أبو جعفر وهما لثان في معنى المشقة وقيل المقتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذى هو الصدع وأما الشق فالتصريف كأنه يذهب نصف قوته لما ينال من الجهد والمعنى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالفيه لولم تخلق الا لبل الجهد ومشقة فضلا أن تحملوا أثقالكم على ظهوركم أو معنالم تكونوا بالفيها الا بشق الانفس وقيل أثقالكم أبدانكم ومنه الثقلان للحن والانسي ومنه وأخرجت الارض أثقالها أى بنى آدم (ان ربكم لرؤف رحيم) حيث حكم بخلق هذه الحوامل وتسير هذه المصالح (والحليل والبغال والحمر لتركوها وزينة) عطى على الانعام أى وخلق

﴿ وتحمل أثقالكم ﴾ أجالكم ﴿ الى بلد لم تكونوا بالفيه ﴾ ان لم تكن ولم تخلق فضلا عن ان تحملوها على ظهوركم اليه ﴿ الا بشق الانفس ﴾ الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المقتوح مصدر شق الامر عليه واسله الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوته بالثعب ﴿ ان ربكم لرؤف رحيم ﴾ حيث رحكم بمخلها لانقاذكم وتيسير الامر عليكم ﴿ والحليل والبغال والحمر ﴾ عطى على الانعام ﴿ لتركوها وزينة ﴾ أى لتركوها ولتزينوا بجازينة وقيل هى مطوفة على محل

بالمشى الى مرااحها حيث تأوى اليه بالليل ويقال سرح القوم بالهم تسريحا اذا خرجوها بالعدة الى المرعى قال اهل اللغة أو كثر ما تكون هذه الراحة أيام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلا وخرجت العرب للجمعة وأحسن ما تكون النعم في ذلك الوقت فن الله سبحانه وتعالى بالتجمل بها فيه كما من الانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشى بل هو من معظمها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالعدة الى المرعى وروجوها بالمشى الى الافنية والبيوت يسمع للابل رغاء وللشاء نغاد يحاوب بعضها بعضا فند ذلك يفرح أربابها جاوت تحملها بالافنية والبيوت ويظم وقعها عند الناس فان قلت لم قدمت الراحة على التسريح قلت لان الجمال في الراحة وهو رجوعها الى البيوت أكثر منها وقت التسريح لان النعم تقبل من المرعى ملائى البطون حافلة الضروع فيفرح أهلها بما بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جائلة البطون ضامرة الضروع من اللبن ثم تأخذ في التفرق والانتشار للرعى في البرية فثبت بهذا البيان ان التجمل في الراحة أكثر منه في التسريح فوجب تقديمه ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ وتحمل أثقالكم ﴿ الأثقال جمع ثقل وهو متاع السفر وما يحتاج اليه من آلات السفر ﴿ الى بلد ﴾ بفتح غيرة بدم قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن وإلى الشام وأما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة وأكثرت تجارتهم وأسفارهم الى الشام واليمن وحمله على العموم أولى لانه خطاب عام فدخلوا الكافة فيه أولى من تخصيصه ببعض الخطابين ﴿ لم تكونوا بالفيه ﴾ يعنى بالتي ذلك البلد الذى تقصدونه ﴿ الا بشق الانفس ﴾ يعنى بالمشقة والجهد والعناء والتعب والشق نصف المشى والمعنى على هذا لم تكونوا بالفيه الا بتقصان قوة النفس وذهاب نصفها ﴿ ان ربكم لرؤف رحيم ﴾ يعنى بخلقه حيث خلق لهم هذه المرافق ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ والحليل والبغال والحمر لتركوها ﴿ هذه الآية عطى على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل أن تركوها والحليل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرحط والنساء ﴿ وزينة ﴾ يعنى وجعها زينة مع المنافع التى فيها

### فصل

أخرج هذه الآية من يرى تحريم لحوم الحليل وهو قول ابن عباس وتلاهذه الآية وقال

(وتحمل أثقالكم) امتصكم وزادكم ( الى بلد )

يعنى مكة (لم تكونوا بالفيه الا بشق الانفس) (قا و خا ٧٤ لث ) الا بعب النفس (ان ربكم لرؤف) بمن آمن (رحيم) بتأخير العذاب عنكم (والحلل والبغال والحمر) يقول خلق الحليل والبغال والحمر (لتركوها) (في سبيل الله) (وزينة) لكم فيها منظر حسن

لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفضل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما الذين بها فالحاصل بالعرض هو قريء بغير او وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين او متزيين او متزينين بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعطيل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية مكينة وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خير **﴿﴾** ويخلق ما لا تعلمون **﴿﴾** لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق

هذه للركوب والزيادة وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم الخيل لانه علل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعدما ذكره في الانعام ومنفعة الاكل أقوى والآية تسقت لبيان النعمة اولاً بخلق الحكيم ن يذكر في مواضع المنفعة أدنى المعتين وترك أعلاهما وانتصاب زينة على المقبول له عطقا على محل لتركبوها وخلق ما لا تعلمون من أصناف خلائفه وهو قوله ( ويخلق ما لا تعلمون ) ومن هذا وصفه تعالى عن أن يشرك

هذه للركوب والزيادة وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله وأبو حنيفة رحمهم الله واستدلوا ايضا بان منفعة الاكل أعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكر الله تعالى علما بتحريم أكله ولو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر لان الله سبحانه وتعالى خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعملانها بخلافه للركوب لا للاكل وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشریح وعطاء وسعيد بن جبیر واليه ذهب الامام الشافعی رضي الله تعالى عنه وأحمد واسحق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق أنها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساقا كلناه وفي رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فاكلناه أخرجه البخاري ومسلم ( ق ) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية وأذن في الخيل وفي رواية قال أكلنا من خير لحوم الخيل وحمر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية أبي داود قال ذبحنا يوم خير الخيل والبغال والخيول ركنا قد أصابتنا نجاسة فنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والخيول ولم ينهنا عن الخيل وأحباب من أباح لحوم الخيل عن هذه الآية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان منفعتها محتصة بذلك وانما خص هاتان المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود قالوا ولهذا سكت عن حل الاثقال على الخيل مع قوله في الانعام وتحمل أثقالكم ولم يلزم من هذا تحريم حل الاثقال على الخيل وقال البغوي ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتنبههم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة مينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضي ان الخيل والبغال والخيول مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتا عنه دار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت السنة ناحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والخيول فاختارنا بها جماين النصين والله اعلم **﴿﴾** وقوله تعالى **﴿﴾** ويخلق ما لا تعلمون **﴿﴾** لما ذكر الله سبحانه وتعالى الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في جميع حالاته وضرورياته على سبيل التفصيل ذكر بعدهما ما لا ينتفع به الانسان في الغالب على سبيل الاجال لان مخلوقات الله عز وجل

هذه للركوب والزيادة وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم الخيل لانه علل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعدما ذكره في الانعام ومنفعة الاكل أقوى والآية تسقت لبيان النعمة اولاً بخلق الحكيم ن يذكر في مواضع المنفعة أدنى المعتين وترك أعلاهما وانتصاب زينة على المقبول له عطقا على محل لتركبوها وخلق ما لا تعلمون من أصناف خلائفه وهو قوله ( ويخلق ما لا تعلمون ) ومن هذا وصفه تعالى عن أن يشرك

( ويخلق ما لا تعلمون ) يقول خلق من الاشياء ما لا تعلمون **﴿﴾** الم يسئلكم

به غيره (وعلى الله قصد السبيل) المراد به ﴿٥٨٧﴾ الجنس { سورة النمل } ولذا قال (منها جائر)

والقصد مصدر بمعنى الفاعل

وهو القاصد يقال سبيل

قصد وقاصد أى مستقيم

كانه يقصد الوجه الذى

يؤمه السالك لا يعدل عنه

ومناه ان هداية الطريق

الموصل الى الحق عليه

كقوله ان علينا للهدى

وليس ذلك للوجوب

اذ لا يجب على الله شئ

ولكن يفعل ذلك تفضلا

وقيل معناه والى الله وقال

الزجاج معناه وعلى الله تبين

الطريق الواضح المستقيم

واللهام اليه بالحج ومنها جائر

أو من السبيل مائل عن

الاستقامة (ولو شاء لهداكم

أجمعين) أراد هداية

الاطم بالثوقيق والانعام

بهدا الهدى العام (هو الذى

أنزل من السماء ماء لكم منه

شراب) لكم متعلق بأنزل

أو خبر لشراب وهو ما يشرب

(ومنه شجر) يعنى الشجر الذى

(وعلى الله قصد السبيل)

هداية الطريق فى البر

والبحر (ومنها) من الطريق

(جائر) مائل لا يهتدى

به (ولو شاء لهداكم أجمعين)

الى الطريق فى البر والبحر

ويقال وعلى الله قصد السبيل

الهدى الى التوحيد ومنها

من الاديان جائر مائل ليس بمبادل

مثل اليهودية والنصرانية والمجوسية

(ولو شاء لهداكم أجمعين) لهدى

(هو الذى أنزل من السماء

ماء مطرا) (لكم منه شراب)

ما يستقر فى الارض فى الركيا والقدرا (ومنه شجر) به

ما لا علم لنسبه وان يراد به ما خلق فى الجنة والنار عالم مخطر على قلب بشر ﴿٥٨٧﴾ وعلى الله قصد السبيل ﴿٥٨٧﴾ بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق أو إقامة السبيل وتعديلها رجة وفضلا أو عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لاعتداله يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يقصده السالك لا يعيل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال ﴿٥٨٧﴾ ومنها جائر ﴿٥٨٧﴾ حائل عن القصد أو عن الله وتفسير الاسلوب لانه ليس بحق على الله تعالى ان يبين طرق الضلالة أو لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ﴿٥٨٧﴾ ومنكم جائر أى عن القصد ﴿٥٨٧﴾ ولو شاء الله لهداكم أجمعين ﴿٥٨٧﴾ أى ولو شاء هدايتكم أجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاعتداء ﴿٥٨٧﴾ هو الذى أنزل من السماء ﴿٥٨٧﴾ من السحاب أو من جانب السماء ﴿٥٨٧﴾ ماء لكم منه شراب ﴿٥٨٧﴾ ما تشربونه ولكم صلة أنزل أو خبر شراب ومن تبيضية متعلقة به وتقديرها يوم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه السيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناء فى الارض ﴿٥٨٧﴾ ومنه شجر ﴿٥٨٧﴾ ومنه يكون شجر يعنى الشجر

فى البر والبحر والسموات أكثر من أن تحصى أو يحيط بها عقل أحد أو فهمه قل هذا ذكرها على الاجال وقال بعضهم ويخلق ما لا تعلمون يعنى بما أعد الله لاهل الجنة فى الجنة ولاهل النار فى النار مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة فى قوله ويخلق ما لا تعلمون يعنى السوس فى النبات والدود فى الفواكه ﴿٥٨٧﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿٥٨٧﴾ وعلى الله قصد السبيل ﴿٥٨٧﴾ القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد اذا دلك الى مطلوبك وفى الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين ﴿٥٨٧﴾ ومنها جائر ﴿٥٨٧﴾ يعنى ومن السبيل سبيل جائر عن الاستقامة بل هو موعج فالقصد من السبيل هودين الاسلام والجائر منه دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقال جابر ابن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائر الاهواء والبدع ﴿٥٨٧﴾ ولو شاء لهداكم أجمعين ﴿٥٨٧﴾ فيه دليل على ان الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما أراد منهم الايمان لان كل ذلك تفيد استقاء الشئ لا انتفاء غيره فقوله ولو شاء لهداكم أجمعين معناه ولو شاء هدايتكم لهداكم أجمعين وذلك يفيدانه تعالى ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداكم ﴿٥٨٧﴾ قوله عز وجل ﴿٥٨٧﴾ هو الذى أنزل من السماء ماء ﴿٥٨٧﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمته على عباده يخلق الحيوانات لاجل الانتفاع والزينة عقبه يذكر انزال المطر من السماء وهو من أعظم نعم على العباد فقال وهو الذى أنزل من السماء يعنى والله الذى خلق جميع الاشياء هو الذى أنزل من السماء ماء يعنى المطر ﴿٥٨٧﴾ لكم منه ﴿٥٨٧﴾ يعنى من ذلك الماء ﴿٥٨٧﴾ شراب ﴿٥٨٧﴾ يعنى تشربونه ﴿٥٨٧﴾ ومنه ﴿٥٨٧﴾ يعنى ومن ذلك الماء ﴿٥٨٧﴾ شجر ﴿٥٨٧﴾ السجر فى اللغة ماله ساق من نبات الارض ونقل واحد عن أهل اللغة انهم قالوا الشجر أصناف ما جل أو عظم وهو الذى يبقى على الشتاء ومادق وهو متفان أحدهما

من الاديان جائر مائل ليس بمبادل مثل اليهودية والنصرانية والمجوسية

(ولو شاء لهداكم أجمعين) لهدى

(هو الذى أنزل من السماء

ماء مطرا) (لكم منه شراب)

ما يستقر فى الارض فى الركيا والقدرا (ومنه شجر) به



وهو من السومة وهي العلامة  
لأنها تؤثر بالرعي علامات  
في الأرض (ينبت لكم به الزرع  
والزيتون والنخيل والاعناب  
ومن كل الثمرات) ولم يقل  
كل الثمرات لأن كلها لا تكون  
إلا في الجنة وإنما أثبت في  
الأرض بعض من كلها  
للتذكيرة (أن في ذلك لآية  
لقوم يتفكرون) فيستدلون  
بها عليه وعلى قدرته وحكمته  
والآية الدلالة الواضحة  
(سخر لكم الليل والنهار  
والشمس والقمر والنجوم  
مسخرات بأمره) بتصب  
الكل على وجعل النجوم  
مسخرات والنجوم مسخرات  
فقط حقص والشمس والقمر  
والنجوم مسخرات شامى على  
الابتداء والخير

ينبت الشجر والنبات (فيه  
تسميون) ترعون انعامكم  
(ينبت لكم به) بالمطر (الزرع  
والزيتون والنخيل والاعناب)  
يعنى الكروم (ومن كل  
الثمار) من ألوان كل  
الثمار (في ذلك) في ألوان  
ما ذكرت في طعمه (لآية)  
لهداة وعبرة (لقوم  
يتفكرون) فيها ما أتى الله لهم  
(وسخر لكم) ذلالكم (الليل  
والنهار والشمس والقمر  
والنجوم مسخرات) ذلالات (بأمره) بأذنه

الذى ترعاء المواشي وقيل كل ما ينبت على الأرض شجر قال  
نطقها اللحم اذاعت الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر  
فيه تسميون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي  
العلامة لأنها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقرأ أبو بكر بالنون على التفعيم  
والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها فلم ينبت في الأرض كل  
ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لأنه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف  
الاعذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها أن في ذلك لآية  
لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان تأمل أن الحبة تقع في الأرض وتصل إليها  
نفاذة تنفذ فيها فينشق أعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق أسفلها فيخرج منه عروقها ثم  
تتم ويخرج منها الأوراق والأزهار والأكام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام  
مختلفة الأشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية  
إلى الكل علم أن ذلك ليس الا بفضل قاعل مختار مقدس عن منازعة الامتداد والانداد ولعل  
فصل الآية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بأن هيأها  
لنفعكم مسخرات بأمره حال من الجميع أى نفعمكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى

تبقى له أروحة في الشتاء وينبت في الربيع ومنها ما لا يبقى له ساق في الشتاء كالقول وقال أبو اسحق  
كل ما ينبت على وجه الأرض فهو شجر وأنشده نطقها اللحم اذاعت الشجره أردأنهم يسقون  
الخيل اللبن اذا أجذبت الأرض وقال ابن قتيبة في هذه الآية يعنى الكلام ومعنى الآية  
أنه ينبت بالماء الذى أنزل من السماء ما ترعى الراعية من ورق الشجر لأن الابل ترعى  
كل الشجر فيه بنى في الشجر تسميون يعنى ترعون مواشيك يقال أسمت السائمة اذا  
خلقتها ترعى وسامت هي اذارت حيث شاءت ينبت لكم أى ينبت الله لكم وقرئ  
نبت على التفعيم لكم أى بذلك الماء الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن  
كل الثمرات ما ذكر الله في الحيوان تفصيلا واجالا ذكر في الثمار تفصيلا واجالا فبدأ ذكر  
الزرع وهو الحب الذى يقات به كالحنطة والشعير وما أشبههما لأن به قوام بدن الانسان وثق  
بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن والبركة وثلاث بذكر النخيل لأن ثمرتها غذاء  
وما كنه وختم بذكر الاعناب لأنها شبه النخلة في المفعة من التفكه والتعذية ثم ذكر سائر  
الثمار اجالا لينبذ ذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده ثم قال تعالى أن  
في ذلك يعنى الذى ذكر من أنواع الثمار لآية يعنى علامة دالة على قدرتنا ووجدانيتنا  
لقوم يتفكرون يعنى فيما ذكر من دلائل قدرته ووجدانيته وسخر لكم الليل  
والنهار والشمس والقمر والنجوم تقدم تفسيره في سورة الاعراف مسخرات  
يعنى مدلالات مقهورات تحت قهره وارادته وفيه رد على الفلاسفة والمنجمين لأنهم يعتقدون أن  
هذه النجوم هي الفعالة المتصرفة في العالم السفلى فأخبر الله تعالى أن هذه النجوم مسخرات  
في نفسها مدالات بأمره يعنى بأمر ربها مقهورات تحت قهره يصرفها كيف يشاء

فيها آيات كثيرة شاء أولئك الخلق له بإيجاده وتقديره أو بحكمه وفيه إبدان بالجواب عما عسى أن يقال أن المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب وأوضاعها فإن ذلك إن سلم فالأرباب في أنها أيضاً ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل أو مصدر مهيئ جاعل لاختلاف الأنواع . وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الإبتداء والخبر فيكون تسميها للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر أيضاً ﴿ ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ جمع الآية وذكر العقل لأنها ملل أنواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير موجهة إلى استيفاء فكرياً حوال النبات ﴿ وما ذرأ لكم في الأرض ﴾ عطب على الليل أى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات ﴿ مختلفا ألوانه ﴾ استأنفها قائما تتخالف باللون غالباً ﴿ ان في ذلك لآية لقوم يذكرون ﴾ ان اختلافها في الطبائع والهيآت والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم ﴿ وهو الذى سخر البحر ﴾ جعله بحيث يتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص ﴿ لتأكلوا منه لحطاطياً ﴾ هو السمك ووصفه بالطراوة لأنه رطب اللحم فيسرع اليه الفساد فيسارع

يختار وأنها ليس لها تصرف في نفسها فضلاً عن غيرها ولما ذكر الله سبحانه وتعالى أنه خلق هذه النجوم وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم هذه الآية بقوله ﴿ ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ يعنى أن كل من كآله عقل صحيح سليم علم ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال المختار وان جميع الخلق تحت قدرته وقهره وتسخيره لما أراده منهم ﴿ وما ذرأ لكم في الأرض ﴾ يعنى وما خلق لكم في الأرض وسخر لاجلكم من الدواب والانباء والاشجار والثمار ﴿ مختلفا ألوانه ﴾ يعنى في الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف ألوان المخلوقات مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها بعضاً من كل الوجوه فيه دليل قاطع على كمال قدرة الله ولذلك ختم هذه الآية بقوله تعالى ﴿ ان في ذلك لآية لقوم يذكرون ﴾ يعنى فيعتبرون بذلك ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وهو الذى سخر ﴾ لكم ﴾ البحر ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على قدرته ووحدانيته من خلق السموات والأرض وخلق الانسان من نطفة وخلق ماثر الحيوان والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من آثار قدرته وعجائب صنعته وذكر العامة في ذلك على عباده ذكر بعد ذلك انعامه على عباده بتسخير البحر لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به اما بالركوب عليه أو بالغوص فيه أو الصيد منه فذكر هذه الثلاثة الأقسام من أنواع الانتفاع به فقال تعالى ﴿ وهو الذى سخر البحر ﴾ ﴿ لتأكلوا منه لحطاطياً ﴾ فبدأ بذكر الأكل لأنه أعظم المقصود لان به قوام البدن وفي ذكر الطرى مزيد فائدة دالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كله ما خالما لعرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطرى لأنه لما خرج من البحر الملح الزقاق الحيوان الطرى الذى لحمه في غاية اللذوبة علم أنه انما حدث بقدرة الله وخلق لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر

جمع الآية وذكر النحل لان الآثار العلوية أظهر دلاله على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة ( وما ذرأ لكم في الأرض ) معطوف على الليل والنهار أى ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك ( مختلفا ) حال ( ألوانه ) ان في ذلك لآية لقوم يذكرون ) يتعظون ( وهو الذى سخر البحر ) تأكلوا منه لحطاطياً هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيؤكل سريعاً طرياً خيفة الفساد وانما لا يبحث بأكله اذا حلف لا يأكل لحالان مبنى الايمان على العرف ومن قال لعلامة اشتر بهذه الدراهم لحا فحياها باسمك كان حقيقاً بالانكار

( ان في ذلك ) في تسخير ما ذكرت ( لآيات ) لعلامات ( لقوم يعقلون ) يعلمون ويسدقون ان تسخيرها من الله ( وما ذرأ ) يقول وما خلق ( لكم في الأرض مختلفا ألوانه ) أجناسه من النبات والثمار وغير ذلك ( ان في ذلك ) في ألوان ما خاقت ( لآية ) لعلامة وعبرة ( لقوم يذكرون ) يتعظون بما في القرآن ( وهو الذى سخر ) ذلل ( البحر ) لتأكلوا منه لحماً ) يعنى سمكاً ( طرياً )

(وتستخرجوا منه حلية) { الجزء الرابع عشر } هي التلؤؤ ٥٩٠ والمرجان (تلبسونها) المراد بلبسها

لبس نسايم ولكنهن اتعا  
يتزين بهن من أجلهم فكانت  
زينهم ولباسهم (وترى  
الفلك سواخر) جوارى  
تجربى جريا وتشق الماء  
شقوا المخرشق الماء بحيزومها  
(فيه) في البحر (ولتبتوا  
من فضله) هو عطف على  
محذوف أى تعتبروا  
ولتبتوا واتقاء الفضل  
التجارة (ولمكم تشكرون)  
الله على ما أنعم عليكم به  
(وألقى في الأرض رواسي)  
جبالا ثوابت (أن تميدكم)  
كراهية أن تميل بكم  
وتضطرب أولئك لا تميدكم  
لكن حذف المضاف أكبر  
قليل خلق الله الأرض  
لجملت تميد فقالت الملائكة  
ماهى بمقر أحد على  
ظهرها فاصبحت وقد  
أرست بالجبال لم تدر  
الملائكة ثم خافت (وأهرا)  
وجعل فيها أهرا لان  
أنى فيه معنى جعل (وسبلا)  
وتستخرجوا منه (من  
البحر) حلية (زهرة  
من اللؤلؤ وغيره) تلبسونها  
وترى الفلك) يعنى السفن  
(سواخر) بقبلة ومدة  
(فيه) في البحر تجرى وتذهب  
بريح واحدة (ولتبتوا)  
لكى تطلبوا (من فضله) من  
عماله ويحل من رزقه (ولمكم  
تشكرون) اكن تشكروا  
نعمته (وألقى في الأرض

الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه خلقه عذابا طرأ في ما مزاق وتمسك به مالك والثورى على  
ان من حنث ان لا يأكل لحما حث باكل السمك واجب عنه بان مبق الايمان على العرف  
وهو لا يفهم منه عند الاطلاق ألا ترى ان الله تعالى سمي الكافردابة ولا يحنث الحالب  
على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان  
أى تلبسها نسايم فاستند اليهم لانهم من جلتهم ولانهم يتزين بها لاجلهم (وترى  
الفلك) السفن (مواخر فيه) جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر هو شق الماء  
وقيل صوت جرى الفلك (ولتبتوا من فضله) من سعة رزقه ركوبها للتجارة  
(ولمكم تشكرون) أى تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحقها ولعل تخصيصه  
بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل الممالك سبيلا للانتفاع وتحصيل  
المعاش (وألقى في الأرض رواسي) جبالا رواسى (أن تميد بكم) كراهية ان تميل  
بكم وتضطرب وذلك لان الأرض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع  
وكان من حقها ان تمحرك بالاستدارة كالأفلاك أو ان تمحرك بأدى سبب التحريك فلما خلقت  
الجبال على وجهها تفاوتت حواشيها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالأوتاد التى  
تتمها عن الحركة وقيل لما خلق الله الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة ماهى بمقر احد على  
ظهرها فاصبحت وقد ارست بالجبال (وأهرا) وجعل فيها أهرا لان فى معناه (وسبلا

على اخراج الضد من الضد المنفعة الثانية قوله تعالى (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها)  
يعنى اللؤلؤ والمرجان كما قال الله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد  
بلبسها لبس نسايم لان زينة النساء بالحلى وانما هو لاجل الرحاء فكان ذلك زينة  
لهم (المنفعة الثالثة قوله تعالى (وترى الفلك) يعنى السفن (مواخر فيه)  
يعنى جوارى فيه قال قتادة مقبلة ومدة وذلك انك ترى سفينتين احدهما تقبل  
والاخرى تدبر تجربان بريح واحدة وأسل المخر في اللغة الشق يقال غرت السفينة  
غرا اذا شقت الماء بمحوجؤها وقال مجاهد تمخر الرياح السفن يعنى أنها اذا جرت  
بسمع لها صوت قال أبو عبيدة يعنى صوايح وانخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال  
الحسن مواخر يعنى مواقر أى مملوءة مثالا (ولتبتوا من فضله) يعنى الارباح  
بالتجارة في البحر (ولمكم تشكرون) يعنى انعام الله عليكم اذا رأيتم نعم الله فيما  
سخر لكم (وألقى في الأرض رواسي) يعنى جبالا نقالا (أن تميد بكم) يعنى  
لثلاثين وتضطرب بكم والميد هو اضطراب الشيء العظيم كالارض وقال وهب  
لما خلق الله سبحانه وتعالى الأرض جعلت تمور وتجر فقالت الملائكة ان هذه غير  
مقرة أحدا على ظهرها فاصبحوا وقد أرست بالجبال فلم تدر الملائكة ثم خافت  
الجبال (وأهرا) يعنى وجعل فيها أهرا لان فى معنى الجمل فقوله سبحانه  
وتعالى (وأهرا) معطوف على وألقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الأنهار لان معظم  
عيون الأنهار وأصوامها تكون من الجبال (وسبلا) يعنى وجعل فيها طرقا مختلفة

رواسى) الجبال الثوابت (ان تميد) اكن لا تميد (كم) الأرض (وأهرا) وأجرى فيها أنهارا (وسبلا) (تسلكونها)

طرقاً (لعلكم تهتدون) إلى مقاصدكم أولاً توحيدهم بكم (وعلامات) هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل وغير ذلك (وبالنجم هم يهتدون) المراد بالنجم الجنس أو هو الثريا والفرقدان وبنات النمش والجدي فان قلت وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم ﴿ ٥٩١ ﴾ فيه النجم مقسم {سورة النحل} فيه هم كأنه قيل وبالنجم خصوصاً

هؤلاء خصوصاً يهتدون فمن المراد بهم قلت كأنه أراد قرشاً فلم اعتداهم بالنجوم في مسائرهم ولهم بذلك علم يمكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا (أفمن يخلق) أي الله تعالى (كن لا يخلق) أي الاصنام وجيء عن الذي هو لا ولي العلم لزعمهم حيث سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى أولي العلم أولان المعنى ان من يخلق ليس كن لا يخلق

من أولي العلم فكيف عا لم عنده وانما لم يقل أفمن لا يخلق كن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره إياه لكونه الزاماً للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبهاً بالله لانهم حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميت باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوا بها فانكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كن لا يخلق وهو جهة على المعتزلة في خلق الافعال

جعل فيها طرقاً (لعلكم تهتدون) أي تعرفوا الطريق (وعلامات) من الجبال وغير

لعلكم تهتدون ﴿ لمقاصدكم أولاً معرفة الله سبحانه وتعالى ﴿ وعلامات ﴾ معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريج ونحو ذلك ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾ بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات النمش والجدي ولعل الضمير لقرش لانهم كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسائرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم والقيام بالضمير للخصم كأنه قيل وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه ألزم لهم واوجب عليهم ﴿ أفمن يخلق كن لا يخلق ﴾ انكار بعد إقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدا من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك لى على إيجاد شيء ما وكان حق الكلام أفمن لا يخلق كن يخلق لكنه عكس تنبيهاً على انهم بالاشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات المجزئة شبيهاً والمراد عن لا يخلق كل ما عدا من دون الله سبحانه وتعالى مغلباً فيه اولو العلم منهم أو الاصنام واجراها مجرى اولي العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم أولي المشاكلة بينه وبين من يخلق أولي الباطنة وكأنه قيل ان من يخلق لس كن لا يخلق من اولي العلم فكيف عن لاعلم عنده

تسلكونها في أماركم والزدد في حوائجكم من بلد إلى بلد من مكان إلى مكان ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ يعنى بتلك السبل إلى ما تريدون فلا تضلون ﴿ وعلامات ﴾ يعنى وجعل فيها علامات تهتدون بها في أسفاركم قال بعضهم تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدأ ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾ وقال محمد بن كعب والكلبي أراد بالعلامات الجبال والنجوم فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد أراد بالكل النجوم فما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي أراد بالنجم الثريا وبنات النمش والفرقدين والجدي فهذه يهتدى بها إلى الطريق والقبلة وقال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة السماء ومعالم الطريق ورجوماً للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلم ما لا علم له به ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ أفمن يخلق كن لا يخلق ﴾ لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته وغرائب صنعته وبديع خلقه ما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكل وكانت هذه الاشياء المخلوقة المذكورة في الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعاً قل على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء أفمن يخلق يعنى هذه الاشياء الموجودة المرئية بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كن لا يخلق يعنى هذه الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيئاً البتة لانها جادات لا تقدر على شيء فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق

ذلك للمسافرين (وبالنجم) وبالفرقدين والجدي (هم) يعنى المسافرين (يهتدون) بهم إلى البر والبحر (أفمن يخلق) وهو الله (كن لا يخلق) لا يقدر أن يخلق يعنى الاصنام

﴿ أفلا تذكرون ﴾ فترى قوامه ذلك فانه لجلاله كالحاصل للقل الذي يحضر عنده  
بادي تذكر وأتفات ﴿ وان تمدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ لا تضبطوا عبدها فضلا  
ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على فردده باستحقاق العبادة لغيرها على  
ان وراء ما عدد نعمه لا تحصر وان حق عبادة غير مقدور ﴿ ان الله لغفور ﴾ حيث يتجاوزهم  
تقصيركم في اداء شكرها ﴿ رحيم ﴾ لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا ساجلكم بالمقوبة على  
كفرانها ﴿ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف

هذه الاشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله ﴿ أفلا تذكرون ﴾ يعني ان هذا  
القدر ظاهر غير خاف على أحد فلا يحتاج فيه الى دقيق الصكر والظفر بل مجرد التذكر  
فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتد بما ذكر ﴿ بقي في الآية سؤالان الاول قوله كن لا يخلق  
المراد به الاصنام وهي جادات لا تقبل فكيف يبرع عنها بلقطة من وهي لمن يعقل  
والجواب عنه ان الكفار لما سمعوا هذه الاصنام آلهة وعبدها أجرت جري من  
يعقل في زعمهم ألا ترى الى قوله بعد هذا والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيأ  
فخطبهم على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثاني قوله أفن يخلق كن لا يخلق المقصود  
منه الزام الحجة على من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل اخالق فكيف  
قال على سبيل الاستفهام أفن يخلق كن لا يخلق والجواب عنه انه ليس المراد منه الاستفهام  
بل المراد منه ان من خلق الاشياء العظيمة وأعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسوى بينه  
وبين هذه الجادات الخسيسة في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل ان يترك عبادة من  
يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشياء الظاهرة كلها ويشغل بعبادة جادات لا يخلق شيأ  
ألبتة والله أعلم ﴿ وقوله تعالى ﴾ وان تمدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ يعني ان نعم الله على العبد فيما  
خلق فيه من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع  
الذي يفهم به الاشياء وبطش اليدين وسى الرجلين الى غير ذلك مما أنعم به عليه  
في نفسه وفيما أنعم به عليه بما خلق له من جميع ما يحتاج اليه من أمور الدين والدنيا لا تحصى  
حتى لو رام أحد معرفة أدنى نعمة من هذه النعم ليجز عن معرفة ما وحصرها فكيف  
بنعمه العظام التي لا يمكن الوصول الى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى وان تعدوا  
نعم الله لا تحصوها يعني ولو اجتهدتم في ذلك وأنتم تفوسكم لا تقدرون عليه ﴿ ان الله  
لغفور ﴾ يعني لتقصيركم في القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم ﴿ رحيم ﴾ يعني بكم  
حيث وسع عليكم السم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي ﴿ والله يعلم  
ما تسرون وما تعلنون ﴾ يعني ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون أشياء وهو ما كانوا  
تكرون بالي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهر من ابداه فاحبرهم الله  
عز وجل انه عالم بكل أحوالهم سرها وعلايتها لا تخفى عليه خافية وان دقت وخفيت  
يصل ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها في الآية المتقدمة ذكر

﴿ أفلا تذكرون ﴾ فتعرفون  
فساد ما أنتم عليه (وان  
تمدوا نعمة الله لا تحصوها)  
لا تضبطوا أعدادها ولا تبلغه  
طاقكم فضلا أن تطبقوا  
القيام بحجتها من أداء  
الشكر وانما اتبع ذلك  
ما عدد من نعمه تنبها على  
ان ما وراءها لا يحصر ولا  
يعد (ان الله لغفور رحيم)  
يتجاوز عن تقصيركم في أداء  
شكر النعمة ولا يقطعها  
عنكم لتفريطكم (والله  
يعلم ما تسرون وما تعلنون)  
من أقوالكم وأعمالكم وهو  
وعيد

( أفلا تذكرون ) أملا  
تعتظون فيما خلق الله لكم  
( وان تمدوا نعمة الله  
لا تحصوها ) لا تحفظوها  
ويقال لا تشكروها ( ان الله  
لغفور ) متجاوز ( رحيم )  
لن تاب ( والله يعلم ما تسرون )  
من الخير والشر ( وما تعلنون )  
من الجبر والشر

(والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوه الكفار (من دون الله) وبالله فيطاعهم (لا يخلقون شيئاً) أي هم أموات (غير أحياء وما يشعرون) ﴿٥٩٣﴾ أي إن يمشون) نفي عنهم { سورة النحل } خصائص الأسماء

كونهم خالقين والخلق لا يمشون وطالين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون أموات جاهلون بالبعث ومنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت وأمرهم بالعكس من ذلك والضمير في يمشون للداعين أي لا يشعرون متى تيمت عبادتهم وفيه تكلم للمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث (الهكم الله واحد) أي ثبت بما مر أن الألوهية لا تكون لغير الله وأن معبودكم واحد (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) (للوحدانية) (وهم مستكبرون) عنها وعن

(والذين تدعون)

تعبدون (من دون الله)

لا يخلقون شيئاً لا يقدر

أن يخلقوا شيئاً كخلقنا) وهم

يخلقون (يمشون مخلوقة

للشرك باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله ﴿ أي والآلهة الذين تعبدهم من دونه ﴾ وقرأ أبو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثها بالياء ﴿ لا يخلقون شيئاً ﴾ لما نفي المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين أنهم لا يخلقون شيئاً ليتيم أنهم لا يشاركونه ثم أكد ذلك بأن أثبت لهم صفات تنافي الألوهية فقال ﴿ وهم يخلقون ﴾ لأنها ذات ممكنة مفعلة الوجود إلى الخلق والآلهة ينبغي أن يكون واجب الوجود ﴿ أموات ﴾ هم أموات لا تعترفهم الحياة أو أموات حالاً أو مآلاً ﴿ غير أحياء ﴾ بالذات ليتناول كل معبود والآلهة ينبغي أن يكون حياً بالذات لا يتزهد الممات ﴿ وما يشعرون أي إن يمشون ﴾ ولا يعلمون وقت بعثهم أو بعث عبادهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم والآلهة ينبغي أن يكون عالم باليوب مقدر الثواب والعقاب وفيه تذييد على أن البعث من توابع التكليف ﴿ الهكم الله واحد ﴾ تكرار للدعي بمداقمة الجمع ﴿ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ﴾ بيان لما اقتضى إصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم إيمانهم بالآخرة فإن المؤمن بها يكون طالباً للدلائل متأملاً فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وإنكار قلوبهم ما لا يعرف إلا بالبرهان

وعلايتها وهذه الأصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه الأصنام بصفات فقال تعالى ﴿ والذين تدعون من دون الله ﴾ يعني الأصنام التي تدعونها آلهة من دون الله ﴿ لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ﴾ فإن قلت قوله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة أفمن يخلق كمن لا يخلق يدل على أن هذه الأصنام لا تخلق شيئاً فقلوه سبحانه وتعالى لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى المذكور في تلك الآية فإفادة التكرار «قلت فأثبتته أن المعنى المذكور في الآية المتقدمة أنهم لا يخلقون شيئاً فقط والمذكور في هذه الآية أنهم لا يخلقون شيئاً وأنهم مخلوقون كثيرهم فكان هذا زيادة في المعنى وهو فائدة التكرار ﴿ أموات ﴾ أي جمادات ميتة لا حياة فيها ﴿ غير أحياء ﴾ يعني كثيرها والمعنى لو كانت هذه الأصنام آلهة كما يزعمون لكانت أحياء غير جائز عليها الموت لأن الآلهة الذي يستحق أن يعبد هو الحي الذي لا يموت وهذه أموات غير أحياء فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة في غير موضعها وقوله ﴿ وما يشعرون ﴾ يعني هذه الأصنام ﴿ أي إن يمشون ﴾ يعني متى يمشون وفيه دليل على أن الأصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تنبأ من جابليها وقيل مناه ما يدرى الكفار الذين عبدوا الأصنام متى يمشون ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ الهكم الله واحد ﴿ يعني أن الذي يستحق العبادة هو الله واحد وهذه أصنام متعددة فكيف تستحق العبادة ﴿ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة ﴾ يعني جاحدة لهذا المعنى ﴿ وهم مستكبرون ﴾ يعني عن اتباع الحق لأن الحق إذا تبين كان تركه

منهوتة (أموات) أم نام أموات (غير أحياء) (قا و خا ٧٥ لث) وما يشعرون) يعني الآلهة (إيان يمشون) من النبور فيحاسبون ويقال ما علم الكفار متى يحاسبون ويقال ما تعلم الملائكة متى يحاسبون (الهكم الله واحد) يعلم ذلك لا الآلهة (فالذين لا يؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت (قلوبهم منكرة) بالتوحيد (وهم مستكبرون) عن الإيمان

الاجرام (لاجرم) حقا (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) اي سرهم وعلايتهم ~~ما يسرون وما يعلنون~~ وهو وعيد ربه لا يجب المستكبرين) عن التوحيد يعني المشركون (واذا قيل لهم) لهؤلاء الكفار (ماذا أنزل ربكم قالوا اساطير الاولين) ماذا منصوب بأنزل أي شيء أنزل ربكم أو (الجزء الرابع عشر) مسروق على (٥٩٤) - الابتداء أي شيء أنزل ربكم واساطير

خبر مبتدأ محذوف قيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحجاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اساطير الاولين أي أحاديث الاولين وأباطيلهم وأحدثها أسطورة واذا رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونهم بصدقه وأنه نبي فهم الذين قالوا خيرا (ليصلوا أوزارهم كاملة يوم القيمة ومن أوزار الذين يضلونهم) أي قالوا ذلك اضلالا للناس فوصلوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزير الاضلال لان المضل والضال شر تكان واللام للتعليل (غير علم)

(لاجرم) حقا (ان الله يعلم ما يسرون) ما يخفون من البغض والحسد والمكر والخيانة (وما يعلنون) ما يظهر من الشتم والظعن والتشال (انه لا يجب المستكبرين) عن الايمان (واذا قيل لهم) للمقتسمين (ماذا أنزل ربكم) ماذا يقول لكم محمد صلى الله عليه وسلم

اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستبصار عن اتباع الرسول ومصديقه والاتفاقات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين (لاجرم) حقا (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل (انه لا يجب المستكبرين) فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده أو اتباع رسوله (واذا قيل لهم) ماذا أنزل ربكم (القاتل بعضهم على التهمك أو الوافدون عليهم أو المسلمون) قالوا اساطير الاولين أي ما تدعون نزوله أو المنزل اساطير الاولين واتعاهم هؤلاء على التهمك أو على القرص أي على تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين لا تحقيق فيه والقاتلون له قبل هم المقتسمون (ليصلوا أوزارهم كاملة يوم القيمة) أي قالوا ذلك اضلالا للناس فوصلوا أوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال (ومن أوزار الذين يضلونهم) وبعض أوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب (غير علم) حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفانتهما

تكرا (لاجرم) يعني حقا (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) انه لا يجب المستكبرين (يعني عن اتباع الحق) عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جليل يحب الجمال الكبير بطر الحق وغط الناس وقوله بطر الحق هو أن يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا وهذا على قول من جعل أصل البطر من الباطل ومن جعله من الحيرة فعنه يخبر عند سماع الحق فلا يقبله ولا يجعله حقا وقيل البطر التكبر يعني أنه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله وقوله وغط الناس يقال غطت حق فلان اذا احتقرته ولم تره شيئا وكذا معنى غصته أي انتقصته وازدريته (قوله عز وجل) (واذا قيل لهم) يعني لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها وطرقها اذا سألهم الحاج الذين يقدمون عليهم (ماذا أنزل ربكم قالوا اساطير الاولين) يعني آحاديثهم وأباطيلهم (ليصلوا أوزارهم كاملة يوم القيمة) اللام في يصلوا لام العافية وذلك انهم لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الاولين كانت طاعتهم بذلك أن يحملوا أوزارهم يعني ذنوب أنفسهم وانما قال سبحانه وتعالى كاملة لان البلايا التي أصابته في الدنيا وأعمال البر التي علوها في الدنيا لا تكفر عنهم شيئا يوم القيامة بل يعاقبون بكل أوزارهم قال الامام فخر الدين الرازي وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصلا في حق الكل لم يكن تخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة (وقوله سبحانه وتعالى) (ومن أوزار الذين يضلونهم) غير علم (يعني ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم وصدوهم عن

وسلم من ربكم) (هو أساطير الاولين) (كذب الاولين وأحاديثهم) (ليصلوا أوزارهم) (كاملة) (واغرة) (الاعان) (يوم القيمة ومن أوزار) مثل آثام (الذين يضلونهم) يصرفونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والاعان (غير علم)

حال من المصنوع اي يضاهي  
من لا يعلم أنهم ضلال  
(الاساء مايزرون) محل  
مارفع (قدمكر الذين  
من قبلهم فأتى الله بنيانهم  
من القواعد) أي من جهة  
القواعد وهي الاساطين  
وهذا تمثيل يعني أنهم  
سواء منصوبات ليكر واهبا  
رسل الله فجعل الله هلاكهم  
في تلك المنصوبات كحال  
قوم بنو ابينا وعمدوه  
بالاساطين فأتى البنيان  
من الاساطين بان منضمت  
فسقط عليهم السقف  
وماتوا وهلكوا والجمهور  
على أن المراد به عمود بن  
كنعان حين بنى الصرح  
ببابل طوله خسة آلاف  
ذراع وقيل فرسخان فاهب  
الله الريح فخر عليه وعلى  
قومه فهلكوا فأتى الله أي  
أمره بالاستئصال

بلاعلم ولا حجة (الاساء ما  
يزرون) نفس ما يحملون  
من الذنوب يعني المقتسمين  
(قدمكر الذين من قبلهم)  
بانيانهم كما مكر المفسمون  
محمد عليه السلام وهو  
عمود الجبار الذي بنى الصرح  
(فأتى الله بنيانهم) قلع بنيانهم  
الصرح (من القواعد)  
من الاساس

للدلالة على ان جهلهم لا يذره اذ كان عليهم ان يحشوا ويخشوا بين الحق والمبطل  
﴿الاساء مايزرون﴾ نفس شياً يزرونه قلوبهم ﴿قدمكر الذين من قبلهم﴾ سورا  
منصوبات ليكر واهبا رسل الله عليهم الصلاة والسلام ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾

الايمان مثل اوزار الاتباع ﴿والسبب فيه ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك  
من اجورهم شيئاً ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثم من تبعه لا ينقص  
ذلك من آثامهم شيئاً أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث أن الرئيس أو الكبير اذا سن  
سنة حسنة أو سنة قبيحة تبعه عليها جماعة فعملوا بها فان الله سبحانه وتعالى يعظم ثوابه  
أو عقابه حتى يكون ذلك الثواب أو العقاب مساوياً لكل ما يستحقه كل واحد من  
الاتباع الذين عملوا بسنته الحسنة أو القبيحة وليس المراد ان الله تعالى يرسل جميع  
الثواب أو العقاب الذي يستحقه الاتباع الى الرؤساء لان ذلك ليس بعدل وبدل عليه  
قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى قال  
الواحدى ولقطة من في قوله ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض لالها  
لو كانت للتبعيض لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة  
والسلام لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً ولكنها للجنس أي ليحملوا من جنس اوزار  
الاتباع وقوله بغير علم يعني ان الرؤساء انما يقدمون على اضلال غيرهم بغير علم بما  
يستحقونه من العقاب على ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك جهلاً منهم بما يستحقونه  
من العذاب الشديد ﴿الاساء مايزرون﴾ يعني الألبس ما يحملون فقيه وعيد وتهديد  
لهم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿قدمكر الذين من قبلهم﴾ يعني من قبل كفار قريش  
وهو عمرو بن كنعان الجبار وكان أكبر ملوك الارض في زمن ابراهيم صلى الله عليه  
وسلم وكان من مكره أنه بنى صرحاً ببابل ليصعد الى السماء ويقا تل أهلها في زعمه قال  
ابن عباس وكان طول الصرح في السماء خسة آلاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان  
طوله مرسخين فهبت ريح فقصفته وألقت رأسه في البحر وخر عليهم الباقي فاهلكهم  
وهم تحته ولما سقط تبللت السنة الناس من الفزع فتكلموا يومئذ بثلاثة وسبعين  
لساناً فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية قلت هكذا ذكره  
البغوي وفي هذا نظر لان صالحاً عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان  
أهل اليمن عرانتهم جرهم الذي نشأ اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكانت قبائل  
من العرب قديمة قبل ابراهيم عليه السلام مثل طسم وجديس وكل هؤلاء عرب  
تكلموا في قديم الزمان بالعربية وبدل على حجة هذا قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية  
الاولى والله أعلم وقيل سهل قوله فدمكر الذين من قبلهم على العموم أولى فكون  
الآية عامة في جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون الحاق الضر والمكر بالغير  
﴿وفوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ يعني قصد تخريب بنيانهم



(فخر عليهم السقف من فوقهم) { الجزء الرابع عشر } وأما المذاب (٥٩٦) من حيث لا يشعرون) من حيث

فأما هاهنا من جهة المذائق بنوا عليها بان منضمت ﴿ فخر عليهم السقف من فوقهم ﴾ وصار سبب هلاكهم ﴿ وأما المذاب من حيث لا يشعرون ﴾ لا يحتسبون ولا يتوقنون وهو على سبيل التثليل وقيل المراد به غرورهم بنكتان بنى الصرح بيابل سمكة سمكة آفاق ذراع ليرصد امر السماء فأحب الله الرج فخر عليه وعلى قومه فهل كوا ﴿ ثم يوم القيامة يخزيهم ﴾ يذلهم أو يذهبهم بالنار كقوله ربنا أنك من تدخل النار فقد أخزيتنا ﴿ ويقول ابن شركاى ﴾ أضاف الى نفسه استهزاء أو حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم قرأ البزى بخلاف عنه ابن شركاى بشير الهمزة والباقون بالهمز ﴿ الذين كنتم تشاقون فيهم ﴾ تهادون المؤمنين في شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقوتى فان مشاققة المؤمنين كشاققة الله عز وجل ﴿ قال الذين أوتوا العلم ﴾ أى الانبياء أو العلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيساقولهم ويتكبرون عليهم أو الملائكة ﴿ ان الخزى اليوم والسوء ﴾ الذلة والمذاب ﴿ على الكافرين ﴾ وقائدة قولهم اظهار الشجاعة بهم وزيادة الاهانة وحكاية

من أصوله وذلك بان أأامهم بريح قصفت بنيانهم من أعلاه وأأامهم بزلزل قلعت بنيانهم من قواعده وأأساه هذا اذا جلنا تفسير الآية على القول الاول وهو ظاهر اللفظ وان جلنا تفسير الآية على القول الثانى وهو جعلها على العموم كان المعنى انهم لما رتبوا منصوبات ليكروا بها على أنبياء الله وأهل الحق من عباده أهلكتهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنو ابياننا وثيقا شديدا ودعموه بالاساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فاهلكهم فهو مثل ضرب الله سبحانه وتعالى لمن مكر بأخر فاهلكه الله بكمرة ومنه مثل السائر على السنة الناس من حفر بئرا لآخيه أو قعد الله فيه ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ فخر عليهم السقف من فوقهم ﴾ يعنى سقط عليهم السقف فاهلكهم وقوله من فوقهم للتأكيد لان السقف لا يخر الا من فوقهم وقيل يحتمل انهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم علم انهم كانوا تحته وانه لما خر عليهم أهلكتهم وما تواتحت ﴿ وأأامهم المذاب من حيث لا يشعرون ﴾ يعنى فى مأمنهم وذلك انهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدهته كان ذلك البنيان سبب هلاكهم ﴿ ثم يوم القيامة يخزيهم ﴾ يعنى يهينهم بالمذاب وفيه اشعار بان المذاب يحصل لهم فى الدنيا والآخرة لان الخزى هو المذاب مع الهوان ﴿ ويقول ﴾ يعنى ويقول الله لهم يوم القيامة ﴿ أين شركاى ﴾ يعنى فى زعمكم واعتقادكم ﴿ الذين كنتم تشاقون فيهم ﴾ يعنى كنتم تهادون وتخالقون المؤمنين وتخاصمونهم فى شأنهم لان المشاققة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين فى شق غير شق صاحبه والمعنى ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم منازل بكم من المذاب والهوان ﴿ قال الذين أوتوا العلم ﴾ يعنى المؤمنين وقيل الملائكة ﴿ ان الخزى ﴾ يعنى الهوان ﴿ اليوم ﴾ يعنى فى هذا اليوم وهو يوم القيامة ﴿ والسوء ﴾ يعنى المذاب ﴿ على الكافرين ﴾ وأما يقول المؤمنون هذا يوم القيامة لان الكفار كانوا يستهزئون بالمؤمنين فى الدنيا ويتكبرون عليهم

لا يحتسبون ولا يتوقنون (ثم يوم القيامة يخزيهم) يذلهم يعذبهم الخزى هو ما عذبوا به فى الدنيا (ويقول أين شركاى) على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) تهادون وتخاصمون المؤمنين فى شأنهم تشاقون فأنع أى تشاقوتى فيهم لان مشاققة المؤمنين كانها مشاققة الله (قال الذين أوتوا العلم) أى الانبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويسطونهم فلا يلتفتون اليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شجاعة بهم أوهم الملائكة (ان الخزى اليوم) الفضيحة (والسوء) المذاب (على الكافرين)

(فخر عليهم السقف) فوقهم عليهم الصرح (من فوقهم) وأأامهم المذاب (بالهدم) (من حيث لا يشعرون) لا يعلمون (ثم) هو يوم القيامة يخزيهم (يعذبهم ويذلهم) (ويقول) الله يوم القيامة (أين شركاى) أى الآلهة التى زعمتم انهم شركاى (الذين كنتم تشاقون فيهم) تخالقون لقبيلهم وتعادون أنبيائى لقبيلهم (قال الذين أوتوا العلم) يعنى الملائكة (ان الخزى اليوم) المذاب يوم القيامة (والسوء) النار والشدة (على الكافرين) (أحوالهم)

(أحوالهم)

الذين تتوفاهم الملائكة) وبالياء جزء وكذا ما بعده (ظالمى أنفسهم) بالكفر بالله (فألقوا السلم) أى الصلح والاستسلام أى اختبئوا رجاءاً بخلاف ما كانوا ﴿ ٥٩٧ ﴾ عليه فى الدنيا { سورة النحل } من الشقاق وقالوا ( ما كنا نعلم من

سوء ) وجمعدوا ما وجد منهم من الكفران والعدا. فرد عليهم أو لوالعلم وقالوا ( بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون ) فهو يجازيكم عليه وهذا أيضا من السماتة وكذلك ( فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ) ( وقيل للذين اتقوا ) الشرك ( ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا ) وانما نصب هذا ورفع أساطير لان التقدير هنا أنزل خيرا فطبقوا الجواب على السؤال وثمة التقدير هو أساطير الاولين فمدلوا بالجواب عن

الذين تتوفاهم الملائكة ) قبضتهم الملائكة يوم بدر ( ظالمى أنفسهم ) بالكفر ( فألقوا السلم ) ردوا الجواب ويقال خضعوا لله ( ما كنا نعلم من سوء ) نعبد من شئ من دون الله وما كنا مشركين بالله ( بلى ) يقول الله بلى ( ان الله عليم بما كنتم تعملون ) وتقولون وتعبدون من دون الله ( فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ) مقمين فيها لا تموتون ولا تخرجون منها ( فلبئس مثوى المتكبرين ) منزل الكافرين جهنم ( وقيل للذين اتقوا )

لان يكون لطفاً ووعظاً لمن سمع ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ﴾ وقرأ جزء بالياء وقرأ بادغام التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل الواجهة الثلاثة ﴿ ظالمى أنفسهم ﴾ بان عرضوها للعداب المخلد ﴿ فألقوا السلم ﴾ فسلموا واختبئوا حين عاينوا الموت ﴿ ما كنا نعلم من سوء ﴾ قائلين ما كنا نعلم من سوء كفران وعدوان ويموز ان يكون تفسيراً للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام ﴿ بلى ﴾ أى تقيهم الملائكة بلى ﴿ ان الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فألقوا السلم الى آخر الآية استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اول من لم يحموز الكذب يومئذ ما كنا نعلم من سوء بأنهم تكن في زعنا واعتقادنا ماملين سوءاً واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله أو لوالعلم ﴿ فادخلوا أبواب جهنم ﴾ كل صنف باباً الممدلة وقيل أبواب جهنم اصناف عذابها ﴿ خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ﴾ جهنم ﴿ وقيل للذين اتقوا ﴾ يعنى المؤمنين ﴿ ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً ﴾ أى أنزل خيراً وفى نصبه دليل على انهم لم يطلعوا فى الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال

أحوالهم فاذا كان يوم القيامة ظهر أهل الحق وأكرموا باتواع الكرامات وأهين أهل الباطل وعذبوا باتواع السذاب ففسد ذلك يقول المؤمنون ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين وقائدة هذا القول اظهار السماتة بهم فيكون أعظم فى الهوان والخزى ﴿ قوله تعالى ﴾ الذين تتوفاهم الملائكة ﴿ قبض ارواحهم الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه ﴾ ظالمى أنفسهم ﴿ يعنى بالكفر ﴾ فألقوا السلم ﴿ يعنى أنهم استسلموا وانقادوا لامر الله الذى نزل بهم وقالوا ﴿ ما كنا نعلم من سوء ﴾ يعنى شركا وانما قالوا ذلك من شدة الخوف ﴿ بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ يعنى فلا فائدة لكم فى انكاركم قال عكرمة عنى بذلك ما حصل من الكفار يوم بدر ﴿ فادخلوا ﴾ أى يقال لهم ادخلوا ﴿ أبواب جهنم خالدين فيها ﴾ يعنى مقمين فيها لا يخرجون منها وانما قال ذلك لهم ليكون أعظم فى الغم والحزن وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذاباً من بعض ﴿ فلبئس مثوى المتكبرين ﴾ يعنى عن الايمان ﴿ قوله عز وجل ﴾ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً ﴿ وذلك ان أحياء العرب كانوا يبعثون الى مكة أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد سأل الذين كانوا يبعثون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون واذا لم تلقه خبرك فيقول الوافد ما شر واقد ان رجعت الى قومي من دون ان ادخل مكة فالتقاء فيدخل مكة فبى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقه وأمانته وانه نبي مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله سبحانه وتعالى وقيل للذين اتقوا يعنى اتقوا الشرك وقول الزور والكذب ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً يعنى أنزل خبراً فان قلت لم رفع الاول وهو قوله أساطير الاولين ونصب الثانى وهو قوله قالوا خيراً قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب

كفر والشرك والفواحش عبد الله بن مسعود وأصحابه ( ماذا أنزل ربكم ) ماذا فقول لكم محمد عليه السلام من ربكم ( قالوا خيراً ) توحيد

السؤال ( للذين أحسنوا في هذه الدنيا ) أي آمنوا وعملوا الصالحات أو قالوا لا إله إلا الله ( حسنة ) بالرفع أي ثواب وأمن وغنية وهو يدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا أي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاة أو هو كلام مستأنف عدة للقاتلين { الجزء الرابع عشر } وجعل قولهم ﴿ ٥٩٨ ﴾ من أجل إحسانهم ( ولدار الآخرة

خير ) أي لهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله فاتاكم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ( ولنعم دار المتقين ) دار الآخرة فعذف الخصوص بالمدح لتقديم ذكره ( جنات عدن ) خير مبتدأ محذوف أو هو مخصوص بالمدح ( يدخلونها ) حال ( تجري من تحتها الأنهار ) لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين الذين تنوفاهم الملائكة طيبين ) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر لانه في مقابلة ظلمي أنفسهم

وصلة ( للذين أحسنوا ) وحدوا ( في هذه الدنيا حسنة ) الجنة يوم القيامة ( ولدار الآخرة ) يعني الجنة ( خير ) من الدنيا وما فيها ( ولنعم دار المتقين ) الكفر والشرك والقوا حش الجنة ( جنات عدن ) وهي مقصورة الرحمن ( يدخلونها ) يوم القيامة ( تجري من تحتها ) من تحت شجرها ومسكنها ( الأنهار ) أنهار الحر والماء

على خلاف الكفرة روى ان احياه العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا الله ذلك ﴿ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ﴾ مكانة في الدنيا ﴿ ولدار الآخرة خير ﴾ أي وثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسير الخير على انه منتصب بقالوا ﴿ ولنعم دار المتقين ﴾ دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله ﴿ جنات عدن ﴾ خير مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح ﴿ يدخلونها تجري من تحتها الأنهار ﴾ لهم فيها ما يشاؤون ﴿ من انواع المشتبهات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جيع ما يريد الا في الجنة ﴾ كذلك يجزي الله المتقين ﴿ مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول ﴾ الذين تنوفاهم الملائكة طيبين ﴿ طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظلمي

المنكر الجاحد وجواب المقر المؤمن وذلك انهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الاولين وليس هو من الانزال في شيء لأنهم لم يعتقدوا كونه منزلا ولما سألوا المؤمنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلقموا وطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفاً معقولا لانزال فقالوا خبراً أي أنزل خيراً وتم الكلام عند قوله خيراً فهو وقت تام ثم ابتدأ بقوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ﴾ يعني للذين أتوا بالاعمال الصالحة الحسنة ثواباً حسنة مضاعفة من الواحد الى العشرة الى السبعمائة الى اضعاف كثيرة وقال الضحاك هي النصر والفتح وقال مجاهد هي الرزق الحسن فلي هذا يكون معنى الآية للذين أحسنوا ثواب احسانهم في هذه الدنيا حسنة وهي النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما أنعم الله به على عباده في الدنيا ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى ﴿ ولدار الآخرة خير ﴾ يعني ما لهم في الآخرة مما أعد الله لهم في الجنة خير مما يحصل لهم في الدنيا ﴿ ولنعم دار المتقين ﴾ يعني الجنة وقال الحسن هي الدنيا لان أهل التقوى يتزودون منها الى الآخرة والقول الاول أولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله فسر هذه الدار بقوله ﴿ جنات عدن ﴾ يعني بساتين إقامة من قولهم عدن بالمكان أي أقام به ﴿ يدخلونها ﴾ يعني تلك الجنات لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها ﴿ تجري من تحتها الأنهار ﴾ يعني تجري الأنهار في هذه الجنات من تحت دور أهلها وقصورهم ومسكنهم ﴿ لهم فيها ﴾ يعني في الجنات ﴿ ما يشاؤون ﴾ يعني ما تشتهى الانفس وتلذذ الاعين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا في الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاؤون لا يغيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا ﴿ وكذلك يجزي الله المتقين ﴾ أي هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى ﴿ الذين تنوفاهم الملائكة طيبين ﴾ يعني مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية أقوالهم وأفعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى

والسل واللبن ( لهم فيها ) في الجنة ( ما يشاؤون ) ما يشتهون ( كذلك ) هكذا ( يجزي الله المتقين ) الكفر ( حسن ) والشرك والقوا حش ( الذين تنوفاهم الملائكة ) قبضتهم الملائكة ( طيبين ) طاهرين

القبضهم وقيل فرحين بشارة الملائكة إياهم بالجنة أو طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية إلى حضرة القدس ﴿ يقولون سلام عليكم ﴾ لا يحيطكم بعدمكروه ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفى وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ ﴿ هل ينظرون ﴾ ما ينتظر الكفار المار ذكرهم ﴿ الا ان تأتيهم الملائكة ﴾ لقبض

حسن فيدخل فيدانهم أو بكل ما أسروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والحصول الجيدة والمباعدة من الاخلاق المذمومة والحصول المكروهة القبيحة وقيل معناه ان أوقاتهم تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك الفرح والسرور والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم وطيب لهم الموت على هذه الحالة ﴿ يقولون ﴾ يعني الملائكة لهم ﴿ سلام عليكم ﴾ يعني تسلم عليهم الملائكة أو تبغفهم السلام من الله ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة . فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتعدنى الله بفضله ورجته أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة قلت قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله في شرح مسلم اعلم ان مذهب أهل السنة انه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا انجذاب ولا تنجيم ولا غير ذلك من أنواع التكليف ولا يثبت هذه الاشياء كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب أهل السنة أيضا ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل العالم كله ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء فلوعذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان ذلك عدلا منه واذأكرمهم ورحمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولونهم الكافرين وأدخلهم الجنة كان ذلك له ومنه فضلا ولكنه سبحانه وتعالى أخبر وخبره صادق أنه لا يفعل هذا بل يفقر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برجته ويذهب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه وأما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح في ضبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المأبذة لتصوص الشرع وفي ظاهر هذا الحديث دلالة لاهل الحق انه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته وأما قوله سبحانه وتعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ونحوها من الآيات التي تدل على أن الاعمال الصالحة يدخل بها الجنة فلا تمارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات ان دخول الجنة بسبب الاعمال والتوفيق للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح أنه دخل بالاعمال أي بسببها وهي من الرحمة والفضل والمنة والله أعلم بمراده . قوله تعالى ﴿ هل ينظرون ﴾ يعني هؤلاء الذين أسركوا بالله وجمعوا نبيوتك يا محمد ﴿ الا ان تأتيهم الملائكة ﴾ يعني

( يقولون سلام عليكم ) قيل اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام ويبشرك بالجنة ويقال لهم في الآخرة ( ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون بعملكم ) هل ينظرون ) ما ينتظر هؤلاء الكفار ) الا أن تأتيهم الملائكة ) لقبض ارواحهم وبالباء على وحشة

من الشرك ( يقولون سلام عليكم ) من الله ( ادخلوا الجنة ) بإيمانكم واقسموها ( بما كنتم تعملون ) أو تقولون من الخيرات في الدنيا ( هل ينظرون ) ما ينتظرون أهل مكة اذ لا يؤمنون ( الا ان تأتيهم الملائكة ) لقبض ارواحهم

(أوبأى أمر ربك) أى العذاب الجزاء الرابع عشر المتأصل والقيامة ﴿٦٠﴾ (كذلك) مثل ذلك الفعل من الك

أرواحهم وقرأ جزء والكسائي بإياه ﴿أوبأى أمر ربك﴾ القيامة والعذاب المتأصل  
﴿كذلك﴾ مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب ﴿فعل الذين من قبلهم﴾  
فأصابهم ما أصاب ﴿وما ظلمهم الله﴾ بتدميرهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾  
بكفرهم ومعاصيهم المؤدبة اليه ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾ أى جزاء سيئات  
أعمالهم على حذف المضاعف أو تسمية الجزاء باسمها ﴿وحاق بهم ما كانوا به  
يستهزئون﴾ وأحاط بهم جزاءه والحق لا يستعمل إلا في الشر ﴿وقال الذين  
أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه  
من شيء﴾ أى قالوا ذلك استهزاء ومنعاً للبشة والتكليف متمكين بأن ما شاء  
الله يجب وما لم يشأ يتنع فما الفائدة فيهما أو أنكاراً لقيع ما أنكر عليهم من الشرك  
وتحريم الجائر ونحوها مخفين بأنها لو كانت مستحقة لما شاء الله صدورها عنهم ولما  
خالفه ملجأ إليه لا اعتذاراً إذ لم يتقوا قبح أعمالهم وفيما يمد تبيينه على الجواب

لقيض أرواحهم ﴿أوبأى أمر ربك﴾ أى بالعذاب فى الدنيا وهو عذاب  
الاستقصاء وقيل المراد به يوم القيامة ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ أى  
من الكفر والتكذيب ﴿وما ظلمهم الله﴾ بتدبيره إياهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم  
يظلمون﴾ أى بآكتسابهم المعاصي والكفر والأعمال القبيحة الخبيثة ﴿فأصابهم سيئات  
ما عملوا﴾ أى فأصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الأعمال الخبيثة ﴿وحاق بهم ما كانوا  
به يستهزئون﴾ والمعنى ونزل بهم جزاء استهزائهم ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله  
ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا﴾ أى أن مشركى مكة قالوا هذا على طريق  
الاستهزاء والحاصل أنهم تسكروا بهذا القول فى أنكار النبوة فقالوا لو شاء الله منا الإيمان  
لحصل جنت أولم نجى ولو شاء الله منا الكفر لحصل جنت أولم نجى وإذا كان كذلك  
فإن كل من الله فلا فائدة فى بشة الرسل إلى الامم والجواب عن هذا أنهم لما قالوا إن الكل من الله  
فكانت بشة الرسل عثا كان هذا اعتراضاً على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة فى أحكام  
الله وفى أفعاله وهو باطل لأن الله سبحانه وتعالى فعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض  
لا حدة عليه فى أحكامه وأفعاله ولا يجوز لأحد أن يقول له لم فعلت هذا ولم تفعل هذا  
وكان فى حكم الله وستد فى عباده إرسال الرسل إليهم ليأمرهم بعبادة الله تعالى وينههم  
عن عبادة غيره وإن الهداية والاضلال إليه فى هداه فهو المهدى ومن أضله فهو الضال  
وهذه سنة الله فى عباده أنه يأمر الكل بالإيمان به وينهاهم عن الكفر ثم أنه سبحانه وتعالى  
يهدى من يشاء إلى الإيمان ويضل من يشاء فلا اعتراض لا حدة عليه ولما كانت سنة الله قديمة  
ببشة الرسل إلى الامم الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه من  
شيء نحن ولا آباؤنا جهلاً منهم لأنهم اعتقدوا أن كون الأمر كذلك يمنع من جواز بشة  
الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا علة التدم والوعيد وأما قوله تعالى ﴿ولا  
حرمنا من دونه من شيء﴾ أى الوصيلة والسائبة والحام والمعنى فإلا إن الله رضىها

والتكذيب (فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما استحقوا به التدمير (فأصابهم سيئات ما عملوا)

جزاء سيئات أعمالهم (وحاق بهم ما كانوا يستهزئون) وأحاطه بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا) هذا كلام صدور منهم استهزاء ولو قالوا اعتقاداً لكان صواباً (ولا حرمنا من دونه من شيء) أى البهيمة والسائبة

(أوبأى أمر ربك) عذاب ربك بهلاكهم (كذلك) كما فعل بك قومك كذبوك وشقوك (فعل الذين من قبلهم) من قبل قومك بأنبيائهم كذبوهم وشقوهم (وما ظلمهم الله) بهلاكهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالشرك وتكذيب الرسل (فأصابهم سيئات ما عملوا) عقوبة ما عملوا وقالوا من المعاصي (وحاق بهم) دار ونزل بهم ووجب عليهم ما كانوا به يستهزئون (عقوبة استهزائهم) بالإنبياء ويقال العذاب الذى كانوا به يستهزئون (وقال الذين أشركوا) بالله لا أولان (لو شاء الله) أى أهل مكة

ما عبدنا من دونه من شيء من الأصنام (نحن ولا آباؤنا) قبلك (ولا حرمنا من دونه) من دون الله (من شيء) (لأ)

الله) لاختيارهم الهدى  
ومنهم من حقت عليه الضلالة  
أى لزمته لاختياره إياها  
(مسير وافي الارض فانظروا  
كيف كان طائفة المكذبين)  
حيث أهلكهم الله وأخذ  
ديارهم عنهم ثم ذكر عناد  
قريش وحرص رسول الله  
صلى الله عليه وسلم على  
إيمانهم وأعلمه أنهم من قسم  
من حقت عليه الضلالة  
فقال (إن حرص على  
هدايتهم فإن الله لا يهدي  
من ضل) بفتح اليا وكسر

عن الشبهتين ۞ كذلك ۞ هل اسرين من قبلهم ۞ فاشركوا بالله وحرروا حله وردوا  
رسله ۞ فعمل على الرسل الا البلاغ المبين ۞ الا الايلاغ الموضح للحق وهو ان لم  
تؤثر في هدى من شاء الله هداه لكنه مؤدى اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه  
انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب ۞ فمرهاله ثم بين ان البتة امر جرت به السنة  
الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله  
كافسدا المصالح فانه ينفع المزاج السوى ويقويه ويضر المحرف وينتبه بتوبه تعالى  
۞ ولقد مثا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ۞ تأمر اداة الله  
تعالى واجتنب الطاغوت ۞ فمنهم من هدى الله ۞ وفهم الايعان بارشادهم ۞ ومنهم  
من حق عليه الضلالة ۞ اذ لم يوقتهم ولم يرد هداهم وفيه تانيه على غساد الشبهة  
الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق السلال وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث  
انه قسم من هدى الله قد صرح به في الآية الاخرى ۞ فسيروا في الارض ۞ باعشر  
قريش ۞ فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ۞ من عاد وثمود ۞ غرهم لطكمه تديرون  
۞ ان تحرم ۞ يا محمد ۞ على هداهم فان الله لا يهدي من ضل ۞ من يريد ضلاله ۞ هو

للتغير ذلك ولهدانا الى غيره **﴿** وكذلك فعل الذين من قباهم **﴾** يعنى ان من تقدم هؤلاء  
من كفار مكة ومن الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الحيث فانكار بشعة  
الرسول كان قديما في الامم الحالية **﴿** فعمل على الرسل الا الابلغ المبين **﴾** يعنى ان من  
هداية أحد انما عليهم تبليغ ما أرسلوا به الى من أرسلوا اليه **﴿** ولقد بعثنا في كل أمة  
رسولا **﴿** يعنى كما بشايكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا **﴿** ان اعدوا الله واجتنبوا  
الطاغوت **﴿** يعنى ان الرسل كانوا بأمر ونهم بان يعبدوا الله وان يحتجبوا عبادة الطاغوت  
وهو اسم كل معبود من دون الله **﴿** ففهم **﴿** يعنى فمن الامم الذين جاءتهم الرسل **﴿** من  
هدى الله **﴿** يعنى هدايته الى الايمان به وتصديق رسوله **﴿** ومنهم من حققت عليه الضلالة  
يعنى ومن الامم من وجبت عليه الضلالة بالمضاء السابق في ازل حتى مات على الكفر  
والعصيان وفي هذه الآية أبين دلائل على ان الهادى راى الضلال هو الله تعالى لانه المتصرف  
في عباده فهدى من يشاء ويضل من يشاء لانه تعالى لا احد عليه بما حكم به في سابق  
عليه **﴿** فسيروا في الارض فاستمعوا له وانصتوا لعل كنتم تفرحون **﴿** يعنى فسيروا  
في الارض معتبرين مفكرين تسمعوا آلا من كذب الرسل وهو خراب منازلهم العذاب  
والهلال ولتعرفوا ان العذاب نازل بكم ان أصرتهم على الكفر والتكذب كما نزل بهم  
من قبلهم **﴿** فاستمعوا له وانصتوا لعل كنتم تفرحون **﴿** يعنى فاستمعوا له وانصتوا لعل كنتم تفرحون  
بأنهم على الهدى هؤلاء راى انهم **﴿** فاستمعوا له وانصتوا لعل كنتم تفرحون **﴿**

[illegible]

الدال كوفي الباقون بضم الياء وقمع الدال والوجه فيد أن من بضل مبتدأ ولا يهدي خبره (ومالهم من ناصرين) يتمنونهم من جريان حكم الله عليهم { الجزء الرابع عشر } ويدفون عنهم ٦٠٢ عذاب الذي أعد لهم (وأقسموا بالله

المعنى عن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدي من بضل على البسطة للمقول وهو ابلغ ﴿ومالهم من ناصرين﴾ من ينصرهم بدفع العذاب عنهم ﴿وأقسموا بالله﴾ جهد أيمانهم لا يبعث الله من يعوت ﴿عطف على وقال الذين أشركوا﴾ (لا يبعث الله من يعوت بل) هو أثبات لما بعد التثني أي على يبعثهم (وعدا عليه حقا) وهو مصدر مؤكد لمدل عليه بل لان يبعث موعداً من الله وبين أن الوفاء بهذا الوعد حق (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان وعدة حق أو أنهم يبعثون (ليبين لهم) متعلق بمدل عليه بل أي يبعثهم ليعين لهم والصغير لمن يعوت وهو يشمل المؤمنين والكافرين (الذي يختلفون فيه) هو الحق (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) في قوله لا يبعث الله من يعوت

المعنى عن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدي من بضل على البسطة للمقول وهو ابلغ ﴿ومالهم من ناصرين﴾ من ينصرهم بدفع العذاب عنهم ﴿وأقسموا بالله﴾ جهد أيمانهم لا يبعث الله من يعوت ﴿عطف على وقال الذين أشركوا﴾ (لا يبعث الله من يعوت بل) هو أثبات لما بعد التثني أي على يبعثهم (وعدا عليه حقا) وهو مصدر مؤكد لمدل عليه بل لان يبعث موعداً من الله وبين أن الوفاء بهذا الوعد حق (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان وعدة حق أو أنهم يبعثون (ليبين لهم) متعلق بمدل عليه بل أي يبعثهم ليعين لهم والصغير لمن يعوت وهو يشمل المؤمنين والكافرين (الذي يختلفون فيه) هو الحق (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) في قوله لا يبعث الله من يعوت

قرئ بفتح الياء وكسر الدال يعني لا يهدي الله من أضله وقيل معناه لا يهدي من أضله الله وقرئ بضم الياء وقمع الدال ومعناه من أضله الله فلا يهدي له ﴿ومالهم من ناصرين﴾ أي ماله من يتمنونهم من العذاب ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ قال ابن الجوزي سبب نزولها أن رجلاً من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين قائم يتقاضاه فكان فيما يتكلم به المسلم والذي أرجوه بعد الموت فقال للمشرك انك لتزعم انك تبعث بعد الموت واقسم بالله ان لا يبعث الله من يعوت فتزلت هذه الآية قاله أبو العالية وتقرير الشبهة التي حصلت للمشركين في انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت أجزاؤه وبلى امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فناءه وعدمه فهذا هو أصل شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث بعد الموت فذلك قوله تعالى واقسموا بالله جهد أيمانهم ﴿لا يبعث الله من يعوت﴾ فرد الله عليهم ذلك وكذبهم في قولهم فقال تعالى ﴿بلى﴾ يعني بلى يبعثهم بعد الموت لان لفظة بلى أثبات لما بعد النفي والجواب من شبهتهم ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وأوحده من الدم ولم يك شيئاً فالذي أوجده بقدرته ثم أعده قادر على إيجاده بعد اعدامه لان المنشأة الثانية أهون من الاولى ﴿وعدا عليه حقا﴾ يعني ان الذي وعده من البعث بعد الموت وعد حق لا خف فيه ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يعني لا يفهمون كعب تكون ذاك المود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء ﴿ليبين لهم الذي يختلفون فيه﴾ يعني من أمر البعث ويظهر لهم الحق الذي لا خلف فيه ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ يعني

ولا يكون أهلاً لدنائه (ومالهم) لكفار مكة (من ناصرين) من مائنين من عذاب الله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) حلفوا بالله جهد أيمانهم واذا حلف الرجل بالله فقد حلف جهده عينه (لا يبعث الله من يعوت) بعد الموت (بلى وعدا عليه) على الله (حقاً) كذا وأجاب ان يبعث من يعوت (واكن أكثر الناس) أهل مكة (لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون

(ليبين لهم) لاهل مكة (الذي يختلفون فيه) يخافون في الدين (وليعلم) لكي يعلم (الذين كفروا) بمحمد (في) صلى الله عليه وسلم والقرآن يوم القيامة (أنهم كانوا كاذبين) في الدنيا بان لاجنة ولا نار ولا بعث ولا حساب

أنا قولنا شيء إذا أردناه أن نقول له ﴿٦٠٣﴾ كن فيكون (أي سورة النمل) فهو يكون وبالله التوفيق

وعلى جواب كن قولنا  
مبتدأ وأن نقول خبره  
وكن فيكون من كان التامة  
التي بمعنى الحدوث والوجود  
أي إذا أردنا وجود شيء  
فليس الآن نقول له أحدث  
فهو يحدث بلا توقف  
وهذه عبارة عن سرعة  
الايحاد بين أن مرادنا  
لا يتحقق عليه وان وجوده  
عند ارادته غير متوقف  
كوجود المأمور به عند أمر  
الآمر المطاع اذا ورد على  
المأمور المطيع الممثل ولا  
قول نعم والمعنى ان ايحاد  
كل مقدور على الله بهذه  
السهولة فكيف يتحقق عليه  
البعث الذي هو من بعض  
المقدورات (والذين  
هاجروا في الله) في حقه  
ولوجهه (من بعدما ظلموا)  
هم رسول الله وأصحابه  
ظلمهم أهل مكة ففروا  
يدينهم الى الله منهم من  
هاجر الى الحبشة ثم الى  
المدينة فجمع بين الهجرة  
ومنهم من هاجر الى المدينة

(أنا قولنا شيء) أمرنا القيام  
الساعة (اذا أردنا) أن نقول له  
كن فيكون والذين هاجروا  
في الله (في طاعة الله من مكة  
الى المدينة (من بعدما ظلموا)  
من بعدما ظلمهم أهل مكة

يعني عمار بن ياسر وبالاوصهيا وأصحابه

﴿أنا قولنا شيء﴾ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴿﴾ وهو بيان مكانه وتفسيره ان تكون  
الله تعالى بعض قدرته ومشيئته لا توقفه على سبق المواد والمدة والالزم التسلسل  
فكما أمكن له تكون الأشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال أمكن له تكونها إعادة بعده  
ونصب ابن عباس والكسائي ههنا وفي يس فيكون مطلقا على قول أوجوابا للامر ﴿والذين  
هاجروا في الله من بعدما ظلموا﴾ هم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه  
المهاجرون ظلمهم قريش فهاجروا بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة أو الحبوسون المذبون  
بمكة بعد هجرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهم بلال وحبيب وخباب وعمار وعابس  
وأبو جندل وسهيل رضي الله تعالى عنهم وقوله في الله أي في حقه

في قولهم لا بعث بعد الموت ﴿أنا قولنا شيء﴾ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴿﴾ يعني  
ان الله سبحانه وتعالى قادر اذا أراد أن يحيي الموتى ويثبتهم للحساب والحزاء فلا تعجب  
عليه في أحيائهم وبعثهم انما يقول شيء أراد كن فيكون على ما أراد لانه القادر الذي  
لا يعجزه شيء أراد (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول  
الله تبارك وتعالى يشقني ابن آدم وما ينبغي له ان يشقني ويكذبني وما ينبغي له ان يكذبني  
أما شقته أي يقول ان لي ولدا وأما تكذيبه أي يقول ليس يبعثني كما بدأني وفي  
رواية كذبني ابن آدم ولم تكن له ذلك وشقني ولم يكن له ذلك أما تكذيبه أي يقول  
لن يبعثني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من عادته وأما شقته أي يقول  
اتخذ الله ولدا وأما الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴿﴾ وقوله  
تعالى ﴿والذين هاجروا في الله من بعدما ظلموا﴾ يعني أودوا وعذبوا نزلت في بلال  
وصهيب وخباب وعابس وجبير وأبي جندل بن سهل أخذهم المشركون بمكة  
فجعلوا يذبونهم ليرجموا عن الاسلام الى الكفر وهم المستضعفون فاما بلال فكان أصحابه  
يخرجونه الى بطحاء مكة في شدة الحر وشدة بردهم ويحملون على صدورهم الحجارة وهو يقول أحد  
أحد فاشتراه منهم أبو بكر الصديق وأعتقه واشترى معه ستة نفر آخرين وأما صهيب فقال لهم  
اني رجل كبير ان كنت معكم فلن أنفعكم وان كنت عليكم فلا أضركم فاشترى نفسه بثأله فباعوه منه  
فريه أبو بكر الصديق فقال يا صوب رب البيع وأما باقهم فاعطوهم بعض ما يريدون فخرجوا  
عنهم وقال قتادة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم أهل مكة فخرجوهم  
من ديارهم حتى لحق طائفة بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فعملهم لهم  
دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم أنصارا من المؤمنين فأوهم ونصروهم وواسوهم  
وهذه الآية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على أن الهجرة  
اذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى آخر ومنه  
حديثنا انما الاعمال بالنيات وفيه فن كانت هجرته الى الله ورسوله فهاجرت الى الله ورسوله  
ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهاجرت الى ما هاجر اليه الحديث  
أخرجاه في الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب ﴿﴾ وقوله تعالى



( لنبوئهم في الدنيا حسنة ) سعة للمصدر أي تبوئة حسنة أو لنبوئهم مائة حسنة وهي المدينة حيث آوهم أهلها ونصروهم ( ولا أجر الآخرة { الجزء الرابع عشر { أكبر ) الوقت ٦٠٤ ← لازم عليه لأن جواب ( لو كانوا

علمون ) بمنزلة الضمير  
للكفار أي لو علموا ذلك  
غبوا في الدين أو للمهاجرين  
أي لو كانوا يعلمون لزدوا  
في اجتهدهم وصبرهم  
( الذين صبروا ) أي هم  
الذين صبروا أو أعنى الذين  
صبروا وكلاهما مدح أي  
صبروا على مفارقة الوطن  
الذي هو حرم الله المحبوب  
في كل قلب فكيف بقلوب  
قوم هم مسقط رؤسهم  
وعلى المجاهدة وبذل  
لأرواح في سبيل الله ( وعلى  
رهبهم يتوكلون ) أي  
يفوضون الأمر إلى رهبهم  
ويرضون بما أصابهم في دين  
الله ولما قالت قریش الله  
أعظم من أن يكون رسوله  
بشرا نزل ( وما أرسلنا  
من قبلك إلا رجالا يوحي  
إليهم ) على السنة الملائكة

فولبوئهم في الدنيا حسنة ) يعني لنبوئهم تبوئة حسنة وهو أنه تعالى أنزلهم المدينة وجعلها  
لهم دار هجرة والمعنى لنبوئهم في الدنيا دار حسنة أو بلدة حسنة وهي المدينة روى عن عمر  
بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له  
خذ هذا بركة الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما أدخلك في الآخرة أفضل  
ثم يقول هذه الآية وقيل مناه ليحسن إليهم في الدنيا بأن يقع لهم مكة ويمكنهم  
من أهلها الذين ظلموهم وأخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب قاطبة وعلى أهل  
المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة في الدنيا التوفيق والهداية في الدين ولا أجر  
الآخرة أكبر ) سنى أعظم وأفضل وأشرف مما أعطاهم في الدنيا لو كانوا  
يعلمون ) قيل الضمير يرجع إلى الكفار لأن المؤمنين يعلمون ما لهم في الآخرة والمعنى  
لو كانوا الكفار يعلمون أن أجر الآخرة أكبر مما هم فيه من نعم الدنيا لرغبوا  
به وقل الله راجع إلى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما وعد الله لهم في الآخرة  
لزدوا في الجاد والاجتهاد والصبر على ما أصابهم من أذى المشركين ) الذين صبروا )  
يعنى في الله على ما أتاهم من الأذى والمكروه فهو صفة مدح يعنى صبروا على العذاب  
ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل النفس والأموال في سبيل الله ) وعلى رهبهم  
يتوكلون ) يعنى في أمورهم كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الآية وهما  
مبدأ السالكين إلى الله تعالى ومعناه ما الصبر فهو قهر النفس وحجبها على أعمال البر  
وسائر الطامات واحتمال الأذى من الخلق والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمات  
والسبر على المصائب وأما التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه إلى الحق تعالى  
بالكلية فالاول هو مبدأ السلوك إلى الله تعالى والثاني هو آخر الطريق ومعناه ) وما أرسلنا  
من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم ) نزلت هذه الآية جوابا للمشركي مكة حيث أنكروا نبوة

علمون ) بمنزلة الضمير  
للكفار أي لو علموا ذلك  
غبوا في الدين أو للمهاجرين  
أي لو كانوا يعلمون لزدوا  
في اجتهدهم وصبرهم  
( الذين صبروا ) أي هم  
الذين صبروا أو أعنى الذين  
صبروا وكلاهما مدح أي  
صبروا على مفارقة الوطن  
الذي هو حرم الله المحبوب  
في كل قلب فكيف بقلوب  
قوم هم مسقط رؤسهم  
وعلى المجاهدة وبذل  
لأرواح في سبيل الله ( وعلى  
رهبهم يتوكلون ) أي  
يفوضون الأمر إلى رهبهم  
ويرضون بما أصابهم في دين  
الله ولما قالت قریش الله  
أعظم من أن يكون رسوله  
بشرا نزل ( وما أرسلنا  
من قبلك إلا رجالا يوحي  
إليهم ) على السنة الملائكة  
( لنبوئهم في الدنيا ) أنزلهم  
في المدينة ( حسنة ) أرضا  
كرامة آمنة ذات غنية  
حلال ( ولا أجر الآخرة )  
ثواب الآخرة ( أكبر )  
أعظم من ثواب الدنيا  
( لو كانوا يعلمون ) وقد كانوا  
يعلمون ( الذين صبروا ) على  
أذى الكفار ( وعلى رهبهم

يتوكلون ) لا على غيره يعنى عاروا وأصحابه ( وما أرسلنا من قبلك ) يا محمد الرسل ( إلا رجالا ) آدميا مثلك ( نوحي ) ( محمد )  
إليه ) بأمر والهي

نوحى حفص ( فاستلوا  
أهل الذكر ) أهل الكتاب  
يعلمونكم ان الله لم يبعث  
الى الامم السالفة الا بشرا  
وقيل للكتاب الذكر لانه  
موعظة وثنيه للفاصلين  
( ان كنتم لاتعلمون بالبينات  
والزبر ) أى بالمجيزات  
والكتب والباء يتعلق  
برجالا صفة له أى رجالا  
ملتبسين بالينات أو مارسلنا  
مضمرا كأنه قيل يم أرسل  
الرسول فقبل بالينات أو  
يوسى أى يوحى اليهم  
بالينات أو يلاتعلمون وقوله  
فاستلوا أهل الذكر اعتراض  
على الوجوه المتقدمه وقوله  
( وأنزلنا اليك الذكر )  
القرآن ( لتبين للناس ما نزل  
اليهم ) فى الذكر مما أسروا به  
ونها عنه ووعدوا به  
وأوعدوا

والعلامات ( فاستلوا أهل  
الذكر ) أهل التوراة  
والانجيل ( ان كنتم لاتعلمون )  
ان الله لم يرسل الرسول  
الا اناسيا ( بالينات ) بالاسر  
والنهي والعلامات ( والزبر )  
خبر كنب الاولين ( وأنزلنا  
اليك الذكر ) جبريل  
بالقرآن ( لتبين للناس ما نزل  
اليهم ) ما أسروا به فى القرآن

ذكرت فى سورة الانعام فان شككنتم فيه فاستلوا أهل الذكر أهل الكتاب أو علماء  
الاحبار ليعلمونكم ان كنتم لاتعلمون وفى الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة  
ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا الى الملائكة أو الى  
الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الامم الذين بصورة الرجال وره  
بما روى عنه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل عليه السلام على صورته اتى هو عليهما  
مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالينات والزبر أى أرسلناهم  
بالينات والزبر أى المجيزات والكتب كأنه جواب قائل قال يم أرسلوا ويحوز ان يتعلق  
بما أرسلنا داخل فى الاستثناء مع رجالا أى وما أرسلنا الرجال بالينات كقولك ما ضربت  
الازيدا بالسوط أو سقة لهم أى رجالا ملتبسين بالينات أو يوسى على المفعولية أو الحال  
من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاستلوا اعتراض أو يلاتعلمون على ان الشرط  
للتبكيك والالزام وأنزلنا اليك الذكر أى القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة  
وثنيه لتبين للناس ما نزل اليهم فى الذكر توسط انزاله اليك مما أسروا به ونها  
عنه أو مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود أو يرشد الى ما يدل عليه كالتقاس

محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل من أن يكون رسوله بشرا فهلا بعث  
ملكا الينا فاجابهم الله عز وجل بقوله وما أرسلنا من قبلك يا محمد الا رجالا يعنى مثلك  
نوحى اليهم والمعنى ان عادة الله عز وجل جارية من أول مبدأ الخلق أنه لم يبعث الا  
رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة فاستلوا أهل الذكر يعنى  
أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وانما أسمرهم الله بسؤال أهل الكتاب لان كفار  
مكة كانوا يتقدمون ان أهل الكتاب أهل علم وقد أرسل الله اليهم رسلا منهم مثل  
موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا مثاهم فاذا سألوهم فلا بد أن يخبروهم  
بان الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم بذلك زالت التشبهة عن  
قلوبهم ان كنتم لاتعلمون الخطاب لاهل مكة يعنى ان كنتم يا هؤلاء لاتعلمون ذلك  
بالينات والزبر اختلفوا فى المعنى الجالب لهذه الباء فقيل المعنى وما أرسلنا من  
قبلك بالينات والزبر الا رجالا يوحى اليهم أرسلناهم بالينات والزبر وقيل الذكر يعنى العلم  
فى قوله فاستلوا أهل الذكر يعنى أهل العلم فاستلوا أهل الذكر الذى هو العلم بالينات والزبر  
ان كنتم لاتعلمون أنتم ذلك والينات والزبر اسم جامع لكل ما يكمل به أمر رسالة لان مدار  
أمر الرسول على المجيزات الدالة على صدقه وهى بالينات وعلى بيان الشرائع والتكاليف وهى  
المراد بالزبر يعنى الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل وأنزلنا اليك الذكر أى الخطاب  
للى صلى الله عليه وسلم يعنى وأنزلنا عليك يا محمد الذكر الذى هو القرآن وانما سمي ذكرا  
لان فيه مواعظ وثقيا للفاصلين لتبين للناس ما نزل اليهم يعنى ما أجل اليك من أحكام  
القرآن وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك الجمل هو الرسول صلى الله عليه  
وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع تمارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لان

ودليل العقل ﴿ ولعلهم يتفكرون ﴾ واردة أن يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق ﴿ فأمن الذين مكروا السيآت ﴾ أي المكرات السيآت وهم الذين احتالوا لهلاك الأنبياء أو الذين مكروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وراموا صد أصحابه عن الأيمان ﴿ أن يخسف الله بهم الأرض ﴾ كما خسف بقارون ﴿ أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ بقتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط ﴿ أو يأخذهم في قلبهم ﴾ أي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم ﴿ فقام عجمون ﴾ أو يأخذهم على تخوف ﴿ على غافة بأن يهلك قوما قبلهم فيتنفخوا فيأتيهم العذاب وهم متخفون أو على أن ينقص شيأ بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا من تخوفه إذا تنقصت روى أن عمر رضى الله تعالى عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته تخوف الرجل منها ما كادها كاتخوف عود التمة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم

القرآن مجمل والحديث بين بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على الجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه متشابه فالحكم يجب أن يكون مبينا والمتشابه هو الجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله تعالى لتبين للناس ما نزل إليهم محمول على ما أجل فيه دون الحكم المبين المفسر ﴿ ولعلهم يتفكرون ﴾ يعني فيما أنزل إليهم فيعملوا به ﴿ فأمن الذين مكروا السيآت ﴾ فيه حذف تقديره المكرات السيآت وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبأنفوا في أذيتهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكرهم على أنفسهم والصحيح أن المراد بهذا المكر السعي في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل أراد بالذين مكروا السيآت نمرود ومن هو مثله والصحيح أن المراد به كفار مكة ﴿ أن يخسف الله بهم الأرض ﴾ يعني كما خسف بقارون من قبلهم ﴿ أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ يعني أن العذاب يأتيهم بقتة فيهم لكم فجأة كما أهلك قوم لوط وغيرهم ﴿ أو يأخذهم في قلبهم ﴾ يعني في تصرفهم في الأسفار فانه سبحانه وتعالى قادر على اهلاكهم في السفر كما هو قادر على اهلاكهم في الحضر وقال ابن عباس يأخذهم في اختلافهم وقال ابن جرير في اقبالهم وادبارهم يعني انه تعالى قادر على أن يأخذهم في الملهم ونهارهم وفي جميع أحوالهم ﴿ فقام عجمون ﴾ يعني سابقين الله أو شؤتونه بل هو قادر عليهم ﴿ أو يأخذهم على تخوف ﴾ قال ابن عباس وجاه - يعني على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله النخون يقال تخوفه الدهر ونخونه اذا انتقص وأخذناه وحشمه ويقال هذه لفته هذيل فلي هذا القول يكون المراد به أنه ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم وقيل هو على أصله من الخوف فيجتمل انه سبحانه وتعالى لا يأخذهم بالعذاب أو لا بل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال

( ولعلهم يتفكرون ) في تنبيهاته فيتنبهوا ( فأمن الذين مكروا السيآت ) أي المكرات السيآت وهم أهل مكث وما مكروا به رسول الله عليه السلام ( أن يخسف الله بهم الأرض ) كما فعل بمن تقدمهم ( أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ) أي بقتة ( أو يأخذهم في قلبهم ) متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم ( فقام عجمون أو يأخذهم على تخوف ) متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتنفخوا فيأتيهم العذاب وهم متخفون متوقفون وهو خلاف قوله من حيث ( ولعلهم يتفكرون ) لكي يتفكروا وأما أمرهم في القرآن ( فأمن الذين مكروا السيآت ) الشرك بالله ( أن يخسف الله بهم الأرض ) أو يأتيهم ( العذاب ) من حيث لا يشعرون ( أو يأخذهم في قلبهم ) في ذهابهم ومحييتهم في العجزة ( فقام عجمون ) بفائتين من عذاب الله ( أو يأخذهم على تخوف ) على تنقص رؤسائهم وأصحابهم

﴿فَإِنْ رَبُّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لا يساجلكم بالقسوة ﴿أُولَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ استفهام انكار أى قدرأوا أمثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها لظهور لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها ﴿يَتَفَقَّهُوْا ظِلَالَهُ﴾ أى أُولَمْ يَنْظُرُوا إِلَى الْخَلُوقَاتِ الَّتِي لَهَا ظِلَالٌ تَفِيضُ مَوْقِرًا جُزْءَ وَالْكَسَائِ تَرَوَابَاتٍ وَأَبْوَعْرُو تَنْفِيًا بِالنَّاءِ ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ عن إيمانها وعن شمائلها أى عن جانبي كل واحد منها استعارة من عين الإنسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائيل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله ﴿سَجِدَ لِلَّهِ﴾

الضحاك والكلبي هو من الحروف يعنى يهلك طائفة فيخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم والحاصل أنه سبحانه وتعالى خوفهم يضاعف يحصل في الأرض أو ينداب ينزل من السماء أو آفات تحدث دفعة أو بآفات تحدث قليلا قليلا إلى أن يأتى الهلاك على آخرهم ثم أنه سبحانه وتعالى ختم الآية بقوله ﴿فَإِنْ رَبُّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يعنى أنه سبحانه وتعالى لا يجعل بالعقوبة والعذاب ﴿قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴾ ﴿أُولَمْ يَرَوْا﴾ قرئ بالناء على خطاب الحاضرين وبالياء على النية ﴿إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعنى من جسم قائم له ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت إلى لأن المراد منها الاعتبار والاعتبار لا يكون إلا بنفس الرؤية التى تكون معها نظر إلى الشئ ليتأمل أحواله ويتفكر فيه فيعتبر به ﴿يَتَفَقَّهُوْا ظِلَالَهُ﴾ يعنى تميل وتدور من جانب إلى جانب فهى من أول النهار على حال ثم تخلص ثم تعود في آخر النهار إلى حالة أخرى ويقال للظل بالعشى في لانه من فاء يعنى إذا رجع من المغرب إلى المشرق والنبي الرجوع قال الأزهري تفيق الظلال رجوعها بعد انقضاء النهار فالتفيق لا يكون إلا بالعشى وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون بالنداء وهو ألم تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وإنما أضاف الظلال وهو جمع إلى المفرد وهو قوله من شئ لانه يراد به الكثرة ومعناه إضافة إلى ذوى الظلال ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ قال العلماء إذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه إلى القبلة كان ظلك عن يمينك فإذا ارتفعت الشمس واستوت في وسط السماء كان ظلك خلفك فخلقك فإذا مالت الشمس إلى الغرب كان ظلك عن يسارك وقال الضحاك أما اليمين فأول النهار وأما الشمال فأخر النهار وإنما وحد اليمين وأن كان المراد به الجمع للإيجاز والاختصار في اللفظ وقبل اليمين راجع إلى لفظ الشئ وهو واحد والشمائيل راجع إلى المعنى لأن لفظ الشئ يراد به الجمع ﴿سَجِدَ لِلَّهِ﴾ في معنى هذا السجود قولان أحدهما أن المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع يقال سجد البعير إذا طأ طأ رأسه ليركب وسجدت النحلة إذا مالت لكثرة الجلى والمعنى أن جميع الأشياء التى لها ظلال فهى متقادة لله تعالى مستسلمة لامره غير معتعة عليه فمما سخره الله من التفيق وغيره وقال مجاهد إذا زالت الشمس سجد كل شئ لله وهو القول الثانى في معنى هذا السجود أن الظلال ونقعة على الأرض ملتصقة بها كالساجد على الأرض فلما كانت الظلال بشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا لفتقها وقيل ظل كل شئ ساجد لله سواء كان ذلك الشئ يسجد لله أولا وبندل أن ظل الكافر ساجد لله وهو غير

لا يشعرون (فإن ربكم لرؤوف رحيم) حيث يحلم عنكم ولا يماجلكم مع استحقاقكم والمعنى أنه إذا لم يأخذكم مع ما فيكم فأغار أخته تقيكم ورجته تحببكم (أولم يروا) وبالأجزاء وعلى وأبو بكر (إلى ما خلق الله) ما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه (من شئ يتفيق ظلاله) أى يرجع من موضع إلى موضع وبالناء بصرى (عن اليمين) أى الإيمان (والشمائل) جمع شمال (سجد لله) حال من الظلال عن مجاهد إذا زالت الشمس سجد كل شئ

(فإن ربكم لرؤوف رحيم) لمن تاب ويقال بتأخير العذاب (أولم يروا) أهل مكة (إلى ما خلق الله من شئ) من الشجر والدواب (يتفيق ظلاله) يتقلب ظلاله (عن اليمين) غدوة (والشمائل) وعن الشمائل عشية (سجد لله) يسجدون لله وظلالهم غدوة وعشية أيضا تسجد لله

(وهم داخرون) صاغرون وهو { الجزء الرابع عشر } حال من الضمير ﴿ ٦٠٨ ﴾ في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو مائة

وهم داخرون ﴿ وهم حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطرح أو الاختيار يقال سجدت الخلة اذا ماتت لكثرة الحلق وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب أو سجد حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس واحداً من أو باختلاف مشارقتها ومغاريها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب مقادة المأقدر لها من التقى أو واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة أي صاغرة مقادة لاهل الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جعلتها من يعقل أولان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين القلك وهو جابه الشرق لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له من الارض فان الظلال في اول النهار يتبدى من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبدى من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ﴿ والله بسجد ما في السموات وما في الارض ﴾ أي يقاد اقياداً يعم الاقياد لارادته وتأثيره طبعاً والاصياد لتكليفه واسره طوعاً يصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله ﴿ من دابة ﴾ بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كانت في ارض أو سماه ﴿ والملائكة ﴾ عظم على المبين به عظم جبريل على الملائكة للتعليم أو عظم المحركات على الجسمانيات وبه اخبر من قال ان الملائكة ارواح مجردة أو بيان لما في

ساجد لله ﴿ وهم داخرون ﴾ أي صاغرون أذلاء والداخرا الصاغرا الذي يفعل ما تأمر به شاء أم أبى وذلك ان جميع الاشياء مقادة لاسرائه تعالى فان قلت الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنها بلغة من يعقل وجوابها بالواو والنون قلت لما وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة والاقبياد لاسره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز بها بالواو والنون وهو جمع العقلاء ﴿ قوله عز وجل ﴾ والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة ﴿ قال العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود اقياد وخضوع كسجود الظلال فقوله والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة يحتمل النوعين لان سجود كل شيء بحسبه فسجود المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود اقياد وخضوع وأبى بلفظ ما في قوله ما في السموات وما في الارض للتغليب لان ما لا يعقل اكثر من يعقل في العدد والحكم الاعلى كتغليب المدرك على المؤنث ولانه لو أبى عن التي هي الاعتلاء لم يكن فيها دلالة على التغليب بل كانت متساوية للعقلاء خاصة فابى بلفظة ما ليشمل الكل واعطى لدابة مشتقة من الدبيب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسماني تحرك ويد ويد فدخل فيه لاسار لانه بما يدب على الارض ولهذا أقر الملائكة في قوله ﴿ والملائكة ﴾ بأنهم أولوا أجنحة طيرون بها أو أوردتهم بالذكور وان كانوا من جملة من في السموات وتسمى سموات من الملائكة وسجود في السموات من الملائكة وما في الارض من دابة سجود الملائكة وللمسلمين للطاعة وسجود غيرهم تدليها وانحرها لما خلقت له وسجود ملائكة وسجود المحركات يدل على قدرة السانم سبحانه وتعالى يدعو الغافلين الى السجود لله عند المأمل والتدبر

الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو والنون لان الدخور من اوصاف العقلاء أولان في جملة ذلك من يعقل مغلب والمعنى أولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متقينة عن اعانتها وشمائلها أي ترجع الظلال من جانب الى جانب مقادة لله تعالى غير متمعة عليه فيها سخره الله من التفتؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة مقادة لاهل الله فيها غير متمعة (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) من بيان ما في السموات وما في الارض جميعا على أن في السموات خلقا يدبون فيها كالكاذب الاناس في الارض أو بيان لما في الارض وحده والمراد بما في السموات ملائكة تنهون وقوله ﴿ والملائكة ﴾ ملائكة الارض من الحفظة وقولهم قيل المراد بسجود المكائين طاعتهم وعبادتهم وسجود غيرهم اتيادهم لارادة الله وهمي الاياد بجمعها على مختلفا فلذا حارر السجود عما يسهل وادعه حتى يتأذوه صالح ما يسهل وغيرهم ووجه من (رسم داخرون) طموت (ولله يسجد ما في السموات)

من الشمس والقمر والنجوم (وما في الارض من دابة) من الدواب والطيور (والملائكة) في السماء يسجدون لله (وهم)

تتلوه (التي خاصة) وهم لا يستكبرون يخافون ربهم) هو حال من الضمير في لا يستكبرون أي لا يستكبرون جاهليا (من)  
فوقهم من فوقهم يخافون فناء يخافونه ﴿٦٠٩﴾ أن يرسل ﴿سورة النحل﴾ عليهم عذابا من فوقهم لأن الله

علته برهم حالاً منه فناء  
يخافون ربهم غالباً لهم  
قاهر أقوله وهو القاهر  
فوق عباده (ويفعلون  
ما يؤمرون) وفيه دليل  
على أن الملائكة مكلفون  
مدارون على الأمر والنهي  
والهم بين الخوف والرجاء  
(وقال الله لا تتخذوا الهين  
أثنين إنما هو الله واحد)  
فإن قلت إنما جمعوا بين  
العدد والمعدود فيما  
وراء الواحد والاثنين  
فقالوا عندي رجال ثلاثة  
لأن المعدود من الدلالة  
على العدد الخاص فمارجل  
ورجلان معدودان فيما  
دلالة على العدد فلا حاجة  
إلى أن يقال رجل واحد  
ورجلان اثنان قلت الاسم  
الحامل لمعنى الأفراد  
والثنائية دال على شيئين  
على الجنسية والعدد  
الخصوص فإذا أريدت  
الدلالة على أن المعنى به  
منهما هو العدد شفع بما  
يؤكد فدل به على القصد  
إليه والعبارة به ألا ترى أنك  
لو قلت أنا هو الله ولم تؤكد  
بواحد لم يحسن وخيل أنك  
تنت الالهية لا الوجدانية  
(فايى فارهبون) نقل

الأرض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالاً وتعظيماً والمراد بها ملائكتها  
من الحفظة وغيرهم ولما استعمل للمقابلة كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع  
القيان أولى من اطلاق من تعظيلاً للمقابلة ﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة ﴿يخافون﴾  
ربهم من فوقهم ﴿يخافونه﴾ أن يرسل عذاباً من فوقهم أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله  
تعالى وهو القاهر فوق عباده والجلالة حال من الضمير في لا يستكبرون أو يسان له وتقرير  
لأن من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادة ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ من الطاعة  
والتيديرو فيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء ﴿وقال الله﴾  
لا تتخذوا الهين اثنين ﴿ذكر العدد مع أن المعدود يدل عليه دلالة على أن مساق النهي﴾  
إليه أو أعياه من الاثنية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله ﴿إنما هو الله واحد﴾  
للدلالة على أن المقصود اثبات الوجدانية دون الالهية أو للتنبية على أن الوحدة من لوازم  
الالهية ﴿فايى فارهبون﴾ نقل من النية إلى التكلم ببالغة في الترهيب وتصريحاً

﴿وهم لا يستكبرون﴾ يعني الملائكة ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ هو كقوله وهو القاهر  
فوق عباده وقد تقدم تفسيره ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ عن أبي ذر قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أتى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تثنى  
ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجداً والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم  
قليلاً ولبكيتم كثيراً وماتلذذتم بالنساء على الفرس ولخرجتم إلى الصمدات تجأرون إلى  
الله تعالى قال أبو ذر لوددت أني كنت شجرة لعضد أخرجته الترمذي وقال عن أبي ذر موقوفاً

### فصل

وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها  
وسماعها ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ﴿لما أخبر الله عن رجل﴾  
في الآية المتقدمه أن كل ما في السموات والأرض خاضعون لله متقادون لأمره عابدون له  
وانهم في ملكه وتحت قدرته وقبضته نهى في هذه الآية عن الشرك وعن اتخاذ الهين اثنين  
فقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين تأكيداً لقوله الهين وقال صاحب  
النظم فيه تقديم وتأخير تقديره لا تتخذوا اثنين الهين معنى أن الاثنين لا يكون كل واحد منهما الهياً  
ولكن اتخذوا الهاً واحداً وهو قوله تبارك وتعالى ﴿إنما هو الله واحد﴾ لأن الالهين لا يكونان  
المتساويين في الوجود والقدم وصفات الكمال والقدرة والارادة فصارت الاثنية منافية  
للالهية وذلك قوله تعالى أنا هو الله واحد يعني لا يجوز أن يكون في الوجود الهان  
أثنان أنا هو الواحد ﴿فايى فارهبون﴾ يعني يخافون والرهب مخافة مع حزن واضطراب  
وإنما نقل الكلام من الغيبة إلى الحضور وهو من طريق الالتفات لأنه أبلغ في الترهيب

الكلام عن الغيبة إلى التكلم وهو من طريقة (قاو خا ٧٧ لث) الا لافات وهو أبلغ في الترهيب من قوله فإياه فارهبوا فإياه بوني

(وهم لا يستكبرون) عن السجود لله (يخافون ربهم من فوقهم) الذي فوقهم على العرش (ويفعلون) يعني ويقولون (ما يؤمرون) يعني  
الملائكة (وقال الله لا تتخذوا) لا تعبدوا (الهين اثنين) أنفسهم والايمان (إنما هو الله واحد) بلا ولد ولا شريك (فايى فارهبون) ف يخافون

To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)